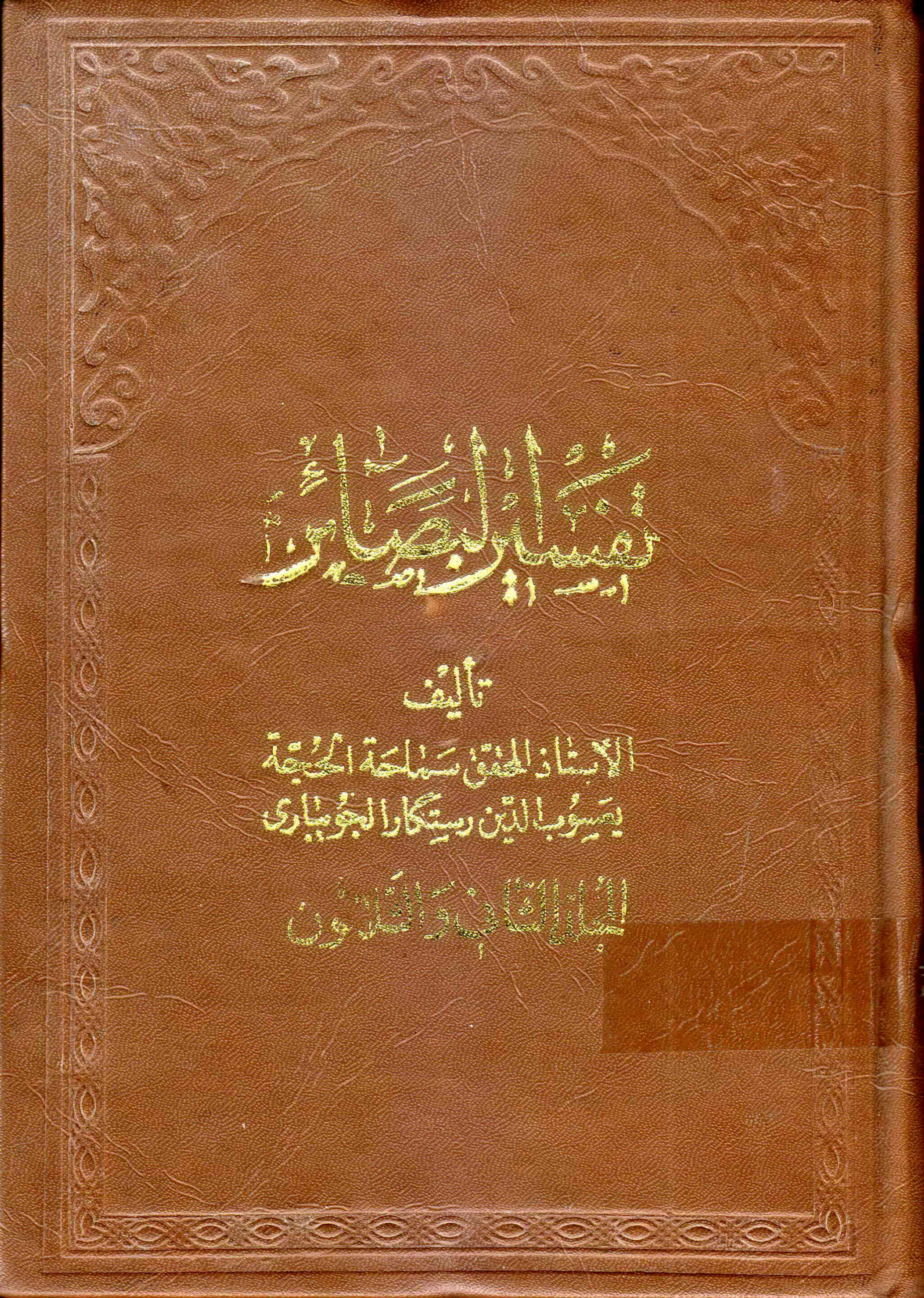
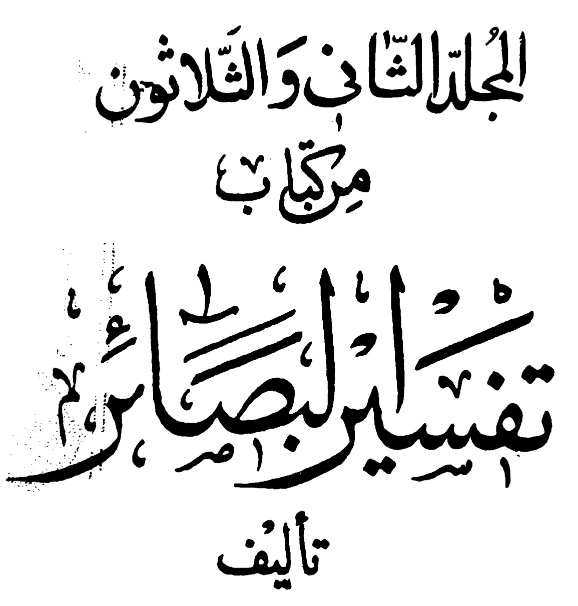

تفسير البصائر
تأليف
الأستاذ المحقق سماحة الحجة
يعسوب الدين رستگار الجويباري
المجلد الثاني والثلاثون



تأليف

الأستاذ المحقق سماحة الحجة
يعسوب الدين رستگار الجويباري

ايران - قم

١٤٠٣ هـ ق = ١٣٦٢ هـ ش



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ
أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي
السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ
مَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن
تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا
لَمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ
رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ
فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَ
لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ
كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ
الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ
سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ
وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ
رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ
حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ
عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا
وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا
﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَ
أَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ
تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ
مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَنْ
يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ
كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ
وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا
﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَ
الْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ
اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا
قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ
وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن
قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا
إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا

﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ

مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ

أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا

جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ

يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ

خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ

أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا

مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَ

تُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ

أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ

كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ

أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَ
لَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ
فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ
لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ
ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾
لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ
وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ
عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا
وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ
ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا
ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا
﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾

إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا
رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ
وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَ
كَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا
ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَانُ
إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ
وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾



قد جآءكم بصآئر من ربكم
فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها

الأنعام : ١٠٤

كتاب علمي ، فني ، أدبي ، فقهي ، ديني ، تاريخي ، أخلاقي ، اجتماعي ، سياسي روائي حديث يفسر القرآن بالقرآن مبتكر في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه ، وأسراره الكونية والتشريعية ، وفريد في بابه ، يبحث فيه عن العقل والنقل

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن الحسن عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من كان كثير القراءة لسورة الاحزاب كان يوم القيامة في جوار محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأزواجه، ثم قال: سورة الأحزاب فيها فضائح الرجال والنساء من قريش وغيرهم، يا إبن سنان ان سورة الاحزاب فضحت نساء قريش من العرب، وكانت اطول من سورة البقرة لكن نقصوها وحرّفوها.

رواه الطبرسي في المجمع، والشيخ المحدث الحر العاملي في وسائل الشيعة، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار.

أقول: ان الحسن في هذا السند هو الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني وهو واقفي لا نعتمد على روايته، فانه مطعون في مروياته حتى قيل في حقه: انه كذّاب ملعون.

و لعله اتبع ما روى عن عائشة: « ان هذه السورة كانت تقرأ مأتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر إلاّ ما هو الآن » وما عن ابي بن كعب: « ان سورة الاحزاب كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ». وهما مردودان لعدم توثيقهما في نقل الاحاديث.

مضافاً إلى أن ذيل الرواية ينافي الكتاب والسنة، ونحن نقرؤ السورة إلتماساً لذلك الثواب، ولا بأس به عند أكثر الفقهاء عملاً بما رواه الكليني رضوان الله تعالى عليه:

في الكافي : بسند حسن عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه كان له ، وإن لم يكن على مابلغه »

وفيه: باسناده عن محمد بن مروان قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : من بلغه ثواب من الله على عمل ، فعمل ذلك العمل إلتماس ذلك الثواب اوتيه و إن لم يكن الحديث كما بلغه .

وفي المجمع : ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ومن قرأ سورة الاحزاب وعلّمها أهله ، وما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر .

وفي البرهان : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كتبها في رق غزال و تركها في حق وعلقه في منزله كثرت له الخطاب لحرمته ، ورغب إليهم كل واحد ولو كانوا فقراء .

وفيه: وقال الصادق عليه السلام : من كتبها في رق ظبي ، وجعلها في منزله جائت إليه الخطاب في منزله ، وطلب التزويج في بناته وأخواته وجميع أهله و أقربائه باذن الله تعالى .

أقول : ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ما قرأت والله تعالى هو أعلم .

﴿الغرض﴾

تستهدف السورة إستقامة النبي الكريم ﷺ في أمره ، والقيام بمهمته قياماً تاماً لاتساهل فيه ولاهوادة من دون تأثر بأي إعتبار .

فلابدله ﷺ في ذلك من الحذر من إطاعة كافرأومنافق ، و عليه ﷺ من اتباع الوحي السماوي فقط ، والتوكل على الله جل و علا وحده لاستحالة الجمع بين إتباع الوحي والاطاعة لمنكريه ، وهذا هوالميثاق الغليظ أخذه الله تعالى من جميع الانبياء والمرسلين ، فكل مسؤول عنه .

فلابد للنبي ﷺ من إتباع الوحي في تنفيذ أوامر الله جل وعلا و إبطال التبني والعقائد والآداب الجاهلية ، والاستمتاع بما فرضه الله تعالى له معتمداً عليه فانه يكفيه دون إهتمام لنقد ومعارضة ، ومن غيرخشية مما سواه تعالى في شرح سنة الله سبحانه وواجبات الانبياء في تبليغ الرسالة الالهية .

وان أكثر آيات السورة وإن كان متعلقاً بخصوصيات النبي الكريم ﷺ و زوجاته موضوعاً وظرفاً ، ولكن هذا لايمنع أن يكون منبع إلهام فياض ، و تلقين جليل مستمر المدى لكل قائد ديني يتصدر للزعامة الدينية الاصلاحية والجهادية والسياسة الاسلامية في صدد إصلاح وإبطال مايكون ضاراً أوباطلاً أو غيرمتسق مع العقل والمنطق والمصلحة والنصوص الصافية من العادات والتقاليد دون مبالات بنقد ولامعارضة من غيرأن يحل حراماً و يحرم حلالاً فان حلال محمد ﷺ حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة .

إستلهاماً من قوله تعالى : « لقدكان لكم فى رسول الله اسوة حسنة » : ٢١) فانه يحث المؤمنين على إتخاذ سيرة رسول الله ﷺ لهم اسوة حسنة .

ولقد حملت الايات نساء النبى الكريم ﷺ واجبات مهمة فى تقدير مركزهن بالنسبة لخطورة مركز النبى ﷺ وفي هذا المعنى تلقين جليل لنساء زعماء المسلمين وقوادهم . . .

وفي السورة : تنويه للنبى ﷺ من عظيم المنزلة ورفعة الشأن ، فان الله تعالى يصلى عليه ﷺ بشموله الدائم بعطفه ورحمته ، والملائكة بدعائهم و تأييدهم ، والمؤمنون بتعظيمهم وإجلالهم له ﷺ .

وفيها : تنويه بكل مؤمن ومؤمنة ، يخلصان فى إسلامهما النفس لله تعالى والايمان به ويلتزمان حدوده ويراقبانه ويطيعان أوامره ويخشعان لذكره ، و يقومان بواجباتهما التعبدية والاجتماعية والاخلاقية ، وتقرير إستحقاقهما رفيع المنزلة والاجر عند الله تعالى كل على ماعمل .

وفيها : إنذار شديد باللعنة والعذاب على الكافرين والمنافقين ، وتأديب ربانى مستمر التلقين فى وجوب الامتناع عن إتهام الناس بما ليس فيهم ، و إلتزام حدود الحق والسداد فى كل مايصدر عن المرء من قول .

وفي الختام تقرير لأهلية الانسان للتكليف وقابليته للخير والشر والاستقامة والانحراف ، وإنذار للذين يختارون الضلال ، ويسيرون فى طريقه ، وبشرى للذين يختارون الهدى ويسيرون فى سبيله .

﴿النزول﴾

سورة الاحزاب مدنية نزلت بعد سورة «آل عمران» وقبل سورة «الممتحنة» على التحقيق .

وهي السورة التسعون نزولاً ، والثالثة والثلاثون مصحفاً .

وتشتمل على ثلاث وسبعين آية ، سبقت عليها / ٥١٧٤ آية نزولاً ، و / ٣٥٣٣ آية مصحفاً على التحقيق أيضاً .

ومشتملة على / ١٢٨٠ كلمة ، و / ٥٧٩٠ حرفاً ، وقيل : / ٥٧٩٦ حرفاً ، و قيل : / ٥٧٦٦ حرفاً على مافي بعض التفاسير .

الاحزاب : هي غزوة الخندق. سميت بالاحزاب لتجمع الاحزاب من قريش وغطفان وقبائل نجد مع يهود المدينة، وسميت بوقعة الخندق لان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين قرّروا حفر خندق لمنع الأحزاب من إقتحام المدينة .

وقيل : سميت السورة بالاحزاب لان قصتها معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متضمنة لنصره بالريح والملائكة بحيث كفى الله تعالى المؤمنين بالقتال، و قد ميّز بهم بين المؤمنين والمنافقين .

وقيل : سميت بوقعة الاحزاب لان الايات سمت الزاحفين الغزاة بالاحزاب.

في تفسير التبيان: ان أباسفيان و جماعة من الكفار قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ودعوه إلى أشياء عرضوها عليه ، فأرادالمسلمون قتلهم ، فأنزل الله سبحانه : « يا أيها النبي اتق الله »في نقض العهد ، وقتل هؤلاء الكفار « ولا تطع الكافرين»

فيما يدعونك إليه ولا « المنافقين » فى قتلهم ونقض العهد .

وفى أسباب النزول للسيوطى عن إبن عباس قال : إن أهل مكة منهم : الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم ، وخوّفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه فأنزل الله : « يا أيها النبى اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين »

وفى أسباب النزول للواحدى النيسابورى فى قوله تعالى : « يا أيها النبى اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين » الاية نزلت فى أبى سفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبى الاعور السلمى قدموا المدينة بعد قتال أحد ، فنزلوا على عبدالله بن ابى ، وقد أعطاهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم الأمان على أن يكلموه ، فقام معهم عبدالله ابن سعد بن أبى سرح وطعمة بن أبيرق ، فقالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وعنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومنات ، اوقل : ان لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها وندعك وربك ، فشقّ على النبى صلى الله عليه وآله وسلم قولهم، فقال عمر بن الخطاب : ائذن لنا يارسول الله فى قتلهم ، فقال : انى قد أعطيتهم الأمان ، فقال عمر : اخرجوا فى لعنة الله وغضبه، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله عزوجل هذه الاية .

أقول: ان الاية بصدد نهى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن إطاعة الكافرين والمنافقين ، ويظهر مما تقدم ان عمر بن الخطاب كان من المنافقين الذين نهى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن إطاعتهم .

وفى المجمع : وقيل : نزلت فى ناس من ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فطلبوا منه أن يمتعهم باللات والعزى سنة قالوا : لتعلم قريش منزلتنا منك .

وفيه: فى قوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » نزلت فى أبى معمر جميل بن معمر بن حبيب الفهرى ، وكان لبيباً حافظاً لما يسمع وكان يقول : إن فى جوفى لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ، فكانت قريش تسميّه ذا القلبين ، فلما كان يوم بدر وهزم المشركون ، وفيهم أبو معمر

وتلقاه أبوسفيان بن حرب ، وهو آخذ بيده إحدى نعليه والاخرى فى رجله، فقال له : ياأبا معمر ماحال الناس؟ قال : انهزموا قال : فمابالك إحدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك ؟ فقال أبومعمر : ماشعرت إلا انهما فى رجلى ، فعرفوايومئذ انه لم يكن له إلا قلب واحد لمانسي نعله في يده .

وفى سراج المنير : ان رجلا كان يسمى أبا معمر حميد بن معمر الفهرى، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع ، فقالت قريش : ماحفظ أبومعمر هذه الاشياء إلا وله قلبان ، وكان هويقول : لى قلبان اعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ، فلماهزم الله تعالى المشركين يوم بدر انهزم أبومعمر فيهم فلقاه أبوسفيان، وهومعلق إحدى نعليه بيده ، والاخرى فى رجله ، فقال له : ما نعل الناس؟فقال له : بين مقتول وهارب ، فقال له : فما بالك إحدى نعليك فى رجلك والاخرى فى يدك ؟ فقال : ماظننت إلا انهمافى رجلى ، فاكذب الله تعالى قوله وقولهم وضربه مثلاً فى الظهار والتبنى .

وفى أسباب النزول للسيوطى عن ابن عباس قال : قام النبى ﷺ يوماً يصلّى فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : ألاترى أن له قلبين : قلباً معه ، فأنزل الله : « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » .

وفيه : عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة قالوا : كان رجل يدعى ذا القلبين ، فنزلت الاية . وزاد الحسن :وكان يقول : لى نفس تأمرني ونفس تنهاني. وقال مجاهد : نزلت فى رجل من بنى فهم قال : ان فى جوفى لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد . وقال السدى : انها نزلت فى رجل من قريش من بنى جمح يقال له : جميل بن معمر .

وفى التبيان : ان رجلاً من قريش وهو أبومعمر جميل ابن أسد كان يدّعى ان له قلبين فنزلت هذه الاية .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « وماجعل أدعياء كم أبناء كم» حدثنى

أبى عن إبن أبى عمير عن جميل عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كان سبب ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما تزوّج بخديجة بنت خويلد خرج إلى سوق عكاظ فى تجارة لها ، ورآى زيداً يباع ورآه غلاماً كيّساً حصيفاً (حصيناً خ) و(حفيظاً خ)فاشتراه فلما نبّىء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاه إلى الاسلام ، فأسلم وكان يدعى زيد مولى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلما بلغ حارثة بن شراحيل الكلبى خبر ولده زيد ، قدم مكة وكان رجلاً جليلاً ، فأتى أباطالب ، فقال :ياباطالب ان ابنى وقع عليه السبى ، وبلغنى انه صار إلى إبن أخيك تسئله (فاسئله خ) إما أن يبيعه وإما أن يفاديه ، وإما أن يعتقه .

فكلّم أبوطالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هو حرّ فليذهب كيف يشاء (حيث شاء خ) فقام حارثة فاخذ بيد زيد،فقال له: يابنى ألحق بشرفك وحسبك ،فقال زيد :لست افارق رسول الله أبداً فقال له أبوه:فتدع حسبك ونسبك وتكون عبداً لقريش؟ فقال زيد : لست افارق رسول الله مادمت حياً ، فغضب أبوه فقال : يا معشر قريش أشهدوا انى قد برئت منه ، وليس هو إبنى ، فقال رسول الله : أشهدوا ان زيداً إبنى أرثه ويرثنى ، فكان زيد يدعى إبن محمد ، وكان رسول الله يحبّه و سمّاه زيد الحب (زيداً لحبه خ) .

فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينه زوجه زينب بنت جحش ، وأبطأعنه يوماً ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزله يسأل عنه ، فاذاً زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيبها بفهرلها ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الباب ، فنظر إليها ، و كانت جميلة حسنة ، فقال : سبحان الله خالق النور وتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزله ووقعت زينب فى قلبه موقعاً عجيباً .

وجاء زيد إلى منزله ، فأخبرته زينب بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها زيد : هل لك أن اطلّقك حتى يتزوجك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلعلك وقعت فى قلبه؟ فقالت : أخشى أن تطلّقنى ولايتزوّجنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : بأبى أنت وامى يارسول الله أخبرتنى زينب بكذا و كذا فهل لك

أن اطلقها حتى تزوّجها ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا اذهب واتق الله وامسك عليك زوجك ثم حكى الله فقال : « أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا كها ـ إلى قوله ـ و كان امر الله مفعولاً »

فزوّجه الله من فوق عرشه ! فقال المنافقون : يحرّم علينا نساء أبنائنا ، و يتزوّج إمرأة إبنه زيد ، فأنزل الله فى هذا « وما جعل أدعياء كم أبناء كم ـ إلى قوله ـ يهدى السبيل » .

قال : « ادعوهم لآباءهم هو أقسط عندالله ـ إلى قوله ـ و مواليكم » فأعلم الله ان زيداً ليس هو إبن محمد ، وإنما ادّعاه للسبب الذى ذكرناه .

أقول : زينب بنت جحش امها اميمة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقوله عليه السلام : « بفهرلها » الفهر ـ بالكسر ـ : الحجر قدرما يدق به الجوز ، ويستعمل عند الاطباء للحجر الرقيق الذى تسحق به الادوية على الصلابة .

وفى أسباب النزول للواحدى فى قوله تعالى : « و ما جعل أدعياء كم أبناء كم » نزلت فى زيد بن حارثة كان عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاعتقه وتبناه قبل الوحى ، فلما تزوّج النبى صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت جحش ، و كانت تحت زيد بن حارثة ، قالت اليهود والمنافقون : تزوّج محمد صلى الله عليه وآله وسلم إمرأة إبنه وهو ينهى الناس عنها فأنزل الله تعالى هذه الاية .

وفى أسباب النزول للسيوطى عن إبن عمر قال : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلاّ زيد بن محمد حتى نزل فى القرآن : « ادعوهم لآباءهم هو أقسط عندالله »

وفى المجمع :وروى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد غزوة تبوك ، و أمر الناس بالخروج قال قوم : نستأذن آبائنا وامهاتنا ، فنزلت هذه الاية .

وفى الكافى : باسناده عن عبدالرحيم بن روح القصير عن أبى جعفر عليه السلام

فی‌قول الله عزوجل : « النبی أولی بالمؤمنین من أنفسهم وأزواجه امهاتهم‌واولوا الارحام بعضهم أولی ببعض فی کتاب الله » فیمن نزلت ؟ قال : نزلت فی‌الامرة ان هذه‌الایة جرت‌فی ولدالحسین‌من بعده فنحن أولی بالامروبرسول‌الله صلی الله علیه وآله وسلم من المؤمنین‌والمهاجرین والانصارقلت:فولد جعفر علیه السلام لهم فیها نصیب ؟ قال:لاقلت: فولد العباس لهم فیها نصیب؟ قال : لافعددت علیه بطون بنی عبدالمطلب کل‌ذلك یقول : لاقال : ونسیت ولد الحسن علیه السلام فدخلت بعد ذلك علیه ، فقلت له :هل‌ولد الحسن فیها نصیب ؟ فقال : لایاعبدالرحیم ، مالمحمدی فیها نصیب غیرنا .

وفی کمال‌الدین : باسناده عن الثمالی عن علی بن الحسین علیهما السلام انه قال: فینانزلت هذه الایة : « واولوا الارحام بعضهم أولی ببعض فی کتاب الله » .

وقد وردت روایات کثیرة عن طریق العامة : ان قوله تعالی :« و اولوا الارحام بعضهم أولی ببعض فی کتاب الله‌من المؤمنین والمهاجرین » نزل فی‌علی علیه السلام لانه‌کان مؤمناً مهاجراً ذارحم .

منهم : المیرمحمد صالح الکشفی الترمذی الحنفی فی (مناقب مرتضوی ص ٦٢ ط بمبئی بمطبعة محمدی) مالفظه : نقل إتفاق المفسرین علی أن الأیة نزلت فی‌علی علیه السلام لانه الذی‌کان مؤمناً ومهاجراً وإبن عمه .

ومنهم: الحافظ أبوبکربن مردویه فی‌کتاب (المناقب)

ومنهم: إبن عیسی الاربلی فی (کشف الغمة ص ٩٥) وغیرهم ترکناهم للاختصار .

وفی‌الکافی: باسناده عن أبی بصیرعن أبی عبدالله علیه السلام قال : لماقبض‌رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کان علی علیه السلام أولی الناس بالناس لکثرة ما بلغ فیه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وإقامته للناس ، وأخذه بیده ، فلما مضی‌علی علیه السلام لم یکن یستطیع علی ولم‌یکن لیفعل أن یدخل محمد بن علی ولا العباس بن علی ، ولا أحداً من ولده إذاً لقال الحسن والحسین علیهما السلام ان‌الله تبارك‌وتعالی‌أنزل فینا کما أنزل فیك ، وأمر بطاعتنا

كما أمر بطاعتك وبلغ فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما بلغ فيك و أذهب عنا الرجس كما أذهب عنك .

فلما مضى على عليه السلام كان الحسن عليه السلام أولى بها لكبره فلما توفى لم يستطع أن يدخل ولده ولم يكن ليفعل ذلك ، والله عزوجل يقول : « وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » فيجعلهافي ولده إذا لقال الحسين عليه السلام : أمر الله تبارك وتعالى بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما بلغ فيك وفى أبيك ، واذهب عنى الرجس كماأذهب عنك وعن أبيك ، فلماصارت إلى الحسين عليه السلام لم يكن أحد من أهل بيته يستطيع أن يدعى عليه كماهو يدعى على أخيه وأبيه لوأراداأن يصرفاالامرعنه ، ولم يكونا ليفعلا ثم صارت حين افضت إلى الحسين عليه السلام فجرى تأويل هذه الاية : « واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ثم صارت من بعد الحسين لعلى بن الحسين عليه السلام ثم صارت من بعد على بن الحسين عليه السلام إلى محمد بن على ، وقال : الرجس هوالشك والله لانشك فى ربنا أبداً .

وفي أسباب النزول للسيوطى عن حذيفة قال : لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافون قعوداً وأبوسفيان ، ومن معه من الاحزاب فوقنا وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا ، وما أتت قط علينا ليلة أشد ظلمة ، ولا أشد ريحاً منها ، فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقولون : ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ، فما يستأذن أحدمنهم إلا أذن له فيتسللون إذااستقبلنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً رجلاً حتى أتى على عليه السلام فقال : ائتني بخبر القوم فجئت ، فاذاالريح فى عسكرهم ماتجاوز عسكرهم شبراً ، فوالله انى لأسمع صوت الحجارة فى رحالهم و فرشهم الريح تضربهم بها ، وهم يقولون : الرحيل الرحيل ، فجئت فأخبرته خبرالقوم ، و أنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذجاءتكم جنود » الاية .

وفيه : عن عمروالمزنى قال : خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندق علم الأحزاب ،

فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدوّرة ، فأخذ رسول الله ﷺ المعول فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيّ المدينة ، فكبر وكبر المسلمون ثم ضرب الثانية فصدعها وبرق منها برق أضاء مابين لابتيها فكبر وكبر المسلمون ثم ضربها الثالثة ، فكسرها وبرق منها برق أضاء مابين لابتيها ، فكبر وكبر المسلمون فسئل عن ذلك ، فقال : ضربت الاولى ، فأضاءت لى قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وأخبرني جبرئيل ان امتى ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثانية فأضاءت لى قصور الحمر من أرض الروم، وأخبرني جبرئيل ان امتى ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة ، فأضائت لى قصور صنعاء ، وأخبرني جبرئيل ان امتى ظاهرة عليها .

فقال المنافقون : ألاتعجبون يحدّثكم ويمنّيكم ويعدكم الباطل،ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وانها تفتح لكم ، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا ، فنزل القرآن : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً » .

وفيه : عن إبن عباس قال :نزلت هذه الاية في متعب بن قشير الانصارى وهو صاحب هذه المقالة .

وفيه: عن عروة بن الزبير ومحمد بن كعب القرظي و غيرهما قال : قال متعب بن قشير :كان محمد يرى أن يأكل من كنوز كسرى و قيصر ، و أحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط ، وقال أوس بن قيظى فى ملأ من قومه : ان بيوتنا عورة وهي خارجة من المدينة إئذن لنا ، فنرجع إلى نسائنا وأبنائنا ، فأنزل الله على رسوله حين فزع عنهم ماكانوا فيه من البلاء يذكرهم نعمته عليهم و كفايته اياهم بعد سوء الظن منهم ، و مقالة من قال من أهل النفاق : « ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذجاءتكم جنود » الاية .

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن أبى إسحق عن

علي عليه السلام قال : فينا نزلت : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » الاية فأناوالله المنتظر ، ومابدّلت تبديلاً .

وفيه: باسناده عن عبدالله بن عباس في قول الله تعالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » يعني علياً وحمزة وجعفر « فمنهم من قضى نحبه » يعني حمزة وجعفر « ومنهم من ينتظر » يعني علياً عليه السلام كان ينتظر أجله والوفاء لله بالعهد والشهادة في سبيل الله ، فوالله لقد رزق الشهادة .

وفي تاريخ الاسلام للذهبي : سئل علي عليه السلام وهو على منبر الكوفة عن قوله تعالى : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر» فقال : اللهم اغفر ، هذه الاية نزلت فيَّ وفي عمي حمزة وفي إبن عمي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ،فأما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر ، وأما حمزة فقضى نحبه شهيداً يوم احد ، و أما أنا فانتظر أشقاها يخضب هذه من هذا ـ وأشار إلى لحيته ورأسه ـ عهد عهده إلي حبيبي أبو القاسم صلى الله عليه وآله وسلم .

رواه جماعة من أعلام العامة .

١ـ إبن حجر في (الصواعق ص ٨٠)

٢ـ البغوي في تفسيره (معالم التنزيل المطبوع بهامش تفسير الخازن)

٣ـ الخازن البغدادي في تفسيره (لباب التأويل)

٤ـ إبن الصباغ في (الفصول المهمة ص ١١٣ ط النجف)

٥ـ الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ١٨٨)

٦ـ الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب)

٧ ـ الكشفي الترمذي الحنفي في (مناقب مـرتضوي ص ٦٣ ط بمبيء بمطبعة المحمدي) .

٨ـ الشبلنجي في (نور الابصار ص ٩٧) وغيرهم تركناهم للاختصار .

و في كنز الفوائد للكراجكي رضوان الله تعالى عليه باسناده عن جابر

عن أبي عبدالله عليه السلام عن محمد بن الحنفية قال : قال علي عليه السلام : كنت عاهدت الله ورسوله أنا وعمي حمزة وأخي جعفر وإبن عمي عبيدة بن الحارث على أمر وفينا به لله ولرسوله ، فتقدمني أصحابي وخلفت بعدهم لما أراد الله عز وجل ، فأنزل الله تعالى فينا : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه» حمزة وجعفر وعبيدة « ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » فأنا المنتظر وما بدلت تبديلاً .

وفيه: باسناده عن عبدالله بن الحسن عن آبائه عليهم السلام قال : ما عاهد الله علي بن أبي طالب وحمزة بن عبدالمطلب ، وجعفر بن أبي طالب أن لا يفروا في زحف أبداً ، فتموا كلهم ،فأنزل الله هذه الاية : « فمنهم من قضى نحبه » حمزة إستشهد يوم احد ، وجعفر إستشهد يوم موتة « ومنهم من ينتظر » يعني علي بن أبي طالب « وما بدلوا تبديلاً » يعني الذي عاهدوا عليه .

وفي ينابيع المودة : مالفظه روى في (المناقب) بالسند عن زياد بن مطرب قال :كان إبن مسعود يقرأ « وكفى بالله المؤمنين القتال » بعلي عليه السلام .

وسبب نزوله : ان عمرو بن عبدود كان فارساً مشهوراً يعدل بألف فارس و يوم الخندق نادى هل من مبارز فلم يجبه أحد ، فقال علي عليه السلام : أنا يا رسول الله فقال : انه عمرو و اجلس فنادى ثانية فلم يجبه أحد فقام علي عليه السلام وقال : أنا يا رسول الله فقال : انه عمرو فقال: وإن كان عمرواً فاستاذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال حذيفة بن اليمان : ألبسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم درعه الفضول و عممه عمامته فساق الحديث إلى أن قال فنزلت : « وكفى الله المؤمنين القتال » .

رواه جماعة من حملة آثار العامة في أسفارهم :

منهم: الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ١١٠ ط الغرى)

ومنهم : أبوحيان الاندلسي في تفسيره (البحر المحيط ج٧ ص٢٢٤ ط مطبعة السعادة بمصر)

ومنهم : الكاشفى فى (معارج النبوة ج ١ ص ١٦٣ ط لكهنو)

ومنهم : السيوطى فى تفسيره (الدر المنثور ج ٣ ص ١٩٢ ط مصر)

ومنهم : الكشفى الترمذى الحنفى فى (مناقب مرتضوى ص ٥٥ ط بمبىء بمطبعة محمدى)

ومنهم : إبن عيسى الاربلى فى (كشف الغمة ص ٩٣)

ومنهم : الحافظ أبوبكربن مردويه فى (المناقب)

ومنهم : محمود الآلوسى فى تفسيره (روح المعانى ج ٢١ ص ١٥٦ ط المنيرية بمصر)

وفى تفسير القمى : ـ حديث طويل ـ فقتلهم (أى بنى قريظة اليهود) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى البردين بالغداة والعشى فى ثلاثة أيام ، وكان يقول: اسقوهم العذب وأطعموهم الطيب ، وأحسنوا أساراهم حتى قتلهم كلهم فأنزل الله عزوجل فيهم : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم » أى من حصونهم « وقذف فى قلوبهم الرعب ـ إلى قوله تعالى ـ وكان الله على كل شيء قديراً ».

و فى جامع البيان للطبرى : ان هذه الاية : « ياأيها النبى قل لازواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا » الاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أجل ان عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً من عرض الدنيا إما زيادة فى النفقة أو غير ذلك ، فاعتزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساءه شهراً فيما ذكر ثم أمره الله أن يخيّرهن بين الصبر عليه والرضا بما قسم لهن والعمل بطاعة الله وبين أن يمتعهن ويفارقهن ان لم يرضين بالذى يقسم لهن.

وفى البحر المحيط : ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغايرن وأردن زيادة فى كسوة ونفقة ، فنزلت ، ولما نصر الله نبيه وفرق عنه الاحزاب و فتح عليه قريظة والنضير ، ظن أزواجه انه صلى الله عليه وآله وسلم اختص بنفائس اليهود وذخائرهم ، فقعدن حوله صلى الله عليه وآله وسلم وقلن : يا رسول الله بنات كسرى وقيصر فى الحلى والحلل والاماء والخول ونحن على ماتراه من الفاقة والضيق وآلمن قلبه صلى الله عليه وآله وسلم بمطالبتهن له بتوسعة

الحال ، وأن يعاملهن بما يعامل به الملوك والاكابرأزواجهم ، فأمرالله أن يتلو عليهن مانزل فيأمرهن بقوله تعالى: « قل‌لازواجك إن كنتن تردن‌الحياةالدنيا»

وفي تفسير القمي : فيقوله تعالى : « يا أيها النبي قل‌لازواجك » الاية كان سبب نزولها أنه لما رجع رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزاة (غزوة خ) خيبروأصاب كنزآل أبي‌الحقيق قلن أزواجه : أعطنا ما أصبت فقال لهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قسمته بين المسلمين على ما أمرالله ، فغضبن من ذلك ، و قلن : لعلك ترى أنك إن طلّقتنا أن لانجد الأكفاء من قومنا يتزوّجونا ؟

فأنف الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم فأمرهأن يعتزلهن ، فاعتزلهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مشربة ام إبراهيم تسعة وعشرين يوماً حتى حضن وطهرن ثم أنزل الله هذه الاية وهي آية التخيير فقال : « يا أيها النبي قل‌لازواجك ـ إلى قوله ـ أجراً عظيماً » فقامت ام سلمة أول من قامت، فقالت: قد اخترت الله ورسوله فقمن كلهن فعانقنه، وقلن مثل ذلك ، فأنزل الله : « ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء » فقال الصادق عليه السلام : من آوى فقد نكح ، ومن ارجى فقد طلق ، وقوله : « ترجي من تشاء منهن وتؤدي إليك من تشاء » مع هذه الاية قوله : « يا أيها النبي قل لازواجك ـ إلى قوله ـ منكن أجراً عظيماً » وقد أخرت عنها في التأليف .

وفي الكافي: باسناده عن‌داود بن سرحان‌عن أبي‌عبدالله عليه السلام ان زينب‌بنت جحش قالت : يرى رسول الله إن خلّى سبيلنا أن لانجد زوجاً غيره ، وقدكان إعتزل نساءه تسعة وعشرين ليلة ، فلما قالت زينب الذي قالت بعث الله جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « قل‌لازواجك » الآيتين كلتيهما فقلن : بل نختار الله و رسوله والدار الاخرة .

وفي كمال‌الدين و تمام‌النعمة باسناده‌عن‌عبدالله بن مسعود قال : قلت‌للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا رسول‌الله من يغسلك إذامت ؟ قال : يغسل كل نبيّ وصيه ، قلت: فمن وصيك يا رسول‌الله ؟ قال : علي بن أبيطالب عليه السلام قلت : كم يعيش بعدك ؟ قال

ثلاثين سنة ، فان يوشع بن نون وصي موسى عاش بعد موسى ثلاثين سنة،وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى عليه السلام فقالت : أنا أحق منك بالامر فقاتلها و قتل مقاتليها وأسرها فأحسن أسرها ،وان إبنة أبي بكر ستخرج على علي في كذا و كذا ألفاً من امتي ، فيقاتلها فيقتل مقاتليها ويأسرها فيحسن أسرها ، وفيها أنزل الله : « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » يعني صفراء (صفيراء بنت شعيب خ) .

وفي شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي باسناده عن جابر قال : نزلت هذه الاية : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس في البيت إلا فاطمة والحسن والحسين و علي ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم هؤلاء أهلي .

وفيه: باسناده عن الحسن بن علي قال : لما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله وإياه في كساء لام سلمة خيبري ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

وفيه: باسناده عن أبي سعيد الخدري قال : نزلت هذه الاية في خمسة فقرأها وسمّاهم : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » في رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم .

وفي أسباب النزول للواحدي باسناده عن ام سليم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها ، فأتته فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة ، فدخلت بها عليه ،فقال لها : ادعي لي زوجك وابنيك ، قالت : فجاء عليّ وحسن وحسين ، فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له ، وكان تحته كساء حبري ، قالت : و أنا في الحجرة أصلي ، فأنزل الله تعالى هذه الاية : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » قالت : فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ، ثم أخرج يدي فألوى بهما إلى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي و خاصتي ،

فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قال : فادخلت رأسي البيت وقلت: أنا معكم يارسول الله قال : انك إلى خير انك إلى خير .

وفي الدر المنثور : أخرج الطبراني عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة : ائتيني بزوجك وإبنيه، فجاءت بهم فألقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم كساء فدكياً ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم ان هؤلاءِ أهل محمد - و في لفظ آل محمد - فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل ابراهيم انك حميد مجيد .

قالت ام سلمة : فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبه من يدي وقال : انك على خير .

و فيه: أخرج إبن مردويه عن ام سلمة قالت : نزلت هذه الاية في بيتي : « إنما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » و في البيت سبعة: جبرئيل وميكائيل وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وأنا على باب البيت قلت : يا رسول الله ألست من أهل البيت ؟ قال : انك على خير انك من أزواج النبي .

وفي أسباب النزول للواحدي : قال مقاتل بن حيان : بلغني أن أسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة معها زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : هل نزل فينا شيء من القرآن ؟ قلن : لا فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسارة ، قال : ومم ذلك ؟ قالت :لانهن لايذكرن في الخير كما يذكر الرجال ، فأنزل الله تعالى : « ان المسلمين والمسلمات » الاية.

وفي جامع البيان : عن عبدالرحمن إبن شيبة قال : سمعت ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقول : قلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا رسول الله مالنا لانذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت : فلم يرعني ذات يوم ظهراً إلا نداءه على المنبر ،وأنا

أسرح رأسي فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرة من حجرهن ، فجعلت سمعي عند الجريد فاذا هو يقول على المنبر : يا أيها الناس ان الله يقول في كتابه : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ـ إلى قوله ـ أعد الله لهم مغفرة و أجراً عظيماً » .

و في **الجامع لاحكام القرآن** : عن ام عمارة الانصارية أنها أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: ما أرى كل شيء إلاّ للرجال ، و ما أرى النساء يذكرن بشيء ، فنزلت هذه الاية : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات » الاية .

و في **أسباب النزول** للسيوطي و أخرج الطبراني بسند لا بأس به عن إبن عباس قال : قالت النساء : يا رسول الله ، ما باله يذكر المؤمنين و لا يذكر المؤمنات ، فنزلت : « ان المسلمين والمسلمات » الاية .

و في **تفسير القمي** : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: « و ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة » و ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب على زيد بن حارثة زينت بنت جحش الاسدية من بني أسد بن خزيمة و هي بنت عمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : يا رسول الله حتى أوامر نفسي فانظر فأنزل الله « و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة » فقالت : يارسول الله أمري بيدك ، فزوجها إياه فمكثت عند زيد ما شاء الله ثم انهما تشاجرا في شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه ، فنظر إليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأعجبته ، فقال زيد : يا رسول الله ائذن لي في طلاقها فان فيها كبراً و انها لتؤذيني بلسانها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اتق الله وامسك عليك زوجك وأحسن إليها، ثم ان زيداً طلقها وانقضت عدتها ، فأنزل الله نكاحها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فلما قضى زيد منها و طراً زوجناكها » .

و**في الدر المنثور**: عن إبن عباس قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة ، فاستنكفت منه وقالت : أنا خير منه حسباً وكانت امرأة

فيها حدة فأنزل الله : « و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة » الاية .

وفيه: عن إبن زيد قال: نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت أول إمرأة هاجرت من النساء فوهبت نفسها للنبي ﷺ فزوّجها زيدبن حارثة فسخطت هي و أخوها ، و قالت إنما أردنا رسول الله ، فزوّجنا عبده فنزلت .

و في جامع البيان : عن إبن عباس في قوله تعالى : « و ما كان لمؤمن ولا مؤمنة . . الخ » و ذلك ان رسول الله ﷺ انطلق يخطب على فتاه زيدبن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية ، فخطبها ، فقالت : لست بناكحته ، فقال رسول الله ﷺ فانكحيه فقالت : يا رسول الله أو امر في نفسي فبينماهما يتحدّثان انزل الله هذه الاية على رسوله : « و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة ـ إلى قوله ـ ضلالاً مبيناً » قالت : قد رضيته لي يا رسول الله منكحا ؟ قال : نعم قالت: إذاً لا أعصي رسول الله قد أنكحته نفسي .

و في المجمع : نزلت في زينب بنت جحش الأسدية ، و كانت بنت اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ فخطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة ، و رأت انه يخطبها على نفسه ، فلما علمت انه يخطبها على زيد أبت و أنكرت ، وقالت : أنا إبنة عمتك ، فلم أكن لأفعل ، و كذلك قال أخوها عبدالله بن جحش ، فنزل : « و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة » الاية يعني عبدالله بن جحش و اخته زينب فلما نزلت الاية قالت : رضيت يا رسول الله وَ جعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ و كذلك أخوها ، فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً فدخل بها و ساق إليها رسول الله ﷺ عشرة دنانير و ستين درهماً مهراً وخماراً وملحفة و درعاً و إزاراً و خمسين مداً من طعام و ثلاثين صاعاً من تمر عن إبن عباس و مجاهد و قتادة ، و قالت زينب :

خطبني عدة من قريش، فبعثت اختي حمنة بنت جحش إلى رسول الله ﷺ استشيره فأشار بزيد، فغضبت اختي ، وقالت: تزوج بنت عمتك مولاك ثم اعلمتني،

فغضبت أشد من غضبها ، فنزلت الايـة فارسلت إلـى رسول الله ﷺ و قلت : زوّجني ممن شئت ، فزوّجني من زيد .

و في الدر المنثور : عن أنس قال : جاء زيد بن حارثة يشكو زينب إلى رسول الله ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يقول : اتق الله و أمسك عليك زوجك . فنزلت : « و تخفي في نفسك ما الله مبديه » .

و في أسباب النزول : للسيوطي : و أخرج مسلم و أحمد والنسائي قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد : إذهب فاذكرها عليّ ، فانطلق فأخبرها فقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي ، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن ، و لقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحـم ، فخرج الناس و بقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعـام ، فخرج رسول الله ﷺ و اتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه ثم أخبرته أن القوم قد خرجوا ، فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ، و نزل الحجاب و وعظ القوم بما وعظوا به : « لا تدخلوا بيوت النبي إلاّ أن يؤذن لكم » الاية .

وفيه: و أخرج الترمذي عن عائشة قالت : لما تزوج النبي ﷺ زينب قالوا: تزوج حليلة إبنه ، فأنزل الله : « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم » الاية .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم » فان هذه نزلت في شأن زيد بن حارثة قالت قريش : يعيرنا محمد يدّعي بعضنا بعضاً ، و قد ادّعى هو زيداً ، فقال الله : « ما كان محمد أبـا أحد من رجالكم » يعني يومئذ قال : انه ليس بأب زيد .

وفيه: في قوله تعالى : « انا أرسلناك شاهداً و مبشراً ـ إلى ـ و كفى بالله وكيلا » فانها نزلت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين، فهذا دليل على خلاف التأليف.

وفيه: في قوله تعالى : « إمرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » قال: كان

سبب نزولها ان إمرأة من الانصار أتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد تهيّأت و تزيّنت ، فقالت : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل لك فيّ حاجة فقد وهبت نفسى لك ؟ فقالت لها عائشة قبحك الله ما أنهمك للرجال ! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مه ياعائشة فانها رغبت في رسول الله إذ زهدتن فيه ثم قال : رحمك الله و رحمكم يامعاشر الانصار ينصرنى رجالكم و ترغب فيّ نساؤكم إرجعى رحمك الله ، فانى انتظر أمر الله عزوجل ، فأنزل الله عزوجل : « و إمرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » فلا تحل الهبة إلاّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

و فى الكافى : باسناده عن محمد بن قيس عن أبى جعفر عليه السلام قال : جاءت إمرأة من الانصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخلت عليه وهو فى منزل حفصة ، والمرأة متلبّسة متمشطة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : يا رسول الله إن المرأة لا تخطب الزوج ، و أنا إمرأة أيّم لا زوج لى منذ دهر و لا ولد ، فهل لك من حاجة ؟ فان تك فقد وهبت نفسي لك إن قبلتنى، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيراً، و دعا لها ثم قال : يا اخت الأنصار جزاكم الله عن رسول الله خيراً ، فقد نصرنى رجالكم ، و رغبت فيّ نساؤكم ، فقالت لها حفصة :

ما أقل حياءك و أجرأك و أنهمك للرجال ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كفّى عنها ياحفصة فانها خير منك ، رغبت فى رسول الله فلمتها و عيبتها ، ثم قال للمرأة انصرفى رحمك الله ، فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك فيّ و تعرّضك لمحبتي و سرورى و سيأتيك أمرى ان شاء الله ، فأنزل الله عزوجل : « و إمرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » قال: فأحلّ الله عزوجل هبة المرأة نفسها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولايحلّ ذلك لغيره .

و فى أسباب النزول للواحدى باسناده عن عائشة انها كانت تقول لنساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم : أما تستحى المرأة أن تهب نفسها ؟ فأنزل الله تعالى هذه الاية :

« ترجى من تشاء منهن و تؤوى إليك من تشاء » فقالت عائشة أرى ربك يسارع لك فى هواك . رواه البخارى عن زكريا بن يحيى و رواه مسلم عن أبى كريب كلاهما عن أبى اسامة عن هشام .

و فى المجمع : و قيل : انها لما وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم قالت عائشة : ما بال النساء يبذلن أنفسهن بلامهر ؟ فنزلت الاية ، فقالت عائشة : ما أرى الله إلاّ يسارع فى هواك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فانك إن أطعت الله سارع فى هواك .

و فى تفسير القمى : وأما قوله عزوجل : « يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى إلاّ أن يؤذن لكم » فانه لما ان تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزينب بنت جحش ، و كان يحبها فأولم و دعا أصحابه ، فكان أصحابه إذا أكلوا يحبون أن يتحدثوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يحب أن يخلو مع زينب فأنزل الله عزوجل: « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلاّ أن يؤذن لكم » و ذلك انهم كانوا يدخلون بلا إذن فقال عزوجل : « إلاّ أن يؤذن لكم ـ إلى قوله تعالى ـ من وراءِ حجاب » .

و فى أسباب النزول للواحدى : قال أكثر المفسرين : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزينب بنت جحش أولم عليها بتمر وسويق و ذبح شاة قال أنس : و بعثت إليه امى امسليم بحيس فى تور من حجارة ، فأمرنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن أدعو أصحابه إلى الطعام ، فجعل القوم يجيئون فيأكلون فيخرجون ، ثم يجيىء القوم و يأكلون و يخرجون ، فقلت : يا نبى الله قد دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه فقال: ارفعوا طعامكم فرفعوا وخرج القوم وبقى ثلاثة أنفار يتحدثون فى البيت، فأطالوا المكث ، فتأذى منهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كان شديد الحياءِ ، فنزلت هذه الاية و ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينى و بينه ستراً .

أقول: الحيس تمر يخلط بسمن واقط، فيعجن ويدلك شديداً حتى يمتزج ثم يندر نواه . والتور : إناء صغير .

وفيه: باسناده عن أنس بن مالك قال : لما تزوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون قال : فأخذ كأنه يتهيأ للقيام ، فلم يقوموا فلما راى ذلك قام ، و قام من القوم من قام وقعد ثلاثة ، وان النبى صلى الله عليه وآله وسلم جاء فدخل ، فاذاً القوم جلوس ، و انهم قاموا و انطلقوا فجئت و اختبرت النبى صلى الله عليه وآله وسلم انهم قدانطلقوا، قال: فجاء حتى دخل قال: و ذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني و بينه ، و أنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلاّ أن يؤذن لكم إلى طعام ـ إلى قوله ـ ان ذلكم كان عندالله عظيماً » .

و فى الدر المنثور : عن صالح بن كيسان قال: نزل حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نسائه فى ذى القعدة سنة خمس من الهجرة .

و فى الخصال : باسناده عن عبدالله بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزوج زينب بنت جحش فأولم وكانت وليمته الحيس ، وكان يدعوا (كانوا يدعون خ) عشرة عشرة ، فكانوا إذا أصابوا طعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إستأنسوا إلى حديثه و استغنموا النظر إلى وجهه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشتهى أن يخففوا عنه فيخلوا له المنزل لانه حديث عهد بعرس ، و كان يكره أذى المؤمنين له ، فأنزل الله عزوجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلاّ أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين اناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق » .

فلما نزلت هذه الاية كان الناس إذا أصابوا طعام نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم لم يلبثوا أن يخرجوا قال: فلبث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعة أيام بلياليهن عند زينب بنت جحش، ثم تحول إلى بيت ام سلمة بنت ابى امية ، و كانت ليلتها و صبيحة يومها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : فلما تعالى النهار إنتهى على عليه السلام إلى الباب ، فدقّه دقاً خفيفاً له عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دقه و انكرته ام سلمة ، فقال لها : يا ام سلمة قومى ، فافتحى له الباب فقالت : يا رسول الله من هذا الذى يبلغ من خطره أن

أقوم ، فافتح له الباب، وقد نزل فينا بالأمس من قول الله عزوجل: « واذا سئلتموهن متاعاً فاسئلوهن من وراء حجاب » .

فمن هذا بلغ من خطره ان استقبله بمحاسني و معاصمي ؟ قال : فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله كهيئة المغضب : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » قومي فافتحي له الباب فان بالباب رجلاً ليس بالخرق ولا بالنزق ولا بالعجول في أمره ، يحب الله و رسوله و ليس بفاتح الباب حتى يتورى عنه الوطيء ، فقالت ام سلمه و هي لا ترى من بالباب غير انها قد حفظت النعت والمدح : فمشت نحو الباب و هي تقول : بخ بخ لرجل يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله ، ففتحت له الباب فامسك بعضادتي الباب ، و لم يزل قائماً حتى خفي عنه الوطيء و دخلت ام سلمة ، فقال : أتعرفينه ؟ قالت : نعم و هنيئاً له هذا علي بن أبيطالب صلوات الله عليه و آله ، فقال: صدقت يا ام سلمة هذا علي بن أبي طالب لحمه من لحمي و دمه من دمي و هو مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي يا ام سلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبيطالب أمير المؤمنين و سيد الوصيين و هو عيبة علمي ، و بابي الذي اوتى منه وهو الوصي على الاموات من أهل بيتي ، والخليفة على الاحياء من امتي و أخي في الدنيا والاخرة ، و هو معي في السنام الاعلى اشهدي يا ام سلمة و احفظي انه يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين .

و **في أمالي الشيخ قدس سره** : باسناده عن إبن عباس قال: دخل الحسين بن عليّ على أخيه الحسن عليهما السلام في مرضه ، فقال له: اكتب يا أخي هذا ما اوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين بن علي عليهما السلام أو صاني أن يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، و أن يعبده حق عبادته لا شريك له في الملك ، و لا ولي له من الذل و انه خلق كل شيء فقدره تقديراً ، و انه أولى من عبد و أحق من حمد من أطاعه رشد ، و من عصاه غوى ، و من تاب إليه اهتدى فاني اوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي و ولدي و أهل بيتك ، و أن تصفح عن مسيئهم و تقبل

من محسنهم ، وتكون لهم خلفاً ووالداً وأن تدفنني مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاني أحق به ، وببيته ممن دخل بيته بغير إذنه ،ولا كتاب جاءهم من بعده قال الله فيما أنزله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في كتابه :

« يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » فوالله ما اذن لهم في الدخول في حياته بغير اذنه ولاجاءهم الاذن في ذلك من بعد وفاته ، ونحن ماذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده فان رأيت ان تفاقم عليك الامر، فانشدك بالقرابة التي قرب الله عزوجل منك والرحم المماسة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تهرق (تهريق خ) في محجمة من دم حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنختصم إليه ، فنجره بماكان من الناس بعده ثم قبض عليه السلام .

وفي الدر المنثور : في قوله تعالى : « وماكان لكم أن تؤذوا » الاية أخرج إبن أبي حاتم عن السدى قال : بلغنا أن طلحة بن عبيدالله قال : أيحجبنا محمد عن بنات عمّنا ويتزوّج نساءنا من بعدنا ؟ لئن حدث به حدث لنتزوّجن نساؤه من بعده فنزلت الآية .

وفي أسباب النزول للواحدي في قوله تعالى : « ولاتنكحوا أزواجه من بعده أبداً » قال إبن عباس في رواية عطاء : قال رجل من سادة قريش : لوتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتزوّجت عائشة ، فأنزل الله تعالى ما أنزل .

وفي تفسير القمي : وأما قوله عزوجل : « وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عندالله عظيماً » فانه كان سبب نزولها انه لما أنزل الله : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم» وحرم الله نساء النبي على المسلمين غضب طلحة ، فقال : يحرم محمد علينا نساؤه ويتزوج هو نساؤنا لئن أمات الله عزوجل محمداً لنركضن بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نساؤنا ، فأنزل الله عزوجل : « وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عندالله عظيماً » .

وفى الطرائف لابن طاووس قال : ومن طرائف ما شهدوا به على عثمان و طلحة ما ذكره السدى فى تفسيره للقرآن فى تفسير سورة الاحزاب فى تفسير قوله تعالى : « وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عندالله عظيماً » قال السدى : لما توفى أبوسلمة وحبش بن حذافة (حذاقة خ) وتزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إمرأتيهما ام سلمة وحفصة ، قال طلحة و عثمان أينكح محمد صلى الله عليه وآله وسلم نساءنا إذامتنا ،ولاننكح نسائه إذامات والله لوقدمات لقداجلنا على نسائه بالسهام ، وكان طلحة يريد عائشة وكان عثمان يريد ام سلمة ، فأنزل الله : « ماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً » الاية ، وأنزل : « إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليماً » وأنزل : « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ».

وفى الكافى باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلت عليه الملائكة والمهاجرون والانصار فوجاً فوجاً قال : و قال أمير المؤمنين عليه السلام سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى صحته وسلامته إنما انزلت هذه الاية فى الصلاة على بعد قبض الله لى : « ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ».

وفى تفسير الثعلبى: فى قوله تعالى : «ان الله وملائكته يصلون على النبى» باسناده عن عبدالرحمن بن سعد مولى أبى أيوب الانصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلت الملائكة على وعلى على سبع سنين ، و ذلك انه لم يصل معى أحد غيره .

وفيه: باسناده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صلت الملائكه على وعلى على ، وذلك انه لم يرفع إلى السماء شهادة أن لا إله إلا الله و ان محمداً عبده ورسوله إلا منى ومنه .

وفى أسباب النزول للواحدى باسناده عن كعب عجزة قال : قيل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : قد عرفنا السلام عليك و كيف الصلاة عليك ، فنزلت : « إن الله وملائكته

يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » .

وفي شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن مقاتل بن سليمان البلخي بتفسيره وفيه : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ـ يعني بغير جرم ـ فقد احتملوا بهتاناً ـ وهو مالم يكن ـ وإثماً مبيناً » يعني بيّناً ، يقال : نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك إن نفراً من المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون عليه ،وان عمر بن الخطاب في خلافته قال لأبي بن كعب: إني قرأت هذه الاية فوقعت مني كل موقع ، والله اني لاضربهم واعاقبهم ، فقال له ابي : انك لست منهم انك مؤدّب معلّم .

ثم قال : فان ثبت النزول فيه خاصة فقد ثبت، وإلاّ فالآية متناولة له بالاخبار المتظاهرة عن النبي على الخصوص، منها الحديث المسلسل ، وفي بعض رواياته: من آذى شعرة منك ـ فهو خاص له ـ وفي بعضها : شعرة مني ، وهي متناولة له لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في عدة أخبار : أنت مني وأنا منك .

وفيه: باسناده عن علي بن الحسين وهو آخذ بشعره قال : حدثني الحسين بن علي وهو آخذ بشعره قال : حدثني علي بن أبي طالب وهو آخذ بشعره قال : حدثني رسول الله وهو آخذ بشعره فقال : من آذى شعرة منك فقد آذاني ومن آذني ، فقد آذى الله ومن آذى الله فعليه لعنة الله .

وفيه: : باسناده عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي : من آذاك فقد آذاني .

وفيه: باسناده عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت : قد سمعت رسول الله يقول لعلي ابن أبي طالب : أنت أخي وحبيبي من آذاك فقد آذاني .

أقول : روى جماعة من أعلام العامة نزول قوله تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات . . » الاية في علي عليه السلام :

منهم: أبو حيان الاندلسي في تفسيره (البحر المحيط)

ومنهم : السيوطى فى تفسيره (الدر المنثور)

ومنهم : القرطبى فى (الجامع لاحكام القرآن)

ومنهم : القاضى البيضاوى فى تفسيره (أنوار التنزيل)

ومنهم : الخازن البغدادى فى تفسيره (لباب التأويل)

ومنهم : البغوى فى تفسير (معالم التنزيل المطبوع بهامش تفسير الخازن)

ومنهم : ابن عيسى الاربلى فى (كشف الغمة)

ومنهم : الواحدى النيسابورى فى (أسباب النزول)

وفى الخصائص : عن النطنزى باسناده عن جابر كلهم عن عمر بن الخطاب قال : كنت أجفو علياً ، فلقاني رسول الله ﷺ فقال : انك آذيتني يا عمر، فقلت: أعوذ بالله من أذى رسوله ، قال : انك قد آذيت علياً ومن آذى علياً فقد آذاني .

وفي تفسير القمي : وقوله عزوجل : «ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وأعدلهم عذاباً مهيناً» قال : نزلت فيمن غضب أمير المؤمنين عليه السلام حقه ، وأخذ حق فاطمة صلوات الله عليها وأذاها ، وقد قال رسول الله ﷺ : من آذاها في حياتي كمن آذاها بعد موتي ، ومن آذاها بعد موتي كمن آذاها في حياتي ومن آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله وهو قول الله عزوجل : «ان الذين يؤذون الله ورسوله » الاية .

وفيه: وأما قوله عزوجل : « يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك و نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلا بيبهن » فانه كان سبب نزولها ان النساء كنّ يخرجن إلى المسجد ويصلين خلف رسول الله ﷺ فاذا كان بالليل ، وخرجن إلى صلاة المغرب والعشاء الاخرة يقعد الشباب لهنّ في طريقهن ، فيؤذونهن ، ويتعرضوا لهن فأنزل الله عزوجل : « يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين ـ إلى قوله تعالى ـ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً » .

وفي الدرالمنثور : عن ام سلمة قالت : لما نزلت هذه الاية : « يدنين

عليهن من جلابيبهن » خرج نساء الانصار كأن على رؤسهن الغربان من أكسية سود يلبسنها .

وفي أسباب النزول للسيوطي: في قوله تعالى:« يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك » الاية أخرج البخاري عن عائشة قالت : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت إمرأة جسيمة لاتخفى على من يعرفها ، فرآها عمر ، فقال : يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين ، قالت : فانكفأت راجعة ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي وانه ليتعشى وفي يده عرق ، فدخلت فقالت: يا رسول الله اني خرجت لبعض حاجتي ، فقال لي عمر : كذا وكذا ، قالت : فأوحي الله إليه ثم رفع عنه ، و إن العرق في يده ما وضعه ، فقال : انه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن .

وفيه: وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي مالك قال :كان نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرجن بالليل لحاجتهن ، وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن،فيؤذين فشكوا ذلك فقيل ذلك للمنافقين ، فقالوا : إنما نفعله بالاماء ، فنزلت هذه الاية: «يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين » .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « لئن لم ينته المنافقون » نزلت في قوم منافقين كانوا في المدينة يرجفون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا خرج في بعض غزواته يقولون: قتل واسر ، فيغتم المسلمون لذلك ، و يشكون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عزوجل في ذلك : « لئن لم ينته ـ إلى قوله ـ إلا قليلا » أي نأمرك باخراجهم من المدينة إلا قليلاً .

وفيه: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام ان بني إسرائيل كانوا يقولون : ليس لموسى ما للرجال ، وكان موسى إذا أراد الاغتسال ذهب إلى موضع لايراه فيه أحد من الناس ، فكان يوماً يغتسل على شط نهر وقد وضع ثيابه على صخرة ،

فأمر الله الصخرة فتباعدت عنه حتى نظر بنو إسرائيل إليه ، فعلموا انه ليس كما قالوا فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً » .

وفيه: : قال ان المراد : « يا أيها الذين آمنوا لاتؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علي والائمة كما آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا » .



﴿القراءة﴾

قرأ نافع « النبىء » بالهمزة و همزة « اتق » همزة وصل ، وليس من باب الهمزتين والباقون بالياء المشددة .

و قرأ أبو عمرو « بما يعملون خبيراً » على الغيبة بناء على رجوع الضمير إلى « المنافقين » والباقون « تعملون » بالتاء ، و قرأ حمزة و عاصم و إبن عامر « اللائى » بهمزة ممدودة بعدها الياء ساكنة وصلاً و وقفاً ، و قرأ نافع « اللاء » مهموزة ممدودة مكسورة لا ياء بعدها ، والباقون « اللاى » بغير همزة ولا مدّ .

و قرأ عاصم « تظاهرون » بضم التاء و كسر الهاء من باب المفاعلة ، وقرأ حمزة « تظاهرون » من باب التفاعل على حذف إحدى التائين ، و قرأ إبن عامر « تظّاهرون » على إدغام إحدى التائين في الظاء ، والباقون « تظهرون » بتشديد الظاء والهاء .

و قرأ نافع « النبىء أولى » بالهمزة فى « النبىء » فاجتمعت همزتان : الاولى مضمومة والثانية مفتوحة، فتبدل في الوصل واواً ، والباقون بياء مشددة .

و قرأ أبوعمرو « بما يعملون بصيراً » بياء الغيبة ، والباقون بتاء الخطاب .

و قرأ أبو عمرو و حمزة « إذ زاغت » مدغماً ، و قرأ حمزة فى رواية « و زاغت » ممالة .

و قرأ نافع و إبن عامر و أبو عمرو « الظنونا » و « السبيلا » بالالف وقفاً و وصلاً ، و قرأ أبو عمرو أيضاً بغير الالف فى الحالين ، والباقون بالالف وقفاً،

و بغيرها وصلاً ، و قد اتفقت المصاحف على إثباتها .

وقرأ حفص « لامقام » بضم الميم ، والباقون بفتحها ، و قرأ حفص «بيوتنا» بضم الباء والباقون بكسرها ، و قرأ نافع و أبو جعفر و إبن كثير « لآتوها » مقصوراً من الاتيان ، والباقون بالمدّ من الايتاء بمعنى الاعطاء .

و قرأ عاصم « اسوة » بضم الهمزة في مواضع ثلاثة من القرآن الكريم ، والباقون بكسرها .

و قرأ إبن عامر و إبن كثير « نضعف » بالنون و تشديد العين و كسرها من باب التفعيل و قرأ أبو جعفر و أبو عمرو : « يضعف » بالياء المضمومة و فتح العين و تشديدها من باب التفعيل أيضاً مبنياً للمفعول ، والباقون « يضاعف » مبنياً للمفعول من باب المفاعلة وهذه قراءة مشهورة و « العذاب » بالنصب على الاول ، و بالرفع على الأخيرين .

و قرأ حمزة « يقنت » و « يعمل » و « يوتها » كلها على التذكير والغيبة حملاً على لفظ « من » على أن الافعال اسندت إلى ضمير « من » ولم يتبين فاعل الفعل بعد ، والباقون قرؤا « تقنت » و « تعمل » بالتاء على التأنيث حملاً على المعنى أي: أية امرأة منكن تقنت أو تفعل ، و قرؤا « نوتها » بالنون المضمومة من باب الافعال .

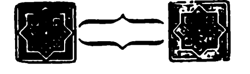
و قرأ أبوجعفر و نافع و عاصم « قرن » بفتح القاف ، والباقون بكسرها ، و قرأ حفص « بيوتكن » بضم الباء والباقون بكسرها . و قرأ عاصم و حمزة « أن يكون لهم الخيرة » على التذكير ، والباقون « أن تكون » بتاء التأنيث .

في تفسير الآلوسي: ما لفظه : « قرأ عليّ وإبناه ريحانتا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين و إبنه محمد بن الحنفية و جعفر الصادق رضى الله تعالى عنهم أجمعين (زوجتكها) بتاء الضمير للمتكلم وحده » .

و في الجامع لاحكام القرآن : للقرطبي: «وقراءة أهل البيت(زوجتكها)»

و قرء عاصم « خاتم » بفتح التاءِ فالمعنى : انه صلى الله عليه وآله وسلم آخر النبيين لا نبى بعده ، والباقون بكسرها على أنه ختمهم فهو خاتمهم . و قرأ حمزة و أبوجعفر و نافع و حفص « ترجى » بغير همزة والباقون بالهمزة . و قرأ أبو عمرو « لا تحل لك النساء » بتاء التأنيث والباقون بياءِ التذكير للفصل بالجار والمجرور .

و قرأ أبوعمرو « اناه » بالامالة . وقرأ إبن‌عامر « ساداتنا » بالالف و كسر التاءِ جمع اسادة على أنه جمع الجمع من غيرقياس ، إشارة إلى كثرة من أضلهم و أغواهم من رؤسائهم ، والباقون « سادتنا » على جمع التكسير للسيد و قيل : جمع للسائد. وقرأعاصم « كبيراً» بالباءِالموحدة، والباقون « كثيراً» بالثاءِالمثلثة.



﴿الوقف والوصل﴾

« المنافقين ط » لاستئناف الكلام التالى ، و إن كان فى موضع التعليل ، و « حكيما لا » لعطف الكلام التالى بما قبله، و « ربك ط » و « خبيراً لا » كما سبق ، و «على الله ط» كالمتقدم ، و « جوفه ج » فصلاً بين بيان الحالين المختلفين مع إتفاق الجملتين ، و « امهاتكم ج » لذلك ، و « أبناءكم ط » لتمام الكلام ، و « بأفواهكم ط » لما تقدم ، و « عندالله ج » للشرط مع العطف، و « مواليكم ط » لتمام الكلام ، و « أخطأتم به لا » لان التقدير ولكن فيما تعمدت قلوبكم وكذا إن كان خبر مبتداء محذوف أى ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح و ذلك للاستدراك ، و «قلوبكم ط» لتمام الكلام ، و «امهاتهم ط» لما سبق و «معروفاً ط» لاستئناف الكلام التالى .

« عيسى ابن مريم ص » للعطف و «غليظاً لا» للتعليل التالى ، و «صدقهم ج» لان الماضى لا ينعطف على المستقبل ولكن التقدير : و قد أعد ، و « أليماً ع » علامة لانتهاء الركوع و هو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن الكريم فى عامين .

« لم تروها ط » لتمام الكلام ، و « بصيراً ج » لاحتمال أن يكون المراد : واذكر إذ جاؤكم و لا سيما على قراءة « يعملون » على الغيبة ، و « الظنونا ى » علامة العشر ، وتوضع عند انتهاء عشر آيات، و « فارجعوا ج » لظاهر الواو وإن كانت للاستيناف ، و « بعورة ط » بناء على أن ما بعده ابتداء إخبار من الله تعالى،

و من وقف على عودة و جعل إبتداء الاخبار من هناك لم يقف ، و « الادبار ط » لاستئناف التالى ، و « رحمة ط » كالمتقدم و « إلينا ج » لاحتمال كون ما بعده إستئنافاً أوحالاً، و « قليلا لا » لان ما بعده حال و « عليكمج » لعطف الجملتين المختلفتين .

« من الموت ج » فصلاً بين تناقض الحالين ، و « على الخير ط » لتمام الكلام ، و « أعمالهم ط » لاستيناف التالى ، و « لم يذهبوا ج » لاحتمال العطف والاستيناف ، و « أنباءكم ط » بناء على إستيناف التالى ، و « كثيراً ط » لتمام الكلام ، وابتداءالقصة و « الاحزاب لا » لانالتالى جواب ا « لما » و «رسوله» الثانى لاحتمال الاستيناف ، والحال أوجه ، و « تسليماً ط » لاستيناف التالى، و « عليه ج » لابتداء التفصيل مع الفاء ، و « ينتظر ز » لاحتمال الحال ، و جانب الابتداء بالنفى أرجح ، و « تبديلا لا » للتعليل التالى ، و « عليهم ط » لابتداء الكلام التالى و إن كان فى موضع التعليل .

« رحيماً ج » للآية ، و إحتمال الحال أى و قد رد ، و « خيراً ط » لتمام الكلام ، و «القتالط» كما سبق ، و « عزيزاً ج » للعطف والاية ، و « فريقاًج » لاحتمال أن يكون ما بعده حالاً أو إستئنافاً، و « لم تطؤها ط » و « ضعفين ط » لاستئنافالتالى، و « مرتين لا » على تقدير: وقد اعتدنا ، و « معروفاً ج » للعطف والاية ، و « رسولهط » لابتداء الكلام التالى ، و « تطهيراً ج » لوقوع العوارض بين المعطوفين، و « الحكمة ط » لتمام الكلام ، و « الذاكراتلا » للنعتالتالى، و « من أمرهم ط » لما سبق .

« الناس ج » لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف ، و «أن تخشاهط» لتمام الكلام ، « وطراً ط » الثانى لما سبق ، و « له ط » و « قبل ط » لما تقدم ، و « مقدوراً لا » للنعتالتالى، و « إلا الله ط » لاستيناف الكلام التالى، و « النبيين ط » لما تقدم، و « كثيراً لا » للعطف التالى ، « إلى النور ط » لتمام الكلام ، و

« سلام ج » لاحتمال الجملة التالية حالاً على تقدير « و قد أعد » و إستئنافاً، و « نذيراً لا » للعطف التالى ، و « على الله ط » لاستئناف الكلام التالى و إن كان فى موضع تعليل لما تقدم ، و «تعتدونها ج» لانقطاع النظم مع الفاء ، و «معك ز» لاحتمال ما بعده العطف ، والنصب على المدح مع أن طول الكلام يرجح جانب الوقف . « أن يستنكحها ق » للعدول على تقدير : جعلناها ، و « المؤمنين ط » بناء على إستئناف الكلام التالى ، و « حرج ط » لتمام الكلام ، و «من تشاء ط» لان ما بعده واو إستيناف دخلت على الشرط ، و « عليك ط » و « كلهن ط » و « قلوبكم ط » لتمام الكلام و إستيناف التالى ، و « يمينك ط » لما سبق ، و « إناه لا » للعطف مع الاستدراك ، و « لحديث ط » لابتداءِ التالى .

« منكم ز » فصلاً بين وصف الخلق و حال الحق مع إتفاق الجملتين ، و « من الحق ط » لابتداءِ حكم آخر ، و « حجاب ط » و « قلوبهن ط » لتمام الكلام و إستيناف التالى، و « أبدأط » و « أيمانهن ج » ولو كانت الواو للاستيناف، فالوقف هو التحقيق ، و « اتقين الله ط » لابتداءِ الكلام التالى، و «على النبى ط» لاستيناف التالى بالنداءِ ، و « جلابيبهن ط » و « يوذين ط » لما تقدم .

و « قليلاً ج » لان قوله تعالى : « ملعونين » يحتمل أن يكون حالاً أو منصوباً على الشتم، و « ملعونين ج » لان الجملة الشرطية تصلح وصفاً وإستينافاً، و « من قبل ج » لان ما بعده يحتمل الحال والاستيناف ، و « الساعة ط » و « عندالله ط » لابتداءِ الكلام و إستيناف التالى ، و « سعيراً لا » للحال التالية و « أبداً ج » لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف ، و « نصيراً ج » لاحتمال تعلق الظرف بـ«لايجدون» أو بـ «يقولون» أو بـ« اذكر » ، و « مما قالوا ط » لابتداءِ الكلام التالى ، و « سديداً لا » لان الجملة التالية بمنزلة الجزاءِ لما قبلها .

« ذنوبكم ط » لتمام الكلام و إستيناف التالى بالشرط ، و « الانسان ط » لابتداءِ التالى، و « جهولاً لا » لتعليل التالى ، و « المؤمنات ط » لاستيناف التالى.

﴿ اللغة ﴾

٦٨ - الجوف - ٢٨٤

جافه يجوفه جوفاً - من باب منع - : قعّره . وأصل الجوف : الخلاء .

جوف الانسان : بطنه وباطنه . قال الله تعالى :« ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » الاحزاب : ٤)

الجوف : السعة مصدر قولك : شيء أجوف والجوفي : الواسع الجوف .

الاجوفان : البطن والفرج ، سميا لاتساع أجوافهما ، وفي الحديث :«لا تنسوا الجوف وما وعى » أي ما يدخل فيه من الطعام والشراب ، ويجمع فيه، والمراد به الحضّ على الحلال من الرزق ، والنهي عن الحرام . وقيل : أراد بالجوف : القلب وماوعى : ما حفظ من معرفة الله. وقيل : أراد بالجوف البطن والفرج معاً، ومنه الحديث : « إن اخوف ما أخاف عليكم الأجوفان » .

الأجوف : ما خلا داخله . والأجوفان : العصبان المجوفان في العينين . الجوفاء : مؤنث الاجوف ، ومن الدلاء : الواسعة . ومن الشجرة : ذات جوف . والجوفان : جمع الاجوف. والجوفان: ذكر الرجل. ويقال : جاف زيداً بالطعنة: بلغ بها جوفها . وجافه الطعن والداء : إذا بلغ جوفه . والجوف : باطن البطن . وجوف البيت والكعبة : داخلهما . والجوف أيضاً : المطمئن من الارض .وجوف الليل : ثلثه الآخر وهو الجزء الخامس من أسداس الليل . وفي الحديث : قيل له : أي الليل أسمع ؟ قال : جوف الليل الاخر أي ثلثه الاخر .

الجائف : الذى ينتهى إلى الجوف ، وفى الحديث : « فجوفوه » أى أطعنوه فى جوفه .

وجاف الصيد: أدخل السهم فى جوفه ، ولم يظهر من الجانب الاخر. والجائف: عرق يجرى على العضد إلى نغض الكتف وهو الضليق . والجائفة : الطعنة التى تبلغ الجوف جمعها : جوائف . جوائف النفس : ماتقعّر من الجوف فى مقار الروح . و فى الحديث : « فى الجائفة ثلث الدية » هى الطعنة التى تنفذ إلى الجوف . وجوّفه: جعل له جوفاً ، وأخرج مافى جوفه . وفى الحديث : « ليس عليك مضمضة ولا إستنشاق لانهما من الجوف » أى من الباطن ، وجوف كل شىء : داخله. وتجوّف الشىء : صار أجوف .

وفى حديث خلق آدم عليه‌السلام : « فلمارآه أجوف عرف انه خلق لايتمالك» أى لايتماسك. والمجوّف: المقعّر لايقابل المحدّب ، ومن لاقلب له . ورجل مجوّف: جبان ضعيف القلب .

الأجوف من الكلمات ما تكون عينه حرف علة من الواو أو الياء أصليتان أومنقلبتان من الألف . والأجوف من الألفاظ مالايستعمل ظرفاً إلاّ بالحروف لانه صار مختصاً كاليد و الرجل . والجوفى والجواف ـ بضم الجيم ـ : ضرب من السمك.

وأجفت الباب : رددته . وفى الحديث : « من أجاف من الرجال على أهله باباً أو أرخى ستراً فقد وجب عليه الصداق » . وأجيفوا أبوابكم : ردّوها . وفى حديث الحج : « انه دخل البيت وأجاف الباب » أى ردّه عليه .

إستجاف الشىء ، وإستجوف إستجافة واستجوافاً : إتسع .

٧٧ ـ الحنجر ـ ٣٦٥

حنجرت العين تحنجر حنجرة وحنجاراً ـ من باب دحرج ـ : غارت . و يقال : حنجرت : شخصت من الفزع ، وصعدت عن مواضعها من الخوف إليها .

وحنجر فلاناً : ذبحه .

الحنجرة : الحلقوم جمعها : حناجر . والحنجرة : رأس الغلصمة حيث تراه ناتئاً من خارج الحلق ، وهي مجرى النفس من داخل الحلق .

قال الله تعالى : « وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر »الاحزاب:٤)

أراد أن الفزع يشخص قلوبهم أي تقلص إلى حناجرهم .

وفي الحديث : « وسئل عن رجل ضرب حنجرة رجل ، فذهب صوته فقال: عليه الدية » .

الحنجور : الحنجرة . والمحنجر ، إسم فاعل : والمحنجر : داء في البطن.

٤- يثرب - ١٧١٦

يثرب : مدينة نبيّ المسلمين صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى : « ياأهل يثرب » الاحزاب : ١٣)

أي أهل المدينة . يصح أن يكون أصله من باب ثرب ، فالياء فيه زائدة ، وأن يكون علماً بهذا الوزن من غير زيادة الياء .

قيل : يثرب إسم رجل من العمالقة ، وهو الذي بنى مدينة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فسميت باسم بانيها ، ثم طائفة من بني إسرائيل ثم نزلها الاوس والخزرج لما تفرّق أهل سبأ بسيل العرم . وقيل : سميت باسم أول من سكنها من ولد سام بن نوح . وقيل: يثرب إسم للناحية التي منها المدينة . وقيل : إسم المناحية منها. وقيل : إسم الارض المدينة .

وعلى أيّ تقدير:كانت مدينة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم تسمى بيثرب قبل الاسلام، فلما جاء الاسلام غيّره النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « بل هي طابة وطيبة»فكأنه صلى الله عليه وآله وسلم كره ذلك الاسم لما يؤول إليه من التثريب بمعنى التقريع والتعيير والاستقصاء في اللوم .

والنسبة إليها يثربى وأثربى بالهمزة وكسر الراءِ وفتحها .

٩٤ - العوق - ١٠٥٩

عاقه يعوقه عن الشيء عوقاً ،وعوّقه تعويقاً - من باب نصر نحوقال -:منعه وصرفه عنه ، فهومعوّق . والجمع : معوّقون .

قال الله تعالى: « قد يعلم الله المعوقين منكم » الاحزاب : ١٨)أى الصارفين عن طريق الخير: والمانعين عن سواءِ السبيل ، وهم المنافقون يقولون لاخوانهم من ضعفة المسلمين : هلم إلينا ما محمد وأصحابه إلاّ كأكلة رأس .

من الحسّيّ رجل عوق : جبان - هذلية - والعوق : الامر الشاغل ، وكل ماعاقك وشغلك من أمر تقول : عاقنى عائق جمعه : عوائق وعوّق .

عوائق الدهر : الشواغل من أحداثه والعائق : الصارف عمايراد من خير .

وفى الحديث: « رجل تزوّج بامرأة عائقة » أى مانعة أن لا يفتضّها زوجها.

ويقال : ما عافت المرأة ولا لاقت عند زوجها : أى لم تلصق بقلبه . وأصل التركيب ما عاقت زوجها عن النظر والمحبة إلى الغير ، ولالاقت عنده أى لصقت.

أعوق بى الدابة أو الزاد إعواقاً : قطع أى عجزت عن السفر والعواق والعويق : صوت يخرج من بطن الدابة اذامشت وعاق عاق : حكاية صوت الغراب والعوق - بفتح العين وضمّها - الرجل الذى لاخيرعنده و يمنع الناس عن وجوه البر ، والعوق - بفتح العين والواو - : الجوع . وجمعه : أعواق .

العيّوق: نجم أحمر مضيء فى طرف المجرة الايمن لايتقدمه ، بحيال الثريا فى ناحية الشمال ويطلع قبل الجوزاءِ سمى بذلك لانه يعوق الدبران عن لقاءِ الثريا، وأصله : فيعول فادغم .

٧٠ - السلق - ٧٢٩

سلقه بلسانه يسلقه سلقاً - من باب نصر - : بسط لسانه فيه بما يؤذيه ،

والمسلق : بسط إما باليد أو باللسان ، والسلق : شدة الصوت .

قال الله تعالى : « فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد » الاحزاب:١٩)

أى آذوكم بألسنة سليطة ذربة وهي شدة القول باللسان ، وبالغوا في عيبكم ولائمتكم بألسنتهم ، وبالغوا فيكم بالكلام الغليظ ، وخاصموكم في الغنيمة أشد مخاصمة وأبلغها.

إمرأةسالقة : رافعة صوتها عند المصيبة . و في الحديث : « لعن الله السالقة والحالقة» وفي الحديث : « ليس منامن سلق » أى رفع صوته عندالمصيبة وقيل: السالقة : اللاطمة وجهها جمعها : سوالق . السلاقة - بالفتح - : بذاءة اللسان ، و بالضم : الماء المتخذمن الاودية بعد غليها، وسلق الرأس في الماء الحارحتى ذهب شعره . و كل شيء طبخته بالماء بحتاً فقد سلقته ، و سلقت البيض سلقاً : إذاغليته بالنار ، وسلق البرد النبات: أحرقه ،والسليق من الشجر : الذى سلقه البرد فأحرقه. السلائق :آثارالاقدام والحوافرفي الطريق والسليق : الناقة السريعة والماضيةفي سيرها ، والسلق: المطمئن من الارض،والسلق : أن تدخل إحدى عروتي الجوالق في الاخرى ، والسلق : الواسع من الطرفان .

يقال : فلان سلق إمرأته : إذا بسطها فجامعها و قال مسليمة : إن شئت سلقناك و إن شئت على أربع . يقال : سلق فلان جاريته إذا ألقاها على قفاها ليباضها .

وفي حديث : « فاذا رجل مسلنق » أى على قفاه واسلنقى : نام على ظهره .

سلق اللحم عن العظم : إلتحاه أى قشره ، وسلق فلاناً بالرمح : طعنه وصدمه، وسلقه: طعنه فألقاه على جنبه .والسليقة: الطبيعة المتباينة،والسّليقة:خبز مرقّق.

والسليقة :شيء ينسجه النحل في الخلية طولاً .ويقال :فلان يتكلم بالسليقية أى عن طبعة لاعن تعلّم. وباللغة التي يسترسل فيها المتكلم على سليقته من غير

تعمد إعراب و لا تجنب لحن . يقال : إضطرب كلام العـرب و غلبت السليقية .
وفي حديث أبي الاسود: «انه وضع النحو حين إضطرب كلام العرب وغلبت السليقة».
السّلاّق ـ فعال للمبالغة ـ : بليغ و لسن . يقال: خطيب سلاق ومسلاق ومسلق:
ذو بلاغة . و في حديث الامام علي عليه السلام : « ذاك الخطيب المسلق الشحشاح » إذا
كان نهاية في الخطابة . والسلاق ـ بضم السين ـ : عيد صعود المسيح عليه السلام سريانية
ومعناها صعوده عليه السلام إلى السماء . و سلق : صعد على حائط . و سلوق : قرية باليمن
تنسب إليها الدروع والكلاب . السلوقي : أجـود السيف والكلاب والـدروع .
والسلقلقية : المرأة التي تحيض من دبرها . و هي من إحدى الطوائف الخمس
الذين يبغضون الامام أمير المؤمنين علياً و أولاده المعصومين صلوات الله عليهم
أجمعين . و هؤلاء الطوائف هم : الكافـر ، والمنافق ، و ولد الزنـا ، و من انعقد
الحمل و امه طامث ، والسلقلقية . وأوردنا الروايات الواردة في ذلك عن الطريقين
في محلها المناسب في هذا التفسير .

١٦ ـ النحب ـ ١٤٩١

نحب ينحب نحباً ـ من أبواب نصر ومنـع وضرب ـ : إذا أوجب على نفسه
شيئاً . النحب : النذر يوجبه الانسان على نفسه كأن ينذر المشي إلى مكة حاجاً،
ويقال: قضى نحبه : إذا و في بنذره وفعل ما التزمه ، والنحب يقال أيضاً للموت
كأن الموت لما كان في رقبة كل حيّ نذر ، نذره الحيّ على نفسه ، ومن هذا
يقال : قضى نحبه إذا مات أو قتل في سبيل الله تعالى كأن الموت نذر في عنقه .
قال الله تعالى : « فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر » الاحزاب:٢٣)
أي قضى نذره فكأن جماعة من الصحابة نذروا أن يقاتلوا مع النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم
حتى يفوزوا بالشهادة ، فمن نال الشهادة منهم ، فقد قضى نحبه و وفى بنذره ، و
يصح أن يكون المراد : مات على ما تقدم .

نحب القوم فی سیرهم : جدّوا و ساروا حتی قربوا من الماء ، وسیر منحِب - بكسر الحاء - : سريع . و نحبوا في عملهم أي جدّوا فيه . النحب: الخطر العظيم، وفلان على نحب : على خطر عظيم . والنحيب - إسم - : بكى بكاء شديداً ، أو رفع صوته ببكاء طويل . والنحبة - بالضم - : القرعة ، و في الحديث : « لو علم الناس مافي الصف الاول لاقتتلوا عليه وماتقدموا إلاّ بنحبة » أي بقرعة، والتنحيب: شدة القرب للماء . والتنحيب : الاكباب على الشيء لا يفارقه ، و يقال : نحّب فلان على أمره .

تناحبوا : تواعدوا للقتال إلى وقت ما ، و قد يكون في غير القتال ، وناحبه على الامر : خاطره ، و ناحب الرجل : حاكمه و فاخره ، والمناحبة : المخاطرة والمراهنة . النساء النواحب : اللاتي يرفعن أصواتهن بالبكاء والنوادب من الباكيات على الميت . والنحب : السعال ، و نحبه : أخذه السعال .

۶۱ - الصياصة - ۸۹۱

صاص يصيص صيصة - من باب ضرب نحو: باع - : تحصّن و إمتنع . و كل ما يتحصّن به يقال له : صيصة ، و بهذا النظر قيل لقرن البقر : صيصة . وصياصي البقر : قرونها ، واحدها : صيصة .

قال الله تعالى : « و أنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم » الاحزاب: ۲۶) أي حصونهم و قلاعهم التي يمانعون فيها و يتحصّنون بها . ومن هذا سمي كل ما يتحصّن ويحارب فيه: صيصة ، فالحصون صياصي . صيصة: الوتد الذي يقلم و يقلع به التمر والصنارة التي يغزل بها و ينسج . وفي الحديث: « انه ذكر فتنة تكون في أقطار الارض كأنها صياصي بقر » شبّه الفتنة بها لشدتها، و صعوبة الامر فيها، وفي حديث: « أصحاب الدجال شوار بهم كالصياصي » يعني انهم يطيلونها و يفتلونها حتى تصير كأنها قرون بقر .

الصيصة والصيصية: شوكة الحائك التى يسوّى بها السداة واللحمة، وشوكة الديك في رجليه ، و فى الحديث : « كل من الطيور ما كانت له صيصة » و هي الشوكة التى فى الرجل فى موضع العقب .

و قرن البقر والظباء والحصن وكل ما إمتنع به ، والراعى الحسن القيام على ماله صيصة ، جمعها صياص ، وصياصي الجبال : أطرافها العالية . والصيصاء : حب الحنظل الذى ليس فى جوفه لبّ .

قيل: انالكلمة معربة عن المصرية القديمة من كلمة صص بمعنى الرأس .

السياسة :

و لم ترد هذه المادة فى القرآن الكريم ، ولكن لتقاربها من الصياصة معنى نذكر معناها فى المقام إستطراداً :

ساس الدواب يسوسها سياسة ـ من باب نصر ـ : قام عليها و رضّها وأدّبها و ذلّلها، وساس السلطان والوالى الرعية : تولّى أمرها و دبّرها، وأحسن النظر إليها ، ويقال للمجرّب : قد ساس الامر، و قام به ، و سوّس ـ مبنياً للمفعول ـ فلان أمر الناس : ملك عليهم ، وسائس ـ إسم فاعل ـ جمعه ساسة و سوّاس . ويقال: كيف تكون الرعية مسوّسة إذا كان راعيها سوسة . و يقال: سوّس فلان أمر بنى فلان أى كلّف سياستهم و هم يتحصّنون به فى شئونهم و فى وصف الائمة عليهم السلام : « أنتم ساسة العباد » و فى حديث : « الامام عارف بالسياسة » .

السياسة: إستصلاح الخلق بارشادهم إلى الطريق المنجى فى العاجل والآجل. والسياسة المدنية: تدبير المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة . والسياسة: فعل السائس .

و فى الحديث : « ثم فوّض إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمر الدين والامة ليسوس عباده » كل ذلك من سست الرعية سياسة : أمرتها و نهيتها .

وفي الخبر: « كان بنوإسرائيل تسوسهم أنبياءهم » أى تتولى أمرهم كالامراء

والولاء بالرعية من السياسة ، و هو القيام على الشيء بما يصلحه .

السيساء : منتظم فقار الظهر ، جمعه : سياسي .

السوس: الطبع والخلق والسجية . يقال: الفصاحة من سوسه ، والكرم من سوسه أى من طبعه .

سوّس أى وقع فيالطعام سوس ، والسوس والسوسة : دود يقع فى الصوف والطعام . والسوس: نبات يشبهالرياحين عريض الورق ليس له رائحةكالرياحين . والسوس : شجر معروف في عروقه حلاوة شديدة ، و فى فروعه مرارة وهو ببلاد العرب كثيرة . والسوس ـ محركة ـ : داء يحدث فى عجز الدابة . والسواس ـ كغراب ـ : داء فى أعناق الخيل يأخذها و ييبسها حتى تموت .

٤٨ - الوطر - ١٦٨١

الوطر: كل حاجة للمرءِ له بهاهمة وعناية شديدة ، وإذا بلغ هذهالحاجة و نالها قيل : قضى و طره و أربه .

قال الله تعالى : « فلما قضى زيـد منها وطراً ـ إذا قضـوا منهن وطراً » الاحزاب : ٣٧) فالنساء أو طار للرجال ، و جمع الوطر : أو طار ، و لا يبنى منه فعل .

١٢ - الاغراء - ١٠٨١

غرى به يغرى غراً و غرء ـ من باب علم نحو : رضى ـ : ولع به .

و أغراه بالشيء إغراءاً أو لعه به و حضّه عليه و أثـار و لوغـه . و أغرى بينهم العداوة : ألقاها كأنه ألزقها بهم ، و ألزمهم عليها . و ورد من المادة الاغراء فعلان : للتكلم وحده من الماضى ، و للتكلم مع الغير من المضارع .

قال الله تعالى: « فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء » المائدة ١٤) أى هيّجناها

بينهم و ألصقنا بهم ذلك ، كأنه من الغراءِ و هو ما يلصق به ، فأفسد بينهم .

و قال : « لنغرينك بهم » الاحزاب : ٦٠) أى لنسلطنك عليهم يعنى إن لم ينته المنافقون عن عداوتهم لنأمرنهم أن تفعل بهم ما يسؤهم ويضطرهم إلى طلب الجلاءِ من المدينة فسمي ذلك إغراء ـ و هو التحريش ـ على سبيل المجاز .

وفي الحديث: « أو مغرى بالجمع والادخار » أى شديد الحرص على جمع المال و إدخاره كأن أحد يغريه بذلك و يبعثه عليه ، وفي حديث : « فلما رأوه أعروا بى تلك الساعة » أى لجّوا فى مطالبتى و ألحّوا .

الغرى ـ كالغنى ـ : صبغ أحمر كأنه يغرى ، غرى العدّ : برد ماؤه ، و غرى فلان : تمادى فى غضبه ، و غرى بكذا : لهج به و لصق . و أصل ذلك من الغراءِ ، وهو ما يلصق به ، وقد أغريت فلاناً بكذا : ألهجت به ، و غرى بالشيء : اولع به ، من حيث لايحمله عليه حامل ومنه إغراء الكلب بالصيد . ومنه يكون معنى الحسن ، فالغرى ـ بفتح الراءِ و كسرها ـ : الحسن ، و منه يجيىء معنى العجب ، و قولهم : لا غرو و لا غروى : لا عجب .

والغرىّ : الحسن من الانسان و غيره ، والبناء الجيد و قوس ، ومن المثل: « أدركنى و لو بأحد المغروّين » أى بأحد السهمين . قوس مغروة و مغرية : ملصقة بالغراءِ . وغرّى الشيء تغرية: طلاه بالغراءِ وألصقه به، والغراء ـ بالفتح ـ: الولوع بالشيء و ـ بالكسر ـ : ماطل به وما الصق به معمولاً من الجلد والدقيق، وقديستخرج من السمك. ورجل غراء ـ بكسر الغين ـ: لادابة له، والاسم: الغروى.

﴿ النحو ﴾

١ ـ (يا أيها النبى اتق الله و لا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليماً حكيماً)

« يا » حرف نداءٍ و « أىّ » مضموم لانه نداء مفرد ، و « ها » للتنبيه لازم ل « أىّ » و « النبى » نعت من « أىّ » عند النحويين إلاّ الاخفش ، فانه يقول: انه صلة ل « أى » و «اتق» فعل أمر، من باب الافتعال ، و «لا» حرف نهى ، ومدخولها فعل مضارع من باب الافعال ، مجزوم بحرف النهى ، و « الكافرين » مفعول به و « المنافقين » عطف على « الكافرين » و « ان » حرف تأكيد و « الله » إسمها ، و «كان» فعل ناقص ، و إسمه ضمير راجع إلى « الله » و « عليماً » خبره و «حكيما» خبر بعد خبر ، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التاكيد .

٢ ـ (و اتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً)

« و اتبع » عطف على « اتق » و قيل : على « لا تطع » من عطف الامر على النهى، و « ما » موصولة فى موضع نصب ، مفعول به ، و « يوحى » فعل مضارع مبنىّ للمفعول من باب الافعال ، و « إليك » متعلق ب« يوحى » و « من ربك » متعلق بمحذوف ، فى موضع نصب ، نعت من « ما » و « خبيراً » خبر ل « كان » والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « بما » متعلق ب« خبيراً » قدّم لرعاية الفواصل ، و « ما » موصولة ، و « تعملون » صلتها على حذف العائد ، و جمع الفعل لانه عنى بقوله تعالى : « اتبع » أنت و أصحابك و امتك .

٣ ـ (و توكل على الله و كفى بالله وكيلاً)

«توكل» عطف على « اتق الله » و « على الله » متعلق بـ «توكل» و « كفى» فعل ماض ، و « بالله » فى موضع رفع ، فاعل الفعل على زيادة الباء للتأكيد ، و « وكيلاً » منصوب على البيان أو الحال .

٤ ـ (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه و ما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وماجعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق و هو يهدى السبيل)

« ما » الثلاثة كلها نافية ، و « لرجل » متعلق بـ « جعل » و « من قلبين » فى موضع نصب ، مفعول به لـ «جعل» على زيادة «من» و « أزواجكم » مفعول به، جمع الزوج ، وهو يطلق على الذكر والانثى بغير تاء على لغة الفصيح وهى لغة القرآن الكريم قال تعالى: « اسكن أنت و زوجك الجنة » البقرة : ٣٥) و «اللائى» جمع التى، والاصل إثبات الياء ، ويجوز حذفها، إجتزاء بالكسرة، ويجوز تليين الهمزة و قلبها ياء و « تظاهرون » فعل مضارع ، لجمع المذكر المخاطب ، من باب المفاعلة ، صلة الموصول ، و «امهاتكم» جمع الام ، مفعول بها، و «أدعياءكم» مفعول به الاول، والادعياء جمع دعى وهو من يدعى لغير أبيه إبناً له ، و «أبناءكم» جمع إبن ، مفعول ثان ، و « ذلكم » مبتداء و « قولكم » خبره و « بأفواهكم » فى موضع رفع ، نعت من «قولكم» و «الله» مبتداء و «يقول» خبره ، و فى نصب « الحق » وجهان :

أحدهما ـ أن يكون مفعولاً لـ « يقول » . ثانيهما ـ أن يكون صفة لمصدر محذوف على تقدير : والله يقول القول الحق .

٥ ـ (ادعوهم لآبآءهم هو أقسط عندالله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين و مواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم و كان الله غفوراً رحيماً)

« ادعوا » فعل أمر لجمع المذكر المخاطب، و « هم » في موضع نصب ، مفعول به ، و « هو » مبتداء على تقدير : دعاؤكم ، فالضمير راجع إلى مصدر يدل عليه الفعل ، و «أقسط» صيغة تفضيل من القسط، خبر المبتداءِ و «فاخوانكم» الفاء للجزاءِ ومدخولهاخبر لمحذوف أى فهم إخوانكم ، والجملة جزاء للشرط، و « ما » موصولة فيموضع جر ، عطفاً على « ما » في « فيما » ويجوز أن يكون فيموضع رفع ، علىالابتداءِ علىحذفالخبر أى تواخذون به أو يؤاخذكم به .

٦ ـ (النبى أولى بالمؤمنين منأنفسهم وأزواجه امهاتهم و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أولياءكم معروفاً كان ذلك فى الكتاب مسطوراً)

«النبى» مبتداء و «اولى» خبره ، و «أزواجه» مبتداء و « امهاتهم » خبره على حد قولهم : زيد أبو عمرو أى يقوم مقامه و يسد مسده ، و « اولوا » مبتداء اضيف إلى « الارحام » و فى « بعضهم » وجهان : أن يكون بدلاً ، و أن يكون مبتدأ و « اولى ببعض » خبره والجملة خبر للاول ، و « في كتاب الله » متعلق بـ « اولى » ويجوز أن يكون فيموضع نصب على الحال ، والعامل فيه معنى «اولى» و لا يكون حالاً من « اولوا الارحام » للفصل بينهما بالخبر ، و لانه لا عامل إذاً وفى « منالمؤمنين » وجهان : أن يكون متصلا بـ « اولوا الارحام » فينتصب على التبيين أى أعنى . و أن يكون متعلقاً باولى، فمعنى الاول : و اولوا الارحام من المؤمنين أولى من الاجانب .

و علىالثاني : و اولوا الارحام أولى من المؤمنين والمهاجرين الأجانب ، و فى « إلاّ أن تفعلوا » وجهان : فى موضع رفع على الابتداءِ على حذف الخبر وتقديره : فعلكم إلى أولياءكم معروفاًجائز . وفى موضع نصب على أن الاستثناء منقطع . و « فى الكتاب » متعلق بـ « مسطوراً » .

٧ ـ (واذأخذنا منالنبيين ميثاقهم ومنك و من نوح وابراهيم وموسى

و عيسى ابن مريم و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)

« إذ » ظرف ، عامله محذوف أى اذكر يا محمد ﷺ حين « أخذنا » فعل ماض للتكلم مع الغير فاعله هو الله تعالى وحده ، و جاء بالجمع تعظيماً ، و «من النبيين» متعلق بـ « أخذنا » و « ميثاقهم » مفعول به و « منك » عطف على « من النبيين » و «أخذنا» الثانى عطف على الاول و «ميثاقاً» مفعول به ، و «غليظاً» نعت من « ميثاقاً » .

٨ ـ (ليسئل الصادقين عن صدقهم و أعد للكافرين عذاباً أليماً)

« ليسئل » اللام للتعليل ، و قيل : هى للغاية ، و مدخولها فعل مضارع ، منصوب بـ «أن» مقدرة ، وفاعل الفعل ، ضمير مستتر فيه راجع إلى «الله» والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر مجرور باللام ، متعلق بمحذوف يدل عليه قوله تعالى : « أخذنا » أى فعل ذلك و « الصادقين » مفعول به ، و «عن صدقهم» متعلق بـ «يسئل» والواو فى « و أعد » تحتمل الحال ، فمدخولها فعل ماض من باب الافعال على تقدير : و قد أعد ، و تحتمل الاستئناف ، و تحتمل العطف ، عطف على «أخذنا» و قيل : على محذوف أى أخذ الميثاق ، و « عذاباً » مفعول به ، و « أليماً » صفه لـ « عذاباً » .

٩ـ (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها و كان الله بما تعملون بصيراً)

فى «إذ» وجهان: أن يكون ظرفاً للنعمة أو ظرفاً للاستقرار فى «عليكم» إذا جعلته حالاً ، فعلى الاول فموضع « إذ » نصب بـ « اذكروا » .

١٠ ـ (اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم و اذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا)

فى « إذ » وجوه : أحدها ـ أن يكون بدلاً من « إذ » فى « إذ جاءتكم » ثانيها ـ أن يكون عطف بيان لـ « إذ جاءتكم » ثالثها ـ فى موضع نصب لمحذوف أى اذكر حين جاؤكم . و كذلك الوجوه فى « إذ زاغت الابصار » و «الحناجر»

جمع الحنجرة ، مفعول به ، و ان الألف فى « الظنونا » لرعاية السجع ، ومن هذا القبيل « الرسولا » و « السبيلا » تدخل لرعاية الفواصل .

١١ ـ (هنالك ابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزالاً شديداً)

« هنا » إسم يشار به إلى المكان القريب ، وقد تدخل عليه اللام والكلام ، فيكون للبعيد واذا دخلت عليه الكاف فقط فيكن للمتوسط فقط ، و قد يشار به إلى الزمان إتساعاً . و فى عامله وجهان : أحدهما ـ أن يكون « ابتلى » عاملاً فيه ، وعلى هذا فلا يوقف على « هنالك » ثانيهما ـ أن يكون « تظنون » عاملاً فيه ، فيوقف على « هنالك » . و « ابتلى » فعل ماض من باب الافتعال ، مبنى للمفعول و «المؤمنون» ناب مناب الفاعل، و « زلزلوا » فعل ماض لجمع المذكر الغائب مبنى للمفعول ، و « زلزالاً » منصوب على المصدر ، و « شديداً » وصف ل « زلزالاً » .

١٢ـ (و اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً)

فى « إذ » وجهان : أحدهما ـ عطف على « إذ زاغت الابصار » . ثانيهما ـ أن يتعلق بفعل مقدر أى اذكر حين يقول . . و « مرض » مبتداء و « فى قلوبهم » متعلق بمحذوف و هو الخبر ، والجملة صلة الموصول ، و « ما » نافية و « نا » فى موضع نصب ، مفعول به ، والجملة المنفية مقولة القول ، و « غروراً » منصوب على الاستثناء .

١٣ ـ (و اذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا و يستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة و ما هى بعورة ان يريدون الا فراراً)

والكلام فى « إذ قالت » هو الكلام فيما سبق ، و « يثرب » إسم المدينة قبل الاسلام ثم غلّب عليه إسم مدينة الرسول بعد الهجرة ، ثم المدينة الطيبة ،

و هو لا ينصرف للعلمية و وزن الفعل ، و « لا » حرف نفى للجنس ، و «مقام» : مصدر بمعنى الاقامة أو موضعاً يقيمون فيه ، و «مقام» إسم لحرف النفى ، و «لكم» متعلق بمحذوف ، و هو الخبر ، و « فارجعوا » الفاء للتفريع ، و مدخولها فعل أمر لجمع المذكر المخاطب ، على حذف المعمول أى فارجعوا إلى منازلكم .

« و يستأذن » فى الواو وجهان : أحدهما ـ أن تكون للحال ، فمدخولها فى موضع نصب ، على الحال من « طائفة » . ثانيهما ـ أن تكون للاستئناف على أن الكلام تمّ عند قوله : « فارجعوا » و « عورة » على حذف المضاف أى ذات عورة ، و « ما » حرف نفى تشبه بليس ، و « هى » إسمها ، و « بعورة » خبرها على زيادة الباء جيئت للتأكيد ، و « إن » حرف نفى و « يريدون » فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب الافعال و « فراراً » مفعول به .

١٤ ـ (ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيراً)

« لو » حرف إمتناع ، و «دخلت» فعل ماض مبنى للمفعول ، و فاعله النيابى ضمير مستتر فيه ، راجع إلى البيوت ، و قيل : راجع إلى المدينة ، والضمير فى « عليهم » راجع إلى أهل البيوت وهم المنافقون ، والضمير فى « أقطارها » راجع إلى البيوت والاقطار : جمع القطر بمعنى الناحية ، و جمعها : النواحى ، « ثم » حرف عطف و « سئلوا » فعل ماض لجمع المذكر الغائب ، مبنى للمفعول ، و « الفتنة » مفعول به ، و قيل : منصوب بنزع الخافض ، « لآتوها » اللام للجواب ، و مدخولها فعل ماض من باب الافعال ، والضمير راجع إلى المدينة ، و « ما » حرف نفى و « تلبثوا » فعل ماض من باب التفعيل والضمير فى « بها » راجع إلى المدينة ، و « يسيراً » نعت لمصدر محذوف أى تلبثاً يسيراً أو زماناً يسيراً فهو صفة ظرف زمان محذوف .

١٥ـ (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار و كان عهد الله مسئولاً)

اللام في « لقد » للقسم، و « عاهدوا » بمنزلة القسم ، و «لايولون» جوابه ، وأصل « يولون » : يوليون فعل مضارع من باب التفعيل ، و لما ثقلت الضمة على الياء ، نقلت إلى اللام بعد حذف كسرها ، ثم إلتقت الساكنان ، فحذفت الياء ، و « الادبار » : جمع الدبر ، مفعول به .

١٦- (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل و اذاً لاتمتعون الا قليلاً)

« إذاً » حرف جواب و جزاء ، تنصب مستقبلاً إذا لم يعتمد على ما قبلها كقولك: إذن تدخل الجنة لمن قال : آمنت ، و أما مع الحال أو الاعتماد فلا ، و مع العطف وجهان : النصب والرفع ، و لم يعمل « إذاً » هنا لوقوعه بين الواو والفعل المنفيّ . و « تمتعون » فعل مضارع ، مبنى للمفعول ، من باب التفعيل ، و « قليلا » صفة لمحذوف أى تمتيعاً قليلاً أو زماناً قليلاً .

١٧ - (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة و لا يجدون لهم من دون الله ولياً و لا نصيراً)

« من » للاستفهام ، فى موضع رفع على الابتداء و « ذا » خبره و « الذى » نعت لـ« ذا » أو بدل منه ، ولايجوز أن تكون « من » و « ذا » بمنزلة إسم واحد كماكانت « ماذا » لان « ما » أشد إبهاماً من « من » إذكانت « من » لمن يعقل، و « يعصمكم » صلة الموصول ، و ضمير الخطاب فى موضع نصب ، مفعول به .

١٨- (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولايأتون البأس الا قليلاً)

« قد » للتحقيق ، و ليست للتقليل ، و « هلمّ » إسم فعل أمر بمعنى أقبل ، و يلزم حالاً واحدة فى التذكير والتأنيث ، والتثنية والجمع فى لغة الحجاز ، و غيرهم يقولون : هلمّوا للجماعة ، و هلمى للمرأة على أن الاصل « ها » التى للتنبيه ضمّت إليها « لمّ » ثم حذفت الالف إستخفافاً ، و بنيت على الفتح ، و لم

يجز فيها الكسر ولا الضم لانها لا تنصرف . و يجيىء « هلم » تارة لازماً كما في المقام ، و تارة متعدياً كقوله تعالى : « قل هلمّ شهداءكم » الانعام : ١٥٠)
« ولا يأتون » فيه وجهان : أحدهما ـ عطف على « القائلين » لانه في معنى: الذين يقولون . ثانيهما ـ الواو للحال ، والجملة في موضع نصب ، حال من الضمير في « إخوانهم » و « قليلا » نعت لمصدر محذوف أي إتياناً قليلاً .

١٩ـ (أشحة عليكم فاذا جاءالخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً)

« أشحة » جمع شحيح ، و في نصبها وجوه : أحدها ـ أن يكون منصوباً على الذم . ثانيها ـ أن يكون المعنى : يعوّقون أشحة . ثالثها ـ أن يكون التقدير : والقائلين أشحة . رابعها ـ على تقدير : أن يأتونه أشحّة على الفقراء بالغنيمة ، و « أشحة » حال من ضمير الجمع في « يأتونه » . و « ينظرون » في موضع نصب ، حال من ضمير الجمع في « رأيتهم » وفي « تدور أعينهم » وجهان: أحدهما ـ أن يكون حالاً من الواو في « ينظرون » ثانيهما ـ أن يكون حالاً بعد حال .

في «كالذى» وجهان: أحدهما ـ أن يكون صفة لمصدر محذوف أي كأنه: تدور أعينهم دوراناً كدوران الذي يغشى عليه أي كدور عين الذي يغشى عليه من حذر الموت أو من خوف الموت ، أو من مقارفته الموت . ثانيهما ـ أن يكون في موضع نصب ، حالاً من الضمير في « أعينهم » أي تدور أعينهم مشبهين الذي يغشى عليه ، فيكون الكاف على هذا حالاً ، و على القول الاول وصفاً للمحذوف منه ، و « أشحة على الخير » حال من الواو في « سلقوكم » و هو العامل فيه .

٢٠ ـ (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا و ان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون في الاعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلاً)

في «يحسبون» وجهان : أحدهما ـ أن يكون في موضع نصب ، حالاً من أحد الضمائر المتقدمة . ثانيهما ـ أن يكون مستأنفاً ، و « بادون » جمع باد ، و «في الاعراب» وجهان : أحدهما ـ الرفع على أنه خبر بعد خبر لحرف التأكيد على تقدير: لو انهم بادون كائنون في جملة الاعراب . ثانيهما ـ النصب على الحال من الضمير في « بادون » و « يسئلون » في موضع نصب ، حال من الضمير في « بادون » . و « قليلاً » نعت من مصدر محذوف أى قتالاً قليلاً أو لظرف محذوف أى زماناً قليلا .

٢١ ـ (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر و ذكر الله كثيراً)

« لكم » في موضع نصب ، خبراً ل « كان » و « في رسول الله » فيه وجوه : أحدها ـ في موضع نصب ، على الحال . ثانيها ـ ظرف يتعلق بالاستقرار ، و لا يجوز أن يكون متعلقاً ب « اسوة » ثالثها ـ أن يتعلق ب «كان» رابعها ـ أن يكون خبراً ل «كان» و « لكم » تخصيص و تبيين . و « اسوة » إسم للتأسى وهو المصدر ، إسم ل «كان» و «حسنة» صفة ل « اسوة » و في « لمن » وجوه : أحدها ـ في موضع رفع على أنه صفة ثانية ل « اسوة » على تقدير : اسوة حسنة كائنة لمن كان . . . ولايجوز أن يتعلق بنفس « اسوة » إذا جعل بمعنى التأسى لان « اسوة » وصفت، و إذا وصف المصدر لايعمل ، فكذلك ما كان في معناه . ثانيها ـ بدل من ضمير الخطاب في «لكم» باعادة الجار ، و منع منه الاكثرون على أن ضمير المخاطب لايبدل منه . ثالثها ـ أن يكون متعلقاً ب «حسنة» رابعها ـ أن يكون صفة ل «حسنة» .

« و ذكر » عطف على «كان» و « كثيراً » نعت لمصدر محذوف أى ذكراً كثيراً .

٢٢ ـ (و لما رأ المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و ما زادهم الا ايماناً و تسليماً)

في « هذا » وجوه : أحدها ـ إشارة إلى الخطب . ثانيها ـ إلى البلاء والنصر . ثالثها ـ إلى ما شاهدوه مجرداً عن سائر الخصوصيات . رابعها ـ إلى ما أيقنوا من ان عند الفزع الشديد يكون النصر والجنة ، و في « ما » الاولى وجهان : أحدهما ـ موصولة و « وعدنا الله » صلتها على حذف العائد . ثانيهما ـ مصدرية فلا تحتاج إلى عائد ، و « ما » الثانية نافية و « زاد » فعل ماض ، فاعله ما يدل عليه قوله تعالى : « رأى » و إنما قال : زادهم بالتذكير و لم يقل : زادتهم لان الرؤية بمعنى النظر ، فالمعنى : ما زادهم نظرهم إليهم لهم إلاّ ايماناً .

٢٣ـ (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً)

«من المؤمنين» متعلق بمحذوف، خبر مقدم ، و « رجال » مبتداء ، ويجوز الابتداء بالنكرة هنا لوجهين : أحدهما ـ لكون خبره ظرفاً متقدماً . ثانيهما ـ لان قوله تعالى: « صدقوا » في موضع النعت لـ « رجال » و « ما » الاولى موصولة في موضع نصب، مفعول به لـ «صدقوا» وقيل: مصدرية على تقدير: صدقوا الله في العهد.

« فمنهم » الفاء لفصيحة ، والمجرور متعلق بمحذوف ، خبر مقدم و «من» موصولة في موضع رفع على الابتداء ، و «قضى» صلة الموصول و «نحبه» مفعول به ، والباقي ظاهر .

٢٤ ـ (ليجزى الله الصادقين بصدقهم و يعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفوراً رحيما)

اللام للصيرورة ، و تسمى للعاقبة وقيل: للغاية ، ومدخولها فعل مضارع ، منصوب لـ « أن » المقدرة ، والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر ، مجرور باللام ، متعلق بـ « بدلوا » و قيل : بـ « زادهم » وقيل : بـ « صدقوا » والباء في «بصدقهم» للسببية « و يعذّب » فعل مضارع ، منصوب بالعطف على « ليجزى » و كذلك « أو يتوب » و « رحيماً » خبر بعد خبر لـ « كان » .

٢٥- (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً)

الواو للاستئناف ،و « ردّ» فعل ماض من باب المضاعف نحو: مدّ، و«الله» فاعل الفعل ، و«الذين» موصولة في موضع نصب ، مفعول به ، و « كفروا» صلتها ، و « بغيظهم» في موضع نصب حال للكافرين أي متلبسين بالغيظ أومتغيظين كقوله تعالى : « تنبت بالدهن » وقيل : مفعول به على زيادة الباء ، و«لم ينالوا خيراً » حال بعد حال ، وفي «القتال» وجهان : مفعول ثان ، أومنصوب بنزع الخافض .

٢٦- (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً)

الواو للعطف ، و « أنزل» فعل ماض من باب الافعال ، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى « الله » و « الذين » في موضع نصب ، مفعول به ، و « ظاهروهم » صلة الموصول ، و « من أهل الكتاب » في موضع نصب ، حال من ضمير الفاعل في « ظاهروهم » و « من صياصيهم » متعلقة بـ « انزل» و « فريقا » منصوب بـ«تقتلون» و « فريقاً » الثاني منصوب بـ « تأسرون » .

٢٧- (وأورثكم أرضهم وديارهم و أموالهم و أرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً)

عطف على ما سبق ، و « أورث » فعل ماض من باب الافعال ، و ضمير الخطاب في موضع نصب ، مفعول أول ، و«أرضهم» مفعول ثان ، و « ديارهم» جمع دار، عطف على « أرضهم » و « لم تطؤها » في موضع نصب ، نعتاً من « أرضاً » .

٢٨- (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً جميلاً)

« ان » حرف شرط و « كنتن » فعل ماض لجمع المؤنث المخاطبة من الافعال الناقصة و « تردن »فعل مضارع لجمع المؤنث المخاطبة من باب الافعال،

والجملة في موضع نصب،خبراً لفعل الناقص، والجملة بتمامها شرطية، و «الحياة» مفعول بها ، و«الدنيا» صفة لـ « الحياة » و « فتعالين » الفاء للجزاء ومدخولهافعل أمر لجمع المؤنث المخاطبة بمعنى أنزلن ، أصله من العلو إلا ّانه كثر إستعماله، ونقل عن أصله حتى إستعمل في معنى « انزل » فيقال للمتعال : تعال أي أنزل أو أقبل .

وقيل : أصل « تعال » أن يكون الآمر في مكان مرتفع ، والمأمور في مكان مستفل ثم كثر واستعير للآمر باقبال القلب وهو المراد هنا .

والجملة جزاء للشرط ، و « امتعكن » فعل مضارع للتكلم وحده من باب التفعيل مجزوم لوقوعه موضع الجواب لـ « فتعالين » وضمير الخطاب للنساء في موضع نصب ، مفعول بها ، و كذلك « اسرحكن » و « جميلا » صفة لـ « سراحاً » .

٢٩- (وان كنتن تردن الله و رسوله والدار الاخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما)

عطف على ماتقدم من الشرط ، و « فان » الفاء للجزاء ، ومدخولها حرف تأكيد ، و«الله» إسمها ، و « أعد » فعل ماض من باب الافعال ، في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « من » في « منكن » للتبعيض لا للتبيين لعدم دخول الكل تحت الارادة قطعاً .

٣٠- (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان على الله يسيراً)

« من » إسم شرط ، و « يأت » فعل الشرط ، مجزوم بالشرط ، و «مبينة» صفة لـ « بفاحشة » و « يضاعف » فعل مضارع من باب المفاعلة ،مبني للمفعول ، جزاء للشرط ، و «العذاب» ناب مناب الفاعل ، و « ضعفين » منصوب على الحال من « العذاب » و « على الله » متعلق بـ « يسيراً » وهو خبر لـ «كان» .

٣١- (ومن يقنت منكن لله ورسوله و تعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين و

أعتدنالها رزقاً كريماً)

عطف على ما تقدم ، و« يقنت » فعل الشرط ، وجاء بالتذكير حملاً على لفظ « من » و « تعمل » عطف على« يقنت » وجاء بالتأنيث حملاً على معنى«من» لأن المراد بها المؤنث و «نؤتها » فعل مضارع للتكلم مع الغيرمن باب الافعال، مجزوم بالشرط والجملة جزاء الشرط وضمير التأنيث فيموضع نصب ، مفعول به الاول ، راجع إلى بعض النساء و « أجرها » مفعول ثان و « مرتين » مصدر ، والعامل فيه من غير لفظه ، و « أعتدنا » فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال و « لها » متعلق بـ« أعتدنا » .

٣٢- (يانساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فيقلبه مرض وقلن قولاً معروفاً)

« إن » حرف شرط و « اتقيتن » فعل الشرط ، وفيجوابه وجهان :أحدهما- أن يكون قوله تعالى : « فلا يخضعن بالقول » . ثانيهما - أن يكون ما دلّ عليه قوله تعالى :« لستن كأحد من النساءِ » على تقدير : إن اتقيتن انفردتن بخصائص من جملة سائر النساءِ و دلّ على هذا التقدير : « لستن » والفاء في « فيطمع » تفريع على النهي ومدخولها منصوب لوقوعه بعد الفاءِ فيجواب النهي ،و«الذى» موصولةفيموضع رفع ، فاعل الفعل ، و « فيقلبه » متعلق بمحذوف ،خبرمقدم، و « مرض » مبتداء مؤخر، والجملة صلة الموصول ، و « قلن » فعل أمر لجمع المؤنث المخاطبة ، و « قولاً » منصوب على المصدر و « معروفاً » صفة ا «قولاً».

٣٣- (وقرن فيبيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى و أقمنالصلاة وآتين الزكاة وأطعنالله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)

« وقرن » عطف على « قلن » و « قرن » فعل أمرلجمع المؤنث المخاطب من قرّ يقرّ قراراً أصله : إقررن فنقلت فتحة الراء الاولى إلى القاف ، فحذفت

إحدى الرائين ، فلما فتحت القاف استغنى عن همزة الوصل لانها إنما اجتلبت لسكون القاف ، فلما تحركت القاف استغنى عنها فحذفت ، وإنما حذفت الراء لتكررها مع نظيرها ، و تكررها في نفسها ، فانها حرف تكرير ، و إذا إستثقل التكرير والتضعيف في حرف غير مكرر ففي المكرر أولى . و «لاتبرجن» فعل مضارع لجمع مؤنث المخاطب ، في موضع جزم بحرف النهي ، والفعل من باب التفعل على حذف إحدى التائين ، عطف على «قرن» من باب عطف النهي على الامر ،و « تبرج » منصوب على المصدر ، اضيف إلى « الجاهلية » والتقدير . تبرج نساء أيام الجاهلية ، و « الاولى » نعت من « الجاهلية » .

« وأقمن » فعل أمر لجمع المؤنث المخاطب من باب الافعال ، عطف على « قرن » وكذلك «آتين» و « أطعن» ، و « إنما» كلمة حصر ، و « يريد » فعل مضارع من باب الافعال ، واللام في « ليذهب » للغاية ، ومدخولها فعل مضارع ، منصوب بـ« أن » المقدرة ، وان الفعل بعد إنسباكه إلى المصدر، متعلق بـ«يريد» و « عنكم » متعلق بـ« ليذهب »و « الرجس » مفعول به ، وفي نصب « أهل البيت» وجهان : أحدهما ـ أن يكون منصوباً على النداءِ أي يا أهل البيت . ثانيهما ـ أن يكون منصوباً على المدح والتخصيص أي أعني و أخص و أمدح أهل البيت كقوله صلى الله عليه وآله : « سلمان منا أهل البيت » واللام في « البيت » للعهد أي هم المخصوصون المعصومون من أهل بيت الوحي والرسالة ، و « يطهر» فعل مضارع من باب التفعيل و« كم» في موضع نصب ، مفعول به ، و « تطهراً » منصوب على المصدر .

٣٤ـ (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيراً)

عطف على « اطعن الله » أوعلى «قرن » و «ما » موصولة في موضع نصب ، مفعول به ، و « يتلى» فعل مضارع مبني للمفعول، صلة الموصول ، و « في بيوتكن»

متعلق بـ «يتلى» و«من» في « من آيات الله » بيان لـ « ما» سدّت مسدّ عائدالصلة ،
و « خبيراً » خبر بعد خبر لـ «كان» .

٣٥ـ (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدالله لهم مغفرة و أجراً عظيماً)

« ان » حرف تأكيد ، و «المسلمين » إسمها ، والباقي منصوب ، عطفاً عليه، و «أعدّ» فعل ماض من باب الافعال في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و في الآية عطفان : أحدهما ـ عطف الاناث على الذكور. ثانيهما ـ عطف مجموع الذكور والاناث على مجموع ما قبله ، وفي الاول دلالة على إشتراك الصنفين في الوصف المذكور، وهو الاسلام في الاول ، والايمان في الثاني إلى آخر الاوصاف. والثاني من باب عطف الصفة على الصفة ، فيؤول معناه إلى أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعدّ الله لهم ...

٣٦ـ (وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذاقضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)

« ما » حرف نفي ، و « إذا » ظرف لنفي الاختيار ، و«أمراً » مفعول به لفعل القضاء و«الخيرة» إسم لـ «يكون » و«لهم» متعلق بـ «الخيرة» وضمير الجمع راجع إلى جميع المؤمنين والمؤمنات فان النكرة « مؤمن ـ مومنة » في سياق النفي تفيد العموم ، و «من أمرهم » في موضع نصب ، خبراً لـ « يكون » والجملة سدت مسد المعمولين لـ «كان» و «من » إسم شرط ، و « يعص » فعل الشرط ، مجزوم بحذف اللام والفاء في «فقد» للجزاء و « ضل » جزاء الشرط و « ضلالاً » منصوب على المصدر و « مبيناً » نعت من « ضلالاً » .

۳۷ـ (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله و تخفى فى نفسك ماالله مبديه و تخشى الناس و الله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوكناكهالكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذاقضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً)

« إذ » ظرف لمحذوف أى اذكر حين تقول ، و « أمسك » فعل أمر من باب الافعال مقولة القول ، والواو فى «وتخفى» للحال ، و«ما» موصولة فى موضع نصب، مفعول به لفعل الاخفاء و «الله» مبتداء و « مبديه» خبره والجملة صلة الموصول، والواو فى « وتخشى» للحال أيضاً ، «والله» الواو تحتمل الحال والاستيناف ،و«الله» مبتداء ، و«أحق» خبره و « أن تخشاه » مجرور بـ« من » المحذوف ، والمجرور متعلق بـ«أحق» والفاء فى « فلما » للتفريع على « و تخفى فى نفسك ماالله مبديه » ومدخولها إذا دخلت في الماضي كانت لربط مضمون جملة بوجود مضمون اخرى و « وطراً » مفعول به و « زوّجنا » فعل ماض للتكلم مع الغير من باب التفعيل جواب لـ«لما» و « كها» ضميران فى موضع نصب ، مفعولان لفعل التزويج، و«لكى» تعليل للتزويج ومصلحة للحكم ، و « أدعيائهم » جمع الدعى وهو المتبنى .

۳۸ـ (ماكان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنةالله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً)

« ما » حرف نفى ، و«من » فى « من حرج » زائدة ، و « ما » فى « فيما » موصولة ، وفى نصب « سنة الله » وجوه : أحدها ـ منصوب على المصدر لفعل دلّ عليه ما قبله ، لان ماقبله من قوله تعالى ، « فيما فرض الله » يدل على أنه سنّ له سنة ، ثانيها ـ إسم وضع موضع المصدر ، فيكون مفعولاً مطلقا . ثالثها ـ مفعول به لفعل محذوف على تقدير : سنناىك سنة الذى. . . الخ رابعها ـ منصوب بنزع الخافض أى كسنة الله . و « مقدوراً » نعت لـ« قدراً » وقيل : خبر بعد خبر .

۳۹ـ (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله وكفى

بالله حسيباً)

في موضع « الذين » وجوه : أحدها ـ الجر بدلاً من « في الذين خلوا » . ثانيها الجر نعتاً لهذه الجملة . ثالثها ـ النصب على تقدير : أعني الذين يبلغون ، فالجملة بيان للجملة المتقدمة . رابعها ـ الرفع على تقدير : هم الذين . . .ففي الجملة مدح . والباء في « بالله » زائدة مؤكدة ، و«الله» فاعل الفعل ، و «حسيباً» منصوب على التمييز وقيل : على الحال أي محاسباً .

٤٠ـ (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليماً)

«ما» حرف نفي ، و«كان» من أفعال الناقصة ، و «محمد» إسمها و«أباأحد» خبرها ، وفي «رسول الله» وجوه : أحدها ـ النصب ، على أن يكون «لكن» حرف إستدراك ، مخففة من الثقيلة ، و«رسول الله» إسمها ، على حذف خبرها . ثانيها ـ النصب على تقدير: ولكن كان محمد رسول الله وكان خاتم النبيين . ف «لكن» حرف إستدراك جيئت للعطف . ثالثها ـ الرفع على تقدير: ولكن هو رسول الله ﷺ. و «بكل شيء» متعلق بـ «عليماً» .

٤١ـ (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)

«اذكروا» فعل أمر لجمع المذكر المخاطب ،و «الله»مفعول به ، و«ذكراً» مفعول مطلق ، و« كثيراً» نعت لـ «ذكراً» .

٤٢ـ (وسبحوه بكرة وأصيلاً)

الواو للعطف و «سبحوا» فعل أمر لجمع المذكر المخاطب من باب التفعيل، وضمير الوصل المفرد في موضع نصب ، مفعول به ، و«بكرة وأصيلاً» منصوبان على الظرفية أي في كل بكرة وهي أول النهار، وفي كل أصيل وهو آخر النهار.

٤٣ـ (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما)

«هو» مبتداء و «الذى» موصولة فى موضع رفع ، خبر المبتداء و «يصلّى» فعل مضارع ، من باب التفعيل ، و فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الله تعالى ، و «عليكم» متعلق بـ «يصلى» و «ملائكته» عطف على «الله» واللام فى «ليخرجكم» للغاية ، ومدخولها فعل مضارع من باب الافعال ، منصوب بـ «أن» المقدرة ، و ضمير الخطاب فى موضع نصب ، مفعول به ، و «بالمؤمنين» متعلق بـ «رحيماً»

٤٤ـ (تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً)

«تحيتهم» مبتداء ، و «يوم» منصوب على الظرفية ، و «سلام» خبر المبتداء ، و «كريماً» نعت لـ «أجراً» .

٤٥ـ (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) .

«أرسلنا» فعل ماض المتكلم مع الغير ، وكاف الخطاب فى موضع نصب ، مفعول به ، و الجملة فى موضع رفع ، خبراً لحرف التأكيد و «شاهداً» حال من كاف الخطاب ، و «مبشراً ونذيراً» عطفان على «شاهداً» .

٤٦ـ (وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً)

عطف على «شاهداً» و «إلى الله» متعلق بـ «داعياً» و «باذنه» متعلق بمحذوف ، وهو حال مما يدل عليه «داعياً» أى حال كون دعوته باذن الله تعالى ، و «سراجاً» عطف على «شاهداً» فالوصف للنبى ﷺ ويجوز أن يكون عطفاً على الكاف فى «أرسلناك» فيكون وصفاً للقرآن الكريم ، وقيل : على تقدير: ذا سراج أو تالياً سراجاً ، و «منيراً» وصف لـ «سراجاً» .

٤٧ـ (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً)

«لهم» متعلق بمحذوف ، وهو الخبر لحرف التأكيد و «من الله» متعلق بمحذوف ، وهو صفة لـ «فضلاً» و «فضلا» إسم لحرف التأكيد و «كبيراً» نعت لـ «فضلاً» والمعنى : بان للمؤمنين فضلا كبيراً ثابتاً أو كائناً من الله تعالى .

٤٨ـ (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى

بالله وكيلا)

عطف على «بشر المؤمنين» و «دع» فعل أمر، خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وفي «أذاهم» وجوه : أحدها ـ أن تكون الاضافة ، إضافة المصدر إلى الفاعل ، فالمعنى : أعرض عن أقوالهم ومايؤذونك ولاتشتغل به . ثانيها ـ أن تكون من إضافة المصدرإلى المفعول والمعنى : دع أن تؤذيهم مجازاة على إذايتهم إياك . ثالثها ـ على حذف المفعول والجارفالتقدير: دع الخوف من أذاهم .

٤٩ـ (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن و سرحوهن سراحاً جميلاً)

«إذا» ظرف زمان ،يتعلق بما يتعلق به «لكم»فالتقدير: إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسّوهن فلم يثبت لكم عليهن عدة . النكاح هو الوطى والجماع ثم قيل للعقد : نكاح من باب تسمية السبب باسم المسبب مجازاً إذ العقد سبب لجواز الوطى والجماع والفاء في «فما» للجزاء ومدخولها حرف نفي ، و «من» في «من عدة» زائدة مؤكدة ، وفي موضع «تعتدونها» وجهان : أحدهما ـ الجر، نعتا من لفظ «عدة» ثانيهما ـ الرفع ، نعتاً على الموضع ، والفاء في «فمتعوهن» للتفريع و«سراحا» إسم للتسريح ، منصوب على المصدر وليس بمصدر، و«جميلا» نعت من «سراحاً» .

٥٠ـ (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت اجورهن وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وماملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً)

«أحللنا» فعل ماض للتكلم مع الغير، والجملة في موضع رفع خبر لحرف التأكيد ، و «مما أفاء الله عليك» الجار والمجرور في موضع نصب على الحال من

الضميرالمحذوف في قوله : «ملكت» أى ملكته ، وفى «إمرأة مؤمنة» وجـوه : أحدها ـ عطف على «أحللنا» والمعنى : وأحللنا لك إمـرأة تهب نفسهـا من غير صداق . ثانيها ـ أن يكون منصوباً بالعطف على «أزواجك» والعامل فيه«أحللنا». ثالثها ـ أن يكون منصوباً بفعل محذوف على تقدير: ونحل لك إمرأة مـؤمنـة إن وهبت نفسها للنبى . وليس معطوفاً على المنصـوب بـ«أحللنـا» لان الشرط والجزاء لايصح فى الماضى ألاترى انك لوقلت : إن قمت أمس كنت مخطئاً .

«إن وهبت نفسها للنبى» شرط على حذف الجزاء . وتقديـره : إن وهبـت نفسها للنبى أحللناها له . وجزاء الشرط الذىهو «إن أراد النبىأن يستنكحها» الشرط والشرط والجزاء المتقدم وتقديره : إنأراد النبى أن يستنكحهاإنوهبت نفسها له أحللناها له . وقيل : «إنوهبت»بدلاشتمال من«إمرأة»و«أن يستنكحها» فى موضع نصب بأنه مفعول به ا «أراد» وفى «خالصة» وجوه : أحدها ـ حال من «إمرأة» ثانيها ـ حال من ضميرمتصل بفعل مضمردل عليه المضمـرو تقـديره : أحللنا لك أزواجك وأحللنالك إمرأة مؤمنة أحللنا خالصة . ثالثها ـ حـال من الضميرفى «وهبت» رابعها ـ صفة لمصدرمحذوف أى هبة خالصة . وهى مصدر و قدجاء فاعلة مثل العاقبة والعافية . وقيل : على تقدير:أخلصت ذلك لكإخلاصاً. وقيل : هى مصدرمؤكد أى خلص لك الاحلالخلوصاً . وقيل : الهاءفيهللمبالغة. «قدعلمنا ـ ملكت أيمانهم» معترضة . واللام فى «لكيلايكون» لغاية الاحلال ، والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر، متعلق بـ«إنا أحللنا لك أزواجك» .

٥١ـ (ترجى من تشاء منهن و تؤى اليك من تشاء ومن ابتغيتممنعزلت فلاجناح عليك ذلك أدنى أن تقرأعينهن ولايحزن و يرضينبما آ تيتهن كلهن وا لله يعلم ما قلوبكم والله عليماً حليماً)

«ترجى» فعل مضارع من باب الافعال ، خطاب للنبـى الكـريم صلى الله عليه وآله وسلم و «من» موصولة فى موضع نصب ، مفعول بها ، و «تشاء» صلة الموصول ، و«منهن»

عائدها ، و «تؤى إليك من تشاء» عطف على ما قبلها ، مع حذف العائد لدلالة ما قبلها عليه . وفى «من ابتغيت» وجهان : أحدهما ـ إسم شرط ، فى موضع نصب بـ «ابتغيت» وهو الشرط ، و «فلاجناح عليك» جواب الشرط . ثانيهما ـ موصولة فى موضع رفع على الابتداء على حذف العائد وتقديره : والتى ابتغيتها و«فلاجناح عليك» خبر المبتداء ، و «ذلك» مبتداء و «أدنى» إسم تفضيل ، خبره و «أن تقر» بعد إنسباكه إلى المصدر، مجرور بـ «من» المقدرة أو «إلى» و الجار والمجرور متعلق بـ «أدنى» و «كلهن» تأكيد للضمير فى «يرضين» .

٥٢ـ (لايحل لك النساء من بعد ولاأن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الاما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً)

«النساء» فاعل لـ «يحل» وجاء بالتذكير لفصل الجار والمجرور بين الفعل و فاعله ، و«تبدل» فعل مضارع من باب التبدل ، خطاب للنبى الكريم ﷺ على حذف إحدى التائين ، وفى موضع «من أزواج» نصب ، مفعول به لـ «تبدل» على زيادة «من» وفى موضع «ماملكت يمينك» وجوه : أحدها ـ الرفع على البدل من «النساء» فالجملة إستثناء من «لايحل لك النساء» . ثانيها ـ النصب ، على أصل الاستثناء وهو من الجنس ، ويجوز أن يكون من غير الجنس . ثالثها ـ النصب ، بدلاً من «أزواج» . و «ما» فى تلك الوجوه موصولة تفتقر إلى صلة وهى «ملكت» وإلى عائد ، حذف للتخفيف . رابعها ـ النصب ، على أن الاستثناء منقطع و «ما» مصدرية . أى الاملك يمينك ، وملك بمعنى مملوك وهو فى موضع نصب، لانه إستثناء من غير جنس الاول . و «على كل شيء» متعلق بـ «رقيباً» .

٥٣ـ (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الاأن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيي منكم والله لايستحيي من الحق واذا سئلتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر

لقلوبكم وقلوبهن وماكان لكم أن تؤذوا رسول‌الله ولاأن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم‌كان عندالله عظيماً)

«إلّا أن يؤذن‌لكم» إستثناء من النهى ،وقيل: فى موضع نصب ،على‌الحال من فاعل «لاتدخلوا» أى لا تدخلوا إلّا مأذوناً لكم . وقيل : « أن » فى موضع نصب **على** معنى : « إلا بان يؤذن لكم » و « إلى طعام » متعلق بـ «يؤذن » لانه بمعنى « تدعوا » و «غيرناظرين» حال من الضمير فى«تدخلوا» وقيل : حال من ضمير « لكم» و «إناه» مفعول بهـا « ناظرين » والضمير راجع إلى « النبى »والاناء مصدر أنى يأنى وقيل : واحد الآنية ،والفاء فى « فادخلوا» و « فانتشروا »جواب ا « إذا » لازمة لما فيهامن معنى‌المجازاة،ومدخولهمافعلان أمران‌و«لامستأنسين» عطف على « غيرناظرين » وهوحال بعد حال . أى غيرماكثين فى حال إنتظار الاناءِ قبل الطعام ، ولافى حال الاستئناس لحديث بعد الطعام .

« ان » حرف تأكيد و « ذلكم» فى موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد ، و «كان» ومعمولاه فى موضع رفع ، خبرلحرف التأكيد ، والجملة تعليل للنهى المتقدم ، والضمير فى « قلوبهن » راجع إلى أزواج النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و « أن تؤذوا رسول الله » فى موضع رفع ، لانها إسم ا « كان » وكذلك قوله تعالى : « ولا أن تنكحوا » لانه عطف على «أن تؤذوا » .

٥٤ـ (ان تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شىء عليماً)

« إن » حرف شرط ، و « تبدوا » فعل مضارع ، لجمع المذكر المخاطب من باب الافعال ، و« شيئاً » مفعول به ، و « أوتخفوه » عطف على « تبدوا» و«فان الله . . . » جزاء الشرط . و « بكل شىء » متعلق بـ « عليماً » .

٥٥ـ (لاجناح عليهن فى آبائهن ولاأبنائهن ولا اخوانهن‌ولا أبناءاخوانهن ولاأبناءأخواتهن‌ولانسائهن‌ولا ما ملكت‌أيمانهن واتقين الله ان الله‌كان على كل شىء شهيداً)

« لا » حرف نفي للجنس ، و« جناح » إسمها و « عليهن » متعلق بمحذوف، وهو خبر «لا» و «في آبائهن» متعلق بالاستقرار المحذوف ، ولايجوز أن يكون « عليهن » في موضع نصب بـ« جناح » و « في آبائهن » الخبر لان إسم «لا» إذا عمل ينوّن . و«لا آبنائهن ـ ولا ما ملكت أيمانهن » عطف على « آبائهن » و « اتقين »فعل أمر لجمع المؤنث المخاطبة ، خطاب لازواج النبي الكريم ﷺ، و « على كل شيء » متعلق بـ« شهيداً » .

٥٦ـ (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)

« يصلون » فعل مضارع لجمع المذكر المغائب من باب التفعيل ، وضمير الجمع راجع إلى الله تعالى وملائكته ، والجملة في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و أصل « يصلون » يصليون ، و لما ثقلت الضمة على الياء نقلت الضمة إلى اللام بعد حذف كسرها ، فالتقت الساكنان ، فحذفت الياء ، و « صلوا »فعل أمر لجمع المذكر المخاطب وأصله : صليّوا والكلام فيه هو الكلام في« يصلون» و « تسليماً » مفعول مطلق .

٥٧ـ (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وأعدلهم عذاباً مهيناً)

« إن » حرف تأكيد ، و « الذين » في موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد، و « يؤذون » فعل مضارع من باب الافعال ، والجملة صلة الموصول وأصل يوذون: يؤذيون والكلام في حذف الياء منه هو الكلام في حذفها من « يصلون » ، و«الله» مفعول به و «رسوله» عطف على«الله» و « لعنهم الله » في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « عذاباً » مفعول به لـ«أعد» و « مهيناً » صفة لـ« عذاباً » .

٥٨ـ (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبيناً)

عطف على صدر الآية السابقة ،والفاء في «فقد احتملوا» للتفريع ، و«بهتاناً» مفعول به ، و « مبيناً » وصف ل « إثماً » .

٥٩- (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين وكان الله غفوراً رحيماً)

في «يدنين» وجوه : أحدها ـ أن يكون جواباً ل « قل » وتقديره : قل لهن: ادنين يدنين أي إن تقل لهن ادنين يدنين ، وهذا مردود لان قول الرسول ﷺ لهن لايوجب أن يدنين . ثانيها ـ أن يكون التقدير : قل لهن : ادنين يدنين ، على أن «يدنين» المذكور جواب ل «ادنين» المحذوف .

وهذا خطاء لوجهين : أحدهما ـ انه لابد أن يخالف الشرط جوابه ، إما في الفعل أو في الفاعل ، أو فيهما ، وأما إذا كان مثله في الفعل والفاعل فهو خطاء كقولك : قم تقم . والتقدير على هذا الوجه : إن يدنين يدنين . ثانيهما ـ ان الامر المقدر للمواجهة ، ويدنين على لفظ الغيبة وهو خطاء إذا كان الفاعل واحداً.

ثالثها ـ ان « يدنين » مجزوم محلاً بلام محذوفة على تقدير : ليدنين،فهو أمر مستأنف ، وجاز حذف اللام لدلالة «قل» على الامر .

و «من» في «من جلابيبهن » للتبعض ، وجلابيب : جمع جلباب ، و«ذلك» في موضع رفع على الابتداءِ و «أدنى» إسم تفضيل ، خبر المبتداءِ ، و «أن يعرفن» فعل مضارع لجمع المؤنث المغائب ، والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر مجرور ب « من » أو «إلى» المقدرة ، والجار والمجرور متعلق ب « أدنى » والفاء في « فلا يؤذين » للتفريع ، و مدخولها حرف نهي ، و « يؤذين » فعل مضارع لجمع المؤنث المغائب ، مبني للمفعول .

٦٠- (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض و المرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلاً)

اللام في « لئن » قسميّة، واللام في «لنغرينك » جوابية للقسم ، ولاجواب

للشرط لتقدم القسم على الشرط ، والباء في «بهم» سببية ، و « ثم لايجاورونك » عطف على «لنغرينك» كأنه قيل : إن لم ينتهوا لايجاورونك ، و « قليلاً » وصف لظرف محذوف أي زماناً قليلاً . و قيل : منصوب على الحال من الضمير في « يجاورونك » .

٦١ـ (ملعونين أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلاً)

في « ملعونين » وجوه : أحدها ـ أن يكون منصوباً على الذم والشتم أي أذم ملعونين . ثانيها ـ حال من معمول « ثقفوا » أو « اخذوا » و هذا باطل لان الشرط له الصدر، ولايعمل مابعد الشرط فيماقبله . ثالثها ـ حال من«المنافقون» ومن عطف عليهم أي حالكونهم ملعونين أينما وجدوا . رابعها ـ حال من الواو في «لايجاورونك» . خامسها ـ حال من فاعل محذوف وتقديره : يخرجون منها ملعونين .

« أينما » إسم شرط ، منصوب على الظرفية ، متعلق بـ« ثقفوا» و إنما جاز ذلك لان الجازم في الاصل «إن» الشرطية المحذوفة ، فصارأينما يتضمن معناها ، فيغني عنها ويقوم مقامها ، ولايجوزأن يعمل فيه « اخذوا » لانه جواب الشرط، ولايعمل الجواب فيما قبل الشرط .

٦٢ـ (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنةالله تبديلاً)

« سنة الله » منصوب على المصدرأي سنّ الله ذلك سنة و « تبديلاً » مفعول به لـ « تجد» .

٦٣ـ (يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عندالله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً)

« إنما » كلمة حصر، و«علمها » مبتداء ، و «عندالله» متعلق بمحذوف وهو الخبر،و «ما» إسم إستفهام في موضع رفع على الابتداء بمعنى : أيّ شيء ،و«يدريك» في موضع رفع ، خبر المبتداء ، و « لعل » حرف ترجّ وتوقع ، و«الساعة» إسمها و

« تكون قريباً » في موضع رفع ، خبرها .

٦٤- (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً)

« لعن الكافرين » في موضع رفع ، خبرلحرف التأكيد ، و «سعيراً»مفعول بها ﻟ «أعد» .

٦٥- (خالدين فيها أبداً لايجدون ولياً ولانصيراً)

« خالدين » حال مقدرة من « الكافرين » أي مقدراً خلودهم ، والضمير في « فيها » راجع إلى « سعيراً » وانّث الضمير لان السعير بمعنى النار ، و « ابداً » منصوب على الظرفية ،و«لايجدون»في موضع نصب، حال ثانية و « ولياً »مفعول به.

٦٦- (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا)

في « يوم » وجوه : أحدها ـ أن يكون ظرفاً ﻟ « يجدون » . ثانيها ـ أن يكون ظرفاً ﻟ « نصيراً » ثالثها ـ أن يكون ظرفاً ﻟ « يقـولون » و « يقـولون » على الوجهين الاولين حال من الوجوه لان المـراد أصحابها ، و « تقلب » فعـل مضارع من باب التفعيل ، مبنيّ للمفعول .

٦٧- (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا)

« ربنا» منصوب بالنداءالمقدرة أي ياربنا ، و « سادتنا » مفعول به ﻟ«أطعنا» والجملةفي موضع رفع ، خبرلحرف التأكيد ،والسادة جمع السيد، و« كبرائنا» جمع الكبير ، والفاء في « فأضلونا » للنتيجة ، ومـدخولها فعل مـاض من باب الافعال و«نا» في موضع نصب ، مفعول أول ، و « السبيلا » مفعول ثان . و يجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض أي عن السبيل ، فلما حذف الجاروصل الفعل ، فنصب مع أن الاضلال لايتعدى إلى مفعولين من غير توسط حرف الجر كقوله : « لقد أضلني عن الذكر » .

٦٨- (ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً)

« ربنا » منصوب بالنداء المقدرة ، و«آت» فعل أمر ، وضمير الجمع فـي

موضع نصب ، مفعول أول ، و « ضعفين » مفعول ثان ، و « لعنا » مفعول مطلق ، و « كبيراً » نعت من « لعناً » .

٦٩ـ (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عندالله وجيهاً)

« لا » حرف نهي و« تكونوا » فعل مضارع لخطاب الجمع المذكر من أفعال الناقصة ، مجزوم بحرف النهي على حذف نون الرفع ، و« كالذين » في موضع نصب ، خبر لفعل الناقص ، و « آذوا » فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الافعال ، صلة الموصول ، و«ما» في «مما» موصولة ، و « قالوا » صلتها ، على حذف العائد ، و « عندالله » متعلق بـ« وجيهاً » .

٧٠ـ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً)

« اتقوا » فعل أمر لجمع المذكر المخاطب من باب الافتعال ، و « قولاً » منصوب على المصدر و « سديداً » وصف لـ« قولاً » .

٧١ـ (يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)

« يصلح » مجزوم بـ« إن » الشرطية المقدرة لوقوع فعل المضارع بعد الامر ، وإنما اضمرت « إن » لان الامر يدل على أن الجزء الثاني مشروط بالاول ، فيدل على ان هناك شرطاً مقدراً ، و « أعمالكم » مفعول به ، و « يغفر » عطف على « يصلح » و « من » إسم شرط ، و « يطع » فعل الشرط ، والفاء في « فقد » للجزاء و « فاز » جزاء الشرط ، و « فوزاً » منصوب على المصدر و « عظيماً » نعت لـ«فوزاً» .

٧٢ـ (انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً)

« انا » حرف تأكيد مع إسمها ، و « عرضنا » فعل ماض للتكلم مع الغير ، والجملة في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و «الامانة» مفعول بها ، و « على

السموات » متعلق بـ« عرضنا » وقيل : على حذف المضاف أى على أهل السموات... والفاء فى « فأبين » للتفريع ، و« حملها الانسان » عطف على «فأبين» ، و«ظلوماً» خبر لـ«كان» والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد و « جهولاً » خبر بعد خبر.

٧٣ـ (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً)

اللام فى « ليعذب » للغاية ، و مدخولها فعل مضارع ، منصوب بـ« أن » مضمرة ، والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر ، مجرور باللام متعلق بـ« حملها » أى حملها ليعذب العاصى ويثيب المطيع فهى لام التعليل لان العذاب نتيجة لسوء حمل الامانة .

و قيل : متعلق بـ« عرضنا » المترتب عليه حمل الانسان ، و «يتوب» عطف على « ليعذب » وفى « رحيماً » وجوه : أحدها ـ أن يكون منصوباً على الحال من المضمر فى « غفوراً » وهو العامل فيه . ثانيها ـ أن يكون صفة لـ« غفوراً » ثالثها ـ أن يكون خبراً بعد خبر .



﴿البيان﴾

١ - (يا أيها النبي اتق الله و لا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليماً حكيماً)

نداء موجه إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يؤمر فيه بتقوى الله جل وعلا ، وينهى عن إطاعة الكافرين والمنافقين . في نداء الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بوصف النبوة : « يا أيها النبي » دون الاسم تعظيم لنفسه صلى الله عليه وآله وسلم وتكريم بشأنه وتنويه بمحله وفضيلته، وتنبيه على سمو مكانه وعلو مقامه . . . إذ جاء نداء غيره من الانبياء والمرسلين بأسمائهم كقوله تعالى : « يا آدم » و « يا نوح » و « يا إبراهيم » و « يا موسى » و « يا داود » و « يا عيسى » . . . و ما صرح الله عزوجل باسم نبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم إلا ذكر بعده لفظ النبي أو الرسول بلا فصل آية أو معه ولكن بوحدة السياق كقوله تعالى: « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين » الاحزاب : ٤٠) وقوله : « والذين آمنوا و عملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهوالحق من ربهم- ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٢ و ٣٣) .

ان قيل : لوكان النداء بالوصف دون الاسم تعظيماً و تشريفاً له صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكر لعدل عن إسمه إلى نعته في الاخبار عنه كما عدل في النداء في قوله سبحانه : « و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » آل عمران : ١٤٤) وقوله: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم» الفتح:٢٩) ؟

تجيب : إنما عدل عن نعته في الاخبار لتعليم الناس انه رسول الله ﷺ و تلقينهم أن يسمّوه بذلك ويدعوه به ولذلك ذكره بنعته لا باسمه كما ذكره في النداء وفي مواضع من الاخبار أيضاً و لأن المقام مقام تعيين وتشخيص وإزالة إشتباه مع قصد أن لايكون القرآن الكريم خالياً عن بركة إسمه العلم ، وحيث لم يقصد هذا المعنى ذكره بنحو ما ذكره في النداء .

قوله تعالى : « إتق الله » في الامر بالتقوى تفخيم و تعظيم للتقوى نفسها حيث أمر الله تعالى بها رسوله الاعظم و نبيه الخاتم ﷺ و حيث ان مراتبها لا تنتهي و لها باب واسع و عرض عريض لا ينال مداها إلاّ من يشاء الله تعالى مع كون المقصود هو الدوام والثبات عليها . وقيل : لم يجعل الأمر لامته ﷺ هنا وان كانوا اهم مأمورين بها في غيرها لان سياق مابعدالاية لامر يخصّه ﷺ من قصة زيد بن الحارثة ، و لامر خطير من تنسيخ حكم الظهار والتبنّي حيث كانا دارجين في الجاهلية ، فلعظم غرض هذه السورة يحتاج قبل الخوض فيها إلى الامر بالتقوى والنهي عن طاعة غير الله جل وعلا ، فالامر والنهي فيهما إشعار بعظم الامر والغرض في هذه السورة كما يشعر قوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » تنبيه بامتناع عدم التقوى والاتباع لما يوحى، وإمتناع إطاعة الكافرين والمنافقين مع الاعتماد والثقة بالله جل و علا .

ففي أمره تعالى نبيه ﷺ بالتقوى تمهيد للنهي الذي بعده : « و لا تطع الكافرين والمنافقين » و ذلك لما هاجر النبي الكريم ﷺ إلى المدينة و كان يحب إسلام يهود قريظة والنضير و غيرهم ، و قد تابعه ناس منهم على النفاق كان يلين لهم جانبه و يكرم صغيرهم و كبيرهم فنزلت . . . ففي الجملة كشف عن البلاء الذي يحيط بالكافرين والمنافقين ، و فيها تنبيه للنبي ﷺ إلى أن يأخذ حذره و أن يتوقى هذا الداء الذي يغتال هؤلاء المصابين به .

و قال بعضهم : إن تسئل : كيف صحّ أن يخاطب النبي ﷺ بتقوى الله

تعالى و عدم إطاعته الكافرين والمنافقين ؟

تجيب : ان الغرض من الخطاب ليس حقيقة هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإنما اريد منه الأمة ، فقد جرت العادة أن يخاطب مدره القوم ورئيسهم بشيء ، فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعاً لانه يمثّلهم ، ويدلك على ذلك قوله تعالى ، «واتبع مايوحى إليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً» و لم يقل : بما تعمل خبيراً . ولا يخفى ما فى هذا الخطاب الشريف للبشر بوساطة مركز الوحى وصاحب الشريعة من الحسن لانه إما أوقع فى التوحيد والانذار أوانه صدر تعظيماً للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أوترفعاً منه جل وعلا عن جعل من سوى النبى الذى هو أمينه على وحيه طرفاً لخطابه وهذا لايخفى حسنه على كل من له أقل المام بأساليب الكلام .

فى المحكم والمتشابه : للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه فى قوله تعالى : «يا أيها النبى اتق ولاتطع الكافرين والمنافقين» قال : والمخاطبة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمراد بالخطاب امته .

وقوله تعالى : «ولاتطع الكافرين والمنافقين» فى الجمع بين الكافرين والمنافقين فى النهى عن إطاعتهم دلالة على أن الكافرين كانوا يسئلون النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن أمر لايرتضاه الله تعالى وكان المنافقون يؤيدونهم فى مسئلتهم ويلحّون فى إستجابته صلى الله عليه وآله وسلم لهم ، فقد قضى الله جل وعلا بخلافه بالوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فحذّره عن إجابتهم إلى ملتمسهم .

وقوله تعالى : «ان الله كان عليماً حكيماً» مستأنف بيانى سيق تعليلاً للامر والنهى وتأكيداً لوجوب الامتثال بانه تعالى هو الذى يعلم حقائق الامور وجميع الاشياء من المصالح والمفاسد ، فلايأمرك إلاّ بما فيه مصالح لك وللمؤمنين ، ولاينهاك إلاّ عما فيه مفاسد كذلك ، فلايحكم إلاّ بمقتضى الحكمة البالغة . . . وفى الجملة دلالة على أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يميل إليهم إستدعاءاً لهم إلى الاسلام . أى لوعلم الله تعالى **أن ميلك إليهم فيه منفعة لما نهاك عنه** لانه حكيم . وقيل: ان الخطاب

له ﷺ ولامته .

٢ ـ (و اتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً)

أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ باتباع ماهو رشد وصلاح وهو القرآن الكريم فقط ، وتأكيد لوجوب الامتثال بأن الآمر لك هو مربيك في نعمه الغامر لك باحسانه، فهو الجدير أن يتبع أمره ويجتنب نهيه ، ففي تعرض عنوان الربوبية تأكيد لوجوب الامتثال بالامر وزجر عن إتباع مراسم الجاهلية وأمر بجهادهم ومنابذتهم، وفي الامر دلالة على ترك إتباع الآراء مع وجود النص . وهذا الامر هو أمر من لوازم النهي الذي جاء في قوله جل وعلا : «ولاتطع الكافرين والمنافقين» ومن لازم هذا النهي أن يتبع النبي ﷺ ما أوحي إليه من ربه فقط .

وفي هذا الامر ـ كمافي النهي السابق عليه ـ تأكيد لما بين النبي ﷺ وبين الكافرين والمنافقين من بعد بعيد ،وان كلاً منهما على طريق ، فلايلتقيان أبداً إلاّ إذا حاد هؤلاء الكافرون والمنافقون عن طريقهما ، وسلكوا طريق النبي ﷺ واتبعوا سبيله . . أما النبي ﷺ فهوماض على ما معه من آيات ربه لايلتفت يميناً أوشمالاً .

قوله تعالى : «ان الله كان بما تعملون خبيراً» مستأنف بياني سيق تعليلاً لما يرغّبه في إتباع الوحي ، وبما ينأى به عن طاعة الكافرين والمنافقين . قيل : ان الجمع للتعظيم ، فالخطاب للنبي ﷺ . وقيل : خطاب للنبي ﷺ و للمؤمنين . وقيل :خطاب للغائبين بطريق الالتفات .وعلى أيّ تقدير ان الجملة تعليل آخر للامر، وتأكيد لموجبه على سبيل الترغيب والترهيب على الاولين ، و على الترغيب فقط على الاخير، فلابد من إتباع الوحي .

وفي الجملة تهديد للكافرين والمنافقين ، وان الله تعالى مطلع على ماهم فيه من كفر ونفاق ، وسيجزيهم بماكانوا يعملون .

٣ـ (و توكل على الله وكفى بالله وكيلا)

أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالاتكال عليه وحده وتفويض اموره إليه وحده، وفي الاية تثبيت له صلى الله عليه وآله وسلم وايناس له من ربه بالتوكل عليه وحده، و انه لاوحشة ولاخوف عليه من قطيعة الكافرين والمنافقين الذين يساكنونه ويعيشون بين جماعة المسلمين، فانهم وإن كانوا كثرة في العدد و وفرة في المال، ولكنهم أخف ميزاناً وأضعف شأناً ممن يسند ظهره إلى الله جل وعلا و يسلّم اموره إليه تعالى وفيها إشعار بأن المخالفة لما سئله صلى الله عليه وآله وسلم الكافرون والمنافقون كانت صعباً لابد من الثقة بالله تعالى من غير خوف ولارجاء ممن سواه.

قيل: ان الاية كالآية السابقة عامة في حدّ نفسها، ولكنها لوقوعها في سياق النهي السابق تدل على أن الامر بالتوكل على الله جل وعلا فيما يأمره به الوحي، وتشعر بأنه أمر صعب المنال بالنظر إلى الاسباب الظاهرية لايسلم القلب معه من عارضة المخافة والاضطراب إلاّ التوكل على الله سبحانه فانه السبب الوحيد الذي لايغلبه سبب مخالف.

٤ـ (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه و ما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وماجعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل)

هذا شروع في إلقاء الوحي الذي أمر صلى الله عليه وآله وسلم باتباعه، وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى: «و ماجعل أزواجكم... الخ» و تقرير للامر بالتوكل على الله جل وعلا وحده، ونفي الاعتماد والاتكال على غيره، و إشارة إلى أن القلب الواحد لانسان واحد لا يتمكن أن يتوجه إلى غير الله مع توجهه إليه جل وعلا إذلم يجعل لاحد قلبين يتوجه بأحدهما إلى الله و بالاخر إلى من سواه، وإشارة إلى إمتناع إجتماع خوف من الله تعالى، وخوف من سواه وإذا لم يكن للمرء إلاّ قلب واحد، فمتى إتجه لاحد الشيئين صدّ عن الآخر فطاعة الله تصدّ عن طاعة سواه. ورد على المنافقين الذين يظهرون الاسلام و

يبطنون الكفر بعدم إجتماع الايمان والكفر في قلب واحد .

قيل : إن المراد بالقلب النفس ، فقوله تعالى : «في جوفه» لافادة زيادة التقرير كقوله تعالى : «ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» الحج : ٤٦» وقيل: إن الفائدة هي مبالغة في التأكيد ، وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لانه إذا سمع به صور لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين فكان أسرع إلى الانكار.

وقيل : إن الجملة الاولى توطئة وتمهيد كالتعليل لما يليها من إلغاء أمر الظهار والتبنّي حيث ان في الظهار جعل الزوجة بمنزلة الام وفي التبني والدعاء جعل ولد الغير ولداً لنفسه ، والجمع بين الزوجية والامومة ، وكذا الجمع بين بنوّة الغير وبنوّة نفسه جمع بين المتنافيين لا يجتمعان إلاّ في قلبين .

وقيل : ان الجملة في مقام التعليل لما قبلها من النهي عن إطاعة الكافرين والمنافقين وإتباع الوحي حيث إن طاعة الله تعالى وولايته وطاعة الكفار والمنافقين و ولايتهم جمع بين المتنافيين كالتوحيد والشرك لا يجتمعان في القلب الواحد . والتعميم غير بعيد ، فتكون الجملة تعليلاً لماقبلها ولما بعدها .

وقوله تعالى : «و ما جعل أزواجكم اللائي . . . » تقرير لعدم جعل زوجة الرجل امّه بمجرد إستعماله صيغة الظهار ، و عدم جعل دعيّ الرجل إبناً له بمجرد تبنيه ، و«أدعياءكم» كناية عن الأبناء بالتبني . و قوله : « ذلكم قولكم بأفواهكم » كناية عن إنتفاء الاثر لهذا القول كقوله تعالى : « انها كلمة هو قائلها» المؤمنون : ١٠٠)

وإشارة إلى أن الكلمة إذا لم تكن عن وعى وإدراك ، ولم تقل على منطق وحجة كانت لغواً وهذراً لاوزن له . وفي قوله تعالى : « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » دلالة على أن هذا ليس من الحق والصدق في شيء ، وهو مردود على أصحابه ، وان الله تعالى هو الذي يقرّر الحق والصدق ويهدى إلى سبيلهما .

٥- (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عندالله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم بـه ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً)

تقرير لما هو الحق وطريق الصلاح وسبيل الرشاد ، على طريق الامر بتسمية الابناء بالتبني باسم آباءهم الحقيقيين ونسبتهم إليهم ، فهو الاقسط عندالله جل وعلا والمتفق مع الحق والحقيقة ، فاذا لم يعرف آباءهم ، فهم إخوان متبنيهم في الدين ومواليهم . وفيه دلالة على أن التبني كان معمولاً به في الجاهلية والاسلام . واللام في «لآبائهم» للاختصاص أي ادعوهم وهم مخصوصون بآبائهم أي انسبوهم إلى آبائهم فقط ولا يجوز الانتساب إلى غير الاب .

وقوله تعالى : « هو أقسط عندالله » تعليل لما قبله ، والضمير راجع إلى مصدر « ادعوا » كقوله تعالى : « اعدلوا هو أقرب للتقوى » و أقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا . القسط بمعنى العدل أي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله جل وعلا وقضائه .

وقوله تعالى : « فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين و مواليكم » فيه تلقين جليل مستمر المدى في توطيد الاخوة الدينية بدون إعتبار أي فارق طبقي ، حتى إذا لم يعرف آباء الأبناء بالتبني فهم إخوان المسلمين في الدين و مواليهم ، لهم مالهم وعليهم ما عليهم .

وقوله تعالى : « وليس عليكم جناح . . . » تقرير لكون مسئولية المرء عن أخطائه إنما تكون فيما يقع منه من ذلك عن عمد وقصد لا على سبيل الخطأ والسهو ، وهذا هو ما تكرر تقريره في مواضع عديدة من القرآن الكريم .

وقوله تعالى : « وكان الله غفوراً رحيماً » تنبيه على أن الله تعالى غفور رحيم لا يؤاخذ المسلمين فيما أخطأوا به من غير عمد وقصد ، وإنما يؤاخذهم بما يصدر منهم من أخطأ عن عمد وعلم .

٦- (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفاً كان ذلك فى الكتاب مسطوراً)

تقرير بحق النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على المؤمنين فهو صلى الله عليه وآله وسلم اولى بهم من أنفسهم ، وتقرير بحق أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم على المؤمنين فهن امهاتهم أيضاً ، وتقرير الاولوية لذوى الارحام من المؤمنين فيما بينهم .وتنبيه على أن تقرير الاولوية بين ذوى الارحام من المؤمنين لايحول دون مساعدة المؤمنين لاوليائهم من غير ذوى الارحام وإسداء المعروف إليهم ، وهذا هو حكم الله الذى كتب عليهم من المؤمنين والمهاجرين غير ذوى الارحام الذين لهم نصيب فى الميراث . وفى الاطلاق إشعار باولويته صلى الله عليه وآله وسلم منهم فى كل شىء من امور المعاش والمعاد ، والدين والدنيا وفى صالح الاعمال لا التصرف بكل ما يريد وهو صلى الله عليه وآله وسلم لايريد كذلك، فلا يتصرف النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الأموال والانفس والاعراض بغير حق كيف لا وهو معصوم صلى الله عليه وآله وسلم .

وقوله تعالى : « من المؤمنين والمهاجرين » يحتوى قيداً إحترازياً على ما يتبادر لاخراج غير المؤمنين من ذوى الارحام من الاولوية ، وحقوق الارث و حصر ذلك بين المؤمنين ، ولعل إختصاص المهاجرين بالذكر هو بسبب أن بعض ذوى أرحامهم كانوا ما يزالون كفاراً ، وعدم التوارث بين المسلم وغير المسلم من القواعد الشرعية الجارية منذ العهد النبوى ، وقد تكون هذه الاية من مستندات ذلك .

وقوله تعالى : «كان ذلك فى الكتاب مسطوراً» مستأنف بيانى سيق كالخاتمة للاحكام المذكورة .

٧- (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)

تأكيد للامر بالاتقاء على طريقى العام والخاص إذ ذكر « النبيين » أولاً

بلفظ عام يشمل الجميع ، ثم عطف عليهم خمسة من مشاهيرهم على طريق الخطاب والتقريع بأسمائهم بقوله تعالى : « ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم » وفيه تذكير على سبيل التقرير بأن الله جل وعلا قد أخذ من الانبياء و بخاصة من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم نفسه ومن نوح وإبراهيم وموسى و عيسى عليهم السلام ميثاقاً قوياً مؤكداً على حمل رسالته وتبليغها للناس . وإنما خصّ هؤلاء الخمسة وإن دخلوا في زمرة النبيين تفضيلاً لهم ، ولانهم اولوا العزم وأصحاب الشرائع والكتب السماوية . و هذا من باب عطف الخاص على العام ، و معنى العطف : إخراجهم من بينهم وتخصيصهم بالذكر كأنه قيل : وإذ أخذنا الميثاق منكم أيها الخمسة ومن باقي النبيين . ولم يخصّهم بالذكر على هذا النمط إلاّ لعظمة شأنهم ورفعة مكانهم .

وقدّم نبيّنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم على مشاهير الانبياء ، على طريق الخطاب في الذكر لبيان شرفه وعظم شأنه وفضله عليهم عليهم السلام ، ولانه خاتم النبيين وان رسالته هي مجتمع رسالاتهم ، فالانبياء عليهم السلام وان سبقوه زمناً ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم آخرهم زماناً ، ولكنهم عليهم السلام متأخرون عنه رتبة فهو صلى الله عليه وآله وسلم إمامهم الذي إنتظم عقدهم بمبعثه ، ثم رتّب بحسب وجودهم ، وعدّهم على ترتيب زمانهم عليهم السلام .

وأما تقديم نوح في قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك . . . » الشورى : ۱۳)

فلوصف البعث والوصية مقدم عليه صلى الله عليه وآله وسلم ولان المقصود هنالك وصف الدين بالاصالة والاستقامة ، فكأنه قال : شرع لكم من الدين الاصلي الذي بعث عليه نوح عليه السلام في العهد القديم ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الانبياء وبعث عليه من توسط بينهما من مشاهير الانبياء عليهم السلام وإنما نسب الدين القديم إلى نوح عليه السلام لا إلى آدم عليه السلام لان نوحاً كان أصلاً ثانياً للناس بعد الطوفان ، وخلق آدم كان كالعمارة ونبوته كانت إرشاداً للاولاد ولهذا لم يكن في زمانه إهلاك قوم ولا تعذيب كما في زمن

نوح عليه السلام .

وقوله تعالى : « وأخذنامنهم ميثاقاً غليظا »تأكيد وتغليظ للميثاق،ووصف الميثاق بالجلالة والعظم إستعارة من وصف الأجرام به .

الميثاق : هوالحبل المفتول استعير ههنا للعهد والرابطة بين الله تعالى والمختارين من عباده .

٨ـ (ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً)

مستأنف بيانى سيق لتقرير ما هو داع إلى ما ذكر من أخذ الميثاق ، وغاية له بأن الله تعالى فعل ذلك ليسئل الذين صدقوا فى تبليغ رسالاتهم و يستشهدهم على اممهم ، فمتعلق بمقدر لا بـ« أخذنا » أى فعل الله تعالى ذلك ليسئل يوم القيامة الانبياء عليهم السلام عن صدقهم ووفائهم بماعاهدوا ، وفى وضع الظاهر «الصادقين» موضع ضمير «هم» ايذان من أول الامر بانهم صادقون فيما يسئلون عنه،وكشف عن أنهم أهل وفاءٍ وايمان ، وإنما السئوال لحكمة تقتضيه ، أى ليسئل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم .وفى هذا تنبيه لغيرهم أى اذا كان الانبياء سوف يسئلون فكيف من سواهم .وقيل : إن فائدة سئوالهم توبيخ الكفار وتبكيتهم كقوله تعالى : « أأنت قلت للناس اتخذونى وامى إلهين من دون الله » ، المائدة: ١١٦) وقيل : « ليسئل » تعليل لقوله تعالى : « أخذنا » و قيل : تقرير للغاية من إرسال الرسل .

و قيل : ان وجه الالتفات من التكلم مع الغير : « أخذنا » إلى الغيبة « ليسئل » ان الميثاق على عبادته تعالى وحده لاشريك له وإن كان أخذه منه جل وعلا بوساطة من الملائكة المصحح لقوله : « أخذنا » و أما السئوال عن صدق الصادقين ومعدّ الجزاء للكافرين فبالحقيقة هو تعالى وحده ليعبد وحده .

و قوله تعالى : « وأعد للكافرين عذاباً أليماً » عطف على محذوف أى فعل ذلك أى أخذ الميثاق . . . وأعدّ للكافرين . . ولم يقل : وليعدّ للكافرين . . .عطفاً

على « ليسئل » تنبيهاً إلى أن العذاب ليس من العلل الغائية لاخذ الميثاق ،وإنما العذاب على النقض من ناحيتهم والخلف من قبلهم بسوء اختيارهم .

وفى الجملة تهديد ووعيد شديد على الذين كفروا برسالات الانبياء و لم يصدقوهم ، ونقضوا الميثاق الذى أخذه الله تعالى منهم على أنبياءهم . و فى ايثار المضارع فى السئوال ، والماضى فى إعداد الجزاء مالا يخفى على القارىء الخبير فتدبر جيداً .

٩- (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذجاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً)

تصوير إجمالى لقصة غزوة الخندق ، وما عقبها من أمر بنى قريظة،وتذكير للمؤمنين بما أنعم الله تعالى عليهم أيام الخندق بنصرهم وصرف جنود المشركين عنهم وقدكانوا جنوداً مجندة من شعوب وقبائل شتى كغطفان وقريش والأحابيش وكنانة ويهود بنى قريظة والنضير الذين أحاطوا بهم من فوقهم من أسفل منهم ، فسلّط الله تعالى عليهم الريح ، وأنزل ملائكة لخذلانهم .

وقوله تعالى : « إذا جاءتكم جنود » ظرف للنعمة أولثبوتها ، وقيل:تعليل لوجوب الشكر والذكر للنعمة الالهية عليهم .

وقوله تعالى : « فأرسلنا عليهم ريحاً . . . » عطف على «جاءتكم » سيق لبيان النعمة إجمالاً و هو الارسال المتفرع على مجيئهم ، وفى قوله تعالى :« وكان الله بما تعملون بصيراً » حث المؤمنين وتحريصهم على ذكرالله تعالى على ما أنعمه الله تعالى عليهم .

١٠- (اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا)

عطف بيان وتفصيل لقوله تعالى: «إذجاءتكم جنود» و « إذ زاغت الابصار... » عطف بيان آخر ، و تصوير للحال التى إستولت على المسلمين من هذا الخطر

الزاحف عليهم . و ان زيغ الابصار و بلوغ القلوب الحناجر كنايتان عن كمال غشيان الخوف و شدّة الكرب بحيث حوّلهم إلى حال المحتضر الذى يزيغ بصره وتبلغ روحه الحلقوم ، حتى اضطرب لذلك تفكيرهم و غابت وجوه الرأى عنهم، فلم يتبينوا ماذا يأخذون أو يدعون من أمرهم وماذا يفعلون فاضطربوا إضطراباً شديداً ألمّ بهم بسبب كثرة الغزاة و إحاطتهم بهم من طرفى الشرق والغرب ، و قوة جهازهم ، و موقف اليهود الغادر الذين كانوا من ورائهم .

ثم تميـّزوا فالفئة المخلصة الصادقة إلتفت حول النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأيدته و أظهرت إستعدادها التام للدفاع والقتال ، و اعتبرت الزحف إختياراً ربانياً من نوع ما أخبرهم الله به ، و اعتزمت على الصدق والثبات و إزدادت ايماناً وتسليماً له ، فكانت موضع ثناء الله تعالى و تنويهه . . . و أما المنافقون و مرضى القلوب فلم يتورعوا من التظاهر بالكفر والجحود و إساءة الادب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مثل قولهم : « ما وعدنا الله و رسوله إلاّ غروراً » والتثبيط و دعوة إخوانهم إلى العودة إلى بيوتهم والفرار من الميدان بحجة كاذبة ، و يظهر انهم كانوا وعدوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يفرّوا من الميدان و أن لا يقعدوا عن القتال .

و قوله تعالى : « و تظنون بالله الظنونا » في التعبير عن حدث الظن بفعل المستقبل دون الماضى الذى جاء تعبيراً عن حدث الزيغ و بلوغ القلوب الحناجر إشارة إلى أن زيغ الابصار و إضطراب القلوب إنما هما حال لبست المسلمين مرة واحدة عند إستقبالهم لهذا المكروه . . أما الظن بالله سبحانه فهو أحوال متجددة بحدوث الحوادث ، تعاود المسلمين حالاً بعد حال . . . حيث يترددون بين الرجاء واليأس وبين اليقين والشك ، حسب الاحوال النفسية أو المادية التى تعرض لهم !

وفي جمع « الظنون » ـ جمع الظن وهو مصدر ـ دلالة على كثرة الظنون و أنواعها ، فظن المؤمنون الابتلاء والفتنة ، فخافوا الزلل و ضعف الاحتمال ، وظن المنافقون عدم صدق ما وعدهم الله تعالى إذ كانوا يقولون : « ما وعدنا الله

و رسوله إلاّ غروراً » و منهم من يقول : ان الكفار سيغلبون و يستولون على المدينة ، و منهم من يقول : ان الاسلام سينمحق والدّين سيضيع ، و منهم من يقول : ان الجاهلية ستعود كما كانت .

ومن فوائد جمع الظن: ان يعلم قطعاً ان فيهم من أخطأ الظن، فان الظنون المختلفة لاتكون كلها صادقة ، فاما أن تكون كلها كاذبة أو بعضها فقط ، و ان المقام مقام تقرير نتائج الخوف وشدته ، حيث ان العيون من شدة الخوف تتحرك زائغة يميناً و شمالاً ، و ان القلوب يشتد خفقانها حتى كأنها ترتفع من مكانها إلى الحناجر، وخاصّة الجبناء ، إذ يظنون ان محمداً ﷺ وأصحابه سيستأصلون و يستولى المشركون على المدينة و تعود الجاهلية سيرتها الاولى و ما إليها من الظنون التى تجول فى القلوب يومئذ بالنصر والغلبة ، و باليأس والهزيمة .

مع أن الظنون المختلفة كانت تعاود الشخص الواحد كما أنها تختلف من شخص إلى شخص . . فهناك من المؤمنين من هم على يقين من أمر ربهم فلا يظنون الاّخيراً ، و ان الله تعالى منجز لهم ما وعدهم فى عدوّهم . . إن لم يكن فى هذه المعركة ففى معارك اخرى قادمة إن لم يشهدوها هم فسيشهدها من بعدهم من إخوانهم . .

١١ - (هنالك ابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزالاً شديداً)

مستأنف بيانى سيق لتقرير الغاية للابتلاء بيوم الخندق ، حيث إستشعر المؤمنون يومئذ بالبلاء العظيم الذى ابتلوا به ، و «هناك» إشارة إلى زمان بعيد أو مكانه ، ولكن المراد منها فى المقام هو زمان مجيىء الجنود كان شديداً عليهم لغاية بعيدة ، والمعنى فى ذلك الزمان الشديد إمتحن المؤمنون .

و قوله تعالى : « و زلزلوا زلزالاً شديداً » بيان لما فى هذا البلاء من شدة هزّت كيان المسلمين هزاً حين إضطربوا خوفاً إضطراباً شديداً ، و مخضت مشاعرهم كما يمخض اللبن حتى تنكشف الرغوة عن الصريح .

١٢ - (و اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله و

رسوله الا غروراً)

عطف على « إذ زاغت الابصار » لبيان ما عرض للمنافقين و من فى قلوبهم مرض إذ كانوا يظنون بالله ظن السوء ، و كان قولهم فى مواجهة هذا الابتلاء هو الكفر الصريح ، و فى الاية كشف عن مطويات الضمائر ، و ما تخفى صدور المخالفين .

١٣ ـ (و اذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة و ما هى بعورة ان يريدون الا فراراً)

عطف على ماتقدم ، و سيق لبيان مقالة طائفة من طوائف هؤلاء المنافقين ، ومن فى قلوبهم مرض . . انهم لم يقفوا عند حدّ هذه الوساوس السوء من الظنون ، بل جاوزوا هذا إلى إذاعتها فى الناس، و إلى تيئيسهم و زعزعة ايمانهم ، فينادون فى الناس بهذا النداء الشيطانى المشئوم : « يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا » أى ما ذا تنتظرون ؟ و ما متعلقكم بتلك الأمانى الباطلة ؟ انكم مخدوعون . . فما مقامكم فيما أنتم فيه ؟ إرجعوا إلى دياركم و أهليكم ، حيث ان الأمن والسلامه ، والراحة من هذا العبث الذى لا شيء وراءه . . .

و فى مناداتهم بـ « يا أهل يثرب » و هو إسم مدينة قبل الاسلام مع غلبة إسم مدينة الرسول عليه بعد الهجرة ـ دعوة إلى ردّة ، يريدون بها دفع هذه المشاعر الجديدة التى عاش بها المسلمون فى مجتمعهم الجديد حيث إتخذت المدينة فى ظل الاسلام إسماً جديداً وهومدينةالرسول بدلاً من إسمها: «يثرب» الذى عاشت فيه مع الكفر والشرك ! انهم يريدون بهذا النداء أن يجلو عن المشاعر هذا الاسم الكريم كما أرادوا أن يجلو عنها الدين الحنيف !

و قوله تعالى : « و يستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة » عطف على محذوف ، سيق لبيان **إستجابة بعض المنافقين دعوة بعض الآخرين منهم،**

فاستجاب لها بعضهم و من في قلوبهم مرض ، و ان الدعوة هي : « يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا » و كانت الاستجابة لهذه الدعوة على اسلوبين : اسلوب الرجوع بلا إستئذان من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، و اسلوب الرجوع بعد الاذن منه صلى الله عليه وآله وسلم على أن المستجيبين على فريقين : فرقة إستجابوا للدعوة بلامهلة ولا إلتفات إلى شيء ، و لا مراجعة إلى أنفسهم أو إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، و فرقة أرادوا أن يداروا نفاقهم و يستروا ضعف ايمانهم بهذا العذر الذي كانوا يعتذرون به للنبي صلى الله عليه وآله وسلم و هو ان بيوتهم مهددة بمن يعتدى عليها ، و يهتك سترها . . . و هذا ما يشير إليه قوله تعالى حكاية لقولهم : « يقولون ان بيوتنا عورة » أي في عرضة الاعتداء عليها و على المدينة لأعدائنا . . .

في تلخيص البيان للسيد الرضي رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى : « يقولون ان بيوتنا عورة . . . » قال : و هذه إستعارة لان المراد بالعورة ههنا الموضع الذي يتوقى منه الرجل في الحرب والغيلة يقال : أعور فلان لعدوه أي أمكنه من ظهره . ومنه قولهم : رجل معوّر أي مكشوف العيوب لمن أراد عيبه وأصله : مأخوذ من عورة الانسان ، وهي ما يستفحش ظهوره للناس فكان المعنى: ان بيوتنا مكشوفة وللغارة معرّضة لان يدخل منها العدو إلى المدينة ، فصارت بمنزلة العورة للمدينة كما يخاف الرجل في الحرب أن يؤتى من عورة ، ويرى من موضع غفلة . إنتهى كلامه و رفع مقامه الشريف .

وفي قوله تعالى : « وماهي بعورة » تكذيب لتلك المقالة الكاذبة الفاجرة . . بأن بيوتهم ليست عورة ، بل هي في حمى المسلمين جميعاً ، و ما يجرى على بيوت المسلمين يجرى على بيوتهم .. فلودخل المشركون المدينة لما استباحوا بيوت هؤلاء المعتذرين وحدهم ، بل لاستباحوا بيوت المسلمين جميعها .

و قوله تعالى : «إن يريدون إلاّ فراراً» بيان للسبب الحقيقي لهذه المقالة **بأن هؤلاء المعتذرين ما يريدون بها إلاّ فراراً من هذا الموقف الذي هم فيه ،**

و ضناً بأنفسهم عن أن يشهدوا القتال ، و أن يكونوا فى المقاتلين .

١٤ـ (ولودخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيراً)

تقرير لمصداق ما أرادوا من الفرار عن نصرة النبى الكريم ﷺ و عن قتال المشركين معتذرين بما اعتذروا ، ومن هنا إذا طلب منهم الارتداد عن الاسلام لفعلوا بلاتردد .

وبيان لضعف إعتقادهم بما أظهروا فكأنه معلق بخيط دقيق ينقطع بأدنى هزة ، ولقوة ما أبطنوا من الكفر بحيث لو طلبوا بالارتداد لارتدوا بلاتلبّث .وفى ذلك ايماء إلى أن الايمان لاقرارله فى أنفسهم ،ولاأثر له فى قلوبهم ، فهو لايستطيع مقابلة الصعاب، ولامقاومة الشدائد ، فلاتعجب لاستئذانهم وطلبهم الفرار من ميدان القتال ، و ان شدة الخوف والهلع الذى تمكن فى قلوبهم مع خبث طويتهم و إضمارهم النفاق وإبطانهم الكفر ـ تحملهم على الاشراك بالله سبحانه والرجوع إلى دينهم عند أدنى صدمة تحصل لهم من العدو ، فايمانهم طلاء ظاهرى لاقرارله فى أنفسهم ولا أثر فى قلوبهم بحال ، فلاعجب إذاهم تسللوا لواذاً وبلغ الخوف من أنفسهم كل مبلغ .

مع أنهم يحرصون على حياتهم أكثر من حرصهم على ايمانهم أو حرمات بيوتهم حتى لو دخل المشركون على هؤلاءِ المعتذرين بيوتهم من كل مدخل منها ثم دعوهم إلى الخروج منها لخرجوا منها، ونزلوا عنها لهم من غير أن يدافعوا عنها ، ويؤدّوا حق حرمتها عليهم . .

وقوله تعالى : « دخلت عليهم ـ ثم سئلوا » فى ايثار الفعلين الماضيين المبنيين للمفعول إشارة إلى أن هؤلاءِ المنافقين و مرضى القلوب لحرصهم على الحياة الدنيا يسلّمون بيوتهم لأى داخل عليهم ، ودينهم لأى طالب منهم فراراً بأنفسهم.

و قوله تعالى : « وماتلبثوا بهاإلاّ يسيراً» إشارة إلى مبادرة هؤلاءِ المستخفين

بالحرمات إلى الخروج من دينهم من غير تأخير إلا ّ بمقدار الطلب والسئوال من الزمان ، فهؤلاءِ فتنوا في دينهم بموقفهم المتخاذل في مواجهة العدو ثم فرارهم من ميدان المعركة ، وخروجهم من دينهم بلاتردد .

١٥- (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهدالله مسئولاً)

تقرير لماكان هؤلاءِ المنافقون وعدوا النبي الكريم ﷺ بأن لا يفرّوا من معارك القتال ،وأن لايقعدوا عنه على طريق القسم ، و « يولون الادبار» بيان للعهد ، و«وكان عهدالله مسئولاً » بيان لحرمة العهد و تهديد بهم على نقضه ، و في إيثار الماضي «كان» تأكيد للسئوال عن العهد .

ان تسئل: كيف يصحّ أن يوجه السئوال إلى العهد ؟

تجيب : ان التقدير : كان عهدالله مسئولاً عنه للجزاءِ عليه ، فحذف «عنه» لانه معلوم لاخفاء .

١٦- (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون الا قليلاً)

قطع لتلك الآمال الكاذبة التي يعيش فيها اولئك الذين فرّوا من ميدان القتال ظانين ان ذلك يحفظ عليهم حياتهم، ويرد غائلة الموت عنهم ، وهم في هذا مخدوعون قد غطّى على أبصارهم حبّ الحياة حتى لقد أنساهم ذلك تلك الحقيقة الماثلة أمامهم ، وانهم مقضي عليهم بالموت المحكوم به على كل حيّ . وان هذا الفرار من الموت ـ على أية صورة من صوره حتماً أوقتلاً ـ إلى أين ينتهي بهم الطريق الذى يركبونه فارين منه ؟ انه منته بهم إلى الموت حتماً ، إن لم يكن اليوم فغداً أو بعدغد . . . انه آت لاشك فيه ، طال الطريق أم قصر .

وقوله تعالى : « من الموت أوالقتل » بيان للصورة التي يقع عليها الموت، وهوإما أن يكون موتاً طبيعياً ، أوفي حدث من الاحداث كالحرب وغيرها . . .

وقوله تعالى : « وإذاً لاتمتعون إلاّ قليلاً » وعيد شديد بهم ، وتهديد بانتهاءِ

آجالهم .

١٧- (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً)

تأكيد للتقرير المتقدم ، وتنبيه لهم على أن حياة الانسان مقضىّ مؤجل لا ينفع فرار من الزحف ، ولا وجه له ، وإنما هذا الفرار سوء ظن منهم بسلطان الله جل وعلا و قدرته ولو علموا بعض ما لله تعالى من علم وقدرة لما تحوّلوا عن هذا الموقف الذى هم فيه ،مقدرين ان الفرار ينجيهم من الموت أو القتل ، ويمدّ لهم فى آجالهم التى يخيل إليهم ان القتال سيختصر مقامهم فى الحياة الدنيا ، و يحصد حياتهم قبل أوانها . .

وتنبيه لهم أيضاً بأن الخير والشر تابعان لارادة الله تعالى محضاً ، فلا يمنع عن نفوذها سبب من الاسباب ، ولا يعصم الانسان منها أحد ، فالحزم ايكال الامر إلى إرادته تعالى والقرار على أمره بالتوكل عليه .

ان تسئل : إذا صحّ للانسان أن يطلب معتصماً يعتصم به حال الضر والسوء ، فكيف يصح أن يطلب معتصماً حين يراد به الخير والرحمة ؟ وإذا صحّ أن يفرّ الانسان من مواطن الخطر والشر ، فهل يصح أن يفرّ من مواطن الخير والاحسان؟ وإذاً فما تأويل قوله سبحانه : « من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة » ؟

تجيب عنه : أولاً : ان الانسان لا يملك مع أمر الله تعالى شيئاً ، وأن ما يساق إليه من سوء أو رحمة هو من عند الله جل وعلا ، فانه إذا رأى بلاء الله تعالى واقعاً به ، وطلب معتصماً يعتصم به ، وملجأ يلجأ إليه من هذا البلاء فلن يجد ، كما انه إذا أراد الله تعالى به خيراً ورحمة ، فان هذه الرحمة وذلك الخير لابد أن يصلا إليه مهما حاول هو ـ عن جهل وغباء ـ أن يفرّ منهما .

وثانياً : ان تقدير الانسان للامور لا يقع على وجه صحيح فى كل حال ،فقد

يفرّ من أمر ويعرض عنه، متكرهاً له، طالباً السلامة منه، وهو في صميمة خير له وبركة عائدة عليه وان الله تعالى، لوأراد به الخير لأمسكه على هذا المكروه،و لماصرفه عنه،ولوأراد به السوء لخلّى بينهوبين ما أراد، فيقع في المكروهالذى يتوقع النجاة منه باعراضه عنه وفراره منه، وذلك بما يفوته من الخير المطوى في هذا المكروه.

قال الله تعالى: «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهوخير لكم وعسى أن تحبّوا شيئاًوهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون» البقرة: ٢١٦) وهذا هوحال المنافقين الذين يفرّون من معارك القتال، فانهم تكرهون هذا الامر ويفرّون منه، وهوفي صميمه خيرورحمة و بركة، وإذا لم يرد الله تعالى بهم خيراً، فقد خلّى بينهم وبين ماأرادوا، على حين انه تعالى امسك على هذا المكروه من أراد بهم الخيروالرحمة من عباده المؤمنين.

وقوله تعالى: «ولايجدون لهم من دون الله ولياً ولانصيراً» تأكيد لما قبله و نفى له، وحث على الاعتصام بالله والاتكال عليه تعالى وترك النفاق والفرار من القتال، وتهديدبهم إذاخالفوا. ووجه الالتفات من الخطاب: «يعصمكم -بكم» إلى الغيبة: «لايجدون» لعلهان الخطابكان لهؤلاءِ المنافقين، ومرضى القلوب، وهم فيحضورمع المؤمنين فيمعركة القتال، يعيشون بتلك الخواطر المريضة والمشاعرالكاذبة، ويديرونفي كيانهم وجوه الاعذارالتى يعتذرون بها للفرارمن هذا الموقف.. هذا هوحالهم قبل أن يفرّوا.. فلما إجتمع لهم الرأى على الفرار -كان الحكم عليهم غيابياً فيمواجهة المؤمنين.. فلايستمعون هم إلىهذا الحكم، ولايدرون ماذا يريد الله بهم، حتى يفجؤهم العذاب، وينزل بهمالبلاء، وهم فيغفلة.. وفيهذا بلاء فوق البلاءِ وعذاب فوق العذاب.

١٨- (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولايأتون البأس الاقليلا)

مستأنف سيق لكشف موقفين من مواقف المنافقين ، و مرضى القلوب : موقف التخلف عن الخروج للقتال ، وموقف إمساك غيرهم معهم عن الخروج ، وتزيين القعود لهم مع القاعدين . وفى ايثار المضارع «يعلم» باعتبار تجدد أفعال المنافقين ، وفيه تهديد وتحذير لهم من أن يقعوا فى هذا المحظور المنكر قبل أن يقع . وفى «والقائلين لاخوانهم هلم إلينا» دلالة على أنهم يقولون هذا وكانوا هم خارجين من معسكر النبى ﷺ متوجهين نحو المدينة فراراً من الزحف إذ لو كانوا فى المعسكر لاعتذروا وتأخروا منهم ما أمكن لهم .

١٩ـ (أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً)

توصيف لهم بالجبن والخوف ، وبالبخل والفخر الكاذب ، وما إليها من دنى الصفات بعد أن فضحت الايات السابقة ما فى قلوبهم من زيغ ، وما فى نفوسهم من مرض . . فهم إذا جاء الخوف أى حضر البأس والقتال . . وقد عبّر القرآن عنه بالخوف بالاضافة إليهم لان القتال يطلع عليهم بما يملأ نفوسهم خوفاً وهلعاً أما المؤمنون فانهم إذا جاء القتال ، وفى إقامة الخوف مقام القتال إشارة إلى أن المنافقين أجبن الناس ، وأشدهم حرصاً على الحياة ، وان مجرد ذكر كلمة الحرب عندهم تملأ قلوبهم فزعاً ورعباً ـ فالحرب بالاضافة إليهم خوف متجسد . .

وقوله تعالى : «رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت» تصوير للحال التى تستولى على هؤلاء المنافقين ، ومرضى القلوب حين تتحرك أمامهم أشباح الحرب ، وتلوح لهم جيوش العدو فكيف يكون حالهم من الفزع والرعب حين يلقون العدو وتسل السيوف وتشرع الرماح ؟ انهم يموتون بصعقات الخوف قبل أن يموتوا بضربات السيوف وطعنات الرماح ! !

وان الخطاب «رأيتهم . . .» للنبى ﷺ ونظرة المنافقين إلى النبى ﷺ

نظرة مذعورة يائسة تطل من أشباح مضطربة متهالكة متهاوية . .

و في تلخيص البيان : في قوله تعالى : «فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد» قال : وهذه إستعارة والمراد ب«سلقوكم» ههنا طعنوكم بألسنتهم وغمروكم بذمهم وعيبهم ، وأصل السلق شدة وقع الصوت ، ومنه خطيب سلاّق و مسلاق ـ وعندي ان ذلك مأخوذ من قولهم : سلق الراكب ظهر البعير إذا أدبره يسلقه سلقاً فيكون قوله تعالى : «سلقوكم بألسنه حداد» أي أثروا فيكم بأقوالهم و حزّوا في قلوبهم بكلامهم كما أثر هذا الراكب في ظهر البعير بأدمان السير و انماط الرحل ، و وصف الألسنة بالحدة محض الاستعارة تشبيهاً لها بمضارب الصفاح ولهاذم الرماح لشدة وخزها في القلوب وحزّها في الجنوب .

وقوله تعالى: «أشحة على الخير» بيان لما دعاهم إلى بسط ألسنتهم فيهم وهو قلة ثقتهم بالله جل وعلا لعدم تمكن الوازع النفسي في قلوبهم .

وقوله تعالى : «اولئك لم يؤمنوا» تشهير بهم ، وفضح لهم على الملأ ، و تعرية لهم من الايمان الذي لبسوه ظاهراً ، ولم يفسحوا له مكاناً في قلوبهم . . . وبعد الاشارة لبعد منزلتهم وهذا هو وجه الالتفات من خطاب الجمع إلى الافراد فتدبر جيداً .

وقوله تعالى : «وكان ذلك على الله يسيراً» إشارة إلى ما يقع على أعمالهم من إحباط لها كلها ، فلا ينجح لهم كيد ، ولا يستقيم لهم تدبير، انهم يكيدون لله جل وعلا ويحاربون ربهم بهذه الأسلحة الباطلة ، والله لا يصلح عمل المفسدين .

۲۰ـ (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون في الاعراب يسئلون عن أنباءكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا)

تقرير لطرف آخر من جبن المنافقين وخوف مرضى القلوب وهلعهم التي لحقت بهم ، وبيان لثباتهم على الكفر مع مشاهدتهم هذه المعجزة العظيمة من غلبة المسلمين مع قلتهم على الكافرين مع كثرتهم . ومن جملة جبنهم و ضعف

إحتمالهم انه : « وإن يأت الاحزاب . . .» كرة ثانية تمنوا «انهم بادون» أى خارجون إلى البدو حاصلون فيما بين الاعراب حذراً من عيان القتال ، وعن مسرح الحرب لحرصهم على الحياة الدنيا ، ومن أجلها كانوا يبيعون الشرف والمرؤة والرجولة . فيكون حالهم إذ ذاك انهم : «يسئلون عن أخباركم» قانعين من العيان بالأثر ومن الحضور بالخبر.

وقوله تعالى : «يسئلون عن أنباءكم» مستأنف بيانى مسوق لكشف حال من أحوال المنافقين ، وهوانهم لما ركبهم الخوف و الجبن كانوا يسئلون عن أنباء المسلمين فى جبهة القتال لاإطمئناناً على المسلمين ، ولكن إستكشافاً للامر، وتعرّفاً على الموقف حتى يأخذوا العدو لانفسهم على الوجه الذى يرونه، فان جائتهم الأنباء بأن المسلمين رجحت كفتهم ، وهبّت عليهم ريح النصر انحازوا إليهم وخلصوا أنفسهم بهم ، وإن كان الامر على غير هذا ، فلن يعدموا وسيلة يتوسلون بها إلى الأحزاب . . .

وقوله تعالى : «ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلّا قليلاً» إنكار على المنافقين أن يسئلوا عن أنباءِ هذا الموقف ، وهم بمعزل عنه وكان الامر يقتضيهم أن يشاركوا فى القتال ، وأن يكونوا بين المقاتلين إن لم يكن ذلك دفاعاً عن الدين ، فليكن عن الاهل والدار والوطن ! !

ومع هذا فانه لم يفت المسلمين خير كثير من تخلّف هؤلاء المتخلّفين لانهم لو شهدوا القتال لما قاتلوا ،أو قاتلوا قتال المنحرفين الذين يطلبون السلامة لانفسهم قبل كل شيء : «ولو كانوا فيكم» أى لو شهدوا القتال معكم : «ما قاتلوا إلاّ قليلاً» أى لم يكن لهم إلاّ قتال هزيل لاأثر له .

٢١ـ (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله و اليوم الاخر وذكر الله كثيراً)

عتاب للمتخلفين عن معارك القتال ، وحثّ جميع المكلفينِ على مواساة

النبي ﷺ وموازرته كماواساهم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مداحض الاقدام . . . وفي ايثار الماضي : «لقدكان لكم» الدال على الاستقرار وا لاستمرار إشارة إلى كونه تكليفاً ثابتاً مستمر المدى . . .

ان تسئل: ما حقيقة قوله تعالى : «لقدكان لكم في رسول الله اسوة حسنة»؟

تجيب عنه بوجهين: أحدهما ـ انه ﷺ نفسه أسوة حسنة أي قدوة و الاسوة : إسم للمتأسى به أي المقتدى به كما تقول في الذهب عشرون مناً حديداً أي هي في نفسها هذا المقدار. ثانيهما ـ أن فيه ﷺ خصلة من حقها أن يؤتى بها وتتبع ، وهي مواساته بنفسه أصحابه وصبره على الجهاد وثباته يوم احد حين كسرت رباعيته وشج وجهه .

وفي وصف الاسوة بانها اسوة حسنة إشارة إلى أن هناك اسوة سيئة يقوم على رأسها كبير من كبار المنافقين يدعو إلى النكوص على الاعقاب والفرار من مواجهة الاحزاب . . .

والدعوة هنا عامة للمؤمنين أن يقتدوا برسول الله ﷺ وأن يكونوا من ورائه جنداً مجاهدين في سبيل الله تعالى ، فذلك هو طريق الخير و الفوز لا ييسره الله إلا لمن كان يؤمن بالله جل وعلا ويرجو ماعنده من الجزاء ، وكان ذكر الله تعالى دائماً ملء قلبه حتى يجد من هذا الذكر ما يستحضر به عظمة الله جل وعلا وفضله وإحسانه ، فيصبر على البلاء ويستخف بالحياة الدنيا في سبيل رضوان الله في الاخرة .

فقوله تعالى: «لمن كان يرجو الله» بدل من قوله : «لكم» وهو تخصيص بعد العموم للمؤمنين ، وذلك للدلالة على أن التأسي برسول الله ﷺ خصلة جميلة زاكية لا يتصف بها كل من تسمّى بالايمان ، وإنما يتصف بها جمع ممن تلبّس بحقيقة الايمان ، وتعلق قلبه بالله تعالى فآمن به وتعلق قلبه باليوم الآخر فعمل صالحاً ومع ذلك ذكر الله كثيراً فكان لا يغفل عن ربه ، فتأسّى بالنبي ﷺ في

أفعاله وأعماله . . .

٢٢- (ولمارأ المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم الا ايماناً وتسليماً)

هذا وصف لحال المؤمنين لما شاهدوا الاحزاب ، و نزول جيوشهم حول المدينة ، فكان ذلك سبب رشدهم وتبصّرهم فی الایمان ، وتصديقهم لله تعالى و لرسوله ﷺ على خلاف ماظهرمن المنافقين ومرضى القلوب من خوف و جبن وإرتياب وسيّىء القول .

وقوله تعالى : «وصدق‌الله ورسوله» إنماأظهر الاسمين هنامع تقدم‌ذكرهما آنفاً لئلايكون الضمير الواحد عن الله تعالى وغيره .

٢٣- (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلا)

وصف لبعض الكلمة من المؤمنين الذين صدقوا عند اللقاء واحتملوا البأساء والضراء ، إذ فی «رجال» إشارة إلى ان منهم اناساً قد كملت رجولتهم ، وسلمت لهم انسانيتهم ، فكانوا رجالاً حقاً لم ينتقص من انسانيتهم شيء . . فالكفر والشرك والنفاق وضعف الايمان كلها أمراض خبيثة ونقائص تغتال إنسانية الانسان ، و تفقده معنى الرجولة فيه . . فالرجل كل الرجل هومن تحرر عقله من الضلال وصفت روحه من الكدر و سلم قلبه من الزيغ . . ثم لاعليه بعد هذا ألا يمسك بيده شيء من جمال الصورة أو وفرة المال أوقوة السلطان ، مع أن في تنكير «رجال» معنى التفخيم والتعظيم مالا يخفى على القارىء الخبيرأى رجال في غاية العظمة عندنا .

وقوله تعالى : « ومنهم من ينتظر » إشارة إلى أن المؤمن وصادق‌الايمان ينتظر لقاء ربه ـ مضافاً إلى‌إنتظاره‌لقضاء الله تعالى‌فيه موتاً أو إستشهاداً فی‌معركة القتال ـ وهوفی‌شوق إلى‌هذا اللقاء يعدّله‌للخطاب ، ويستطيل أيام الحياة‌الدنيا

في طريقه إلى ربه . . شأن من ينتظر أمراً محبوباً هوعلى موعد معه .

وقوله تعالى : « وما بدّلوا تبديلاً » إشارة إلى أن ايمانهم بالله تعالى ، و يقينهم بلقاءِ جزائه لم يزايل مكانهمن قلوبهم لحظة ، ولم ينحرف عن موضعهأي انحراف . . فهم على حال واحدة من أمر ربهم ، ومن الثقة بما وعدهم الله جل و علاعلى يدرسوله ﷺ على حين أن كثيراً ممن كان معهمممن أسلموا ، ولميدخل الايمان فيقلوبهم قد بدّلوامواقفهم ، وكثرت تحركاتهم بين الايمانوالكفر .

٢٤- (ليجزى الله الصادقين بصدقهم و يعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفوراً رحيماً)

تعليل لهذا الابتلاءِ والتمحيص ، و بيان لغاية جميع من تقدم ذكرهم من المنافقين والمؤمنين ، وفى إقامة الظاهر : « الصادقين » مقام المضمر ولم يقل : « ليجزيهم الله » تنويه بهم ، ولالباسهم هذه الصفة التى حققوها فى أنفسهم ، وهى الصدق فكانوا الصادقين حقاً . . ولم يذكرالقرآن ما يجزيهم الله به إشارة إلى انه جزاء معروف ، وهوالاحسان . . فما يجزى المحسنون إلاّ إحساناً كما يقول تعالى : « هل جزاء الاحسان إلاّ الاحسان » الرحمن : ٦٠) فهوجزاء لا يحتاج إلى بيان .

وقوله تعالى : « ويعذب المنافقين إن شاء أويتوب عليهم » فى قيدالعذاب بالمشيئة الالهية إشارة إلى أن رحمةالله تعالى قد تدركبعض المنافقين،فيعدلون عن طريق النفاق بالتوبة والاستغفار، وإذنفليطلب المنافق السلامة لنفسهوليسع سعيه ليكون ممن يتوب الله تعالى عليهم ، وليعلم أن فيهؤلاءِ المنافقين من هو أهل للعذاب ، فعلى المنافق أن يحذرما استطاع أن يكون منهم . . ثم ليعلمقبل هذاكله ان الامرلله تعالى من قبل ومن بعد ، وان المطلوب منه ، هو أن يعمل على سلامة نفسه وأن يطلب الخيروالسعادة وحسن الجزاء لها ، وليس له أن يعلم ماالله تعالى قاض فيه ! فذلك لله وحدهلاشريك له فيه .

وقوله تعالى : « ان اللهٰ كان غفوراً رحيماً » مستأنف فيموضع التعليل ، و حث على الاستغفاروالتوبةفي كل حين ، وبيان نفعها للتابعين ، وإطماع في رحمة اللهٰ جل وعلا وفي مغفرته للعصاة والمذنبين أياًكان ماهم فيه من ضلال . . فرحمة اللهٰ واسعة ، ومغفرته عامة لمن طمع في رحمته ومغفرته ، وعمل على مصالحةربه والتوب إليه .

قيل : فيالاية من حيث كونهابيان غايةنكتة لطيفة هي ان المعاصي ربما كانت مقدمة للسعادة والمغفرةلابما أنها معاص بل لكونها سائقة للنفس منالظلمة والشقوة إلى حيت تتوحش النفس وتتنبه فتتوب إلى ربها ، وتنتزع عن معاصيها وذنوبها فيتوب اللهٰ عليها فيالغاية .

٢٥- (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً)

تتميم للنعمة التي سبق ذكرها فيقوله تعالى : « فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها » ووسط بينهما بهذا الاعتراضبتلك التعقيبات على ماذكر من أحداثها ، وبايضاح مانزل بهم من الطامة التي تحير العقول والافهام ، والداهية التي زلت فيها الاقدام وما صدرمن الفريقين : فرقة صالحة مؤمنة ناجية . و فرقة كافرة هالكة ونافقة ضالة من الاحوال والاقوال لاظهارعظمة النعمة ، وإبانةجليل خطرها ومجيئها حين إشتداد الحاجة إليها .

وقوله تعالى : « لم ينالوا خيراً » تأكيد لما أصاب الاحزاب من خزيو كمد ، وانه لم يكن لهم في كيدهم هذا الذيكادوا أي وجه من وجوه النفع بل كان شراً خالصاً و بلاء محضاً .

وقوله تعالى : « وكفى اللهٰ المؤمنين القتال » إظهار للمنة التي إمتن اللهٰ جل وعلا بها على المؤمنين بامامهم علي بنأبيطالب عليه السلام بقتله عليه السلام عمروبنعبدود العامري وكان ذلك سبب هزيمة الاعداء ومه عليه السلام دفع هذا المكروه الذي نزل

بساحة المؤمنين ، وأوشك أن يشتمل عليهم دون أن يكون منهم قتال .

وقوله تعالى : « وكان الله قوياً عزيزاً » مستأنف بيانى سيق لماالله تعالى من سلطان قاهر ، وقوة غالبة ، فلا يملك أحد مع سلطان الله سلطان ، ولامع قوة الله جل وعلا قوة ، وفي الجملة ايماء إلى أن الامام أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان مقوياً بقوة الله تعالى ، ومؤيداً من عنده جل وعلا فى قتل عمرو بن عبدود .

٢٦- (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتاسرون فريقاً)

إشارة إلى مشهد جهادى ضد فريق من أهل الكتاب وهم اليهود الذين خرجوا وعاونوا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و لعل التعبير بالانزال دون الاخراج لان المتحصنين يصعدون بروج الحصون ، ويشرفون منها و من أعالى الجدران على أعدائهم في خارجها ومعاصريهم .

فى تلخيص البيان : فيقوله تعالى : « وقذف فى قلوبهم الرعب » قال :و هذه إستعارة والمراد بها انه تعالى ألقى الرعب فيقلوبهم من أثقل جهاته ، وعلى أفظع بغتاته تشبيهاً بقذفة الحجر إذ صكّت الانسان على غفلة منه فان ذلك يكون أملأ لقلبه وأشد لروعه . إنتهى كلامه ورفع مقامه .

وقوله تعالى : « فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً » بيان لما انتهى إليه أمر اليهود فيهذه الغزوة فقد مكّن الله تعالى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين منهم فنزلوا على حكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيهم ، فقتل من قتل وأسر من اسر .

ان تسئل : لم لم يعبّر تعالى فى الجملتين المتعاطفتين بنسق واحد و لم يقل : « فريقاً تقتلون و فريقاً تأسرون » ولا العكس ؟ وما النكتة فى ذلك ؟

تجيب : لعل السّر فى التغيير هو لرعاية الفواصل حيث ان آيات سورة الاحزاب كلها تمت بالالف إلا آية : ٤) مع إحتمال الاشارة إلى أن الاسر كالقتل من غير فرق ولافاصل بينهما ، فاتصالهما فى الالفاظ يشير إلى إتصالهما فى المعنى .

وقيل : قدّم مفعول«تقتلون» لان القتل وقع على الرجال ، وكانوا مشهورين وكان الاعتناء بحالهم أشد ولم يكن فى الاسراء هذا الاعتناء بل بقاء هم هناك بالاسر أشد لانه لو قال : «وفريقاً تأسرون» فاذا سمع السامع قوله : «وفريقاً» ربما ظن انه يقال بعده : يطلقون أولا يقدرون على اسرهم ولمثل هذا قدم قوله: «وأنزل» على قوله: «وقذف» وإن كان قذف الرعب قبل الانزال ، وذلك ان الاهتمام والفرح بذكر الانزال أكثر.

٢٧ـ (وأورثكم أرضهم و ديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً)

بيان لما أنعم الله تعالى على المسلمين بعد أن أجلوا اليهود العنيد عن مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأورث المسلمين ماكان لليهود من أرض و ديار وأموال ، فلابد للمسلمين من أن يذكروا الله جل وعلا ويشكروه .

وقوله تعالى : «وأرضاً لم تطؤها» إشارة إلى ماسوف يورّث الله جل وعلا المسلمين بعد ذلك من أرض لم يطئوها من قبل . . وهى أرض خيبر أو الارض التى وراء حدود الجزيرة العربية ، مماستمتد إليه فتوح المسلمين ، وتطلع عليه شمس الاسلام ، فى مشارق الارض ومغاربها . . .

وقوله تعالى : «وكان الله على كل شيء قديراً» مستأنف سيق لتأكيد ما وعدهم الله تعالى من فتح البلاد ، وتطمين لقلوب المؤمنين على مستقبل الاسلام الذى وعدهم الله جل وعلا بنصره وإعزازه والتمكين له فى الارض ، فان هذا الوعد من الله جل وعلا القوى العزيز الذى بقوته وعزته يجعل من هؤلاء القلة من المسلمين كثرة ، ومن ضعفهم قوة تنهار أمامها قوى أعظم دولتين كانتا تسيطران على العالم فى هذا الوقت ، وهما دولتا الفرس والروم .

وفى الاية إشارة إلى ما أراد الله تعالى باليهود العنيد من إذلال ومهانة و مسكنة ، فقد عرضهم جل وعلا فى عرضة الاستباحة والاستخفاف بدمائهم وأموالهم

وديارهم وإغراء المسلمين بهم ، ففي قوله تعالى : «فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً» إستباحة لدمائهم وإراقتها بغير حساب ، وفي قوله جل وعلا : «وأورثكم أرضهم و ديارهم وأموالهم» دعوة للمسلمين إلى تمكين أيديهم من هذا الذي كان في يد القوم، فالمسلمون أحق به منهم وأولى . .

٢٨- (يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسر حكن سراحاً جميلاً)

خطاب للنبي الكريم ﷺ ، وأمر له ﷺ من الله جل وعلا أن يلقي نساءه بهذا القول الذي أمره ربه أن يلقاهن به ،وأن يعرف رأيهن فيه ،وموقفهن منه ﷺ فخيّرهن بين أن يطلق الرسول ﷺ سراحهن ويمتعن متعة المطلقات لتأخذ كل واحدة منهن حظها الذي تقدر عليه من متاع الحياة الدنيا خارج بيت النبوة ، وبين أن يرضين الحياة مع رسول الله ﷺ على تلك الحال التي هن فيها في بيت النبي ﷺ .

وفي الاية تنبيه لازواج النبي ﷺ بأن ليس لهن من الدنيا و زينتها إلاّ الكفاف والعفاف إن اخترن زوجية النبي ﷺ وان الاية وتاليها تلهمان: ان النبي الكريم ﷺ كان يعيش في بيته عيشة شظف و زهدوان أزواج النبي ﷺ أو بعضهن كانت لايرتضين ذلك ، وهوماأيدته الروايات التي تبلغ حداليقين كثرة وتواتراً ، فلما وسع الله تعالى بما وسع ظن نساء النبي ﷺ انه آن لهن أن ينعمن بالحياة وتتسع نفقاتهن فطالبن بما أزعج النبي ﷺ لم يكن الفقر هو الذي جعله يعيش عيشة الزهد والشظف ، وإنما كان ذلك بسبب إستغراقه في الله تعالى ودعوته وصالح المؤمنين إستغراقاً لم يبق به محل للتفكير في نعيم الدنيا ومتاعها ، فلم يلبث الوحي أن نزل بهذا الفصل الرائع في اسلوبه وتلقينه ومداه.

فواجبات النبوة ومهماتها أعظم من أن تتسع للحياة الدنيا وزينتها،وايمان النبي الكريم ﷺ بمهمته وإستغراقه فيها يملآن كل فراغ منه ، وسدّ الخلة

بالكفاف هو كل الكفاية بالنسبة للمظهر أو الاحتياج الانسانى المادى فى النبى ﷺ وما دخل فى حيازته ، فهو لصالح المسلمين بعد التصرف بما فيه الكفاف لعيشته ، ونساء النبى ﷺ جزء منه ليس لهن معدى من السير بسيرته إذا كن يفضلن البقاء فى عصمته والاحتفاظ بشرف الصلة العظيم به .

وقوله تعالى : «فتعالين امتعكن» جزاء لمن أراد منهن الحياة الدنيا و زينتها ، ومفارقة النبى ﷺ بالطلاق والتمتع من مال الدنيا .

وما يظهر من الآية وتاليها : ان الله تعالى أمر نبيه ﷺ بتخيير أزواجه ﷺ بين أن يردن الحياة الدنيا وزينتها وبين أن يردن الله جل وعلا ورسوله والدار الاخرة ، وهذا التخيير والترديد يدل أولاً ان الجمع بين سعة العيش و صفائها بالتمتع من الحياة وزينتها وزوجية النبى ﷺ والعيشة فى بيته ﷺ مما لا يجتمعان .

وثانياً ان كلا من طرفى الترديد مقيّد بما يقابل الآخر ، و المراد بارادة الحياة الدنيا وزينتها : جعلها هى الاصل سواء اريدت الآخرة أم لا ، و المراد بارادة الآخرة : جعلها هى الأصل فى تعلق القلب بها سواء توسّعت معها الحياة الدنيا ونيلت الزينة وصفاء العيش أم لم يكن شىء من ذلك ، ثم الجزاء أعنى نتيجة إختيارهن كلاً من طرفى الترديد مختلف ، فلهن على تقدير إختيارهن الحياة الدنيا وزينتها بمفارقة النبى ﷺ أن يطلّقهن ويمتّعهن جمعاء من مال الدنيا ، وعلى تقدير بقائهن على زوجية النبى ﷺ وإختيار الاخرة على الحياة الدنيا وزينتها الأجر العظيم عند الله تعالى لكن لا مطلقا بل بشرط الاحسان وصالح الاعمال...

ويظهر من ذلك أن ليس لزوجيّة النبى الكريم ﷺ من حيث هى زوجية كرامة عند الله تعالى وإنما الكرامة لزوجيته المقارنة للاحسان والتقوى ، و لذلك لما ذكر ثانياً علوّ منزلتهن قيّده أيضاً بالتقوى إذ قال : «لستن كأحد من النساء إن اتقيتن» وهذا كقوله تعالى فى نبيه ﷺ وأصحابه : «محمد رسول الله

والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً - إلى قوله - وعدالله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات أجراً عظيماً» الفتح : ۲۹) حيث مدحهم عامة بظاهر أعمالهم أولاً ثم قيّد وعدهم الأجر العظيم بالايمان و صالح الاعمال . . .

۲۹- (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً)

ان المقابلة بين هذه الاية وما قبلها تقيّد كلاً منهما بخلاف الاخرى و عدمها . . و قوله تعالى : « فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً » جزاء لمن أراد منهن زوجية النبى صلى الله عليه وآله وسلم واختارت الاخرة على الحياة الدنيا وزينتها ولكن لاعلى الاطلاق بل بشرط الاحسان وصالح الاعمال . . . وفيه دلالة على أن أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن كلهن محسنات و إن اخترن زوجية النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولم يطلقن ، ولكنهن بقين على زوجيته من غير رضاءِ على ضيق العيش والحرمان من زينة الحياة الدنيا .

۳۰- (يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً)

تلوين الخطاب و توجيهه إليهن لاظهار الاعتناءِ بنصحهن وعظتهن ،ولتهديد هن اذا هن فعلن ما يسوء النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأوعدهن بمضاعفة العذاب ، ولتسجيل ما لهن من التكليف وزيادة التوكيد ، وندائهن ههنا وفيما بعده بالاضافة إليه صلى الله عليه وآله وسلم لانها التى يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام . . .

فى تلخيص البيان فى قوله تعالى : «من يأت منكن بفاحشة مبينة» قال : و هذه إستعارة على قراءة من قرأ «مبينة» بكسر الياءِ فكأنه تعالى جعل الفاحشة تبين حال صاحبها وتشير إلى ما يستحقه من العقاب عليها ، وهذا من أحسن الاغراض وأنفس جواهر الكلام .

وقوله تعالى : «وكان ذلك على الله يسيراً» مستأنف بيانى سيق للاشارة إلى أنه لامانع من ذلك من كرامة الزوجية ونحوها إذلا كرامة إلّا للتقوى و زوجية النبى صلى الله عليه وآله وسلم إنما تؤثر الأثر الجميل إذا قارن التقوى وأما مع المعصية فلاتزيد إلّا بعداً ووبالاً . وفى ايثار الماضى «كان» تأكيد للوعيد . وفى الاية دلالة على ايذاء بعض أزواج النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى الحياة الدنيا ، وان الآية و تاليها تقرير وتوضيح بنحو لما يستفاد من قوله تعالى : «فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً» إثباتاً ونفياً .

٣١- (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين و أعتدنا لها رزقاً كريماً)

ان الاية الكريمة تقابل الآية السابقة إذ فيها مقام الاساءة وجزائها ، وفيها مقام الاحسان وجزائه ، وكما ان زلة أهل الاحسان كبيرة ومؤاخذتهم عليها أكبر ، فان إحسانهم عظيم وجزاءهم عليه أعظم . وفى عطف «رسوله» على «الله» تكريم عظيم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإشارة إلى مقامه العظيم عند ربه ، وقوله تعالى : «وتعمل صالحاً» عطف على «يقنت» إشارة إلى أن القنوت ـ وهو الولاء والخشوع ـ من عمل القلب . . وانه لكى يكون لهذا القنوت أثر ينبغى أن يخرج إلى مجال العمل هو المحك الذى يظهر عليه ما فى القلب من مشاعر ومعتقدات . . .

وقوله تعالى : « نؤتها ـ وأعتدنا » فى الالتفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير ايذان بالقرب والكرامة لمن اختارت الاخرة ، وأعرضت عن الحياة الدنيا خلاف البعد والخزى المفهوم من قوله تعالى : «يضاعف لها العذاب ضعفين» .

وقوله تعالى : « رزقاً كريماً » لعل الوجه فى وصف الرزق بالكريم : ان رزق الدنيا ولو كان مقدراً من الله تعالى ، ولكنه يجرى على أيدى الناس ـ مضافاً إلى الاسباب الارضية والسماوية ـ كالتاجر الذى يسترزق من السوق ، والصناع من المستعملين ، والملوك من الرعية ، والرعية بعضهم من بعض بالاسباب

فالرزق فى الحياة الدنيا لايأتى بنفسه وبلاواسطة ، وإنما هو مسخّر للغير يمسكه ويرسله ، وأما رزق الآخرة فلايكون له مرسل وممسك ، وإنما يأتى بنفسه باذن الله تعالى ، فلذلك وصف بالكريم . فالمعنى : ان الرزق الكريم ما سلم فى كل آفة ونقصان يجرى بنفسه إلى المرزوق .

٣٢- (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلاتخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً)

بيان لنفى مساواتهن لسائر النساء «إن اتقيتن» ورفع منزلتهن على غيرهن كالعالم العامل بالنسبة إلى عوام الناس مع ايمانهم ، وإلتزامهم بلوازم الايمان و فى تقييد الفضيلة بالتقوى تنبيه لهن بأن فضيلتهن بالتقوى لاباتصالهن بالنبى ﷺ . وفى النداء دعوة لهن إلى تلك الصفة الرفيعة لاشأن لغيرها من الصفات بدونها .

وقوله تعالى : «فلاتخضعن بالقول» بيان لموارد التقوى ، وان الخضوع بالقول : مضغ الكلام ولينه تدللاً ، وهذا من المرأة أشبه بكشف العورة وإبداء الزينة إذكان الصوت من بعض مفاتنها . . وصوت المرأة إذاكان على طبيعته لاشيء فيه بما فى التصنع الذى يجعل من صوتها داعياً يدعو إلى الريبة ، و إثارة شهوة الرجال . وان غيرهن مشتركات بهن فى تلك الخصال ، ويجب عليهن كما يجب على غيرهن ، والتقوى هو التقوى والعفة هى العفة ، وإنما عدم التساوى والترفع لهن لاختيارهن الاخرة ، وقربهن من النبى ﷺ وهن مترددات بين الحياة الدنيا والتمتع بها ، وبين الاخرة والصبر على ضيق العيش ، ومن أجل ذلك فعذابهن على ما يقترفن من إثم ومعصية ، وثوابهن على ما يفعلن ما صالح و يظهرن من الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ مضاعفان . .

قيل : فتصدير الكلام بقوله تعالى : «لستن كأحد من النساء إن اتقيتن» ثم تفريع هذه التكاليف المشتركة عليه ، يفيد تأكّد هذه التكاليف عليهن كأنه

قيل : لستن كغير كن فيجب عليكن أن تبالغن فى إمتثال هذه التكاليف،وتحتطن فى دين الله جل وعلا أكثر من سائر النساء . وتدل على تأكّد تكاليفهن مضاعفة جزائهن خيراً وشراً كما دلّت عليها الآية السابقة ، فان مضاعفة الجزاء لاتنفك عن تأكّد التكليف .

٣٣- (وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انمايريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)

أمر من الله تعالى لنساء النبى ﷺ بلزوم بيوتهن، ونهاهن عن الجاهلية القديمة بأن لايغشين المجالس والطرقات . . . وان بيوتهن هى مساجدهن لابد أن يعشن فيها ، بعيدات عن صخب الدنيا ومتاعها ، وأمرهن الله تعالى أمراً خاصاً باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، ثم أمرهن أمراً عاماً لجميع الطاعات لله جل وعلاو لرسوله ﷺ ، وخصّ تعالى هذين الامرين بالذكر لكونهما ركنين فى العبادات والمعاملات ولما لهما من كبير الآثارفى تزكية النفس وطهارة المال . وإضافة البيوت إلى أزواج النبى ﷺ إضافة محل .

قيل : **إن** تسئل : كيف أمرالله تعالى نساء النبى ﷺ بالزكاة فى قوله تعالى ، «وآتين الزكاة» ولم يملكن نصاباً حولاً كاملاً ؟ تجيب : ان المرادبالزكاة هنا الصدقة النافلة ، فالامرأمر ندب .

وقوله تعالى : «إنما يريد الله» من هنا إنقطعت مخاطبة نساءالنبى ﷺ وأخذ بالخطاب لأهل بيت رسول الله ﷺ ، و كلمة «إنما» تدل على حصر إرادة الله تعالى فى إذهاب الرجس ، والتطهير كما يدل تقديم «عنكم» على «الرجس» على إختصاص إذهاب الرجس والتطهير بالمخاطبين «عنكم»فقط . وفيه من الدلالة على العصمة ممالايخفى على عاقل منصف حرّ ، ذى فطرة سليمة مستقيمة ، و فى الجملة إلى تمامها قصران : قصر الارادة فى إذهاب الرجس والتطهير، وقصر

إذهاب الرجس والتطهير في أهل البيت المخصوصين بالنبي الكريم بخصوصية خاصة .

وذلك لأن لفظة «إنما» محققة لما أثبت بعدها ، ونافية لما لم يثبت ، فان قول القائل : إنما لك عندى درهم ، وإنما فى الدار زيد ، يقتضى : انه ليس عنده سوى الدرهم ، وليس فى الدارسوى زيد ،وإذا تقرّرهذا فلا تخلو الارادةفي الاية أن تكون هي الارادة المحضة أوالارادة التي يتبعها التطهيروإذهاب الرجس ، ولايجوزالوجه الاول لان الله تعالى قدأراد من كل مكلف هذه الارادة المطلقة، فلاإختصاص لها بأهل البيت دون سائرالخلق ، ولان هذا القول يقتضى المدح والتعظيم لهم بغيرشك وشبهة ، ولا مدح فيالارادة المجردة ، فثبت الوجهالثاني، وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح ، وقد علمنا : ان من عدامن ذكرناه من أهل البيت غيرمقطوع علىعصمته ، فثبت انالجملةالمقصورة مختصة بالمعصومين من أهل بيت النبوة لبطلان تعلقها بغيرهم .

ان تسئل : ان صدرالاية وما بعدها في نساء النبيﷺ فلاوجه لماذكر من نزولها وإختصاصها بالمعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ؟

تجيب : ان هذا ممالا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم ، فانهم ينتقلون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه ، وان القرآن الكريم مملؤمنذلك وهو بنفسه أكبرشاهد إذيقول :

«وإذ قال لقمان لابنه وهويعظه يا بني لاتشرك بالله ان الشرك لظلمعظيم» ثم قطع الله تعالى كلام لقمان فقال : «ووصينا الانسان بوالديه . . .» ثم وصل كلام لقمان مع ابنه فقال : «يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل» لقمان : ١٣-١٦) وغيرذلك من مواضع كثيرة في الكتاب الحكيم ، وله نظائرعديدة في كلام العرب لايسعها المقام .

و قوله تعالى : « يريدالله » ايثارالمضارع باعتبار تجدد وجود بقيّة أهل

بيت التسعة من الأئمة المعصومين ، و تنبيه بأن هؤلاءِ التسعة المعصومين الذين سيخلقهم الله تعالى داخلون فى هؤلاءِ الخمسة الموجودين صلوات الله عليهم أجمعين.

و ان لفظة « أهل البيت » إسم خاص فى عرف الكتاب بهؤلاء الخمسة وهم النبى و على و فاطمة والحسن والحسين ، و فى عرف السنة يضاف عليهم التسعة المعصومون من أولاد الامام الحسين بن على عليه السلام واحداً بعد واحد إلى الحجة بن الحسن العسكرى صلوات الله عليهم أجمعين ، لا تطلق هذه اللفظة على غيرهم ، و لو كان من أقرباءِ النبى صلى الله عليه وآله وسلم الاقربين .

و قوله تعالى : « ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » إستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها . و فى هذا ما فيه من عظم الرعاية الربانية والعناية الخاصة لاهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا هو طهر خالص لا تعلق به شائبة من دنس أو رجس .

ثم عطف على نساءِ النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « و اذكرن ما يتلى فى بيوتكن . . . » و من غير ريب فى أن المقصود من جملة الحصر هم أهل البيت و هم المعصون كما يدل عليه السياق بلفظ « عنكم » لا « عنكن » جيىء معترضة إهتماماً بشأن أهل البيت وتأديباً لازواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم حيث يردن تارة حياة الدنيا كما صرّح جل و علا : « قل لازواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها » : ٢٨) و اخرى نهين عن الفاحشة و هدّدن بقوله تعالى: « يا نساء النبى من يأت منكنّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » و ثالثة نهين عن تشبههن بغيرهن من نساءِ الامة بقوله جل و علا : « يا نساء النبى لستن كأحد من النساءِ » و رابعة أمرهن بلزوم بيوتهن و ألا يغشين المجالس والطرقات: « و قرن فى بيوتكن » وخامسة نهين عن تبرّج الجاهلية: «ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى» و سادسة امرن بالصلاة والزكاة : « و أقمن الصلاة وآتين الزكاة » و سابعة أمرن باطاعتهن أمر الله تعالى و أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « و أطعن الله و رسوله » كل ذلك يدل

على أن آية التطهير لاتناسب بحال نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبداً. وهذا مما لاينكره من له أدنى فهم و إنصاف، وكان خالياً عن العصبية الجهلاء، والتقاليد العمياء...

في تفسير الفخر: في قوله تعالى: «انما يريد الله...» قال: فيه لطيفة وهي ان الرجس قد يزول عيناً و لا يطهّر المحل فقوله تعالى: «ليذهب عنكم الرجس» أي يزيل عنكم الذنوب و يطهركم أي يلبسكم خلع الكرامة.

٣٤- (واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيراً)

عطف على ما سبق من الكلام في أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حث لهن على حفظ القرآن والسنة ومذاكرتهن بهما، و على الانتهاء والائتمار فيما كلّفنه وتحرّ لما يرضى الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من قول و فعل، و تأكيد لما ذكر من التكاليف المذكورة، و ان الخطاب، و إن كان متوجهاً إليهن ولكن غيرهن مشتركات بهن فيه.

و قوله تعالى: «في بيوتكن» في جمع البيوت دلالة على أن لكل واحدة من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيتاً يخصّها كما ورد في الروايات الواردة عن الطريقين، و في جمع البيوت أيضاً دلالة على أن الوحي كان ينزل على جميعها.

و قوله تعالى: «ان الله كان لطيفاً خبيراً» ايذان بأن تلك التكاليف من الاوامر والنواهي كلها لطف من الله جل وعلا في شأن أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أن إذهاب الرجس عن أهل البيت المعصومين و تطهيرهم من كل شائبة إثم قلبي و قولي و فعلي والله تعالى هو أعلم بالمصطفين الاخيار.

٣٥ـ (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما)

تنويه بكل مسلم ومسلمة يخلصان في إسلامهما النفس لله تعالى، والايمان به و يلتزمان حدوده و يراقبانه ، ويطيعون أوامره و يخشعان لذكره ويقومان بواجباتهما التعبدية والاجتماعية والاخلاقية ، و تقرير إستحقاقهما رفيع المنزلة والاجر عندالله تعالى على السواء فالاية حاسمة الصراحة في إعتبار المرأة مخاطبة في القرآن الكريم كالرجل سواء بسواء بكل التكاليف التعبدية والاخلاقية ، و أهلاً لكل ما يترقب على ذلك كالرجل سواء بسواء : تسوية بين الرجل والمرأة في مقام التكليف والجزاء . . و قد ذكرت هنا عشرة أوصاف للرجال والنساء ، فمن حققها من أيّ من الرجال والنساء استحق ما وعد الله به من المغفرة والاجر العظيم .

و في الاية عطفان : أحدهما ـ عطف الاناث على الذكور . ثانيهما ـ عطف مجموع الذكور والاناث على مجموع ماقبله. والاول يدل على إشتراك الصنفين في الوصف المذكور و هو الاسلام في الاول ، والايمان في الثاني إلى آخر الاوصاف . والثاني من باب عطف الصفة على الصفة ، فيؤول معناه إلى أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعد الله تعالى لهم . .

قوله تعالى : « ان المسلمين والمسلمات » يدل على أن الاسلام لا يفرّق بين الرجال والنساء في التلبس بكرامة الدين كما أشار إلى ذلك بقوله : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى » ألحجرات : ١٣) كما صرّح بذلك في قوله تعالى: «اني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أوأنثى» آل عمران:١٩٥).

فالمقام لعله تفصيل لكلا المقامين السابقين ، و لا يخفى ان المقابلة بين الاسلام والايمان تفيد المغايرة بينهما نوعاً من المغايرة كما صرّح بذلك في قوله: « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبهم » الحجرات : ١٤) .

و فيه إفادة على أن الاسلام هو مجرد تسليم في الدين باظهار الشهادة من غير إعتقاد قلبي سواء عمل باحكامه أم لا ، و أما الايمان فهو ما ركب في الاعتقاد القلبي والعمل الجوارحي في الاذهان الباطني الذى يترتب عليه العمل بالجوارح فعلى هذا كل مؤمن مسلم ، ولا كل مسلم مؤمن كما هو ما يقتضيه العقل السليم حتى في عرف الناس حيث لا يقولون لتارك الصلاة : انه مؤمن ولا يقولون لهمج الرعاء : انه مؤمن ولكنهم يقولون : انه مسلم .

فالاسلام هو مجرد الاقرار والاعتراف بالتوحيد وبعده مرتبة يرتقي إليها وهو الايمان و هو التوافق بين القلب واللسان كما قال الامام علي عليه السلام : « و على ألسن نطقت بتوحيدك صادقة » ثم القنوت ناشيء عنهما ثم الصدق و هو علامة الايمان كما أن الكذب علامة على النفاق ، فذكر الايمان بعد الاسلام من ذكر الخاص بعد العام حيث ان الايمان والاسلام إختلفا مفهوماً أو صدقاً أو هما معاً .

و قوله تعالى : « والخاشعين والخاشعات » قيل : هذا إشارة إلى الصلاة لان الخشوع من لوازمها اذ قال: «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » فلذلك أردفها بالصدقة ثم بالصيام المانع من شهوة البطن ، فضمّ إلى ذلك الحفظ من شهوة الفرج التي هي ممنوع منها في الصوم مطلقاً و في غير الصوم مما وراء الازواج والسراري . . .

و قوله تعالى : « والحافظين فروجهم » في تخصيص الذكور بحفظ الفروج دليل على وجوب حفظهم فروجهم وهو عورة لهم كما أن اطلاق « والحافظات » دليل على أن النساء جميع أعضائهن عورة يجب تستيرها، خلافاً لبعض المتجددين

المستغربين والمستشرقين الذين يؤلّون كلام الله جل و علا إلـى ما لا يرضى صاحبه ، و هم بعيدون عن فهمه ، و هو برىء منهم .

و قوله تعالى : « والذاكرين الله كثيراً » إنما وصف الذكر بالكثرة فى أكثر المواضع فقال فى أوائل هـذه السورة « لمن كان يرجوالله واليوم الاخر و ذكرالله كثيراً » : ٢١) و يجيىء بعد ذلك : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً » : ٤١) و فى غير هذه السورة أيضاً . . . لان الاكثار من الافعال البدنية متعسّر يمنع الاشتغال ببعضها من الاشتغال بغيرها بحسب الاغلب ، ولكن لامانع من أن يذكرالله تعالى و هو آكل أو شارب أو ماش أو نائم أو مشغول ببعض الصنائع والحرف . . . على أن جميع الاعمال و أقوالها صحتها أو كمالها بذكرالله تعالى و هى النية . ففيه إشارة إلى أن المرء لاينبغى أن يغفل عن ذكر ربه فى كل حال ، فالمراد بالذكر أعم من الذكر اللفظى ، فيشمل ذكره تعالى قلباً بالتوجه إليه جل و علا باطناً .

و فى إطلاق « الذاكرات » ما لا يخفى على القارى الخبير فتدبر جيداً .

و فى تنكير « أجراً عظيماً » تفخيم و تعظيم .

٣٦ ـ (و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)

مستأنف مسوق للخطر والمنع ، و ان الجملة الاولى تجيىء لخطر الشيء والحكم بانه لا يكون كما فى هذه الآية ، و ربما تجيىء لامتناع ذلك الشيء عقلاً كقوله تعالى : « وما كان لكم أن تنبتوا شجرها » النمل : ٦٠) وقدتجيىء للعلم بامتناعه شرعاً كقوله عزوجل: « ما كان لبشر أن يؤتيهالله الكتاب والحكم والنبوة » آل عمران : ٧٩) و قد تجيىء فى المندوبات كما تقول : ما كان لك يا فلان أن تترك النوافل و نحو هذا . . .

و فى صيغة النهى المشدد ـ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة » تنبيه على أنه لا

ينبغي لمؤمن ولامؤمنة إذا أمر الله و رسوله ﷺ بشيء يتعلق بخاصة امورهم أن يختاروا غير ما أمر الله تعالى و رسوله ﷺ فان العاصي لله جل و علا و رسوله ﷺ في شيء هو عظيم الضلال و إنحراف عن الانحراف و فيه.

و قوله تعالى : « أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » جمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي. وقيل: ان الضمير الثاني للرسول ﷺ والجمع للتعظيم. و في وضع الظاهر موضع المضمر حيث قيل: « من أمرهم » و لم يقل: أن يكون لهم الخيرة فيه للدلالة على منشأ توهم الخيرة وهو إنتساب الامر إليهم.

و قوله تعالى : « و من يعص الله و رسوله الخ » تأكيد لما سبق. وقيل: ان الآية عامة لكنها لوقوعها في سياق الآيات التالية يمكن أن تكون كالتمهيد لما سيجيء من قوله تعالى: « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم » الآية حيث يلوح منه ان بعضهم كان قد اعترض على تزوّج النبي ﷺ بزوج زيد وتعييره بأنها كانت زوج إبنه المدعوّ له بالتبنّي.

٣٧ ـ (و اذ تقول للذى أنعم الله عليه و أنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله و تخفى في نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المومنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً و كان أمر الله مفعولاً)

تذكير موجّه للنبي الكريم ﷺ بأن هذا القول ـ حيث أمر النبي ﷺ زيداً بان يمسك زوجته و لا يطلقها و يتقى الله تعالى في أمرها ـ قد صدر منه خشية من كلام الناس و إخفاءاً لما أراد الله جل وعلا أن يظهره وفعله مع أن الله تعالى هو أحق بالخشية فلا يصح إخفاء أمره أو تركه خشية من الناس، و إشارة إلى هذا الامر الذى يريد الله تعالى إظهاره وهو زواجه من زوجة زيد ابنه بالتبني المكنى عنه بجملة الذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه بعد قضاء وطره منها ليكون

قدوة للمؤمنين ، فلايشعرون بحرج فى التزوج بزوجات أبنائهم بالتبنى إذاما انفصلن عنهم بالطلاق أوالموت . وتقرير بأن هذا هوقضاء الله تعالى وأمره الذى يجب أن يكون النافذ الجارى ، و تصريح على وجوب الرضا بقضاء الله جل وجلا ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبيان حكمة الله تعالى فى أمره فى إزالة الحرج عن المؤمنين، وليس على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقط فى تزوج زوجات أبنائهم بالتبنى إذا طلقوهن أوماتوا عنهن ، وواجب النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى تنفيذ أمرالله تعالى ، وتقرير كون ما فعله هو إرادة الله جل وعلا وإلهامه ، وفى هذا وبخاصة فى جملة : «لكيلايكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعياءهم إذا قضوا منهن و طراً» مفتاح الحادث وتعليله الحق الصادق .

وقوله تعالى : «أمسك عليك زوجك» كناية عن الكفّ عن تطليقها،وإشعار باصرار زيد على تطليقها .

وقوله تعالى : «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» وما يأتى من قوله جل وعلا: «الذين يبلغون رسالات الله ولايخشون أحداً إلاّ الله» دليل على أن خشيته صلى الله عليه وآله وسلم الناس لم تكن خشية على نفسه بل كان خشية فى الله ، فأخفى فى نفسه ما أخفاه إستشعاراً منه انه لوأظهره عابه الناس وطعن فيه بعض من فى قلبه مرض، فأثّر ذلك أثراً سيّئاً فى ايمان عامة الناس،وهذا الخوف ـ كما ترى ـ ليس خوفاً مذموماً بل خوف الله جل وعلا هوفى الحقيقة خوف من الله تعالى .

فقوله سبحانه : «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» الظاهر فى نوع من العتاب ردع عن نوع من خشية الله تعالى ، وهى خشيته عن طريق الناس، وهداية إلى نوع آخر من خشيته جل وعلا، وأنه كان من الحرىّ أن يخشى الله سبحانه دون الناس ، ولايخفى ما فى نفسه ماالله مبديه . وهذا نعم الشاهد على أن الله تعالى كان قد فرض له صلى الله عليه وآله وسلم أن يتزوّج زوج زيد الذى كان تبنّاه ليرتفع بذلك الحرج عن المؤمنين فى التزوج بأزواج الادعياء وهو صلى الله عليه وآله وسلم كان يخفيه فى نفسه

إلى حين مخافة سوء أثره فى الناس فأمّنه الله جل وعلا بعتابه عليه .

فظاهر العتاب الذى يلوح من قوله تعالى : «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» مسوق لانتصاره وتأييد أمره قبال طعن الطاعنين ممن فى قلوبهم مرض، ومن الدليل على أنه إنتصار وتأييد فى صورة العتاب قوله بعد : «فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها» حيث أخبر عن تزويجه إياها كأنه أمر خارج عن إرادة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإختياره ثم قوله : «وكان أمر الله مفعولاً» .

وقوله تعالى : «فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها» تفريع وزيادة بيان لما سبق من قوله تعالى : «وتخفى فى نفسك ما الله مبديه» وقضاء الوطر منها كناية عن الوطء والجماع .

وقوله تعالى : «لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم لما قضوا منهن وطراً» تعليل للتزويج ، وبيان كاشف عن الحكمة من هذا الامر السماوى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بالزواج من مطلقة متبناه ، وهو أن يدفع الحرج عن المؤمنين فى التزوج من مطلقات أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ، وذلك انه إذا كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد فعل هذا ، فلا حرج إذن على المؤمنين أن يفعلوا ما فعل وأن يتأسّوا به .

وقوله تعالى : «وكان أمر الله مفعولاً» إعتراض تذييلى ، مقرر لما قبله مشير إلى تحقق الوقوع وتأكيد للحكم ، وإلى أن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم سيفعل ذلك الامر. والمعنى : ما يريد تكوينه من الامور فهو مكوّن لامحالة .

وفى الاية : تلقين جليل مستمر المدى للزعماء والعظماء ودعاة الاصلاح فى صدد إصلاح وإبطال ما يكون ضاراً أو باطلاً أو غير متسق مع العقل والمنطق والمصلحة والنصوص الصافية من العادات والتقاليد ، أو فى إنشاء ما هو صالح ضرورى لخير المجموع وسلامته الاجتماعية والاخلاقية من عادات وتقاليد دون مبالات بنقد ولامعارضة ، ومباشرة ذلك بأنفسهم ، فيكونون فيه القدوة والاسوة . وفيها تذكير

لنبيه ﷺ بما وقع منه ليزيده تثبيتاً على الحق ، وليدفع عنه ماحاك فى صدور ضعاف العقول ومرضى القلوب .

٣٨- (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً)

تعقيب على الحادث وتأكيد لما سلف ، ينطوى على التثبيت ، وتنزيه لجانب النبى الكريم ﷺ عن أقاويل الناس فيه ﷺ وعن إنتقاد لاكت بعض الافواه وخاصة أفواه المنافقين ومرضى القلوب ، فليس على النبى ﷺ من حرج فى تنفيذ ما أمر الله تعالى وفى الاستمتاع بما فرضه الله جل و علا له ﷺ فهذه سنة الله تعالى فى أنبيائه السابقين أيضاً .

وقوله تعالى : «فيما فرض الله له» إشارة إلى أن كل ما يفرض الله تعالى للنبى ﷺ و يبيحه له لاحرج فيه ولا إلتفات معه إلى أىّ قول يقال من عدو أو صديق . . .

وقوله تعالى : «سنة الله فى الذين خلوا من قبل» بيان بأن خاتم الانبياء ﷺ ليس بدعاً فى الرسل فيما أباح الله له ﷺ من الزوجات والسرارى...

وقوله تعالى : «وكان أمر الله قدراً مقدوراً» مستأنف بيانى سيق لتأكيد ما سبق.

٣٩- (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله وكفى بالله حسيباً)

ثناء على المرسلين السابقين ، ووصفهم بصفات الكمال والتقوى والاخلاص، وبالخشية وتبليغ الرسالة وأداء مهمتهم ، تعريضاً بماصرّح الله تعالى به فى قوله: «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» وان الله جل وعلا قد اختار أنبياءه لتبليغ رسالاته ، وتنفيذ أوامره وعدم خشية أحد غيره وكفى به معتمداً ووكيلاً و ان أوامر الله جل وعلا مقدرة بمقتضيات المصلحة ، وهى واجبة التنفيذ .

٤٠- (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين و

وديارهم وإغراء المسلمين بهم ، ففي قوله تعالى : «فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً» إستباحة لدمائهم وإراقتها بغير حساب ، وفي قوله جل وعلا : «وأورثكم أرضهم و ديارهم وأموالهم» دعوة للمسلمين إلى تمكين أيديهم من هذا الذي كان في يد القوم، فالمسلمون أحق به منهم وأولى . .

۲۸- (يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً جميلاً)

خطاب للنبي الكريم ﷺ ، وأمر له ﷺ من الله جل وعلا أن يلقي نساءه بهذا القول الذي أمره ربه أن يلقاهن به ،وأن يعرف رأيهن فيه ،وموقفهن منه ﷺ فخيّرهن بين أن يطلق الرسول ﷺ سراحهن ويمتعن متعة المطلقات لتأخذ كل واحدة منهن حظها الذي تقدر عليه من متاع الحياة الدنيا خارج بيت النبوة ، وبين أن يرضين الحياة مع رسول الله ﷺ على تلك الحال التي هن فيها في بيت النبي ﷺ .

وفي الاية تنبيه لازواج النبي ﷺ بأن ليس لهن من الدنيا و زينتها إلاّ الكفاف والعفاف إن اخترن زوجية النبي ﷺ وان الاية وتاليها تلهمان: ان النبي الكريم ﷺ كان يعيش في بيته عيشة شظف و زهد وان أزواج النبي ﷺ أو بعضهن كانت لا يرتضين ذلك ، وهو ما أيدته الروايات التي تبلغ حد اليقين كثرة وتواتراً ، فلما وسع الله تعالى بما وسع ظن نساء النبي ﷺ انه آن لهن أن ينعمن بالحياة وتتسع نفقاتهن فطالبن بما أزعج النبي ﷺ لم يكن الفقر هو الذي جعله يعيش عيشة الزهد والشظف ، وإنما كان ذلك بسبب إستغراقه في الله تعالى ودعوته وصالح المؤمنين إستغراقاً لم يبق به محل للتفكير في نعيم الدنيا ومتاعها ، فلم يلبث الوحي أن نزل بهذا الفصل الرائع في اسلوبه وتلقينه ومداه.

فواجبات النبوة ومهماتها أعظم من أن تتسع للحياة الدنيا وزينتها، وايمان النبي الكريم ﷺ بمهمته وإستغراقه فيها يملآن كل فراغ منه ، وسدّ الخلة

ثانيهما ـ ان الله تعالى قد أضاف الرجال إليهم إذقال : «من رجالكم» و هؤلاءِ رجاله ﷺ لارجالهم .

ان تسئل: : ألم يكن النبى ﷺ أباً للحسن والحسين عليهما السلام وهو ﷺ يقول مراراً : «هذ ان إبناى إمامان قاماأوقعدا» ؟

تجيب : ان الحسنين عليهما السلام لم يكونا عند نزول هذا الوحى رجلين مع أنهماكانا من رجاله ﷺ لامن رجالهم ، مع أن المراد بالولد هوالولد الصلبى لاابن البنت لولم نقل : انها خاصة بالرجال الموجودين فى زمن النزول على نعت الرجولية .

وقوله تعالى : «ولكن رسول الله» إستدراك للنفى الذى شمل عموم نسبة الابوة لأىّ رجل من الرجال إلى محمد رسول الله ﷺ وليس معنى ذلك : قطع الصلة بينه ﷺ وبين الناس على أنه وإن إنقطعت ابوة النسب بينه و بين أىّ أحد من رجال المخاطبين ، فان المؤمنين جميعاً ينتسبون إليه ﷺ نسباً أولى وأقرب من هذا النسب ، بحكم انه رسول الله ﷺ فيهم ، ومبلّغ رسالةالله جل وعلا إليهم ، فهوبهذه الصفة أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وهذا أعظموأشمل مما تعطيه ابوة النسب . وفى الاية ايماء إلى أن إرتباط النبى ﷺ وتعلقه بالمؤمنين تعلق الرسالة والنبوة وان ما فعلهكان بأمرمنالله جل وعلا.

وقوله تعالى : «وخاتم النبيين» إشارة إلىأنه ﷺ أبلكلمؤمنومؤمنة، من كل دين حيث انه ﷺ وارث النبيين جميعهم ، والمهيمن برسالته على رسالات الرسل كلهم ، فلا رسول ولا نبى بعد إلى يوم الدين ، لان الرسول هو الذى يحمل رسالة من الله إلى الناس والنبى هوالذى يحمل نبأ الغيب الذى هوالدين وحقائقه ، ولازم ذلك أن يرتفع الرسالة بارتفاع النبوة ، فان الرسالة من أنباءِ الغيب ، فاذا انقطعت هذه الأنباء إنقطعت الرسالة ، و من هنا يظهر ان كونه ﷺ خاتم النبيين يستلزم كونه خاتماً للرسل . . . إذختمت به ﷺ

رسالات السماء واضيفت شعاعاتها كلها إلى شمس شريعته، فأصبحت تلك الشعاعات، مضموناً من مضامينها وقبساً من أقباسها، فلاهدى بعد هذا إلّا من هداها ولا نوراً إلا من نورها . . .

و فى تلخيص البيان : فى قوله تعالى : «وخاتم النبيين» قال : على قراءة من قرأ خاتم ففتح التاء وكسرها، والمعنيان متفقان وهذه إستعارة، والمراد بها ان الله تعالى جعله صلى الله عليه وآله وسلم حافظاً لشرائع الرسل عليهم السلام وكتبهم وجامعاً لمعالم دينهم وآياتهم كالخاتم الذى يطبع به على الصحائف وغيرها ليحفظ مافيها، ويكون علامة عليها، وفيه أيضاً معنى آخر وهوأن الخاتم الذى يختم به ما يكتب بعد الفراغ من كتابة على الأغلب، فكأنه من هذا الوجه يدل على أن الله سبحانه بعثه بعد تقضى مباحث الرسل وإنقطاع إرسالهم إلى الامم، ولم يبق منهم من يرجى مورده ولاينتظر مولده . إنتهى كلامه ورفع مقامه .

ان تسئل: كيف قال الله تعالى :«وخاتم النبيين» وعيسى إبن مريم عليه السلام ينزل بعده صلى الله عليه وآله وسلم فى آخر الزمان وهو نبى ؟

تجيب : ان معنى كونه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين : انه لايتنبأ أحد من الله تعالى بعده صلى الله عليه وآله وسلم وعيسى عليه السلام ممن نبىء قبله، وحين ينزل عاملاً بشريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصلياً إلى قبلته وراء خاتم أوصيائه المهدى المنتظر أرواح العالمين له الفداء فكأنه بعض امته صلى الله عليه وآله وسلم وأتباع آخر أوصيائه صلى الله عليه وآله وسلم .

و قوله تعالى : « وكان الله بكل شيء عليماً » مستأنف بيانى مسوق لتأكيد ما سبق كما أن فى ايثار الماضى:« كان » تاكيداً لذلك . و بهذه الاية ختمت قصة زواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم من زينب .

٤١ - (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)

خطاب من الله تعالى، و تنبيه للمؤمنين إلى ما يجب عليهم من كثرة ذكر الله تعالى و شكره و مراقبته فى كل وقت و حال ، فالذكر هنا يعم التلفظ بما

وقوله تعالى : «وكان ذلك على الله يسيراً» مستأنف بيانى سيق للاشارة إلى أنه لامانع من ذلك من كرامة الزوجية ونحوها إذلا كرامة إلّا للتقوى و زوجية النبى صلى الله عليه وآله وسلم إنما تؤثر الأثر الجميل إذا قارن التقوى وأما مع المعصية فلاتزيد إلّا بعداً ووبالاً . وفى ايثارالماضى «كان» تأكيد للوعيد . وفى الاية دلالة على ايذاء بعض أزواج النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى الحياة الدنيا ، وان الآية و تاليها تقرير وتوضيح بنحو لما يستفاد من قوله تعالى : «فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً» إثباتاً ونفياً .

٣١ـ (ومن يقنت منكن لله ورسوله و تعمل صالحاً نؤ تها أجرها مرتين و أعتدنالها رزقاً كريماً)

ان الاية الكريمة تقابل الآية السابقة إذفيها مقام الاساءة وجزائها ، وفيها مقام الاحسان وجزائه ، وكما ان زلة أهل الاحسان كبيرة ومؤاخذتهم عليها أكبر، فان إحسانهم عظيم وجزاءهم عليه أعظم . وفى عطف «رسوله» على «الله» تكريم عظيم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإشارة إلى مقامه العظيم عند ربه ، وقوله تعالى : «وتعمل صالحاً» عطف على «يقنت» إشارة إلى أن القنوت ـ وهو الولاء والخشوع ـ من عمل القلب . . وانه لكى يكون لهذا القنوت أثر ينبغى أن يخرج إلى مجال العمل هو المحك الذى يظهر عليه ما فى القلب من مشاعر ومعتقدات . . .

وقوله تعالى : « نؤتها ـ وأعتدنا » فى الالتفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير ايذان بالقرب والكرامة لمن اختارت الاخرة ، وأعرضت عن الحياة الدنيا خلاف البعد والخزى المفهوم من قوله تعالى : «يضاعف لها العذاب ضعفين» .

وقوله تعالى : « رزقاً كريماً » لعل الوجه فى وصف الرزق بالكريم : ان رزق الدنيا ولو كان مقدراً من الله تعالى ، ولكنه يجرى على أيدى الناس ـ مضافاً إلى الاسباب الارضية والسماوية ـ كالتاجر الذى يسترزق من السوق ، والصناع من المستعملين ، والملوك من الرعية ، والرعية بعضهم من بعض بالأسباب

فالرزق في الحياة الدنيا لايأتي بنفسه وبلاواسطة ، وإنما هومسخّر للغير يمسكه ويرسله ، وأما رزق الآخرة فلايكون له مرسل وممسك ، وإنما يـأتي بنفسه باذن الله تعالى ، فلذلك وصف بالكريم. فالمعنى : ان الرزق الكريم ما سلم في كل آفة ونقصان يجري بنفسه إلى المرزوق .

۳۲- (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلاتخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً)

بيان لنفي مساواتهن لسائر النساء «إن اتقيتن» ورفع منزلتهن على غيرهن كالعالم العامل بالنسبة إلى عوام الناس مع ايمانهم ، وإلتزامهم بلوازم الايمان و في تقييد الفضيلة بالتقوى تنبيه لهن بأن فضيلتهن بالتقوى لاباتصالهن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم . وفي النداء دعوة لهن إلى تلك الصفة الرفيعة لاشأن لغيرها من الصفات بدونها .

وقوله تعالى : «فلاتخضعن بالقول» بيان لموارد التقوى ، وان الخضوع بالقول : مضغ الكلام ولينه تدللاً ، وهذا من المرأة أشبه بكشف العورة وإبداء الزينة إذكان الصوت من بعض مفاتنها . . وصوت المرأة إذاكان على طبيعته لاشيء فيه بما في التصنع الذي يجعل من صوتها داعياً يدعوإلى الريبة ، و إثارة شهوة الرجال . وان غيرهن مشتركات بهن في تلك الخصال ، ويجب عليهن كما يجب على غيرهن ، والتقوى هو التقوى والعفةهي العفة ، وإنما عدم التساوي والترفع لهن لاختيارهن الاخرة ، وقربهن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهن مترددات بين الحياة الدنيا والتمتع بها ، وبين الاخرة والصبرعلى ضيق العيش ، ومن أجل ذلك فعذابهن على ما يقترفن من إثم ومعصية ، وثوابهن على ما يفعلن ما صالح و يظهرن من الطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم مضاعفان . .

قيل : فتصدير الكلام بقوله تعالى : «لستن كأحد من النساء إن اتقيتن» ثم تفريع هذه التكاليف المشتركة عليه ، يفيد تأكّد هذه التكاليف عليهن كأنه

تعم بشرط الايمان ، حيث ان تعليق الحكم على الوصف مشعر بالعلية ، فسبب هذه الرحمة هو الايمان كما أن سبب الرحمة العامة هو الوجود من غير شرط فيها.

وقيل : في وضع الظاهر موضع في « بالمؤمنين » بدل « بكم » دلالة على سبب الرحمة و هو وصف الايمان .

٤٤ ـ (تحيتهم يوم يلقونه سلام و أعد لهم أجراً كريماً)

بيان للأحكام الآجلة لرحمةالله تعالى بالمؤمنين و إحسانه إليهم بعد بيان آثارها العاجلة التي الاعتناء بأمرهم و هدايتهم إلى الطاعة ، و تنبيه لهم إلى مالهم من كرامة عندالله جل و علا .

و قوله تعالى : « و أعدّ لهم أجراً كريماً » بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم ، ومايلقونه بعد دخول الجنة من جزاءٍ كريم من الله تعالى إثر بيان آثار رحمته الواصلة إليهم قبل ذلك . و ايثار الماضي للترغيب والتشويق إلى الموعود ببيان أن الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين آثار الرحمة موجود بالفعل ، مهيّأ لهم . وفي إعداد هذا الاجر إشارة إلى أنه أجر عظيم قد هيّىء لهم، و رصد للقائهم من قبل أن يلقوه ، و في هذا مزيد إعتناءٍ بهم بهذا الاستعداد للقائهم .

٤٥ ـ (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً)

خطاب من الله تعالى لنبيه ﷺ تأنيساً و تكريماً و تثبيتاً له ﷺ و تنويهاً بمهمته العظمى التي جعلهالله تعالى بها شاهداً على امته، ومبشراً للمؤمنين بالجنة و نعيمها ، و نذيراً للكافرين و أذنابهم بالنار و عذابها ، ففي الاية إشارة إلى مقام النبي الكريم ﷺ عند ربه ، و إلى مكانته في المؤمنين ، و انه هو المرسل من عندالله جل وعلا، شاهداً على الناس بما كان منهم من ايمان أو كفر، و مبشراً المؤمنين بالاجر الكريم ، ومنذراً الكافرين و إخوانهم بالعذاب الأليم .

٤٦ ـ (و داعياً الى الله باذنه و سراجاً منيراً)

ان تسئل : قد فهم من قوله تعالى: « إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً

و داعياً إلى الله » انه صلى الله عليه و آله و سلم مأذون له في دعوة الناس إلى الله جل و علا ، فما فائدة قوله سبحانه : « باذنه » ؟

تجيب : ان معناه بأمره تعالى لا أنك تدعوهم من تلقاء نفسك . و قيل : أى بتسهيله و تيسيره .

ان الله تعالى وصف النبي صلى الله عليه و آله و سلم بالسراج بأن ظلمات الضلال تنجلي ظلام الليل بالسراج، وقد أمدّ الله تعالى بنور نبوته نورالبصائر كما يمدّ بنورالسراج نورالابصار . . . و إنما لم يشبه بالشمس لأن الشمس لايؤخذ منه شيء ، ويؤخذ من السراج سرج كثيرة ، و وصفالسراج بالانارة لأن السراج قديكون فاتراً و من السراج ما لايضيىء إذا قلّ سليطه و دقّت فتيلته ، و منه قولهم : ثلاثة تضني : رسول بطيء ، و سراج لا يضيىء ، و مائدة ينتظر لها من يجيىء .

و قيل : هذه إستعارة للنور الذى يتضمنه شرعه ، فيكشف للناس طريق الحق و يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الايمان ، من ظلمات الجهل إلى نورالعلم ، من ظلمات الباطل إلى نور الحق ، من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة ، و من ظلمات الغفلة والنسيان إلى نور الذكر والفكر . . .

و في تلخيص البيان : قال : « وهذه إستعارة ، والمراد بالسراج المنير ههنا انه صلى الله عليه و آله و سلم يهتدى به في ضلال الكفر و ظلام الغي كما يستصبح بالشهاب في الظلماء ، و تستوضح الغرة في الدهماء » .

ان تسئل : كيف شبّه الله تعالى النبي صلى الله عليه و آله و سلم بالسراج دون الشمس ، والشمس أتم و أكمل ؟

تجيب : إنما شبّه بالسراج لان السراج يتفرع و يتولد منه سرج لا تعد ولاتحصى بخلاف الشمس، والنبي صلى الله عليه و آله و سلم تفرع منه بواسطة إرشاده وهدايته جميع العلماء من عصره إلى يوم القيامة .

بيت التسعة من الأئمة المعصومين، و تنبيه بأن هؤلاءِ التسعة المعصومين الذين سيخلقهم الله تعالى داخلون في هؤلاءِ الخمسة الموجودين صلوات الله عليهم أجمعين.

و ان لفظة « أهل البيت » إسم خاص في عرف الكتاب بهؤلاء الخمسة وهم النبي و علي و فاطمة والحسن والحسين، و في عرف السنة يضاف عليهم التسعة المعصومون من أولاد الامام الحسين بن علي عليه السلام واحداً بعد واحد إلى الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله عليهم أجمعين، لا تطلق هذه اللفظة على غيرهم، و لو كان من أقرباءِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاقربين.

و قوله تعالى : « ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » إستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها. و في هذا ما فيه من عظم الرعاية الربانية والعناية الخاصة لاهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا هو طهر خالص لا تعلق به شائبة من دنس أو رجس.

ثم عطف على نساءِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « و اذكرن ما يتلى في بيوتكن . . . » و من غير ريب في أن المقصود من جملة الحصر هم أهل البيت و هم المعصون كما يدل عليه السياق بلفظ « عنكم » لا « عنكن » جيىء معترضة إهتماماً بشأن أهل البيت وتأديباً لازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث يردن تارة حياة الدنيا كما صرّح جل و علا : « قل لازواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها » : ٢٨) و اخرى نهين عن الفاحشة و هدّدن بقوله تعالى: « يا نساء النبي من يأت منكنّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » و ثالثة نهين عن تشبههن بغيرهن من نساءِ الامة بقوله جل و علا : « يا نساء النبي لستن كأحد من النساءِ » و رابعة أمرهن بلزوم بيوتهن و ألا يغشين المجالس والطرقات: « و قرن في بيوتكن » وخامسة نهين عن تبرّج الجاهلية: «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى» و سادسة امرن بالصلاة والزكاة : « و أقمن الصلاة وآتين الزكاة » و سابعة أمرن باطاعتهن أمر الله تعالى و أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « و أطعن الله و رسوله » كل ذلك يدل

على أن آية التطهير لاتناسب بحال نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبداً . وهذا مما لاينكره من له أدنى فهم و إنصاف ، وكان خالياً عن العصبية الجهلاء ، والتقاليد العمياء . . .

في تفسير الفخر : في قوله تعالى : « انما يريد الله . . . » قال : فيه لطيفة و هي ان الرجس قد يزول عيناً و لا يطهّر المحل فقوله تعالى : « ليذهب عنكم الرجس » أي يزيل عنكم الذنوب و يطهركم أي يلبسكم خلع الكرامة .

٣٤- (واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيراً)

عطف على ما سبق من الكلام في أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حث لهن على حفظ القرآن والسنة ومذاكرتهن بهما ، و على الانتهاء والائتمار فيما كلّفنه وتحرّ لما يرضى الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من قول و فعل ، و تأكيد لما ذكر من التكاليف المذكورة ، و ان الخطاب ، و إن كان متوجهاً إليهن ولكن غيرهن مشتركات بهن فيه .

و قوله تعالى : « في بيوتكن » في جمع البيوت دلالة على أن لكل واحدة من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيتاً يخصّها كما ورد في الروايات الواردة عن الطريقين، و في جمع البيوت أيضاً دلالة على أن الوحي كان ينزل على جميعها .

و قوله تعالى : « ان الله كان لطيفاً خبيراً » ايذان بأن تلك التكاليف من الاوامر والنواهي كلها لطف من الله جل وعلا في شأن أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أن إذهاب الرجس عن أهل البيت المعصومين و تطهيرهم من كل شائبة إثم قلبي و قولي و فعلي والله تعالى هو أعلم بالمصطفين الاخيار .

النساء وإن كان لايسقط باسقاطه لها فيها من حق الله تعالى أيضاً .

وقوله تعالى : «فمتعوهن وسرّحوهن سراحاً جميلاً» إشارة إلى ما توجبه الشريعة السمحاء : من الرفق والمياسرة والابقاء على الصلات الانسانية عند إنفصام الحياة الزوجية ، وان المراد بالمتعة هو ما يعطيه الرجل مطلقته من مال أو متاع، جبراً لخاطرها ، وتأميناً لحياتها المستقبلة التي كان هذا الطلاق سبباً في إضطرابها... ففي الاية حث على الرفق بالمرأة وأداء حقها وحسن معاملتها في حالة طلاقها، وهو الهدف الرئيسي فيها ، وقد انطوى فيها تعليل أو حكمة تشريع ، فالعدة هي لاستبراءِ الرحم ولاعطاء مجال للزوج المطلق لمراجعة زوجته ، فاذا لم يقع مسّ فلا يبقى محل لذلك .

٥٠- (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت اجورهن و ماملكت يمينك مما أفاء الله عليك و بنات عمك و بنات عماتك و بنات خالك و بنات خالاتك اللاتي هاجرن معك و امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج و كان الله غفوراً رحيماً)

خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بشأن انكحته على سبيل التشريع يؤذن فيه، وإخبار بحل الازواج ، إنما هو تأكيد لحلهن ، ووصف كاشف للحال التي هن عليها، ومنهن زينب مطلقة متبنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي هذا ردّ على الكافرين والمنافقين و مرضى القلوب الذين جعلوا زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مطلقة متبناه مادة للغمز والاتهام . . وكان الرد إفحاماً للكافرين و أذنابهم ، و كتباً لهم إذ نادى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم : « ياأيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت اجورهن » داعياً نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى ألا يشغل نفسه بأقاويل هؤلاءِ السفلة ، وأن يتمتع بما أحل له من طيبات ، فهو من قبيل قوله تعالى : «فكلوه هنيئاً مريئاً» النساء : ٤)

ثم ان الله تعالى لكي يزداد أهل الضلال والنفاق غماً إلى غمّ ذكر في هذا المقام ما اختصّ به نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مما لم يكن لامته من هذه السعة في الحياة

الزوجية ، وهن سبعة أصناف من النساءِ :

الاول : ما في قوله تعالى : «أزواجك اللاتي آتيت اجورهن» وهن من النساءِ اللاتي تزوجهن بمهر عند نزول هذه الاية تسع نسوة . . . ونصاب المسلم لا يتجاوز أربعة. وفيه تنبيه على أن الله تعالى اختار لنبيه ﷺ الافضل والاولى ، فان ايتاء المهر أولى وأفضل من تأخيره ليتفصى الزوج عن عهدة الدين و شغل ذمته به ، ولان تأخيره يقتضي أن يستمتع بها مجاناً دون عوض تسلمته .

الثاني : ما في قوله تعالى : «وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك» أباح الله تعالى لنبيه ﷺ التمتع بالاماءِ اللاتي ملكهن من الفيء و الغنائم، و هذا حكم عام للمسلمين جميعاً ، على أن للنبي ﷺ من الغنائم ما يصطفيه من السبي قبل قسمة الفيء ، وهذا من خصوصيات النبي ﷺ هنا . وتقييد ملك اليمين بكونه مما أفاء الله عليه كتقييد الازواج بقوله: «اللاتي آتيت اجورهن» للتوضيح لا للاحتراز.

الثالث والرابع : ما في قوله تعالى : «وبنات عمك وبنات عماتك» أباح الله تعالى لنبيه ﷺ التزوج ببنات عمه ﷺ وبنات عماته اللاتي هاجرن مع المهاجرين فراراً بدينهن وايثاراً لله تعالى ورسوله ﷺ فهؤلاءِ المهاجرات هن ممن ابيح للنبي ﷺ التزوج بهن إلى أزواجه التسع اللاتي كن معه ﷺ . .

الخامس والسادس : ما في قوله تعالى : «وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك» قيل : يكون الامر هنا منظوراً فيه إلى بعض المهاجرات من أقارب النبي ﷺ ممن تستدعي حالهن البر والمواساة في تلك الغربة . . . و أفرد العم والخال ، وجمعت العمة والخالة لان العم والخال على وزن المصدر مثل «الضم» و«القال» وان المصدر يطلق على الفرد والجمع ، و ليس وزن العمة والخالة وزن مصدر، فجمعتا لذلك .

ان قلت : هذا منقوض بقوله تعالى : «أو بيوت أعمامكم ـ أو بيوت أخوالكم»

المستغربين والمستشرقين الذين يؤلّون كلام الله جل و علا إلى ما لا يرضى صاحبه ، و هم بعيدون عن فهمه ، و هو برىء منهم .

و قوله تعالى : « والذاكرين الله كثيراً » إنما وصف الذكر بالكثرة فى أكثر المواضع فقال فى أوائل هذه السورة « لمن كان يرجوالله واليوم الاخر و ذكرالله كثيراً » : ٢١) و يجيىء بعد ذلك : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً » : ٤١) و فى غير هذه السورة أيضاً . . . لان الاكثار من الافعال البدنية متعسّر يمنع الاشتغال ببعضها من الاشتغال بغيرها بحسب الاغلب ، ولكن لامانع من أن يذكرالله تعالى و هو آكل أو شارب أو ماش أو نائم أو مشغول ببعض الصنائع والحرف . . . على أن جميع الاعمال و أقوالها صحتها أو كمالها بذكرالله تعالى و هى النية . ففيه إشارة إلى أن المرء لاينبغى أن يغفل عن ذكر ربه فى كل حال ، فالمراد بالذكر أعم من الذكر اللفظى ، فيشمل ذكره تعالى قلباً بالتوجه إليه جل و علا باطناً .

و فى إطلاق « الذاكرات » ما لا يخفى على القارى الخبير فتدبر جيداً .

و فى تنكير « أجراً عظيماً » تفخيم و تعظيم .

٣٦ ـ (و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)

مستأنف مسوق للخطر والمنع ، و ان الجملة الاولى تجيىء لخطر الشيء والحكم بانه لا يكون كما فى هذه الآية ، و ربما تجيىء لامتناع ذلك الشيء عقلاً كقوله تعالى : « وما كان لكم أن تنبتوا شجرها » النمل : ٦٠) وقدتجيىء للعلم بامتناعه شرعاً كقوله عزوجل: « ما كان لبشر أن يؤتيهالله الكتاب والحكم والنبوة » آل عمران : ٧٩) و قد تجيىء فى المندوبات كما تقول : ما كان لك يا فلان أن تترك النوافل و نحو هذا . . .

و فى صيغة النهى المشدد ـ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة » تنبيه على أنه لا

ينبغي لمؤمن ولامؤمنة إذا أمر الله و رسوله ﷺ بشيء يتعلق بخاصة امورهم أن يختاروا غير ما أمر الله تعالى و رسوله ﷺ فان العاصى لله جل و علا و رسوله ﷺ في شيء هو عظيم الضلال و إنحراف عن الانحراف و فيه.

و قوله تعالى: « أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » جمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفى. وقيل: ان الضمير الثانى للرسول ﷺ والجمع للتعظيم. و في وضع الظاهر موضع المضمر حيث قيل: « من أمرهم » و لم يقل: أن يكون لهم الخيرة فيه للدلالة على منشأتوهم الخيرة وهو إنتساب الامر إليهم.

و قوله تعالى: « و من يعص الله و رسوله الخ » تأكيد لما سبق. وقيل: ان الآية عامة لكنها لوقوعها في سياق الآيات التالية يمكن أن تكون كالتمهيد لما سيجيىء من قوله تعالى: « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم » الآية حيث يلوح منه ان بعضهم كان قد اعترض على تزوّج النبى ﷺ بزوج زيد وتعييره بأنها كانت زوج إبنه المدعوّ له بالتبنّي.

٣٧ - (و اذ تقول للذى أنعم الله عليه و أنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله و تخفى في نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المومنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً و كان أمر الله مفعولاً)

تذكير موجّه للنبى الكريم ﷺ بأن هذا القول - حيث أمر النبى ﷺ زيداً بان يمسك زوجته و لا يطلقها و يتقى الله تعالى في أمرها - قد صدر منه خشية من كلام الناس و إخفاءاً لما أراد الله جل وعلا أن يظهره وفعله مع أن الله تعالى هو أحق بالخشية فلا يصح إخفاء أمره أو تركه خشية من الناس، و إشارة إلى هذا الامر الذى يريد الله تعالى إظهاره وهو زواجه من زوجة زيد ابنه بالتبنى المكنى عنه بجملة الذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه بعد قضاء وطره منها ليكون

مستأنف بياني مسوق لتقرير حكم الاختصاص ، و أن ليس للمسلمين أن يتأسوا بالنبى ﷺ فى تلك الخصائص ، فقد عرفوا ما فرض الله تعالى عليهم فى أزواجهم وماملكت أيمانهم فليس لهم أن يتجاوزوا هذا الذى بينه الله تعالى لهم . والمعنى: انا علمنا ما يجب على المؤمنين فى حق الازواج و فى الاماء على أى حد وصفة ينبغى أن يكون .

و قوله تعالى : « لكيلا يكون عليك حرج » بيان لغاية الاحلال ، و ايماء إلى أن تلك الاحكام أحكام الله تعالى ، فليأخذها النبى ﷺ غير متحرج و لا ناظر إلى قولة كافر أو منافق و مرضى قلب .

و قوله تعالى : « و كان الله غفوراً رحيماً » تحريض للمتقولين فى تلك الاحكام على التوبة والانابة والاستغفار ، و إشارة إلى ما لله جل و علا من مغفرة و رحمة تسع اولئك المتقولين الذين تجرى ألسنتهم بقولة سوء فيما اختص الله تعالى نبيه الكريم ﷺ به لو تابوا من قريب و رجعوا إلى الله جل و علا و استغفروا لذنوبهم . . .

٥١ـ (ترجى من تشاء منهن و تؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلاجناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن و يرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم و كان الله عليماً حليماً)

خطاب للنبى الكريم ﷺ يرسم له ﷺ السياسة التى يأخذها النبى ﷺ فى وجوه المعاشرة الزوجية بما أحل الله تعالى له ﷺ من العدد الكثير من النساء اللائى جمعهن إليه ﷺ من غير ايجاب قسم بينهن لانه ﷺ بالنسبة إلى امته كالسيد المطاع ، فزوجاته كالمملوكات . . . فلا قسم لهن كما اشترط عليهن حينما أردن البقاء أن يتصرف كما يشاء فله ﷺ أن يتصرف بما يتراءى له فى أمر المعاشرة الجنسية معهن ، فيترك أو يهمل . فله ﷺ أن يطلق أو يمسك ، و إذا أمسك ضاجع أو ترك ، و اذا ضاجع قسم أو لم يقسم ، و إذا طلق

أو عزل ، فاما أن يترك المعزولة أو يبتغيها و هذه قسمة جامعة للغرض .

و في ذلك تخفيف عن النبى الكريم صلى الله عليه و آله وسلم و رفع لاعناته و إرهاقه بعد أن حمل هذا العبء الثقيل من النساء إلى جانب ما حمل من أعباء ثقال . . .

فلو حاسبت نساء النبى صلى الله عليه و آله وسلم محاسبة الزوجات لأزواجهن ، و اقتضين حقوق الزوجية كاملة منه صلى الله عليه و آله وسلم لكان ذلك عبئاً ثقيلا على رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم الذى يحمل أعباء ثقالاً تنوء بها الجبال فى إقامة بناء المجتمع الاسلامى ، و إرساء قواعد الدين ، فمن رحمة الله تعالى برسوله صلى الله عليه و آله وسلم و إحسانه إليه أن أخلى يديه جميعاً من تلك الواجبات المفروضة على الرجال قبل أزواجهم فى المعاشرة والمباشرة و ذلك حتى يفرغ النبى الكريم صلى الله عليه و آله وسلم للمهمة العظمى التى أقامه الله تعالى عليها...

و قوله تعالى : « ذلك أدنى . . . » مستأنف بيانى سيق لتقرير سبب الايواء والارجاء ، و انه كان فى هذا التدبير مصلحتهن ، و من شأن هذا التدبير السماوى أن يجعل نساء النبى صلى الله عليه و آله وسلم كلهن إلى يده صلى الله عليه و آله وسلم ، و فيه إرضاء لهن جميعاً ، و قرة عين و روح وروح وسكن فؤاد . . .

و قوله تعالى : « والله يعلم ما فى قلوبكم » حث على تحسين ما فى القلوب، و بعث على تواطؤ قلوبهن والتوافق على رضا رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ، و وعيد لمن لم يرض منهن بما دبّر الله تعالى له صلى الله عليه و آله وسلم و ان القلوب هنا تجمع بين الرجال والنساء فى حياة زوجية و هى ملاك الامر فى إصلاح هذه الحياة ،و إزدراها ، و إرواء النفوس من ينابيع الرحمة والمودة . . وذلك إذا صلحت القلوب و خلصت النيات .. كما إذا انطوت القلوب على فساد و تلاقت على غش و خداع ، فلن تثمر الحياة الزوجية إلاّ ثمراً نكداً ، يطعم منه الزوجان ما يشقيهما و يضنيهما، و يزرع العداوة والشنآن بينهما . . و فى الالتفات من الخطاب للنبى صلى الله عليه و آله وسلم إلى الخطاب لامته صلى الله عليه و آله وسلم ما لا يخفى على القارىء الخبير فتأمل جيداً .

و قوله تعالى : «و كان الله عليماً حليماً» مستأنف بيانى سيق للوعد والوعيد ،

لنبيه ﷺ بما وقع منه ليزيده تثبيتاً على الحق ، وليدفع عنه ماحاك فى صدور ضعاف العقول ومرضى القلوب .

٣٨ـ (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً)

تعقيب على الحادث وتأكيد لما سلف ، ينطوى على التثبيت ، وتنزيه لجانب النبى الكريم ﷺ عن أقاويل الناس فيه ﷺ وعن إنتقاد لاكت بعض الافواه وخاصة أفواه المنافقين ومرضى القلوب ، فليس على النبى ﷺ من حرج فى تنفيذ ما أمرالله تعالى وفى الاستمتاع بما فرضه الله جل و علا له ﷺ فهذه سنة الله تعالى فى أنبيائه السابقين أيضاً .

وقوله تعالى : «فيما فرض الله له» إشارة إلى أن كل ما يفرض الله تعالى للنبى ﷺ و يبيحه له لاحرج فيه ولا إلتفات معه إلى أىّ قول يقال من عدو أوصديق . . .

وقوله تعالى : «سنة الله فى الذين خلوا من قبل» بيان بأن خاتم الانبياء ﷺ ليس بدعاً فى الرسل فيما أباح الله له ﷺ من الزوجات والسرارى...

وقوله تعالى : «وكان أمر الله قدراً مقدوراً» مستأنف بيانى سيق لتأكيد ماسبق.

٣٩ـ (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله وكفى بالله حسيباً)

ثناء على المرسلين السابقين ، ووصفهم بصفات الكمال والتقوى والاخلاص، وبالخشية وتبليغ الرسالة وأداء مهمتهم ، تعريضاً بماصرّح الله تعالى به فى قوله: «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» وان الله جل وعلا قد اختار أنبياءه لتبليغ رسالاته ، وتنفيذ أوامره وعدم خشية أحد غيره و كفى به معتمداً ووكيلاً و ان أوامر الله جل وعلا مقدرة بمقتضيات المصلحة ، وهى واجبة التنفيذ .

٤٠ـ (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين و

وقوله تعالى : «من أزواج» تأكيد للنفى ، وفائدته إستغراق جنس جماعات الازواج بالتحريم .

وقوله تعالى : «ولو أعجبك حسنهن» شرط على حذف الجـواب يدل عليه ما قبله وهو «لا يحل» وفائدة هذه الشرطية التأكيد والمبالغـة . و«إلاّ مـا ملكت يمينك» إستثناء ممن حرم عليه و«كان الله على كل شيء رقيباً» تحذير عن مجاوزة حدود الله تعالى .

٥٣- (يا ايها الذين آمنـوا لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الـى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لايستحيى من الحق واذا سئلتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن توذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عندالله عظيما)

هذا شروع فى بيان ما يجب مراعاته على النـاس من حقـوق نساء النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأدب الدخول فى بيوته صلى الله عليه وآله وسلم إثر بيان ما يجب مراعاتـه صلى الله عليه وآله وسلم من الحقوق المتعلقة بهن ، والخطاب موجه إلى المؤمنين ينهاهـم عـن الدخول فى بيوت النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ بدعوة إلى طعام على أن لايأتوا قبل ايذانهـم بنضجـه بقصد إنتظار ذلك فى هذه البيوت ، فاذا نضج الطعام ودعوا واذنوا فليدخلوا ، فلا يتعجلوا الحضور قبل أن ينضج الطعام ، وذلك حتى لايطول مكثهم فى بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذا دعوا واذنوا ودخلوا وأكلوا فليبادروا إلى الخروج من غيـر مكث بقصد السمر والحديث .

وفى الاية تعليم للناس على أن لايدخلوا بيـوت النبى صلى الله عليه وآله وسلم بغير إذن وتعليم للامة المسلمة فى طوال الاعصار على أن لايدخل بعضهم بيوت بعض من غير إذن . وفى «بيوت النبى» دلالة على أن البيت للرجل ، ويحكم لـه به ، فـان الله

تعالى أضاف البيوت إلى نبيه ﷺ ، وفى جمع البيوت دلالة على تعدد البيت للنبى ﷺ وكان كل واحد منها منفصلا مستقلاً عن الآخر.

ان تسئل: أكان للنبى ﷺ بيوت غيرماكان لأزواجه من البيوت إذ قال الله تعالى فيما تقدم : «واذكرن مايتلى فى بيوتكن» : ٣٤) و قال هنا :« بيوت النبى» ؟

تجيب : ان إضافة البيوت إلى النبى ﷺ إضافة ملك ، وإضافتها إلى نسائه ﷺ إضافة محل ، إذجعل فيها الاذن للنبى ﷺ والاذن إنما يكون للمالك .

وقوله تعالى : «إلا أن يؤذن لكم» إستثناء مفرغ من أعم الاحوال . . . أى لاتدخلوها فى حال من الاحوال إلا حال كونكم مأذونين فيها من جانبه ﷺ . وقيل : حال من أعم الاوقات . . . أى لاتدخلوها فى وقت من الأوقات إلا وقت أذن لكم ويدعوكم إلى طعام .

وقوله تعالى : «ولكن إذا دعيتم فادخلوا» إستدراك من النهى عن الدخول بغيرإذن ، وفيه دلالة على أن المراد بالاذن إلى الطعام هوالدعوة إليه ، وفيه تأكيد للمنع ، وخص وقت الدخول بأن يكون عند الاذن على جهة الأدب وحفظ الحضرة الكريمة من المباسطة المكروهة ، وتقدير الكلام : ولكن إذا دعيتم و أذن لكم فى الدخول فادخلوا . وإلا فنفس الدعوة لاتكون إذناً كافياً فى الدخول.

وقوله تعالى : «فاذا طعمتم فانتشروا» أمر من الله تعالى بأن يتفرق جميعهم وينتشروا بعد الاطعام . وفى «ولامستأنسين لحديث» إشارة إلى بعض مايدعوهم إلى إطالة المكث فى بيوت النبى ﷺ وهو الانس بالرسول ﷺ والمتعة الروحية بالحديث إليه ، وهذا وإن كان مما يحب من المسلم ويحب له إلا أن هذا ليس وقته إذلابد من الراحة بعد الطعام ، ومن السكن والهدوء والانفراد بالنفس .

وقوله تعالى : «ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم» بيان لسبب النهى عن المكث وطول الاقامة فى بيوت النبى ﷺ . وفيه إشارة إلى ما كان يجده النبى ﷺ من أذى وتضرر فى تزاحم المؤمنين على بيته ، وطول مكثهم فيه ، وكان النبى ﷺ يتحمّل هذا صابراً ، ويمنعه الحياء أن يظهره ضيقاً أوضجراً . . وفيه ايماء إلى أن لاينبغى للمدعو إلى أن يتلبس بعد أن يطعم إذا كان فى ذلك أذى لرب البيت ، ولو كان فى غير بيت النبى ﷺ فان التثقيل مذموم فى كل مكان محتقر لدى كل إنسان .

وقوله تعالى : «والله لايستحيى من الحق» إعلام من الله تعالى بمالم يصرح به النبى الكريم ﷺ وإن كان حقاً ، فالنبى ﷺ إنسان طبع على الحياء تمنعه إنسانيته من أن يصارح الناس بما يسوؤهم ، مادام ذلك لايجور على حق من حقوق الله تعالى أوعلى حق من حقوق الناس ، وإن كان فيه جور على نفسه، ولهذا فقد دافع الله تعالى عن النبى الكريم ﷺ وتولى جل وعلا حمايته و دفع هذا الأذى عنه .

وقوله تعالى : «وإذا سئلتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب» نهى تلويحى للمؤمنين عن أن يسئلوا نساء النبى ﷺ شيئاً من متاع أو نحوه إلاّ من وراء الحجاب ، والحجاب هنا هو الباب الذى يدخل منه إلى بيوت النبى ﷺ ، ونهى تلويحى أيضاً لنساء النبى ﷺ عن أن يجبن السائلين مشافهات ، وان كنّ مستورات وفى ذلك تعليم لنا ولأزواجنا ، فاذا كان هذا هو حكم الله تعالى فكيف يجوز أن تشترك النساء فى البرلمانات ومجلس الشورى . . . إلاّ أن يدعين الضرورة ولو كان هذا ضرورة لكانت طلاقة العنان فى الطرقات والشوارع وما إليها أيضاً ضرورة . نعم هذا لعدم الغيرة والخروج عن الفطرة الانسانية ، و المجاوزة عن حدود الدين الاسلامى .

وقوله تعالى : «ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن» بيان لسبب ما تقدم أى ذلك

السئوال من وراءِ الحجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهن من وساوس الشيطان ، والريب لان العين وزيرة القلب ، فاذا لم تر العين لم يشته القلب ، و أما إذا رأت العين فقد يشتهي القلب ، و قد لا يشتهى ، فالقلب عند عدم الرؤية أطهر ، وعدم الفتنة حينئذ أظهر كما قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » .

و قوله تعالى : « وماكان لكم أن تؤذوا رسول‌الله » تكرار للعلة وتأكيد لحكمها ، و تأكيد العلل أقوى في الاحكام . . . وفي الجملة إستبعاد من أن يقع من أحد من المؤمنين بالله تعالى و رسوله ﷺ أن يؤذى رسول الله ﷺ بالنظر إلى نسائه نظر إشتهاء ، فذلك ما لا يجتمع معه ايمان أبداً .

و قوله تعالى : « و لا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً » إعلام تعظيم للنبي ﷺ بعد وفاته كما يجب عليهم حين حياته .

و قوله تعالى : « ان ذلكم كان عندالله عظيما » تقرير لسبب ما تقدم أى ان ذلك الايذاء و زواج نساءِ النبي ﷺ من بعده أمر هائل و خطب جليل لا يقادر قدره إلاّ الله تعالى ، و فيه تعظيم لشأن رسول الله ﷺ و ايجاب حرمته حياً و ميتاً ، و لذلك بالغ في التهديد والوعيد حيث قال : « إن تبدوا شيئاً » مما لا خير فيه لنكاحهن على ألسنتكم . . . و معنى البعد في الاشارة « ذلكم » ايذان ببعد منزلته في الشر والفساد . .

٥٤ ـ (ان تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليماً)

نهى تلويحى عن أن يظهروا نكاح زواج النبي ﷺ بعده ﷺ أو يخطروه ببالهم .

و قوله تعالى : « فان‌الله كان بكل شيء عليماً » تأكيد لما تقدم ، ومبالغة في التهديد والوعيد ، فعليهم أن يذكروا دائماً ان الله تعالى عليم بما لاخير فيه من نكاحهن على ألسنتهم أو إخفاء ذلك في صدورهم ، فاذا لاينبغى لهم أن يخطروا نكاح زواج النبي ﷺ **ببالهم فكيف أن يظهروه بألسنتهم . . .**

٥٥ - (لاجناح عليهن في آبائهن ولاأبنائهن ولا اخوانهن ولاأبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولانسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيداً)

مستأنف بياني مسوق لتقرير من لا يجب إحتجاب نساءِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنهم على طريق الاستدراك والاستثناء من عموم حكم وجوب الحجاب الذى إحتوته الايات السابقة ، والضمائـر فيها عائدة بالتبعية إلى نساءِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فليس من جناح أن يدخل على نساءِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم آبائهـن و أبنائهـن و إخوانهـن و أبناءِ إخوانهن و أبناء أخواتهن والنساء المؤمنات وخدمهن الذين هم ملك أيمانهن ، وعليهن مع ذلك كله بتقوى الله تعالى ، و إلتزام حدوده وملاحظة كونه حاضراً في كل آن و شهيداً على كل شيء . و قدّم الآباء لأن إطلاعهم على بناتهم أكثر ولتقدمهم على غيرهم قرابة ، ثم الابناء لقربهم منهن كقربهن من آبائهن ثم الاخوة ثم بني الاخـوة لان بني الاخوات آباءهم ليسوا بمحارم ، إنما هم أزواج خالات أبناءهم ، وقد يصف الابن خالته عند أبيه ففي ذلك نوع مفسدة ، فاوجبت التأخر عن رتبة المحرمية .

و لم يذكـر العم والخال إما لكونهما بمنزلة الأب أو يجريـان مجرى الوالدين ، و قد يسمّى العم أباً قال الله تعالى : « قالوا نعبد إلهك و إلـه آبائك إبراهيم و إسمعيل » البقرة : ۱۳۳) .

و إسمعيل كان عماً . وقال تعالى: « و إذ قال ابراهيم لأبيه آزر » الانعام : ۷٤) على أن الأب هنا هو العم . و إما باكتفاءِ ذكر أبناءِ الاخوة وأبناءِ الاخوات، فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن و بين الفريقين عين ما بينهن و بين العم والخال من العمومة والخؤلة لما انهن عمات لأبناء الاخوة وخالات لابناءِ الاخوات... وقيل : ترك ذكرهما مخافة أن يصفاهن لأبنائهما ، فان العم والخال ربما يصفان المرأة لولديهما ، وان المرأة تحلّ لابن العم و إبن الخال ، فلا يجوز رؤيتهما .

وقوله تعالى : «ولا نسائهن» فى إضافة النساء إلى ضميرهن دلالة على النهى عن التكشف للكافرات فى وجه ، وللنساء غير المعروفات لهن العاملات فى قضاء حوائجهن ، وذلك سداً لذرائع الفتنة التى قد تجيىء من النساء الواردات من موارد مختلفة لا يعرف وجهها . .

وقوله تعالى : «ولا ما ملكت أيمانهن» من المماليك والمراد هنا العبيد وهم من المحارم .

قيل : محرميتهم كالامر الضرورى ، وإلاّ فالمفسدة فى التكشف لهم ظاهرة ولهذا عقبه بقوله تعالى : «واتقين» فالتكشف لهم مشروط بسلامة العاقبة والأمن من الفتنة .

وقوله تعالى : «واتقين الله» فى الالتفات من الغيبة إلى الخطاب فضل تشديد وبعث على سلوكهن طريقة التقوى فيما امرن به من الاحتجاب . كأنه قيل : وليكن عملكن فى الحجب أحسن مما كان وأتقن غير محتجبات ليفضل سرّكن علنكنّ . وخصّ النساء بالذكر، وعيّنهن فى هذا الامر للمبالغة فى تحفظهن والنهى عن إسترسالهن . وفى دعوة نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى تقوى الله تعالى بعد دعوتهن إلى ضرب الحجاب بينهن وبين مهارمهن دلالة على أنه ليست العبرة فى العفة بضرب الحجاب فقط ، وإن كان الحجاب أمراً لازماً لسدّ الذرائع ، وإنما العبرة بما فى القلب من تقوى الله تعالى وخشيته والعمل على مرضاته . .

وقوله تعالى : «ان الله كان على كل شيء شهيداً» تأكيد للأمر بالتقوى ، و فيه نوع تهديد ، وفيه انه لا يتفاوت فى علمه ظاهر الحجاب وباطنه ثم كمل بيان حرمته صلى الله عليه وآله وسلم بانه محترم فى الملأ الاعلى ، فليكن واجب الاحترام فى الملأ الأدنى .

٥٦- (ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)

تقرير تنويهي بما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عندالله تعالى وملائكته من عظيم المنزلة و رفعة الشأن : فالله تعالى يصلى عليه صلى الله عليه وآله وسلم بشموله الدائم بعطفه و رحمته ، والملائكة يصلون عليه صلى الله عليه وآله وسلم بدعائهم و تأييدهم ، و أمر للمؤمنين بأن يصلواهم عليه صلى الله عليه وآله وسلم و يسلموا صلاة و تسليماً متناسبين مع رفعة شأنه و علو منزلته بالدعاء والتعظيم والاجلال . و صدر الاية إخبار من الله تعالى بمنزلة نبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم عندالله جل وعلا وفي الملأ الاعلى بأنه يثني عليه صلى الله عليه وآله وسلم وملائكته المقربون يصلون عليه . و فيه تعظيم و تكريم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالاصالة و تشريف للملائكة بالتبع ، و ذلك لان إفراد الواحد بالذكر و عطف الغير عليه يوجب تفضيلا للمذكور على المعطوف ، فكأنه تعالى شرف الملائكة بضمّهم مع نفسه بواسطة صلاتهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

و في ذكر صلاته تعالى و صلاة ملائكته على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قبل أمر المؤمنين بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم دلالة على أن في صلاة المؤمنين له إتباعاً لله تعالى و ملائكته ، و تأكيداً للنهي الآتي .

و قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً » خطاب من الله تعالى وتنبيه للمؤمنين إلى ما يجب عليهم من الصلوات والسلام على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره من الانبياء تشريفاً له صلى الله عليه وآله وسلم و أما آله المعصومون فهم نفسه صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال الله تعالى : « فقل تعالوا ندع أبنائنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا وأنفسكم » آل عمران : ٦١) وفي الاطلاق دلالة على إستمرار الحكم في حياته و بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم و ذكر المصدر في التسليم للتأكيد ليكمل السلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يؤكد الصلاة هذا التأكيد لانها كانت مؤكدة بقوله تعالى: « إن الله و ملائكته يصلون » .

و ان الاطلاق شامل لكل مؤمن و مؤمنة في كل وقت و مكان ، موجب عليهم أداء حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم من التوقير والتعظيم والدعاء والترحم وعظيم الشكر

في سبيل تسجيل الاعتراف بماله ﷺ عليهم من فضل خالد الأثر في هداهم إلى الحق والخير و سعادة الدارين و إخراجهم من الظلمات إلى النور الوهاج الذي سيبقى ساطعاً في الخافقين ، والذي سيزداد سطوعاً كلما إستقامت عقول الناس وحسنت نواياهم وإستنارت بصائرهم فاستبانوا سبل الهدى والسعادة بفضل ذلك النور والقرآن معجزة نبوته العظمى .

٥٧- (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وأعدلهم عذاباً مهيناً)

نهي تلويحي عن ايذاء الله تعالى و ايذاء رسوله ﷺ و في تقديم ذكر « الله » تعظيم إذ جعل أذى رسوله ﷺ أذى له جل و علا تشريفاً و تكريماً له ﷺ فكأنه قال: لو جاز أن يناله ﷺ أذى من شيء لكان ينالني من هذا، و من هنا يظهر إتصال الاية بما قبلها فكأنه تعالى قال : صلوا عليه و لا تؤذوه فان من أذاه فهو كافر . و ان من قصد رسولنا ﷺ بسوء فقد قصدني به و من قصدني به فهو كافر . على أن الله تعالى منزه من أن يناله الأذى و كل ما فيه وصمة النقص والهوان . و قيل : ايذاء الله تعالى هو المخالفة عن أوامره والارتكاب بزواجره و ايذاء الرسول ﷺ بالصاق عيب و نقص به .

و قوله تعالى : « لعنهم الله . . . » إنذار شديد بلعنة الله تعالى في الدنيا والآخرة ، و عذاب المهين لمن يؤذي الله و رسوله ﷺ بأيّ نوع من أنواع الأذى و سوء الأدب والبذاءة والقذف والاحراج والبغي والغمز واللمز في حق الله سبحانه و في حق رسوله ﷺ و فيه تلقين مستمر المدى في شجب الذين يصدر منهم شيء من مثل ذلك في كل وقت ومكان ومناسبة . وفي وصف العذاب بالمهين إشارة إلى المقابلة بين العمل والجزاء لانهم كانوا يقصدون باستكبارهم في الحياة الدنيا إهانة الله جل و علا و رسوله ﷺ فقوبلوا في الاخرة بعذاب يهينهم .

٥٨- (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقداحتملوا

بهتاناً واثماً مبيناً)

بيان لشدة إثم الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ، و ينسبون إليهم ما لم يصدر عنهم بقصد أذيتهم والتشنيع عليهم والدعوة إلى الوقوف منهم موقف الشدة والتأنيب والتنكيل . و في إطلاق الايذاء في ناحية الله سبحانه و رسوله ﷺ و تقييده في جانب المؤمنين بالاكتساب و عدمه تنبيه على أن أذى الله و رسوله ﷺ لا يكون إلاّ بغير حق ، و أما أذى المؤمنين فقد يكون بحق وهو جائز، فاذا صدر عن أحدهم ذنب جاز ايذاؤه على الوجه المحدود في الشرع كما في القصاص والحد والتعزير من غير إثم فيه . و فيه دليل على عصمة النبي الكريم ﷺ بانه لن يفعل ما نهي عنه ، و لا يترك ما امر به حتى يستحق الأذى. وفي تعليق الحكم على المؤمنين والمؤمنات ما لا يخفى على القارىء الخبير .

٥٩- (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما)

خطاب موجه للنبي الكريم ﷺ يأمر فيه بالايعاز إلى أزواجه وبناته وسائر نساءِ المؤمنين بضمّ جلابيبهن على أجسامهن حتى يعرفن بهذا الزى فلا يؤذين ببذيء الكلام ، ففي الاية دعـوة لهن جميعهن إلى أن يحمين أنفسهن من ألسنة السوءِ ، و ذلك بأن يدنين عليهن من ثيابهن ، و أن يرسلنها حتى تكسو أجسامهن إلى مواضع أقدامهن . . . و هذا هو لباس المحتشمات على خلاف ما كان عليه لباس المتبرجات ، الداعيات للرجال إلى أنفسهن . . . و بهذا الزى ينعزل نساء النبي ﷺ و بناته و نساء المؤمنين عن غيرهن ممن لا يسؤهن قول أو فعل من ذوى السيرة السيئة من المنافقين والمرجفين والفساق و مرضى القلـوب الذين كانوا يتعرضون للنساءِ و لا يبالون أن يتعرض لنساءِهم لعدم الغيرة .

و قوله تعالى : « ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » تعليل لما تقدم ، يفيد ان إناء الجلابيت تعليم بزىّ خاص يعرف به المؤمنات ، و يفرق به بين الحرائر

والعواهر، و ان هذا الزى الساتر الذى يتزيا به نساء النبى ﷺ وبناته ونساء المؤمنين هو معلم من معالم المرأة الحرة العفيفة التى لايطمع فيها أحد ، وفى « أدنى » إشارة إلى أن هذا الزى ليس وحده بالذى بقى الحرائر والعفيفات من ألسنة أهل الفجور والفسق ، ولكنه على أى حال وقاء يجمّل الحرة و يزيّن العفيفة ، و يضفى على طهرها طهراً ، و على عفتها جلالاً و عضة ، فهو و إن لم يكن الكمال كله فهو من سمات الكمال و إن لم يكن العفة كلها ، فهو مظهر من مظاهرها . . .

٦٠ـ (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الا قليلا)

تقرير حكم قرآنى موكول تنفيذه إلى النبى الكريم ﷺ بتأديب أهل النفاق ومن على شاكلتهم إذا لم ينتهوا عن الفساد وإذاعة الفحشاء و أذى المؤمنين والمؤمنات بعد الانذار ، والحكم هو الطرد و إهدار الدم والقتل دون هوادة و تسامح ، و انه عام شامل مستمر المدى و موكول لاولى الامر فى المسلمين حيث يوجب عليهم سلوك سبيل الشدة فى القمع والتنكيل مع من لم يرتدع عن موقف الاذى والدس والارجاف والأراجيف وإثارة الشائعات الكاذبة والافساد والفتنة و سوء أدب و ذوق و بذاءة و ولوغ فى الأعراض و إثارة الريب و من إليها من أعمال المنافقين . . . سواء أكانت فى حق الله تعالى ورسوله ﷺ أم فى حق المؤمنين والمؤمنات . . . لسلامة المجتمع و طمأنينته .

و فى الآية وعيد و تحذير و إنذار مزلزل قاصم لفئات المنافقين و مرضى القلوب ومثيرى الشائعات الكاذبة فى المدينة على طريق القسم بأنهم إذا لم ينتهوا عما يبثونه من وساوس و دسائس ، و عما يوقعونه من أذى و قلاقل ، فان الله يغرى نبيه ﷺ بهم و يسلّط عليهم و يقدره على طردهم من المدينة .

و قوله تعالى : « ثم لا يجاورونك فيها إلاّ قليلاً » تنبيه إلى أن هؤلاء

المنافقين ومن انضوى إليهم إذا سلّط عليهم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لن يجدوا القوة التي يدفعون بها بأسه و قوته بما مكّن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم في الارض، و بما جمع له من جند الله جل و علا و أنصاره . . .

٦١ - (ملعونين أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلاً)

مستأنف بياني سيق لتقرير مآل أمر المنافقين، ومن على شاكلتهم في الحياة الدنيا من الخزي والهوان والقتل الذريع بدون هوادة واستثناء وتساهل أين ما وجدوا، وهم بهذه اللعنة التي خرجوا بها من المدينة لن يجدوا مأوى يؤوون إليه ولامعتصماً يعتصمون به . . . وأينما وقعوا اليد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين أصبحوا في عداد الاسرى وليس لهم بعد الأسر إلاّ القتل .

٦٢ـ (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

تنبيه على أن هذه هي سنة الله تعالى فيمن مضى من أمثالهم من الامم، وهي السنة التي لاتتبدل في حال، فهذا الحكم على المنافقين و مرضى القلوب بنحو هذا هو شرعة الله تعالى في أشباههم من قبل فهو ليس ببدع فيهم .

٦٣ـ (يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عندالله ومايدريك لعل الساعة تكون قريباً)

تذكير بالساعة، وإلفات إلى يوم البعث والجزاء بعد ما تهدّدت الايات السابقة فئات المنافقين ومرضى القلوب الذين هم صنّاع الأراجيف والشائعات، والمثيرون الفتنة والفساد . . . وذلك لعلهم يرجعون إلى الله تعالى بالتوبة و يخلون بالاستغفار قلوبهم من النفاق، ويطهرون بالاخلاص أنفسهم من تلك الآفات الخبيثة التي إستوطنتها . . . و ذلك على طريق الحكاية عما سئل النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من الساعة وما أمر الله تعالى من الجواب عنه على سبيل قصر العلم بها في الله تعالى .

و قوله تعالى : « وما يدريك » تأكيد لنفي على الساعة عن أحد غير الله

تعالى . وقوله تعالى : « لعل الساعة تكون قريباً » إخبار عن قرب وقوع الساعة، وفيه تبكيت للمتحنين والمتعنتين، وتهديد للمستعجلين المستهزئين . . .

٦٤- (ان الله لعن الكافرين وأعدلهم سعيراً)

حملة شديدة على الكافرين على طريق الاخبار والايذان المؤكد بابعادهم عن رحمة الله تعالى وطردهم عن شمول لطفه ، وبمالهم في الآخرة من شديد العذاب . وفي الآية تهديد لفئات المنافقين ومن على شاكلتهم الذين إن لم يصححوا إيمانهم أصبحوا في عداد الكافرين .

٦٥- (خالدين فيها أبداً لايجدون ولياً ولا نصيراً)

إيئاس لهم من وجود ما يدفع عنهم العذاب أو يستنقذهم من السعير من ولي أو نصير ، فهم ينزلون أسوأ منزل في جهنم لايخرجون من عذابها المطبق عليهم أبداً.

٦٦- (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا)

عرض لصورة من صور العذاب التي يلقاها الكافرون يوم القيامة حيث تقلّب وجوههم في النار ، و تأخذهم الحسرة والندامة ، ويتمنون لو كانوا أطاعوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأنى لهم أن يصلحوا ما أفسدوا ؟ لقدفات الأوان ! .

٦٧- (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا)

بيان لبعض معاذيرهم بالقائهم التبعة على من أضلوهم من كبرائهم وسادتهم، وفي هذا إحالة الذنب على غيرهم كماهي عادة المذنب يفعل ذلك وهو يعلم انه لا يجديه نفعاً ، وفي الآية إشارة إلى أنهم يلقون باللائمة على سادتهم و كبرائهم و قدكانوا تبعاً لهم فأوردوهم هذا المورد الوبيل .

و قوله تعالى : « و قالوا » حكاية لما سيقولونه يوم القيامة ، و عبّر عنه بالفعل الماضي لحتمية وقوع هذا القول ، وتلك حجة داحضة ، وعذر غير مقبول، لقد باعوا أنفسهم لسادتهم ، وعطلوا العقل الذي وهبه الله تعالى إياهم ، فلم يصغوا إلى آيات الله جل وعلا ولم يستمعوا إلى دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولم يلتفتوا بعقولهم

وقلوبهم إلى هذا النور الذى غمر الآفاق من حولهم . . . بل تركوا لغيرهم مقودهم وأسلموه زمامهم . . فاذا دفع بهم قائدهم إلى الهاوية الملومون ولا لوم على أحد .

٦٨- (ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً)

دعاء على سادتهم وكبرائهم الذين هم أطاعوهم ، فأضلوهم باللعنة ومضاعفة العذاب على طريق التشفى إذ كانوا سبب ضلالهم ووقوعهم فى هذا المورد الوخيم ،وإن كانوا هم يعلمون ان ذلك لايخلّصهم مماهم فيه من اللعن والعذاب ، و إنما سئلوا لهم ضعفى العذاب لانهم ضلوا فى أنفسهم ، وأضلوا غيرهم ، و لذلك أيضاً سئلوا لهم اللعن الكبير ، وهم يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر والنفاق . والجمع دليل على كثرتهم .والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار، وماكانوا عليه فى الحياة الدنيا من الاشتهار بهما وإلا فهم فى مقام التحقير والاهانة .

٦٩- (يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مماقالوا وكان عندالله وجيهاً)

خطاب من الله تعالى للمؤمنين تحذيراً لهم من التعرض لايذاءِ نبيهم ﷺ ونهياً عن تشبههم ببنى إسرائيل فى إذايتهم نبيهم موسى عليه السلام على ما كان من وجاهته وطهارته عندالله تعالى عماكانوا يتهمونه ويفترونه . وفى توصيفهم بالايمان ايماء إلى أن من شأن صفة الايمان أن يمنعهم من ايذاءِ من آمنوا به ﷺ نظير قولك : يا أيها العالم !لاتفعل هذا وأنت تعلم أنه حرام . . .

وفى الاية تأديب ربانى مستمر التلقين فى وجوب الامتناع عن إتهام الناس بماليس فيهم ، وإلتزام حدود الحق والسداد فى كل ما يصدر عن المرءِ من قول .

٧٠- (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً)

مبالغة فى نصح المؤمنين ، وإشارة إلى ماينبغى أن يكون عليه المؤمنون، من تقوى لله جل وعلا ، وعدم التفوه بغير مافيه الحق والسداد ، وهما من أهم صفات

المؤمنين حقاً .

٧١- (يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله و رسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)

تقرير لأهم آثار التقوى والقول السديد من إصلاح الاعمال وغفران الذنوب...

وقوله تعالى : « ومن يطع الله. . . » حث على طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ و وعد جميل على الاتيان بجميع صالح الاعمال ، والاجتناب عن جميع المناهي بترتيب الفوز العظيم على طاعة الله جل وعلا ورسوله ﷺ .

و قوله تعالى : « فقد فاز » في ايثار الماضي لحتمية الفوز وترتبه على الاطاعة والانقياد حيث ان الطاعة سبب أو علة لتحقيق الفوز أو لترتب الفوز .

٧٢- (انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً)

مستأنف بياني مسوق لتقرير خطورة شأن الانسان وأهليته للتكليف وواجباته وقابليته للخير والشر والاستقامة والانحراف. . . وليست هذه شأن الكائنات الاخرى بحيث لو عرض ذلك على السموات والارض والجبال وهي ماهي من العظمة والسعة والجلال لما كان من طبيعتها قبول الامانة وحملها ، فأبت من حملها لفقد مقتض الحمل فيها ، وحملها الانسان نتيجة لتأهيل الله تعالى له بالتمييز والارادة وقابلية الخير والشر والاختيار بينهما مما لم يكن حظ غيره من المخلوقات . . غير انه لم يرعها حق رعايتها ، فنم بذلك عن جهل لخطورة ما حمل ، وعن ظلم لنفسه بتقصيره في القيام بما حمل .

وقد اختص الانسان بالأمانة كوسيلة لاختيار الناس حتى يميز خبيثهم من طيبهم ، وطالحهم من صالحهم ، ومقصّرهم من القائم بواجباته منهم ، وفيه إنذار للذين يختارون الضلال ويسيرون في طريقه ، وبشرى للذين يختارون الهدى و يسيرون في طريقه كذلك ، وفيه تكريم للانسان، وتصوير لعظم الامانة و ثقل

حملها ، فمثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحالة المتحملة المفروضة لو عرضت على تلك الاجرام العظام . . . وسمى التكليف أمانة لان من قصر فيه فعليه الخسارة ، ومن أداه فله الكرامة ، فعرض الامانة بهذا المعنى على تلك الاجرام وإباءها من حملها هوعدم صلوحها لهذا الامر .

وفى تخصيص الثلاثة ـ السموات والارض والجبال ـ بالذكر لأنها أشد الامور وأحملها للأثقال وأعظمها .

و قوله تعالى : « أن يحملنها » في الحمل تنبيه على أن في حمل الامانة مشقة ، ولم يقل : « فأبين أن يقبلنها » وقبلها الانسان : « وحملها الانسان » وفيه إشارة إلى أن فى حملها أجراً وثواباً كما أن الحمّال إذا حمل شيئاً ، فوصله إلى محله يستحق الاجرة من صاحبها ، فالتكاليف والأوامر والنواهى والاحكام كلها أحمال وأثقال يحملها الانسان المكلف ، وفى التعبير بالحمل ايماء إلى أن هذه الامانة ثقيلة ثقلاً لا يحتملها السموات والارض والجبال .

وقوله تعالى: « وأشفقن » قيل : فى تعبير الاشفاق بدلاً من « خفن منها » لان الخائف مضطر إلى أن يتحرك ، ويبتعد عن مصدر الخطر الذى يتهدد وجوده بخلاف المشفق إذ لاخطر يتهدده . . انه أشبه بحلم مزعج من أحلام اليقظة وتلك الكائنات لم تكن فى عرض الامانة عليها فى مواجهة خطر يتهددها إذ انه مجرد عرض لاإلزام معه ، فهى إما أن تقبل بطبيعتها الامانة وتستجيب لها ، و إما ألا تقبلها ولا تتجاوب معها . . وليس من الكائنات قبول التكليف وحملها ولاعدمه .

وقوله تعالى : « انه كان ظلوماً جهولاً » مستأنف بيانى سيق لوصف الانسان بالظلم والجهل على صيغتى المبالغة تنبيهاً إلى شدة الخسارة ووخامة العاقبة التى خسرها الانسان بتضييع الامانة التى كان من شأنه أن يؤدّى حقها ، ويحفظ كرامته على غيره من الكائنات . . .وهذا اسلوب من أساليب البلاغة فى إظهار عظمة الشيء بذمّ من فرط فيه وقصر فى حفظه وحراسته . . كما يقال عن انسان كانت بين يديه

فرصة عظيمة مسعدة، فأضاعها بالتساهل والتوانى والاهمال ، فلايجد إلا من يلوم ويقرّع بمثل هذه الكلمات . غبى ! حيوان ! جاهل ! بليد ! ، . .

وعلى هذا لايكون قوله تعالى: « انه كان ظلوماً جهولاً » تعقيباً على «وحملها الانسان » وإنما هو تعقيب على محذوف ، فتقديره : و حملها الانسان فلم يحسن حملها ولم يؤدها على وجهها . . بسوء إختياره وانه بهذا التقصير كان ظلوماً جهولاً.

و قيل : وصف بالظلم لانه صرف الاستعداد فى غير ماخلق لأجله ، وبالجهل لانه جهل خاصة عاقبة إفساد إستعداده بسوء إختياره أو علم و لم يعمل بعلمه ، فنفى عنه العلم لانتفاء ثمرته .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « انه كان ظلوماً جهولاً » و فعول من أوزان المبالغة فيقتضى تكرار الظلم والجهل منه ، و انه منتف ؟

تجيب : لما كان عظيم القدر ، رفيع المحل كان ظلمه وجهله لنفسه أقبح و أفحش ، فقام عظم الوصف مقام الكثرة . وقيل: إنما سماه ظلوماً جهولاً لتعدى ضرر ظلمه وجهله إلى جميع الناس ، فانهم أخرجوا من الجنة بواسطته وتسلّط عليهم إبليس و جنوده . . . و من غير بعيد أن تكون المبالغة باعتبار تكرار الظلم و موارده : الظلم بالله تعالى و بنفسه و بالناس ، و تكرار الجهل . . .

٧٣- (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمومنات و كان الله غفوراً رحيماً)

بيان للغرض الصحيح والحكمة البالغة فى عرض الأمانة ، و إشارة إلى مآل أمر الذين أضاعوا حق الأمانة ، و إلى عاقبة الذين أدّوا حقها على وجهها ، أى انا عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافقين وشرك المشركين ، فيعذبهم الله تعالى ، و يظهر ايمان المؤمنين فيتوب الله جل و علا عليهم و يرحم بهم .

و قوله تعالى : «ليعذب الله» فى الالتفات من التكلم إلى الغيبة ، والاتيان باسم الجلالة للدلالة على أن عواقب الامور إلى الله تعالى لانه الله جل و علا .

وقوله تعالى: « و يتوب الله » فى وضع الظاهر موضع المضمر إشعار بكمال العناية فى حقهم والاهتمام بأمرهم ، و فى تقديم عذاب الخائنين على ثواب المؤتمنين إلى شدة وخامة الخيانة و تضييع الامانة .

وفى إختصاص المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات بالعذاب هنا إشارة إلى أنهم الذين ضيّعوا الأمانة كلها ، و لم يبق فى أيديهم شيء منها . . انهم جميعاً على الكفر بالله سبحانه . . فالمنافق : منافق و كافر ، والمشرك : كافر و مشرك .

و ذكر المؤمنات مع المؤمنين ، والمنافقات مع المنافقين ، والمشركات مع المشركين هو نتيجة و تبع لتعبير الانسان ، وطبيعة شموله للجنسين ، ومع ذلك فان فيه دلالة خاصة على أن الميدان فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم و إزاء دعوته و رسالته لم يكن خالياً من المرأة كان هناك مؤمنات مخلصات كما كان هناك مشركات عنيدات ومنافقات خائنات أولاً ، و على أن القرآن الكريم يجعل المرأة صنواً للرجل فى أهلية التكليف والقابلية والاختيار ، و فى النتائج المترتبة على ذلك فى الدنيا والاخرة ثانياً .

و هذا و ذاك متسق مع ما تكررت فيه الدلالات القرآنية ، و مع شمول ما إنطوى فى الاية السابقة من مقاصد لجميع النـاس فى جميع الأزمان ، فان ذكر المؤمنين والمشركين والمنافقين فى هذا المقام يجعل الصلة وثيقة بينها، و بين سامعى القرآن الكريم بالذات من مختلف الفئات . . .

و قوله تعالى : « و كان الله غفوراً رحيماً » تعليل لقبول توبة المؤمنين ، و إختصاص رحمته بالمؤمنين ، و وعدهم بالمغفرة فى تقصير بعض الطاعات من غير تعهّد و قصد .

﴿الاعجاز﴾

ونحن نكتفي بموارد من وجوه إعجازهذه السورة على طريق الاختصار ـ فعلى القارىء الخبيرالتدبر جداً ـ لتنوع المباحث الآتية فى الفصل الثانى من هذه السورة من الابحاث الاعتقادية والاخلاقية والاجتماعيةوالسياسية والحكمية والتاريخية . . .

ومن وجوه اعجازها : نزولها في أعقاب غزوة الاحزاب التي جمعت لها قريش كلقواها،وساقت لهاأخلافهاوأحلافهاوأسندتفيها إلى اليهود دورالغدر بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وبالمسلمين حين يلتحم القتال ، ويتعرّى ظهرالمسلمين ، وقد إنتهت هذه الحملة بما لم يكن يقع في حسبان قريش ، ومن إجتمع على نصرتها من يهود وغيرهم ، ففرّق الله تعالى جمعهم من غيرحرب ، ومزّق وحدتهم من غيرقتال فقال : «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذجاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً» الاحزاب : ٩)

ثم يجيىء دوراليهود فى هذه الحملة فيقول : «وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً» الاحزاب : ٢٦ـ٢٧)

وكان هذا أول لقاء مسلح مع اليهود ، وفيه دارت الدائرة عليهم ، ونزلوا

على حكم المسلمين وبه أخرج بنوفريظة وهم أقوى فرق اليهود بالمدينة من ديارهم وأموالهم وسبى منهم من سبى وقتل من قتل ! وذلك انه بعد أن انكفأت قريش عن المدينة راجعة بالخزى، و وضع النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون السلاح جاء أمر السماء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم يدعوه إلى حرب بنى قريظة من اليهود، فدعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين إلى هذا الامر، وحرّضهم على الجد فيه، فقال : من كان يؤمن بالله و رسوله فلا يصلين العصر إلاّ فى بنى قريظة . . . وهناك حاصرهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون أياماً ثم استسلموا، فقتل منهم المقاتلة وسبى الذرارى والنساء، وغنم الاموال والديار! .

وبقيت جماعات اخرى من اليهود لم يكونوا قد أعلنوا الحرب كما أعلنته بنوقريظة، ولكنهم مع ذلك كانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر. وفى ذلك قال الله تعالى : «لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها إلاّ قليلاملعونين أينما ثقفوا اخذوا و قتلوا تقتيلا» الاحزاب : ٦٠-٦١)

ولاشك ان هذه الاية نذير للبقية الباغية من اليهود فى المدينة وماحولها، وان يومهم قددنا وإقترب .

ومن وجوه الاعجاز : ما جاء فى قوله تعالى : «ولما رآى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله» الاحزاب : ٢٢)من الاخبار بانه يتظاهر عليهم الاحزاب، ويقاتلونهم ووعدهم الظفر بهم، فلما رأوهم تبيّن لهم مصداق قوله تعالى وكان ذلك معجزاً له .

وعن عائشة: انها قالت : لو كتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً مما أوحى الله تعالى إليه لكتم هذه الاية : «وإذتقول للذى أنعم الله عليه . . .» الايـة . و قال الحسن : ما انزلت على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم آية كانت أشد عليه صلى الله عليه وآله وسلم منهاقوله: «وتخفى فى نفسك ما الله مبديه» ولو كان نبى الله كاتماً شيئاً من الوحى لكتمها .

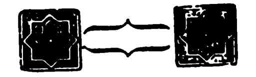
وقال بعض المحققين: ان قوله تعالى: «ولكن رسول الله وخاتم النبيين» دليل من دلائل رسالة النبى الكريم ﷺ ومن علائم صدق نبوته، وإخبار عن الغيب حيث اخبر بختمية رسالته ونبوته.

ومنها: ما جاء فى قوله تعالى: «يا أيها النبى انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً» الاحزاب: ٤٥ـ٤٦) وذلك لان شأن قريش مع النبى الكريم ﷺ كان أعجب وأغرب.. إذكانوا يلقبونـه بالصادق الامين قبل بعثته، وكان فيهم المثل الاعلى للكمال.. إذما أخذ الناس عليه بادرة من بوادر السوء.. ثم لما ساق الله تعالى إليه هذه الرحمة، فجعله رسولاً إلى العالمين، نكصت قريش على عقبها، وكذبت على نفسها وأصمت آذانها عن الاستماع له، وهم مع ذلك يعلمون عن يقين انه لايقول إلا حقاً، ولهذا يكشف الله جل وعلا ما بنفوسهم له بقوله: «فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون» الانعام: ٣٣)

و إذن فنستطيع أن نقرر أن الرسول ﷺ نفسه هو معجزة من معجزات القرآن الكريم، ووجه من وجوه إعجازه، ودليل من أدلة هذا الاعجاز، فهو ﷺ هاد إلى القرآن ودليل عليه ومبيّن له كما قال فى خطابه تعالى لنبيه ﷺ هذا الخطاب الحبيب الكريم: «يا أيها النبى إنا أرسلناك...»

ففى قوله تعالى: «وسراجاً منيراً» إشارة مشرقة من إشارات الحق إلى مكان الرسول ﷺ من الرسالة، وإلى موضعه من المعجزة التى تحملها الرسالة فى كلمات الله جل وعلا انه سراج منير. يكشف للناس مواقع الاعجاز من القرآن الكريم، فمن لم يكن له كاشف من بصيرته إلى الاعجاز القرآنى، فان فى الرسول الذى يحمل هذه المعجزة أضواء تلتقى مع أضواء القرآن، فتجلّى المعجزة لكل ناظر، ولو كان أعشى النظر كليل البصر!.

ومنها : قوله تعالى : «واتقين اللّٰه» الاحزاب : ٥٥) و ذلك لان اللّٰه تعالـى لما ذكر الرخصة فى هذه الاصناف ، و انجزمت الاباحة عطف بأمرهن بـالتقوى عطف جملة ، و هذا فى غاية البلاغة والايجاز، كأنه قال : اقتصرن علـى هـذا و اتقين اللّٰه تعالى فيه أن تتعدينه إلى غيره .



﴿التكرار﴾

عشر سور بدئت بحرف النداء: خمس منها خطاب للنبي الكريم ﷺ وهي:
١- سورة الاحزاب. ٢ - سورة الطلاق. ٣ - سورة التحريم. ٤ - سورة المزمل. ٥ - سورة المدثر. و ثلاث منها خطاب للمؤمنين خاصة و هي:
١ - سورة المائدة. ٢ - سورة الحجرات. ٣ - سورة الممتحنة.
و ثنتان اخريان موجهتان إلى عامة الناس وهما- سورتا النساء والحج.
و نشير في المقام إلى صيغ تسع لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - جائت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية:
١ - جاءت كلمة (الجوف) على صيغها في القرآن الكريم نحو: مرة واحدة: و هي في سورة الأحزاب: ٤).
٢ - « « (الحنجر) « « « « : مرتين: أحدهما - في سورة الأحزاب: ١٠) ثانيهما - في سورة غافر: ١٨).
٣ - « « (يثرب) « « « « : مرة واحدة وهي في سورة الاحزاب: ١٣).
٤ - « « (العوق) « « « « : مرة واحدة و هي في سورة الاحزاب: ١٨).
٥ - « « (السلق) « « « « : مرة واحدة و هي في سورة الاحزاب: ١٩).

٦ ـ « « (النحب) « « « « : مرة واحدة و هي في سورة الاحزاب : ٢٣) .

٧ ـ « « (الصياصة) « « « « : مرة واحدة و هي في سورة الاحزاب : ٢٦) .

٨ ـ « « (الوطر) « « « « : مرتيـن : و هما ـ في سورة الاحزاب : ٣٧) .

٩ ـ « « (الاغراء) « « « « : مرتين : أحدهما ـ في سورة الاحزاب : ٦٠) ثانيهما ـ في سورة المائدة : ١٤) .



﴿ التناسب ﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ : التناسب بين هذه السورة و ما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ : التناسب بين هذه السورة و ما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ : التناسب بين آی هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة آل عمران على التحقيق فالتناسب بينهما فامور :

منها : لما ختمت سورة آل عمران بأمر المؤمنين بالتقوى « واتقوا الله لعلكم تفلحون » بدئت سورة الاحزاب بأمر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالتقوى ليكون لهم فيه صلى الله عليه وآله وسلم اسوة حسنة فيها .

و منها : ان الله تعالى لما أشار في سورة آل عمران إلى إصطفائه الانبياء و أخذ الميثاق منهم لما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فجعله أول الانبياء خلقاً بقوله تعالى: « ان الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبرهيم و آل عمران على العالمين ـ و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به و لتنصرنه » آل عمران : ٣٣ـ٨١) أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في سورة الاحزاب بالاستقامة في أمره والقيام بمهمته قياماً تاماً لا تساهل فيه ولا هوادة من دون تأثر بأی إعتبار ، فلابد له في ذلك من الحذر من إطاعة كافر أو منافق ، و عليه صلى الله عليه وآله وسلم من إتباع الوحي السماوي فقط والتوكل على الله

تعالى لاستحالة الجمع بين إتباع الوحى والاطاعة لمنكريه ، و هذا هو الميثاق الغليظ أخذه الله جل و علا من جميع الانبياء والمرسلين مع بيان العلة فكل مسئوول عنه ، و مع الاشارة إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الانبياء بعثة بقوله تعالى: « و إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ـ ما كان محمد أبا أحد » : ٧ ـ ٤٠) .

و منها : لما جاء فى سورة آل عمران تنويه للانبياء الماضية و فضل آل عمران ، و رفعة شأن اممهم المؤمنين فى قوله تعالى : « ان الله اصطفى آدم و نوحاً و آل ابراهيم و آل عمران على العالمين ـ ليسوا سواء من أهل الكتاب امة قائمة . . . » آل عمران : ٣٣ ـ ١١٤) .

جاء فى هذه السورة تنويه للنبى صلى الله عليه وآله وسلم من عظيم المنزلة و فضل أهل بيته عليهم السلام و رفعة شأن أمته صلى الله عليه وآله وسلم ما يرجح ما جاء فى السابقة بقوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً ـ هو الذى يصلى عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ـ ان الله و ملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً » الاحزاب : ٣٣ و ٤٣ و ٥٦) .

و منها : ان الله تعالى لما أشار فى سورة آل عمران إلى قصة إمرأة عمران و إلى قنوت مريم و عبوديتها و طهارتها و عفتها بقوله تعالى : « و إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً ـ قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر » : ٣٥ـ٤٧) جاء فى هذه السورة بما يحثّ نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون لهن فيهما اسوة حسنة .

و منها : ان الله تعالى لما أمر المؤمنين فى سورة آل عمران بالاعتصام بحبل الله تعالى والاتحاد بقوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرّقوا . . . » آل عمران : ١٠٣) نبههم فى هذه السورة بآثار الاعتصام والاتحاد من نصر الله تعالى لهم ، و بأن الاعتصام بغيره لا ينفع فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا

اذكروا نعمة الله عليكم ـ قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة » الاحزاب : ٩ ـ ١٧) و غيرها من المناسبات فعلى القارئ الخبير التأمل.

و أما الثانية : فالتناسب بين هذه السورة و ما قبلها مصحفاً فبامور أيضاً:

أحدها ـ : ان الله تعالى لما نفى في أول سورة السجدة الريب من هذا الكتاب السماوي و بيّن علة نزوله و إرسال رسوله ﷺ إلى قوم ما نزل عليهم كتاب و لا ارسل إليهم رسول من قبل، وأشار إلى موقف الكافرين في هذا الكتاب وفي هذا الرسول ﷺ بدء سورة الاحزاب بأمره نبيه ﷺ بالحذر عن هؤلاء الكفار ، و ما نبت لهم من الأذناب من المنافقين في هذ الفصل الزمني بين نزول سورة السجدة ونزول هذه السورة ، ونهاه ﷺ عن إطاعة الكافرين والمنافقين، وأمره ﷺ باتباع مايوحى إليه من ربه فقط، مع التوكل عليه جل وعلا فحسب.

ثانيها ـ : لما جاء في السورة السابقة وعيد الكافرين بالعذاب في الحياة الدنيا قبل عذاب الاخرة في قوله تعالى : « و لنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر ـ فاعرض عنهم و انتظر انهم منتظرون » : ٢١ ـ ٣٠) وفيه وعد للمؤمنين بالنصر والغلبة على أعدائهم تلويحاً، أشار في سورة الاحزاب إلى تحقق ما وعدهم من قبل في قوله تعالى : « و لما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله ـ و أورثكم أرضهم و ديارهم وأموالهم و أرضاً لم تطؤها و كان الله على كل شيء قديراً » : ٢٢ ـ ٢٧).

ثالثها ـ : ان الله تعالى لما أشار في السورة السابقة إلى فضل الائمة في قوله جل وعلا : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » : ٢٤) بيّن في سورة الاحزاب عصمة أهل بيت نبينا محمد ﷺ وطهارتهم من كل ما لا يليق بساحة العصمة في قوله : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » : ٣٣) وغير ذلك من التناسب بينهما فعلى القارئ

الخبير التأمل جداً . و قد اتصلت السورتان بعضهما ببعض مع أن السابقة مكية والتالية مدنية ، و بينهما فصل زمني ممتدّ ، وفي ذلك دلالة على توقيفية ترتيب السور مصحفاً كترتيب نفس الايات في السور . . .

و أما الثالثة : فلمابدئت السورة بالخطاب للنبي الكريم ﷺ أمر بالتقوى تعظيماً لما يذكر بعدها من الامر والنهي ، وذلك كلما ورد في القرآن الكريم الامر بالتقوى يرد بعدها الأمر أو النهي ، فالامر بالتقوى تعظيماً لما بعدها من الامر والنهي ، فالامر بالتقوى كالتوطئة والاعلام لذكر الامر والنهي ، ثم ضرب مثلاً لبيان إمتناع إجتماع الخوف من الله تعالى والخوف من سواه من أحد، إذ ليس لرجل قلبان يطيع بأحدهما الله تعالى و بالاخر عدوه ، و هذا المثل كالتوطئة لما يأتي من الاحكام ، فلا تجتمع الزوجية والامومة في امرأة ، ولا البنوة الحقيقية والتبني في إنسان لدفع مقالة الناس عن نبيه ﷺ ، فقال : « يا أيها النبي اتق الله ـ إلى ـ و كان الله غفوراً رحيماً » : ١ ـ ٥) .

ان الله تعالى لما ألغى التبني ومايترتب عليه من أحكام و كان للنبي ﷺ ابن بالتبني فليس محمد ﷺ أباً لزيد بن حارثة أخذ باقامة العلاقات بين ذوات متباعدة في النسب و يجعل بينها من التلاحم والتواد و رعاية الحرمات فيكون المومن أخاً لمؤمن في الدين فالنبي ﷺ بمثابة أب لجميع المؤمنين ، وانه أولى بهم من أنفسهم فلا محل ليكون له إبن خاص بالتبني ، و ابوته أشرف من أبوة النسب لان بها الحياة الحقيقية ، و ان هذه الخصوصية للنبي ﷺ لاتنقض ما بين ذوي القربى من صلات قام عليها نظام الحياة الاجتماعية ، و أقرّها الله تعالى في كتابه من التواد والتواصل والتوارث فهم أحق بالتوارث فيما بينهم كما ان هذا لا يمنع المعروف في حق الاولياء ، فلكم ان توصوا من ثلث مالكم وما دونه إلى من ترون الوصية له من المؤمنين والمهاجرين . فقال : « النبي أولى بالمؤمنين ـ كان ذلك في الكتاب مسطوراً » : ٦) .

لما بدئت السورة بما تحتوى تثبيتاً للنبي الكريم ﷺ و أمراً له ﷺ بتقوى الله تعالى و عدم إطاعة الكفار والمنافقين و إتباع وحيه والاعتماد عليه وحده ، فالله تعالى في تحميله إياه رسالته قد أخذ عليه عهداً بالقيام بالمهمة قياماً تاماً لا تساهل فيه و لا هوادة ، و دون تأثر بأيّ إعتبار كما أخذ مثل ذلك من الانبياء السابقين و عليه ﷺ أن يقوم بها و أن يعرف انه مسئوول عنها يوم القيامة ، فأخذ العهد على النبيين أن يبلغوا رسالات ربهم و لا سيما اولوا العزم منهم فقال : « و إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم . . . » و لما ذكر الميثاق على نحو العام و ذكر أصحاب الميثاق عاد إلى وصف الميثاق نفسه بقوله تعالى : « وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » : ٧) ميثاق غليظ متين ، و هو الحبل المفتول المعنوى بين الله جل و علا والمختارين من عباده ليلقوا وحيه و يبلغوا عنه ، و يقوموا على منهجه في أمانة وإستقامة . ثم علل ذلك بقوله تعالى: « ليسئل الصادقين . . » : ٨) .

و من المحتمل أن يكون من باب عطف حدث على حدث على أن المعطوف ما بين الانبياء من رحم تجمعهم على ولاء بعضهم لبعض ، ومناصرة بعضهم لبعض . . و انه إذا كانت بين ذوى الارحام و سائج القربى ، و لحمة الدم فان بين الانبياء جامعة الايمان بالله تعالى والدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمته فهم كلهم على طريق واحد ، و في مواجهة معركة واحدة بين الايمان والكفر ، بين الهدى والضلال ، بين الحق والباطل ، و بين النور والظلمات . . . وان أيّ لبنة من لبنات الحق يضعها نبي من أنبياء الله تعالى على هذه الارض هي دعم للحق و إعلاء لصرحه . . ولهذا قال رسول الله ﷺ : « الانبياء أبناء علاّت ـ اى هم الاخوة لاب ـ امهاتهم شتى و دينهم واحد » .

ثم أخذ بذكر معجزات نبيه الخاتم ﷺ يوم الاحزاب ، و ذكر ما أنعم عليه ﷺ وعلى المؤمنين من النصر إذ صرف عنهم أعداءهم وهزمهم حين تألّبوا عليهم يوم الخندق مع ما أعدّ لهم من الثواب . و من المحتمل أن يكون وجه

الاتصال انالآيات التالية تذكر غزوة الاحزاب التى اجتمع فيها اليهود مع أهل مكة على حرب النبى ﷺ و انه إذا كان للمشركين أن يحاربوا النبى ﷺ فانه ما كان لليهود ـ و هم أهل الكتاب و أتباع نبى من أنبياء الله ـ أن ينقضوا الميثاق ، وينحازوا إلىجبهة الشرك ، و أن يكونوا معهمحرباً علىالمؤمنين . . ان الحق يقتضيهم أن يوفوا العهد ، و أن يكونوا على ولاءِ من المؤمنين إذكان نبيهم على ولاءِ مع هذا النبى ﷺ و لا ينقض الميثاق ، ولكنهم خرجوا على هذا الولاء الذى يطالبهم به دينهم، فكفروا بما فى الكتاب الذى فيأيديهم بغياً و حسداً . و من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله . . . .

فقالالله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمةالله عليكم ـ إلىقوله ـ و كان الله على كل شيء قديراً » : ٩ ـ ٢٧) .

ثم أخذ ببيان الحكم فى أزواج النبى ﷺ تارة مخاطباً لرسولهﷺ بقوله : « يا أيها النبى قل لازواجك . . » : ٢٨ و ٢٩) و اخرى مخاطباً لازواج النبى ﷺ بقوله : « يا نساء النبى من يأت منكن . . » : ٣٠ و ٣١) ثم بالغ تعالى فى ترغيبهن إلىالطاعة بتكرار النداء ونسبتهن إلى زوجيتهن للنبى ﷺ لاتباع سيرته ﷺ بقوله : « يا نساء النبى . . » : ٣٢) و ذلك ان الله تعالى بعد أن نصر نبيه ﷺ فردّ عنه الاحزاب و فتح عليه قريظة والنضير ظن أزواجه انه اختصّ بنفائس اليهود و ذخائرهم ، فقعدن حوله و قلن : يارسولالله ﷺ : بنات كسرى وقيصر فى الحلى والحلل والاماءِ والخول ـ الخدم والحشم ـ ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق و آلمن قلبه الشريف و أزعجنه وأحزنه وآذينه بمطالبهن من توسعة الحال و معاملتهن معاملة نساءِ الملوك و أبناء الدنيا من التمتع بزخرفها من المآكل والمشارب والمساكن والمطاعم . . . فأمرالله تعالى نبيه ﷺ أن يتلو عليهن ما نزل فى شأنهن ، فأمرن بما أمرن به و نهين عما نهين عنه .

و بين الخطاب لأزواج النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم جاء بخبر الارادة الالهية التى اتبعها التطهير و إذهاب الرجس ، و ان هذا مما لاينكره من عرف عادة الفصحاء و دأب البلغاء فى كلامهم ، حيث يذهبون من خطاب إلى غيره ، ثم يعودون إليه ، والقرآن الكريم مملؤمن ذلك ، و كذلك كلام الفصحاء و أشعار البلغاء . . . فقال : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » ثم عاد الكلام إلى نساءِ النبى صلى الله عليه وآله وسلم . ان الله تعالى لما أمر نساءَ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بامور ، ونهاهن عن اخرى أخذ بذكر التسوية بين الذكر والانثى فى مقام التكاليف التعبدية والاخلاقية ، سواء بسواءٍ ، و بما أعدّ للصنفين من الأجر والكرامة عنده تعالى فى الدار الاخرة بقوله : « ان المسلمين والمسلمات . . » : ٣٥) .

لما ذكر صفات عشر لابد من إجتماعها فى المؤمن الكامل الايمان أخذ بذكر أهم أثر من آثار هذا الايمان بأن يقيم فى كيان صاحبه ولاء خالصاً لله جل وعلا الذى آمن به و لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم الذى بلّغه رسالة ربه و شريعة دينه . . و انه لا ايمان مطلقا إذا لم يكن هذا الولاء ركيزة له و أساساً يقوم عليه ، فاذا قضى الله و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أمراً لم يكن لمؤمن أن ينازع فى هذا الامر أو يتوقف فى إمضائه أو يبدّل فى صفته ، و إلاّ فهو ليس من الايمان فى شيء بل يكون عاصياً لله تعالى و لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم خارجاً عن سلطانهما ، فقال : « وما كان لمؤمن و لا مؤمنة . . » : ٣٦) .

و من المحتمل أن يكون وجه الاتصال انه لما تقدّم ذكر نساءِ النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخير أزواجه بين البقاءِ معه والتسريح سراحاً جميلاً ، و فهم من هذا ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يريد ضرراً لغيره ، فمن كان ميله إلى شيء مكّنه منه وترك حظّ نفسه لحظّ غيره ـ ذكر هنا ان زمام الاختيار ليس بيد الانسان فى كل شيء كما اعطى ذلك للازواج بل هناك امور لا اختيار لمؤمن و لا مؤمنة فيها و هى ما حكم الله تعالى فيه ، فما أمر به فهو المتبع ، وما

أراد النبى فهو الحق ، ومن خالفهما فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ، فجاء بذكر قصة زيد بن حارث و زوجته زينب بقوله تعالى: « و إذ تقول للذى - إلى - قدراً مقدوراً » : ٣٧ - ٣٨) .

ثم أشار إلى أن الانبياء هم مأمورون فى تبليغ رسالاتهم ، و منهم النبى الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهوليس بأب لاحد من الرجال الموجودين تأكيداً لتنفيذ الحكم السابق بقوله : «الذين يبلغون رسالات الله - إلى - وكان الله بكل شىء عليماً» : ٣٩-٤٠)

ان الله تعالى لما بيّن قضيّة زواج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بزينب وكانت أمراً هائلاً مبطلاً لما عادت به العرب ، وتحتوى حكماً جديداً من الاحكام وكان مبعث ظنون ومثار شغب عند المنافقين ومرضى القلوب ، وليس يحمى المؤمنين من غبارهذه الظنون و دخان هذا الشغب إلاّ أن يعتصموا بالله تعالى ، و أن يذكروا جلاله وعظمته ، و أن يستحضروا علمه وقدرته فذلك هو الذى يحفظ عليهم ايمانهم، و يدفع عنهم غواشى الشكوك والريب التى يسوقها إليهم الكافرون والمنافقون، أمر المؤمنين بذكره ليربط قلوبهم بمن فرض على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ما فرض من زواجه بزينب واختارلأمته ما اختارلنفسه يريد بها الخير والرشاد والخروج من الظلمات إلى النور بقوله : «يا أيها الذين آمنوا -و كفى بالله وكيلا» : ٤١-٤٨)

وفى هذه القطعة تثبيت للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وتنويه بمهمته العظمى التى جعله الله تعالى بها شاهداً على امته ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله تعالى وسراجاً منيراً ، ونهى عن الأبوة بالكافرين والمنافقين وأقاويلهم ومكائدهم ودسائسهم المؤذية بسبيل ما يدعو إليه و يقوم به من إصلاح وخير، وجعل إعتماده على الله تعالى وحده وله فيه نعم الكفاية والوكالة .

لما اشير فى الايات السابقة إلى حال من أحوال الطلاق والزواج ، و هو طلاق إمرأة الابن المتبنى ثم زواجها من أبيه المتبنى له، وأمر المؤمنين بالتسليم

في الحكم الالهى ذكر بعض أحكام المرأة المطلقة من حيث العدة والنفقة قبل أن يمسها المؤمن فى قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا ـ وسرحوهن سراحاً جميلاً» : ٤٩)

ومن المحتمل أن يكون وجه الاتصال ان الله تعالى لما أدّب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بمكارم الاخلاق بقوله : «يا أيها النبى اتق الله» : ١) وثنى بتذكيره بحسن معاملة أزواجه بقوله : «يا أيها النبى قل لازواجك . .» : ٢٨) وثلث بذكر معاملته لامته بقوله : «يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً . . » : ٤٥) وكان كلما ذكر للنبى صلى الله عليه وآله وسلم مكرمة وعلّمه أدباً ذكر للمؤمنين ما يناسبه ، فارشدهم أولاً فيما يتعلق بجانبه تعالى بقوله : «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً» : ٤١) وثانياً فيما يتعلق بما تحت أيديهم من الزوجات بقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات . . » : ٤٩) وثالثاً فيما يتعلق بنبيهم صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله : «لا تدخلوا بيوت النبى . . » : ٥٣) وقوله : «ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً» : ٥٦) .

لما جاء فى الايات السابقة ما انتقض به بناء من أبنية الجاهلية التى قامت على الضلال وهو تبنيهم أبناء غيرهم ، ثم تجاوزوا هذا إلى تحريم مطلقات هؤلاء الابناء الادعياء عليهم . . تمكيناً لهذه النبوة المدعاة ومعاملتها معاملة نبوة النسب سواء بسواء ، وقد كان من تدبير الله تعالى أن يكون للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ابن متبنى ، وان يكون هذا الابن متزوجاً ، ثم يجيىء حكم الله جل وعلا أمراً بابطال هذا التبنّى وبالزام النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يتزوج مطلقة متبناه بعد أن طلقها، وإنقضت عدتها ، وكان ذلك مدعاة للكافرين والمنافقين أن يشنعوا على رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وأن يكثروا من الاقاويل الباطلة ، والاحاديث المفتراة الواهية...

جاء بما فيه ردّ على هؤلاء الكافرين والمنافقين الذين جعلوا زواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم من مطلقة متبناه مادة للغمز والاتهام والافتراء . . بقوله تعالى : «ياأيها النبى

إنا أحللنا لك أزواجك . . . » : ٥٠ و ٥١) ان الله تعالى لمّا بيّن الحكم في أزواج رسول الله ﷺ وان الاختيار بيد رسوله ﷺ في أمرهن هدّد الرجال والنساء على سوء الظن به ﷺ و بمخالفته بقوله : «والله يعلم ما في قلوبكم» .

ان الله تعالى لما أباح لرسوله ﷺ سبعة أصناف من النساء في قوله : «يا أيها النبي إنا أحللنا لك ـ وكان الله عليماً حليماً» : ٥٠ـ٥١) منعه ﷺ من أن يبدّل واحدة منهن بغيرها وزوّج مكانها غيرها بقوله تعالى : «لايحل لك النساء . . . » : ٥٢) .

ان الله تعالى لما بيّن أحكام أزواج رسوله الاعظم ﷺ وما بينه ﷺ وبينهن أخذ بذكر تأدب الامة في معاشرتهم برسوله ﷺ بدخولهم في بيته و مكالمتهم أزواجه ﷺ بقوله : «يا أيهاالذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي . . » لماكان النهي عن الدخول بغيرالاذن قديوجب التأذي والقطع بحيث لايدخل بعض المؤمنين أصلاً توهماً انه نهاهم بالتمام ولوبالدعاء ، فأمرهم بالدخول مع الدعوة بقوله : «ولكن إذادعيتم فادخلوا» ثم ذكرأدب مكالمتهم بأزواجه ﷺ وطلب الماعون منهن عند الحاجة بقوله تعالى : «وإذا سئلتموهن . . » ثم ذكر تأدب مكالمتهم بالرسول ﷺ بقوله : «وماكان أن تؤذوا» في حياته ولا بعد رحلته ، أوبالتعرض لازواجه في حياته وبعد رحلته .

ثم بالغ في التهديد في الايذاءبقوله تعالى : «ان تبدوا شيئاً . . . » : ٥٤) ثم ذكرجوازمعاشرتهن بأصناف سبعة بقوله : «لاجناح عليهن . . » : ٥٥) مع مخاطبتهن بأمر التقوى فيما امرتن به من الاحتجاب والتجنب عن العصيان بقوله: «واتقين الله . . » ثم بالغ في إكرام نبيه ﷺ وتعظيمه بقوله : «ان الله وملائكته..» بدأ بنفسه إظهاراً لشرفه ﷺ وترغيباً للامة إلى ذلك .

ومن المحتمل أن يكون وجه الاتصال ان الله تعالى لما صدّر السورة بذكر نبيه ﷺ وقرّر في أثنائها ذكر تعظيمه ،وما يخصّه به ﷺ كحل التزوج

بعدد من النساء لايحل لغيره من المسلمين التزوج بهن ، وكالتزوج ممن يهين أنفسهن له من غيرمهر، وكالحراسة التى أقامها على بيت النبوة من خارج و داخل ، وبتلك الخصوصيات يعرف بعض ما للنبى ﷺ من منزلة كريمة، ومقام عظيم عند ربه ختم ذلك كله بتعظيم لايقاربه تعظيم ، ولايدانيه بقوله : «ان الله وملائكته . . » تنبيهاً للامة إلى ان يعرفوا ان ما تقدم من التعظيم ليس هو كل ما للنبى ﷺ عند ربه ، بل ان له عند ربه أكثر وأكثر من ذلك فى الملأ الأعلى.

ان الله تعالى لما بيّن كرامة نبيه ﷺ فى الملاء الاعلى وأمر المؤمنين بتعظيمه نهى عن ايذاء الله تعالى بمخالفة أوامره وإرتكاب نواهيه ، وعن ايذاء رسوله ﷺ بالافتراء عليه وتكذيبه ، وعن ايذاء المؤمنين من غير حق بقوله: «ان الذين يؤذون الله ورسوله ـ إثماً مبيناً» : ٥٧ـ٥٨)

ثم أخذ بذكر ما يدفع عن أزواج النبى ﷺ وعن امته المثالب التى هى مظان لصوق العار والافتراء آمراً نبيه ﷺ بأن يأمر بعض المتأذين بفعل مايدفع الايذاء عنهم فى الجملة من التستر والتميز بالزى واللباس حتى يبتعدوا عن الأذى بقدر الامكان ـ بقوله : «يا أيها النبى قل لازواجك . . » : ٥٩)

لما جاء فى الايات السابقة دستور سماوى للحياة الروحية فى بيت النبوة ولحراسة بيوتها من العيون الفاجرة ، والألسنة البذيئة . . وفى المدينة منافقون كثيرون ، ومؤمنون لم تخلص قلوبهم بعد للايمان ، ومن اولئك وهؤلاء تهب ريح خبيثة على المجتمع الاسلامى الطهور الذى أقامه النبى ﷺ فى المدينة.. فكان من الحكمة ،وقد حصن الله تعالى قلوب المؤمنين ، وأقامهم على طريق الايمان والتقوى أن يعزل عنهم هذا الداء الخبيث الذى يتمشى فى أجواء المدينة من المنافقين ، وممن فى قلوبهم مرض من المؤمنين . . . فقال : «لئن لم ينته المنافقون ـ ولن تجد لسنة الله تبديلاً» : ٦٠ـ٦٢) .

ان الله تعالى لما بيّن أحوال هؤلاء الفئات الثلاث الشاردة فى الحياة

الدنيا ، وهدّدهم باللعن والهوان والقتل أخذ بذكر ما يسئل الناس النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه من وقوع الساعة تذكيراً لهم بيوم القيامة وما لهم من اللعن والعذاب والعداوة بين الاتباع المردة والرؤساء المضلة . . . بقوله : «يسئلك الناس عن الساعة ـ والعنهم لعناً كبيراً» : ٦٣ـ٦٨)

ان الله تعالى لما ذكر المنافقين والكفار الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين أذية مؤيدة إلى الكفر والنفاق ، ومرض القلوب حذّر المؤمنين من التعرض للايذاء إطلاقاً قولاً وفعلاً ، ونهاهم عن التشبه ببنى إسرائيل فى إذايتهم نبيهم موسى عليه السلام ثم أرشدهم إلى ما ينبغى أن يصدر منهم من الاقوال والافعال التى تكون سبباً فى الفوز والنجاة من النار، والقرب من الله تعالى ، بقوله : «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ـ فقد فاز فوزاً عظيماً»:٦٩ـ٧١)

ان الله تعالى لما بيّن فى هذه السورة جملة من التكاليف والآداب والاخلاق والاوامر والنواهى والترغيب فى الطاعة والترهيب عند المخالفة أمر بالتزام أوامره ، وأشار إلى ان ذلك كله أمانة قبلها الانسان لما فيه من الاستعداد والصلاحية إلى مدارج الكمال ما ليس فى غيره وإن كان أشد خلقاً وأكبر جرماً وأعظم جسماً منه ، فلا بد للانسان أن يأتى بالامانة ويؤدى حقها ، ثم ختم الله تعالى السورة ببيان وخيم عاقبة الخيانة فى الامانة بالمخالفة قلباً ،وقولاً وعملاً، وبيان مآل أمر الذين أدّوا حقها وفازوا فوزاً عظيماً بحفظ التكاليف والطاعة المسماة بالامانة ، فقال : «إنا عرضنا الامانة ـ غفوراً رحيماً» : ٧٢ـ٧٣) .

وأما التناسب بين بدء السورة وختامها من تلاق وتجاوب بحيث يرى وجه أحدهما فى الاخر، كما يرى الشيء وصورته فى مرآة مجلوّة فمما لا يخفى على القارىء الخبير المتأمل إذجاء فى بدئها :«يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين» و فى ختامها : «ليعذب الله المنافقين و المنافقات و المشركين و المشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات»

وجاء بعد بدئها بقليل : «ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» و قبل ختامها بقليل : «انا عرضنا الامانة على السموات والارض . . » ففى الاولى إشارة إلى أنه كما لايجتمع فى الجوف قلبان ، إذ يبطل كل منهما عمل الاخر، كذلك لايجتمع فى القلب شيئان ينقض أحدهما ما يبنيه الآخر . فلا يجتمع فى القلب ايمان و كفر ولايسكن إليه ايمان يخالطه نفاق . . وفى الاخرى إشارة إلى أن الامانة هى مما يحمل القلب وانه كما إنفرد القلب بالسلطان على الجسم، كذلك تنفرد الامانة بالسلطان على القلب .

وعلى ضوء هذا نستطيع أن نفهم «الامانة» على انها التكاليف و الوظائف الشرعية التى ائتمن الله تعالى الانسان عليها ، و دعاه إلى رعايتها و حفظها وأداء حقها فيثاب على أدائها ، ويعاقب على إضاعتها وخيانتها وعدم الوفاء بها . . .

وإنما العقل هومناط التكليف ، إذلايقع التكليف على غيرقادرمريد مدرك لما كلّف به ، وبغير العقل لا يكون إدراك ولا تجتمع إرادة ولا تتحرك قدرة . . . و إذكان الانسان هو الكائن الذى اوتى عقلاً و إدراكاً فكلّف بحمل الامانة ، فالعقل هو المتلقى لتلك الامانة التى عجزت السموات والارض والجبال عن حملها ، وبالعقل استحق الانسان أن يخاطب من الله جل وعلا خطاب تكليف ، و أن ينظر بعقله فيما كلّف به من أمر أونهى وأن يتعرف به ما أحل الله وما حرّم ، و أن يميّز به الطيب من الخبيث،وان الانسان بهذا العقل سلطان على نفسه مالك التصرف كيف شاء ، فله أن يؤمن أويكفر، يصدق أويكذب ، يصلح أو يفسد ، يطيع أويعصى ، أن يتقدم أويتأخر ، و أن يتدرج أوج الكمال أوينحط إلى أسفل السافلين ، و ليس هذا شأن الكائنات الاخرى .

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

و قد ذهب أكثر المفسرين إلى أن التبني كان معمولاً به في الجاهلية ، و في صدر الاسلام ، يتوارث به ويتناصر إلى أن نسخ الله تعالى ذلك بقوله :«ادعوهم لآبائهم هو أقسط عندالله » الاحزاب : ٤) فرفع الله جل وعلا حكم التبني و منع من إطلاق لفظه .

و قال النحاس : هذه الاية ناسخة لما كانوا عليه من التبني ، و هو من نسخ السنة بالقرآن ، فان الحكم الاول كان ثابتاً بغير القرآن ، فنسخه القرآن ، فأمر أن يدعوا من دعوا إلى أبيه المعروف ، فان لم يكن له أب معروف نسبوه إلى ولاته فان لم يكن له ولاء معروف قال له : يا أخي يعني في الدين ، قال الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة »

أقول : ومن غير بعيد أن الحكم كان موقوتاً إلى أن نزل القرآن الكريم، فلما نزلت هذه الاية توقف العمل بهذه الرخصة ، و ليس هذا من النسخ كما يبدو في ظاهره ولكنه إنهاء لحكم رخصة موقوتة .

ومنهم : من ذهب إلى أن الله تعالى أزال بقوله : «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم . . . » الاية : الاحزاب : ٦) أحكاماً كانت معمولة في صدر الاسلام :

منها : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لايصلّي على ميت عليه دين ، فلما فتح الله عليه الفتوح قال : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفّي وعليه دين فعليّ قضاؤه ومن ترك مالاً فلورثته» .

ومنها : حرمة تزويج نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على امته لانّهن بمنزلة امهاتهم في حرمة النكاح .

ومنها : ان قوله تعالى : «واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض . . » نسخ التوارث بالهجرة إذكان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لابالقرابة لقوله تعالى : «والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا» الانفال : ٧٢) فكان لايرث الاعرابي المسلم من قريبه المسلم المهاجر، فنسخه الله تعالى بآية الاحزاب وجعل التوارث بحق القرابة .

وقيل :آية الاحزاب ناسخة للتوارث بالحلف والمؤاخاة في الدين .

وفي الميزان : قال : «والاية ناسخة لماكان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين» .

أقول : ومن غير خفي على القارىء الخبير المتأمل ان تعبير «من المؤمنين والمهاجرين» يحتوي قيداً إحترازياً لاخراج غير المؤمنين من ذوي الارحام من الاولوية ، وحقوق الارث،وحصر ذلك بين المؤمنين، وان إختصاص المهاجرين بالذكر هو بسبب ان بعض ذوي أرحامهم كانوا مايزالون كفاراً ، وعدم التوارث بين المسلم وغير المسلم من القواعد الشرعية الجارية منذ العهد النبوي ، ونفس الاية دليل على ذلك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لايرث المسلم الكافر،ولايرث الكافر المسلم»

وان آية الانفال : «واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض» : ٧٥) تحتوي تقرير الاولوية بين ذوي الارحام بدون هذا القيد ، فظلّ الامر ملتبساً على المسلمين ، فاقتضت الحكمة توضيحه بهذه المناسبة في القرآن الكريم والحديث .

فالقول بان آية الاحزاب تحتوي نسخاً لقوله تعالى : «والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا» الانفال : ٧٢) يقرّر التناصر والمعاونة والتضامن بين المتآخين من مسلمي الانصار ومهاجريهم على مايظهر

من الاية نفسها وخاصة قوله تعالى: «وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر» غير وجيه إذلافى آية الانفال ولا فى آية الاحزاب ما يلهم أصلاً ونسخاً.

ولو كان المراد من آية الانفال: ٧٢) التوارث بين المتآخين من المهاجرين والانصار لكان القول بنسخها بآية الانفال: ٧٥) أولى.

فى المجمع: فى قوله تعالى: «ولاتطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم...»: وقيل: معناه كفّ عن أذاهم وقتالهم وذلك قبل أن يؤمر بالقتال عن الكلبى. فنسخت الاية بتشريع القتال.

وفى رسالة المحكم والمتشابه: للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه عن الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على عليه السلام انه قال: ان الله تبارك وتعالى لما بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أمره فى بدو أمره أن يدعو بالدعوة فقط، وأنزل عليه: «يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً ولاتطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً» الاحزاب: ٤٥ ـ ٤٨) فبعثه الله تعالى بالدعوة فقط، وأمره بأن لايؤذيهم فلما أرادوا وهمّوا به من بيته (تبييته خ) أمره الله تعالى بالهجرة وفرض عليه القتال فقال سبحانه: «اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير» فلما امر الناس بالحرب جزعوا وخافوا فأنزل الله تعالى: «ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخّرتنا إلى أجل قريب ـ إلى قوله سبحانه ـ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة» فنسخت آية القتال آية الكف.

وفى الجامع لاحكام القرآن: فى قوله تعالى: «ودع أذاهم» أى دع أن تؤذيهم مجازاة على إذايتهم إياك، فأمره تبارك وتعالى بترك معاقبتهم، والصفح

عن زللهم، فالمصدرعلى هذامضاف إلى المفعول ، ونسخمن الاية على هذاالتأويل ما يخص الكافرين : وناسخه آية السيف .

و فيه معنى ثان : أى أعرض عن أقوالهم و ما يؤذونك ، ولا تشتغل به ، فالمصدر على هذا التأويل مضاف إلى الفاعل. وهذا تأويل مجاهد، والاية منسوخة بآية السيف .

وقيل : ان صدرهذه الصورة بصدد تشريع القتال ، وان الاية نزلت بعد تشريع القتال لما صدرت السورة عن وقعة الاحزاب .

أقول: ولعل الاية تنويه بسمة نبوية مثلى، تجعل من الداعية وسطاً لاإندماجاً ذاتياً مع العامة ، ولا إصطداماً عنيفاً هذا اذاكان «أذى» مضافاً إلى المفعول به ، وأما إذاكان مضافاً إلى الفاعل فيصيرمعناها : «لاتجاملهم فى مداهنة ، ولا تهتم بدسائسهم الخبيثة بعد ما ذهب رونقهم وإنكسرت شوكتهم،فلاتجعل بموقفهم المتدهور، ولاتبال بشأنهم الخافت بعد ذلك» .

قال إبن حزم : ان قوله تعالى : «لايحل لك النساء من بعد ولا أن تتبدل بهن من أزواج . . » الاحزاب : ٥٢) منسوخ بآية قبلها ، وهي قوله تعالى : «إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت اجورهن» : ٥٠) وقالت عائشة :لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أحل الله تعالى له أن يتزوج من النساء ماشاء . وقد إضطربت كلمات المفسرين في المقام إضطراباً شديداً جداً حتى جعل بعضهم آية : ٥٢) ناسخة لآية : ٥٠) وبعضهم بالعكس .

أقول: ومن المحتمل أن يكون المعنى : انه لايحل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتزوج بعد نزول هذه الاية من أية إمرأة إخرى . . بل يقف عند هذا الحد . . أما ما ملكت ، أوتملك يمينه بعد هذا من نساء فهن حل له على الاطلاق.وعلى هذا فلانسخ . وذلك لما يأتى :

أولاً : هذا الامر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالوقوف عند هذا الحد من التزوج بالنساء،

هوفى الواقع تخفيف عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، و رفع للحرج الذى يجده من حمل نفسه على التزوج ممن يهبن أنفسهن له ، وهن كثيرات طامعات فى رضا الله تعالى بالقرب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و العمل على مرضاته . . و كذلك الشأن فيمن هن قريبات له ، وتعرض لهن ظروف قاسية ، تدعو النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى مواساتهن بضمهن إليه كمن يستشهد أزواجهن فى سبيل الله . . ومن غير ترديد ان هذا تخفيف عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ودفع للحرج بهذا الامر السماوى الذى لايجعل له سبيلاً إلى التزوج بمن تهب نفسها له ، أو بمن تدعو الحال بضمها إليه ، وتزوجه منها ، من بنات عمه أو بنات عماته ، أو بنات خاله أو بنات خالاته . .

وثانياً : فى الابقاء على حل ما ملك أو يملك النبى صلى الله عليه وآله وسلم من إماء هو أيضاً من باب التخفيف و دفع الحرج عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لان مئونة الاماء أخف إذ ليس لهن ما للحرائر الزوجات من حقوق تقابل ما للرجال عليهن من واجبات . .

وثالثاً : وعلى هذا يكون ما جاء فى قوله تعالى : «يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك . . » الاية هو إقرار للامر الواقع ، ووصف كاشف للحياة الزوجية فى بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما ضم من تلك الاصناف الاربعة التى ذكرتها الاية من أصناف النساء . . ويكون قوله تعالى : «لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك» أمراً للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بالوقوف عند من تزوج بهن إلى وقت نزول هذه الاية ، وان النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليس له أن يتزوج أية إمرأة اخرى غير اللاتى كن معه صلى الله عليه وآله وسلم أو ماملكت أو تملك يمينه على أصل الاباحة له . .

وأما ما جاء فى قوله تعالى : «وإمرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » فهو على الاباحة التى تضمنها من أن يتزوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم من أية إمرأة مؤمنة ـ غير متزوجة ـ تهب

نفسها للنبى ﷺ ويقبل النبى ﷺ هذه الهبة . . و ذلك الحكم موقوف إلى أن نزل قوله تعالى : «لايحل لك النساء من بعد» فلما نزلت هذه الاية توقف العمل بهذه الرخصة . . . وعلى هذا فلم يكن للنبى ﷺ أن يتزوج من أية مؤمنة غيرمتزوجة تهب نفسها للنبى ﷺ بعد نزول هذه الاية . وليس هذا من النسخ كما يبدوفى ظاهره ولكنه إنهاء لحكم رخصةموقوتة جاء قوله تعالى: «لايحل لك النساء من بعد» محدداً نهاية هذا الوقت . . وهذا يعنى انه قدكان بين نزول الآيتين فسحة من الوقت ، بحيث كان من المؤمنات غيرالمتزوجات من وهبن أنفسهن للنبى ﷺ فقبل منهن من قبل .

فلاتناسخ بين الآيتين ، بل الاية الاولى ظلت عاملة إلى أن نزلت الاية الثانية ، فأقرّت الاوضاع التى إنتهى إليها بيت النبوة ، وما ضمّ عليه من أزواج النبى ﷺ وبقيت الآيتان تمثلان دورين من أدوارالتشريع للنبى ﷺ خاصة من حياته الزوجية . . وهذان الدوران يسبقهما دور ثالث ، وهوالاباحةالمطلقة للنبى ﷺ بالتزوج ممن يشاء من النساء بأىّ عدد شاء منهن . . .

وعلى هذا فكانت مراحل التشريع للحياة الزوجية للنبى ﷺ ثلاثاً :

المرحلة الاولى: الحلّ المطلق فى الزواج من أية إمرأة مؤمنة يحلّ زواجها فى الشريعة الاسلامية دون تقيد بعدد . .

المرحلة الثانية فيما يتقرر:

أولاً : الوقوف بالعدد من الزوجات عند الحد الذى كان موجوداً عندنزول الاية وهوتسع نساء . .

وثانياً : إن أراد النبى أن يتزوج على من عنده من النساء فلايجوزله أن يتزوج من غيرصنفين من النساء : بنات عمه أو بنات عماته ، وبنات خاله أو بنات خالاته . . ثم من أىّ إمرأةمؤمنة غيرمتزوجة تهب نفسها للنبى ﷺ وهذا صنف جديد جاءت بحلّه **هذه الاية خاصاً بالنبى ﷺ .**

المرحلة الثالثة: وفيها تستقر الاوضاع للحياة الزوجية في بيت النبوة ، فلا يدخل عليها جديد من النساء ، ولايخرج منها أحد ممن هن فيها . . .

وأما الجمع بين الآيتين وبين الروايات الآتية في المقام فيمكن أن يكون مفاد الآيتين : ان الله تعالى أحل لنبيه ﷺ أن ينكح من النساء ما أراد على أي وجه شاء ولو كان على وجه الاستبدال بالنساء التي كانت تحته ﷺ لا النساء التي حرمن عليه ﷺ بأعيانهن كما في قوله تعالى : « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم . . . » النساء :٢٢) أو المعوض عنهن المتبدل بهن كما في قوله تعالى : «ولا أن تبدل بهن من أزواج» فيكون بتمامها من المحكمات دون المنسوخات. ويؤيده التشبيه بالمحرمات في الظهار فانه سبب للتحريم فيجوز أن يكون التعويض عنهن أيضاً له سبباً . وهذا لعدم طرح الاخبار بالجرح والتعديل .

وأما المتشابه: فلم أجد كلاماً يدل على أن في هذه السورة آية متشابهة فآياتها محكمات والله تعالى هو أعلم .



﴿ تحقيق فی الاقوال ﴾

١ - (يا أيها النبی اتق الله و لا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليماً حكيماً)

فی الخطاب أقوال : ١ - قيل : خطاب للنبی الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فقط ، و فيه تمهيد للنهی عن إطاعة الكافرين والمنافقين ، إذ كان الكافرون يسئلونه صلى الله عليه وآله وسلم أمراً لا يرتضيه الله تعالى ، و كان المنافقون يؤيدونهم فی مسئلتهم ، و يلحّون فی إستجابته صلى الله عليه وآله وسلم و قد كان الله تعالى بعلمه و حكمته قضى بخلافه . ٢- قيل: خطاب للمؤمنين وتنبيه لدعاة الدين وهذا من باب « إياك أعنی و اسمعی ياجاره » و هو المروی . ٣ - قيل : اريد به العموم .

أقول: والاول هو المؤيد بسياق السورة نفسها، وخاصة قصة الظهار والتبنی الدارجين فی الجاهلية ، و جاءت السورة بتنسيخهما . و أما الرواية فمن باب الجری والانطباق .

و فی قوله تعالى : « اتق الله » أقوال : ١ - قيل : هذا من باب التأكيد عليه صلى الله عليه وآله وسلم فی الطاعة والانقياد . والمعنى : إتق الله جل وعلا بطاعتك إياه وأداء فرائضه ، و واجب حقوقه عليك ، والانتهاء عن محارمه و إنتهاك حدوده . . . ٢- قيل : هذا تحذير عما طلب منه صلى الله عليه وآله وسلم أبوسفيان فی كفّ سبّ الاصنام التی تعبدها قريش ، و كان مع أبی سفيان أذنابه من الكافرين ، و كان المنافقون يؤيدونهم فی مسئلتهم .

٣ ـ قيل : فيه أمر برسوله ﷺ و نهى عن المعصية ، و ذلك من الأعلى للأدنى جائز ولو كان الادنى معصوماً . وفيه درس ثمين لاصحاب الجاه والسلطان ، و انهم مهما بلغوا من السمو والرفعة ، فليسوا فوق أن يؤمروا بالعدل والتقوى حيث أمر رسول الله ﷺ بالتقوى.

٤ ـ قيل : ان بعض المسلمين همّوا بقتل الكافرين الذين قدموا المدينة بأمان ، فقال الله تعالى : إتق الله في نقض العهد . ٥ ـ قيل : أي واظب على ما أنت عليه من التقوى و أثبت عليه . ٦ ـ قيل : أي اتق الله في إجابة المشركين إلى ما التمسوه ودم على حذرك منهم و إعراضك عنهم .

أقول: والاخير هو المؤيد بما ورد في النزول من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر.

و في قوله تعالى : « ولا تطع الكافرين والمنافقين » أقوال :١ـقيل أي و لا تطع الكافرين الذين يقولون لك : اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك و لا تطع المنافقين الذين يظهرون لك الايمان بالله والنصيحة لك ، و يضمرون الكفر ، و هم لا يألونك و أصحابك و دينك خبالاً ، فلا تقبل منهم رأياً و لا تستشرهم فانهم كيفما لك أعداء لن يحبوك أبداً ، و إن ظهروا لك المودة و ادّعوها لك .

٢ـ قيل: أي لاتساعد الكافرين من أهل مكة و هم أبوسفيان بن الحرب ، وعكرمة بن أبي جهل ، و أبوالأعور السلمي قدموا على النبي ﷺ في الموادعة التي كانت بينه و بينهم ، فطلبوا منه ﷺ إذ قالوا : إرفض ذكر آلهتنا اللات والعزى و مناة بدون سبّ ، و دع عقائدنا و آدابنا بدون تسفيه ، و دعنا و شأننا من غير تجهيل . و قل : ان لتلك الآلهة شفاعة ومنعة لمن عبدها وندعك وربك. و لا تطع المنافقين من أهل المدينة و هم عبدالله ابي ، و طعمة ، و عبدالله بن سعد ، و معتب بن قشير ، والجد ابن قيس ، فهم كانوا يؤيدون أهل مكة . فلا

تمل إليهم .

٣ ـ قيل: أى لاتطع الكافرين من أهل مكة فيما طلبوا منك من أن ترجع عن دينك و دعوتك الناس إلى الله تعالى وحده فيعطوك شطراً من أموالهم ويزوّجوك بنت شيبة بن ربيعة ، و لا تطع المنافقين فيما يخوفونك : انهم يقتلونك إن لم ترجع . ٤ ـ قيل : أى لا تطع الكافرين و هم يهود بنى قريظة والنضير وغيرهم و لا المنافقين الذين يلينون لهم جانبهم ، و يكرمون صغيرهم و كبيرهم .

٥ ـ عن إبن عباس : ان أهل مكة و منهم الوليد بن المغيرة و شيبة بن ربيعة دعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يرجع عن قوله: على أن يعطوه شطراً من أموالهم ، و خوّفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه . ٦ ـ قيل : جاء وفد من ثقيف ، و طلبوا من النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يمتعهم باللات والعزى سنة حتى تعلم قريش منزلة ثقيف عنده صلى الله عليه وآله وسلم .

٧ ـ قيل : ان الاية بصدد مراجعة فريق آخر من الكفار والمنافقين فى صدد التساهل فى بعض الشئون . ٨ ـ قيل : أى لاتطع الكافرين والمنافقين فيما يخالف شريعتك . ٩ـ قيل : ان الآية مقدمة للآيات التالية التى فيها حملة على بعض التقاليد والرسوم الجاهلية الراسخة ، وأمر بالغائها على سبيل التثبيت والتشجيع والتنبيه على وجوب تنفيذ وحى الله تعالى وأمره ، وعدم المبالات باعتراض الكفار والمنافقين .

أقول: والاخير هو الانسب بظاهر السياق مع عدم التنافى بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

و فى قوله تعالى : « ان الله كان عليما حكيماً » أقوال : ١ ـ قيل : أى ان الله كان عليماً بخبث أعمالهم و نياتهم ، حكيماً فى تأخير الامر بقتالهم . ٢ـ قيل : أى ان الله كان عليماً بكفرهم ، حكيماً فيما يفعل بهم . ٣ ـ قيل : ان الله كان عليماً بما تميل إليهم إستدعاءاً لهم إلى الاسلام . أى لو علم الله تعالى أن

ميلك إليهم فيه منفعة لما نهاك عنه لانه حكيم .

٤ ـ قيل : أى ان الله كان عليما بما تضمره نفوسهم ، و ما الذى يقصدون فى إظهارهم لك النصيحة مع الذى ينطوون لك عليه ، حكيماً فى تدبير أمرك و أمر أصحابك ، و فى تدبير دينك و خلقه .

٥ ـ قيل: أى ان الله كان عليماً بالصواب ، حكيماً فيما أمرك به من التقوى و ما نهاك عنه من إطاعة الكافرين والمنافقين و إتباع آرائهم و أهوائهم . . .

٦ ـ قيل : أى انه كان عليماً بعواقب الامور . . . حكيماً فى أقواله وأفعاله و تدبير شئون خلقه ، فهو أحق أن تتبع أوامره و تطاع . ٧ ـ قيل : أى ان الله كان عليماً بما يكون قبل كونه ، حكيماً فيما يخلقه .

٨ ـ قيل : أى عليماً فبعلمه كشف هذا الخطر الذى يتهدد النبى صلى الله عليه وآله وسلم من إستجابته للكافرين والمنافقين إلى ما يدعونه إليه من أن يعبد ما يعبدونه ، و أن يعبدواهم ما يعبده ، حكيماً ، فبحكمته أمر بتجنب الخطر قبل الوقوع فيه ، فان توقى الداء خير و أسلم من علاجه .

أقول: والخامس هو الانسب بسياق التعليل و قريب منه الثالث .

٤ ـ (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه و ما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وماجعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق و هو يهدى السبيل)

فى قوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » أقوال: ١ـ قيل: عنى بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق ، إذ وصفوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بانه ذوقلبين فردّهم الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم و كذّبهم كما عن إبن عباس انه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فصلّى فخطر خطرة أى سهو سهواً فقال المنافقون الذين يصلون معه صلى الله عليه وآله وسلم : ان له قلبين : قلباً معكم وقلباً معهم . فأنزل الله تعالى هذه الاية . و قيل : **سهو النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى صلاته ، فقالت اليهود و أهل النفاق :**

لمحمد قلبان : قلب مع أصحابه و قلب معكم .

٢ـ قيل: ان الجملة تتصل بما قبلها فتكون كالتعليل لقوله تعالى: « لاتطع الكافرين والمنافقين » و « و اتبع ما يوحى إليك من ربك » و « تو كل على الله و كفى بالله و كيلا » على أن طاعة الله تعالى و إتباع وحيه و ولايته ، و طاعة الكفار والمنافقين والثقة بهم و ولايتهم متنافيتان متباينتان : كالايمان والكفر، والتوحيد والشرك ، والاهتداء والضلالة لا يجتمعان في القلب الواحد ، كما لا يجتمع خوف من الله تعالى وخوف من سواه في قلب واحد ، وليس للانسان قلبان حتى يطيع بأحدهما و يعصى بالاخر و إذا لم يكن للمرء إلاّ قلب واحد ، فمتى اتجه لاحدالشيئين صدّ عن الآخر فطاعة الله تعالى تصد عن طاعة عدوه . فلايجتمع في كيان انسان ولاء لله تعالى و ولاء لاعداءالله ، فذلك من شأنه أن يفسدالامرين معاً لانه جمع بين النقيضين ، فاما ولاء لله تعالى و إما ولاء لعدوه و في هذا قال عيسى بن مريم : « لايقدر أحد أن يخدم سيدين لانه إما أن يبغض الواحد ويحب الاخر او يلازم الواحد و يحتقر الآخر » .

قيل : ان المراد من القلب هو النفس ، و لكل إنسان نفس واحدة و بها شخصيته فان تعدد الشخصية بتعدد النفس ، و ليس للانسان إلاّ نفس واحدة .

وقيل: ان القلبين لرجل واحد يوجب فساد نظام الجسد، إذيقوم في كيانه قوتان ، تعمل فيه كل قوة عمل الاخرى ، و من هنا تعمل كل منهما على إجلاء الاخرى من مكانها فيقع الجسد نهباً لهذا الصراع بينهما ، إذ كل منهما تريد أن يكون لها السلطان عليه فاذا لاينتظم أمر الرجل الواحد مع القلبين ، فكيف تنتظم امور العالم و له إلهان معبودان .

٣ ـ عن أبي مسلم : ان هذا ردّ على المنافقين الذين يظهرون الايمان و يبطنون الكفر والمعنى : ليس لاحد قلبان يؤمن بأحدهما و يكفر بالاخر ، و إنما هو قلب واحد ، فاما أن يؤمن و إما أن يكفر فان النفس الواحدة لاتسع

إعتقادين متنافيين و رأيين متناقضين .

٤ ـ عن إبن عباس أيضاً و مجاهد و قتادة : كان رجل من قريش يسمى من دهائه أى من عقلائه ذا القلبين ، فأنزل الله تعالى هذا فى شأنه ، و هو رجل من بنيفهر وكان يقول : ان فيجو فى قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد صلى الله عليه وآله وسلم . ٥ ـ عن الزهرى : عنى بذلك زيد بن حارثة من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان تبنّاه فضرب الله تعالى بذلك مثلاً، فكأنه تعالى قال: يا أيها النبى اتق الله حق تقاته وهو أن يكون فى قلبك تقوى غيرالله فانالمرء ليس له قلبان حتى يتقى بأحدهما الله تعالى و بالاخر غيره كما جاء فى قصة زيد : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » فلم يكن لخوفك منالناس وجه فى أمر زيد ، ولو كان أمراً مخوفاً ما كان يجوز أن تخاف غير الله إذ ليس لك قلبان فى الجوف .

و قيل : ان الجملة توطئة لما يتلوها من إلغاء أمر الظهار والتبنى ، فان فى الظهار جعل الزوجة بمنزلة الام و فى التبنى جعل ولد الغير ولداً لنفسه ، والجمع بين الزوجية والامومة وكذا الجمع بين بنوّة الغير و بنوة نفسه جمع بين المتنافيين ولايجتمعان إلاّ فىقلبين وما جعلالله لرجل من قلبين فيجوفه .

٥ ـ قيل: كان أبومعمر رجلاً من أحفظ العرب وكان يقال له ذوالقلبين . وقيل : هو جميل بن معمر الفهرى وكان رجلاً حافظاً لما يسمع فقالت قريش : ما يحفظ هذه الاشياء إلاّ وله قلبان . و كان يقول : لى قلبان أعقل بهما أفضل من عقل محمد ، فلما هزم المشركون يوم بدر ، و معهم جميل بن معمر رآه أبوسفيان فى العير و هو معلّق إحدى نعليه فى يده والاخرى فى رجله ، فقال أبوسفيان : ما حال الناس ؟ قال : إنهزموا .

قال : فما بال إحدى نعليك فى يدك والاخرى فى رجلك ؟ قال: ماشعرت إلاّ أنهما فى رجلى ، فعرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده ، فأكذب الله قولهما و ضربه مثلاً فى الظهار والتبنى ، و فى الآية رد علىمنقال

لزوجته : أنت عليّ كظهرامي . و ردّ على المتنبئين بأن لا يمكن أن يكون الزوج زوجاً لزوجته و إبناً لها . ولا يمكن أن يكون شخص واحد إبناً لرجل و إبناً لرجل آخر .

٦- عن الحسن و عكرمة : نزلت فيمن يقول : ان لى نفسين : نفس تأمرنى و نفس تنهانى .

أقول: والانسب هو الثانى من غير تناف بينه و بين الاقوال الاخرى .

٥ - (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عندالله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم و ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم و كان الله غفوراً رحيماً)

فى «مواليكم» أقوال: ١- قيل : أى بنوأعمامكم . ٢- قيل: أىأولياءكم مع جماعة المؤمنين فى الدين فى وجوب النصرة . عن الزجاج . ٣ - قيل : أى معتقوكم ومحرروكم إذا اعتقتموهم من رق، فلكم ولاءهم ، فقولوا: فلان مولا فلان ولهذا قيل لسالم بعد نزول الاية : مولى حذيفة . وكان قد تبنّاه من قبل . وذلك حيث كان من الجارى عند العرب قبل الاسلام أن يطلب شخص أو عشيرة أو قبيلة من العرب أن يلتحق بشخص أو عشيرة أو قبيلة اخرى بقصد الحماية والاستنصار، فاذا قبل ذلك الملحق به أعلنه على الملأ حتى يعرف الناس ، وحينئذ يدعى مولى الشخص الملحق به إذا كان فرداً أو موالى القبيلة الملحق بها إذا كانوا جماعة ، ويسمى ذلك مولى ولاء أو موالى ولاء ، و يصبح المولى أو الموالى من عصبية الملحق به الاجتماعية لهم مالهم و عليهم ما عليهم حتى انهم كانوا يتوارثون .

و ما يصادفه قارىء الكتب العربية القديمة من تعابير فلان مولى فلان أو مولى بنى فلان أو القبيلة الفلانية موالى القبيلة الفلانية هو من هذا الباب . و من هنا جاء إطلاق تعبير (موالى) على المسلمين من غير العرب ، فكأنهم

يدخلهم الاسلام قد إلتحقوا بالعرب و اند مجوا فى عصبياتهم . و كلمة «مولى» تطلق كذلك على المملوك ولكن تقاليد الولاء الذى ذكرناه ليس من ذلك .
و ان الاية تعني : انه إذا لم يعرف آباء الابناء بالتبنى فهم إخوان المسلمين فى الدين و موالهم ، لهم مالهم و عليهم ما عليهم إستمداداً من العرف الجارى فى دلالة التعبير .

أقول: و على الثاني جمهور المفسرين و قريب منه الثالث .

٦ـ (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه امهاتهم و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أولياءكم معروفاً ذلك كان فى الكتاب مسطوراً)

فى قوله تعالى : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » أقوال : ١ ـ عن إبن زيد : أى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم أحق بتدبيرهم ، و حكمه أنفذ عليهم من حكمهم على أنفسهم لوجوب طاعته صلى الله عليه وآله وسلم التى هى مقرونة بطاعةالله تعالى: « أطيعوا الله و أطيعوا الرسول » النساء : ٥٩) .

و قد أرسل الله تعالى رسوله ليطاع إذ قال : « وما أرسلنا من رسول إلاّ ليطاع باذنالله » النساء : ٦٤) كما أنت أولى بعبدك ماقضيت فيه من أمر جائز.

٢ـ عن إبن‌عباس وعطاء : أى انالنبى صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالمؤمنين فيالدعوة ، فاذا دعاهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى شيء و دعتهم أنفسهم إلى شيءآخر كانت إطاعته صلى الله عليه وآله وسلم أولى من طاعة أنفسهم . و قال مجاهد والحسن و قتادة : ان كل نبى أب لامته من حيث انه أصل فيما به حياتهم الابدية و لذلك صار المؤمنون اخوة .

٣ ـ قيل : هذا مثل لاجتهاد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى نجاة امته من هلكات الكفر والجهل والضلالة والطغيان إلى الايمان والعلم والهدى والطاعة . فالنبى صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم لان أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك و هو عليه السلام يدعوهم إلىالنجاة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أناآخذ بحجز كمعنالنار وأنتم تقتحمون فيها تقحّم

الفراش » وقيل: النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأنه ﷺ رأسهم و رئيسهم ، فدفع حاجته والاعتناء بشأنه أهم كما ان رعاية العضو الرئيس و حفظ صحته وإزالة مرضه أولى. وإلى هذا أشار النبى ﷺ بقوله: «إبدأ بنفسك ثم بمن تعول».

٤ ـ قيل : يعلم من إطلاق الجملة : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » فى كل شيء من امور الدنيا والدين . فولاية النبى ولاية عامة تشمل رسم منهاج الحياة بحذافيرها ، وأمر المؤمنين فيها إلى الرسول ﷺ ليس لهم أن يختاروا إلاّ ما اختاره لهم بوحى من ربه . لما ورد : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » و تشمل الولاية العامة كذلك التزاماتهم . . . لما ورد : « ما من مؤمن إلاّ و أنا أولى الناس به فى الدنيا والاخرة إقرؤا إن شئتم : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا ، و إن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتنى فأنا مولاه » أى انه ﷺ يؤدّى عنه دينه إن مات و ليس له مال يفى بدينه ، و يعول عياله من بعده إن كانوا صغاراً .

فكلما يراه المؤمنون لأنفسهم من الحفظ والكلاءة والمحبة والكرامة و إستجابة الدعوة و إنفاذ الحكم والارادة فالنبى ﷺ أولى بذلك من أنفسهم ، و كذلك إذا توجّه شيء من المخاطر إلى نفس النبى ﷺ فليقه المؤمنون بأنفسهم ويفدون أنفسهم لديه ، وليكن النبى ﷺ أحب إليهم من أنفسهم وأكرم عندهم من أنفسهم ، فلو دعتهم أنفسهم إلى شيء و دعا النبى ﷺ إلى خلافه أو أرادت أنفسهم منهم شيئاً و أراد النبى ﷺ خلافه كان المتعين إستجابة النبى ﷺ وطاعته و تقديمه على أنفسهم .

٥ ـ قيل: ان «أولى» بمعنى أرأف و أعطف ، والمعنى: النبى أشفق وأرأف بامته من أنفسهم إذ لا يأمرهم إلاّ بما فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم ، ولا ينهاهم إلاّ عما فيه شرهم وفسادهم و شقائهم فى الدنيا والاخرة و أما النفس فانها أمارة بالسوء لا تقدّم المصالح على المفاسد ، و لا المنافع على المضار ، والنبى ﷺ

يقدمها و يؤخرها ، فهو أرأف بالمؤمنين من أنفسهم لقوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم » التوبة : ١٢٨) فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم أشد ولاية و نصرة و نصحة لهم من أنفسهم ، و مما يلزم ذلك أن يكون حكمه نافذاً فيهم ، مقدماً على ما يختارونه لانفسهم كما قال الله تعالى: « فلا و ربك لايؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلّموا تسليماً » النساء : ٦٥) فولايته صلى الله عليه و آله و سلم على المؤمنين فوق ولاية بعضهم على بعض المدلول عليه بقوله جل وعلا: « المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض » التوبة : ٧١) .

أقول: والرابع هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر .

و في قوله تعالى : «اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» أقوال:

١ - عن إبن زيد و قتادة : أي اولوا الارحام الذين يرث بعضهم من بعض هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضاً بالهجرة والايمان دون الرحم . و ذلك الحكم ثابت في القرآن الكريم . فالأقارب أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية الدينية و من المهاجرين بحق الهجرة . هذا بناء على أن « من المؤمنين » متعلق بـ « أولى » . ٢- عن قتادة أيضاً: أي مكتوب عند الله تعالى ألاّ يرث كافر مسلماً .

٣- قيل: أي الأقارب من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضاً من الأجانب . و هذا بناء على أن « من المؤمنين » متعلق بـ « اولوا الارحام » و هذا الحكم ثابت في اللوح المحفوظ . و عن القرظي : أي ثابت في التوراة . وقيل: في الكتب السماوية النازلة على الانبياء . و قيل : أي في هذه السورة . و قيل : أي فيما فرض عليكم . فالكتاب: الفرض كقوله تعالى: « كتب عليكم الصيام » . ٤- قيل: أي الاقارب أحق من الأجانب في كل نفع من ميراث و هبة و هدية و صدقة و غير ذلك . . .

أقول: و على الاول جمهور المفسرين .

و في قوله تعالى : « الا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً » أقوال: ١ـ عن قتادة والحسن والسدى وعطاء : أى الا أن تفعلوا إلى إخوانكم فى الدين إحساناً فى الحياة و وصية عند الموت بشيء من التركة .

٢ـ عن قتادة أيضاً و محمد بن الحنفية و عكرمة : أى إلا أن توصوا لذوى قرابتكم من غير أهل الايمان والهجرة ، إذ لاميراث لأهل الشرك من المؤمنين ولكن الوصية لذوى القرابات من المشركين فتجوز . و قيل : هذا لايصح لانه تعالى نهى عن ذلك بقوله : « لا تتخذوا عدوى و عدوكم أولياء » وقد أجاز كثير من الفقهاءِ الوصية للقرابة الكافرة . و أجاز بعضهم للوالدين والولد فقط .

٣ـ عن مجاهد: أى إلا أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحق الايمان والهجرة والحلف فتؤتونهم حقهم من النصرة والعقل عنهم . ٤ ـ عن إبن زيد : أى إلا أن توصوا إلى أولياءِكم من المهاجرين وصية إذ كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم آخى بينهم . وذلك لما نسخ التوارث بالمؤاخاة والهجرة أباح الوصية ، فيوصى لمن يتولاه بما أحب من الثلث فمعنى المعروف هنا الثلث . والمعنى: إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين ليسوا بأولى أرحام منكم ثلثاً من المهاجرين والانصار . ٥ ـ قيل : أى لكن إن فعلتم إلى أولياءِكم المؤمنين و خلفائكم ما يعرف حسنه و صوابه فهو حسن . فالمعروف هو الثلث و ما دونه حدهما الشرع و ليس للموالى ميراث .

أقول: والاخير هو المؤيد بالرواية الآتية فانتظر .

و فى قوله تعالى : « كان ذلك فى الكتاب مسطوراً » أقوال : ١ ـ قيل : أى كان فى اللوح المحفوظ ألا يرث المشرك المؤمن و لو كان من أقاربه . ٢ ـ قيل: أى كان نسخ الميراث بالهجرة والمؤاخاة الدينية ، و ردّه إلى اولى الارحام من القرابات مكتوباً فى القرآن الكريم . ٣ـ قيل: أى كان حكم فعل المعروف بالوصية مكتوباً فى هذه السورة . ٤ ـ قيل : أى كان كل ذلك : من كون النبى

صلّى الله عليه وآله وسلّم أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، و كون الأقارب المؤمنين أولى فى الميراث من غيرهم ، و جواز فعل المعروف بالوصية مكتوباً فى هذا الكتاب الكريم .

أقول: والاخير غير بعيد و إن كان الثالث هو الاقرب بالاشارة .

٧ - (و اذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك و من نوح وابراهيم وموسى و عيسى ابن مريم و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)

فى قوله تعالى : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم » أقوال: ١- عن قتادة : أى أخذنا من النبيين خصوصاً ميثاقهم بأن يصدق بعضهم بعضاً ، ويتبع بعضهم بعضاً.

٢ - قيل : أى أخذنا منهم ميثاقهم على وحدة الكلمة فى الدين و عدم الاختلاف فيه كما فى قوله تعالى: « ان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » الانبياء : ٩٢) و قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه » الشورى : ١٣) .

٣ - عن مقاتل : أى أخذنا من النبيين ميثاقهم على أن يعبدوا الله تعالى وحده و أن يدعوا الناس إلى عبادة الله تعالى وأن يصدّق بعضهم بعضاً وأن ينصحوا لقومهم. لقوله تعالى: « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحى إليه انه لاإله إلاّ أنا فاعبدون » الانبياء : ٢٥) .

أقول: و لكل وجه من غير تناف بينها .

و فى قوله تعالى : « وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » أقوال: ١ - عن قتادة : أى ميثاقاً واحداً ، منهجاً واحداً ، أمانة واحدة يتسلمها كل منهم حتى يسلمها . و فى التكرار تأكيد و تغليظ للميثاق المذكور سابقاً . والمعنى : و أخذنا من النبيين عهداً وثيقاً عظيماً على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالة ، و أن يعبدوا الله تعالى وحده ، و أن يبشّر بعضهم ببعض ، و يصدق بعضهم بعضاً .

٢ - قيل: اريد بالميثاق الاول الاقرار بالربوبية لله تعالى، وبالثانى الاقرار

بالنبوة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبالامامة للائمة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. ٣- قيل: اريد بالميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى على الوفاء بماحملوا فلا إعادة لاختلاف الميثاقين . ٤ - قيل : اريد بالميثاق الاول اليمين بالله تعالى، والثاني تأكيد للميثاق الاول باليمين .

أقول: والثاني هو المروى .

٨- (ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً)

في قوله تعالى : « ليسئل الصادقين عن صدقهم » أقوال: ١-عن مجاهد : أي ليسئل الله تعالى الانبياء ما الذى أجابتهم به اممهم ، و مافعل قومهم فيما أبلغوهم عن ربهم من رسالة . كما في قوله تعالى : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم » المائده : ١٠٩) .

٢ - قيل : أي ليسئل الله تعالى المصدقين للانبياء عن تصديقهم و ايمانهم بهم ، إذ من قال للصادق : صدقت كان صادقاً في قوله ، فالمؤمنون يسئلون عند وقوف الأشهاد عن صدقهم ، صدقوا عهدهم و وفوا به ، ويشهدلهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين . ٤ - قيل : أي ليسئل الانبياء عليهم السلام يوم القيامة الذين صدقوا عهودهم فآمنوا بهم وعملوا ما قالوه لهم . ٥ - قيل : أي ليسئل الله تعالى يوم القيامة الصادقين في أقوالهم عن صدقهم في أفعالهم في الحياة الدنيا . ٦ - قيل : أي ليسئل الله تعالى يوم القيامة الصادقين ماذا قصدتم بصدقكم وجه الله تعالى أوغيره ؟ فيكون فيه تهديد للكاذبين .

٧ - قيل : أي ليسئل الله تعالى الانبياء عليهم السلام عن الوفاء بالميثاق الذى أخذه عليهم وعن تبليغهم الرسالة ويسئل الله تعالى امهم عن الذين ارسلوا إليهم من الانبياء وما بلغوا رسالات الله اليهم . فاذا يسئل الله تعالى الافواه الصادقة عن القلوب المخلصة فكيف من سواهم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته .

٨ - قيل: هذا تبكيت للذين كفروا بالانبياء عليهم السلام و إثبات الحجة عليهم ، وفائدة

سئوالهم توبيخ الكفار كما قال تعالى: « أ أنت قلت للناس » . ٩ ـ قيل: أى ليسئل الله تعالى الصادقين فى توحيدالله و عدله و الشرائع عن صدقهم أى عما كانوا يقولونه فيه سبحانه فيقال لهم : هل ظلم الله سبحانه أحداً ؟ هل جازى كل إنسان بفعله ؟ هل عذّب أحداً بغير ذنب ؟ ونحوذلك . . . فيقولون : نعم عدل فى حكمه و جازى كلاً بفعله .

١٠ ـ قيل: أى ليسئل الله تعالى الانبياء عليهم السلام فى الحياة الدنيا عن صدقهم ما أخذه منهم فى الذر قبل الدنيا ، بأن يطالب منهم فى الدنيا أن يظهروا ما فى باطنهم من الصدق فى مرتبة القول والعمل من كلمة التوحيد و توحيد الكلمة والعبادة و صالح الاعمال ، و إبلاغ الرسالة و دعوة الناس إلى الله تعالى ، فبلغوا رسالاتهم فى الحياة الدنيا ، و وفوا بما عاهدوا فى عالم الذر . و هذا هو المستفاد من قوله تعالى : « ليسئل الصادقين عن صدقهم » .

و ذلك للفرق بين قولك : سئلت الغنى عن غناه ، والعالم عن علمه و بين قولك: سئلت زيداً عن ماله أو عن علمه . فان المتبادر من الاولين : انك طالبته أن يظهر لك غناه أو علمه ، و من الاخيرين : انك طالبته أن يخبرك هل له مال أو له علم ؟ أو يصف لك ماله من المال أو العلم .

أقول: و على السابع أكثر المفسرين ، و لذلك تقدّم له بيان فى البيان ، ولكن الانسب بظاهر السياق هو الثانى من الاقوال فتدبر و اغتنم جداً .

٩ـ (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها و كان الله بما تعملون بصيراً)

فى « جنود لم تروها » أقوال : ١ـ قيل: ان الجنود غير المرئية هى المشاعر التى تسلطت على المشركين و إخوانهم اليهود من الخوف والقلق ، و من سوء ظن بعضهم ببعض .

٢ ـ قيل : هى وساوس و خواطر تمشّى بها بعض العقلاء بين الجماعات

المتحالفة والاحزاب المتآلفة فأفسدهم بينهم . ٣ ـ قيل : هى الرعب الذى قذفه الله تعالى فى قلوبهم فانهزموا بلا قتال . ٤ ـ قيل : هى ملائكة من ملائكة الله تعالى جائت مع الريح فضاعفت من أفاعيلها و بالغت فى آثارها . . .

أقول: والاخير هو المروى .

١٠ ـ (اذجاؤكم من فوقكم و من أسفل منكم و اذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا)

فى قوله تعالى : « إذ زاغت الابصار » أقوال : ١ ـ عن قتادة : أى عدلت الابصار عن مقرّها ، و شخصت طامحة . ٢ ـ قيل : أى مالت عن كل شيء ، فلم تنظر إلاّ إلى عدوها مقبلاً من كل جانب ، و دهشاً من فرط الهول ، فالعيون من شدة الخوف تتحرك زائغة يميناً و شمالاً .

٣ ـ قيل : أى عدلت الأبصار عن مقرّها من الدهش والحيرة ، فانحرفت عن مستوى نظرها كما يكون الجبان فلم يعلم ما يبصر . ٤ ـ قيل : زيغ البصر كناية عن غاية غشيان الخوف للمسلمين حتى حوّلهم إلى حال المحتضر الذى يزيغ بصره . ٥ ـ قيل: زيغان الابصار كناية عن الكرب الذى دخل على المسلمين حتى إضطرب لذلك تفكيرهم ، وغابت وجوه الرأى عنهم فلم يتبينوا ماذا يأخذون أو يدعون من أمرهم .

أقول: و لكل وجه ، والمآل واحد .

و فى قوله تعالى : « بلغت القلوب الحناجر » أقوال : ١ ـ عن الفراء و ابن عباس: هذا مبالغة على إضمار « كاد » أى كاد تبلغ القلوب الحناجر . و ذلك لان الرئة تنفتح عند شدة الخوف ، فيرتفع القلب حتى يكاد يبلغ الحنجرة مثلاً ولهذا يقال للجبان : إنتفخ سحره . والسحر : الرئة . ٢ ـ قيل : هذا مثل ضرب فى شدة الخوف والرعب ببلوغ القلوب الحناجر ، وإن لم تزل عن أماكنها مع بقاءِ الحياة . والمعنى : فزعت القلوب فزعاً شديداً . ٣ ـ عن قتادة : أى زالت عن

أماكنها من الصدور حتى بلغت الحلاقيم ، ولولا ان الحلقوم ضاقت عنها لخرجت .

٤ ـ قيل : اريد ببلوغ القلوب الحناجر الحقيقة لان القلب عند الخوف يجتمع فيتقلص و يلتصق بالحنجرة و قد يفضى إلى سدّ مخرج النفس فيموت .

٥ ـ عن عكرمة : أي بلغ فزعها . على أن القلوب يشتد خفقانها حتى كأنها ترتفع من مكانها إلى الحناجر ، و إن لم يبلغها فى الحقيقة .

أقول: و على الأخير أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « تظنون بالله الظنونا » أقوال : ١ ـ عن الحسن : أى ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون ، وظن المؤمنون انهم ينصرون ، وسيظهر دينه على الدين كله و لو كره المشركون .

٢ ـ قيل : هذا خطاب للمنافقين ، و ضعاف الايمان و مرضى القلوب ، فمنهم من ظن ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغلب ، و منهم من ظن ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم و أصحابه هلكوا ، و منهم من ظن ان ما وعده الله تعالى من النصر لايكون وكانوا يقولون : « ما وعدنا الله و رسوله إلاّ غروراً » فالظنون كلها كاذبة . والمعنى : تذهبون مذاهب فى إساءة ظنكم بالله تعالى .

٣ ـ قيل : خطاب لمن كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أيام الخندق فمنهم من ظن بالله تعالى النصر على أعداء الله جل و علا و إن كانوا كثيرين ، و منهم من أيس و قنط ، و منهم من ظن ان الكفار يغلبونهم ، ومنهم من ظن ان المشركين و إخوانهم اليهود يستولون على المدينة ، و منهم من ظن ان الجاهلية ستعود كما كانت ، و منهم من ظن ان ما وعدالله و رسوله من نصرة الدين وظهوره على الدين كله ، و أهله على الكفار غرور ، فأقسام الظنون كثيرة خصوصاً ظن الجبناء والمنافقين .

أقول: و الاخير هو الانسب بظاهر السياق .

١١ ـ (هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً)

في «زلزلوا زلزالاً شديداً» أقوال : ١- عن إبن سلام ومجاهد : **أي حرّكوا** بالخوف والفتنة تحريكاً شديداً و ازعجوا إزعاجاً عظيماً . و ذلك لان الخائف يكون قلقاً مضطرباً لايستقر على مكانه . ٢- عن الضحاك: هو إزاحتهم عن أماكنهم حتى لم يكن لهم إلاّ موضع الخندق .

٣ - عن الجبائي : انه إضطرابهم عما كانوا عليه ، فمنهم من إضطرب خوفاً على نفسه من القتل ، و منهم من إضطرب في دينه ، و منهم إضطرب في نفس النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، و منهم من إضطرب في أمواله و أولاده و دوره . . .

٤ - قيل : أي زلزل المنافقون و ضعاف النفوس ومرضى القلوب واضطربوا إضطراباً شديداً حين رأوا المشركين واليهود ، و أما المؤمنون المخلصون فكانوا مستقيمين فيما كانوا عليه .

أقول: والاخير هو الظاهر من السياق فتدبر جيداً .

١٢ - (واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة و ما هي بعورة ان يريدون الا فراراً)

في قوله تعالى : « و إذ قالت طائفة منهم » أقوال : ١ - عن السدي : هم عبدالله بن ابي رأس المنافقين، وأذنابه . ٢- عن مقاتل : هم بنو سالم من المنافقين.

٣ - عن يزيد بن رومان : هم أوس بن قيظي والد عرابة بن أوس الذي يقول فيه الشماخ و من وافقه على رأيه .

أقول: كل محتمل إذ ليس لنا دليل يعتنى به في تعيين أحدها فالتعميم غير بعيد.

و في قوله تعالى : « و يستأذن فريق منهم » قولان : أحدهما - عن إبن عباس : هم بنو حارثة ابن الحارث ، و بنو سلمة . ثانيهما - عن يزيد بن رومان : هم أوس بن قيظي عن ملأ من قومه .

أقول: والثاني مردود بنفس قوله فيما تقدم لاختلاف الطائفتين، فالمتعين

هو قول إبن عباس و عليه أكثر المفسرين .

و في قوله تعالى : « ان بيوتنا عورة » أقوال : ١- عن مجاهد : أى ذات خلل و قصيرة الجدران لا يأمن أصحابها السراق على متاعهم . ٢ - عن قتادة : أى انها معرضة للعدو ، فانها سائبة ضائعة ليست بحصينة و هى ممايلى العدو فلا نأمن على أهلينا ٣ - عن مجاهد أيضا و إبن عباس : أى ليست بحريزة مكشوفة ليست بحصينة، يخشى عليها. ٤-عن الحسن: أى خالية من الرجال فهى ممكنة للسراق.

أقول: والثالث هو المؤيد بمفهوم الرواية الآتية .

و في قوله تعالى : « إن يريدون إلاّ فراراً » أقوال : ١ - قيل : أى لا يريدون إلاّ الهرب من القتل . ٢ - قيل : أى لا يريدون إلاّ الفرار من الدين . ٣ - قيل : أى لا يريدون إلاّ فراراً من القتال و نصرة المؤمنين .

أقول: والاول هـو المستفاد من قوله تعالى : « قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل » : ١٦) .

١٤ - (و لو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيراً)

فى قوله تعالى : « و لو دخلت عليهم من أقطارها » قولان : أحدهما - عن قتادة و إبن زيد : أى ولو دخلت عليهم هؤلاءِ العساكر المتحزبة التى كانوا يفرّون منها من أقطار المدينة و أكنافها . . . ثانيهما - قيل : أى و لو دخلت الاحزاب على هؤلاءِ المنافقين من جوانب بيوتهم . . .

أقول: و على الاخير أكثر المفسرين و إن كان للاول وجه .

و فىقوله تعالى : « ثم سئلوا الفتنة » أقوال: ١- عن الضحاك: أى سئلوا القتال فى العصبية لاسرعوا إليه . والمعنى: لو دخل على هؤلاءِ المنافقين هؤلاءِ المشركون من نواحى بيوتهم كلها لاجل النهب والسبى ثم عرضوا عليهم الكفر و يقال لهم ، كونوا على المسلمين لتسارعوا إليه و ما تعللوا شيء . ٢ - عن إبن

عباس و قتادة و إبن زيد والحسن : أى ثم سئلوا الشرك والارتداد عن الدين لأجابوا إليهما مسرعين .

٣ ـ قيل : إن الفتنة هي خروجهم من ديارهم ، حيث ان الخروج من الديار أشبه بالفتنة في الدين لان حرمة البيوت عند الاحرار تعدل حرمة النفس والدين.

٤ ـ قيل: ان المعنى : لو دخلت الاحزاب بيوتهم و أخذوها منهم لرجعوها عن نصرة المؤمنين على أن رجوعهم عنك ليس لحفظ البيوت بل لشدة إشتياقهم إلى الكفر و مقتهم الاسلام .

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين الاقوال الاخر فان المنافقين و ضعاف الايمان هم مجمع الاضداد . . .

و في قوله تعالى : « وما تلبثوا بها إلاّ يسيراً » أقوال : ١ ـ عن السدى و الحسن و الفراء : أى و ما تلبثوا ببيوتهم بعد إعطاء الكفر و الردة عن الدين إلاّ قليلاً حتى يهلكوا . ٢ ـ عن قتادة : أى و ما احتبسوا عن الاجابة إلى الكفر إلاّ قليلاً ، إذ يجيبون بالشرك مسرعين ، و ذلك لضعف نياتهم و لفرط نفاقهم ، فلو اختلطت بهم الاحزاب لاظهروا الكفر .

٣ ـ قيل :أى و ما تلبثوا بالمدينة ولا ببيوتهم إلاّ يسيراً فيخرجون منها و يسلّمونها ليد طالبيها منهم دون إمهال و تردد أو تلبث . ٤ ـ قيل : أى و لم يلبثوا بالفتنة ولم يقيموا عليها ـ وهى الردة عن الدين وقبول الكفر ـ إلاّ قليلاً ثم تزول وتكون العاقبة للمتقين . ٥ـ قيل: أى لايقاومون ذلك الطلب إلاّ مقاومة خفيفة وظاهرة .

أقول : وعلى الثاني أكثر المفسرين .

١٥ـ (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الأدبار وكان عهدالله مسئولاً)

في العهد والمعاهدين أقوال: ١ـ قيل : هم هؤلاء الباقون في بيوتهم الذين عاهدوا الله من قبل غزوة الخندق أن لايرتدوا عن الاسلام ولايرجعوا إلى الكفر

والضلالة . قيل : العهد هو بيعتهم بالايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبماجاءبهم.

٢- قيل : همهؤلاءالمعتذرون الذينهم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاهدوا الله تعالى من قبل ذلك أنلايفرّوا عن القتال . قيل : العهد هو : الجهاد الذى يحرم عليهم الفرارمنه . ٣- عن مقاتل والكلبى : هم سبعون رجلاً بايعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة ، وقالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : اشترط لنفسك ولربك ماشئت ، فقال: اشترط لربى أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأموالكموأولادكم فقالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك يانبىالله؟ قال : لكم النصرفىالدنيا والجنة فىالاخرة وذلك قوله تعالى : « و كان عهد الله مسئولاً » عنهم يوم القيامة . قال ابن عباس : عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلةالعقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم . من غيرذكرانهم سبعون رجلاً .

٤- عن قتادة : أى ان هؤلاءِ المنافقين و مرضىالقلوب لما غابوا عنبدر ، ثم رأوا ما اعطىالله تعالى أهلبدرمن النصروالكرامة قالوا لئن أشهدنا الله قتالاً نقاتلن . ٥- عن يزيد بن رومان : هم بنوحارثة همّوا يوم احد أن يفشلوا مع بنى سلمة ، فلما نزل فيهم مانزل عاهدوا الله ألايعودوا لمثلها ، فذكرالله لهم الذى أعطوه من أنفسهم . وقال محمد بن إسحق : عاهدوا يوم احد أن لا يفرّوا بعد أن نزل فيهم مانزل .

أقول: ولكلوجه لاطلاق « منقبل » ولكن الاوجه هوالثانىلاطلاقتولى الادبار على الفرار من القتال .

١٨- (قد يعلمالله المعوقينمنكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولايأتون البأس الا قليلاً)

قوله تعالى: « القائلين لاخوانهم » فىالقائلين والاخوان أقوال : ١- عن قتادة : انالمنافقينكانوا يقولون للمسلمين : ما محمد ولاأصحابه إلاّ أكلة رأس وهو صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه سيهلكون فهلمّإلينا . وهم يريدون انهم قليلوالعدد ،ولو

كانوا لحماً لالتهمهم أبوسفيان وأصحابه .

٢ـ قيل : ان المنافقين كانوا يقولون لمرضى القلوب وضعاف الايمان تعالوا إلينا ودعوا محمداً وأصحابه . ٣ـ قيل : ان اليهود من بنى قريظة كانوا يقولون لاخوانهم من المنافقين : تعالوا إلينا وفارقوا محمداً فانه هالك ، و ان أباسفيان إن ظفر لم يبق منكم أحداً .

٤ـ عن إبن زيد : ان هذا يوم الاحزاب ، حين إنطلق رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجد أخاه ـ من أبيه وامه ـ بين يدى رغيف وشواء ونبيذ ، فقال له: أنت فى هذا ، ونحن بين الرماح والسيوف ؟ فقال : هلمّ إلى هذا ، فقد تبع لك ولا صحابك أى وقد احيط بك وبصاحبك والذى تحلف به لايستقل بها محمد أبداً ، فقال: كذبت ، والله لاخبرنك بامرك ، فذهب إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم يخبره ، فوجده قد نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل عليه السلام بهذه الاية .

٥ـ قيل : ان طائفة من المنافقين كانوا يقولون لبعض الاخرين من المنافقين.

أقول: والثانى هو الانسب بالسياق .

وفى قوله تعالى : « ولا يأتون البأس إلاّ قليلاً » أقوال : ١ـ عن السدى :أى لايحضرون القتال إلاّ رياءاً وسمعة من غير إحتساب. ٢ـ قيل: أى لايحضرون الحرب إلاّ خوفاً من الموت . ٣ـ قيل : أى لا يأتون الحرب إلاّ إتياناً قليلاً منهم .

٤ـ قيل : أى لايحضرون القتال إلاّ زمناً قليلاً . وقيل : أى الاقتالاً قليلاً .و قيل : أى إلاّ بأساً قليلاً ،لانهم كانوا يعتذرون ويتثبطون ما أمكن لهم أو يخرجون مع المؤمنين ، ولكن لايقاتلون إلاّ قليلاً لقلة الرغبة كقوله تعالى : « ما قاتلوا إلاّ قليلاً » . ٥ـ قيل : ان هذا من تتمة كلامهم فالمعنى : لا يأتى أصحاب محمد حرب الاحزاب ولايقاومونهم إلاّ قليلاً .

٦ـ قيل : ان العدد من الذل لانهم لكفرهم لا يكثرون عند البأس ، فهم خلاف الانصار الذين قال فيهم : انكم لتكثرون عند الفزع والشدة وتقلّون عند الطمع .

٧- عن قتادة : أى هم لا يحضرون القتال إلا كارهين تكون قلوبهم مع المشركين.

٨ - عن يزيد بن رومان : أى و لا يشهدون الحرب و القتال إن شهدوا إلا تعذيراً و دفعاً عن أنفسهم المؤمنين . قيل : إن المراد بالقلة هنا قلة الغناء فى الحرب ، و ضعف الأثر الذى لهم فى القتال فهم و إن شهدوا الحرب إنما يشهدون بنفوس مريضة و قلوب واجفة و أبصار زائغة أما إخوانهم الذين قعدوا من أول الامر و لم يخرجوا مع المسلمين ، فانهم لا يأتون البأس قليلاً أو كثيراً .

أقول: و على الرابع أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

١٩ - (أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم و كان ذلك على الله يسيراً)

فى « أشحة عليكم » أقوال : ١- عن مجاهد و قتادة : أى بخلاء عليكم فلا يعاونونكم بحفر الخندق ، ولا ينصرونكم بالنفقة فى سبيل الله تعالى لاعلاء كلمة الحق و نصرة دينه ، و لا بالشهود فى معركة القتال على الاعداء . . . ٢- قيل : أى حال كونهم بخلاء بظفركم و إغتنامكم فلا يريدون أن يكونا لكم .

٣ - عن السدى : أى بخلاء بالغنائم إذا أصابوها . ٤ - قيل : أى بخلاء بالنفقة على فقرائكم و مساكينكم . ٥ - قيل : أى لا يأتون الحرب إلا قليلاً بخلاء بالقتال معكم ، ضانين بأنفسهم على أن يبذلوها فى سبيل الله تعالى .

أقول: والتعميم غير بعيد فان المنافقين هم مجمع الاضداد . . .

و فى قوله تعالى : « فاذا جاء الخوف » قولان : أحدهما- عن السدى : أى فاذا جاء الخوف من قتال العدو إذا أقبل . ثانيهما- عن إبن شجرة : أى فاذا جاء الخوف من النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا غلب .

أقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق .

و فى قوله تعالى : «سلقوكم بألسنة حداد» أقوال: عن قتادة : أى بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون: اعطونا اعطونا، فانا قد شهدنا معكم، فلستم بأحق بها منا ، فهم عندالغنيمة أشحّ قوم و أبسطهم لساناً، و وقت الحرب والقتال أجبن قوم و أخوفهم و أخذ لهم للحق.

٢- قيل : أى بالغوا فى مخاصمتكم والاحتجاج عليكم ، خاصموكم بألسنة سليطة ذربة ، قائلين : وفّروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم ، و قاتلنا معكم و بنا نصرتم و بمكاننا غلبتم عدوكم . ٣ - عن إبن عباس و إبن زيد والقتبى والفراء : أى آذوكم بالكلام الشديد ، وأطلقوا لألسنتهم العنان فى النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بكل بهتان من القول و خبيث من الكلم ، فعضّوكم بألسنة ذربة .

٤ - عن يزيد بن رومان : أى سلقوكم من القول بما تحبون نفاقاً منهم لايرجون آخرة ولاتحملهم حسبة ، فهم يهابون الموت هيبة من لايرجو مابعده .

٥ - قيل : أى طعنوكم وضربوكم و هاجموكم بألسنة ماضية بالبذاءة والأذى .

أقول: و لكل وجه والمآل واحد .

و فى قوله تعالى : « أشحة على الخير » أقوال : ١ - عن يحيى بن سلام : أى حريصين على الغنائم إذ يشاحون المؤمنين عند القسمة . ٢- قيل: أى بخلاء على المال والثواب ، حريصين على أن ينفقوه فى سبيل الله تعالى . ٣ - قيل: أى بخلاء على الدين . ٤ - عن الجبائى: أى بخلاء على الكلام الجميل بأن يتكلموا معكم بكلام فيه خير و صلاح .

أقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق .

وفى قوله تعالى: «وكان ذلك على الله يسيراً» أقوال : ١- قيل : أى وكان نفاقهم على الله تعالى هيناً . ٢- قيل: أى وكان إحباط عملهم على الله هيناً، فلاوزن لاعمالهم . وقيل : إذاكان إعدام الجواهر هيّن على الله تعالى فاعدام الاعراض ولا سيما بمعنى عدم إعتبار نتائجها أولى بأن يكون هيناً . ٣- قيل : أى وكان غلبة

المسلمين ونصرتهم على أعدائهم يسيراً لايحتاج إليهم حتى يمنّوا بعد ذلك .

أقول: وعلى الثانى أكثر المفسرين .

۲۰- (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوالو انهم بادون فى الاعراب يسئلون عن أنباءكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا)

فى «يحسبون» أقوال : ۱- قيل : هم الذين فرّوا من القتال ورجعوا إلى المدينة . ۲- قيل : هم الذين بقوا ونالوا بالغنائم . ۳- قيل : هم من المنافقين الذين كانوا فى أطراف المدينة لم يحضروا الخندق ، وجعلوا يسئلون عن أخبار المسلمين و يتمنون هزيمتهم .

أقول: وعلى الثانى جمهور المفسرين .

۲۱- (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيراً)

فى «لكم» أقوال : ۱- قيل : خطاب للمنافقين عطفاً على ما تقدم من خطابهم . ۲- قيل : خطاب للمؤمنين لقوله تعالى : «لمن كان يرجوا الله و اليوم الاخر» . ۳- قيل : خطاب لجميع المكلفين .

أقول: والثانى هو الأنسب بظاهر السياق .

و فى قوله تعالى : «لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر» أقوال : ۱ - عن سعيدبن‌جبير : أى لمن كان يرجوا لقاء الله تعالى بايمانه و يصدّق بالبعث الذى فيه جزاء الافعال . . . ۲ - عن إبن عباس : أى لمن كان يرجوا ثواب الله تعالى ونعيم الجنة فى اليوم الاخر . ۳- عن مقاتل: أى يخشى الله ويخافه البعث الذى فيه جزاء الاعمال . . .

أقول: و على الثانى جمهور المفسرين .

۲۲- (و لما رأ المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله و رسوله و ما زادهم الا ايماناً و تسليماً)

في « هذا ماوعدنا الله ورسوله » أقوال : ١- عن إبن عباس: أي هذا الخطب أو البلاء ما وعدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن الاحزاب المتحزبة سيتظاهرون على المؤمنين ، فلما شاهدوهم تبيّن لهم ان ذلك هو الذى وعدهم . و ذلك إذخطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام ذكرت الاحزاب ، فقال: « أخبرني جبرئيل عليه السلام : ان امتى ظاهرة عليها - يعني على قصور الحيرة و مدائن كسرى - فابشروا بالنصر » فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمدلله موعد صادق إذ وعدنا بالنصر بعد الحصر ، فلما طلعت الاحزاب يوم الخندق ، فقال المؤمنون : هذا ما وعدنا الله و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و ان الله تعالى سينصرنا على عدونا ، و كان ذلك معجزاً له صلى الله عليه وآله وسلم .

٢ - عن قتادة: ان المؤمنين كانوا قد سمعوا قوله تعالى: « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء و زلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصرالله قريب » البقرة : ٢١٤) فتحققوا انهم سيصيبهم ما أصاب الانبياء والمؤمنين بهم من الشدة والمحنة التي تزلزل القلوب و تدهش النفوس ، فلما رأوا الاحزاب يوم الخندق أيقنوا انه من الوعد الموعود ، و ان الله سينصرهم على عدوّهم .

٣ - قيل : إن الجمع بين القولين هو الصواب ، نظراً إلى جمعهم بين الله تعالى و رسوله في الوعد إذ قالوا : « هذا ما وعدنا الله و رسوله » . ٤ - قيل : ان «هذا» إشارة إلى ما أيقنوا من ان عند الفزع الشديد يكون النصر والجنة ، و ذلك لما عاين المؤمنون بالله تعالى و رسوله جماعات الكفار قالوا تسليماً منهم لأمرالله و ايقاناً منهم بان ذلك إنجاز وعده لهم الذى وعدهم . ٥- قيل: أي هذا الابتلاء والنصر .

أقول: والثالث هو الظاهر .

و في قوله تعالى : « ومازادهم إلاّ ايماناً وتسليماً » أقوال: ١-عن الفراء والحسن : أي و ما زادهم النظر إلى الاحزاب إلاّ ايماناً بربهم وتسليماً لقضائه .

٢ ـ قيل : أي و ما زادهم الرؤية و مشاهدة عدوهم **إلاّ** ايماناً بمواعيده وتسليماً لقضائه . ٣ ـ عن الجبائي : أي و ما زادهم إجتماع الاحزاب عليهم **إلاّ** ايماناً بالله تعالى و تسليماً لقضائه و أمره بنصرة دينه والجهاد في سبيله .

٤ـ عن قتادة : أي ومازادهم كثرة المشركين **إلاّ** صبراً على البلاءِ وتسليماً للقضاءِ و تصديقاً و يقيناً بتحقيق وعد الله و ثباتاً في الحرب . ٥ ـ قيل : أي و ما زادهم النصر إلاّ تصديقاً بوعد الله تعالى و تسليماً لأمره .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر.

٢٣ ـ (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً)

في قوله تعالى : « ما عاهدوا الله عليه » أقوال : ١ ـ قيل : أي بايعوا أن لا يفرّوا فصدّقوا في لقائهم العدو . ٢ ـ قيل : أي أوفوا بما عاهدوا عليه من الصبر على البأساءِ والضراءِ و حين البأس . ٣ ـ قيل : أي ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم .

أقول: و لكل وجه ، والتعميم هو الاوجه .

و في قوله تعالى : « فمنهم من قضى نحبه » أقوال : ١ ـ قيل : أي مات أو قتل في سبيل الله تعالى فأدرك ما تمنى فذلك قضاء النحب . ٢ـ عن محمد إبن إسحق: فمنهم من فرغ عن عمله و رجع إلى ربه يعني من استشهد يوم بدر واحد.

٣ ـ عن الحسن : قضى أجله على الوفاءِ والصدق . و قال إبن عباس : من قضى نحبه كحمزة بن عبدالمطلب و من قتل معه و أنس بن النضر و أصحابه . . . و قال إبن قتيبة : أصل النحب : النذر . و كان قوماً نذروا إن يلقوا العدو أن يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله فقتلوا . فقيل : فلان قضى نحبه إذا قتل .

أقول: والمعاني متقارب ، و المآل واحد .

٢٤ـ (ليجزي الله الصادقين بصدقهم و يعذب المنافقين ان شاء أو يتوب

عليهم ان الله كان غفوراً رحيما)

في قوله تعالى: « ويعذب المنافقين إن شاء أويتوب عليهم » أقوال : ١ـ قيل : أى إن شاء الله تعالى قبل توبة المنافقين وأسقط عقابهم ، وإنشاء لم يقبل توبتهم فيعذبهم على أن إسقاط العذاب بالتوبة تفضل من الله تعالى لايجب عقلاً. ٢ـ عن الجبائى : أى ويعذّب المنافقين بعذاب عاجل فى الدنيا إن شاءأويتوبوا فتاب عليهم . ٣ـ عن قتادة : أى ويعذب المنافقين فى الاخرة إن شاء أنيعذبهم بكفرهم ونفاقهم أى لم يوفقهم للتوبة ، وإن لم يشاء أن يعذبهم تاب عليهم قبل الموت ، فيهديهم للايمان . ٤ـ قيل : أى يعذب المنافقين لكثرة ذنبهم و قوة جرمهم ، ولو كان دون ذلك لغفرلهم .

أقول: وعلى الثالث أكثرالمفسرين ، وقريب منه الرابع .

٢٥ـ (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً)

فيقوله تعالى: «لم ينالوا خيراً» أقوال : ١ـ قيل : أى لم ينالوا مرادهم وأملهم من الظفروالغلبة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، وإنما سمّاه خيراً لان ذلككان عندهم خيراً . ٢ـ قيل : اريد بالخيرالمال كما فى قوله تعالى : « وانه لحب الخيرلشديد» . ٣ـ قيل : أى لم يصيبوا من المسلمين غنائم ولااسارى .

أقول: والتعميم غيربعيد .

وفى قوله تعالى: « كفى الله المؤمنين القتال» قولان : أحدهما ـ عن عبدالله إبن مسعود : أى بعلى إبن أبيطالب عليه السلام وقتله عمروبن عبدود إذكانذلك سبب هزيمة القوم . ثانيهما ـ قيل : أى كفى الله المؤمنين القتال مباشرةبماذكر من إرسال الريح الشديدة والملائكةبأن أرسلعليهم ريحاً وجنوداً حتىرجعوا، و رجعت بنوقريظة إلى صياصيهم ، فكفى أمرقريظة بالرعب فى قلوبهم .

أقول: والاول هوالمروى من غيرتناف بينه وبين الثانى إذ كان قتله عليه السلام

عمرو بن عبدود يوماً وكان إرسال الريح والجنود ليلته الآتية .

٢٧- (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لـم تطؤها وكان الله على كل شي قديراً)

في قوله تعالى : «و أرضاً لم تطؤها» أقوال : ١- عـن قتادة : هـي أرض مكة . ٢- قيل : هي أرض الروم . ٣- عن مقاتل وإبن زيد ويزيد بـن رومان : هي أرض خيبر. ٤- قيل : هي أرض اليمن . ٥ - قيل : هي أرض بني قريظـة و ديارهم وأموالهم التي لم يطؤها بعد ثم وطؤها وأورثهم الله تعالى إياها . ٦-عن عكرمة : هي كل أرض تفتح إلى يوم القيامة ، ومنها خيبر . ٧- قيل : هـي أرض فارس . ٨- عن الحسن : هي فارس والروم وما فتح الله تعالى عليهم .

٩- عن يزيد بن رومان وإبن زيد ومقاتل أيضاً : أي حنين ، ولم يكونوا نالوها فوعدهم الله تعالى إياها . ١٠- عن أبي مسلم : هي ما أفاء الله تعالى علـى رسوله مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب . ١١- قيل : اريد بها نساؤهم . ١٢-قيل: هي أرض بني قريظة وهي القلاع المحكمة نفسها .

أقول: والسادس هو الانسب بالسياق وقصة الصخرة .

وفي قوله تعالى : « وكان الله على كل شيء قديراً » أقوال : ١- عن محمد بن إسحق : أي قدير على ما أراد بعباده من نقمة أو نعمة ومن عفو أو عذاب . ٢-عن النقاش : أي قدير على ما أراد أن يفتحه مـن الحصون والقرى . ٣ - قيل : أي قدير على ما وعدكموه لاترد قدرته ، ولايجوز عليه العجز قدير على أن أورث المؤمنين ذلك وعلى نصره إياهم .

أقول: والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

٣٠- (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً)

في قوله تعالى : « بفاحشة مبينة » أقوال : ١- قيل : هي عصيانهن رسول الله تعالى ونشوزهن وطلبهن منه صلى الله عليه وآله وسلم ما يشق عليه صلى الله عليه وآله وسلم . ٢- قيل : هي كل

الكبائر . . . ٣- قيل : هي الزنا المعروف أوجب الله تعالى عليه الحد ، ٤- قيل: هي المعصية الكبيرة والنشوز وسوء الخلق وايذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم والافتراء والغيبة والنمامة . . . ان الفاحشة هي الفعلة البالغة في الشناعة والقبح ، والمبينة هي الظاهرة .

أقول: وعلى الاخير جماعة من المفسرين .

وفي قوله تعالى : « ضعفين » أقوال :١- عن قتادة : أي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة . ٢- عن إبن عباس : أي ضعفي عذاب غيرها لان قبح المعصية منهن أشد ، فكان عذابها أكثر ومن ثم كان ذم العقلاء للعالم العاصي أشد منه للجاهل العاصي كما أن الاجر للعالم العامل أكثر من المقلد الجاهل العامل، ولما كان نعم الله تعالى عليهن أكثر وأوفر لمكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهن ونزول الوحي في بيوتهن كانت المعصية منهن أفحش والعقوبة بها أعظم وأكثر. وقيل : لان العذاب على قدر قبح المعصية، وقبح المعصية على قدر العلم به ، و نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشد صحبة له صلى الله عليه وآله وسلم و يشاهدن الوحي كأن علمهن بالاحكام كالضروري فأضعف لهن العذاب لذلك .

٣- عن أبي عبيدة : الضعفان: أن يجعل الواحد ثلاثة فيكون عليهن ثلاثة حدود لان ضعف الواحد مثله ، وضعفي الشيء مثلاه ، فللعاصية من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عذاب ثلاثة أمثاله لغيرها من العاصيات . ٤- قيل : أي مثلين .

أقول : وعلى الثاني أكثر المفسرين .

٣٢- (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً)

في قوله تعالى : « في قلبه مرض » أقوال : ١- عن قتادة والسدي : أي ريبة وشك ونفاق . ٢- قيل : أي تشوّف لفجور وهو الفسق والغزل . ٣- عن عكرمة : أي في قلبه شهوة للزنا . ٤- قيل : أي في قلبه ضعف من الايمان ، وبه يشتهي إتيان الفواحش . . .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « قولاً معروفاً » أقوال : ١- عن إبن زيد : أى قولاً جميلاً حسناً معروفاً في الخير . ٢- قيل : أى قولاً قد أذن الله تعالى لكن به و أباحه عند الحاجة والضرورة . ٣- عن إبن عباس: أى أمرهن بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمرأة تندب إذا خاطبت الأجانب ، وكذا المحرمات عليها بالمصاهرة إلى الغلظة في القول من غير رفع صوت ، فان المرأة مأمورة بخفض الكلام .

٤- قيل : أى حديثاً واضحاً صريحاً ، غير داع إلى الريبة ولا مثير إلى الشهوة ، مستقيماً جميلاً بريئاً من التهمة ، بعيداً عن الغمز ، مجانباً عن الاشارة ، وموافقاً للدين والاسلام .

أقول : وعلى الاخير جمهور المفسرين .

٣٣- (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)

قوله تعالى : « ولا تبرجن تبرج » في التبرج أقوال : ١- عن قتادة ومجاهد: التبرج: التبختر والتكبر والتكسر والمعنى: ولا تبخترن تبختر الجاهلية ولا تكبّرن على زوجكنّ . ٢- عن ابن أبى نجيح : التبرج : هو التهتك و إبراز المرأة محاسنها للرجال ، وإظهار زينتها للأجانب وما يستدعى به شهوة الرجال . والتبرج : هو إبداء المرأة عن محاسنها ما يجب عليها ستره .

٣- عن مجاهد أيضاً : كانت النساء يتمشين بين الرجال فذلك التبرج . ٤- عن مقاتل : التبرج هو أن تلقى الخمار على رأسها ، ولا تشده فتوارى قلائدها و قرطيها فيبد وذلك منها .

أقول : وعلى الثاني أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى « الجاهلية الاولى » أقوال : ١- عن قتادة و إبن عطية :

الجاهلية الاولى هي جاهلية الكفر قبل الاسلام من سيرة الكفرة لانهم كانوا لاغيرة لنساءهم ، وكان أمر النساءِ دون حجاب ، وقد وقع إسم الجاهلية الاولى على قبل البعثة والشرع في الاسلام، كما أن الجاهلية الاخرى بعد الاسلام هي جاهلية الفسوق والابتداع في الاسلام. روى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي درداء :ان فيك جاهلية فقال : أجاهلية كفر أو إسلام ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : جاهلية كفر .

٢ـ عن الشعبي وعامر : هي ما بين عيسى إبن مريم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم .٣ـ عن الكلبي والحكم بن عيينة : هي ما بين آدم و نوح عليهما السلام وهي ثمانمأة سنة ، و حكيت لهم سير دسيمة . وكان نساءهم من أقبح ما يكون من النساءِ و رجالهم حسان ، فكانت المرأة تريد الرجل على نفسه .

٤ـ عن إبن عباس : هي ما بين نوح وإدريس عليهما السلام وكانت هي ألف سنة . ٥ـ قيل : هي إتيان العمل على خلاف الفطرة ، ولافرق في ذلك بين زمان و زمان، وبين مكان ومكان كما نشاهد اليوم وكان هذا قبل الاسلام .

٦ـ قيل : هي الأيام القديمة التي يقال لها : الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين وتلبس الثياب الرقاق ولاتوارى بدنها ، فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال . ٧ـ قيل : هي الجاهلية العريقة في الجهل . ٨ـ قيل : هي ما بين موسى و عيسى عليهما السلام .

٩ـ عن أبي العالية : هي زمان داود وسليمان كان فيه للمرأة قميص من الدر غير مخيط الجانبين . ١٠ـ عن أبي العباس المبرد : هي الجاهلية الجهلاء التي كانت النساء فيها يظهرن ما يقبح إظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلّها ، فينفرد خلّها بما فوق الازار إلى الأعلى ، وينفرد زوجها بما دون الازار إلى الأسفل ، و ربما سئل أحدهما صاحبه البدل ، فكان الخل يقبلها ويعانقها .

أقول: وعلى الاول أكثر المحققين .

و قوله تعالى : « إنما يريد الله » في الارادة : قولان : أحدهما ـ قيل: هى إرادة تشريعية . ثانيهما ـ قيل : هى إرادة تكوينية .

أقول: والثاني هوالصواب ، و ذلك لان الله تعالى يريد تشريعاً أن يكون جميع الناس مطهرين عن الذنوب ، و مبعدين عن المعاصى كمانهاهم عن الصغير والكبير من المعاصى . . . و قال : « ولكن يريد ليطهركم و يتم نعمته عليكم » المائدة ٦) ولا إختصاص فيها بطائفة دون طائفة ، وقد اختصت الجملة المحصورة بأهل البيت عليهم السلام فأراد الله تعالى أن يطهر أهل البيت عليهم السلام من كل ما لا يليق بالمعصوم تكويناً، ولولم يكن المراد بالارادة إرادة تكوينية لما كان للاختصاص وجه.

و في قوله تعالى : « أهل البيت » أقوال : ۱ ـ عن أبى سعيد الخدرى و ام سلمة و جابر بن عبدالله الانصارى و زيد بن أرقم و إبن عباس و ثوبان مولى النبى صلى الله عليه وآله وسلم و عبدالله بن جعفر و أنس بن مالك و واثلة بن الاسقع و عائشة و قتادة و عدة آخرين من الصحابة و عن أهل البيت عليهم السلام من على والحسن بن على و على بن الحسين . . . صلوات الله عليهم أجمعين: ان أهل البت هم الذين طهّرهم الله تعالى من كل سوء و قبيح فعلى ظاهرى و إعتقادى باطنى و خصّهم برحمة منه وان الجملة المحصورة في النبى و على وفاطمة والحسن والحسين وهم الخمسة الطيبة صلوات الله عليهم أجمعين. وأما التسعة الاخرون من أئمتنا المعصومين فهم داخلون فيهم بالادلة الاخر والمراد بالبيت بيت النبوة والرسالة فاللام للعهد .

و في المجمع : و قد اتفقت الامة بأجمعها على أن المراد بأهل البيت فى الاية أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم .

۲ ـ عن عكرمة و عروة : اريد بهم نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم و أهله الذين هم أهل بيته . ۳ـ قيل: هم أقرباء النبى صلى الله عليه وآله وسلم من آل عباس وعقيل وجعفر وعلى عليه السلام .

٤ ـ قيل : البيت : بيت الحرام و أهله هم أهل التقوى واليقين على الاطلاق لقوله تعالى : « ان أولياؤه إلاّ المتقون » .

٥ ـ قيل: البيت: مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أهله من مكّنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فيه ولم يخرجه ولم يسدّ بابه . ٦ ـ قيل : هم كل من كان ملازماً للنبى صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال والنساء والازواج والامـاء والاقارب من آل على عليه السلام و آل عباس و عقيل و جعفر .

أقول: والاول هو المؤيد بالروايات الكثيرة الواردة بأسانيد عديدة عن طريق العامة و طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية نشير إليها فى هذه السورة إن شاء الله تعالى، ولعمرى ان التلجلج فى إختصاص الجملة المحصورة بالخمسة الطيبة إما ناش عن النفاق والكفر الخفى ، و إما عن العصبية الجهلاء أو التقاليد العمياء . . . أعاذنا الله تعالى منها بحق محمد و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

٣٤ ـ (و اذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيراً)

فى قوله تعالى : « و اذكرن » أقوال : ١ ـ عن قتادة : أى و اشكرن لله تعالى إذ صيّركنّ فى بيوت يتلى فيها الوحى والقرآن والسنة . ٢ ـ قيل : أى و اذكرن آيات الله و اقدرن قدرها و فكّرن فيها حتى تكون على بال لتتعظن بمواعظ الله تعالى و من كان هذا حاله ينبغى أن تحسن أفعاله . . . ٣ ـ قيل: أى احفظن ما يتلى عليكن من القرآن لتعملن بموجبه .

أقول: والثانى هو الانسب بسياق الحث على الائتمار والانتهاء والطاعة لله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

٣٦ ـ (و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)

قوله تعالى : « إذا قضى الله و رسوله امراً » فى القضاء أقوال : ١ ـ قيل : اريد بالقضاء قضاء تكوينى لقوله تعالى بعد ذلك : « و كان أمر الله قدراً مقدوراً » على أن الاية كالتوطئة للآيات التالية التى أشار فيها إلى قضائه تعالى إزدواج النبى

الكريم ﷺ بزينب . ٢- قيل : ان المراد بالقضاء قضاء تشريعي ، على أن قضاءالله تعالى حكمه التشريعي في شيء مما يرجع إلى أعمال العباد أو تصرفه في شأن من شئونهم بواسطة رسول من رسله ، وقضاء رسوله هو الثاني من القسمين، وهو التصرف من شأن من شئون الناس بالولاية التي جعلها الله تعالى له بمثل قوله : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » فقضاء النبي ﷺ قضاء منه بولايته، وقضاء من الله تعالى لانه الجاعل لولايته المنفذ بأمره ، ويشهد سياق قوله تعالى: « إذا قضى الله ورسوله أمراً » حيث جعل الامر الواحد متعلقاً لقضاء الله و رسوله معاً على أن المراد بالقضاء التصرف في شئون الناس دون الجعل التشريعي المختص بالله

٣- قيل : اريد بالقضاء التعميم حيث قال : « قضى الله » فهو أمر تكويني أمر به رسوله ﷺ فهو تشريعي حيث ان كل أمر تكويني يشرّع فهو تشريعي يبلغه برسوله إلى عباده . وقيل: لايبعد أن يجعل الله تعالى أمراً واحداً متعلقاً لقضائه ولرسوله معاً، ولايلزم على ذلك كون التشريع من جانب الرسول .

أقول : وعلى الثاني جمهور المحققين .

٣٧- (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله و تخفي في نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا)

في قوله تعالى : « أنعم الله عليه و أنعمت عليه » قولان : أحدهما - عن السدى والثورى : أى أنعم الله تعالى على زيد بن حارثة بمحبة رسوله ﷺ و أنعم الرسول ﷺ عليه بالتبني . ثانيهما - قيل : اى أنعم الله تعالى على زيد الهداية إلى الايمان ، وأنعم عليه النبي ﷺ بالعتق وحسن التربية وتقريبه منه وتخصيصه بنفسه .

اقول : والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

وفي قوله تعالى : « واتق الله » أقوال: ١ـ قيل : خطاب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لزيد على طريق النصح والوعظ :اتق الله يا زيد في طلاق زوجتك زينب فلا تفارقها. نهي تنزيه لا تحريم .

٢ـ قيل : أي اتق الله يازيد فيما تقول عن زوجتك ولا تذمّها بالنسبة إلى الكبر وايذاء الزوج . وذلك لان زيداً كان يشكو عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم من زينب غلظة قول وعصيان أمر وأذى باللسان وتعظيم شرف و كرامة لنفسها . ٣ـ قيل:خطاب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم على طريق اللطف والرفق منه تعالى به صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الارهاق الذي يرهق به نفسه في إصلاح أمر يعلم ـ مما أعلمه ربه ـ ان مقضيّ فيه ، فليتق النبي صلى الله عليه وآله وسلم الله في نفسه وليرفق بها ولا يحاول إصلاح أمر لن يصلح أبداً .

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين .

وفي قوله تعالى : « وتخفي في نفسك ما الله مبديه » أقوال : ١ـ عن قتادة : ان الذي أخفاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه هو مودة مفارقة زيد زوجته لتتزوج بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى هو فارقها وهو يبدي ما كان يخفيه في نفسه من ذلك . ٢ـ قيل : هو تعلق قلبه صلى الله عليه وآله وسلم بها . ٣ـ قيل: هو علمه صلى الله عليه وآله وسلم بأن زيداً سيطلقها .٤ـ عن البلخي : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم استحسن زينب فتمنّى أن يفارقها زيد ،فيتزوجها، وكتم ذلك لان هذا التمني قد طبع عليه البشر، ولا حرج على أحد في أن يتمنى شيئاً إستحسنه .

٥ـ قيل : الذي أخفاه في نفسه صلى الله عليه وآله وسلم هو انه إن طلقها زيد تزوجها . وذلك لان زينب كانت شريفة فزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من زيد مولاه ، و لحقها بذلك بعد العار فأراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يزيدها شرفاً بأن يتزوجها وهذا هو السبب في تزويجها من زيد ، فعزم أن يتزوج بها إذا فارقها .

٦ـ عن الجبائي : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أضمر أن يتزوج زينب إن طلقها زيد

من حيث انهاكانت إبنة عمته ، فأراد ضمّها إلى نفسه لئلا يصيبها ضيعة كما يفعل الرجل بأقاربه ، فأخبر الله تعالى الناس بما أضمره نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من ايثار ضم زينب إلى نفسه ليكون ظاهره مطابقاً لباطنه . ٧ـ قيل : أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتزوج بها إذافارقها ، ولكنه عزم أن لايتزوجها مخافة أن يطعنوا عليه فأنزل الله هذه الاية كيلا يمتنع عن فعل المباح خشية الناس .

٨ـ عن أبي مسلم : ان العرب كانوا ينزلون الأدعياء منزلة الابناء في الحكم ، فأراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يبطل ذلك بالكلية وينسخ سنة الجاهلية ، فكان يخفي في نفسه تزويجها لهذا الغرض كيلايقول الناس انه تزوج بامرأة إبنه و يقرفونه بما هو منزه عنه ، ولهذا قال : أمسك عليك زوجك .

اقول: والاخير هوالمروي . وقال الطبرسي في المجمع : ويشهد لهذا التأويل قوله فيما بعد : «فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها . . . » وقال بعض العامة : فعلي بن الحسين عليه السلام جاء بهذا من خزانة العلم جوهراً من الجواهر، و درّاً من الدرر.

ان تسئل : لأيّ معنى قال له : « أمسك عليك زوجك » وقد أخبره الله انها زوجه ؟

تجيب : أراد أن يختبر منه ما لم يعلمه الله تعالى من رغبته فيها أورغبته عنها فأبدى له زيد من النفرة عنها والكراهة فيها ما لم يكن علمه منه في أمرها.

ان تسئل: كيف يأمره بالتمسك بها وقد علم أن الفراق لابد منه؟ و هذا تناقض .

تجيب : بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة لاقامة الحجة ومعرفة العاقبة ، ألاترى ان الله تعالى يأمر العبد بالايمان ، وقد علم أنه لايؤمن ، فليس في مخالفة متعلق الامر لمتعلق العلم ما يمنع من الامر به عقلاً وحكماً . فتدبر واغتنم .

وفي قوله تعالى: «وتخشى الناس» أقوال : ١ـ **قيل** : أي تستحييهم . ٢ ـ

قيل : أي تخاف وتكره لائمة المسلمين لوقلت لزيد : طلّق زوجتك. فيقولون : أمر النبي ﷺ رجلاً بطلاق إمرأته ثم نكحها حين طلقها . ٣ـ قيل : إنما هو إرجاف المنافقين في تزويج نساء الابناء ، والنبي ﷺ معصوم في حركاته و وسكناته . . .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها .

وقوله تعالى : «والله أحق أن تخشاه» أقوال :١ـ قيل: أي في كل الاحوال... ٢ـ قيل : أي والله أحق أن تستحيي منه ولا تأمر زيداً بامساك زوجته بعد أن أعلمك الله انها ستكون زوجتك فعاتبه الله على جميع هذا ، ولم يرد خشية التقوى لانه ﷺ كان يتقي الله حق تقاته و يخشاه فيما يجب أن يخشى فيه ، و لكنه أراد خشية الاستحياء لان الحياء كان غالباً على شيمة الكريمة للنبي ﷺ كما قال تعالى : «ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم». ٣ـ قيل : ان حسنات الابرار سيئات المقربين ، فلعل الاولى بالنبي أن يسكت عن إمساكه حذراً من عقاب الله على ترك الاولى كما سكت عن تطليقه حياء من الناس .

أقول : وعلى الثاني أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطراً » أقوال : ١ـ عن قتادة : أي طلقها . وفيه كناية عن عدم حاجة لزيد في زينب ، وكان حاجته الشهوة فاستمتع بها فانتهى أوفانتهت نفسه منها ، فلم يبق له بها حاجة الشهوة فطلقها ، فالوطر بمعنى الطلاق .

٢ـ قيل : الوطر : إنقضاء العدة فلم يبق في قلب زيد ميل إليها و لاله فيها رغبة ، ولاوحشة في فراقها ، فطلقها وانقضت عدتها لان القضاء بمعنى الفراغ من الشيء على التمام . ٣ـ قيل: الوطر كل حاجة للمرء له فيها همة . وقال إبن عباس: أي بلغ ما أراد من حاجته يعني الجماع . وفيه إضمار : أي لما قضى وطره منها و طلقها زوجنا كها .

أقول : والاخير هوالانسب بمعناه اللغوى وبظاهرالسياق .

٣٨- (ماكان علىالنبى من حرج فيما فرض الله له سنةالله فيالذين خلوا من قبل وكان أمرالله قدراً مقدوراً)

فيقوله تعالى: « سنة الله فيالذين خلوا من قبل » أقوال : ١- قيل : أى سنّ لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فيالتوسعة عليه فيالنكاح سنة الانبياء الماضية كداودإذكانت له مأة إمرأة وثلاثمأة سرية ، وسليمان إذ كانت له ثلاثمأة إمرأة وسبعمأة سرية .

٢- عن مقاتل و إبن الكلبى : إشارة إلى داود عليه السلام حيث جمع الله تعالى بينه و بين من فتن بها .

٣- قيل : أى كسنة الله فيالانبياء الماضين وطريقته وشريعته فيهمفيزوال الحرج والضيق والاثم عنهم وعن اممهم بما أحلالله تعالى من ملاذمهم . ٤-قيل: إشارة بالنسبة إلى أن النكاح من سنة الانبياء كما قال : النكاح سنتى فمن رغب عنه فقد رغب عن سنتى .

٥- قيل : أى سنة الله تعالى نفيالحرج سنة في الانبياء الذين خلوا . ٦- قيل : السنة هنا : الحكم والشأن والمعنى: سننّابك سنة الذى خلوا منالرسل، فلست بدعاً منالرسل فيالاخذ بحكم الله تعالى وإمتثال أمره علىوجهه من غير إلتفات إلى مقولات الناس ولاخشية لما يتخرص به المتخـرصون . ٧- قيل : أى ليس على النبي من حرج فيتنفيذ ما أمرالله تعالى وفي الاستمتاع بما فرضه الله له فهذه سنة الله تعالى فيأنبيائه السابقين أيضاً .

أقول: وعلى الاخيرأكثر المفسرين منغير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

وفيقوله تعالى : « وكان أمرالله قدراً مقدوراً » أقوال : ١- عن إبن زيد : أىكان ما ينزله الله تعالى على أنبيائهمن الامرالذى يريده قضاء مقضياً . ٢-قيل: أى جارياً على مقدار لا يكون فيه تفاوت من جهة الحكمة . ٣- قيل : أى ان

القدر المقدور هو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زيادة ولا نقصان .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق .

٤٠ـ (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليماً)

قوله تعالى : « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم » فى نفى ابوته ﷺ من الرجال مع كونه ﷺ أباً للقاسم والطيب والطاهر وإبراهيم والحسنين عليهم السلام أقوال:

١ـ قيل : ان النبى ﷺ لم يكن أبا أحد من هؤلاء الرجال الذين بلغوا الرجولية حتى يكون تزوجه بزوج أحدهم بعده تزوجاً منه بزوج إبنه وزيد أحد هؤلاء الرجال ، فتزوجه ﷺ بعد تطليقه زوجه ليس تزوجاً بزوج إبنه حقيقة، وأما تبنّيه ﷺ زيداً فلا يترتب عليه أثر من آثار البنوة والابوة ، و ان الخطاب فى قوله تعالى : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » للمخاطبين ، فليس فيه نظر إلى أبناءِ الرسول ﷺ ولو فرض انهم كانوا بالغين .

٢ـ قيل : ان الخطاب كان عاماً ولكن لم يكن أبناء الرسول ﷺ بالغين وماتوا قبل بلوغهم ، فلم يكونوا رجالاً حينئذ وكذا الحسنين عليهما السلام وهما إبنا رسول الله ﷺ ولكن قبض رسول الله ﷺ قبل بلوغهما ، و ان الآية فيمن إتصف حدّ الرجولية . ٣ـ قيل : إن الخطاب بسياق المورد و إن كان عاماً و لكن النظر بزيد خاص كما تدور عليه القصة .

٤ـ قيل : ان الله تعالى أضاف الرجال إليهم ، وان أبناء النبى ﷺ والحسنين رجاله ﷺ لا رجالهم . وأما كونه ﷺ أباً للامة فهو امة روحية و شفقة و نصيحة ورعاية حقوق التعظيم معه يدخل فى هذه الابوة كل مؤمن ومؤمنة .

أقول : ولكل وجه والمآل واحد .

٤١ـ (ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)

فى الذكر الكثير أقوال : ١ـعن مجاهد :هو أن لا ينساه العبد أبداً . ٢ـقيل:

هو أن يذكر الله تعالى بصفاته العلى وأسمائه الحسنى وينزهه عما لا يليق بساحة قدسه.

٣ ـ عن مقاتل : هو أن يقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر على كل حال . ٤ ـ قيل: الذكر الكثير ماجرى على وجه الاخلاص من القلب ، والقليل : ما يقع على حكم النفاق كالذكر باللسان رئاءاً . ٥ ـ قيل : اريد بالذكر الكثير الاقبال على العبادات كلها .

أقول: والاول هو الاعم الانسب ، فان الذكر هو: ما يقابل النسيان و هو توجيه الادراك نحو المذكور ، و أما التلفظ بمايدل عليه من أسمائه الحسنى و صفاته العلى فهو من بعض مصاديق الذكر .

٤٢ـ (وسبحوه بكرة و أصيلاً)

في الاية أقوال : ١ ـ عن قتادة أي صلّوا لله تعالى غدوة صلاة الصبح ،وعشياً صلاة العصر . ٢ ـ قيل : التسبيح هو التنزيه ، و المراد بالبكرة والاصيل جميع ساعات الليل و النهار . و قيل : البكرة و الاصيل معاً كناية عن الدوام كالليل و النهار في قوله تعالى : « يسبحون له بالليل و النهار ولايسئمون » فصلت:٣٨) ٣ ـ عن الكلبي : اريد بالتسبيح الصلاة و اريد بالوقتين العموم و المراد بالبكرة صلاة الفجر ، و بالاصيل صلاة الظهر و العصر و العشائين ، وسميت الصلاة تسبيحاً لما فيها من التسبيح و التنزيه . ٤ ـ قيل : اريد بالتسبيح الصلاة وقت الفجر و العشائين لأن أداء ها أشق و مراعاتها أشد ، وأنها أحق بالتحريض عليها لاتصالها بأطراف الليل ، و لهما مزية على غيرهما من حيث ان ملائكة الليل و النهار يجتمعون فيهما .

٥ ـ قيل : أي ادعوا الله تعالى . ٦ ـ قيل : اريد بالبكرة والاصيل وقتهما الخاص فان التسبيح في البكرة و الاصيل غير التسبيح في غيرهما من الاوقات ...

٧ ـ قيل : أي اشتغلوا ألسنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد و التكبير .

أقول: و السادس هو الانسب بظاهر السياق.

٤٣- (هو الذى يصلى عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور و كان بالمؤمنين رحيماً)

فى صلاة الله تعالى على عباده المؤمنين أقوال: ١ - عن سعيد بن جبير و الحسن: هى المغفرة و الرحمة و الاحسان و الرضا عنهم. فالمعنى: يغفر لكم و يرحمكم، فيذكركم أيها المؤمنون بالرحمة و الرضوان لكونكم ذاكرين الله تعالى. ٢ - قيل: هى قوله تعالى: سبوح قدس رحمتى سبقت غضبى. ٣ - قيل: صلاة الله تعالى هى هدايتهم ٤ - عن أبى العالية: هى الثناء عليهم بأن الله تعالى يثنى عليهم بحسن الثناء.

٥ - قيل: اريد بالصلاة هنا العناية بحال المؤمنين و ذلك لان الصلاة فى الاصل: التعطف لان المصلى يتعطف فى ركوعه و سجوده، فاستعير لمن يتعطف على غيره حنواً و ترؤفاً. و هذا يختلف باختلاف ما نسب إليه و لذلك قيل: إن الصلاة من الله تعالى الرحمة و من الملائكة الاستغفار و من الناس الدعاء، و لكن الذى نسب من الصلاة إلى الله تعالى فى القرآن الكريم هو الصلاة بمعنى الرحمة الخاصة بالمؤمنين، و هى التى تترتب عليها سعادة العقبى و الفلاح المؤبد.

٦ - عن سفيان: صلاة الله تعالى هى الكرامة، فالله جل و علا يخصّ المؤمنين بعلو المنزلة و الكرامة.

أقول: و على الخامس جمهور المفسرين وهو المروى من غير تناف بينه وبين أكثر الاقوال الاخر. وفى صلاة الملائكة أقوال: ١- عن إبن عباس وأبى العالية: هى دعائهم للمؤمنين فيطلبون من الله تعالى أن يزيد المؤمنين عزة وشرفاً، و ذخراً و كرامة. ٢ - قيل: هى طلبهم إنزال الرحمة من الله تعالى عليهم. ٣ - قيل: هى إستغفارهم لهم كما قال تعالى: «و يستغفرون للذين آمنوا». ٤ - قيل: إن المراد بصلاة الملائكة هى قولهم: اللهم صلّ على المؤمنين. ٥ - قيل:

صلاة الملائكة هى تأييدهم إياهم .

أقول: و على الثالث جمهور المفسرين .

٤٤- (تحيتهم يوم يلقونه سلام و أعدلهم أجراً كريماً)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن قتادة : أى تحية بعض المؤمنين لبعض يوم دخول الجنة: أمنة لنا ولكم بدخولها هذا المدخل من الله تعالى أن يعذبنا بالنار أبداً . ٢ ـ قيل : هذه التحية من الله تعالى ، و الضمير فى «يلقونه» راجع إلى الله جل و علا أى كان الله بالمؤمنين رحيماً ، فهو يؤمنهم من عذابه يوم القيامة ،وفى ذلك اليوم يلقونه فيسلمهم من الآفات أو يبشرهم بالأمن من المخافات . . . ٣ ـ قيل : أى تحية المؤمنين من ملك الموت يوم يلقونه أن يسلم عليهم ملك الموت. و قدورد : انه لايقبض روح مؤمن إلاّ سلّم عليه ملك الموت . و عن البراء بن عازب قال : فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه ، ولا يقبض روحه حتى يسلم عليه . و فى هذا إخبار بالسلامة عن كل مكروه و آفة إذ ليس فى الجنة من الآفات والعاهات و ما إليها مما كان فى الحياة الدنيا .

٤ ـ قيل : أى تحية الملائكة المؤمنين بذلك إذا دخلوا الجنة يتلقونه من الله تعالى تحمله إليهم الملائكة ، وهم يدخلون من كل باب يبلغونهم التحية العلوية إلى جانب ما أعدّ لهم : سلام من كل خوف ، سلام من كل تعب ، و سلام من كل كدّ . و قيل : يوم يلقون ثواب الله تعالى بأن يقولوا : السلامة لكم من جميع الآفات سلام لا يصيبهم مكروه و لا يمسهم عذاب ، و لقاء الله تعالى هو لقاء ثوابه.

٥ ـ قيل : أى تحية المؤمنين يوم لقاء الله سبحانه عند الخروج من القبور. فاريد بيوم اللقاء يوم القيامة لان الخلق مقبلون على الله تعالى بكليتهم بخلاف الدنيا .

أقول: و الاخير هو المؤيد بالرواية الآتية فانتظر ، و قريب منه الرابع.

٤٥- (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً)

فى «شاهداً» **أقوال** : ١- قيل : **أى شاهداً على امتك بتبليغ** الرسالة إليهم،

وعلى سائر الامم بتبليغ الانبياء رسالتهم إلى اممهم . ٢- عن قتادة: أى شاهداً على امتك بابلاغك إياهم . ٣ - قيل : أى شاهداً على امتك فيما يفعلونه من ايمان أو كفر، من طاعة أومعصية ، ومن هدى أوضلالة ، لتشهد لهم وعليهم يوم القيامة ونجازيهم بحسبه ، فقولك مقبول عندالله تعالى لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل . وقيل : وفيه ان الله تعالى جعل النبى شاهداً على وجوده بل على وجدانيته لان المدعى هو الذى يذكر شيئاً بخلاف الظاهر والوحدانية أظهر من الشمس .

وقيل : ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم شاهد فى الحياة الدنيا بأحوال الاخرة من الجنة والنار والميزان والصراط ، وشاهد فى الاخرة بأحوال الدنيا من الايمان والكفر والطاعة والمعصية ومن الصلاح والفساد . وقيل : انه صلى الله عليه وآله وسلم شهيد الشهداء لقوله تعالى : «لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» البقرة:١٤٣) وشهادته صلى الله عليه وآله وسلم على الاعمال أن يتحملها فى هذه النشأة ويؤديها يوم القيامة .

أقول: والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

٤٦- (و داعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً)

فى «داعيا إلى الله» أقوال: ١- عن قتادة : أى إلى الشهادة :أن لا إله إلا الله. ٢- قيل : أى إلى طاعة الله تعالى . ٣- قيل : أى داعياً إلى الاقرار بوحدانيته فى الالوهية والربوبية ، وما يجب الايمان به مما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و مكافحة الكفرة .

أقول: والاخير هو الاعم .

وفى قوله تعالى : «باذنه» أقوال : ١- قيل : أى بتسهيله وتيسيره لان دعوة المشرك إلى التوحيد صعب جداً لا يمكن إلا بتسهيل الله تعالى أمره على الداعى. ٢- قيل : أى بأمره فلا تدعهم من تلقاء نفسك . ٣- قيل : أى بعلمه .

أقول: وعلى الثانى أكثر المفسرين .

و فى قوله تعالى : «وسراجاً منيراً» قولان : أحدهما - قيل : أى جلياً

من ظلمات الشرك كالمصباح المضيىء الذى يهتدى به الضالون إذا استضاء به، فيستضاء به عن ظلمات الجهل والضلالة، ويقتبس من نوره أنوار البصائر كما يهتدى الانسان بالسراج والمنير الذى يصدر النور من جهته إما بفعله، وإما لكونه سبباً له كما أن القمر والسراج منيران لذلك والله تعالى منير السموات والارض. وقيل: وصف الله تعالى رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بالسراج لان ظلمات الضلال تتجلى به كما يتجلى ظلام الليل بالسراج، وقد أمدّ الله تعالى بنور نبوته نور البصائر كما تمدّ بنور السراج سرج كثيرة من أهل بيت النبوة والعلماء المحققون. وقيل: لان الشمس والقمر والكواكب لاتنقل من مكان إلى مكان، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يذهب من مكان إلى مكان كما ذهب من مكة إلى المدينة.

ثانيهما ـ عن الزجاج: اريد بالسراج هنا القرآن الكريم. أي و بعثناك ذاسراج منير على حذف المضاف: و قيل: على تقدير: كتاب نيّر. وقيل: تالياً سراجاً.

أقول: وعلى الاول جمهور المفسرين.

٤٨ـ (ولاتطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً)

فى قوله تعالى: «ولاتطع الكافرين والمنافقين» أقوال: ١ـ قيل: أى ولاتطع لقول كافر ولامنافق، فتسمع منه دعاءك إياك إلى التقصير فى تبليغ رسالات الله تعالى إلى من أرسلك بها إليه من خلقه. ٢ـ قيل: أى لاتطعهم فيمايشيرون عليك من المداهنة فى الدين ولاتمالئهم الكافرين هم: أبوسفيان و عكرمة ابن أبى جهل، و أبوالاعور السلمى قالوا: يا محمد لاتذكر آلهتنا بسوء نتبعك. والمنافقين هم: عبدالله بن ابى وعبدالله بن سعد وطعمة بن ابيرق حثّوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم على إجابتهم بتعلّة المصلحة.

٣ـ قيل: **أى لاتستمع إليهم ولاتأمن جانبهم. ٤ـ قيل:** أى ولا تطع

الكافرين والمنافقين فيما يخالف شريعتك .

أقول: والاخيرهوالانسب بما اختارناه في أول السورة .

و في قوله تعالى : «ودع أذاهم» أقوال : ١ـ عن مجاهد : أى أعرض عنهم وأقوالهم ومكائدهم ودسائسهم المؤذية . ٢ـ قيل : أى خذ بظاهرهم و ادفع عنهم الاسروالقتل وحسابهم على الله تعالى . ٣ـ عن قتادة : أى اصبرعلى أذاهم ولايمنعك ذلك عن القيام بأمرالله تعالى في عباده والنفوذ لما كلفك ، فدع أن تؤذيهم مجازاة على إذايتهم . ٤ـ عن الكلبي : أى كفّ عن أذاهم وقتالهم وذلك قبل أن يؤمر بالقتال .

أقول: ولكل وجه من غيرتناف بينها .

٤٩ـ (يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن و سرحوهن سراحاً جميلا)

في قوله تعالى : « وسرحوهن سراحاً جميلا » أقوال : ١ـ عن الجبائي : أى طلقوهن طلاقاً للسنة من غيرظلم عليهن . وقال أبوحنيفة : التسريح كناية عن الطلاق . ٢ـ عن إبن عباس : انه دفع المتعة بحسب الميسرة والعسرة ، وهذا إذا لم يكن سمى لها صداقاً فاذا فرض لها صداقاً فلها نصفه ولاتستحق المتعة . وقيل : السراح الجميل : هوالانفصال بالمودة والاحسان من غير كيد ولامضارة . والتسريح : أن ترعى الابل ، والسرح هو شجر له ثمرة ثم جعل لكل إرسال في الرعي ثم لكل إرسال وإخراج . والمعنى ههنا : اخرجوهن من منازلكم إذليس لكم عليهن عدة إخراجاً مشتملا على كلام طيب عارياً عن أذى و منع واجب .

٣ ـ عن قتادة : انه طلاقها طاهراً من غير جماع . و قيل : طلاق سنة غير بدعة . ٤ ـ قيل: أى خلوا سبيلهن تخلية بالمعروف . قيل: أى فاخرجوهن بعد الطلاق إلى أهلهن فلايجتمع الرجل والمطلقة في موضع واحد ، فليس على المطلقة

عدة فلا يلزمها المقام في منزل الزوج سراحاً جميلا بغير جفوة ولا أذية ولا ضرر .

أقول: والثاني هو المؤيد بالروايات الآتية .

۵۱ - (ترجي من تشاء منهن و تؤوي اليك من تشاء و من ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن و لا يحزن و يرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم و كان الله عليماً حليماً)

في قوله تعالى : « ترجي من تشاء منهن و تؤوي إليك من تشاء » أقوال :

۱ - عن إبن عباس : أي تؤخر من تشاء من أزواجك عن نوبتها ، و تضمّ إليك من تشاء منهن فتأتيها . ۲ - عن مجاهد والجبائي و أبي مسلم : أي تعزل بغير طلاق من أزواجك من تشاء و تردّ إليك منهن بعد عزلك إياها بلا تجديد عقد.

۳ - عن قتادة والضحاك و أبي رزين : أي لك أن تبعد من تشاء منهن وأن تدعوو تأتي من تشاء منهن بغير قسمة بينهن . وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقسم بينهن ، فأحل الله تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم ذلك .

٤ - عن إبن عباس أيضاً و إبن زيد : أي تطلق وتخلّي من شئت من نسائك ، و تمسك من شئت منهن فلا تطلق . ٥ - عن قتادة أيضاً والحسن : أي تترك نكاح من شئت ، وتنكح من شئت من نساء امتك . وقال الحسن: إذا خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إمرأة لم يكن لاحد أن يخطبها حتى يدعها و يتركها .

٦ - عن أبي رزين انه قال : أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلق أزواجه قلن له : افرض لنا من نفسك ومالك من شئت ، فأمره الله تعالى فأوى أربعاً و أرجى خمساً.

۷ - قيل: اريد بذلك التوسعة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ترك القسمة بين أزواجه فلا يجب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين زوجاته . فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مخيراً في أزواجه إن شاء أن يقسم بينهن قسم، و إن شاء أن يترك القسم ترك ، فخصّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بان جعل الامر إليه فيه لكنه كان يقسم من قبل نفسه دون أن فرض ذلك عليه تطييباً لنفوسهن و صوناً عن أقوال الغيرة التي تؤدي إلى ما لا ينبغي .

٨ ـ عن الشعبى و زيدبن أسلم : أى تتزوج من تشاء من الواهبات، وتترك منهن ، فتقبل من تشاء من المؤمنات اللاتى يهبن أنفسهن لك فتؤويها إليك ، و تترك من تشاء منهن فلا تقبلها . ٩ ـ قيل : ترجى أى تترك و تهمل أو تؤجل ، و نؤوى إليك و تدخل إليك .

أقول: والخامس هو المروى .

و فى قوله تعالى : « و من ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك » **أقوال :**

١ ـ عن قتادة و ابن زيد : أى و من نكحت من نسائك فجامعت ممن لم تنكح فعزلتها عن الجماع ، فلا جناح عليك فى ذلك .

٢ ـ عن ابن عباس : أى و من استبدلت ممن ارجيت ، فخليت سبيله من نسائك أو ممن مات منهن ممن أحللت لك فلا جناح عليك . ٣ ـ قيل : أى ومن طلبت التى كنت تركتها فلا جناح عليك . ٤ـ قيل: أى إن أردت أن تؤى إليك إمرأة ممن عزلتهن من القسمة، وتضمّها إليك فلا بأس عليك فى طلبها وضمّها إليك.

أقول: والثالث هو الظاهر .

و فى قوله تعالى : « ذلك أدنى أن تقر أعينهن . . . » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس و مجاهد : أى انهن اذا علمن ان له ﷺ ردّهن إلى فراشه بعد ما اعتزلهن قرّت أعينهن ، ولم يحزن و يرضين بما يفعله النبى ﷺ من التسوية والتفضيل لانهن يعلمن انهن لم يطلقن .

٢ـ عن قتادة : أى ذلك التخيير الذى خيّرناك فى صحبتهن، وذلك التفويض إلى مشيئتك من الارجاء والايواء أدنى إلى رضاهن إذ كان من عندنا و أطيب لنفوسهن و أقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك الرخصة بذلك من الله تعالى و يرضين بما يفعله النبى ﷺ من التسوية والتفضيل . و قرة العين عبارة عن السرور .

٣ ـ عن الجبائى : أى ذلك المعرفة منهن بانك اذا عزلت واحدة كان لك أن تؤويها بعد ذلك أدنى بسرورهن و قرة أعينهن . ٤ ـ قيل: أى نزول الرخصة

من الله تعالى أقرّ لاعينهن و أدنى إلى رضاهن بذلك لعلمهن بما لهن فى ذلك من الثواب فى طاعة الله تعالى ، ولو كان ذلك من قبلك لحزنّ و حملن ذلك على ميلك إلى بعضهن .

أقول: و على الثانى أكثر المفسرين .

و فى قوله تعالى : « والله يعلم ما فى قلوبكم . . . » أقوال : ١ـ قيل : أى أى والله يعلم ما فى قلب النبى صلى الله عليه وآله وسلم من محبة شخص دون شخص ، وما فيه من الرضا والسخط والميل إلى بعض النساء دون بعض وانما خيّرناك فيهن تيسيراً عليك فى كل ما أردت. وكان الله عليماً بمصالح عباده ، حليماً فى ترك معاجلتهم بالعقوبة.

٢ ـ قيل : هذا وعيد لمن لم يرض من نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم بما دبّر الله تعالى لها ، و كان الله عليما بذات الصدور ، حليماً مع ذلك لا يعاجل بالعقوبة فتحاً لباب التوبة .

٣ ـ قيل : أى والله يعلم ما فى قلوبكم من الخطورات والضمائر من ميلها إلى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والمحبة ، و كان الله عليماً بكل ما تبدونه أو تخفونه حليماً غير عجول من العقوبة فلا تغترّوا بتأخيرها .

أقول: و على الاخير أكثر المفسرين .

٥٢ ـ (لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولوأعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك و كان الله على كل شىء رقيباً)

فى قوله تعالى : « لا يحل لك النساء من بعد » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس و قتادة والضحاك و عكرمة و ابى ابن كعب و أبى رزين : أى لايحل لك النساء من بعد الاصناف التى سميت . فالتسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ان الاربع نصاب امته منهن . ٢ـ قيل: أى لايحل لك النساء من اليهوديات ولا النصرانيات لئلا تكون كافرة أُمّاً للمؤمنين .

٣ ـ عن مجاهد و أبى صالح : أى لايحل لك النساء من اللواتى نصّ على

إحلالهن من الاجناس الاربعــة ، و أما غيرهن من الكتابيــات والامـاء بالنكاح والاعرابيات والغرائب فلا يحل لك التزوج بهن . فالاية ليست بصدد تحريم غير هن و لا المنع من طلاقهن .

٤ ـ عن ابى بن كعب و قتادة و عكرمة والضحاك : أى لايحل لك النساء بعد التى أحللنا لك بقولنا: « يا أيها النبى انا احللنا لك أزواجك ـ إلى ـ اللاتى هاجرن معك و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى » والمعنى : لايحل لك من النساء الاّ التى أحللناها لك و حرّمنا عليك غيــرها . فلو ماتت إحدى نسائه فله أن ينكح من هـؤلاء الاصناف . و كان لـه أن يتبدل منهن و يتزوج منهن أكثر من تسع نساء حتى إن شاء ثلاثمأة منهن . ٥ ـ قيل : يريد المحرمات فى سورة النساء فى قوله تعالى : « حرمت عليكم امهاتكم و بناتكم . . . » : ٢٣) .

أقول: والرابع هو المروى .

و قوله تعالى : « و لا أن تبدل بهن من أزواج » أقوال : ١ ـ عن مجاهد وأبى رزين:أى ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من النصارى واليهود والمشركين.

٢ـ عن الضحاك: أى ولا أن تبدل بأزواجك اللواتى هن فى حبالك أزواجاً غيرهن بان تطلقهن و تنكح غيرهن . فلا يصلح لك أن تطلق شيئاً من أزواجك ليس يعجبك فلم يكن يصلح ذلك له .

٣ـ عن ابن زيد: أى ولا أن تبادل من أزواجك غيرك بان تعطيه زوجتك و تأخذ زوجته . و ذلك لان العرب كانت فى الجاهلية يتبادلون بازواجهم يعطى هذا إمرأته هذا و يأخذ امرأته . فحرّم الله تعالى ذلك فى الاسلام و أجاز ذلك فى الاماء . فيجوز التبادل فى الاماء و أما الحرائر فلا .

أقول: و على الثانى أكثر المفسرين .

٥٦ ـ (ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً)

في الصلاة قولان : أحدهما ـ عن ابن عباس: ان الصلاة من الله تعالى البركة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم و من الملائكة الانعطاف عليه بالتزكية ، والاستغفار ، و من المؤمنين الدعاء بالرحمة . ثانيهما ـ قيل : ان الصلاة من الله تعالى رحمته و رضوانه ، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ، و من الامة الدعاء والتعظيم لأمره . و قيل : ان الصلاة من الله تعالى المغفرة والثناء ، و من الملائكة طلبهم إنزال الرحمة منه تعالى ، و من الامة الدعاء عليه .

أقول: والثاني هو المروي و إن كان لكل وجه .

و في قوله تعالى : « و سلّموا تسليماً » أقوال : ١ ـ قيل: التسليم هنا : الانقياد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في جميع ما أمركم الله تعالى به والامتثال له والطاعة له لقوله تعالى : « فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم لا يجدون من أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليماً » .

٢ـ قيل: اريد بالتسليم: التحية والسلام بصيغة : « السلام عليك أيها النبي و رحمة الله وبركاته » كما بعد التشهد في سلام الصلاة . ٣ ـ قيل: التسليم هنا : الدعاء أي ادعوا لنبي الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعاءاً. ٤ـ قيل: أي سلموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالدعاء . أي قولوا : السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أقول: قيل : الثاني هو الصواب لمكان العطف و للتبادر العرفي و عليه جمهور المفسرين . ولكن الاول هو المؤيد بالروايات الآتية ، و نحن لا نرى تنافياً بين الاقوال فتدبر جيداً .

٥٧ ـ (ان الذين يوذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة و أعد لهم عذاباً شديداً)

في إذاية الله سبحانه أقوال : ١ ـ قيل : أي بالكفر و نسبة الصاحبة و الولد والفقر والشريك إليه سبحانه اووصفه بما لايليق به كقول اليهود لعنهم الله تعالى : يدالله مغلولة و قول النصارى: المسيح إبن الله . وقول المشركين: الملائكة بنات

الله و الاصنام شركاؤه .

٢ ـ عن عكرمة : أي بالتصوير والتعرض لفعل ما لايفعله الا الله بنحت الصور ورمي تكوين خلق كخلق الله تعالى وغير ذلك من نحيف الاقوال وباطل العقائد ...

٣ ـ قيل : أي بالمعصية و ارتكاب المحرمات و ترك الأوامر . . .

أقول: و التعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

و في إذاية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أقوال : ١ ـ قيل : أي كل مايؤذيه صلى الله عليه وآله وسلم من الاقوال و تكذيبهم إياه صلى الله عليه وآله وسلم كقولهم : انه ساحر كذاب، شاعر مجنون ،مفتري كاهن . . . ومن الافعال ككسر رباعيته وشجّ وجهه يوم احد ، وبمكة إلقاء السلى على ظهره وهو ساجد . . . ٢ ـ عن إبن عباس : هي طعنهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نكاحه صفية بنت حيي بن أخطب اليهودي .

٣ ـ في تفسير القرطبي قال: قال علماؤنا : والطعن في تأمير اسامة بن زيد إذاية له صلى الله عليه وآله وسلم . روى الصحيح عن ابن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثاً وأمّر عليهم اسامة ابن زيد ، فطعن الناس في إمرته فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل ، و أيم الله إن كان لخليقاً للامارة و إن كان لمن أحب الناس إليّ بعده .

أقول: و يتبادر من الاطلاق شمول الاذى لكل نوع من أنواع الاذى وسوء الادب والبذاءة والقذف والاحراج والبغي والغمز والسخرية واللمز والاستهزاء و التكذيب في حق الله تعالى و حق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

٥٨ـ (و الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقداحتملوا بهتاناً و اثماً مبيناً)

في إيذاء المؤمنين و المؤمنات أقوال : ١ ـ قيل : هي بالاقوال القبيحة و الافعال السيئة كالبهتان و التكذيب الفاحش المختلق . ٢ ـ قيل : هي تعييرهم

بحسب مذموم أوحرفة مذمومة أوشيء يثقل عليهم إذا سمعوه . ٣ ـ قيل : نزلت الاية فى ناس من المنافقين الذين كانوا يؤذون علياً عليه السلام . ٤ ـ عن مجاهد : أى والذين يقفون المؤمنين و المؤمنات و يعيبونهم طلباً لشينهم بغيرماعملوا . ٥ ـ عن الضحاك والسدى والكلبى : نزلت فىقوم من الزناة كانوا يمشون فىالطرقات ليلاً فاذا رأوا امرأة غمزوها و كانوا يطلبون الاماء .

أقول: و لكل وجه و التعميم هو الاوجه .

٥٩ـ (يا أيها النبى قل لازواجك و بناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين و كان الله غفوراً رحيماً)

قوله تعالى: «يدنين عليهن من جلابيبهن» فى كيفية إرخاء الجلباب أقوال: ١ ـ عن ابن عباس : بان تلويه المرأة حتى لايظهر منها الاّ عين واحدة تبصر بها. فالمعنى : أن يغطين وجوههن و رؤسهن فلا يظهرن منهن الاّ عيناً واحدة . ٢ـ عن ابن عباس أيضاً و قتادة : بان تلويه فوق الجبين و تشدّه ثم تعطفه على الانف ، و إن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر و معظم الوجه .

٣ـ عن الحسن: بان تغطّى نصف وجهها. ٤ـ قيل: أى يتستّرن بها فلايظهر جيوبهن وصدورهن للناظرين . ٥ ـ عن قتادة أيضاً: أى أن يقنعن على الحواجب.

أقول: و الاول هو الاحوط و الاقرب إلى التقوى .

و فى «جلابيبهن» أقوال : ١ ـ عن ابن عباس و ابن مسعود : الجلابيب جمع الجلباب و هو الرداء التى تستتر بها النساء . ٢ ـ عن الحسن : الجلباب الملأة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار ، فتستر موضع الجيب ، وتغطى جميع بدنها . ٣ـ قيل: الجلباب هو ثوب أكبر من الخمار يستر جميع البدن . ٤ ـ عن ابن عباس أيضاً و مجاهد : هو قناع تغطى النساء جباههن و رؤسهن إذا خرجن لحاجة بخلاف الاماء اللاتى يخرجن مكشفات الرؤس والجباه .

٥ ـ عن أبى مسلم والجبائى : الجلابيب : الثياب والقميص والخمار و ما تستتر به المرأة . ٦ـ قيل: الجلباب هو العباءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار . ٧ ـ قيل : الجلباب : هو الخمار الذى تستر به شقوق الثياب .

أقول: و على الثانى أكثر المفسرين .

و فى قوله تعالى : « ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » أقوال: ١ ـ قيل: أى ذلك الارخاء أقرب أن يعرفن انهن حرائر حتى لايختلطن بالاماء فاذا عرفن لم يقابلن بادنى من المعارضة مراقبة لرتبة الحرية ، فتنقطع الاطماع عنهن . روى انه لما كانت الحرائر والاماء فى المدينة يخرجن ليلاً لقضاء الحاجة فى الغيطان و بين النخيل بلا فارق بين الحرائر والاماء ، و كان فى المدينة فسّاق يتعرضون للاماء و ربما تعرضوا للحرائر فاذا كلّموا فى ذلك قالوا : حسبناهن إماء ـ فطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأمر الحرائر أن يخالفن الاماء فى الزى والتستر ليتمايزن و يهبن فلا يطمع فيهن طامع .

٢ ـ قيل : أى ذلك التستر أقرب إلى أن يعرفن انهن لسن بزانيات ، فان التى سترت وجهها أولى بأن تستر عورتها . فبذلك يفرّق بين الحرائر والعواهر فيمتنع بذلك أذى الفسقة والفجار عنهن .

٣ ـ قيل : أى بذلك تعرف المرأة و تعلم من هى . ٤ ـ عن الجبائى : أى ذلك أقرب إلى أن يعرفن بالستر والصلاح فلا يتعرض لهن لان الفاسق اذا عرف إمرأة بالستر والصلاح لم يتعرض لها .

أقول: و على الاخير جمهور المحققين .

٦٠ ـ (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً)

فى قوله تعالى : « لئن لم ينته المنافقون » أقوال : ١ ـ قيل: أى لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم . ٢ ـ قيل : أى لئن لم ينته المنافقون عن ايذاء نساء

المؤمنين ومراودتهن . ٣ـ قيل: أى لئن لم ينته المنافقون عن ايذاء المسلمين و عما يثيرون فيهم من وساوس و دسائس . . .

٤ـ قيل: أى لئن لم ينته المنافقون عن ايذاء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم . ٥ـ قيل: أى لئن لم يكف المنافقون عن الافساد فى الحرث والنسل وإشاعة الفحشاء .

أقول: والتعميم غير بعيد عن ظاهر الاطلاق .

و فى قوله تعالى : « والذين فى قلوبهم مرض » أقوال : ١ ـ عن عكرمة و قتادة و أبى صالح و ابن زيد و شهر بن حوشب : أى الذين فى قلوبهم شهوة الزنا و حب الفجور فهم يؤذون المؤمنين باتباع نسائهم .

٢ ـ قيل : هم صنف من أهل النفاق لقوله تعالى : « و من الناس من يقول آمن بالله و باليوم الاخر وماهم بمؤمنين ـ فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً » البقرة : ٨ ـ ١٠) ٣ ـ قيل : هم ضعاف الايمان .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين الثانى .

و فى قوله تعالى : « والمرجفون فى المدينة » أقوال : ١ ـ عن قتادة و ابن زيد : هم قوم كانوا يخبرون المؤمنين بما يسوؤهم من عدوهم فيقولون اذا خرجت سرا يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انهم قد قتلوا أو هزموا و ان العدو قد أتاكم ، و ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد غلب وسيخرج محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة ، وسيؤخذ أسيراً و نحو ذلك مما يراد به إظهار ضعف المؤمنين و سخط الناس منهم ، و إلقاء الاضطراب بين المؤمنين .

٢ ـ قيل : هم قوم كانوا يقولون : أصحاب الصفة قوم عزّاب فهم الذين يتعرضون للنساء . ٣ـ قيل: هم قوم من المسلمين ينطقون بالاخبار الكاذبة حباً للفتنة، وقد كان فى أصحاب الافك قوم مسلمون، ولكنهم خاضوا حباً للفتنة وقال ابن عباس : الارجاف إلتماس الفتنة وإشاعة الكذب والباطل للاغتمام به وإلقاء الاضطراب بسببه.

٤ ـ قيل : هم قوم يتبعون النساء للريبة . ٥ ـ قيل : هم قوم يشككون

المسلمين فان الارجاف : تحريك القلوب ، يقال : ارجفت الارض : تحركت و تزلزلت فهم الخائضون فى أخبار السوء من غير حقيقة لها سمّى بذلك لكونه خبراً متزلزلاً غير ثابت من الرجفة و هى الزلزلة .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

و فى قوله تعالى : « لنغرينك بهم » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس : أى لنسلطنك عليهم يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم و ندعونك إلى قتالهم و إجلائهم عن البلاد .

٢ ـ عن أبى مسلم : أى أمرناك بقتلهم حتى تقتلهم و تخلى عنهم المدينة .

و قد حصل الاغراء بهم بقوله تعالى: « جاهد الكفار والمنافقين و اغلظ عليهم » التوبة : ٧٣) ٣ـ عن الجبائى : أى لنحرضنك عليهم ولكن لم يحصل التحريض والاغراء بهم لانهم انتهوا . قال : و لو حصل التحريض والاغراء لقتلوا و شردوا و اخرجوا عن المدينة .

أقول: و على الاول جمهور المفسرين .

و فى قوله تعالى : « ثم لا يجاورونك فيها الاّ قليلاً » أقوال : ١ـ قيل : أى لا يجاورونك فى المدينة الاّ فى حال قلتهم . ٢ ـ قيل : أى لا يبقون معك فى المدينة الاّ مدة يسيرة و وقتاً قليلاً. ٣ـ قيل: أى لا يجاورونك فى المدينة الاّ جواراً قليلاً حتى يهلكوا او تخلوا المدينة منهم بالموت او الاخراج . ٤ـ قيل: أى لايجاورونك الاّ أقلاء أذلاّء . ٥ ـ قيل : أى لا يساكنونك فى المدينة الاّ يسيراً و هو ما بين الامر بالقتل و ما بين قتلهم .

أقول: والاخير هو الانسب بظاهر السياق فتدبر جيداً .

٦٨ ـ (ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً)

فى « ضعفين من العذاب » أقوال : ١ ـ عن قتادة : أى عذاب الدنيا وعذاب الاخرة . ٢ـ قيل: أى عذاب الكفر والضلال ، و عذاب الاضلال . فضعفاً لضلالهم فى أنفسهم وضعفاً لاضلالهم إيانا. والمعنى: **عذبهم مثلى ماتعذبنا فانهم ضلوا وأضلوا .**

٣ ـ قيل : أى اللعنة والعذاب فى الاخرة .

أقول: و على الثانى جمهور المحققين .

٦٩ ـ (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه‌الله مما قالوا و كان عندالله وجيهاً)

فى قوله تعالى : «كالذين آذوا موسى» أقوال : ١ـ عن ابن‌عباس وابن‌زيد والحسن : ان من بنى اسرائيل من قالوا : ان موسى عليه السلام عنّين لايقدرالجماع . و ذلك كان موسى عليه السلام حيياً ستيراً يغتسل وحده فقالوا: ما يستتر منا الاّ لعيب فى رجوليته وليس له قضيب ، فذهب موسى عليه السلام يوماً يغتسل فى‌عين بأرض‌الشام ، فوضع ثوبه على حجر فمرّ الحجر بثوبه ، فطلبه موسى و اتبعه عرياناً يقول : ثوبى‌حجر ثوبى‌حجرـ أى دع ثوبى ياحجرـ حتى انتهى إلى‌ملأ من بنى‌اسرائيل فرأوه عرياناً كاحسن‌الرجال خلقاً وأعدلهم صورة فبرّأه الله تعالى مما قالوا فيه .

ان قلت : كيف نادى موسى عليه السلام الحجر نداء من يعقل ؟

قلت : لانه صدر عن‌الحجر فعل من يعقل‌كالشجر والبقر باذن الله تعالى .

٢ ـ قيل : ان قومه عليه السلام نسبوه إلى عيب فى بدنه من برص لشدة تستره .

٣ ـ عن أبى العالية : ان قارون قرّر مع‌إمرأة فاحشة أن تنسبه عليه السلام إلى الزنا . وذلك ان قارون استأجر مومسة ـ فاجرة ـ لتقذف موسى عليه السلام بنفسها على‌رأس الملأ فعصمه الله تعالى من ذلك . ٤ ـ قيل : ايذاءهم تكذيبهم رسالته عليه السلام .

٥ ـ قيل: ايذائهم‌حيث قالوا : « لن نؤمن لك حتى نرى‌الله جهرة » وقالوا « لن نصبر على طعام واحد » . ٦ ـ قيل : انهم قالوا : ان به عليه السلام ادرة وهى نفخة فى‌الخصية . ٧ ـ عن أبى مسلم : نسبوه إلى‌السحر والجنون والكذب بعد ما رأوا الايات فبرّأه تعالى .

٨ ـ عن ابن عباس أيضاً و الجبائى : أى صعد موسى و هارون الجبل‌فمات هارون فقال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام : انت قتلته إذكان ألين‌لنامنك و أشدحياءاً

فآذوه من ذلك فأمر الله تعالى الملائكة فمرّوا به على مجالس بني اسرائيل فتكلمت بموته حتى عرفوا انه قدمات و برّأه الله من ذلك ، فما عرف موضع قبره الاّ الرخم و ان الله تعالى جعله أصم و أبكم ، ومات هارون قبل موسى في التيه ومات موسى عليه السلام قبل انقضاء مدة التيه بشهرين .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين وهو الاشهر .

وفي قوله تعالى : « وكان عندالله وجيهاً » أقوال : ١ ـ قيل : أي عظيم القدر و رفيع المنزلة . يقال : وجه وجاهة فهو وجيه اذا كان ذا جاه و قدر و منزلة ومكانة . ٢ ـ عن ابن عباس : أي كان عندالله خطيراً لا يسئله شيئاً إلاّ أعطاه ، الوجيه في كلام العرب : المحب المقبول . ٣ ـ قيل : أي كلمه تكليماً. ٤ ـ أي مشفعاً فيما يسئل ذاوجه و منزلة عنده بطاعته إياه .

أقول: و لكل وجه و المآل واحد .

٧٠ـ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولاً سديداً)

في قوله تعالى : « قولاً سديداً » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس : أي صواباً بريئاً من الفساد ، خالصاً من شائبة الكذب و اللغو ، موافق الظاهر للباطن . ٢ـ عن قتادة و مقاتل : أي قولاً سديداً في شأن زيد و زينب ولا تنسبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما لايحل ولايليق به . ٣ ـ عن ابن عباس أيضاً و عكرمة و الحسن : القول السديد : لاإله الاّ الله . ٤ ـ قيل : القول السديد ما يوافق ظاهره باطنه و يطابق الواقع و يخلو عما يفسد به إصلاح ، و يصل به إلى الحق . ٥ ـ قيل : هو ما اريد به وجه الله تعالى دون غيره .

٦ ـ قيل : القول السديد : هو الاصلاح بين المتشاجرين وهو مأخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض ، و القول السداد يعم الخيرات فهو عام في جميع ما ذكر و غير ذلك . ٧ ـ قيل : أي قولاً قاصداً غير جائر حقاً غير باطل . ٨ ـ قيل: القول السداد : الامتناع عن اتهام الناس بما ليس فيهم و إلتزام حدود الحق و

السداد في كل ما يصدر عن المرء من قول و عدم التفوه بغيرمافيه السداد. ٩ - عن قتادة أيضاً و الكلبي: أي قولاً صدقاً و عدلاً في منطقهم و عملهم كله.

أقول: والسابع هو المؤيدبالرواية الآتية من غير تناف بينه و بين الاقوال الاخر.

٧١- (يصلح لكم أعمالكم و يغفرلكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)

في « يصلح لكم أعمالكم » أقوال: ١ - عن ابن عباس ومقاتل: أي يتقبل الله حسناتكم. ٢ - قيل: أي يزكي أعمالكم. ٣ - قيل: أي يوفقكم الله تعالى لصالح الاعمال إذرتب إصلاح الاعمال و مغفرة الذنوب على ملازمة القول السديد، و ذلك لان النفس إذا لازمت القول السديدانقطعت عن كذب القول ولغوالحديث والكلام الذي يترتب عليه فساد، وبرسوخ هذه الصفة فيها تنقطع طبعاً عن الفحشاء و المنكر و اللغو في الفعل، وعندذلك يصلح أعمال الانسان، فيندم بالطبع على ماضيّه من عمره في موبقات الذنوب إن كان قد ابتلي بشيء من ذلك و كفى بالندم توبة.

و يحفظه الله تعالى فيما بقي من عمره عن اقتحام المهلكات، و إن رام شيئاً من صغائر الذنوب غفره الله له فقد قال تعالى: « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم » النساء: ٣١) فملازمة القول السديد تسوق الانسان إلى صلاح الاعمال و مغفرة الذنوب باذن الله تعالى.

أقول: و على الاخير أكثر المفسرين.

و في قوله تعالى: « فقد فازفوزاً عظيماً » أقوال: ١ - قيل: أي فقدأفلح إفلاحاً عظيماً. ٢ - قيل: أي فقد ظفر برضوان الله تعالى و كرامته. ٣ - قيل: أي نال بغاية مطلوبه.

أقول: و لكل وجه و المآل واحد.

٧٢- (انا عرضنا الامانة على السموات والارض و الجبال فابين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً)

قوله تعالى : « اناعرضنا الامانة » في عرض الامانة أقوال : ١ - عن الجبائي: ان العرض هنا حقيقة و لكن على تقدير المضاف أي انا عرضنا الامانة على أهل السموات و أهل الارض و أهل الجبال من الملائكة و الانس و الجن . فحذف المضاف واقيم المضاف إليه مقامه والعرب يخبر عن أهل الموضع بذكر الموضع و يسميهم باسمه كقوله تعالى : « و اسئل القرية التي كنا فيها و العير » يريد أهل القرية و أهل العير .

و قال : اذالم يصح حمل الامانة على نفس السموات و الارض والجبال فلابد أن يكون المراد به أهلها لا نه يجب أن يكون المراد به المكلفين دون غيرهم لان ذلك لا يصح الاّ فيهم . و المراد من عرض الامانة عليهم هوالتعريف لهم بان في تضييعها اثم و عقاب و في أدائها أجر و ثواب . و انما ذهب الجبائي إلى هذا التكلف لاستبعادطلب الطاعة من الجمادات . . . و قال بعض المتكلمين : ان معنى « عرضنا » أظهرنا . والمعنى : أظهرنا الامانة وتضييعها على أهل السموات وأهل الارض و أهل الجبال من الملائكة و الانس و الجن . و قيل : ان المقصود من السموات والارض و الجبال هو أهلها و يدخل في ذلك الملائكة والحيوان على اختلافه عدا بني آدم فان بني آدم حملوا الامانة ولم يابوا .

قيل : و قدكان العرض على أهل السموات و الارض وأهل الجبال قبل خلق آدم و خيّروا بين التكليف لما كلفه آدم و بنوه فاشفقوا من التفريط فيه واستعفوا منه فأعفوا ، فتكلّفه الانسان ففرّط فيه .

٢ - عن ابن عباس : أي انا عرضنا الامانة على نفس السموات و الارض و الجبال . . و قد حفظها الملائكة و الانبياء و المؤمنون و قاموا بنفس الامانة . قيل : و هذا على سبيل التفخيم لشأن الامانة وتعظيم حقها ، وان من عظم منزلتها:

انها لو عرضت على السموات والارض والجبال مع عظمها و كانت تعلم بأمرها لاشفقت منها غير انه خرج مخرج الواقع لانه أبلغ من المقدر .

وقال علم الهدى السيد المرتضى رضوان‌الله تعالى عليه فى تفسير هذه الاية : انه لم يكن عرض فى الحقيقة على السموات والارض والجبال بقول صريح أو دليل ينوب مناب القول و انما الكلام فى هذه الاية مجاز اريد به الايضاح عن عظم الامانة وثقل التكليف بها و شدته على الانسان ، و ان السموات والارض والجبال لو كانت مما يقبل لأبت حمل الامانة ، و لم تؤدّ مع ذلك حقها ، و نظير ذلك قوله تعالى : « تكاد السموات يتفطّرن منه و تنشقّ الارض و تخرّ الجبال هداً » و معلوم ان السموات والارض والجبال جماد لاتعرف الكفر من الايمان ، ولكن المعنى فى ذلك إعظام ما فعله المبطلون و تفوّه به الضالون ، وأقدم به المجرمون من الكفر بالله تعالى ، و انه من عظمه جار مجرى ما يثقل باعتماده على السموات والارض والجبال ، و ان الوزر به كذلك ، وكان الكلام فى معناه ماجاء به التنزيل مجازاً و استعارة كما ذكرناه .

و مثل ذلك قوله تعالى : « و ان من الحجارة لما يتفجّر منه الانهار » و معلوم ان الحجارة جماد لايعلم فيخشى أو يرجو و يؤمّل ، و انما المراد بذلك تعظيم الوزر فى معصية الله تعالى ، و ما يجب أن يكون العبد عليه من خشية الله تعالى ، و قد بيّن الله تعالى ذلك بقوله فى نظير ما ذكرناه : « و لو أن قرآناً سيرت به الجبال » فبيّن بهذا المثل عن جلالة القرآن و عظم قدره وعلو شأنه ، و انه لو كان كلام يكون به ما عدّه و وصفه لكان بالقرآن لعظم قدره على سائر الكلام . انتهى كلامه رفع مقامه .

و قيل : إن فائدة هذا العرض إظهار ما يجب حفظها ، و عظم المعصية فى تضييعها ، فأخبر الله تعالى بعظم شأن الامانة وجلالة قدرها وفظاعة خيانتها و ترك أدائها . و ان الله تعالى أوجد السموات مع عظمها لاتحمل الامانة ولكن الانسان

حملها مع معرفته بعظمها و ضمان القيام بها و أداء الحق فيها ولكن خانها ولم يؤدّ حقها . فالمراد تعظيم شأن الامانة لامخاطبة الجماد . والعرب تقول: سئلت الربع وخاطبت الدار فامتنعت عن الجواب . و انما هو اخبار عن الحال عبّر عنه بذكر السئوال والجواب . و تقول : أتى فلان بكذب لا تحمله الجبال .

٣ ـ عن الحسن : أى أظهرنا للسموات والارض والجبال ثواباً و عقاباً فى حمل الامانة و تضييعها ، فلم يحملن وزرها و أشفقن و قلن : لا نبتغى ثواباً و لا عقاباً فانا لا نطيقه و نحن لك سامعون و مطيعون فيما امرن به و سخّرن له . قيل: ومن المعلوم : ان الجماد لايفهم ولايجيب فلابد من تقدير الحياة . فالعرض عرض تخيير لا الزام و ان العرض على الانسان إلزام .

٤ ـ عن القفال: ان العرض فى هذه الاية ضرب مثل أى ان السموات والارض على كبر أجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب . أى ان التكليف أمر حقه أن تعجز عنه السموات والارض والجبال و قد كلّفه الانسان فهو ظلوم جهول لو عقل . و هذا كقوله تعالى : « لوأنزلنا هذا القرآن على جبل » ثم قال: « وتلك الامثال نضربها للناس » فتحمل الاية على ضرب المثل . فالمراد تصوير عظم الامانة و ثقل حملها ، فمثلت حال التكليف فى صعوبته و ثقل محمله بحالة المتحملة المفروضة لو عرضت على هذه الاجرام العظام .

٥ ـ عن أبى مسلم : ان الاية من المجاز والمعنى : اذا قايسنا ثقل الامانة بقوة السموات والارض والجبال رأينا رجحان الأمانة وان السموات . . . لاتطيقها، و انها لو تكلمت لأبت و أشفقت ، فعبّر عن هذا المعنى بعرض الامانة كقولك : عرضت الحمل على البعير فأباه و أنت تريد : قايست قوته بثقل الحمل فرأيت انها تقصر عنه

وقيل : ان العرض أسهل من الفرض ، ولهذا كفر ابليس بالاباء ولم يكفر

هؤلاء بالاباء لان هناك استكباراً و ههنا استصغاراً بدليل قوله : «وأشفقن منها».

والمعنى: عارضنا الامانة بالسموات والارض والجبال فضعفت هذه الاشياء عن الامانة و رجحت الامانة بثقلها عليها فان هذه الامانة في جلالة موقعها وعظم شأنها لو عورضت و قيست السموات . . . بهذه الامانة لكانت الامانة أثقل وزناً . و معنى : « فأبين أن يحملنها » ضعفن عن حملها كذلك و « أشفقن منها » لان الشفقة : ضعف القلب ، ولذلك صار كناية عن الخوف الذى يضعف عنده القلب ثم قال : ان هذه الامانة التى من صفتها انها أعظم من تلك الاشياء العظيمة تقلّدها الانسان ، فلم يحفظها بل حملها و ضيّعها لظلمه على نفسه ولجهله بمبلغ الثواب والعقاب .

٦ـ قيل : ان هذا العرض عرض امتحان لهذه العوالم و ما فيها ومن فيها في مواجهة الانسان حتى يظهر عجزها و يبين فضل الانسان عليها . . . وهذا مثل عرض الاسماء على الملائكة امتحاناً لهم في مواجهـة آدم . . فلما ظهر عجزهم اعترفوا لآدم بماله من فضل استوجب سجودهم له ! !

أقول: وعلى الثاني أكثر المحققين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر.

و في « الامانة » أقوال : ١ـ عن ابن عباس و سعيد بن جبير و قتادة و أبي العالية : هي الفرائض التى افترضها الله تعالى على عباده فرائض تشريعية من الأوامر والنواهي . . . فالامانة تعم جميع وظائف الدين ائتمن الله جل وعلا عليها عباده وسميت أمانة من قبل أنها حقوق أوجبها الله تعالى على المكلفين و ائتمنهم عليها و أوجب عليهم تلقيها بالطاعة والانقياد و أمرهم بالمحافظة عليها و أدائها دون الاخلال بشيء منها .

٢ ـ قيل : الامانة هي القرآن الكريم . ٣ ـ عن ابن زيد و قتادة: هي الدين الاسلامي اصولاً وفروعاً . قيل: معناه : لو كانت السموات والارض والجبال ذوى عقول و عرضنا الدين الاسلامي عليها عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها و شدتها و قوتها ولا متنعت من حملها خوفاً من القصور عن أداء حقها

ثم حملها الانسان مع ضعف جسمه و لم يخف الوعيد لظلمه و جهله . ٤ - عن عبدالله بن مسعود : هی أمانات الناس و ودائعهم فيما بينهم من الاموال و غيرها لابد من أدائها إلى أصحابها والوفاء بالعهود .

٥ - قيل : هی الامانة من كل شیء : الصلاة أمانة ، والجهاد أمانة ، والصوم أمانة ، والحج أمانة ، والجاه والعلم الاولاد والزوجة والولد والملك والحديث... أمانات تأخذ من الانسان بعد يوم أو أيام . . . والقوى الظاهرة والباطنة كلها أمانات . . . قيل: ان الاية تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة و سماها أمانة من حيث انها واجبة الاداء ، والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام ، وكانت ذات شعور و إدراك لابين أن يحملنها ، وحملها الانسان مع ضعف بنيته و رخاوة قوته لاجرم فازالراعی لها والقائم بحقوقها بخير الدارين « انه كان ظلوماً » حيث لم يف بها و لم يراع حقها «جهولاً» بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب .

٦- عن السدی: عنی بالامانة هنا إئتمان آدم ابنه قابيل على أهله و ولده ، و خيانة قابيل أباه فی قتله أخاه هابيل . و قيل : فی قصة قبول قربان أحدهما و ردّ الاخر . ٧ - عن بعض المتكلمين : اريد بالامانة ما خلق الله تعالى فی هذه الاشياء التی تدل على وحدانيته و ربوبيته . قال الشاعر :

و فی كل شیء له آية تدل على أنه واحد

فالامانة على هذا ما أودع الله تعالى فی السموات والارض والجبال من الدلائل على وحدانيته و ربوبيته، فأظهرتها، و أما الانسان الكافر كتمها وجحدها لظلمه . ويرجع إليه ما قيل: المراد بالامانة الطاعة التی تعم الطبيعية والاختيارية والمراد بعرضها استدعاؤها الذی يعمّ طلب الفعل من المختار و إرادة صدوره من غيره ، و بحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها . و منه قولهم : « حامل الامانة ومحتملها » لمن لايؤدّيها فتبرأ ذمته، فيكون الاباء عنه اتياناً بمايمكن

أن يتأتى منه ، والظلم والجهالة للخيانة والتقصير .

٨ ـ عن ابي ابن كعب: ان المرأة او تمنت على فرجها والرجل على فرجه، فعليهما أن يحفظهما من الفاحشة . ٩ ـ قيل : الامانة هنا الشهوة المركبة التي جعلت في الانسان فلابد من صرفها فيما يحل .

١٠ ـ قيل : ان في الاية بيان لما جعل الله تعالى في الانسان من المقتضي لقبول الامانة التشريعية و أدائها على وجهها ، و الا فغير الانسان مكلف تكويناً كما قال تعالى : « فقال لها و للارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » و هذا الاقتضاء الذي يعبّر عنه بالاستعداد في الانسان يجعله مميزاً مما سواه و أعطاه الله تعالى ما يؤيده و يأمره بأداء الامانة لئلا يخونها وهو العقل ، و ذلك لان الانسان يستعد أن تجمع فيه جميع الصفات الحسنة أو القبيحة فهو وحده يليق بذلك الاستعداد أن يحمل الامانة و بذلك يعطى العقل والشعور واللسان فيتعقل ويستشعر ويتكلم . فالمعنى: انا لم نخلق ما سوى الانسان مستعداً لقبول الامانة الالهية ليقبلها ولكنا خلقنا الانسان مستعداً لذلك، وفي وسعه أن يحفظها و يؤدي حقها مختاراً ، ولولا الاختيار لما كان قادراً في حملها و أداءها .

وقيل: ان المراد بالامانة العقل والتكليف ، و بعرضها على السموات . . . اعتبارها بالاضافة إلى استعدادهن، و بابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد ، وبحمل الانسان قابليته و استعداده لها ، فالامانة هي أهلية التكليف أو التكليف نفسه بما فيه من الاخلاص لله تعالى وعبادته والتزام أوامره ونواهيه ... وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية ، وعلى هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل أن يكون مهيمناً على القوتين حافظاً لهما عن التعدي ومجاوزة الحد و معظم مقصود التكليف تعديلهما و كسر سورتهما .

و قال النظام في تفسيره : والاظهر عندي ان الامانة هي الاستعداد الذي

جبلّ كل نوع من المخلوقات عليه ، و حمل الامانة عبارة عن عدم أداء حقها كما يقال : فلان ركب عليه الدين فكل من أخرج ما فى قوته إلى الفعل فهو مؤدّ للأمانة وقاض حقها ، و الاّ فهو حامل لها ، ولا ريب ان السموات مسخرات بأمره كل يجرى لأجل مسمى والارض ثابتة فى مستقرها ، والجبال راسخة فى أمكنتها وهكذا كل نوع من الانواع مما يطول تعدادها ، وإليه الاشارة بقوله سبحانه : « و ما منا الاّ له مقام معلوم » الاّ الانسان ، فان كثيراً من الاشخاص بل أكثرها مائلة إلى أسفل السافلين الطبع فلاجرم لم يقض حق الامانة وانحطّ إلى رتبة الأنعام ، فوصف بالظلومية لانه صرف الاستعداد فى غير ما خلق لأجله و بالجهلولية لانه جهل وخامة عاقبة إفساد الاستعداد أو علم و لم يعمل بعلمه فنفى عنه العلم لانتفاء ثمرته فاللام فى الانسان للجنس و حمل الشيء على بعض الجنس يكفى فى صدقه على الجنس .

١١- قيل : هى كلمة التوحيد : لا اله الاّ الله . ١٢- قيل: اريد بها معرفة الله تعالى بما فيها ١٣- عن أبى الدرداء : الامانة هى غسل الجنابة ، لان الله تعالى لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها . ١٤- قيل: الامانة هى تعليم الاسماء اذ قال تعالى : « و علم آدم الاسماء كلها » و مفاد « علمه البيان » وخلافة الهية « انى جاعل فى الارض خليفة » ١٥ - قيل : اريد بالامانة هنا أداء الامانة ضد الخيانة . و قيل : قبول الامانة .

١٦- قيل: ان المراد بالامانة الامامة والخلافة الكبرى للامام أمير المؤمنين على ابن أبيطالب عليه السلام و حملها إدّعائها بغير حق ، والمراد بالانسان هو أول من غصبها ، هى عرضت على السموات والارض والجبال فأبين أن يدّعوها ويغصبوها أهلها و حملها أول من ادعاها و غصبها . كما ان الوحى كان أمانة حيث اطلق على جبرائيل فى إرسال الوحى أميناً كما فى دعاء الرجب : « اللهم صلّ على جبرائيل أمينك على وحيك » وأطلق على الانبياء امناء فى تبليغ رسالاتهم إلى الناس.

أقول: والاخير هو المؤيد بكثير من الروايات الواردة سيأتيك بعضها. والحق ان جميع الاقوال داخل في الاية الكريمة بحسب بطونها كما قيل: ان المراد بامانة التكليف بالعبودية لله جل و علا على وجهها و التقرب بها إلى الله تعالى كما ينبغى لكل عبد بحسب استعداده لها، و أعظمها الامامة و الخلافة الالهية لأهلها ثم تسليم من لم يكن من أهلها لاهلها وعدم إدّعاء منزلتها لنفسه، ثم سائر التكاليف، و المراد بعرضها على السموات والارض والجبال النظر إلى استعدادهن لذلك، و بابائهن الاباء الطبيعي الذى هو عبارة عن عدم اللياقة، و تحمّل الانسان إياها تحمّله لها من غير استحقاق غصباً على أهلها، أو مع تقصيره بحسب وصف الجنس باعتبار الاغلب، فهذه معانيها الكلية و كل ما ورد في تأويلها في مقام يرجع إلى هذه الحقائق كما يظهر عند التدبر والتوفيق من الله جل و علا أعاذنا الله القادر المتعال من العصبية الجهلاء والحمية العمياء و وفقنا للائتمام بامامة مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب و باحدى عشر من أولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و للتبرّى من أعدائهم . . . و الحمدلله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

و في قوله تعالى: «حملها» أقوال: ١- قيل: إي إلتزام القيام بحق الامانة. ٢- قيل: ان المراد بالحمل هنا قبول الامانة لكونه مستعداً لها فاشتمل على صلاحيتها و التهيّؤ للتلبس بها على ضعفه و صغر حجمه، فما فيه من الاستعداد هو أكبر من السموات و الارض و الجبال . ٣- عن الحسن و الجبائى: أى خان في الأمانة وضيّعها لان نفس الامانة قد حملتها الملائكة وقامت بها. وقال الزجاج: كل من خان الامانة فقد حملها و من لم يحمل الأمانة فقد أداها، و كذلك كل من أثم فقد احتمل الاثم قال الله تعالى: «و ليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم» فقد أعلم الله تعالى ان من باء بالاثم يسمى حاملاً للاثم، و من هنا حمل الكافر و المنافق الامانة أى خانا و ضيّعا حقها .

أقول: و الاخيرهو المؤيدبالروايات الآتية من غيرتناف بينه وبين الاول لما اخترناه سابقاً فتدبرجيداً .

و في «الانسان» أقوال : ١ ـ عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و الضحاك: ان المراد بالانسان آدم عليه السلام . و ذلك قال الله تعالى لآدم : يا آدم اني عرضت الامانة على السموات و الارض و الجبال فلم تطقها فهل أنت حاملها بما فيها ؟ فقال : و ما فيها يا رب ؟ قال : إن حملتها أجرت و إن ضيعتها عذّبت ، فاحتملها بما فيها فلم يلبث في الجنة إلاّ قدر مابين صلاة الاولى إلى العصر حتى أخرجه الشيطان منها . ٢ ـ عن الحسن و الزجاج : اريد بالانسان هنا الكافرو المنافق و العصاة . ٣ ـ قيل : اريد بالانسان النوع كله . ٤ ـ عن السدى : الانسان هنا قابيل وهو كان جهولاً حين حمل أمانة آدم و لم يحفظ له أهله .

أقول: و لكل وجه يظهروجهه في المختار السابق .

وفي قوله تعالى : « ظلوماً جهولاً » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس و ابن جبير والجبائي : ظلوماً على نفسه بالخيانة مع كمال شأن الامانة و عظيم رفعتها وعلو منزلتها ، و على غيره بالغصب ، و إدّعائها لنفسه وهو غيريليق بها ، و على الأمانة نفسها لصرفهاعن أهلها إلى غيريليق بها ، و إلى غيرمستحق لها ، جهولاً بموضع الامانة ، و درك حقيقتها في نفسه بان له صفة إختيارفي القبول بأن يقبل الأمانة باختياره و في العمل بان يؤديها باختيار، جهولاً لقدر ما دخل فيه وهو غيرلائق به غرّاً بأمرالله تعالى، وجهولاًعن حقها وبموضع الامانة في استحقاق العقاب على الخيانةفيها و الثواب فيأدائها وردّها إلى أهلها .

٢ ـ قيل : أي كثيرالظلم لنفسه لماغلب عليه من القوة الغضبية ، جهولاً : كثيرالجهل لعواقب الامور لماغلب عليه من القوة الشهوية ، جاهلاًبماتعقبه هذه الامانة لوخانها من وخيم العاقبة و الهلاك الدائم . ٣ ـ عن الحسن و الزجاج و الضحاك : ظلوماً لنفسه بتحمله مايشق عليها ، جهولاً بربه المتعال ، وبنفسهوقدره

و منزلته لما فيه من الاستعداد ما ليس في غيره من الخلق ، و جهولاً فيما احتمل فيما بينه و بين ربه . ٤ ـ قيل : ظلوماً لنفسه بارتكاب المعاصي و جهولاً بمبلغ الثواب و العقاب . ٥ ـ قيل : ظلوماً حيث لم يف بها ، و لم يراع حقها ، جهولاً بكنه عاقبتها . ٦ ـ قيل : ان الانسان كان ظلوماً جهولاً في ظن الملائكة إذ قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء .

أقول: و التعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

و في المقام كلام لبعض الحكماء نورده إفراداً لما فيه من لطائف و نكات خاصة على طريق الاختصار : « قد تشعب أقوال العلماء و أئمة ، و اختلفت آرائهم في أن المراد من هذه الامانة المخصوص بحملها الانسان ماذا ؟ فقائل : ان المراد منها هو العقل ، فينتقض بالملك ، و قائل : انه التكليف فهو منقوض بالجن لانه مساهم للانسان في كونه مكلفا ، و قائل : انه التركيب بين الروح و الجسد ، فنوقض بالفلك ، وقائل : انه الهيئة الاجتماعية الحاصلة من إجتماع القوى الفاعلة و المنفعلة و النفسانية و البدنية المدركة بأنواع الادراكات الحسية و الخيالية و الوهمية و العقلية المحركة بأنواع الحركات الفكرية و الارادية و الطبيعية و الكمية و الكيفية و الأينية و الوضعية .

و بالجملة كون الذات الواحدة بحيث يوجد فيها انموذج سائر الأشياء، و هو أيضاً كماترى لانتقاضه بصورة العالم الكبير لانه أيضاً شخص واحد له وحدة طبيعية ، و لان شبه الجمعية المذكورة يوجد في بعض الحيوانات التامة الحواس سيما عند من يرى ان لها نفساً مدركة للكليات ، على أنه قد أهمل في كل من هذه الاحتمالات رعاية معنى الامانة و مؤداها من كونها عارية مدة من الزمان ثم مردودة إلى أهلها و صاحبها .

و تحقيق هذا المقام يستدعي تمهيد قاعدة ، وهي ان جميع الموجودات سوى الانسان له حدّ خاص من قسط الوجود لايتعداه و كل له مقام معلوم لا يتجاوزه

و هوله ثابت بالفعل ليس فيه قوة الانتقال من طور إلى طور ومن كون إلى كون ، فالفلك فى فلكيته ، و الملك فى ملكيته ، و الشيطان فى شيطنته و الجمادفى جماديته والنبات فى نشوه و نمائه ، و الحيوان فى شهوته و غضبه ، كل منها فى غاية ماله من الكمال و الفعلية و التمام .

و أما الانسان الكامل فانه فى كل ماله من الكمالات بلغ إليه ما بين صرافة القوة و محوضة الفعل كما هو شأن المتحرك ، بما هو متحرك ، ألاترى انه ضعيف الجسمية ليس كالجبال و المعادن ، و انه ضعيف النباتية ليس كالأشجار فى قوة التغذية و التنمية و التوليد ، و انه ناقص الحيوانية ليس كالأسد و الفيل و الحية و الطير و غيرها من الحيوانات التامة فى قوة الحس و الحركة ، و لهذا يحتاج فى بقائه الدنيوى إلى معاونات ومعونات خارجية تعاونه و تعينه وتحفظه وتصونه عن الآفات و الاضداد . . .

كما قال الله تعالى: «وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة» الانعام:٦١)

وقال : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله» الرعد:١١)

و قال : « خلق الانسان ضعيفاً » النساء : ٢٨)

وقال : « ان يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» الحج : ٧٣) و بالجملة ليس له مادام الحيوة الدنيوية مقام خاص فى الوجود لا يتعداه : « يا أهل يثرب لا مقام لكم » الاحزاب : ١٣)

و لأجل هذه الخاصية يمكنه النظور فى الأطوار و الخروج من كل ماله من الكون المستعار و الانتقال من هذه الدار إلى عالم الآخرة و دار الأبرار و المهاجرة من بيته الذى فيه مهاجراً إلى الله الواحد القهار كما فى قوله : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » النساء : ١٠٠)

و إذليس له مقام معين ، فله السير إلى جميع المقام ، و إذليس لهصورة

معينة ، فله التصور بكل صورة و التحلى بكل حليّه .

قال الشاعر:

لقد صار قلبى قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان و ديراً لرهبان

إذا تقرر ما ذكرناه فنقول : ان حقيقة الأمانة و هى المعبّر عنها تارة بفضل الله : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم » الجمعة : ٤) هى الفيض الالهى الأتم بلاواسطة ، والمراد منه الفناء عن كل شيء ، والبقاء بالله تعالى والانسان من بين الممكنات مخصوص بذلك، وإنما سميت أمانة لان الفيض بلاواسطة هو من صفات الحق تعالى ، و قد حمله الانسان لاغير ، لما ذكرنا من أن ما سواه غير مستعد لقبوله لتقيد كل منها بوجوده الخاص ، فالفلكية غير منسلخة من الفلك حتى يبقى فارغاً عنها قابلاً لغيرها .

وهكذا الأرضية من الارض والجبلية من الجبال، وكذا كل من فى السموات والارض والجبال ، إذ المراد من الآية عرض الأمانة على كل الممكنات لاعلى بعضها ، والتقدير : إنا عرضنا الأمانة على أهل السموات والارض والجبال ، و معنى عرض الأمانة عرض تحمل الفيض الوجودى على وجه العارية المأخوذة أولاً المردودة إلى أهلها أخيراً ، و قبول الفيض الوجودى الفائض من الله تعالى بلا واسطة على الوجه المذكور مختص بالانسان الكامل دون غيره كما علمت ، فكان العرض عاماً على الممكنات ماراً على المخلوقات كلها ، فلم يقبلها أحد للعلة المذكورة إلاّ الانسان الكامل لفقره وعجزه و ضعف قوته وبَرائة ذمته عن جميع الشواغل الوجودية ، و قطع إلتفاته عن ما سوى الحبيب المطلق كما حكى الله عزوجل عن خليله بقوله : « فانهم عدو لى إلاّ رب العالمين » الشعراء : ۷۷) و بقوله : « انى ذاهب إلى ربى سيهدين » الصافات : ۹۹) .

و أما قوله عزوجل : « انه كان ظلوماً جهولاً » على صيغة المبالغة ، ففيه الاشارة إلى أن الظالم من يظلم غيره ، والظلوم من يظلم نفسه ، و كذا الجاهل

من يجهل غيره ، والجهول من يجهل نفسه ، أما ظلم الانسان على نفسه فافنائه ذاته و إماتته نفسه بالارادة ، و أما جهله بنفسه فلانه ما عرف نفسه ، و لم يعلم أنه ليست ذاته هذه البهيمة الاكلة الشاربة الناكحة المايتة ، و ما علم أن هذه البهيمة الحيوانية هي قشر ذاته ، و لها لب هو روحها و روحها أيضاً قشر و له لب هو روح روحها، وهومحبوب الحق كما قال: «يحبهم ويحبونه» المائدة : ٥٤).

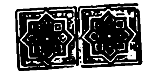
و معلوم عند أهل البصيرة ان محبوب الحق ماذا يمكن أن يكون ، و ان محبّ الحق ماذا يمكن أن يكون ، فان الشيء لا يحبّ إلاّ ذاته ، و لا يحبّه أيضاً إلاّ ذاته فمن أحب غير الله عزوجل ، فقد رغب عن ملة إبراهيم ، حيث انه قال حكاية عن حاله : « فانهم عدو لي إلاّ رب العالمين » الشعراء : ۷۷) .

و أيضاً لا جهل أعظم من جهل الانسان نفسه لاستلزام ذلك جهله بربه ، قال الله عزوجل : « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » الحشر : ۱۹) و هو بمنزلة عكس النقيض لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » و في الحكمة العتيقة : « من عرف ذاته تأله فمن جهل نفسه فقدظلم على نفسه غاية الظلم » « اولئك الذين خسروا أنفسهم » هود : ۲۱) .

و اعلم أن علم النفس بذاتها حيث لايمكن إلاّ بحضور ذاتها لها، فتحصيل هذه المعرفة لا يمكن و لا يتصور إلاّ بتبديل الوجود الظلماني النفساني إلى الوجود النوراني الروحاني ، و في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ان الله خلق الخلق في ظلمه ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور فقد اهتدى » .

إشارة إلى هذا المطلب ، فان الظلمة إشارة إلى ذوات الأشخاص النفسانية الظلمانية قبل خروجها من القوة إلى الفعل ، و من الظلمة إلى النور و مخرج الاشياء من الظلمات إلى النور هوالله تعالى، والنور هو الفيض الوارد على النفوس القابلة الخارجة به من الظلمات إلى النور كما تخرج القوة البصرية باشراق النور الشمسي عليها من القوة إلى الفعل، فيصير به مبصرة بالفعل بعدما كانت مبصرة بالقوة .

إذا تقرر هذا فنقول : لما عرض الله الأمانة على المخلوقات فكل مخلوق لم يكن منوراً برشاش نور الله عزوجل ما عرف شرف الأمانة و ما قصدها ، أما الاجسام فلبعد مناسبتها، و أما أرواح الملائكة وغيرهم فلانهم لم يكن لهم راحلة تحملها بقوة الظلومية والجهولية ، فما قصدوا وماعرفوا حق المعرفة ، فابين أن يحملنها و أشفقن منها لخطر حملها ، و حملها الانسان لأجل إستعداد الجسدية و قوة الظلومية والجهولية ، فصارت الظلومية والجهولية فيحق حامل الأمانة ، و مؤدّى حقها مدحاً ، وفيحق الخائنين فيها ذماً » والله تبارك وتعالى هو أعلم .



﴿ التفسير والتأويل ﴾

١ـ (يا أيها النبى اتق الله و لا تطع الكافرين و المنافقين ان الله كان عليماً حكيماً)

يا أيها النبى ﷺ إتق الله جل و علا فيما اوحى إليك من ربك ،واصبر لحكمه فان الحكم حكم الله تعالى و إن خالف عقائد الجاهلية و مشتهيات الكافرين والمنافقين فلا تطع الكافرين الذين يطلبون منك خلاف ما امرت بهمن الاحكام، وتنسيخ التقاليدوالرسومات الجاهلية الراسخة، من غير مبالات باعتراضهم، و لا تتبع أهواء المنافقين الذين يؤيدون هؤلاء الكافرين فى مسئلتهم ويلحّون فى الاستجابة فدم على حذرك منهم و إعراضك عنهم لان الله تعالى كان عليماً بمصالح العباد و شئونهم وبظاهرهم وخفاياهم ، حكيماً فى أوامره و نواهيه ، فلا يأمرهم بما إلاّ و فيه مصالحهم و خيرهم فى الدنيا والاخرة ، و لاينهاهم عماإلاّ و فيه مفاسدهم و شرهم فى الدارين .

و ان الاية الكريمة فىمعنى قوله تعالى : « إنا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك و لا تطعمنهم آثماً أوكفوراً » الانسان : ٢٣ ـ ٢٤)

و قوله : « فلا تطع المكذبين و دّوالو تدهن فيدهنون » القلم :٨ ـ ٩

و قوله : « و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطاً » الكهف : ٢٨)

و قوله : « و أن احكم بينهم بما أنزل الله و لا تتبع أهواءهم و احذرهم

أن يفتنوك عن بعض ما أنزل‌الله إليك ـ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً » المائدة : ٤۹ ـ ٥۰)

۲ـ (و اتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً)

و اتبع أيها الرسول ما يوحى إليك من ربك وحده من الرشد و الصلاح و الخير و السعادة . . . و اعمل بما ينزل الله تعالى عليك من وحيه و آی کتابه ثم بلّغه لان الله تعالى كان بما تعمل أنت و امتك بهذا الوحي السماوی خبيراً لايخفى عليه شيء من أعمالكم . . . فيجازيكم بحسبها إن خيراً فخيراً و إن شراً فشراً .

قال الله تعالى : « و اوحى إليّ هذا القرآن لانذركم به و من بلغ ـ اتبع ما اوحى اليك من ربك » الانعام : ۱۹ ـ ۱۰٦)

و قال : « قل إنما أتبع ما يوحى إليّ من ربی هذا بصائر من ربكم و هدى و رحمة لقوم يؤمنون » الاعراف : ۲۰۳)

و قال : « يهدی به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم » المائدة : ۱٦)

و قال : « و السلام على من اتبع الهدى ـ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » طه: ٤۷ ـ ۱۲۳)

و قال : « و لا تجزون إلاّ ما كنتم تعملون » يس : ٥٤)

و قال : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره» الزلزلة : ۷ ـ ۸)

۳ـ (و توكل على الله وكفى بالله وكيلا)

وثق بالله تعالى أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و اعتمد عليه جل و علا فی العمل بما يوحی إليك و فی إبلاغه من غير خوف من إعتراض الكافرين و ذبذبة المنافقين و أذاهم ، و كفاك الله تعالى حافظاً مما تخافه منهم .

قال الله تعالى : « و لا تطع الكافرين و المنافقين ودع أذاهم و توكل على

الله و كفى بالله و كيلاً » الاحزاب : ٤٨)

و قال : « و اصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » الطور : ٤٨)

و قال : « قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون » الزمر : ٣٨)

و قال :«إن الحكم إلاّ لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون» يوسف:٦٧)

٤- (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه و ما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وماجعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق و هو يهدى السبيل)

لم يجعل الله تعالى لرجل من قلبين فى جوفه حتى يؤمن بالله تعالى بأحدهما ، و يكفر بالله سبحانه بالآخر، و يحبّ الله جل و علا بأحدهما ، و يحب أعداءه بالآخر، و يطيع الله عزو جل بأحدهما ، و يطيع عدوه بالاخر، و يتبع الوحى السماوى بأحدهما و يتبع هواه النفسى بالاخر. . فالرجل الواحد لا يسعه أن يعتقد بالمتنافيين ، و يصدّق بالمتناقضين ، و إن كان هناك متنافيان فهما لقلبين و لم يجعل الله تعالى لرجل من قلبين فى جوفه . فالجمع بين إعتقادين المتنافيين فى قلب واحد هو الجمع بين الحق و الباطل ، بين الصواب و الخطاء ، بين الكفر و الايمان ، بين هداية و الضلالة بين النور والظلمة ، بين الجنة و النار ، بين الليل و النهار ، و بين السواد و البياض فى شيء واحد على أن الشيء مع حفظ وحدته سواد حال كونه بياضاً و بياض حال كونه سواداً فى آن واحد و هكذا . . .

فلا يجتمع قبول دعوة الحق و دعوة الباطل فى شخص واحد قال الله تعالى: «اولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة» البقرة: ٢٢١) وقال حكاية عن مؤمن: « و يا قوم ما لى أدعوكم إلى النجاة و تدعوننى إلى النار تدعوننى لأكفر بالله و اشرك به ما ليس لى به علم و أنا أدعوكم إلى العزيز الغفار » المؤمن : ٤١-٤٢)

و قوله تعالى: « و ما جعل أزواجكم . . . » : و لم يجعل الله تعالى أيها الرجال نساءكم **اللاتى تقولون لهن** : انتن علينا كظهور امهاتنا امهاتكم بل جعل

ذلك من قبلكم كذباً وألزمكم عقوبة لكم كفارة . ان الظهار هو : قول الرجل لامرأته : أنت عليّ كظهر امي . و كان الظهار طلاقاً عند أهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة ، و هو فى الاسلام ـ بعد ما نهى عنه ـ يقتضى الطلاق والحرمة إلى أداءِ الكفارة غرامة لانتهاكه حرمة الدين إذ حرّم ما أحل الله تعالى .

فلايجتمع ذات إمرأة واحدة أن تكون اماً و زوجاً فانالزوج زوج والام ام لايجتمعان في شخص واحد بالنسبة إلى واحد ، و ان الامهات على الحقيقة هى اللاتى و لدن .

قال الله تعالى : « الذين يظاهرون منكم من نساءِهم ماهن امهاتهم إن امهاتهم إلاّ اللائى ولدنهم و انهم ليقولون منكراً من القول وزوراً ـ والذين يظاهرون من نساءِهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسّا ـ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً » المجادلة : ٢ ـ ٤) و قد كان الظهار عادة جاهلية لتحريم الزوج على نفسه وطأ زوجته مع ابقائها فى عصمته ، و كان الزوج يعمد إلى ذلك إذا كره زوجته أو كانت و لود بنات فقط أو أراد كيدها أو ابتزاز أموالها و حملها على التنازل عن مهرها وحقوقها أو استبقائها حاضنة لاولادها أو أنفة من أن تتزوج غيره و كانت هذه العادة ظلماً و بغياً على النساء فألغاها الاسلام .

و قوله تعالى : « و ما جعل أدعياء كم أبناء كم » : و لم يجعل الله تعالى الذين دعوتموهم أبناء كم أبناء كم حقيقة بحيث يترتب عليهم أحكام البنوة . الادعياء : جمع الدعى و هو من يدعى لغير أبيه على أنه إبنه و هو فى الواقع إبن غيره ، فالمتبنى غيره ، فالمتبنى غير الابن ، و لا يجتمع المتبنى والابن فى ذات واحدة لرجل واحد .

و قد كان أهل الجاهلية والامم الراقية كالروم و فارس ، و صدر الاسلام

يتخدون أبناء غيرهم أبنـاء لانفسهم ، و يعاملونهم معاملـة الابناء من الصلب فى الميراث وحرمة الازدواج و غيرهما . و لعل ذلك لان الناس كانوا تحت ظروف الحياة التى تعتمد على الاستكثار من الرجال . . . يعملون جاهدين على إلحاق غير أبناءهم بهم ممن يتوسمون فيهم القوة والشجاعة ، فلما جاء الاسلام و أقـام حياة الناس على العدل ، و دفع بأس بعضهم عن بعض، لم تعد ثمة داعية إلى الابقاء على هذه العادة ، ولكن كان هناك كثير من الحالات أدركها الاسلام ، وقد أخذت وضعها فى المجتمع ، ولم يكن من اليسير التخلص منها بعمل فردى ، ومن أجل هذا فقد جاء التوجيه السماوى بانهاء هذه العلاقة المصطنعة التى كانت قائمة بين الأدعياء والآباء ، و إقامة علاقـة اخرى مقامها أوثق عرى و أقرب قرابـة ، هى علاقة الاخوة فى الدين و قرابة الولاء لله تعالى بين المؤمنين .

و قوله تعالى : «ذلكم قولكم بأفواهكم» : ذلك الظهار والدعى قول منكم تقولونه بألسنتكم لاحقيقة له عندالله تعالى ، ولا أثر له فى ترتب الاحكام الشرعية التى تريدونها .

و قوله تعالى : « والله يقول الحق و هو يهدى السبيل » : والله تعالى هو الذى مطلع على حقائق الاشياء و واقعيات الامـور ، يقول الحق المطابق للواقع كقوله تعالى : « فالحق والحق أقول » ص : ٨٤) وهوالله تعالى يهدى من اهتدى سبيل الحق فى جميع الامور من الاصول والفروع ، و فى المعاش والمعاد . . . فاتركوا الجاهلية ورسوماتها ، وخذوا الحقائق التى تنزل عليكم من الله جل وعلا.

قال الله تعالى: « قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلاّ أن يهدى فمالكم كيف تحكمون » يونس : ٣٥) .

٥ - (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عندالله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم و كان الله غفوراً رحيماً)

ادعوا أيها المؤمنون هؤلاءالمتبنئين وانسبوهم إلىآباءهم الذين ولدوهم فان الدعاء لآبائهم هـو الحق والصواب والعدل عندالله تعالى ، فان لم تعرفـوا لهؤلاء المتبنئين آباءهم بأعيانهم حتى تنسبوهم إليهـم ، فلا تنسبوهم إلى غير آباءهمفهمإخوانكم فيالدينإذاكانوامؤمنين«إنماالمؤمنونإخوة» الحجرات:۱۰)

وهمعتقاءكم إذا اعتقتموهمأو أحباءكم علىأنالولاية دينية. ولاإثمعليكم فيما أخطأتم به لسهو أو نسيان فدعوتموهم لغيرآبائهم ، ولكنالاثم فيما قصدته قلوبكم بعد النهى عن حكم الجاهلية ، وكانالله تعالى يغفر لكم ما أخطأتم به ، و يرحم بكم إذا فعلتم ما جاء من الله تعالى من الاحكام . . .

٦ـ (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتابالله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفاً كان ذلك فى الكتاب مسطوراً)

النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم فى كل شىء من الامور الدينية والدنيوية و من شئون المعاش والمعاد ، و إنما ولايته صلى الله عليه وآله وسلم من ولاية الله تعالى كما ان ولاية الائمة المعصومين من ولايته صلى الله عليه وآله وسلم قالالله تعالى: « إنما وليكم الله و رسوله والذين آمنوا الذيـن يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون و من يتـول الله و رسوله والذين آمنـوا فان حزب الله هم الغالبون » المائدة : ٥٥ ـ ٥٦) و قد ثبت نزول الآية عن الطريقين فى مولى الموحدين أميرالمؤمنين علىبنأبيطالب عليه السلام و قد صرّح القرآن الكريم بكونه عليه السلام نفس النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، و قد ثبتت الولايـة للأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بالادلة الاربعة التى أوردناها فى محلها فى هذا التفسير .

فيجب على المؤمنين أن يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم أحب إليهم منأنفسهم ومقدماً عليهم فى إنفاذ الحكم والارادة و فى الكرامة والحفظ و إستجابة الدعـوة . . . فان حقه صلى الله عليه وآله وسلم أكثر لديهم من حقوقهم و شفقته عليهم أقـدم من شفقتهم على

أنفسهم ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم أب لهم فى الدين ، و من هنا كان المؤمنون إخوة إذ قال: «أناوعلى أبوا هذه الامة» .

و يجب عليهم طاعته صلى الله عليه وآله وسلم فيما يأمرهم به ، و ينهاهم عنه ، فان طاعته صلى الله عليه وآله وسلم هى طاعة الله كما ان طاعة الائمة المعصومين عليهم السلام هى طاعته صلى الله عليه وآله وسلم ، و فى طاعته صلى الله عليه وآله وسلم خيرهم و صلاحهم لانه لا يأمر إلاّ بما فيه سعادتهم فى الحياة الدنيا ، و فوزهم بالجنة ، و لا ينهى إلاّ عما فيه شقائهم فى الدنيا و خسرانهم فى الاخرة فما آتاكم الرسول فخذوه و مانهاكم عنه فانتهوا فانه لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحى يوحى .

قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و اولى الامر منكم ـ من يطع الرسول فقد أطاع » النساء : ٥٩ ـ ٨٠) .

و قال : « يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله و أطعنا الرسولا ـ ومن يطع الله و رسوله فقد فاز فوزاً عظيماً » الاحزاب : ٦٦ ـ ٧١) .

و قال : « ماضل صاحبكم و ما غوى و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى » النجم : ٢ ـ ٥) .

و قال : « وما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا » الحشر:٧).

و قوله تعالى : « وأزواجه امهاتهم » وأزواج النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة امهات المؤمنين فى تحريم إزدواجهن عليهم كتحريم الام على أولادها فى النكاح ، فلسن امهاتهم على الحقيقة و فيه تشبيه لهن بالامهات فى بعض الآثار الامومة كتحريم النكاح كما قال : « ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً » الاحزاب : ٥٣) و وجوب تعظيمهن و إحترامهن لا فى جميع آثار الامومة كالتوارث بينهن و بين المؤمنين والنظر فى وجوههن ، و ليست بناتهن أخوات المؤمنين ، و لا آبائهن أجدادهم ، و لا امهاتهن جداتهم ، و لا إخوتهن أخوالهم ، و لا أخواتهم خالاتهم . . .

و قوله تعالى : « و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » و اولوا الارحام هم ذو والقربات والانساب بعضهم أولى ببعض فى التوارث من الانصار المؤمنين والمهاجرين الذين ليسوا من ذوى القرابات، فلا توارث إلاّ بالولادة والرحم ، و من كان أقرب فى قرباه فهو أحق بالميراث من الابعد ، و هذا الحكم ثابت فى القرآن الكريم وهو يقول: « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون و للنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً ـ يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم » النساء : ٧ ـ ١٧٦) .

و قوله تعالى : « إلاّ أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً » : إلاّ ان توصوا لهؤلاء المؤمنين و المهاجرين الذين ليسوا بذوى الارحام الوارثين معروفاً بوصية من ثلث مالكم و مادونه فهم أحق بها من القريب الوارث .

و قوله تعالى: « كان ذلك فى الكتاب مسطوراً » : كان ذلك الحكم من جواز فعل المعروف بالوصية لغير الوراث أو كلما تقدم من أولوية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالمؤمنين من أنفسهم ، و أولوية ذوى الارحام بالميراث من غيرهم ، و جواز فعل المعروف بالوصية لغير الأقارب مسطوراً فى القرآن الكريم .

٧ـ (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم و موسى و عيسى ابن مريم و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)

واذكر أيها الرسول للناس كافة ، وللمؤمنين خاصة حين أخذنا من النبيين كلهم ميثاقهم ـ و هم فى ظهر آدم عليه السلام ـ بالاقرار على الربوبية لله تعالى وحده، و ميثاقهم على كلمة التوحيد و توحيد الكلمة ، و على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالات و أداء الامانات الالهية ، و تصديق بعضهم بعضاً و بشارة بعضهم ببعض ، و دعوة الناس إلى الدين القيم و إلى التقوى و صالح الاعمال ، و أخذنا منك أيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم و من نوح و إبراهيم و موسى و عيسى إبن مريم على ذلك،

و أخذنا من النبيين ميثاقاً غليظاً و عهداً و ثيقاً شديداً على إقرار النبوة لك يا محمد ﷺ و على الامامة لاهل بيتك المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

قال الله تعالى : «و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول الله مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين» آل عمران :٨١)

و قال : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» النحل : ٣٦)

و قال : « إذجاءتهم الرسل من بين أيديهم و من خلفهم ألا تعبدوا إلا الله» فصلت : ١٤)

و قال : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بماتعملون عليم و ان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون » المؤمنون : ٥١ ـ ٥٢)

و قال : « ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل و كان أمرالله قدراً مقدوراً الذين يبلّغون رسالات الله و يخشونه ولايخشون أحداً إلا الله » ألاحزاب : ٣٨ ـ ٣٩)

و قال : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً و الذى أوحينا إليك و ما وصينابه إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه »الشورى:١٣)

و قال : «و ما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و ذلك دين القيمة » البينة : ٥)

٨ـ (ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً)

و ذلك أخذ الميثاق من النبيين وإرسالهم إلى الناس ليسئل يوم القيامة عند وقوف الأشهاد الذين آمنوا بهم وصدقوهم ، و أتمروا بما أمروهم به و انتهوا عما نهوهم عنه في الحياة الدنيا ، و أعدّ للذين كفروا برسالات الانبياء ولم يصدقوهم عذاباً موجعاً مولماً .

و قريب من الآيتين قوله تعالى : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ـ رسلاً مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » النساء : ١٦٣ ـ ١٦٥)

و قوله : « و الذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم و نورهم والذين كفروا و كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم» الحديد : ١٩)

وقوله : « من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين ـ اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » البقرة : ١٧٧)

٩ ـ (ياأيها الذين آمنو اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها و كان الله بما تعملون بصيراً)

يا أيها الذين آمنوا بالله و رسوله و باليوم الاخر ، اذكروا نعمة الله التي أسبغها عليكم حين جاءتكم جنود الاحزاب الذين تحزّبوا على رسول الله ﷺ أيام الخندق : من قريش و غطفان و يهود بني النضير و بني قريظة و تظافروا على ذلك ، و حوصرتم مع رسول الله ﷺ فأرسلنا عليهم ريحاً باردة في ليلة شاتية ، و أرسلنا عليهم ملائكة لم تروها ، و كان الله تعالى بما تعملون من حفر الخندق والتحرز من العدو وترتيب وسائل الحرب لاعلاء كلمته جل وعلا وإدهاض الباطل ، و مقاساتكم من الجهد والشدائد ما لا حصر له ، بصيراً بما لا يخفى عليه شيء منها و هو يجازيكم عليها .

و ذلك ان في وقعة الخندق إشتدّ الامر على المسلمين لاجتماع المشركين واليهود من شعوب و قبائل شتى ، و إحاطتهم بهم ، فآمن الله تعالى المسلمين ، و هزم عدوهم و دفعهم عنهم بالريح وجنود من عنده من غير قتال إذ أرسل عليهم ريحاً فيها روح ماهبت على محزون من المسلمين إلاّ زال حزنه ، و هي ريح الرحمة والراحة ، و كانت للمؤمنين الصبا ، و على الكافرين الدبور إذ أحصرتهم

وسفت التراب فى وجوههم .

فالريح الواحدة تكون لجماعة راحة ، وللآخرين نقمة ، فألقت دور الكفار، و نزعت فساطيط المشركين ، و كانت هذه الريح معجزة للنبى الكريم ﷺ لان النبى ﷺ والمسلمين كانوا قريباً منها ، ولم يكن بينهم و بينها إلاّ عرض الخندق ، و كانوا هم فى عافية و راحة منها ، و لا خبر عندهم من أذاها .

وأرسل الله تعالى على المشركين واليهود ملائكة لم يكن يراها المسلمون، فقلعت الاوتاد و قطعت أطناب الفساطيط ، و أطفأت النيران و أكفأت القدور وجالت الخيل بعضها فى بعض فتفرّقت الخيول ، و كثر تكبير الملائكة فى جوانب العسكر حتى كان سيّد كل خباءٍ يقول : يا بنى فلان هلمّ إلىّ ، فاذا اجتمعوا قال لهم : النجاء النجاء لما بعث الله تعالى عليهم من الرعب و قذفه فى قلوبهم . . . و هذه نعمة إلهية على المؤمنين تستوجب الشكر .

١٠ ـ (اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم و اذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا)

إذ جاءكم أيها المسلمون جنود الكفر والشرك من أعلى الوادى من قبل المشرق من ناحية نجد و هؤلاءِ الجاؤن من الجانب الشرقى للمدينة هم غطفان و من تابعهم من أهل نجد ، و يهود بنى النضير و بنى قريظة ، و إذ جاءكم أيها المسلمون عبدة الطاغوت و أحزاب الشيطان من أسفل الوادى من قبل المغرب من ناحية مكة ، و هؤلاءِ الجاؤن من الجانب الغربى للمدينة هم قريش و أهل مكة و كان على أهل مكة أبوسفيان بن حرب ، و من انضمّ إليهم من الأحابيش و كنانة . . .

و قوله تعالى : « و إذ زاغت الابصار » : و حين مالت الابصار و تحيّرت من شدة الخوف والدهشة والفزع لكثرة الجنود الشيطانية والاحزاب الطاغوتية ، فلم تلتفت إلاّ إلى عدوها دهشاً من فرط الهول .

و قوله تعالى : « و بلغت القلوب الحناجر » وإذ اضطربت القلوب و كثرت ضرباتها واشتد خفقانها ، و قلقت من شدة الخوف والهول والفزع ، فكأنها لشدة إضطرابها بلغت الحلاقيم ، و إن لم تبلغها فى الحقيقة .

و قوله تعالى : « و تظنون بالله الظنونا » : و تظنون بالله جل وعلا أنواع الظنون المتخالفة . . . فظن المخلصون الثبت القلوب : ان الله تعالى منجز وعده فى إعلاء كلمته و إدحاض كلمة الباطل ، و نصرة دينه و ظهوره على الدين كله و لو كره المشركون ، والغلبة على الاعداء والاحزاب الشيطانية و هزيمتهم . . أو ممتحنهم فخافوا الزلل و ضعف الاحتمال ، و ظن ضعاف النفوس والمنافقون و مرضى القلوب : كذب محمد صلى الله عليه وآله وسلم و تكذيب الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم و ظن الاستيصال و ظن الغارة على المدينة ، و منهم من أيس و قنط ، و منهم من ظن ان الجاهلية ستعود كما كانت . . .

١١ - (هنالك ابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزالاً شديداً)

يوم الخندق إختبر المؤمنون ليظهر بذلك حسن نياتهم، وصبرهم وإستقامتهم و ثباتهم على ما أمرهم الله تعالى به من جهاد أعدائه . . . فظهر يومئذ المخلص من المنافق ، سليم القلب من مرضى القلب ، زكى النفس من خبيث النفس ، الثابت من المتزلزل، القوى فى الايمان من الضعيف فيه ، والباقى فى ميدان الحرب من أصحاب الفرار . . . و يومئذ إضطرب المنافقون إضطراباً شديداً من شدة الخوف والهلع ، والجوع والفزع ، و من الحصر والنزال و كثرة العدو و قلة المسلمين ، و مما فيهم من الظنون المتخالفة و لذلك كانوا يقولون : « ما وعدنا الله و رسوله إلاغروراً » الاحزاب: ١٢) وأما المؤمنون فماكان فيهم إضطراب لقوله تعالى : « و لما رآى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و ما زادهم إلا ايماناً و تسليماً » الاحزاب : ٢٢) .

والغرض الأصيل من ذلك الابتلاء **إظهار خلوص ايمان المؤمنين**، وظهور

نفاق المنافقين ومرضى القلوب وضعاف النفوس . . .

١٢- (و اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله و رسوله الا غروراً)

وحين يقول المنافقون يوم الخندق والذين فى قلوبهم مرض شك فى الايمان وضعف فى الايمان : ماوعدنا الله ورسوله من الظفر والفتح والغلبة على الاعداء و ظهور الاسلام على الدين كله وإعلاء كلمة الحق وإبطال كلمة الباطل وزهاقها وعزّ المسلمين وذل الكافرين إلاّ وعد غرور : وعداً مموّهاً باطلاً يغرّ نابه . وهم يقولون : كيف يعدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كنوز كسرى ومدائن فارس و ملك الروم ؟ و نحن لانستطيع أن نتبرّز لحاجتنا ، ولانأمن أن نذهب إلى الخلاء ، و إنما قالوا ذلك ، لما فشى فى أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قوله عند ضرب الصخرة .

كماكانوا يقولون يوم بدر : « غرّ هؤلاء دينهم » الانفال : ٤٩)

وهذا دأب المنافقين وضعاف النفوس ومرضى القلوب فى كل وقت ومكان.

١٣- (و اذقالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا و يستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة و ماهى بعورة ان يريدون الافراراً)

وحين قالت طائفة من المنافقين أيام الخندق كعبد الله ابن ابى و أضرابه لأهل المدينة :يا أهل يثرب وسكّان المدينة لاإقامة لكم ، ولاموضع لكم تقومون فيه للقتال فى معسكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولايصح ولاينبغى توقفكم فيه مع كثرة العدو، وقلة جند محمد صلى الله عليه وآله وسلم و وضوح هلاككم بأيديكم أولامقام لكم فى دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فارجعوا إلى ما كنتم عليه من الشرك والكفر والجاهلية ـ كما كان المنافقون يقولون فى احد :فانقبلوا إلى أعقابكم ـ فارجعوا إلى منازلكم بالمدينة،واحفظوا أنفسكم من القتل والاسر وأموالكم من النهب ، فان الكفار سيغلبون ويستولون على المدينة ، وان الاسلام سينمحق والدين سيضيع ، فارجعوا الاوجه لاقامتكم ههنا

قبال ذلك جنود المشركين وإخوانهم اليهود ، إذالغلبة لهم لامحالة ، فارجعوا إلى منازلكم فانا مع القوم فأنتم آمنون ، وأسلموا محمداً إلى أعدائه أواتركوه بين أعدائه حتى يفعلوا ماأرادوا .

و قوله تعالى : « ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة و ماهي بعورة » : ويستأذن حينئذ في الرجوع فريق من المنافقين و مرضى القلوب وضعاف النفوس كبني حارثة وبني سلمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حفظاً لخاطره احتياطاً و تحصيلاً لرضاه عنهم وهم يقولون معتذرين من الرجوع : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان بيوتنا خربة ، ومنازلنا مكشوفة : ومختلّة نخشى عليها العدو والسراق لامكان دخولهم فيها بسهولة ، فنرجع وندخلها ونعمر خرابها ونحصنها من الدخول فيها ، ثم نرجع إلى معسكرك ونكون معك ، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و لكن الله تعالى أكذبهم و أكذب عذرهم بقوله تعالى : « وماهي بعورة » : و ليست تلك البيوت مكشوفة ، بل هي معمورة حصينة محرزة .

وقوله تعالى : « ان يريدون الا فراراً » لايريد هؤلاء المنافقون ومرضى القلوب بذلك الاعتذار إلا فراراً من الموت والقتل حباً للحياة الدنيا .

١٤- (ولودخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها و ما تلبثوا بها الايسيراً)

ولودخلت جنود الشرك والكفر على هؤلاء المنافقين و مرضى القلوب من نواحي المدينة أومن جوانب البيوت ، وهم فيها ثم طلبوا منهم أن يرتدّوا عن الدين والرجعة إلى الشرك والكفر والضلالة أو دعوا إلى القتال على وجه الحمية الجاهلية لجاؤا إليها ، وأجابوهم مسئولهم ، و ما تلبثوا باجابة الفتنة وماتمكثوا بها إلا زمناً قليلاً قدر مايسمعون السئوال و يردّون الجواب فضلاً عن التعلل باختلال البيوت عند سلامتها كما فعلوا الآن ، فهم يقيمون على الدين مادام الرخاء ، فاذا هجمت عليهم الشدة والبأس لم يلبثوا دون أن يرجعوا .

١٥- (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار و كان عهد الله مسئولاً)

وهؤلاءِ المنافقون و مرضى القلوب المعتذرون والله تعالى لقد عاهدوا الله جل وعلا من قبل غزوة الخندق وبعد بدر إذ بايعوا رسول الله ﷺ و خلفوا له : انهم ينصرونه ويدفعون عنه كما يدفعون عن أنفسهم ، وانهم لايولّون الادبار في جهاد الكفار ، ولايفرّون من معركة القتال ، ولايتركون العدو في القتال خلف ظهورهم ولايفرّون منهم كما فرّوا في ذلك اليوم ، ولكنهم مع ذلك العهد فرّوا من هذه الوقعة ،فنقضوا عهدهم ، والحال انه كان عهد الله مسئولاً عنهم يوم القيامة بانهم وفوا ماعاهدوا أم نقضوا مابايعوه .

قال الله تعالى: «ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ـ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء و كنتم قوماً بوراً » الفتح : ١٠-١٢)

وقال : « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لايتقون» الانفال : ٥٦)

١٦- (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذاً لا تمتعون الا قليلاً)

قل أيها النبي ﷺ لهؤلاءِ المنافقين ومرضى القلوب المعتذرين : لو فرض عدم العقوبة على نقض عهدكم ومعصية الله تعالى ورسوله ﷺ ، لن ينفعكم فراركم من معركة القتال إن فررتم من خوف الموت إذ لابد لكل نفس من الموت لأجل مقضيّ محتوم لا يتأخّر عنه ساعة ولايتقدم عليه ، فالفرار لايؤثر في تأخير الاجل شيئاً .

قال الله تعالى : « ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها » المنافقون : ١١)

وقال : « قل إن الموت الذى تفرّون منه فانه ملاقيكم » الجمعة : ٨)

و قال : « أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » النساء : ٧٨)

و كذلك إن كان فرار كم من خوف القتل ، فان المقدر كائن لامحالة . و قد كان الامام مولى الموحدين سيد الشجعان أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول عند اللقاء: دهم الامر و توقد الجمر :

أي يومي من الموت أفر	يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه	ومن المقدور لا ينجي الحذر

فلابد لكل إنسان إما الموت بحتف الانف في وقت معين ، وإما القتل بالسيف ونحوه ، فجرى عليه القلم لاراد لقضائه .

قوله تعالى : « وإذاً لاتمتعون إلا قليلا » : ولوفرض أن ينفعكم الفرار في تأخير آجالكم إذاً لاتمتعون بالحياة الدنيا بعد فراركم إلا تمتيعاً قليلا ، ولا تنتفعون بلذائذ الدنيا إلا زماناً قليلاً إلى أن تنقضي آجالكم ، وكل ماهو آت فهوقريب .

١٧- (قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أرادبكم سوءاً أو أرادبكم رحمة ولايجدون لهم من دون الله ولياً ولانصيراً)

قل يا أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء المعتذرين : من ذا الذي يجيركم من الله تعالى إن أراد بكم سوءاً من الهزيمة أو القتل أو الاسر، أو يحفظكم إن أراد بكم الهلاك والدمار والهوان ونحوها ، أوأراد الله جل وعلا بكم رحمة ونعمة من الغلبة على العدو والغنيمة والعز والعلو والشرف وما إليها . . . وهم لايجدون لأنفسهم من دون الله ولياً يلي أمورهم وينفعهم ، ولانصيراً ينصرهم ويدفع عنهم السوء .

قال الله تعالى : « فمن يجير الكافرين من عذاب أليم » الملك : ٢٨)

وقال : « وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلامرد له و مالهم من دونه من وال » الرعد : ١١)

وقال : « قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أرادبكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً » الفتح : ١١)

و قال : « و ما لهم فى الارض من ولى و لا نصير » التوبة : ٧٤) .

١٨ـ (قد يعلم الله المعوقين منكم و القائلين لاخوانهم هلم الينا و لا يأتون البأس الا قليلاً)

قد علم الله تعالى المنافقين الذين يعوّقون غيرهم منكم أيها المسلمون عن نصرة رسول الله ﷺ و دينه ، و يمنعونهم عن شهود الحرب معه ﷺ و يصرفونهم عن سلوك طريق كل خير ، و يصدونهم عن سبيل الله تعالى تخذيلاً عن الاسلام و أهله ، و قد علم الله جل و علا المنافقين الذين يقولون لموافقيهم فى الكفر والنفاق من مرضى القلوب و ضعاف الايمان و خبيث النفوس : أقبلوا إلينا و اقربوا منا و احضروا عندنا ، واتركوا محمداً ومن معه ، فانا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه و أصحابه ، و هؤلاء المنافقون و إخوانهم لا يحضرون القتال فى سبيل الله تعالى ، ولا يقاتلون الاعداء إلاّ قتالاً قليلاً لا نفع فيه للاسلام والمسلمين ، فهم فى صفوف المسلمين لا خير فيهم ، ولا نفع يرجى منهم ، بل ان قعودهم مع القاعدين خير للمسلمين من خروجهم .

قال الله تعالى فيهم : « إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر و ارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون و لو أرادوا الخروج لأعدّوا له عدة و لكن كره الله انبعاثهم فثبطهم و قيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاّ خبالاً ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة و فيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل و قلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله و هم كارهون و منهم من يقول إئذن لى ولا تفتنّى ألا فى الفتنة سقطوا و ان جهنم لمحيطة بالكافرين إن تصبك حسنة تسؤهم و إن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل و يتولوا و هم فرحون » التوبة : ٤٥ ـ ٥٠) .

١٩ ـ (أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة

على الخير اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم و كان ذلك على الله يسيراً)

حالكون هؤلاء المنافقين و مرضى القلوب بخلاء عليكم ، فلا يعاونونكم بحفر الخندق و لا يساعدونكم في تجهيز القوى و لا ينفقون بأموالهم في إعلاء كلمة الله تعالى و نصرة دينـه ، و لا ينصرونكم فى معركة القتال على الاعداء ، فاذا جاء الخوف من الاعداء بظهور مخائل القتال و كرّ الشجعان والحملة على عسكر المؤمنين رأيت أيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم هؤلاء المنافقين ومرضى القلوب الباقين على تلك الحالة ينظرون إليك خوفاً من الاعداء إلتجاءاً بك ، و هم من شدة الجبن والخوف من القتال والقتل تتحرك أعينهم فى أحداقهـا يميناً و شمالاً كدوران عين الذى يغشى عليه ، تعرضه الغشوة ، و يزول عنه الشعور ، و ذهب منه العقل والادراك من خوف الموت بحيث لا يقدر على النزل والقتال .

و قوله تعالى : « فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير » : فاذا ذهب عنهم الخوف بانكسار العدو والظفر والغلبة على الكفار ، و اجتمعوا على الغنائم أطلقوا عنان ألسنتهم ، فآذوكم أيهـا المؤمنون بألسنة حداد قاطعة ماضية ، وأقوال خشنة ، و كلمات سيئة من إظهار المنة عليكم بالمساعدة والقتال معكم و إدعاء الشجاعة لانفسهم بقولهم : لو لم نكن معكم لما هزمتم العدو وما نجيتم من القتـل بسيوفهم ، فبنا غلبتموهم ، و نصرتم عليهـم فوفّـروا حظّنا من الغنائم . . . أشحة على الخير ، حريصين على تكثير السهام ، و توفير الغنائم فى القسمة ، مع كونهم راضين فى أول القتال من الغنيمة بالاياب ، فهم قليلوا الخير فى الحالين ، كثيروا الشر فى الوقتين لكونهم بخلاء و شحاء قبل القتال وبعده .

قال الله تعالى : « الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين » النساء : ١٤١) .

و قوله تعالى : « اولئك لم يؤمنـوا فأحبط الله أعمالهـم . . . » : هؤلاء

المنافقون ومرضى القلوب لم يؤمنوا حقيقة ، و إن أظهروا الشهادتين، فلم يدخل الايمان في قلوبهم ، وان كان ظاهرهم الايمان ، فالمنافق كافر على الحقيقة لوصفهم الله تعالى بالكفر ، كما آمن غيرهم ، و إلاّ لما فعلوا ذلك ، فأحبط الله تعالى أعمالهم الحسنة من حضورهم في القتال ، و لم يثبهم عليها لعدم الاخلاص فيه ، إذ لم يقصدوا وجه الله تعالى بها، وكان ذلك الاحباط على الله تعالى هيناً إذ لاظلم فيه .

قال الله تعالى فيهم : « لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ـ اولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والاخرة و اولئك هم الخاسرون » التوبة : ٦٦) .

٢٠ ـ (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا و ان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون في الاعراب يسئلون عن أنباءكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا)

يظن هؤلاءِ المنافقون و مرضى القلوب من شدة جبنهم و هلعهم و خوفهم و ضعف إحتمالهم: ان الاحزاب المتحزبة من قريش وغطفان واليهود العنيد الذين تحزّبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينهزموا بعد و قد انهزموا و تفرّقوا في كل واد . و لما لم يقاتل المنافقون ولم يشهدوا معركة القتال لخوفهم وجبنهم، فكأنهم غائبون و لا يعلمون ان الاحزاب الشيطانية من اليهود والمشركين انهزموا .

قوله تعالى : « و إن يأت الاحزاب . . . » وإن يأت هؤلاءِ الاحزاب الشيطانية كرة ثانية إلى المدينة للقتال بعد ذهابهم وتركهم المدينة يودّ هؤلاءِ المنافقون و إخوانهم : مرضى القلوب و ضعاف الايمان و تمنوا لو انهم خارجون من المدينة و أن يكونوا في البادية مع الاعراب مقيمين في البادية ، بعيدين عن مسرح الحرب ، ومعركة القتال ، ولايكونوا معكم حذراً من القتل وتربصاً للدوائر . . .

يسئلون الركبان والقادمين إليهم من المدينة عن أخباركم و ما جرى عليكم مرّة ثانية فيتحدثون : أما هلك محمد صلى الله عليه وآله وسلم و أصحابه ؟ أما غلبت أبوسفيان و أذنابه ؟ فهم قانعون من العيان بالاثر ، و من الحضور بالخبر .

و قوله تعالى : « ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلاّ قليلا » : و لو كان هؤلاءِ

المنافقون ومرضى القلوب معكم في الكرة الثانية لم يقاتلوا معكم أعداءكم إلاّ قتالاً قليلاً كالرمي بالنبل والحجارة من مكان بعيد خوفاً من التعبير، وظهور نفاقهم وإخفاء النفاق، وليوهموا انهم في جملتكم لالينصروكم ويجاهدوا معكم، فكان قتالهم إبداءً للعذر على سبيل الرياءِ والسمعة من غير إحتساب، ولو كان لله تعالى لماكان قليلاً إذ كان القليل لله تعالى عنده كثيراً، فلافائدة في لزومهم إياكم وكونهم معكم وفيكم.

٢١- (لقدكان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر و ذكر الله كثيراً)

لقدكان لكم أيها المؤمنون في أفعال رسول الله ﷺ الصالحة، و أقواله الصادقة، وأخلاقه الحسنة وخصاله الجميلة، وفي حضوره في القتال والثبات في الجهاد و تحمل المشاق حيث بذل نفسه لنصرة دين الله تعالى في خروجه إلى الخندق وشدائده، وقد شجّ وجهه و كسرت رباعيته وقتل عمه حمزة يوم احد، ولم يلف إلاّ صابراً محتسباً شاكراً راضياً، فواساكم مع ذلك بنفسه لوجه الله تعالى و رضائه قدوة صالحة وسنة حسنة يحقّ التأسي والاقتداء بها لمن كان يرجوا رضا الله تعالى وحده في الدنيا، ويرجوا لقاء ثوابه ونعيم جنته في اليوم الاخر، وذكر الله تعالى في جميع أوقاته وأحواله...ذكراً كثيراً بقلبه ولسانه، ولايغفل عنه قطّ.

قال الله تعالى: «ان الذين آمنوا والذين هاجروا و جاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم» البقرة: ٢١٨)

و قال: «يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون» الانفال: ٤٥)

وقال: «فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» الكهف ١١٠)

وقال: «أمن هوقانت آناءالليل ساجداً وقائماً يحذرالاخرة ويرجوا رحمة

ربه » الزمر : ٩)

وقال : « ياأيهاالذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسجوه بكرة وأصيلاً» الاحزاب ٤١ ـ ٤٢)

٢٢ـ (ولما رأ المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم الا ايماناً و تسليماً)

ولما رأى المؤمنون المخلصون الذاكرون الله تعالى الاحزاب الشيطانية من مشركى مكة ويهود المدينة وأذنابهم المجتمعة على محاربة الله جل وعلا و رسوله ﷺ أيام الخندق قالوا : هذا البلاء العظيم الذى نراه ماوعدنا اللهتعالى من قبل ذلك فى كتابه بقوله : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكممستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتىيقول الرسولوالذين آمنوا معه متىنصرالله ألا إن نصرالله قريب » البقرة : ٢١٤)

ووعدنارسول الله تعالىبقولهﷺ : « سيشتد عليكم الامر باجتماع الاحزاب عليكم ولكن العاقبة لكم عليهم » وبقوله ﷺ : « ان الاحزاب سائرونإليكم تسع ليال أوعشراً » أى فىآخرتسع ليال أوعشرحين الاخبار .

ونعترف بأنه صدق الله جلوعلا فى كل ما وعده ، وصدق رسوله ﷺ فى جميع بشاراته . . .ومازاد المؤمنين مارأوه من إجتماع الاحزاب المتحزبة على محاربةالله تعالى ورسوله ﷺ إلا ايماناً بالله جلوعلا وبرسوله ﷺوتسليماً لقضائه وإنقياداً لأمرهما حيثكانوا يعلمون ان سعادة الدارين فىطاعتهما .

وهم الذين قالالله تعالىفيهم : « الذين قال لهم الناس ان الناس قدجمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً و قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوانالله »آلعمران : ١٧٣ ـ ١٧٤)

و قال : « هوالذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض ـ وعدكمالله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل

لكم هذه و كف أيدى الناس عنكم و لتكون آية للمؤمنين و يهديكم صراطاً مستقيماً» الفتح : ٤ ـ ٢٠)

وقال : « فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً » النساء : ٦٥)

وقال : « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليماً » الاحزاب :٥٦)

٢٣ـ (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً)

بعض المؤمنين رجال كاملون فى صفات الرجولية صدقوا ما عاهدوا الله عليه، من الثبات فى نصرة دين الله تعالى ونصرة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و محاربة أعدائه ، على العزم الراسخ فى إعلاء كلمة التوحيد ، وإبطال كلمة الكفر، فى إهتزاز راية الحق والايمان وتسقيط لواء الكفر والطغيان ، فى تحرير الانسانية من عقيدة الشرك و عبادة الاوثان ، وإزالة الاوهام من الأذهان ، وتنجية البشرية من العبودية للشيطان وفى انقاذ المجتمع البشرى من شفا حفرة من نار الشهوة والطغيان . . .

قوله تعالى : « فمنهم من قضى نحبه » : فمن هؤلاء المؤمنين المخلصين من قضى نحبه ووفى بعهده ونال برجائه ، فقاتل حتى قتل كحمزة بن عبدالمطلب ، وجعفر بن أبيطالب ومصعب بن عمير رضوان الله تعالى عليهم ومن سلك مسلكهم... قيل : اولئك عاهدوا الله تعالى يوم احد ونذروا إذا لقوا حرباً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا .

وقوله تعالى : « ومنهم من ينتظر » : ومن المؤمنين الكاملين فى الايمان والرجولية من ينتظر بوفاء عهده من نصرة دينه والظفر على عدوه ، ويتوقع وصول الشهادة إليه مع شدة إشتياقه إليها كالامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فأخر الله تعالى شهادته إلى الوقت المعلوم الذى أخبره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم به. ومن شيعته عليه السلام من ينتظر قضاء الله تعالى فيه موتاً أو إستشهاداً فى معركة القتال.

وقوله تعالى : « وما بدّلوا تبديلاً » : ومابدّل هؤلاءِ المؤمنون المخلصون الكاملون عهدهم الذى عاهدوه ربهم بالقعود مع القاعدين ، ولانكثوه بالفرار من معركة القتال ، ولا نقضوه بتقديم المصالح الواهية على المصالح الالهية . . . فما غيّروه تبديلاً يسيراً بخلاف المنافقين ومرضى القلوب وضعاف الايمان ، حيث نقضوا عهدهم و بدّلوا تبديلاً واضحاً ، وغيروه تغييراً ظاهراً .

قال الله تعالى : « رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة و ايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار » النور : ٣٧)

وقال : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساءِ والضراءِ و حين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » البقرة : ١٧٧)

وقال فى المنافقين : « و منهم ما عاهدالله لئن آتينا من فضله لنصدقن و لنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما و عدوه و بما كانوا يكذبون » التوبة : ٧٧)

وقال : « ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولّون الادبار » الاحزاب:١٥)

٢٤- (ليجزى الله الصادقين بصدقهم و يعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفوراً رحيماً)

ليجزى الله تعالى المؤمنين الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، ووفوا بعهدهم قولاً وعملاً جزاءاً حسناً بسبب صدقهم فى ميثاقهم ، و ليعذب المنافقين الذين نقضوا ماعاهدوا الله جل وعلا ، و بدّلوا ميثاقهم تبديلاً إن شاءالله تعالى فيما لم يتوبوا لقوة نفاقهم و شدة كفر باطنهم أويتوب عليهم إن تابوا لخفة نفاقهم وضعف كفرهم ، إن الله جل وعلا كان غفوراً : يغفر الذنوب لمن تاب ، ويستر العيوب لمن أناب ، رحيماً : يرحم بمن استغفر ، وينعم بالجنة على من آمن .

قال الله تعالى « ولله مافى السموات ومافى الارض ليجزى الذين أساؤا بما

عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » النجم : ٣١)

وقال : « وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعذّبهم مرتين ثم يردّون إلى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ـ ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده » التوبة : ١٠١-١٠٤)

وقال : « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » طه :٨٢)

وقال : « وكان بالمؤمنين رحيماً » الاحزاب : ٤٣)

٢٥- (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً)

وردّ الله تعالى بقدرته هؤلاء الاحزاب الشيطانية من أبي سفيان و أذنابه ، و من اليهود العنيد الذين كفروا إلى أوطانهم بغيظهم و حسرتهم وشدة غضبهم ، حال كونهم لم يصيبوا ماأرادوا من الظفر والغلبة ، وما تمنوا من الاسارى والغنيمة مع غاية جدّهم وجهدهم فيهما ،وسمّاهما خيراً لان ذلك كان عندهم خيراً فجاء على إستعمالهم وزعمهم .

و قوله تعالى : « وكفى الله المؤمنين القتال » بامامهم وأميرهم على ابن أبيطالب عليه السلام أولاً بقتله عليه السلام عمرو بن عبدود ، وعقّبه بارسال الريح والملائكة و قذف الرعب في قلوب الكافرين ، فدفع عن المؤمنين كلفة التصدى للقتال يوم الخندق .

وقوله تعالى : « وكان الله قوياً عزيزاً » : وكان الله تعالى قوياً في ملكه و سلطانه ، قوياً على إحداث ما يريده ، و قادراً على كسر شوكة الكافرين و نصر المؤمنين ، عزيزاً في قهره وإنتقامه ، غالباً على كل شيء ، فلايمتنع عليه شيء من الاشياء . . .

قال الله تعالى : « ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لايحب كل خوّان

كفور اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا و ان الله على نصرهم لقدير » الحج : ٣٨ ـ ٣٩)

وقال : « ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز » المجادلة : ٢٠ ـ ٢١)

٢٦ـ (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً وتأسرون فريقاً)

وأنزل الله تعالى يهود بنى قريظة الذين عاونوا المشركين على رسول الله ﷺ وهؤلاء اليهود من أهل الكتاب هم عاهدوا رسول الله ﷺ أن لا ينصروا عليه ﷺ عدواً فنقضوا عهدهم أنزلهم الله جل وعلا من قلاعهم وحصونهم المحكمة، وأزالهم من أماكنهم التى تحصنوا فيها، وألقى الله تعالى فى قلوب هؤلاء المنافقين الرعب والخوف والفزع بحيث سلّموا أنفسهم للقتل ، وأهليهم وأولادهم ونساءهم وذراريهم للاسر، فأنتم أيها المسلمون تقتلون فريقاً منهم وهم الرجال ،وتأسرون فريقاً آخرين منهم وهم صبيانهم ونساءهم من غير أن يكون من ناحيتهم حركة فضلاً عن المخالفة .

٢٧ـ (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً)

وأورثكم الله تعالى أيها المؤمنون أرض يهود بنى قريظة التى كانوا مقيمين فيها ، ومنتفعين بها بالزراعة والغرس فيها ، وأورثكم ديارهم وحصونهم وبيوتهم و اموالهم من المواشى والأثاث والسلاح والنقود و غيرها . . . وأورثكم أرضاً اخرى لم تطؤها ولم تضعوا إلى الآن أقدامكم فيها كأرض خيبر و أرض فارس والروم وغيرهما من الأراضى التى ستفتحونها إلى يوم القيامة ، و كان الله جل و علا على كل شيء مما شاهدتموه ومالم تشاهدوه بعد قديراً : قدير على إعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين ، قدير على ماأراد بالمنافقين من نقمة ، و بالمخلصين

من نعمة . وقادرعلى نصرة الصادقين وغلبة الناكثين .

٢٨ - (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها فتعالين امتعكن و اسرحكن سراحاً جميلاً)

يا أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم قل لازواجك اللاتي يكنّ الآن في حبالتك : **إن** كنتن تردن الحياة الدنيا و زخرفها من السعة والتنعم فيها ، و تردن زينتها من الثياب الفاخرة والحلي والحلل ، فأقبلن إليّ باختيار كن حتى امتعكن واعطيكن من مالي ما تنتفعن به ، و أطلقكن و أرسلكن إلى بيوتكن و قبايلكن إرسالاً جميلا لاضرار فيه و لا تنازع . والسراح الجميل : هو إرسال الزوجة المطلقة إلى بيتها قبل الزواج وقبيلتها من غير منازعة ولامشاجرة ومخاصمة بين الزوجين، و لا منع واجب لها .

قال الله تعالى : « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان و لا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً - و إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرّحوهن بمعروف و لا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا » البقرة : ٢٢٩ - ٢٣١) .

٢٩ - (وان كنتن تردن الله و رسوله والدار الاخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً)

و إن كنتن تردن الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و تطعنهما و تطلبن رضاهما و قربهما والصبر على ما عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من العيش و تردن ثواب الدار الاخرة ونعيمها التي لاتعدّ الدنيا وما فيها عندها شيء ، فان الله جل وعلا هيّأ للمحسنات الصالحات منكن في الاخرة أجراً عظيماً لايعرف كنهه ، وجزاء جزيلاً لايعرف غايته . و أما المسيئات منكن فلهن عذاب الدنيا و نيران الاخرة .

٣٠- (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين و كان ذلك على الله يسيراً)

يا نساء النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من يأت منكن بفعلة شنيعة ، ظاهرة القباحة من مخالفة الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و ايذاء نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من النشوز وسوء الخلق و إرادة الدنيا و ترك الاخرة يضاعف لها العذاب فى الآخرة ضعفى عذاب غيرها من سائر النساء العاصيات لغير النبى صلى الله عليه وآله وسلم مضافاً إلى عذاب الدنيا ، وذلك لعظم الضرر فى جرائمها بايذاء النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فكانت العقوبة على قدر عظم الجريمة فى ايذاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و معصيته . . .

قال الله تعالى : « ان الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة » الاحزاب : ٥٧) . و كان ذلك التضعيف من العذاب على العاصية من أزواج النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على الله تعالى سهلاً يسيراً ، فلا يمنعه زوجيتهن للنبى صلى الله عليه وآله وسلم .

٣١- (و من يقنت منكن لله و رسوله و تعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين و أعتدنا لها رزقاً كريماً)

و من يخضع منكن لأمر الله تعالى و يواظب على طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و تعمل عملاً صالحاً مرضياً عندالله تعالى و رسوله نؤتها ثوابها يوم القيامة مثلى ثواب غيرها من سائر نساء الامة المسلمة ، و هيّأنا لها رزقاً كريماً لايقدر قدره و لا يعرف كنهه ، مضافاً إلى تضعيف الثواب .

قال الله تعالى : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن و اهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً » النساء : ٣٤) .

و قال : « و مريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا و صدّقت بكلمات ربها و كتبه و كانت من القانتين » التحريم : ١٢) .

٣٢ - (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض و قلن قولاً معروفاً)

يا نساء النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لستن كأحد من نساء هذه الامة المسلمة في الفضل والمنزلة ، في الشرف والرفعة ، وفي الجزاء و نعيم الجنة لصحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعظيم المحل منه صلى الله عليه وآله وسلم إن اتقيتن الله تعالى و أطعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أمركن و نهاكن ، و خفتن الله جل و علا و احترزتن عن مخالفة الله جل و علا و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فالاتصال بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لايفيد شرفاً وفضلا إلاّ إذا انضمّ بالتقوى والخضوع والطاعة ، فاذا علمتن ذلك فلاتخضعن بالقول خضع القول ما يكره من قول النساء للرجال مما يدخل في قلوب الرجال ، ولا تلنّ عند مكالمة الأجانب بالقول كما هو دأب النساء المطمعات إذ ترقيق الصوت و تلين الخطاب من النساء يورث تهييج الشهوة في الرجال و طمعهم فيهن ، فلا تفعلن ذلك فيطمع فيكن الرجل الذي في قلبه مرض من الميل إلى الفسق والفجور ، و يشتهي إتيان الفواحش . . . و قلن عند الحاجة والضرورة إلى التكلم معهم قولاً يكون في الشرع و عند العقل معروفاً ، و بعيداً عن التهمة والاطماع والريبة .

٣٣- (وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة و آتين الزكاة و أطعن الله و رسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً)

و استقررن في بيوتكن و ألزمنها ولا تخرجن منها إلاّ لحاجة وضرورة ، و لا تظهرن زينتكن للأجانب ، و لا تبدين محاسنكن للرجال على عادة النساء في زمن الجاهلية قبل الاسلام ، و أقمن الصلاة المفروضة عليكن وآتين الزكاة الواجبة في أموالكن ، و أطعن الله جل وعلا و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يأمرانكن به ، و ما ينهيانكن عنه .

و قوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » : إنما يريد الله جل و علا بارادة تكوينية لان يذهب عنكم - يا محمد و علي و فاطمة والحسن والحسين **أهل** بيت الوحي والنبوة والرسالة - الرجس:

رجس الخطاءِ وخبث الجهل ، و قذارة المعصية و ذميمة الاخلاق ، وتفكير الفسق و وسوسة الفجور ، و ظلمة السهو و رجس الزلل في الفكر والقول والعمل ، و كل ما ليس لله تعالى فيه رضى . . . و يطهركم الله تعالى تطهيراً : طهارة البقاءِ عن دنس الشرك وخبث الكفر ، و رجس النفاق ، و كساد الاقوال وفساد الاعمال . . . و هذه هي العصمة الموهبة الالهية للمعصوم غير المكتسبة بالعمل ، تحفظه من باطل الاعتقاد ، و سوءِ القول و فساد العمل ، و من التخلف عن إرادة الله جل و علا التشريعية .

ومن المعلوم : ان لله تعالى إرادتين : أحدهما ـ إرادة تكوينية ، و هي إرادة لأفعال نفسه كخلق الكون و ما فيه ورزق الحيوان و إرسال الرسل وايحاءِ فعل الخيرات إلى الائمة المعصومين و تطهيرهم من الرجس ، و تفضيل الانبياءِ بعضهم على بعض و كلاً على العالمين . . . و ان الاراداة التكوينية عبارة عن علمه الموجب لوجود الفعل في وقت دون وقت ، و في مكان دون مكان و في شخص دون شخص بسبب إشتماله على مصلحة إلهية داعية للايجاد في ذلك الوقت والمكان والشخص دون وقت و مكان و شخص .

والدليل على كونه جل وعلا مريداً لأفعال نفسه انه خصّص ايجاد الحوادث في وقت دون آخر ، والاوقات كلها صالحة للايجاد ، فلابد من مخصص لاستحالة التخصيص من غير مخصص ، و ذلك المخصص هو الارادة الالهية ، فيكون مريداً لافعال نفسه و ليس في هذه الارادة تخلّف قطّ لانه تعالى هو المباشر بفعله .

قال الله تعالى: « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » يس:٨٢).

و قال : « و إذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له » الرعد : ١١) .

و قال : « فأراد أن يستفزّهم من الارض فأغرقناه و من معه جميعاً » الاسراء : ١٠٣) .

و قال : « فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة و أقرب رحماً ـ فأراد

ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك » الكهف: ٨١-٨٢) .

وقال: «قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة» الاحزاب : ١٨) .

و قال : « ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » آل عمران : ٣٣) و قال : « الله يصطفى من الملائكة رسلاً و من الناس » الحج : ٧٥) .

و قال : « و تلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم و وهبنا له إسحق و يعقوب ـ و كلاً فضلنا على العالمين » الانعام : ٨٣ ـ ٨٦) .

و قال : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ـ ولكن الله يفعل ما يريد » البقرة : ٢٥٣) .

و قال : « و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا و أوحينا إليهم فعل الخيرات ـ و أدخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين » الانبياء : ٧٣ ـ ٨٦) .

وقال : « واذكر عبادنا إبراهيم و إسحق و يعقوب اولى الايدى والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار و انهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » ص : ٤٥ ـ ٤٧) .

فارادة الله جل و علا باذهابه الرجس عن أهل بيت الوحى عليهم السلام و تطهيره تعالى إياهم بالمباشرة من كل مالا يرضاه هى إرادة تكوينية لاينكرها بل لايتلجلج فيها إلاّ من كان فاسد العقل أو مريض القلب أو فاقد الفهم .

ثانيهما : إرادة تشريعية ، و هى إرادة لأفعال عباده كالأمر بالصلاة والزكاة والحج والجهاد والصوم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر . . . و كالنهى عن الكفر والنفاق والفساد فى الارض . . . و ان الارادة التشريعية عبارة عن طلب ايقاع الافعال المجوزة المشرّعة ، وعن ترك الافعال المحرمة المنهية على وجه

الاختيار، والدليل على أنه تعالى مريد من عباده أفعالاً لأمره تعالى إياهم بالطاعة، فيكون مريداً لها فان الحكيم لا يأمر إلاّ بما يريده كما لا ينهى عن شيء إلاّ و هو يكرهه.

و في هذه الارادة تخلف لان العبادهم المباشرون بمتعلقاتها . . .

قال الله تعالى: «ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ـ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون» المائدة: ٦).

وقال: «شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام اخر يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر و لتكملوا العدة و لتكبروا الله على ما هداكم و لعلكم تشكرون» البقرة: ١٨٥).

و قال: «يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم و يتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً يريد الله أن يخفف عنكم» النساء: ٢٦ ـ ٢٨).

و قال: «تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة» الانفال: ٦٧).

٣٤ ـ (و اذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيراً)

و اذكرن يا نساء النبي الكريم ﷺ ما يتلى في بيوتكن من آيات الله تعالى والحكمة واقدرن قدرها وفكّرن فيها حتى تكون منكنّ على بال لتأتمرن بما أمرتنّ به، و تنتهين عما نهيتن عنه، و لتتعظن بمواعظ الله جل وعلا وتطعن الله تعالى و رسوله ﷺ ان الله سبحانه كان لطيفاً بعباده المؤمنين، خبيراً بأفعال عباده: خيرها و شرها، صالحها و فاسدها، و حسنها و قبيحها . . .

٣٥ـ (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات

والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً)

« ان المسلمين » : الذين نطقوا بالشهادتين اللتين هما بمنزلة جناحى السلم الذى يرتقى به المرء إلى منازل الشريعة وكرامات الدين ، وهما المدخل الذى يدخل منه فى دين الله تعالى وانقادوا للدين بحسب العمل وظاهر الجوارح... « والمسلمات » كذلك قال الله تعالى: « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا و لما يدخل الايمان فى قلوبكم » الحجرات : ١٤) .

و قوله تعالى : « والمؤمنين والمؤمنات » : الذين آمنوا بالله تعالى و رسوله ﷺ و باليوم الاخر و صدّقوا بالقلب من غير ريب و أذعنوا بالباطن بلا تردد والتزموا بصالح الاعمال وترك المعاصى . . . و ان الايمان بمنزلة درجات السلم لابد للمرءِ أن يبدو بباطنه فى عروجه إلى الكمال والسعادة فاذا اجتمع الاقرار باللسان والاعتقاد القلبى والالتزام بالعمل فلابد من الحركة النفسية والعملية والقولية إليه .

قال الله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم و أنفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون » الحجرات: ١٥) .

وقال: « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً و على ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم و مغفرة و رزق كريم » الانفال : ٢ ـ ٤) « والمؤمنات » كذلك .

و قوله تعالى : « والقانتين والقانتات » : الذين يواظبون ما التزموا به من الائتمار بما امروا به ، والانتهاء عما نهوا عنه ، و يداومون الطاعات و صالح الاعمال فى هدوءٍ و طمأنينة ، من غير توان و لا تسامح و لا تساهل . ان القنوت

هو إستجابة القلب و تقلبه لهذا الايمان الذى إستقرفيه و اطمأن به ، و هو أول حركة إلى مدارج الكمال بعد الاظهار والاعتقاد .

قال الله تعالى : « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً و قائماً يحذر الاخرة و يرجوا رحمة ربه » الزمر: ٩) « والمؤمنات » كذلك

قال الله تعالى : « و من يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين » الاحزاب : ٣١)

و قال: « يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين » آل عمران:٤٣)

و قوله تعالى : « و الصادقين و الصادقات » : و الذين صدقوا فيما عاهدوا الله تعالى عليه و صدقوا فى أقوالهم وأعمالهم ، وفيما يلتزمون أنفسهم به .

قال الله تعالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً » الاحزاب : ٢٣)

و قال : « و الذين آمنوا بالله و رسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم » الحديد : ١٩)

و قال : « و الموفون بعهدهم إذا عاهدوا ـ اولئك الذين صدقوا و اولئك هم المتقون » البقرة : ١٧٧) «والصادقات » كذلك .

و قوله تعالى : « و الصابرين و الصابرات » : الذين صبروا فى سبيل الهدى و طريق النجاة والثبات على دينه ، صبروا على الطاعات و تحمل المشاق فى أداء العبادات و ترك الشهوات ، صبروا على المصائب و المكاره و الشدائد ، وصبروا فى البأساء و الضراء و حين البأس .

قال الله تعالى : « و لنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال و الانفس و الثمرات و بشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ـ و الصابرين فى البأساء والضراء و حين البأس » البقرة : ١٥٥ـ١٧٧)

و قال : « و أطيعوا الله و رسوله و لاتنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم و

اصبروا ان الله مع الصابرين » الانفال : ٤٦)

و قال :« و الذين هاجروا فى الله من بعد ماظلموا لنبؤنهم فى الدنيا حسنة ولاجر الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا و على ربهم يتوكلون ـ ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم » النحل : ٤١ ـ ١١٠)

و قال : « الذين إذا ذكر الله و جلت قلوبهم و الصابرين على ما أصابهم و المقيمى الصلاة و مما رزقناهم ينفقون » الحج : ٣٥) « و الصابرات » كذلك .

و قوله تعالى : « و الخاشعين والخاشعات » و الذين تخشع قلوبهم لله جل و علا و جلاً منه و من عقابه ، و يظهر آثار الخشوع فى أنفسهم و أقوالهم و أعمالهم . . . فان الخشوع هو السكون و الطمأنينة و التؤدة و الوقار و التذلل الباطنى و الحامل عليه الخوف من الله تعالى و مراقبته فى أنفسهم و أقوالهم و أعمالهم . . . و من آثار الخشوع :هو الخضوع وهو التذلل الظاهرى بالجوارح ... فلا بد لكل مؤمن من الخشوع فى نفسه و قوله و عمله .

قال الله تعالـى : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعـون » المؤمنون : ١ ـ ٢)

و قال : « قل آمنوا به أولاتؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرّون للاذقان سجداً و يقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً و يخرون للاذقان يبكون و يزيدهم خشوعاً » الاسراء : ١٠٧ ـ ١٠٩)

و قال : « ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق و لايكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم و كثير منهم فاسقون » الحديد : ١٦) « والخاشعات » كذلك .

وقوله تعالى : « والمتصدقين والمتصدقات » : الذين يؤدّون حقوق الله تعالى فى أموالهم فرضاً و نفلاً . و التصدق هو : إنفاق المال فى سبيل الله جل و

إعلاء كلمته، و في وجوه البر من دفع حوائج المحتاجين والاحسان والتعاون الاجتماعي و من التصدق : الزكاة الواجبة .

قال الله تعالى : « و أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » المنافقين:١٠).

وقال: «فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين» يوسف:٨٨) .

و قال : « و ان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة و أن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » البقرة : ٢٨٠) « والمتصدقات » كذلك .

وقوله تعالى:«والصائمين والصائمات»:والذين يصومون شهر رمضان الذي فرض الله تعالى الصوم على عباده لما فيه من الفوائد الاجتماعية والاخلاقية والنفسية والجسمية .

من المساواة بين الملوك والسوقة ، بين الابيض والاسود ، بين الذكر والانثى، بين العالم والجاهل ، و بين الفقراء والاغنياء . . . في أصل الحكم و وحدته ، يصومون من وقت معين ، ويفطرون في وقت معين ، و يجتنبون عن عشرة امور . . . و ذلك يدعوهم إلى وحدة الامة .

ولما في الصوم من تعليم الامة نظاماً في المعيشة ، ومن تربية قوة الارادة والعزيمة على ضبط النفس في ترك الشهوات المحرمة ، ولما فيه من تربية الروح وتزكية النفس ، من تكامل الروح وتطهير النفس ، ومن تهذيب الروح وقمع النفس عن الانقياد إلى بواعث الشهوات ، و كبح جماح قوتي الشهوة والغضب اللتين هما أصل كل جريمة والسبب في هتك كل حرمة ، ولما فيه من الشفقة والرحمة الداعيتين إلى البذل والاحسان والانفاق عند الجوع إذا يتذكر من لايجد قوتاً من الفقراء واليتامى والمساكين ، فيرق قلبه لهم ويشفق عليهم ، فيرق على الضعيف ويرحم الجائع إذ بالصوم يمس الغني الجوع والعطش . . .

ولما في الصوم من تكافل للامة وشعور بالاخوة الدينية والمواساة بين إخوان المؤمنين، ولما فيه من ابتلاء إخلاص الخلق، ولما فيه من الخير والفلاح وتغذية الايمان بالتقوى وتقويته بمراقبة الله تعالى ولما فيه من صحة الجسم . . .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ـ و أن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم فليصمه ـ و لتكبروا الله على ماهداكم و لعلكم تشكرون » البقرة : ١٨٣ ـ ١٨٥) « والصائمات » كذلك .

و قوله تعالى : « والحافظين فروجهم » والذين يحفظون فروجهم عن المحارم والآثام كلها إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم . . .

قال الله تعالى: « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون » النور : ٣٠) .

و قال : « والذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون » المعارج : ٢٩ ـ ٣١) .

و أما النساء فلابداهن من أن يحفظن جميع أعضائهن عن المحارم والآثام كما يجب عليهن أن يحفظن فروجهن عما لا يحل .

قال الله تعالى : « و قل للمؤمنين يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن و لا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها و ليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلاّ لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير اولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء و لا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » النور : ٣١) .

و قوله تعالى : « والذاكرين الله كثيراً » والذين يذكرون الله تعالى قياماً و قعوداً و على جنوبهم بقلوبهم و ألسنتهم وجوارحهم ذكراً كثيراً ، و هم الذين تطمئن قلوبهم بذكر الله جل و علا ، و تملأ باستحضار جلاله و عظمته ،

وعلمه وحكمته ، وقدرته وعزته ، وكل مالله تعالى من صفات الكمال والجلال ...
و بهذا الذكر يكون المؤمن دائماً في انس من ربه ، و قرب من جلاله وعظمته
فلا يعمل عملاً ، ولا يتكلم بكلام و لا يتفكر في أمر ، و لا ينظر إلى شيء . . .
إلاّ تحت هذا الشعور والمراقب لله تعالى والخائف من عقابه، والراجي رحمته .

قال الله تعالى : « الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله
تطمئن القلوب » الرعد : ٢٨) .

و قال : « الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً وعلى جنوبهم و يتفكرون في
خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار »
آل عمران : ١٩١) .

و قال : « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً و قائماً يحذر الاخرة ويرجوا
رحمة ربه ـ ثم تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله » الزمر : ٩ ـ ٢٣) .

و قال : « رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله و إقام الصلاة وايتاء
الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار » النور : ٣٧) .

و أما النساء فيذكرن الله تعالى في بيوتهن ، و ليس لهن ذكر كالرجال
لوقوفهن في البيوت و إستقرارهن فيها .

قال الله تعالى : « و قرن في بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ـ
و اذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » الاحزاب : ٣٣ ـ ٣٤) .

فاذا تحقق للمرء سلّم الكمال بالاسلام والايمان فلابدله في عروجه إلى
الكمال من حركة نفسية و قولية وجسمية و مالية اشير إليها في هذه الاية بثمان
صفات ، و تلك الصفات كلها بناء متكامل يقوم بعضه على بعض و يستند التالي
منه إلى السابق بمعنى ان هذا الترتيب الذي جائت عليه أمر لازم لكي يتألف
منها هذا النغم المتساوق الذي يقيم في كيان الانسان ايماناً صحيحاً مثمراً، فليست
هذه الصفات بمعزل عن بعضها ، و إنما الصفات كلها صفة واحدة مجملة ، مع

كونها صفات عشر مفصلة ، و هي في إجمالها و تفصيلها على سواء كما أن الصفات الثمان لازمة في بناء الايمان السوى في كيان المؤمن تماماً كبناء الجسد كل عضو فيه ـ و إن قلّ شأنه ـ ضرورى لهذا الجسد ، وفي فقده نقص و عيب ، بل لا أثر لواحدة من تلك الصفات دون اخرى أثراً صحيحاً مثمراً لا في النفس ، و لا في المجتمع البشرى .

و قوله تعالى : « أعد الله لهم مغفرة و أجراً عظيما » : هيّأ الله تعالى لهؤلاء المتصفين بتلك الصفات العشر جميعها من الذكر والانثى مغفرة يغفر لذنوبهم الصغائر لايخلو غير المعصوم عنها، ولهم أجراً عظيماً لايقدرقدره ولايعرف كنهه.

٣٦ ـ (و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)

وليس لاحد من المؤمنين والمؤمنات إذا قضى الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم أمراً أن ينازعوا فيه أو يتوقفوا في الائتمار به أو يجعلوا لانفسهم فيه إختياراً فيكون لهم الخيرة في الفعل والترك من أمرهم الذى أمرهم الله تعالى و رسوله به ، فليس لهم إختيار عند قضاء الله تعالى و حكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فان قضاء الله جل و علا هو المتبع و حكم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الحق .

و من يعص الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في أمر من الامور المقضية عند الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويعمل فيه برأيه وخالف حكم الله جل وعلا فقد ضلّ عن طريق الحق ضلالاً مبيناً: بيّن الانحراف عن سنن الحق والصواب، وقد جار عن قصد السبيل وسلك غير سبيل الهدى والرشاد، ولان المقصد هو الله تعالى والهادى هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم فمن ترك المقصد و خالف الدليل فقد ضلّ ضلالاً لا يرعوى بعده .

قال الله تعالى: « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » النور : ٦٣) .

و قال : « وَ من يعص الله و رسوله و يتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها

و له عذاب مهين » النساء : ١٤) .

٣٧ - (و اذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله و تخفي في نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً و كان أمرالله مفعولاً)

و اذكر يا محمد ﷺ حين تقول لزيد بن حارثة الذى أنعم الله تعالى عليه بالهداية إلى الايمان الذى هو أجل النعم و تحبيبه إلى النبي الكريم ﷺ و بتوفيق الاسباب حتى تبنّاه رسول الله ﷺ و أنعمت عليه بالاعتاق و أنواع التربية والاختصاص: أمسك يازيد عليك زوجك وهى زينب بنت جحش و احبسها و لا تطلقها ، و تقول له : اتق الله جل وعلا فى مفارقتها ومضارتها إذ وقعت بينهما مشاجرة ، فكان النبي ﷺ يعظ زيداً .

و كنت تخفى فى نفسك تزويج زينب ، الله تعالى مظهره لتكون اسوة لمن تبعك ، و كنت تخشى مقالة الناس فى إظهار ما تخفيه بان لو أظهرته لعابك المنافقون و مرضى القلوب و يطعنون فيك فكان له أثر سيّىء فى عامة الناس . والله أولى أن تخشاه .

و قوله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » الخ : فلما قضى زيد من زينب حاجته من نكاحها، فطلقها و انقضت عدتها من غير أن يكون فى قلبه ميل إليها ، و لا رغبة فيها و لا وحشة من فراقها أذنالك فى تزويجها ، وإنما فعلنا ذلك توسعة على المؤمنين حتى لا يكون عليهم إثم فى أن يتزوجوا أزواج أدعيائهم الذين تبنوهم إذا قضى الادعياء منهن حاجتهم و فارقوهن ، ولا يكون ذلك نزولاً منهم لهم عنهن .

ان الله تعالى زوّج النبي الكريم ﷺ بزينب نفياً للحرج عن المؤمنين فى مثل هذه القضية فان عمله ﷺ حجة كقوله ﷺ فى الاسلام .

و قوله تعالى : « و كان أمرالله مفعولاً » : وكان ما قضىالله تعالى فىزينب بأن يتزوجها النبى ﷺ ماضياً مكوّناً لا محالة .

۳۸ـ (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل و كان أمرالله قدراً مقدوراً)

ما كان على النبى الكريم ﷺ من منع يمنعه من إمتثال ما أوجب الله تعالى من نكاح إمرأة من تبناه بعدفراق زوجها عنها لبطل بذلك حكم الجاهلية فى الادعياء وهذه سنة من سنن الله تعالى فى أنبيائه السابقين الذين ارسلوا إلى الناس لابطال الآداب الجاهلية ، و دعوتهم إلى الواقع ومايقتضيه الفطرة البشرية ، و كان أمرالله تعالى الذى ينزله على أنبيائه قدراً مقدوراً عنده جل و علا لابد من الائتمار به .

قال الله تعالى: « كتاب انزل إليك فلايكن فىصدرك حرج منه لتنذر به » الاعراف : ۲) .

و قال : « سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا و لا تجد لسنتنا تحويلاً » الاسراء : ۷۷) .

و قال : « يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم و يتوب عليكم والله عليم حكيم » النساء : ۲۶) .

۳۹ـ (الذين يبلغون رسالات الله و يخشونه و لا يخشون أحداً الا الله و كفى بالله حسيباً)

اولئك الانبياء الذين خلوا من قبل محمد ﷺ هم الذين كانوا يبلغون رسالات الله تعالى كما بلّغهم الله إياها على وجهها قولاً و عملاً إلى من ارسلوا إليهم من الامم ، و لا يكتمونها من غير إلتفات إلى أحد ، ولا نظر إلى ما يكون من سفهاء الناس و جهالهم إزاء تلك الرسالات المبلغة إليهم من إستجابة لها أو إعراض عنها أو إعتراض عليها ، و إنما همهم كله هو إبلاغ الرسالات والائتمار

بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه .

و يخافون الله تعالى فى كل ما يأتون و يذرون و لا سيما فى أمر تبليغ الرسالة حتى لا يخرمون منها حرفاً ، ولا يخافون أحداً إلا الله تعالى فيما يتعلق بالأداء والتبليغ فأنت يا محمد ﷺ خاتم الانبياء لابد لك من إستمرار سنة الانبياء الماضين، والائتمار بما امرت به ، و إن اعترض عليك المنافقون ومرضى القلوب من سفهاء الناس ، و كفاك يا محمد بالله جل وعلا حافظاً وناصراً ومعيناً فى مهمتك و محاسباً لاعمال خلقه و جزائهم عليها .

ان الاية الكريمة فى معنى قوله تعالى : « أن قد أبلغوا رسالات ربهم و أحاط بما لديهم و أحصى كل شيء عدداً » الجن : ٢٨) و فى قوله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك- والله يعصمك من الناس- ماعلى الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون و ما تكتمون » المائدة : ٦٧ - ٩٩) .

٤٠ - (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليماً)

ما كان أيها الناس محمد ﷺ أبا زيد بن حارثة ، فلايحرم عليه التزوج بزوجته زينب ، و لا أبا أحد نسباً من رجالكم الموجودين فى زمن الخطاب ، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها ولكنه ﷺ كان رسول الله و خاتم النبيين وآخرهم الذى ختم به النبوة ، فطبع عليها ، فلا تفتح لاحد بعد إلى قيام الساعة ، فلا يترك ما امر به بمقالة السفهاء و إعتراض الجهال . . . وكان الله تعالى بكل شيء من أعمالكم وأقوالكم ومافى صدوركم عليماً لايخفى عليه منها شيء .

٤١ - (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)

يا أيها الذين آمنوا بالله جل وعلا و رسوله ﷺ و باليوم الآخر اذكروا الله تعالى بقلوبكم و ألسنتكم و جوارحكم ذكراً كثيراً بحيث لا تخلوا من الذكر فى حال من أحوال طاقتكم ذلك قياماً و قعوداً و على جنوبكم ، ليلاً و

نهاراً ، في البحر والبر ، سفراً و حضراً ، غنياً و فقيراً ، سقيماً و صحيحاً ، و في السر والعلانية ، و على كل حال يغلب الاوقات ، و يعمّ الانواع بما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد .

قال الله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار » آل عمران : ۱۹۱) .

و قال : « و اذكر ربك في نفسك تضرّعاً و خيفة و دون الجهر من القول بالغدو والآصال و لا تكن من الغافلين » الاعراف : ۲۰۵) .

و قال : « رجال لاتلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار » النور : ۳۷) .

و قال : « و ابتغوا من فضل الله و اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » الجمعة : ۱۰) .

۴۲ - (و سبحوه بكرة و أصيلاً)

و سبّحوا الله جل و علا أيها المؤمنون صباحاً و مساءاً ، و نزّهوه تعالى عن كل ما لايليق بساحة قدسه من صفات العجز والنقص في أول النهار وآخره ، و مجّدوه قبل طلوع الشمس و عند غروبها ، و كبّروه بالغدوة والعشي .

قال الله تعالى : « لتؤمنوا بالله و رسوله و تعزّروه و توقّروه و تسبحوه بكرة و أصيلاً » الفتح : ۹) وقال : « فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون » الروم : ۱۷) .

وقال: « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » طه : ۱۳۰) .

و قال : « و اذكر ربك كثيراً و سبح بالعشي والابكار » آل عمران : ۴۱) .

۴۳ - (هو الذى يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور و كان بالمؤمنين رحيماً)

إن ذكرتم الله تعالى ذكراً كثيراً وسبحتموه حين تمسون وحين تصبحون فاعلموا ان الله تعالى هو الذى يذكركم بالعناية والمغفرة والرحمة .

قال الله تعالى : « فاذكروني أذكركم ـ اولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و اولئك هم المهتدون » البقرة : ١٥٢ ـ ١٥٧) .

ويذكركم ملائكة الله تعالى بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم وصلاح أمركم و ظهور شرفكم و دعائهم لكم .

قال الله تعالى : « و يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة و علماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ـ وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته و ذلك هو الفوز العظيم » غافر: ٧ ـ ٩)

كل ذلك ليخرجكم من ظلمات الجهل و الكفر إلى نور المعرفة والايمان ، من ظلمات الضلالة و الباطل والطغيان إلى نور الهدى والحق والطاعة ، ومن طريق الحيرة و الخسران إلى سواء السبيل و النجاة . . .

و كان الله تعالى بالمؤمنين فقط رحيماً لاختصاص هذه الرحمة بمن تلبس بالايمان . نظير قوله تعالى : « هو الذى ينزّل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور و ان الله بكم لرؤف رحيم » الحديد : ٩)

و قوله : « فاتقوا الله يا اولى الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً » الطلاق : ١٠ ـ ١١)

و قال : « و رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة و الذين هم بآياتنا يؤمنون » الاعراف : ١٥٦)

٤٤ـ (تحيتهم يوم يلقونه سلام و أعدلهم أجراً كريماً)

تحية المؤمنين يوم القيامة يلقون هذا اليوم لامحالة : سلام تلقاهم الملائكة

من الله تعالى لقاء كريماً بهذه البشرى المسعدة لهم حيث يلقونهم بهذه التحية : سلام عليكم و هيّأالله تعالى لهؤلاءِ المؤمنين أجراً كريماًفي الاخرة على طاعتهم و صالح عملهم في الحياة الدنيا .

قال الله تعالى : « و سيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤها و فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» الزمر:٧٣)

و قال : « الذين يوفون بعهدالله و لاينقضون الميثاق ـ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » الرعد : ٢٠ ـ ٢٤)

و قال : « و ادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام » إبراهيم : ٢٣)

٤٥ـ (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً)

يا أيها النبي إنا أرسلناك إلى كافة الناس شاهداً على من بعثت إليهم بتصديقهم و تكذيبهم و إهتداءهم و ضلالتهم ، شاهداً عليهم فيما يفعلونه من طاعة و معصية ، و من صلاح و فساد ومن خيرو شر، فليعملوا بما يحسن هذه الشهادة التي لاتكذب و لاتزور ولاتبدل ولاتغير، شاهداً عليهم بتبليغ الرسالة السماوية إليهم و على سائرالامم بتبليغ الانبياءِ رسالاتهم إلى اممهم ، و شاهداً عليهم في الحياة الدنيا و في الاخرة .

قال الله تعالى : « و ما أرسلناك إلاّ كافة للناس » سبأ : ٢٨)

و قال : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه و توقّروه » الفتح : ٨ ـ ٩)

و قال : « إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم » المزمل : ١٥)

و قال : « ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس » الحج : ٧٨)

و قال : «فكيف إذاجئنا من كل امة بشهيد وجئنابك على هؤلاءِ شهيداً»

النساء : ٤١)

و قوله تعالى : « و مبشراً و نذيراً » : مبشراً بالجنة و الاجر الكريم لمن آمن و أطاع الله و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، مبشراً بما ينتظر العاملين من رحمة وغفران و فضل و تكريم . . . و نذيراً بالنار و العذاب الاليم لمن كفر و عصى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، نذيراً على الغافلين بما ينتظر المسيئين من عذاب و نكال و ذلة وهوان، فلا يؤخذوا على غرّة و لايعذّبوا إلاّ بعد إنذار .

قال الله تعالى : « الحمدلله الذىأنزل علىعبده الكتاب ولم يجعل لهعوجاً قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه و يبشّرالمؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراًحسناًماكثين فيهأبداً و ينذر الذينقالوا اتخذ الله ولداً»الكهف:١ـ٤)

و قال : « إن هو إلاّ نذيرلكم بين يدى عذاب شديد » سبأ : ٤٦)

و قال : « إنا أنذرناكم عذاباً قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت تراباً» النباء : ٤٠)

و قال : « و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » الاسراء : ١٥)

و قال : «ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم و آمنتم » النساء : ١٤٧)

٤٦ـ (و داعياً الى الله باذنه و سراجاً منيراً)

و ارسلناكأيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى كافة الناسداعياً لهم إلى الله تعالى وإفراد الالوهية له و إخلاص الطاعة لوجهه دون من سواه ، داعياً إلى الله جل و علافى طريق واحد يصل إلى معرفةالله سبحانه و حقائقالكون و أسرار الوجود ،داعياً إلى شريعة الله تعالى و إلى إمتثال أوامره و نواهيه ، و داعياً إلىسعادة الدارين و إلى ما فيه حياة لهم و إلى طريق النجاة وسبيل الجنة . . . لا إلى دنياً ومتاعها و لا إلى عزة قومية و لا إلى عصبية جاهلية ، ولا إلى مغنم وسلطان ولاإلىجاه و مقام ، ولا إلى شهوة و فساد . . .

قال الله تعالى : «قل إنما امرت أن اعبدالله ولااشرك به إليه أدعوا وإليـه

مآب» الرعد : ٣٦)

وقال :«قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى» يوسف:١٠٨)

وقال : «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» النحل : ١٢٥)

وقال : «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» الانفال : ٢٤)

وقوله تعالى : «باذنه سراجاً منيراً» : باذن الله تعالى فما كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى دعوته بمبتدع ولا بمتطوع ، ولا بقائل من عنده شيئاً ، إنما هى باذن الله تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم وأمره ولا يتعدّاه بما يأذن الله جل وعلا له به وما يتلقى من لدن حكيم عليم . وصار نفس النبى صلى الله عليه وآله وسلم ووجوده بهذه الرسالة وتلقى الوحى مصباحاً يجلو الظلمات ، ويكشف الشبهات وكل باطل وضلال ويبين للناس طريق الحق والنجاة ويخرجهم من ظلمات الجهل والكفر والمعصية والفساد إلى نور المعرفة والايمان والطاعة والصلاح . . . ينير الطريق نوراً هادياً هادئاً كالسراج المنير فى ظلمات الليل.

قال الله تعالى : «وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا باذن الله» غافر: ٧٨)

وقال « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراءِ حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى باذنه مايشاء انه عليّ حكيم » الشورى : ٥١)

وقال : « وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » النمل : ٦)

وقال :«قل مايكون لى أن ابدله من تلقاءِ نفسى إن أتبع إلاّ مايوحى إلىّ» يونس : ١٥)

و قال : «لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » إبراهيم : ١)

٤٧-(وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً)

وبشّر أيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وباليوم الاخر ، و التزموا بلوازم الايمان **بأن لهم فى الاخرة من الله جل و علا فضلاً كبيراً .**

قال الله تعالى : « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم و يزيدهم من فضله » النساء: ١٧٣)

و قال : « و الذين آمنوا و عملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا و عملوا الصالحات » الشورى : ٢٢ ـ ٢٣) .

٤٨ـ (و لا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم و توكل على الله وكفى بالله وكيلاً)

و لاتطع أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكافرين و المنافقين فيما يخالف شريعتك من ترك التعرض لاصنامهم ، و من ترك تبليغ رسالتك و ما امرت به من الاحكام ... و اترك أذاهم إياك و لاتحفل به ، وأعرض عنهم ، واتبع ما يوحى إليك ، وتوكل على الله تعالى في جميع شئون رسالتك و تبليغها ، فانه أرسلك إلى الناس و يكفيكهم ، فان جميعهم في سلطانه بمنزلة ماهو في قبضة عبد ، و كفاك الله وكيلاً تتكل عليه في الاحوال كلها . . .

قال الله تعالى : « و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه » الكهف : ٢٨)

و قال : «وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله» الانعام: ١١٦)

و قال : « فاصدع بماتؤمر و أعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين» الحجر: ٩٤ ـ ٩٥)

و قال : « إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك و لا تطع منهم آثماً أو كفوراً » الانسان : ٢٣ ـ ٢٤)

و قال : « فلذلك فادع و استقم كما امرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب و امرت لاعدل بينكم » الشورى : ١٥)

و قال : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا واوذوا حتى

أتاهم نصرنا ـ اتبع ما اوحى إليك من ربك لاإله إلاّ هو و أعرض عن المشركين ـ فذرهم و مايفترون » الانعام : ٣٤ـ١١٢)

و قال : « فتوكل على الله انك على الحق المبين » النمل : ٧٩)

٤٩ـ (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن و سرحوهن سراحاً جميلاً)

ياأيها الذين آمنوا إذا عقدتم المؤمنات للنكاح ـ وسمي العقد نكاحاً لملابسته له من حيث انه طريق إليه ـ ثم طلقتموهن من قبل أن تجامعوهن ، فليس لكم أيها المؤمنون على المؤمنات من عدة للطلاق من إحصاءِ أقراءٍ ولا أشهر تحصونها عليهن ، فأعطوهن مايستمتعن به من عرض أوعين مال إذلم تسموالهن صداقاً ، و خلوا سبيلهن بعد الطلاق وأخرجوهن من بيوتكم إخراجاً مشتملاً على ليّن الكلام خالياً من الأذى و المضارة .

قال الله تعالى : « لاجناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أوتفرضوا لهن فريضة و متعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين » البقرة : ٢٣٦)

ان الله تعالى أسقط العدة عن المطلقة قبل الدخول لبراء رحمها ، فان شائت تزوجت من يومها ، وجعل متعة للمطلقة التي لم يسم لها صداقاً ، وإلاّ فلها نصف المسمى .

قال الله تعالى : « و إن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن و قدفرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم » البقرة : ٢٣٧)

٥٠ـ (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت اجورهن وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك و بنات عمك و بنات عماتك و بنات خالك و بنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن

يستنكحهاخالصة لك من دون المؤمنين قدعلمنا مافرضنا عليهم فيأزواجهم و ماملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج و كان الله غفوراً رحيماً)

يا أيها النبي ﷺ إنا أحللنالك أزواجك اللاتي تزوجتهن بصداق مسمى و أعطيتهن مهورهن ، وأحللنالك إمائك اللاتي ملكتهن بالسبي والسرية وصرن لك بفتح الله تعالى عليك من الغنائم و الانفال ، و أحللنالك بنات عمك و بنات عماتك من نساء قريش ، و بنات خالك وبنات خالاتك من نساء بني زهرة اللاتي هاجرن معك إلى المدينة دون اللاتي لم يهاجرن منهن معك . وأحللنالك إمرأة مؤمنة إن بذلت نفسها للنبي بغير صداق إن أراد النبي أن يستنكحها وقبل بذلها حلت خالصة لك أيها النبي من دون المؤمنين من امتك إلى يوم القيامة ، فان هذا من خصائص النبي ﷺ في النكاح ، فليس لامرأة مؤمنة أن تبذل نفسها لغير النبي ﷺ .

قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين من المهر في حق أزواجهم ، وحصرهن بعدد محصور بأن لايزيدوا على أربع نسوة بالزواج ، و ما أحللنالهم من الاماء اللاتي ملكت أيمانهم بالشراء و غيره .

أحللنالك أيها النبي ﷺ هولاءِ الاصناف السبعة من النساء لكيلا يكون عليك ضيق ومشقة في نكاح ما نكحت منهن اللواتي أبحت لك نكاحهن من المسميات في هذه الاية . وكان الله تعالى غفوراً يغفر لك ولامتك المؤمنين ، رحيماً يرحم بك في رفع الحرج عنك وبمن اتبعك بالتوسعة والتيسير عليهم .

٥١ـ (ترجي من تشاء منهن و تؤوي اليك من تشاء و من ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن و لايحزن و يرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليماً حليماً)

تؤخر من تشاء من النساء بأن تترك نكاحها أوتطلقها أوتترك مضاجعها و قسمها و تضمّ إليك من تشاء ضمها وتقريبها منهن بالنكاح وإبقائها فيه وقسمها و

مضاجعها ، و من طلبت نكاحها أوقسمها ممن تركت نكاحها أوطلقتهـا أوتركت القسمة لهافلا إثم ولالوم ولاعتاب ولاضيق عليك فـي شيء مـن الامـور الثلاثـة فان الاختيار في أمرهن بيدك .

قوله تعالى: «ذلك أدنى . . .» : ذلك تفويض الامر إلى مشيئتك وإختيارك في أمرهن أقرب إلى أن تقرّ أعينهن وتسرّ قلوبهن بمعاملتهن معهن ، ولايحزن بترجيح بعضهن على بعض ، و يرضين بما آتيتهن كلهن من النفقة و القسمة و المضاجعة ، وتطييب نفوسهن به ليعلمهن بأن جميع معاملتك معهن لحكم الله تعالى و إرادته ، فان سوّيت بينهن فبفضلك ، و إن رجّحت بعضهن فبطاعتك لله تعالى لابهوى نفسك .

والله تعالى يعلم ما في صدوركم من الحب والبغض ، ومن الرضا والسخط، و كان الله عليماً بكل ما تبدونه أوتخفونه حليماً غير عجول في العقوبة فلاتغترّوا بتأخيرها .

٥٢- (لا يحل لك النساء من بعد ولاأن تبدل بهن من أزواج ولوأعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً)

لايحل لك أيها النبي ﷺ أن تنكح النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك من الاصناف السبعة التي سبق ذكـرها ، ولايحل لك أن تتبدل لهن من أزواج بان تطلقهن أو بعضهن و تنكح بدل من طلقت ، ولو أعجبك حسن سواهن إلاّ ما ملكت يمينك من الاماء فانه يحل لك التسري بهن ، وكان الله على كل شيء ما أحل الله لك و ما حرّم عليك وغير ذلك من الاشياء كلها حفيظاً راقباً لايعزب عنه علم شيء من أحوال خلقه ومصالح عباده ، ولا سبيل للذهول والغفلة في الله جل وعلا .

٥٣- (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه و لكن اذادعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي

من الحق واذاسئلتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً)

يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي ﷺ و حجراته في حال من الاحوال إلاّ أن يعلن لكم ويدعوكم إلى طعام تأكلونه ، حالكونكم غير منتظرين نضج الطعام بان لاتدخلوا قبل نضج الطعام فيطول لبثكم في البيوت حتى حان وقت النضج ، ولكن إذا دعاكم رسول الله ﷺ إلى الطعام ، وأذن لكم في الدخول، فادخلوا بيوت النبي ﷺ التي أذن لكم بدخولها حفظاً لحرمة النبي ﷺ و طاعته و إلاّ فنفس الدعوة لا تكون إذناً كافياً في الدخول ، فاذا أكلتم الطعام الذي دعيتم لاكله ، فانتشروا و تفرّقوا و اخرجوا من بيوته ﷺ من دون مكث و وقوف بعد أكل الطعام ، و لا مستحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام ايناساً من بعضكم لبعض به ، فيطول وقوفكم في بيوته .

وقوله تعالى : « انذلكم كان يؤذي النبي . . . » : ان الاستيناس بعدالاكل المستلزم لا طالة الجلوس في بيوت النبي ﷺ كان يؤذي النبي ﷺ ويؤلم قلبه الشريف لتضييق المنزل عليه ﷺ و على أهله ، و إشتغاله فيما لا يعنيه ، فيستحيي النبي ﷺ منكم وينفعل أن يقول لكم : قوموا و أخرجوا وتفرّقوا ، ولكن الله تعالى لايستحيي من بيان الحق ، فلايترك تأديبكم ، فيأمركم بالخروج من منزل نبيه ﷺ بعد أكل الطعام ، و ينهاكم عن الاستيناس وإطالة الجلوس عنده ﷺ الموجب لايذاءه .

وقوله تعالى : « وإذا سئلتموهن متاعاً فاسئلوهن من وراءِ حجاب . . . » : وإذاطلبتم أيها المؤمنون من نساءِ النبي ﷺ متاعاً مما يتمتع به من الماعون و ما يحتاج إليه فاسئلوهن ذلك المتاع من وراءِ الحجاب و خلف الستر ، هذا السئوال من وراءِ الحجاب أطهر لقلوبكم من الخطورات النفسانية والهواجس

الشيطانية ، و أطهر لقلوبهن ، فان الرجل والمرأة إذا لم يـر أحدهما الآخر لم يقع في قلبه شيء بخلاف ما إذا راى ، فانه لايؤمن أحد من نفسه من الخواطر السيئة التي تعرض للرجال في أمر النساء ، و للنساء في أمر الرجال .

و قوله تعالى : « و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله . . . » : وماكان يصح و لا يجوز لكم أيها المؤمنون أن تؤذوا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بالتعرض لازواجه في حياته ولا أن تنكحوا و تتزوجوا أزواجه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم اللاتي هن بمنزلة امهاتكم في حرمة النكاح من بعد رحلته صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أبداً إلى حياة الازواج ، لان ايذاء النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في حياته والتزويج بأزواج النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من بعده كان عندالله جل و علا ذنباً عظيماً و إثماً كبيراً لن يغفر .

۵۴ ـ (ان تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليماً)

إن تظهروا بألسنتكم شيئاً من مراقبة النساء وقصد نكاحهن في حياة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أو بعد رحلته وغير ذلك مما نهاكم الله تعالى عنه أو تخفوه في صدوركم و تسرّوه في أنفسكم فان الله تعالى كان بكل شيء من ايذاء النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم حياً و ميتاً عليماً يجازيكم عليه .

۵۵ ـ (لا جناح عليهن في آبائهن و لا أبنائهن و لا اخوانهن و لا أبناء اخوانهن و لا أبناء أخواتهن و لا نسائهن و لا ماملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيداً)

لا إثم ولا حرج على أزواج رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في ترك الحجاب لآبائهن ، فلا يجب عليهن الحجاب لآبائهن ولا لأبنائهن ولا لاخوانهن ولا لابناء إخوانهن ، و لا لابناء أخواتهن ، ولا لنساء المؤمنات دون الكوافر على أن غير المؤمنات داخلات في النهي ، ولا لما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء ، و خفن الله تعالى أيها النساء أن تتعدين ما حدّ الله جل و علا لكنّ ، فتبدين من زينتكن ماليس لكنّ أن تبدينه أو تتركن الحجاب الذي أمركن الله جل و علا بلزومه إلاّ

فيما أباح لكنّ تركه و ألزمن طاعته ، ان الله كان على كل شيء شهيداً لايغيب عنه شيء .

٥٦ - (ان الله و ملائكته يصلـون على النبى يا أيها الذين آمنـوا صلوا عليه و سلموا تسليماً)

ان الله جل وعلا ينعطف على رسوله الخاتم محمد المصطفى ﷺ بالرحمة والرضوان والكرامة والغفران ، و ينعطف ملائكته على النبى الكريم ﷺ بنزول الرحمة عليه والاستغفار له ﷺ وبالثناء والتعظيم وتعلية مقامه وتشريفه بمزيد كرامته . . . ياأيها الذين آمنوا ادعوا لنبيكم الاعظم ﷺ بأزكى الدعاء و أجمل الثناء و انقادوا لأوامره و ابذلوا الجهد فى طاعته ، و فى جميع ما يأمركم به و ما ينهاكم عنه و حيّوه بأحسن التحية و ثنّوه بأجمل الثناء .

٥٧ - (ان الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة و أعد لهم عذاباً مهيناً)

ان الذين يؤذون الله سبحانه من الكفار والمنافقين بالكفر والشرك والمعصية والفساد وإشاعة الفحشاء ، ويؤذون رسوله ﷺ بالتكذيب والمخالفة والاستهزاء أبعدهم الله تعالى من رحمته ، و من كل خير و برّ فى الحياة الدنيا ، فيذرهم فى طغيانهم يعمهون و فى كفرهم و نفاقهم و ضلالتهم يتردّدون ، و أبعدهم فى الدار الاخرة من الجنة و نعيمها ، و أعدّ لهم فى الاخرة عذاباً يهينهم فيه .

٥٨- (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً و اثما مبيناً)

ان المنافقين الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا من جناية ولا إستحقاق أذى ، فينسبون إليهم مالم يصدر عنهم بقصد أذيتهم، ويرمونهم بغير ماعملوا ، فقد احتمل هؤلاء المنافقون المؤذون كذباً وفرية يبهت السامع العاقل لفظاعته، وذنباً واضحاً بيناً لبراءة المؤمنين والمؤمنات من مفتريات المنافقين .

٥٩ - (يا أيها النبى قل لازواجك و بناتك و نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلا بيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين و كان الله غفوراً رحيماً)

ياأيها النبى قل لازواجك و بناتك ولكافة نساء المؤمنين أن يحمين أنفسهن من ألسنة السوء ومن مطمع الفساق والاراذل بان يدنين عليهن من ثيابهن و يرسلنها حتى تكسو أجسامهن إلى مواقع أقدامهن ،فيغطين وجوههن ورؤسهن حتى لايظهر منهن إلاّ عين تبصر بها بالملأة التى تشتمل بها المرأة فوق الثياب والخمار فتغطى بها جميع بدنها ، فيجب على النساء المومنات زياً خاصاً يميّزهن عن العواهر ، ويمنع عنهن أذى الفساق والأراذل . . .

قوله تعالى: « ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين» :هذا الستر الذى يتز يابه نساء النبى ﷺ وبناته ونساء المؤمنين هومعلم من معالم المرأة الحرة العفيفة التى لامطمع لاحدفيها ،فلايقعن معرضة لتعرض الفساق كالمكشفات والعواهر... وهذا الزّىّ أقرب إلى أن يعرفن بالستر والصلاح ، فلا يتعرض لهن لان الاراذل إذاعرفوا امرأة بالستر والعفة والصلاح لم يتعرضوالها .

و قوله تعالى : « و كان الله غفوراً رحيماً » : يغفر لما سلف منهن من إخلال فى الحجاب والستر ، ويرحم بمن لم يتعدد حدود الله تعالى ولم يهتك الستر والعفة فلا يغفر لمن يهتك الحجاب ولايرحم بمن هتك ستر العفة .

٦٠- (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغر ينك بهم ثم لايجاورونك فيهاالا قليلاً)

اقسم بالله جل وعلا لئن لم ينته أهل النفاق الذين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان عن نفاقهم وذبذ بتهم ، وعن وساوسهم ودسائسهم ، ولم ينتهوا عن مخالفة أوامر الله تعالى ونواهيه ، وعن ايذاء النبى الكريم ﷺ وايذاء المؤمنين و المؤمنات، ولئن لم ينته الذين فى قلوبهم مرض الفساد فى الحرث والنسل،ومرض حب الشهوات ومراودة النساء وايذائهن بألسنتهم وحركاتهم ،وهم الذين يتبعون

النساء للريبة ويتعرضون لهن بالسوء ويغرّونهن على الفاحشة ، وهم الذين قصدوا با سلامهم سوءاً وإفساداً في الحرث والنسل ،ويشككون المسلمين .

ولئن لم ينته المرجفون الذين يثيرون الشائعات الكاذبة ، ويطلقون الأراجيف المصطنعة ، يشيعون الفاحشة عن ذلك، ولم ينتهوا عما يبثّون من وساوس ودسائس وعما يوقعونه من أذى وقلاقل بين الناس ، ليشغلوهم بها ويفسدوا عليهم حياتهم ، ويخوّفوهم و يلقوا في قلوبهم الرعب ، يلتمسوا الفتن والفساد . . .

و **قوله تعالى :** «لنغرينك بهم » : لنسلطنك يا محمد ﷺ على هؤلاء المنافقين ومرضى القلوب والمرجفين ،فتستأصلهم بالقتل أو تفعل بهم ما يضطرهم إلى الجلاء ، فتخرجهم من المدينة على أسوأ حال كما خرجت اليهود من قبلهم ، ثم لا يجاورونك في المدينة ولا يساكنون فيها إلاّ زمناً قليلاً ريثما يتأهبون ، فير تحلون بأنفسهم وعيالهم فتخلوا المدينة من هؤلاء الاراذل . . . إما بالقتل وإما بالاخراج .ان المنافقين وأذنابهم هم الذين يتخذون الطغاة والظالمين والاعداء أولياء يبتغون عندهم العزة ،ويساعدونهم على إذلال امتهم واستعبادها ويخونون مصالح بلادهم وأمنها بسبيل منافعهم أو احقادهم أوالاثنتين معاً .

وهم لا يبالون بما يقع على امتهم من مصائب ومظالم وبغي ونكبات . . .ولا يقيمون الاّ لمصالحهم الخاصة .

٦١ - (ملعونين أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا)

يخرجون - هؤلاء الاراذل والاوباش -من المدينة كاخوانهم اليهود العنيد منفيين منها ، مطرودين من المجتمع الاسلامي ، مبعدين عن رحمة الله تعالى في الحياة الدنيا إذ لا يجدون مأوى يؤون إليه ، ولا معتصماً يعتصمون به ، وفي الاخرة إذ لا شفيع و لا ناصر لهم و هم في النار خالدون ، و ملعونين بألسنة المؤمنين ، وهم الذين دينهم الدرهم والدينار ، وعملهم الغش والفساد وقولهم

الكذب والخداع ، وهم إذا قاموا على النفاق وأصرّوا على الارجاف والفتنة و الفساد ، فأينما وجدوا ولقوا وظفر بهم ووقعوا ليد النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين أخذوا وقتلوا تقتيلاً : قتلاً ذريعاً بدون هوادة وإستثناء وتسامح ولاتساهل فانهم حالكونهم على ذلك يصبحون فى عداد الاسرى فلادواء لهم إلا القتل لمحاربتهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم و فسادهم فى الارض ، وهم مهدور والدم كالمشركين و أذنابهم لسلامة المجتمع البشرى وطمأنينته ونمصلحة الاسلام والمسلمين .

قال الله تعالى : «واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أُخرجوكم والفتنة أشد من القتل ـ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلاّ على الظالمين» البقرة : ١٩١ـ١٩٣)

وقال : «قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير» : ٣٨ـ٣٩)

٦٢ـ (سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

سنّ الله تعالى فى المنافقين ومرضى القلوب والمرجفين الذين كانوا فى الامم السابقة من قبل منافقى هذه الامة الاسلامية ، ومرضى قلوبهم ومرجفيهم، سنته أن يقتلوا حيثما ثقفوا إذا قاموا على نفاقهم وأصرّوا على إرجافهم ، و استمروا على إفسادهم وفتنتهم ولم ينتهوا عماكانوا عليه ، وهذا هوحكم الله تعالى فى المفسدين فى الارض وهوحكم قائم ، ولن تجد يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لسنة الله جل وعلا تغييراً لابتناءها على الحكم ومصالح العباد . . . فتجرى هذه السنة فى منافقى هذه الامة فى كل وقت ومكان كماجرت فى الامم الماضية من قبلهم .

قال الله تعالى : «فهل ينظرون إلاّ سنت الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين

من قبلهم و كانوا أشد منهم قوة و ما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليماً قديراً » الفاطر : ٤٣ ـ ٤٤) .

٦٣ ـ (يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله و ما يدريك لعل الساعة تكون قريباً)

يسئلك الناس المؤذون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الساعة متى هي قائمة على طريق التكذيب والاستهزاء ، وعلى سبيل السخرية والاستبعاد لما توعّدوا بالعذاب موهمين انها لاتكون ، قل لهم جواباً عن سئوالهم : إنما علم الساعة عندالله تعالى لا يعلم وقت قيامها غيره جل و علا ، و ما يعلمك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم و ما يشعرك لعل قيام الساعة يكون قريباً قد قرب وقت قيامها ، و دناحين مجيئها ، و إنما اخفى وقت الساعة ليكون العبد مستعداً لها في كل وقت و ساعة .

قال الله تعالى : « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لايجليها لوقتها إلاّ هو ثقلت في السموات والارض لاتأتيكم إلاّ بغتة يسئلونك كأنك حفيّ عنها قل إنما علمها عندالله و لكن أكثر الناس لا يعلمون » الاعراف : ١٨٧) .

و قال : « إليه يرد علم الساعة » فصلت : ٤٧) .

و قال : « و ان الساعة آتية لا ريب فيها و ان الله يبعث من في القبور » الحج : ٧) .

٦٤ ـ (ان الله لعن الكافرين و أعد لهم سعيراً)

ان الله تعالى طرّد الذين كفروا بالله ورسوله وباليوم الاخر كفراً ظاهراً و كفراً باطناً و أبعدهم عن رحمته و عن كل خير بسبب كفرهم ، و هيّأ الله تعالى لهم ناراً تلتهب التهاباً شديداً . و ان المشركين والمنافقين داخلون في الكفر و هم في العذاب على شرع سواء .

قال الله تعالى: « ولكن لعنهم الله بكفرهم ـ اولئك الذين لعنهم الله ومن

يلعن الله فلن تجد له نصيراً » النساء : ٤٦ ـ ٥٢) .

و قال : « و يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء و غضب الله عليهم و لعنهم و أعد لهم جهنم و ساءت مصيراً ـ ومن لم يؤمن بالله و رسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيراً » الفتح : ٦ ـ ١٣) .

٦٥ ـ (خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً و لا نصيراً)

حالكون هؤلاء الكافرين ماكثين في النار المسعرة إلى غير نهاية ، لا يجدون فيها ولياً لانفسهم يحفظهم عنها أو يقف إلى جانبهم ، و لا نصيراً يدفع عنهم العذاب أو ينجيهم من عذاب الله تعالى والخلود فيه .

قال الله تعالى : « ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون و ما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين و نادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون » الزخرف : ٧٤ ـ ٧٧) .

وقال : « و من يعص الله و رسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً و أقل عدداً » الجن: ٢٣ـ٢٤).

و قال : « ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار و لن تجد لهم نصيراً ـ و أما الذين استنكفوا و استكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً و لا نصيراً » النساء : ١٤٥ ـ ١٧٣) .

٦٦ ـ (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله و أطعنا الرسولا)

يوم تقلّب وجوه الكفار والمنافقين و تغيّر ألوانها بلفح النار ، فتسود مرة و تحمرّ اخرى و تصفر ثالثة ، و إذا بدّلت جلودهم بجلود آخر فعندئذ يقولون متحسّرين متأسفين : يا ليتنا أطعنا الله تعالى في الحياة الدنيا فيما يأمرنا به و ما ينهانا عنه و كنا مؤمنين به ، و أطعنا الرسولا فيما يدعونا إليه و لم

نكذبه فننجو من هذا العذاب الاليم الدائم كما نجى المؤمنون بالايمان وصالح الاعمال . . .

قال الله تعالى : «فاما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» آل عمران : ١٠٦)

و قال : « وجيىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان و أنى له الذكرى يقول يا ليتنى قدمت لحيوتى » الفجر : ٢٣ ـ ٢٤)

وقال : «ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلا» الفرقان : ٢٧ـ٢٨)

وقال : «ولو ترى إذوقفوا على النارفقالوا ياليتنا نردّ ولانكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين» الانعام : ٢٧)

٦٧ـ (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا)

وقال هؤلاء الكفار التبعة وأذنابهم المنافقون المردة فى النار متأسفين نادمين منكسرين : ربنا أطعنا سادتنا فى الضلالة والطغيان ، وكبرائنا فى الشرك والعصيان الذين كنا ممتثلين أمرهم، مقتدين بهم وتبعة لهم بايديهم تدبير السواد، وهم كانوا قادة الكفر وأئمة الضلالة ، فأضلونا عن سبيل الحق والرشاد ، عن طريق الهدى والنجاة ، وعن طريق السعادة والصواب بما زيّنوا لنا الأباطيل والأراجيف والأكاذيب . . . فأطعنا هم فى المعصية واتبعناهم فيما دعونا إليه من الكفر والفساد، ويتبرّأ المتبوعون من الاتباع والعكس يوماً لاينفعهم التبرّى وماهم بخارجين من النار .

قال الله تعالى : «إذتبرّأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب و تقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لوأن لنا كرّة فنتبرّأ منهم كما تبرّؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار» البقرة : ١٦٦ـ١٦٧)

وقال : «واذ يتحاجّون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهم أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها» غافر: ٤٧-٤٨)

٦٨- (ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً)

قالوا : ربنا آت هؤلاء السادة والكبراء ضعفين من العذاب بكفرهم و ضلالهم في نفوسهم تارة ، وبصدّهم وإضلالهم ايانا تارة اخرى ، فعذبهم مثلى ما تعذب غيرهم فانهم ضلوا وأضلوا والعن عليهم لعناً كبيراً مرة بعد اخرى وزدهم غضباً إلى غضبك وسخطاً إلى سخطك .

قال الله تعالى : «وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلّانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين» فصلت : ٢٩)

وقال : «هذا فوج مقتحم معكم لامرحباً بهم انهم صالوا النار قالوا بل أنتم لامرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار» ص : ٥٩ ـ ٦١)

وقال :«الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالاخرة هم كافرون ـ يضاعف لهم العذاب ـ لاجرم انهم في الاخرة هم الاخسرون »هود :١٩ ـ٢٢)

وقال : « كلما دخلت امة لعنت اختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف و لكن لاتعلمون » الاعراف : ٣٨)

٦٩ - (يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً)

ياأيها الذين آمنوا بالله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لاتؤذوا نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بقول يكرهه منكم كقصة زيد وزينب . ..ولا بفعل لا يحبه منكم كالايستيناس لحديث بعد أكل الطعام في بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم . . . فلا تكونوا مع نبيكم كبني

إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام آذوه إذرموه بعيب كذباً وباطلاً فبرّ أه الله تعالى مما قالوا فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم ورميهم ،وكان موسى عليه السلام عند الله تعالى ذاوجاهة ومنزلة ومكانة فمن حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يعظم ويبجّل حياً وميتاً لاأن يؤذى حياً وميتاً .

قال الله تعالى : «وإذقال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم» الصف : ٥)

٧٠- (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً)

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا الله جل وعلا بأن تعصوه بمخالفتكم أحكام الله سبحانه وايذاءكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وايذاء المؤمنين ، فتستحقوا بذلك عقوبته ، فراقبوا الله تعالى في حفظ ألسنتكم وتقويم أمركم ، وقولوا في حق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي حق إخوانكم المؤمنين كلاماً حقاً وصدقاً وقصداً : قولاً صواباً بريئاً من الفساد ، قولاً خالصاً من شائبة الكذب واللغو والاتهام ، قولاً يوافق ظاهره واقعه ، قولاً عدلاً غير جائر ، و قولاً قاصداً حقا غير باطل .

قال الله تعالى : « و إذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذاقربى» الانعام : ١٥٢)

وقال : «حقيق على أن لاأقول على الله إلاّ الحق» الاعراف : ١٠٥)

وقال : « كبرمقتاً عندالله أن تقولوا مالاتفعلون» الصف : ٣)

وقال :«والذين لايشهدون الزور وإذامرّوا باللغو مرّوا كراماً»الفرقان:٧٢)

وقال : «والذين هم عن اللغومعرضون» المؤمنون : ٣)

٧١- (يصلح لكم أعمالكم ويغفرلكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فازفوزاً عظيماً)

ان فعلتم ذلك أيها المؤمنون يصلح الله تعالى لكم أعمالكم بأن يلطف بكم فيها حتى تستقيموا على الطريقة المستقيمة السليمة من الفساد ، و على مهج الحق

وسواءِ السبيل من غير الاعوجاج ، ويوفقكم لمافيه الصلاح والرشاد ولمايحبه و يرضاه ، ويغفر لكم ذنوبكم السالفة ،ويعف عنكم سيئاتكم السابقة ،فلا يعاقبكم عليها بازاءِ إستقامتكم في الايمان والقول السديد والعمل الصالح .

قال الله تعالى : « والذين آمنوا و عملوا الصالحات و آمنوا بما نزّل على محمد و هو الحق من ربهم كفّر عنهم سيئاتهم و أصلح بالهم ـ سيهديهم ويصلح بالهم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٢ ـ ٥) .

و قوله تعالى : « ومن يطع الله و رسوله الخ » في الأوامر والنواهي وما خالف في شيء منها فقد فاز في الدارين و نال بأعلى المقاصد ، و ظفر بالكرامة العظمى من الله تعالى فوزاً عظيماً لا يقادر قدره و لا يتصور مثله ، و لا يخطر ببال أحد من العز والكرامة ، من الجنة والنعيم الدائمة ، و من النجاة والراحة الابدية . . .

قال الله تعالى : « و من يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » النساء : ٦٩) .

وقال: « و من يطع الله و رسوله و يخش الله و يتقه فاولئك هم الفائزون » النور : ٥٢) .

و قال : « و من يطع الله و رسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار » الفتح : ١٧) .

٧٢ ـ (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً)

اناعرضنا الامامة والخلافة الكبرى والولاية الالهية التي تستكمل بها الدين الحق علماً و عملاً على السموات والارض والجبال على كبر أجرامها وعظم ثقلها و شدتها .

قال الله تعالى : « لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن

أكثر الناس لا يعلمون » المؤمن : ٥٧) .

وقال: « ءأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسوّاها » النازعات: ٢٧ ـ ٢٨) .

فأبين أن يحملن تلك الامانة و خفن منها لفقد إستعداد الحمل فيهاوعدم صلاحيتها و لياقتها للحمل ، فأبين من حمل الأمانة بعـدم المقتضى لهـن لاعلى سبيل التمرد ، فأبين تكويناً بعدم الاستعداد لحمل الأمانة ، فالقضية السالبة منتفية بانتفاع موضوعها، تنبيهاً على أن الانسان هو الذى يستعد لحمل هذه الامانة التى فيها كمال الدين الحق و إستكمال المجتمع البشرى ، و سعادة الدارين . . . و ما سواه ليس فى وسعه ذلك . و فى ذلك كرامة و شرف لهذا الانسان الذى يليق بهذه الامانة كشرافة الوجود على العدم بأن ما سواه فى ذلك كالاعدام والانسان اللائق بها كالوجود كما ان الانسان الكلى الأمين بالنسبة إلى غيره كذلك .

قال الله تعالى: « كذلك يوحى إليك ـ تكاد السموات يتفطرن من فوقهن » الشورى : ٢ ـ ٥) .

وقال: « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله » الحشر : ٢١) .

وقال: « ولو أن قرآناً سيّرت به الجبال او قطعت به الارض » الرعد: ٣١) .

وهذه الامانة إحدى الثقلين تركهما رسول الله ﷺ فينا لابد من حفظها و أداء حقها و ردّها إلى أهلها .

و حمل الانسان مع صغر جرمه و ضعف جسمه هـذه الامانـة مع ثقلها و عظمها لكون الاستعداد فيه وصلاحيته لحمل هذه الامانة وأداء حقها على وجهها، ولكنه خانها و غصبها من صاحبها و لم يردّها إلى من يستحقها و يليق بها ، انه كان ظلوماً على صاحب الامانة بالغصب ، و على نفسه بالعذاب ، و على المجتمع البشرى لصدّهم عن الاستكمال الدينى ، و عن سعـادة الدارين ، جهولاً بمكانة

الامانة ، فحملها وهو غير لائق بها ، فالوصف بالظلم والجهل إنما يليق بمن خان الامانة و قصر في حقها لا بمن يتحملها و يأتمن و يؤدّى حقها .

٧٣ـ (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المومنين والمومنات و كان الله غفوراً رحيماً)

انا عرضنا هذه الامانة ليظهر نفاق المنافقين والمنافقات ، و ليظهر شرك المشركين والمشركات ، وليظهر ايمان المؤمنين والمؤمنات فيميّز الخبيث من الطيب ، والمفسد من المصلح ، والطالح من الصالح ، والمحسن من المسيىء ، والمخلص من المرائى، والخائن من الامين ، والمقصر من القائم بواجبات الايمان ، فيعذب الله تعالى المنافقين والمنافقات الذين يدّعون الخلافة الالهية وهم غير لائقين بها ، و يقولون ما ليس في قلوبهم ، و يظهرون الايمان ، و هم يبطنون الكفر ، وهم يدّعون الأمانة وهم يخونونها . . . ويعذب المشركين والمشركات بالله سبحانه و يظهرون ما في قلوبهم من الكفر والشرك والخلاف والتكذيب ، وهم الذين قد اندمغوا بما اختاروه من طريق الضلالة والظلم والجهالة والفساد . . . و يقبل توبة المؤمنين والمؤمنات الذين قاموا بواجباتهم و راعوا الامانة حقها و إختاروا طريق الهدى و سبيل الرشاد ، فيتجاوز عن سيئاتهم ، ويجزيهم جزاء حسناً ، و كان الله تعالى غفوراً يغفر لهؤلاءِ المؤمنين والمؤمنات لو حصل منهم تقصير في الطاعات بعد طلبهم المغفرة ، رحيماً بهم .

قال الله : « ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوءِ عليهم دائرة السوءِ و غضب الله عليهم و لعنهم و أعد لهم جهنم و سائت مصيراً » الفتح : ٦) .

و قال : « هو الذى ينزّل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور و ان الله بكم لرؤف رحيم » الحديد : ٩) .

﴿ جملة المعانى ﴾

٣٥٣٤ ـ (يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليماً حكيماً)

يا من تلبّس بالنبوة السماوية لهداية الناس و إخراجهم من ظلمات الجهل والكفر والعصيان إلى نور المعرفة والايمان والطاعة احذر الله جل و علا فى إبلاغ رسالتك ، و لا تطع الذين أظهروا كفرهم ، والذين أبطنوه ان الله تعالى كان عليماً بما فى صدور الناس و ما يبدونه ، حكيماً فى أوامره و نواهيه . . .

٣٥٣٥ ـ (و اتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً)

و اتبع أيها الرسول ما يوحى إليك من ربك وحده لما فيه وحده من الرشد والصلاح ان الله تعالى كان بما تعملون أيها المسلمون بهذا الوحى السماوى ، خبيراً لا يخفى عليه شىء من الاعمال . . .

٣٥٣٦ ـ (و توكل على الله و كفى بالله وكيلاً)

و اعتمد أيها الرسول على الله جل و علا فى إبلاغ رسالتك من غير خوف من سوى الله تعالى و كفاك الله سبحانه حافظاً مما تخافه منهم .

٣٥٣٧ ـ (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق و هو يهدى السبيل)

لم يجعل الله تعالى لرجل من قلبين فى جوفه حتى يؤمن بأحدهما ، ويكفر

بالاخر ، و لم يجعل الله جل وعلا أيها الرجال نساءكم اللاتى تقولون لهن : أنتن علينا كظهور امهاتنا امهاتكم ، و لم يجعل الله سبحانه الذين دعوتموهم أبناءكم أبناءكم حقيقة بحيث يترتب عليهم أحكام البنوة ، ذلك الظهار والدعى أيها الرجال قول منكم تقولونه بألسنتكم لا حقيقة له عندالله تعالى ، والله جل و علا يقول ما هو يطابق الواقع ، والله سبحانه هو يهدى عباده سبيل الحق .

۳۵۳۸ - (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عندالله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين و مواليكم و ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به و لكن ما تعمدت قلوبكم و كان الله غفوراً رحيماً)

ادعوا أيها المؤمنون هؤلاء المتنبئين و انسبوهم إلى آبائهم نسباً ، هذا هو الحق والعدل عندالله تعالى ، فان لم تعرفوا لهم آباءاً نسباً ، فهم إخوانكم فى الدين ان اعتقتموهم و هم مواليكم إن بقوا على الملك ، ولا إثم عليكم فيما أخطأتم به لسهو أو نسيان فدعوتموهم لغير آبائهم ، ولكن الاثم فيما قصدته قلوبكم بعد النهى عن حكم الجاهلية ، و كان الله تعالى يغفر لكم ما أخطأتم به ، و يرحم بكم إذا فعلتم ما جاء من الله تعالى من الاحكام . . .

۳۵۳۹ - (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه امهاتهم و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفاً كان ذلك فى الكتاب مسطوراً)

النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم فى جميع الامور الدينية والدنيوية ، و أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم امهاتهم فى حرمة النكاح بهن، و ذووا القرابات بعضهم أولى ببعض فى التوارث من الانصار المؤمنين والمهاجرين الذين ليسوا من ذوى القرابات، فلا توارث إلا بالولادة والرحم ، الا أن توصوا لهؤلاء المؤمنين والمهاجرين الذين ليسوا بذوى الارحام الوارثين معروفاً بوصية من ثلث أموالكم و ما دونه ، كان ذلك مكتوباً فى القرآن الكريم .

٣٥٤٠ - (و اذ أخذنا من النبيين ميثاقهم و منك و من نوح و ابراهيم و موسى و عيسى ابن مريم و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)

و اذكر أيها الرسول حين أخذنا من النبيين ميثاقهم بالتوحيد و إبلاغ الرسالة وأداءالأمانة الالهية ،و أخذنا منك ومن نوح و إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عليهم السلام على ذلك ، و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً .

٣٥٤١ - (ليسئل الصادقين عن صدقهم و أعد للكافرين عذاباً أليماً)

ليسئل الله تعالى الذين صدقوا عن صدقهم يوم القيامة ، و هيّأ الله جل و علا للذين كفروا برسالات الانبياء عذاباً مولماً .

٣٥٤٢ - (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها و كان الله بما تعملون بصيراً)

يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم حين جاءتكم جنود الاحزاب الذين تحزّبوا عليكم وعلى نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم أيام الخندق ، فحاصروكم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأرسلنا عليهم ريحاً باردة في ليلة شاتية ، و أرسلنا عليهم ملائكة لم تروها، وكان الله جل وعلا بما تعملون من حفر الخندق، والتحرز من العدو بصيراً.

٣٥٤٣ - (اذ جاؤكم من فوقكم و من أسفل منكم و اذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا)

حين جاءكم أيها المسلمون جنود الكفر من أعلى الوادى ، وجنود الطغيان من أسفل الوادى ، و حين مالت الابصار و تحيّرت من شدة الخوف والدهشة ، واضطربت القلوب بحيث كأنها بلغت الحناجر، و كنتم عندئذ تظنون بالله سبحانه أنواع الظنون . . .

٣٥٤٤ - (هنالك ابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزالاً شديداً)

يوم الخندق اختبر المؤمنون ليظهر ثباتهم على ما أمرهم الله تعالى به ، و إضطرب المنافقون و مرضى القلوب إضطراباً شديداً .

٣٥٤٥ - (و اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله و رسوله الا غروراً)

و حين يقول المنافقون يوم الخندق ، والذين فى قلوبهم مرض شك : ما وعدنا الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الظفر والغلبة على الاعداء إلاّ وعداً مموّهاً باطلاً يغرّنا به .

٣٥٤٦ - (واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا و يستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة و ما هى بعورة ان يريدون الا فراراً)

وحين قالت طائفة من المنافقين أيام الخندق : يا أهل يثرب وسكان المدينة لا موضع لكم تقومون فيه للقتال فى معسكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فارجعوا إلى ما كنتم عليه من الكفر ، و احفظوا أنفسكم من القتل والاسر ، و يستأذن حينئذ فى الرجوع فريق من المنافقين و ضعاف الايمان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقولون معتذرين من الرجوع : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان بيوتنا خربة مكشوفة ، و حال كون البيوت غير مكشوفة ، لايريد هؤلاءِ المنافقون ومرضى القلوب بذلك الاعتذار إلاّ فراراً من الموت والقتل حباً للحياة الدنيا .

٣٥٤٧ - (ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيراً)

و لو دخلت جنود الكفر على هؤلاءِ المنافقين ومرضى القلوب من نواحى المدينة أو من جوانب بيوتهم ، وهم فيها ثم طلبوا منهم الارتداد عن الدين لأجابوهم مسئولهم و ما تلبثوا باجابة الفتنة إلاّ زمناً قليلاً .

٣٥٤٨ - (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار و كان عهد الله مسئولاً)

و اقسم بالله جل و علا ان المنافقين و مرضى القلوب قد كانوا عاهدوا الله

تعالى من قبل غزوة الخندق لا يولّون الأدبار في جهاد الكفار ، ولا يفرّون من معركة القتال ، و كان عهد الله تعالى مسئولاً عنهم يوم القيامة .

٣٥٤٩ - (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذاً لاتمتعون الا قليلاً)

قل أيها النبي ﷺ لهؤلاء المنافقين ومرضى القلوب: لن ينفعكم فراركم من معركة القتال إن فررتم من الموت أو القتل، ولو فرض أن ينفعكم الفرار في تأخير آجالكم إذاً لا تمتعون بالحياة الدنيا بعد فراركم إلاّ تمتيعاً قليلاً .

٣٥٥٠ - (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة و لا يجدون لهم من دون الله ولياً و لا نصيراً)

قل أيها الرسول ﷺ لهؤلاء المعتذرين : من ذا الذى يجيركم من الله تعالى إن أراد بكم سوءاً من الهزيمة أو القتل أو الاسر ، أو يحفظكم إن أراد بكم الهلاك والدمار أو أراد بكم رحمة من الفتح والظفر على الاعداء والعلو عليهم ، وهم لا يجدون لانفسهم من دون الله ولياً يلي امورهم ، ولانصيراً ينصرهم .

٣٥٥١ - (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم الينا ولا يأتون البأس الا قليلاً)

قد علم الله تعالى المنافقين الذين يمنعون بعضكم أيها المسلمون عن نصرة رسول الله ﷺ ، والذين يقولون لاخوانهم في الكفر : أقبلوا إلينا و اتركوا محمداً ﷺ و أصحابه ، و هؤلاء المنافقون و إخوانهم لا يشهدون القتال إلاّ قتالاً قليلا لا نفع فيه للاسلام والمسلمين .

٣٥٥٢ - (أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير اولئك لم يومنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً)

حال كون هؤلاء المعتذرين بخلاء عليكم ، فلا يعاونونكم على الاعداء ،

فاذا جاء الخوف من الاعداء بظهور مخائل القتال ، رأيت أيهـا النبـى ﷺ هؤلاءِ المعتذرين ينظرون إليك خوفاً من الاعداءِ إلتجاءاً بك تتحرك أعينهم فى أحداقها يميناً و شمالاً كدوران عين الذى يغشى عليه الموت ، فاذا ذهب عنهم الخوف بانكسار الاعداءِ أطلقوا عنان ألسنتهم عليكم ، حريصين على توفير الغنائم فى القسمة ، اولئك لم يؤمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ فأحبط الله تعالى أعمالهم الحسنة ، و كان ذلك الاحباط على الله هيناً فلا ظلم فيه .

۳۰٥۳ ـ (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا و ان يأت الاحزاب يودوا لوانهم بادون فى الاعراب يسئلون عن أنباءكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الاقليلاً)

يظن هؤلاءِ المنافقون ومرضى القلوب، ان الاحزاب الشيطانية لم ينهزموا بعد و قد انهزموا و تفرّقوا فى كل واد ، و إن يأت هؤلاءِ الاحزاب كرّة ثانية إلى المدينة للقتال بعد إنهزامهم يودّ هؤلاءِ المنافقون و تمنوا لوانهم خارجون من المدينة ، وأن يكونوا فى البادية مع الاعراب مقيمين فيها، يسئلون الركبان والقادمين إليهم من المدينة عن أخباركم و ما جرى عليكم مرة ثانية ، ولو كان هؤلاءِ المنافقون و إخوانهم بينكم لم يقاتلوا معكم أعداءكم الاّ قتالاً قليلاً .

۳۰٥٤ ـ (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر و ذكرالله كثيراً)

لقد كان لكم أيها المؤمنون فى أفعال رسوله ﷺ وأقواله قدوة صالحة يحقّ التأسى بها لمن كان يرجوا رضا الله تعالى و لقاء ثوابه فى اليـوم الاخر ، و ذكرالله تعالى فى جميع أوقاته و أحواله . . . كثيراً .

۳۰٥٥ ـ (و لما رأ المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسولـه و صدق الله و رسوله و ما زادهم الا ايماناً و تسليماً)

و لما رأى المؤمنون الاحزاب الشيطانية قالوا : هذا هو الذى وعدنا الله تعالى و رسوله ﷺ ، و نعترف بأنه صدق الله جل و علا فى كل ما وعـده ،

و صدق رسوله ﷺ فی جمیع بشاراته ، ولم یزد المؤمنین ما رأوه إلاّ ایماناً بالله تعالی و رسوله ﷺ و تسلیماً لقضائه .

۳۵۵۶ - (من المؤمنین رجال صدقوا ما عاهدوا الله علیه فمنهم من قضی نحبه و منهم من ینتظر و ما بدلوا تبدیلاً)

بعض المؤمنین رجال کاملون فی صفات الرجولیة صدقوا ما عاهدوا الله تعالی علیه من الثبات فی نصرة دین الله جل و علا ، فمن هؤلاءِ المؤمنین من و فی بعهده و نال برجائه ، ومنهم من ینتظر بوفاءِ عهده ، ومابدّلوا عهدهم الذی عاهدوه ربهم تبدیلاً یسیراً .

۳۵۵۷ - (لیجزی الله الصادقین بصدقهم و یعذب المنافقین ان شاء أو یتوب علیهم ان الله کان غفوراً رحیماً)

لیجزی الله تعالی المؤمنین الذین صدقوا ما عاهدوا الله جل و علا علیه و وفوا بعهدهم قولاً وعملاً جزاء حسناً بسبب صدقهم فی میثاقهم، ولیعذب المنافقین الذین نقضوا ما عاهدوا الله تعالی وبدّلوا میثاقهم تبدیلاً إن شاءالله فیما لم یتوبوا أو یتوب علیهم إن تابوا ، ان الله جل و علا کان غفوراً لذنوب من تاب ، رحیماً بمن آمن .

۳۵۵۸ - (وردالله الذین کفروا بغیظهم لم ینالوا خیراً وکفی الله المومنین القتال و کان الله قویاً عزیزاً)

و ردّ الله تعالی هؤلاءِ الاحزاب الشیطانیة إلی أوطانهم مع شدة غضبهم ، حالکونهم لم یصیبوا ما أرادوا من الغنائم بعد الظفر ، و کفی الله جل و علا المؤمنین القتال بأمیرهم ، وکان الله تعالی قویاً علی ما أراد ، غالباً علی ما یشاء .

۳۵۵۹ - (و أنزل الذین ظاهروهم من أهل الکتاب من صیاصیهم و قذف فی قلوبهم الرعب فریقاً تقتلون و تأسرون فریقاً)

و أنزل الله تعالی یهود بنی قریظة الذین عاونوا المشرکین علی رسول الله

ﷺ من قلاعهم و حصونهم المحكمة ، و ألقى الله جل و علا فى قلوب اليهود العنيد الخوف بحيث سلّموا أنفسهم للقتل وأهليهم للاسر، فأنتم أيها المسلمون تقتلون فريقاً منهم و تأسرون منهم فريقاً آخرين .

٣٥٦٠ - (و أورثكم أرضهم و ديارهم و أموالهم و أرضاً لم تطؤها و كان الله على كل شيء قديراً)

وأورثكم الله تعالى أيها المؤمنون أرض يهود بني قريظة وديارهم وأموالهم ، و أورثكم الله تعالى أرضاً اخرى لم تطؤها بعد ، و كان الله على كل شيء قديراً .

٣٥٦١ - (يا أيها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن و اسرحكن سراحاً جميلاً)

يا أيها النبى ﷺ قل لازواجك : ان كنتن تردن الحياة الدنيا ومتاعها و زخرفها فاقبلن إلىّ حتى امتعكن من مالى ما تنتفعن به ، و ارسلكن إلى قبائلكن و بيوتكن السابقة قبل الزواج إرسالاً لا تنازع و لا ضرار فيه .

٣٥٦٢ - (وان كنتن تردن الله و رسوله والدار الاخرة فان الله أعد للمحسنات منكن اجراً عظيماً)

و قل لهن : ان كنتن تردن الله تعالى و رسوله ﷺ و تطلبن رضاهما و تطعنهما و تردن ثواب الدار الاخرة و نعيمها ، فان الله جل وعلا هيّأ للمحسنات منكن أجراً عظيماً لا يعرف كنهه .

٣٥٦٣ - (يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين و كان ذلك على الله يسيراً)

يا نساء النبى ﷺ من يأت منكن بأىّ فعل قبيح يضاعف لها العذاب فى الآخرة مثلى عذاب غيرها من المسيئات ، وكان ذلك التضعيف من العذاب على العاصية من أزواج النبى ﷺ يسيراً و لا منع و لا ظلم .

٣٥٦٤ - (ومن يقنت منكن لله و رسوله و تعمل صالحاً نوتها أجرها مرتين

و أعتدنا لها رزقاً كريماً)

و من يخضع منكن لأمر الله تعالى و يواظب على طاعة رسول الله ﷺ و تعمل عملاً صالحاً نؤتها ثوابها يوم القيامة مثلي ثواب غيرها من سائر النساء الصالحات ، و هيّأنا لها رزقاً كريماً لا يقدر قدره .

٣٥٦٥ ـ (يانساءالنبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلاتخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض و قلن قولاً معروفاً)

يا نساء النبي ﷺ لستن كأحد من نساء هذه الامة المسلمة في الفضل والجزاء إن اتقيتن الله تعالى وأطعن رسوله ﷺ فاذا عرفن قدركن فلاتخضعن بالقول ما يدخل في قلوب الرجال من ترقيق الصوت و تليين الخطاب ، فيطمع فيكن مرضى القلوب و قلن عند الحاجة إلى التكلم مع الأجانب قولاً معروفاً عند الشرع والعقل .

٣٥٦٦ ـ (و قرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة و آتين الزكاة و أطعن الله و رسوله انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً)

و استقررن يا نساء النبي ﷺ في بيوتكن و ألزمنها و لا تخرجن منها إلاّ لضرورة و لا تبدين محاسنكن للأجانب على عادة النساء في زمن الجاهلية قبل الاسلام ، و أقمن الصلاة المفروضة عليكن ، و آتين الزكاة الواجبة ، وأطعن الله جل و علا و رسوله ﷺ فيما يأمرانكن به و ما ينهيانكن عنه .

إنما يريد الله تعالى بارادة تكوينية لان يذهب عنكم ـ يا محمد و على و فاطمة والحسن والحسين أهل بيت الوحي ـ رجس الخطاء وخبث الجهل و قذارة المعصية و ذميمة الاخلاق و رذيلة الصفات . . . و يطهركم الله تعالى طهارة البقاء عن دنس الشرك و خبث الكفر و رجس النفاق . . .

٣٥٦٧ ـ (و اذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان

لطيفاً خبيراً)

و اذكرن يا نساء النبی ﷺ ما يتلی عليكن فی بيوتكن من آيات الله تعالی والحكمة واقدرن قدرها ، ان الله جل وعلا كان لطيفاً بعباده خبيراً بأفعالهم...

۳۵۶۸- (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً)

ان الذين أظهروا الاسلام بالشهادتين ، و كذلك اللاتی أظهرنه بهما ، و ان الذين آمنوا بالله تعالی و رسوله ﷺ و كذلك اللاتی آمن ، والذين يواظبون ما التزموا به ، و كذلك اللاتی يواظبن ما التزمن به ، والذين صدقوا فيما عاهدوا الله تعالی عليه و كذلك النساء الصادقات ، والذين صبروا فی سبيل الله تعالی ، و كذلك النساء الصابرات ، والذين تخشع قلوبهم لله تعالی و كذلك الخاشعات ، والذين يؤدون حقوق الله تعالی فی أموالهم فرضاً و نفلاً ، و كذلك المتصدقات، والذين يصومون شهر رمضان الذی فرض الله تعالی الصوم علی عباده ، و كذلك الصائمات، والذين يحفظون فروجهم ذلك ، واللاتی يحفظن تمام وجودهن عن الأجانب ، والذين يذكرون الله ذكراً كثيراً فی جميع الاحوال ، و كذلك الذاكرات أحياناً، هيّأ الله تعالی لهؤلاءِ المتصفين بتلك الصفات العشر مغفرة لذنوبهم ، و لهم أجراً عظيماً لا يعرف كنهه .

۳۵۶۹ - (و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضی الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)

و ليس لأحد من المؤمنين والمؤمنات إذا قضی الله تعالی و رسوله ﷺ عليهم أمراً أن يجعلوا لانفسهم فيه إختياراً فی الفعل والترك من أمرهم ، و من يعص الله و رسوله ﷺ فی أمر من الامور المقضية ، فقد ضلّ عن طريق الحق

ضلالاً مبيناً .

٣٥٧٠- (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله و تخفى فى نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لايكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً)

واذكر أيها الرسول ﷺ حين تقول لزيد بن حارثة الذى أنعم الله تعالى عليه بالهداية إلى طراط مستقيم ، وأنعمت عليه بالاعتاق والتربية : أمسك يازيد عليك زوجك زينب بنت جحش ولا تطلقها ، وتقول له : اتق الله تعالى فى مفارقتها، وكنت تخفى فى نفسك تزويج زينب ، الله تعالى مظهره ، وكنت تخشى مقالة الناس فى إظهار ماتخفيه ، و الله تعالى أولى أن تخشاه فى ترك أوامره و تقرير شرعه ، فلما قضى زيد من زينب حاجته من نكاحها ، فطلقها وانقضت عدتها ،زوّجناك زينب حتى لايكون على المؤمنين ضيق فى تزويج أزواج أدعيائهم ، إذا قضوا منهن حاجتهم و فارقوهن ، وكان ماقضى الله تعالى فى زينب ماضياً مكوّناً لامحالة .

٣٥٧١- (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً)

ما كان على النبى ﷺ من منع يمنعه من إمتثال ما أوجب الله تعالى من نكاح إمرأة من تبناه بعد فراق زوجها عنها ليبطل بذلك حكم الجاهلية فى الادعياء ، هذه سنة من سنن الله تعالى فى أنبيائه السابقين الذين ارسلوا إلى الناس لابطال الآداب الجاهلية ، و دعوتهم إلى ما تقتضية الفطرة ، و كان أمر الله تعالى قدراً مقدوراً عنده تعالى فلابد من الائتمار به .

٣٥٧٢- (الذين يبلغون رسالات الله و يخشونه و لايخشون أحداً الا الله و كفى بالله حسيباً)

اولئك الانبياء الذين خلوا من قبل محمد ﷺ كانوا يبلغون رسالات

الله تعالى إلى اممهم و يخافون الله جل وعلا وحده في مهماتهم و في كل حال ، ولايخافون غيره ، و كفاك الله تعالى يا محمد ﷺ حافظاً ومعيناً في مهمتك .

٣٥٧٣- (ماكان محمد أبا أحدمن رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً)

ما كان محمد ﷺ أبا أحد من رجالكم الموجودين في زمن الخطاب ، فلم يكن أبازيد بن حارثة فلايحرم عليه التزوج بزوجته زينب بعد فراقه إياها، و لكنه كان رسول الله ﷺ و خاتم النبيين ، وكان الله تعالى بكل شيء عليماً لايخفى عليه خافية .

٣٥٧٤- (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)

يا أيها الذين آمنوا بالله و رسوله ﷺ و باليوم الاخر اذكروا الله جل و علا ذكراً كثيراً في جميع الاحوال . . .

٣٥٧٥- (و سبحوه بكرة و اصيلاً)

و سبّحوا الله جل و علا أيها المؤمنون ، ونزّهوه عن كل ما لايليق بساحة قدسه و عزّ جلاله صباحاً و مساءاً .

٣٥٧٦- (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيماً)

الله تعالى هو الذي يذكركم أيها المؤمنون بالعناية والمغفرة و الرحمة ، و يذكركم ملائكة الله تعالى بالاستغفار لكم ، ليخرجكم الله تعالى من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة ، وكان الله تعالى بالمؤمنين رحيماً .

٣٥٧٧- (تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعدلهم أجراً كريماً)

تحية المؤمنين يوم القيامة يلقون هذا اليوم لامحالة : سلام تلقاهم الملائكة من الله تعالى ، وأعدّ الله جل و علا لهؤلاء المؤمنين أجراً كريماً لايقدر قدره .

٣٥٧٨- (يا أيها النبي انا ارسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً)

يا أيها النبي إنا ارسلناك إلى كافة الناس شاهداً عليهم فيما يفعلونه ، و مبشراً بالجنة و نعيمها لمن آمن وأصلح ، و نذيراً بالنار وعذابها على من كفر و عصى .

٣٥٧٩ـ (و داعياً الى الله باذنه و سراجاً منيراً)

و داعياً لهم إلى الله تعالى و توحيده و إلى عبوديته وحده باذن الله جل و علا وأمره وأرسلناك إليهم سراجاً منيراً .

٣٥٨٠ـ (و بشرالمؤمنين بان لهم من الله فضلاً كبيراً)

و بشّرأيها النبي ﷺ الذين آمنوا ، والتزموا بلوازم الايمان بأن لهم في الاخرة من الله تعالى فضلاً كبيراً لايعرف كنهه .

٣٥٨١ـ (و لا تطع الكافرين و المنافقين ودع أذاهم و توكل على الله و كفى بالله وكيلاً)

ولا تطع أيها النبي ﷺ الكافرين والمنافقين فيما يخالف مايوحى إليك، واترك أذاهم إياك ، و توكل على الله تعالى في جميع شئون رسالتك وتبليغها ، وكفاك الله تعالى وكيلاً في جميع الاحوال . . .

٣٥٨٢ـ (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن و سرحوهن سراحاً جميلاً)

يا أيها الذين آمنوا إذا عقدتم المؤمنات للنكاح ثم طلقتموهن من قبل أن تجامعوهن ، فليس لكم أيها المؤمنون على المؤمنات من عدة للطلاق تحصونها عليهن ، فاعطوهن مايستمتعن به من عرض أوعين مال ما لم تسمّوالهن صداقاً ، و خلّوا سبيلهن بعد الطلاق ، و أخرجوهن من بيوتكم إلى بيوتهن السابقة قبل النكاح إخراجاً مشتملاً على لين الكلام خالياً من الأذى والمضارة .

٣٥٨٣ـ (يا أيها النبي انا احللنالك أزواجك اللاتي آتيت اجورهن و

ما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك و بنات عمك و بنات خالك و بنات خالاتك اللاتى هاجرن معك و امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا مافرضنا عليهم فى أزواجهم و ما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج و كان الله غفوراً رحيماً)

يا أيها النبى ﷺ إناأحللنالك أزواجك اللاتى تزوجتهن بصداق مسمى، و أعطيتهن مهورهن ، و أحللنالك إمائك اللاتى ملكتهن بالسبى ، و أحللنالك بنات عمك و بنات عماتك من نساء قريش ، و بنات خالك و بنات خالاتك من نساء بنى زهرة اللاتى هاجرن معك إلى المدينة ، وأحللنالك إمرأة مؤمنة باذلة نفسها للنبى ﷺ بغير صداق إن أراد النبى ﷺ أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين من امتك ، قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين من المهر فى حق أزواجهم ، و ما أحللنالهم من الاماء اللاتى ملكت أيمانهم بالشراء و غيره .

أحللنالك أيها النبى ﷺ هؤلاء الاصناف السبعة من النساء لكيلا يكون عليك ضيق فى نكاح ما نكحت منهن ، وكان الله جل و علا غفوراً لك و لامتك المؤمنين ، رحيماً بك فى رفع الحرج عنك وبامتك بالتوسعة عليهم .

٣٥٨٤- (ترجى من تشاء منهن و تؤى اليك من تشاء و من ابتغيت ممن عزلت فلاجناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولايحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليماً حليماً)

تترك أيها النبى ﷺ نكاح من تشاء من هؤلاء النساء اللواتى أحللناهن لك بدواً أو بالطلاق أو بترك المضاجعة والقسمة ، و تضم إليك من تشاء منهن بالنكاح أو الابقاء والقسمة ، و من طلبت نكاحها أوإمساكها أوقسمها ممن تركت نكاحها أو طلقتها أوتركت القسمة لها فلا إثم عليك ، ذلك التفويض إلى إرادتك أقرب إلى أن تقر أعينهن ، ولا يحزن بترجيح بعضهن على بعض ، و يرضين بما

آتيتهن كلهن من النفقة والقسمة والمضاجعة ، والله تعالى يعلم ما فى قلوبكم من الحب والبغض وكان الله عليماً بكل شيء ، حليماً غيرعجول فى العقاب .

٣٥٨٥- (لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج و لو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً)

لايحل لك أيها النبى ﷺ أن تنكح النساء من بعد هؤلاءِ النساءِ اللواتى أحللتهن لك من الاصناف السبعة ، ولا يحل لك أن تتبدل بهن من أزواج بأن تطلقهن كلهن أوبعضهن و تنكح بدل من طلقت ، و لو أعجبك حسن سواهن إلاّ ما ملكت يمينك من الاماءِ فانه يحل لك التسرى بهن ، وكان الله على كل شيء راقباً لايعزب عنه علم شيء .

٣٥٨٦- (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه و لكن اذادعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق واذاسئلتموهن متاعاً فسئلوهن من وراءِ حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم و قلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً)

يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى ﷺ إلاّ أن يدعوكم ويعلن لكم إلى طعام تأكلونه ، حالكونكم غيرمنتظرين نضج الطعام ، ولكن إذادعيتم إلى الطعام و أذن لكم الدخول فادخلوا البيوت ، فاذا أكلتم الطعام و اخرجوا من البيوت وانتشروا من غيرمكث ، ولامستأنسين بحديث ، لان ذلك الاستيناس بعد الاكل المستلزم لاطالة الجلوس في بيوت النبى ﷺ كان يؤذى النبى ﷺ فيستحيى النبى ﷺ منكم، ولكن الله تعالى لا يستحيى من بيان الحق، وإذا طلبتم أيها المؤمنون من نساءِ النبى ﷺ متاعاً فاسئلوهن ذلك المتاع من وراءِ حجاب، ذلك السئوال من وراءِ الحجاب أيها المؤمنون أطهر لقلوبكم من الخطورات

النفسانية ،وأطهر لقلوبهن ، وماكان لكم أيها المؤمنون أن تؤذوا رسول الله ﷺ بالتعرض لازواجه في حياته ، ولا أن تتزوجوا أزواجه ﷺ من بعد حياته أبداً، لان ايذاء النبي ﷺ في حياته ، والتزويج بأزواجه بعد وفاته أيها المؤمنون كان ذلك العمل منكم عندالله تعالى ذنباً عظيماً لايغفر .

۳۵۸۷- (ان تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليماً)

إن تظهروا أيها المؤمنون بألسنتكم شيئاً من مراقبة لنساءِ النبي ﷺ وإرادة نكاحهن في حياته أو بعد وفاته أو تخفوه في صدوركم ، فان الله تعالى كان بكل شيء من ايذاءِ النبي ﷺ حياً وميتاً عليماً فيجازيكم عليه .

۳۵۸۸- (لاجناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيداً)

لا إثم على نساءِ النبي ﷺ في ترك الحجاب لآبائهن ، ولا لأبنائهن ولا لاخوانهن ولا لابناءِ إخوانهن ، ولا لابناءِ أخواتهن ، ولا للنساءِ المؤمنات ، ولا لما ملكت ايمانهن من العبيد والاماءِ وخفن الله تعالى أيها النساء أن تتعدين حدود الله تعالى ، ان الله كان على كل شيء شهيداً لايغيب عنه شيء .

۳۵۸۹- (ان الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)

ان الله تعالى ينعطف على رسول الله ﷺ بالرحمة والرضوان ، و ينعطف ملائكته على النبي ﷺ بالاستغفار له وبالثناءِ والتعظيم . . . يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبيكم الاعظم ﷺ بازكى الدعاءِ وأجمل الثناءِ ، وحيّوه بأحسن التحية.

۳۵۹۰- (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً)

ان الذين يؤذون الله ورسوله ﷺ بالكفر والطغيان أبعدهم الله تعالـى

عن رحمته وعن كل خير في الدنيا، وأبعدهم عن الجنة ونعيمها في الاخرة، وأعد لهم في الاخرة عذاباً مهيناً .

٣٥٩١- (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً)

والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ايذاءاً بغير ما اكتسبوا من عقيدة باطلة، وكلام سيّىء، وفعل قبيح، فقد احتمل هؤلاء المؤذون كذباً وإثماً مبيناً يدرك كل عاقل قبحه حتى من غير حاجة إلى ورود النهي عنهما في الشرع وقد ورد.

٣٥٩٢- (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً)

يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ولكافة نساء المؤمنات أن يسترن عليهن من ستورهن ويرسلنها حتى تغطي أجسامهن إلى أقدامهن فلا يظهر منهن إلا عين تبصر بها، ذلك الستر والحجاب أقرب إلى أن يعرفن فلا يؤذين باعتراض الاراذل... وكان الله غفوراً لما سلف منهن من إخلال في الحجاب، رحيماً يرحم بمن لم يتعد حدود الله تعالى .

٣٥٩٣- (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً)

اقسم بالله تعالى لئن لم ينته أهل النفاق، والذين في قلوبهم مرض الفساد في الحرث والنسل والذين يثيرون الاراجيف والاكاذيب بين المجتمع لنسلطنك يا محمد ﷺ عليهم ثم لا يجاورونك في المدينة ولا يساكنون فيها إلا زمناً قليلاً

٣٥٩٤- (ملعونين أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلاً)

يخرجون من المدينة، مبعدين عن رحمة الله تعالى، أينما وجدوا و ظفر بهم من بعد الاخراج اخذوا وقتلوا قتلا من غير تسامح ولا تساهل .

٣٥٩٥- (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

هذه سنة الله تعالى فى الامم السابقة من قبل منافقى هذه الامة المسلمة ، و لن تجد يا محمد ﷺ لسنة الله جل و علا تغييراً لابتناءها على حكم الهية و مصالح للعباد .

۳۵۹٦- (يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله و ما يدريك لعل الساعة تكون قريباً)

يسئلك الناس أيها النبى ﷺ عن وقوع القيامة ، قل لهم : إنما علم الساعة عندالله تعالى ، وما يشعرك يامحمد ﷺ لعل قيام الساعة يكون قريباً.

۳۵۹۷- (ان الله لعن الكافرين وأعدلهم سعيراً)

ان الله تعالى طرّد الذين كفروا وأبعدهم عن رحمته وعن كل خير بسبب كفرهم وهيّأالله تعالى لهم ناراً تلتهب إلتهاباً شديداً .

۳۵۹۸- (خالدين فيها أبداً لايجدون ولياً ولانصيراً)

خالدون هؤلاءِ الكافرين ماكثين فى النار المسعرة إلى غير نهاية ،لايجدون فيها ولياً لانفسهم يحفظهم عنها ، ولانصيراً يدفع عنهم العذاب .

۳۵۹۹- (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا)

يوم تقلب وجوه الكفار والمنافقين وتغيّر ألوانها بلفح النار يقولون عندئذ متحسّرين : ياليتنا أطعنا الله تعالى فى الحياة الدنيا وأطعنا الرسولا فيما يأمرنا به، ومانهانا عنه .

۳٦۰۰- (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا)

وقال هؤلاءِ الكفار والمنافقون ـ وهم فى النار ـ متحسّرين : ربنا أطعنا سادتنا فى الكفر والطغيان ،وكبرائنا فى الشرك والعصيان ،فأضلونا عن سبيل الهدى،

۳٦۰۱- (ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً)

قالوا : ربنا آت هؤلاءِ السادة والكبراءِ ضعفين من العذاب بسبب كفرهم ، وإضلالهم ، وطرّدهم وأبعدهم عن رحمتك طرداً لايردّون إلى رحمتك قطّ .

٣٦٠٢ـ (يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عندالله وجيهاً)

يا أيها الذين آمنوا لاتؤذوا نبينا محمداً ﷺ بقول يكرهه منكم ،ولا بفعل لايحبه فلا تكونوا مع نبيكم كبني إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام آذوه إذرموه بعيب فبرّأه الله تعالى مما قالوا فيه ،وكان موسى عليه السلام عندالله تعالى ذا مكانة كريمة .

٣٦٠٣ـ (يا أيها الذين آمنوا اتقواالله وقولوا قولاً سديداً)

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله جل وعلا بأن تعصوه بمخالفتكم أحكام الله تعالى وايذاءكم رسوله ﷺ وايذاء المؤمنين،وقولوا في الله سبحانه وفي رسوله ﷺ وفي المؤمنين قولاً صواباً .

٣٦٠٤ـ (يصلح لكم أعمالكم و يغفرلكم ذنوبكم ومن يطع الله و رسوله فقدفازفوزاً عظيماً)

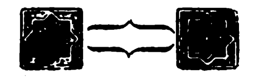
إن فعلتم ذلك يصلح الله تعالى لكم أعمالكم، ويغفرلكم ذنوبكم السابقة، ومن يطع الله جل وعلا ورسوله في الاوامر والنواهي ، فقد فازفي الدارين فوزاً عظيماً لايقادر قدره .

٣٦٠٥ـ (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كانه ظلوماً جهولاً)

إنا عرضنا الامانة التي تستكمل بها الدين الحق على السموات على سعتها ، والارض على عظم ثقلها ، والجبال على شدتها ، فأبين أن يحملن هذه الامانة العظمى لفقد إستعداد الحمل فيها ، وخفن من حملها ، وحملها الانسان مع صغر جرمه وضعف جسمه لكون إستعداد الحمل وصلاحيته فيه ، ان الانسان كان ظلوماً على صاحب الامانة بخيانتها وعلى نفسه بالعذاب ، و على المجتمع البشري لصدهم عن الاستكمال الديني ، جهولاً بمكانة هذه الامانة .

٣٦٠٦ـ (ليعذب الله المنافقين و المنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً)

إنا عرضنا هذه الامانة وجعلنا الانسان مستعداً لحملها ليعذب الله تعالى الخائنين بها من المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويثيب الامناء المؤدين حقها من المؤمنين والمؤمنات ، ويقبل توبتهم، وكان الله جل وعلا غفوراً لمن تاب ،رحيما بمن آمن .



﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : في قوله تعالى : « يا أيها النبي إتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين » قال : وهذا هو الذي قال الصادق عليه السلام : ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وآله وسلم باياك أعني واسمعي ياجاره . فالمخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى للناس .

وفيه: عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه » قال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه : لايجتمع حبنا وحبّ عدونا في جوف إنسان ، ان الله لم يجعل لرجل قلبين في جوفه ، فيحبّ بهذا و يبغض بهذا ، فأما محبنا فيخلص الحب لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه ، فمن أراد أن يعلم فليمتحن قلبه ، فان شارك في حبنا حب عدونا فليس منا ، و لسنا منه ، والله عدوهم وجبرئيل وميكائيل والله عدوّ للكافرين .

وفي أمالي الشيخ قدس سره باسناده عن صالح بن ميثم التمار رحمه الله قال : وجدت في كتاب ميثم رضي الله عنه يقول : تمسينا ليلة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال لنا : ان عبداً لن يقصر في حبنا لخير جعله في قلبه ، ولن يحبنا من يحب مبغضنا ان ذلك لايجتمع في قلب واحد ، وماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه، يحب بهذا قوماً ويحب بالاخر عدوهم ، والذي يحبنا فهو يخلص حبنا كما يخلص الذهب لاغش فيه . الحديث . . .

وفي المجمع : وقال أبوعبدالله عليه السلام « ماجعل لرجل من قلبين في جوفه » يحبّ بهذا قوماً ويحب بهذا أعدائهم .

وفي البرهان: بالاسناد عن أبي الجارود عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: «ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه» قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام : ليس من عبد من عبيدالله ممن امتحن قلبه بالايمان إلاّ و يجد مودتنا في قلبه فهو يودّنا ، و ما من عبد من عبيدالله ممن سخط الله عليه إلاّ و يجد بغضنا على قلبه فهو يبغضنا ، فأصبحنا نفرح بحب المحب و نغتفر له و نبغض المبغض، وأصبح محبنا ينظر رحمة الله جل و عز ، فكان ينظر إلى أبواب الرحمة قد فتحت له ، و أصبح مبغضنا على شفا جرف هار من النار ، فكان ذلك الشفا قد أنهار به في نار جهنم ، فهيّأ لأهل الرحمة رحمتهم ، و تعساً لأهل النار مثواهم ، ان الله عزوجل يقول : «فلبئس مثوى المتكبرين» .

و انه ليس من عبد من عبيدالله يقصر في حبنا لخير جعله الله عنده إذ لا يستوى من يحبنا و يبغضنا و لا يجتمعان في قلب رجل أبداً ، ان الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه يحبّ بهذا و يبغض بهذا أما المحب لنا، فيخلص الحب لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه ، و مبغضنا على تلك المنزلة ، و نحن النجباء و إفراطنا إفراط الانبياء و أنا وصى الأوصياء والفئة الباغية من حزب الشيطان و الشيطان منهم ، فمن أراد أن يعلم حبنا فليمتحن قلبه ، فان شارك في حبنا عدونا فليس منا ، و لسنا منه والله عدوّه و جبرئيل و ميكائيل والله عدو للكافرين ، و قال علي عليه السلام : لا يجتمع حبنا و حب عدونا في جوف إنسان ، ان الله عزوجل يقول : «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» .

وفي أمالي الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن حبيش بن المعتمر قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام و هو في الرحبة متكئاً ، فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته كيف أصبحت ؟ قال : فرفع رأسه و ردّ عليّ ، فقال : أصبحت محباً لمحبنا و مبغضاً لمن يبغضنا ، ان محبنا ينتظر الروح والفرج في كل يوم و ليلة ، و ان

مبغضنا بنى بناه، فأسس بنيانه على شفا جرف هار فكأن بنيانه هار فانهار به فى نار جهنم يا أبا المعتمر !

ان محبنا لا يستطيع أن يبغضنا و ان مبغضنا لا يستطيع أن يحبنا ان الله تبارك و تعالى جبل قلوب العباد على حبنا و خذل من يبغضنا ، فلن يستطيع محبنا بغضنا ، و لن يستطيع مبغضنا حبنا ، و لمن يجتمع حبنا و حب عدونا فى قلب أحد ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه يحب بهذا قوماً و يحب بالآخر أعدائهم .

وفى العلل : باسناده عن محمد بن سنان ، ان الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله: وعلة تحليل مال الولد لوالده بغير إذنه، وليس ذلك للولد لان الولد موهوب للوالد فى قوله عزوجل : « يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور » مع أنه المأخوذ بمؤنته صغيراً أو كبيراً، والمنسوب إليه، والمدعو له لقوله عزوجل : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عندالله » و لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « أنت و مالك لأبيك » و ليس للوالدة مثل ذلك لاتأخذ من ماله شيئاً إلا باذنه أو باذن الأب ، و لأن الوالد مأخوذ بنفقة الولد ، ولاتؤخذ المرأة بنفقة ولدها.

و فى المجمع : قال عليه السلام : « من انتسب إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله » .

وفى تفسير ابن كثير : فى قوله تعالى: « فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين و مواليكم » قال : ان الله تعالى أمر برد أنساب الادعياء إلى آبائهم إن عرفوا ، فان لم يعرفوا فهم إخوانهم فى الدين و مواليهم أى عوضاً عمافاتهم من النسب و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء و تبعتهم إبنة حمزة تنادى : ياعم ياعم ، فأخذها على عليه السلام وقال لفاطمة عليها السلام دونك إبنة عمك فاحتملتها ، فاختصم فيها علىّ و زيد و جعفر فى أيهم يكفلها فكل أدلى بحجة فقال على عليه السلام ، أنا أحق بها وهى إبنة عمى ، وقال زيد : إبنة أخى،

وقال جعفر بن أبيطالب : إبنة عمى وخالتها تحتى يعنى أسماء بنت عميس، فقضى بها النبى صلى الله عليه وآله وسلم لخالتها و قال : « الخالـة بمنزلـة الام » و قال لعلى عليه السلام : أنت منى و أنا منك . و قال لجعفر : اشبهت خلقى و خلقى . و قال لزيد : أنت أخونا و مولانا .

و فى الكافى : باسناده عن الحسين بن ثوير ابن ابى فاختة عن أبى عبد الله عليه السلام قال : لا تعود الامامة فى اخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام أبـداً إنما جرت من على بن الحسين عليه السلام كما قال الله : « و اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله » فلا تكـون بعد على بن الحسين عليه السلام إلاّ فى الأعقـاب و أعقاب الاعقاب .

وفى الخصال : باسناده عن عبدالرحمن إبن كثير عن أبى عبدالله عليه السلام - فى حديث- قال: و أما عقوق الوالدين فى كتابه: « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه امهاتهم » فعقّوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ذريته و عقّوا امهم خديجة فى ذريتها .

وفى الدرالمنثور : عن جابر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يقول : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فأيّما رجل مات، وترك ديناً فالىّ ، ومن ترك مالاً فهو لورثته.

و فى التهذيب : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله قال : اختلف أمير المؤمنين على عليه السلام وعثمان بن عفان فى الرجل يموت ، وليس له عصبة يرثونه و له ذوقرابة لا يرثونه ، فقال على عليه السلام : ميراثه لهم يقول الله تعالى : « و اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض » و كان عثمان يقول : يجعل فى بيت مال المسلمين .

وفى الدر المنثور : عن بريدة قال: غزوت مع على عليه السلام اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله ذكرت علياً عليه السلام فتنقصته ، فرأيت وجه رسول الله تغيـّر ، و قال : يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قلت : بلى يا رسول الله قال : من كنت مولاه فعلىّ مولاه .

أقول: ان الله تعالى لما فضّل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم على المؤمنين كافة ، فضّل بعض المؤمنين على بعضهم أيضاً بقوله تعالى : « واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين » ثم وصف « اولوا الارحام » بوصفين :الاول : الايمان يستفاد من قوله تعالى : « من المؤمنين » . والثاني : الهجرة لقوله تعالى: « المهاجرين » فالولاية تتوقف على ثلاثة امور: الاول : القرابة . والثاني:الايمان. والثالث: الهجرة . ومن كان جامعاً للامور الثلاثة ليس إلاّ علياً عليه السلام لان أبى بكر ليس له قرابة وأما عباس فلم يكن مهاجراً . و من هنا لما اخبر علي عليه السلام على بيعة الناس بأبي بكر فقال : لم ؟ فقالوا : للصحبة والشورى . و قال أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر:

فان كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف بهذا والمشيرون غيّب
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك اولى بالنبي و أقرب

وفي تفسير ابن العربي: في قوله تعالى : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » قال : لانه صلى الله عليه وآله وسلم مبدأ وجوداتهم الحقيقية و مبدأ كمالاتهم ، و منشأ الفيض الاستعدادي أولاً ، و المقدس الكمالي ثانياً فهو الأب الحقيقي لهم ، و لذلك كانت أزواجه امهاتهم في التحريم ، و محافظة الحرمة مراعاة لجانب الحقيقة، و هو الواسطة بينهم و بين الحق في مبدأ فطرتهم ، فهو المرجع في كمالاتهم ، ولا يصل إليهم فيض الحق بدونه لانه الحجاب الاقدس واليقين الاول كما قال : « أول ما خلق الله نوري » فلو لم يكن أحب إليهم من أنفسهم لكانوا محجوبين بأنفسهم عنه ، فلم يكونوا ناجين إذ نجاتهم إنما هي بالفناء فيه لانه المظهر الاعظم.

وفي أمالي الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه : باسناده عن الامام الحسين ابن علي عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي بكم يفتح هذا الأمر، وبكم يختم ، عليكم بالصبر، فان العاقبة للمتقين أنتم حزب الله و أعدائكم حزب الشيطان ، طوبى لمن أطاعكم ، و ويل

لمن عصاكم أنتم حجة الله على خلقه ، والعروة الوثقى من تمسّك بها اهتدى ، و من تركها ضلّ ، اسئل الله لكم الجنة ، لايسبقكم أحد إلى طاعة الله فأنتم اولى بها .

و في كمال الدين : باسناده عن سعد بن عبدالله القمي عن الحجة القائم المهدي عليه السلام - في حديث - : قلت : فأخبرني يا مولاي عن معنى الطلاق الذي فرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال : ان الله تقدس إسمه عظم شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخصّهن بشرف الامهات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أباالحسن ان هذا الشرف باق لهن ما دمن لله على الطاعة ، فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك ، فأطلق لها في الازواج ، وأسقطها من شرف الامهات ، و من شرف امومة المؤمنين .

و في العلل : باسناده عن علي بن الحسين بن فضال عن أبيه قال : سئلت أبا الحسن عليه السلام فقلت له : لم كنّى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأبي القاسم ؟ فقال : لانه كان له إبن يقال له : قاسم ، فكني به ، قال : فقلت : يابن رسول الله فهل تراني أهلاً للزيادة ؟ فقال : نعم أماعلمت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أنا وعليّ أبوا هذه الامة ؟ قلت : بلى ، قال : أما علمت ! ان علياً عليه السلام قاسم الجنة والنار ؟ قلت : بلى ،قال: فقيل له أبوالقاسم لا أبوالقسيم الجنة والنار ، فقلت : و ما معنى ذلك ؟ فقال :ان شفقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على امته كشفقة الاباء على الاولاد ، و أفضل امته علي عليه السلام و من بعده شفقة عليّ عليهم كشفقته صلى الله عليه وآله وسلم لانه وصيه و خليفته والامام بعده .

فلذلك قال : أنا و علي أبوا هذه الامة ، وصعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنبر، فقال: من ترك ديناً أوضياعاً فعليّ و إليّ و من ترك مالا فلورثته ، فصار بذلك أولى من آبائهم و امهاتهم ، و صار أولى بهم منهم بأنفسهم ، و كذلك أمير المؤمنين عليه السلام بعده جرى ذلك له مثل ماجرى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

و في البرهان : بالاسناد عن محمد بن زيد عن أبي جعفر عليه السلام قال :سئلت

مولاى فقلت قوله عزوجل : « واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله »؟ قال : هوعلى بن أبيطالب عليه السلام معناه انه رحم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيكون أولى بـه من المؤمنين والمهاجرين .

وفى نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين على عليه السلام : « فوالله انى لاولى الناس بالناس »

وفي الاحتجاج : عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ـ في حديث ـ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، من كنت أولى بـه من نفسه ، فأنت أولى به من نفسه ، وعلي بين يديه عليهما السلام في البيت .

وفي روضة الكافي : باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام ـ في حديث ـ يقول : كان علي أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأولى الناس بالناس حتى قالها ثلاثاً .

وفي الكافي : باسناده عن حنان قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أي شيء للموالي ؟ فقال : ليس لهم من الميراث إلا ماقال الله عزوجل : « إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً » .

وفي تفسير القمي : باسناده عن إبن سنان قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : أول من سبق إلى الميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك انه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك و تعالى وماكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما اسرى بـه إلى السماء تقدم : يا محمد لقد وطئت موطئاً لم يطأه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ولولا ان روحه نفسه وكانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه ، فكان من الله عزوجل كما قال الله « كقاب قوسين أو أدنى » أي بل أدنى فلما خرج الامر وقع من الله إلى أوليائه عليهم السلام ، فقال الصادق عليه السلام :كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية و لرسوله بالنبوة ولأمير المؤمنين والائمة عليهم السلام بالامامة ، فقال : « ألست بربكم » ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيكم ، وعلي عليه السلام إمامكم ، وأئمة الهادين عليهم السلام أئمتكم ؟

قالوا : بلى فقال : الله شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أي لئلا تقولوا يوم

القيامة انا كنا عن هذا غافلين ، فأول ما أخذالله الميثاق على الانبياء له بالربوبية وهو قوله : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم » فذكر جملة الانبياء ثم أبرز عزوجل أفضلهم بالأسامي فقال : « ومنك » يا محمد فقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه أفضلهم « ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى إبن مريم » فهؤلاء الخمسة أفضل الانبياء و رسول الله أفضلهم ثم أخذ بعد ذلك الميثاق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الايمان به (ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الانبياء بالايمان به خ) و على أن ينصروا أمير المؤمنين عليه السلام فقال : « وإذأخذ الله ميثاق النبيين لماآتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم » يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتؤمنن به ولتنصرنه يعني أمير المؤمنين عليه السلام تخبروا اممكم بخبره وخبر وليه من الائمة عليهم السلام .

ثم قال علي إبن ابراهيم : هذه الواو في قوله : « ومنك » و إنما هو منك و من نوح فأخذالله عزوجل الميثاق لنفسه على الانبياء ثم أخذ لنبيه على الانبياء والائمة صلوات الله عليهم ثم أخذ للانبياء على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي الدر المنثور : عن إبن عباس قال : قيل : يا رسول الله متى أخذ ميثاقك ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد .

وفي الاحتجاج : روى عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام قال : ان يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام : فان هذا هود ، قد انتصر الله له من أعدائه بالريح ، فهل فعل لمحمد شيئاً من هذا؟ قال له علي عليه السلام : لقد كان ذلك كذلك ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم اعطي ماهو أفضل من هذا ، ان الله عز ذكره انتصر له من أعدائه بالريح يوم الخندق إذ أرسل عليهم ريحاً تذروالحصا، وجنوداً لم يروها فزادالله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم على هود بثمانية آلاف ملك ، وفضله على هود بأن ريح عاد سخط وريح محمد صلى الله عليه وآله وسلم رحمة،قال الله تبارك وتعالى : « ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمةالله عليكم إذجاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها » .

وفي المجمع : وقال أبوسعيد الخدرى : قلنا يوم الخندق يارسول الله هل من شيء نقوله ، فقد بلغت القلوب الحناجر؟ فقال : قولوا : اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا ، قال : فقلناها ، فضرب وجوه أعداء الله بالريح فهزموا .

١٠ـ (اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم و اذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا)

وفي الاحتجاج : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام ـ فى ردّ التناقض من القرآن الكريم ـ : وأما قوله عزوجل للمنافقين: «وتظنون بالله الظنونا » فهو ظنّ شك وليس ظن يقين ، والظن ظنّان : ظن شك ، وظن يقين ، فما كان من أمر المعاد من الظن فهو ظن يقين ، وما كان من أمر الدنيا فهو ظن شك .

وفيه: قال على عليه السلام : « وأما قوله في المنافقين : « وتظنون بالله الظنونا » فليس ذلك بيقين ، ولكنه شك ، فاللفظ واحد في الظاهر ، ومخالف في الباطن ».

وفيه: : عن الامام مولى الموحدين على عليه السلام ـ فيحديث ـ قال : اما انه سيأتى على الناس زمان يكون الحق فيه مستوراً والباطل ظاهراً مشهوراً ، و ذلك اذاكان أولى الناس به أعدائهمله ، واقترب الوعد الحق وعظم الالحاد ،وظهر الفساد « هنا لك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً » ونحلهم الاخيار أسماء الاشرار، فيكون جهد المؤمن أن يحفظ مهجته من أقرب الناس إليه ثم يفتح الله الفرج لاوليائه ، ويظهر صاحب الامر على أعدائه .

وفي المجمع : فيقوله تعالى : « يقولون ان بيوتنا عورة و ماهى بعورة » : بل رفيعة السمك حصينة عن الصادق عليه السلام .

وفي تفسير العياشي : عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله: « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » فقال : النساء ، انهم قالوا : « ان بيوتنا عورة » و كان بيوتهم في أطراف البيوت (المدينة خ) حيث ينفرد الناس ، فأكذبهم قال : « و ماهى بعورة إن يريدون إلاّ فراراً » وهى رفيعة السمك حصينة .

وفى المجمع: فى قوله تعالى: « وماهى بعورة »: بل هى رفيعة السمك حصينة عن الصادق عليه السلام.

و فى نهج البلاغة: ـ من كتاب الامام أمير المؤمنين على عليه السلام إلى معاوية بن أبى سفيان عليهما الهاوية والنيران جواباً ـ ثم ذكرت ماكان من أمرى وأمر عثمان، ولك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله، أمن بذل له نصرته فاستنقذه واستكفه؟ أم من إستنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه حتى أتى قدره عليه؟ كلا والله لقد علم « الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلاّ قليلاً ».

وفى الاحتجاج: عن الامام أمير المؤمنين على عليه السلام ـ فى حديث طويل ـ ولان الصبر على ولاة الامر مفروض لقول الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: « فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل » وايجابه مثل ذلك على أوليائه وأهل طاعته بقوله: « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ».

وفيه: عن مولى الموحدين على عليه السلام ـ فى حديث طويل ـ: وأما قولكم انى جعلت الحكم إلى غيرى، و قد كنت عندكم أحكم الناس، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل الحكم إلى سعد يوم بني قريظة، وكان أحكم الناس، وقد قال الله: « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة » فتأسيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفى تفسير القمى: باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا صلّى العشاء الآخرة أمر بوضوئه و سواكه يوضع عند رأسه مخمراً، فيرقد ماشاء الله ثم يقوم فيستاك ويتوضأ، ويصلّى أربع ركعات، ثم يرقد ثم يقوم فيستاك ويتوضأ ويصلى أربع ركعات ثم يرقد، حتى إذا كان فى وجه الصبح قام، فأوتر ثم صلّى الركعتين ثم قال: « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ».

وفى الخصال: باسناده عن أبى ذر الغفارى رضوان الله تعالى عليه قال:

دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و هو فى المسجد جالس إلى أن قال : قال صلى الله عليه وآله وسلم : عليك بتلاوة كتاب الله و ذكرالله كثيراً ، فانه ذكرلك فى السماء ، و نورلك فى الارض .

و فى تفسيرالقمى : ثم وصف الله عزوجل المؤمنين أى المصدقين بما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مايصيبهم فى الخندق من الجهد فقال جل ذكره : « و لما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله و مازادهم إلاّ ايماناً » يعنى ذلك الجهد والخوف « وتسليماً » .

وفى الكافى : باسناده عن عنبسة بن مصعب عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من استقبل جنازة أورآها فقال : الله أكبر هذا ماوعدنا الله و رسوله و صدق الله ورسوله وصدقالله اللهم زدنا ايماناً وتسليماً ، الحمدلله الذى تعزز بالقدرة و قهرالعباد بالموت لم يبق فىالسماء ملك إلاّ بكى رحمة لصوته.

٢٣ـ (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليهفمنهم من قضىنحبه و منهم من ينتظر و مابدلوا تبديلاً)

فى الكافى: باسناده عن نصيرأبى الحكم الخثعمى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: المؤمن مؤمنان : فمؤمن صدق بعهدالله و وفى بشرطه وذلك قول الله عزوجل : «رجال صدقوا ماعاهدواالله عليه» فذلك الذى لاتصيبه أهوال الدنيا و لا أهوال الآخرة ، وذاك ممن يشفع ولايشفع له ، ومؤمن كخامة الزرع ، تعوج أحياناً و تقوم أحياناً ، فذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة وذلك ممن يشفع له ولايشفع .

قوله عليه السلام: « كخامة **الزرع**» : أول ما ينبت على ساق أواللطافة الغضة منه أوالشجرة الغضة منه .

وفى روضة الكافى: باسناده عن عبدالله بن ميمون القدّاح عنأبىعبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا علىّ **من أحبّك ثم مات فقد قضى نحبه** و

من أحبّك ولم يمت فهو ينتظر، وما طلعت شمس ولاغربت إلاّ طلعت عليه برزق وايمان ـ وفي نسخة نور ـ .

وفيه: باسناده عن محمدبن سليمان عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام انـه قال لأبي بصير: يا با محمد لقد ذكر كم الله في كتابه فقال : «من المؤمنين رجـال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً» انكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا ، وانكم لم تبدلوا بنا غيرنا . الحديث . . .

وفي أمالي الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن مـالك بـن ضمرة قال : قال أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي فقال من تابع هؤلاء الخمسة ثم مات وهو يحبك فقد قضى نحبه ، ومن مات وهـو يبغضك فقد مات ميتة جاهلية يحاسب بما عمل في الاسلام ، ومن عاش بعدك وهو يحبك ختم الله له بالأمن والايمان حتى يرد عليّ الحوض .

وفي ارشاد المفيد قدس سره في مقتل الامام سيد الشهداء عليه السلام ان الحسين بن علي عليه السلام مشى إلى مسلم بن عوسجة لما صرع ، فاذا به رمق فقال: رحمك الله يا مسلم «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً» .

و في تفسير القمي : عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: « من المؤمنين رجال صدقـوا ما عاهدوا الله عليه » لا يغيّـروا أبـداً « فمنهم من قضى نحبه » أي أجله و هو حمزة وجعفر بن أبيطالب « و منهم من ينتظر» أجله يعني علياً عليه السلام يقول : « و ما بدّلوا تبديلاً » .

و في مقتل الحسين لأبي مخنف ان الحسين عليه السلام لما أخبـر بقتل رسوله عبدالله بن يقطر تغرغرت عينه بالدموع ، و فاضت على خديه ثم قال : « و منهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدّلوا تبديلاً » .

و في المناقب لابـن شهر آشوب رضـوان الله تعالـى عليه : ان أصحاب

الحسين عليه السلام بكربلا كانوا كل من أراد الخروج ودّع الحسين عليه السلام وقال :السلام عليك يا ابن رسول الله فيجيبه : و عليك السلام ، و نحن خلفك و يقرأ «فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر» .

و فيه : قال الصادق عليه السلام و ابن مسعود في قوله : « و كفى الله المؤمنين القتال » بعلى ابن أبى‌طالب عليه السلام وقتله عمرو بن عبدود .

وفي الكافي : باسناده عن عيص بن القاسم عن أبى عبدالله عليه السلام قال :سئلته عن رجل خيّر إمرأته ، فاختارت نفسها بانت منه ؟ قال : لا إنما هذا شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصّة أمر بذلك ففعل، ولواخترن أنفسهن لطلّقهن(لطلقن خ) و هو قول الله عزوجل : « قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرّحكن سراحاً جميلاً » .

و فيه : باسناده عن داود بن سرحان عن أبى عبدالله عليه السلام ان زينب بنت جحش قالت : يرى رسول الله إن خلّى سبيلنا أن لا نجدزوجاً غيره و قد كان اعتزل نساءه تسعة وعشرين ليلة ، فلما قالت زينب الذى قالت ، بعث الله جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « قل لأزواجك » الآيتين كلتيهما ، فقلن : بل نختارالله و رسوله و الدار الاخرة .

و في تفسير القمي : باسناده عن حريز قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » قال :الفاحشة : الخروج بالسيف .

أقول: كماخرجت عائشة بالسيف على الامام أمير المؤمنين على عليه السلام بالجمل.

و في كمال الدين : باسناده عن عبدالله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى حديث ـ قال صلى الله عليه وآله وسلم : ان يوشع بن نون وصى موسى عليه السلام عاش بعدموسى ثلاثين سنة ، و خرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى عليه السلام فقالت : أنا أحق منك بالامر، فقاتلها فقتل مقاتليها وأحسن أسرها ، وان ابنة أبى بكر ـ عائشة ـ ستخرج

على علي في كذا وكذا ألفاً من امتي ، فيقاتلها فيقتل مقاتليها ويأسرها، فيحسن أسرها و فيها أنزل الله تعالى : « و قرن في بيوتكن و لا بترجن تبرج الجاهلية الاولى » يعني صفيراء بنت شعيب .

و في تفسير القمي : باسناده عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه عليه السلام في هذه الاية : « ولا تبرجن تبرّج الجاهلية الاولى » قال: أي ستكون جاهلية اخرى .

و فيه : عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال : أجرها مرتين وعذابها ضعفين ، كل هذا في الاخرة حيث يكون الاجر يكون العذاب .

وفي كنز الفوائد للكراجكي رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال لي : أتدري ما الفاحشة المبينة ؟ قلت : لا قال : قتال أمير المؤمنين عليه السلام يعني أهل الجمل .

وفي المجمع : في قوله تعالى: « يانساء النبي من يأت منكن . . . » الآيتين و روى محمد بن أبي عمير عن ابراهيم بن عبدالحميد عن علي بن عبدالله بن الحسين عن أبيه عن علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام انه قال رجل: انكم أهل بيت مغفور لكم ، قال : فغضب ، و قال : نحن أحرى أن يجري فينا ما أجرى الله في أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن نكون كما تقول، انا نرى لمحسننا ضعفين من الاجر، ولمسيئنا ضعفين من العذاب ثم قرأ الآيتين . .

٣٣- (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً)

وفي تفسير العياشي : عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ان الآية تنزل أولها في شيء و أوسطها في شيء وآخرها في شيء ثم قال : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً » من ميلاد الجاهلية .

و في الاحتجاج : عن الامام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام - في

حديث ـ قال لبعض الشاميين : فهل تجد لنا في سورة الاحزاب حقاً خاصة دون المسلمين ؟ فقال : لا ، قال عليه السلام : أما قرأت هذه الاية : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » ! .

و في **شواهد التنزيل** للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن أبي جميلة قال : خرج الحسن بن علي عليهما السلام يصلي بالناس و هو بالكوفة ، فطعن بخنجر في فخذه فمر في شهرين ثم خرج فحمدالله و أثنى عليه ثم قال : يا أهل العراق ! اتقوا الله فينا فانا أمراؤكم و ضيفانكم و أهل البيت الذين سمى الله في كتابه : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً »

و **فيه** : باسناده عن هلال بن يساف قال : سمعت الحسن بن علي عليهما السلام و هو يخطب و هو يقول : يا أهل الكوفة اتقوا الله فينا فانا امراؤكم وانا ضيفاكم ونحن أهل البيت الذين قال الله : « انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » الاية قال : فما رأيت يوماً قط أكثر باكياً من يومئذ .

و **فيه** : باسناده عن ام سلمة ان هذه الاية نزلت في بيتها : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » قالت: وفي البيت رسول الله و علي و فاطمة و حسن و حسين ، قالت : و أنا جالسة على الباب ، فقلت : يا رسول الله ألست من أهل البيت ؟ قال : انك إلى خير ، انك من أزواج النبي .

و **فيه** : باسناده عن عامر بن سعد عن أبيه قال : مرّ معاوية بسعد ـ في المدينة ـ فقال: ما يمنعك أن تسبّ أبا تراب ! ! فقال سعد : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله فلا أسبّه ، لأن يكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم ، سمعت رسول الله يقول له و خلّفه في بعض مغازيه ، فقال علي عليه السلام : يا رسول الله أتخلّفني مع النساء والصبيان ؟ فقال رسول الله : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الاّ انه لا نبي بعدي ، و سمعته يقول : لا عطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله و رسوله ، و يحبّه الله و رسوله ، فتطاولنا لها ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ادعوا علياً ، فأتى به أرمد فبصق في عينيه ، ودفع إليه الراية ، ففتح الله عليه ، ولما نزلت هذه الاية : « انما يريد الله . . . » الاية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، وقال : اللهم هؤلاء أهلي .

وفي الدر المنثور : أخرج الطبراني عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة : ائتيني بزوجك وابنيه ، فجائت بهم فألقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم كساء فدكياً ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم ان هؤلاء أهل محمد ـ و في لفظ آل محمد ـ فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل ابراهيم انك حميد مجيد ، قالت ام سلمة : فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي و قال : انك على خير .

أقول : وقد وردت روايات كثيرة بأسانيد عديدة عن طريق العامة لايسعها المقام وسيأتي ذكرها فرادى إن شاءالله تعالى ، ونشير في المقام إلى نبذة ماورد عن طريق شيعة أهل البيت الحقة : الامامية الاثنى عشرية الناجية :

في الكافي : باسناده عن محمدبن على الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : « انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » يعني الأئمة عليهم السلام ، وولايتهم من دخل فيها دخل في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي كمال الدين : باسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال في أثناء كلام له في جمع من المهاجرين والانصار في المسجد أيام خلافة عثمان : أيها الناس أتعلمون ان الله عزوجل أنزل في كتابه : « انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » فجمعني و فاطمة و ابني حسناً و حسيناً ، وألقى علينا كساه وقال : اللهم ان هؤلاء أهل بيتي ولحمتي يولمني ما يولمهم ، ويحرجني ما يحرجهم ، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فقالت ام سلمة : وأنا يارسول الله ؟ فقال : أنت ـ أوانك ـ على خير ، انما انزلت في وفي أخي و إبنتي و في تسعة من ولد إبني الحسين خاصة ليس معنا فيها أحد غيرنا

فقالوا كلهم: نشهد ان ام سلمة حدثنا بذلك، فسئلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحدثنا كما حدثتنا ام سلمة رضى الله عنها.

وفي العلل: باسناده عن عبدالرحمن بن كثير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ماعنى الله عزوجل بقوله تعالى: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً»؟ قال: نزلت هذه الاية في النبي و أمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، فلما قبض الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كان أمير المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين عليهم السلام، ثم وقع تأويل هذه الاية: «و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» وكان علي بن الحسين عليهما السلام.

ثم جرت في الائمة من ولده الاوصياء عليهم السلام، فطاعتهم طاعة الله و معصيتهم معصية الله عزوجل.

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي بصير قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: من آل محمد؟ قال: ذريته، قلت: من أهل بيته؟ قال: الائمة الاوصياء، فقلت: من عترته؟ قال: أصحاب العباء فقلت: من امته؟ قال: المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عندالله عزوجل المتمسكون بالثقلين الذين امروا بالتمسك بهما كتاب الله وعترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهما الخليفتان على الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي العلل: باسناده عن الحسين بن عليّ عن أبيه عليهما السلام قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيت ام سلمة، وقد نزلت عليه هذه الاية: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا على هذه الاية فيك وفي سبطي والائمة من ولدك، فقلت: يارسول الله وكم الائمة بعدك؟ قال: أنت ياعلي ثم ابناك الحسن والحسين، وبعد الحسين علي ابنه وبعد علي محمد ابنه وبعد محمد جعفر ابنه، وبعد جعفر موسى ابنه، وبعد موسى علي إبنه، و بعد علي محمد ابنه، و بعد محمد علي ابنه، و بعد علي الحسن ابنه،

والحجة من ولد الحسين عليهم السلام هكذا أسماؤهم مكتوبة على ساق العرش ، فسألت الله تعالى عن ذلك ، فقال : يا محمد هذه الائمة بعدك مطهرون معصومون ، و أعدائهم ملعونون .

وفي تفسير القمي : باسناده عن أبي بصير قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » قال : نزلت في علي بن أبيطالب والحسن والحسين عليهم السلام ، فقلت له : ان الناس يقولون: فماله لم يسمّ علياً وأهل بيته عليهم السلام في كتاب الله عزّ جل ؟ قال : قولوا لهم : ان رسول الله عليه السلام نزلت عليه الصلاة ، ولم يسمّ الله لهم ثلثاً ولاأربعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هوالذى فسّر ذلك لهم ، ونزلت عليه الزكاة ، ولم يسمّ لهن من كل أربعين درهماً درهماً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هوالذى فسّر ذلك لهم ، و نزل الحج ، فلم يقل لهم : طوفوا سبعاً ، وكان رسول الله هوالذى فسّر ذلك لهم، ونزلت أطيعوا الله و أطيعوا الرسول واولي الامر منكم و نزلت في عليّ والحسن والحسين عليهم السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في علي من كنت مولاه فعليّ مولاه ، وقال صلى الله عليه وآله : اوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي ، فاني سئلت الله عزوجل أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما على الحوض ، فأعطاني ذلك .

وقال : لاتعلموهم فهم أعلم منكم ، وقال : ثم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة ، فلوسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يبين من أهل بيته لا دعاها آل فلان وآل فلان ، ولكن الله عزوجل نزل في كتابه تصديقاً لنبيه صلى الله عليه وآله « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » فكان عليّ والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام ، فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الكساء في بيت ام سلمة ثم قال : اللهم ان لكل نبيّ أهلاً وثقلا ، وهؤلاء أهل بيتي وثقلي ،فقالت ام سلمة : ألست من أهلك ؟ فقال : انك إلى خير، ولكن هؤلاء أهلي وثقلي ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله كان عليّ أولى الناس بالناس لكثرة ما بلغ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وأقامه للناس ، وأخذ بيده ، فلما مضى علي لم يكن يستطيع عليّ ، ولم يكن ليفعل

أن يدخل محمد بن علي ولاالعباس بن عليّ ، ولاأحداً من ولده إذاً لقال الحسن والحسين ، انالله تبارك وتعالى أنزل فيك وأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك و بلغ فينا رسولالله صلى الله عليه وآله وسلم كما بلغ فيك ، وأذهب عنا الرجس كما أذهبه عنك فلمامضى عليّ كان الحسن اولى بها لكبره .

فلما توفى لم يستطع أن يدخل ولده ، ولم يكن ليفعل ذلك ، والله عزوجل يقول : « و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » فيجعلها في ولده إذاً لقال الحسين عليه السلام أمر الله تبارك وتعالى بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك وبلغ فيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما بلغ فيك وفي أبيك ، وأذهب عني الرجس كما أذهب عنك وعن أبيك ، فلماصارت إلى الحسين عليه السلام لم يكن أحد من أهل بيته ، يستطيع أن يدعي عليه كما كان هو يدعى على أخيه وعلى أبيه ، ولو أراد أن يصرف الامر عنه ولم يكن ليفعل ثم صارت حين افضت إلى الحسين عليه السلام فجرى تأويل هذه الاية : « و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ثم صارت من بعد الحسين لعلي بن الحسين عليه السلام ثم صارت من بعد علي بن الحسين عليه السلام إلى محمد بن علي عليه السلام وقال: الرجس هو الشك ، والله لانشك في ربنا أبداً .

وفي كنز الفوائد: باسناده عن الامام علي عليه السلام قال : ان الله عزوجل فضلنا أهل البيت لانكون كذلك ، والله عزوجل يقول : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » فقد طهرالله من الفواحش ماظهر منها ، و ما بطن على منهاج الحق .

وفي أمالي الشيخ قدس سره عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ان علياً عليه السلام و عثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص أمرهم عمر بن الخطاب أن يدخلوا بيتاً ، ويغلقوا عليهم بابه ، ويتشاوروا في أمرهم وأجّلهم ثلاثة أيام ، فان توافق خمسة على قول واحد وأبى رجل منهم قتل ذلك الرجل ، وإن توافق أربعة ، و أبى اثنان قتل الاثنان ، فلما توافقوا جميعاً على رأي واحد قال

لهم علي بن أبي طالب عليه السلام : إني احب أن تسمعوا مني ما أقول لكم ، فان يكن حقاً فاقبلوه وإن يكن باطلاً فانكروه قالوا: قل ،فذكر من فضائله عن الله سبحانه وعن رسوله ، وهم يوافقونه ويصدقونه فيما قال، وكان فيما قال عليه السلام : فهل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير حيث يقول الله تعالى: « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » غيري وزوجتي وابني ؟ قالوا :لا.

وفي الخصال : في إحتجاج الامام على عليه السلام على أبي بكر قال : فانشدك بالله ألي ولاهلي وولدي آية التطهير من الرجس أم لك ولاهل بيتك ؟ قال : بل لك و لأهل بيتك ، قال : فانشدك بالله أناصاحب دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أهلي و ولدي يوم الكساء اللهم هؤلاء أهلي إليك لاإلى النار أم أنت ؟ قال : بل أنت وأهل بيتك.

وفيه: في احتجاجه عليه السلام على الناس يوم الشورى قال : انشدكم الله هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً »فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كساءاً خيبرياً فضمني فيه وفاطمة والحسن والحسين ، ثم قال : يارب هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً غيري ؟ قالوا : اللهم لا.

وفي العلل : باسناده عن ابن أبي عمير عن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لما منع أبوبكر فاطمة عليها السلام فدكاً وأخرج وكيلها جاء أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد وأبوبكر جالس ، و حوله المهاجرون والانصار فقال : ياأبابكر لم منعت فاطمة ماجعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها ووكيلها فيه منذ سنين - إلى أن قال أمير المؤمنين على عليه السلام لابي بكر - :ياأبابكر تقرأالقرآن ؟ قال : بلى ، قال:فأخبرني عن قول الله عزوجل: « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » فينا أوفي غيرنا نزلت ؟ قال : فيكم ، قال : فأخبرني لو أن شاهدين مسلمين شهدا على فاطمة عليها السلام بفاحشة ما كنت صانعاً ؟ قال :كنت اقيم عليها الحد كما اقيم على نساء المسلمين ، قال :كنت إذن عند الله من الكافرين ، قال :

ولم ؟ قال : لانك كنت تردّ شهادة الله وتقبل شهادة غيره لان الله عزوجل قد شهد لها بالطهارة فاذا رددت شهادةالله وقبلت شهادة غيره كنت عندالله من الكافرين ، قال : فبكى الناس وتفرقوا ودمدموا . الحديث .

قوله عليه السلام : « دمدموا » : كلّموه مغضبين .

وفي معاني الاخبار: باسناده عن عبد الغفار الخازن عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل : « انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » قال : الرجس هوالشك .

وفي بصائر الدرجات: باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: الرجس هوالشك ، ولانشك في ديننا أبداً .

وفي الكافي : باسناده عن سعيد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ، و من قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين ومن قرأ مأة آية كتب من القانتين ، و من قرأ مأتي آية كتب من الخاشعين . الحديث . .

وفي تفسير القمي: باسناده عن بريد بن معاوية العجلي قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : ان الصواعق لاتصيب ذاكراً ، قلت : وما الذاكر ؟ قال : من قرأ مأة آية .

وفي المجمع : وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا أيقظ الرجل أهله من الليل وتوضّيا وصلّيا كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

وفيه: وروى عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : من بات على تسبيح فاطمة كان من الذاكرين كثيراً والذاكرات .

وفي الكافي:عن عبدالعزيز بن مسلم قال : كنا مع الرضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع في بدومقدمنا ، فأداروا أمر الامامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيّدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه ، فتبسّم عليه السلام ثم قال : يا عبد

العزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم ، ان الله عزوجل لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حتى أكمل له الدين - إلى أن قال - : ولقد راموا صعباً وقالوا إفكاً وضلّوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة إذتركوا الامام عن بصيرة ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ، رغبوا عن إختيار الله وإختيار رسولهم صلى الله عليه وآله وسلم إلى اختيارهم والقرآن يناديهم : « وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة من أمرهم سبحان الله و تعالى عما يشركون » وقال عز وجل : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .

وفي عيون الاخبار: في باب مجلس الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عند المأمون مع أصحاب الملل والمقالات - في حديث أجاب فيه علي بن الجهم عن مسئلة عصمة الانبياء عليهم السلام قال : وأما محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقول الله عزوجل : « وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » فان الله تعالى عرّف نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في الآخرة ، وانهن امهات المؤمنين ، وإحداهن من سمى له زينب بنت جحش ، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة ، فأخفى صلى الله عليه وآله وسلم إسمها في نفسه ، ولم يبده لكيلا يقول أحد من المنافقين: انه قال في إمرأة في بيت رجل : انها أحد أزواجه من امهات المؤمنين ، وخشي قول المنافقين قال الله عزوجل :« وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » يعني في نفسك، وان الله عزوجل وماتولى تزويج أحد من خلقه الا تزويج حوا من آدم ، و زينب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله عزوجل : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » و فاطمة من علي عليهما السلام قال : فبكى علي بن محمد الجهم ، وقال : يا ابن رسول الله أنا تائب إلى الله تعالى من أن أنطق في انبياء الله عليهم السلام بعد يومي هذا الا بماذكرته.

وفي المجمع : في قوله تعالى : « و تخفي في نفسك ما الله مبديه » قيل : ان الذي أخفاه في نفسه هو ان الله سبحانه أعلمه انها ستكون من أزواجه ، و ان زيداً سيطلقها ، فلما جاء زيد و قال له : اريد أن اطلق زينب قال لـه : امسك

عليك زوجك ، فقال سبحانه : لم قلت : امسك عليك زوجك وقد أعلمتك انها ستكون من أزواجك ! و روى ذلك عن علي بن الحسين عليهما السلام .

٤٠ـ (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً)

في المجمع : وصحّ الحديث عن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال : انما مثلي في الانبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها و حسّنها الا موضع لبنة ، فكان من دخلها فنظر إليها قال : ما أحسنها الا موضع هذه اللبنة ، قال صلى الله عليه و آله و سلم : فأنا موضع اللبنة ختم بي الانبياء . أورده البخاري و مسلم في صحيحهما .

و في الدر المنثور : عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : انه سيكون في امتي كذّابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي ، و أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي . و في رواية : أربعة منهم نسوة .

و في ينابيع المودة : روى عن جعفر الصادق عليه السلام حديثاً فيه : قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم لعلي : لولا اني خاتم الانبياء لكنت شريكاً في النبوة .

و في عوالي اللئالي : و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : أنا أول الانبياء خلقاً ، و آخرهم بعثاً .

وفي روضة الكافي : باسناده عن علي بن عيسى رفعه قال : ان موسى ناجاه الله تبارك و تعالى فقال له في مناجاته : لا يطول في الدنيا أملك إلى قوله عز وجل له في وصيته له بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم : يا موسى انه اميّ و هو عبد صدق ، و يبارك عليه ، كذلك فيما وضع يده عليه ، كذلك كان في علمي و كذلك خلقته ، به أفتح الساعة و بامته أختم مفاتيح الدنيا .

و في الكافي : باسناده عن ابن القداح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما من شيء الا وله حدّ ينتهي إليه إلا الذكر ، فليس له حدّ ينتهي إليه ، فرض الله عز وجل الفرائض فمن أدّاهن فهو حدّهن ، و شهر رمضان فمن صامه فهو حدّه و

الحج فمن حجّ فهو حدّه الاّ الذكر، فان الله عزوجل لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حداً ينتهي إليه ثم تلاهذه الاية : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبّحوه بكرة وأصيلا » فقال : لم يجعل الله عزوجل لهحداً ينتهي إليه ، قال : وكان أبي عليه السلام كثيرالذكرلقدكنت امشي معه ، و انه ليذكرالله و آكل معه الطعام ، و انه ليذكرالله ولقدكان يحدّث القوم و ما يشغله ذلك عن ذكرالله و كنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لااله الاّ الله ، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكرحتى تطلع الشمس ، و يأمر بالقراءة من كان يقرأمنا ومن كان لايقرأمنا أمره بالذكر والبيت الذى يقرأ فيه القرآن ، و يذكرالله عزوجل فيه تكثر بركته و تحضره الملائكة و تهجره الشياطين ويضيء لاهل السماء كما يضيء الكواكب الدرّيّ لاهل الارض ، و البيت الذى لايقرأ فيه القرآن ولايذكرالله فيه تقلّ بركته و تهجره الملائكة وتحضره الشياطين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا اخبركم بخيرأعمالكم لكم أرفعها في درجاتكم و أزكاها عند مليككم و خيرلكم من الدينار والدرهم و خيرلكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم و يقتلوكم ؟ فقالوا : بلى ، قال : ذكرالله عزوجل كثيراً ، ثم قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : من خيرأهل المسجد ؟ أكثرهم لله ذكراً و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من اعطى لساناً ذاكراً فقد اعطى خيرالدنيا والاخرة، و قال : في قوله تعالى : « ولاتمنن تستكثر » قال : لاتستكثرما عملت من خيرلله.

و فيه : باسناده عن أبي المعزا رفعه قال أميرالمؤمنين عليه السلام : من ذكر الله في السرّ فقد ذكرالله كثيراً إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية و لا يذكرونه في السر فقال الله عزو جل : « يراؤن الناس و لا يذكرون الله الاّ قليلا » .

وفيه: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : شيعتنا الذين اذا خلوا ذكروا الله كثيراً .

وفيه: باسناده عن داود بن سرحان عن أبی عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أكثر ذكرالله عزوجل أحبه الله و من ذكر الله كثيراً كتبت له براءتان : براءة من النار و براءة من النفاق .

وفيه: باسناده عن زرارة بن أعين عن أبی عبدالله عليه السلام قال : تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذی قال الله عزوجل : « اذكروا الله ذكراً كثيراً » .

و عن رسالة علی بن جعفر عن أخيه موسی بن جعفر عليه السلام قال : سئلته عن قول الله عزوجل : « اذكروا الله ذكراً كثيراً » قال : قلت : من ذكر الله مأتی مرة كثير هو ؟ قال : نعم .

و فی قرب الاسناد : باسناده عن عبدالله بن بكير قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك و تعالی : « اذكروا الله ذكراً كثيراً » قال : قلت : ما أدنی الذكر الكثير ؟ قال : فقال : التسبيح فی دبر كل صلاة ثلاثاً و ثلاثين مرة .

وفی الخصال : عن زيدالشحام قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : ما ابتلی المؤمن بشیء أشد عليه من ثلاث خصال يحرمها ، قيل : و ما هی ؟ قال : المواساة فی ذات يده ، والانصاف من نفسه ، و ذكرالله كثيراً . أما إنی لا أقول : سبحان الله والحمدلله و لااله الا الله والله أكبر . و إن كان منه ولكن ذكر الله عند ما أحل له و ذكرالله عند ما حرم عليه .

و فی الدر المنثور : عن أبی سعيدالخدری ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل أی العباد أفضل درجة عندالله يوم القيامة ؟ قال: الذاكرون الله كثيراً . قلت: يارسول الله ! و من الغازی فی سبيل الله ؟ قال : لو ضرب بسيفه فی الكفار والمشركين حتی ينكسر و يختضب دماً لكان الذاكرون الله أفضل درجة منه .

و فی الكافی : باسناده عن اسحق بن فروخ مولی آل طلحة قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : يا اسحق ابن فروخ من صلی علی محمد وآل محمد عشراً صلی

الله عليه و ملائكته ألفاً ، أما تسمع قول الله عزوجل : « هو الذی يصلی عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور و كان بالمؤمنين رحيماً » .

و فی بيان التنزيل لابن‌شهرآشوب قدس‌سره عن سليمان‌بن‌خالدالاقطع قال : قلت للصادق عليه السلام : أيجوز أن يصلّی علی المؤمنين ؟ قال : إی والله يصلّی عليهم فقد صلّى الله عليهم ، أما سمعت قول الله : « هو الذی يصلی عليكم » .

وفيه: باسناده عن أبی‌بصيرعن أبی‌عبدالله قال : قال : اذا ذكرالنبی صلى الله عليه وآله وسلم فأكثروا الصلاة عليه فانه من صلّی علی النبی صلى الله عليه وآله وسلم صلاة واحدة صلّی‌الله عليه ألف صلاة فی ألف صف من الملائكة ، ولم يبق شیء مما خلق الله الاّ صلی علی العبد لصلاة الله و صلاة ملائكته ، فمن لم يرغب فی هذا فهو جاهل مغرور قد بریء الله منه و رسوله و أهل بيته .

وفيه: باسناده عن ابی القداح عن أبی عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من‌صلّی علیّ صلّی‌الله عليه وملائكته، وماشاء فليقلّ ومن‌شاء فليكثر .

و فی المجمع : عن‌أبی‌أيوب‌الانصاری عن‌النبی صلى الله عليه وآله وسلم **قال:** صلّت‌الملائكة علیّ و علی علیّ سبع سنين ، و ذلك انه لم يصلّ فيها أحد غيری و غيره .

وفی‌البرهان: روی عن النبی صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : لماكانت الليلة التی اسری بی إلی‌السماء وقف جبرئيل فی‌مقامه، وغبت عن‌نحبة كل ملك ، و كلامه وصرت (سرتخ) بمقام انقطع عنی فيه‌الاصوات، وتساوی‌عندی‌الاحياء والاموات اضطرب قلبی و تضاعف كربی ، فسمعت منادياً ينادی بلغة علی بن أبيطالب عليه السلام : قف يا محمد فان ربك يصلّی ، قلت : كيف يصلّی و هو غنی عن الصلاة لأحد ؟ و كيف بلغ علی هذا المقام ؟ فقال الله تعالی إقرأ يا محمد : « هو الذی يصلی عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات إلی النور » و صلاتی رحمة لك و لامتك ، فاما سماعك صوت علیّ فان أخاك موسی‌بن عمران لما جاء جبل الطور عاين‌ماعاين من عظيم الامور أذهله ما رآه عما يلقی إليه فشغلته عن الهيبة بذكر أحب

الاشياء إليه وهي العصا إذ قلت له : « وماتلك بيمينك ياموسى » ولما كان على عليه السلام أحب الناس إليك ناديناك بلغته و كلامه ليسكن ما بقلبك من الرعب ، و لتفهم ما يلقى إليك ، و قال « ولي فيها مآرب اخرى » . الحديث .

وفي الدر المنثور : عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل أيّ العباد أفضل درجة عندالله يوم القيامة ؟ قال: الذاكرون الله كثيراً قلت : يارسول الله و من الغازي في سبيل الله ؟ قال : لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر و يختضب دماً لكان الذاكرون الله أفضل درجة منه .

وفي التوحيد: ـ في حديث أجاب الامام على عليه السلام عما سئله رجل من الايات التي اشتبهت عليه ـ : واللقاء هو البعث فافهم جميع ما في كتاب الله من لقائه فانه يعني بذلك البعث و كذلك قوله : «تحيتهم يوم يلقونه سلام» يعني انه لايزول عن قلوبهم يوم يبعثون .

وفي العلل : باسناده عن الحسن بن علي عليهما السلام قال : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسئله أعلمهم فيما سئله ، فقال : لأيّ سميت محمداً وأحمد وأبا القاسم وبشيراً ونذيراً وداعياً ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أما الداعي فاني أدعو الناس إلى دين ربي عزوجل ، وأما النذير فاني انذر بالنار من عصاني ، وأما البشير فاني ابشر بالجنة من أطاعني . الحديث .

وفي الفقيه : وروى عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل : «ثم طلقتموهن من قبل أن تمسّوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدّونها فمتعوهن وسرّحوهن سراحاً جميلاً» قال ، متعوهن أي أجملوهن بما قدرتم عليه من معروف ، فانهن يرجعن بكأبة ووحشة وهمّ عظيم وشماتة من أعدائهن، فان الله كريم يستحيي ويحبّ أهل الحياء إن أكرمكم أشدكم إكراماً لحلائلهم .

وفي الكافي: باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئله أبي وأنا حاضر عن رجل تزوّج إمرأة ، فادخلت عليه ، فلم يمسها ولم يصل إليها

حتى طلقهاهل عليها عدة منه ؟ فقال : انما العدة من الماء قيل له : فان كان واقعها في الفرج ولم ينزل ؟ فقال : إذا أدخله وجب الغسل والمهر و العدة .

و فيه : باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : اذا طلق الرجل إمرأته قبل أن يدخل بها فليس عليها عدة تتزوج من ساعتها إن شائت وتبينها تطليقة واحدة ، و إن كان فرض لهامهراً فلها نصف ما فرض .

و فيه : باسناده عن أبى بصيرعن أبى عبدالله عليه السلام قال : إذا طلق الرجل إمرأته قبل أن يدخل بها فقد بانت منه ، و تتزوج إن شاءت من ساعتها ، و إن كان فرض لها مهراً فلها نصف المهر، و إن لم يكن فرض لها مهراً فليمتعها .

و فيه : باسناده عن أبى بصير أيضاً قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل طلّق إمرأته قبل أن يدخل بها ؟ قال : عليه نصف المهر إن كان فرض لها وإن لم يكن فرض لها شيئاً فليمتعها على نحو ما يمتع به مثلها من النساء .

و في الدر المنثور: أخرج عبد بن حميد عن حبيب بن ثابت قال : جاء رجل إلى على بن الحسين عليه السلام فسئله عن رجل قال : إن تزوّجت فلانة فهي طالق قال : ليس بشيء بدءالله بالنكاح قبل الطلاق ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن » .

و فيه : عن المسوّر بن مخرمة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : لاطلاق قبل نكاح و لا عتق قبل ملك .

و في فروع الكافي : باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال :سئلته عن قول الله عزوجل : « يا أيها النبى إنا أحللنالك أزواجك » قلت : كم أحلّ له من النساء ؟ قال : ما شاء من شيء ، قلت : قوله : « لايحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهن من أزواج » ؟ فقال : لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينكح ما شاء من بنات عمه و بنات عماته و بنات خاله وبنات خالاته وأزواجه اللاتى هاجرن معه و أحل له أن ينكح من عرض المؤمنين بغيرمهر، وهي الهبة و لاتحلّ الهبة الاّ

لرسول الله صلى الله عليه و آله فأما لغير رسول الله صلى الله عليه و آله فلا يصلح نكاح الا بمهر، و ذلك معنى قوله تعالى: « و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » قلت: أرأيت قوله: « ترجي من تشاء منهن و تؤوي إليك من تشاء » قال: من آوى فقد نكح ومن أرجا فلم ينكح قلت: قوله: لايحل لك النساء من بعد قال:

انما عنى به النساء اللاتي حرم عليه في هذه الاية: « حرمت عليكم امهاتكم و بناتكم و أخواتكم . . . الخ » - النساء: ٢٣ - ولو كان الامر كما يقولون كان قد أحل لكم مالم يحل له إن أحدكم يستبدل كلما أراد ولكن ليس الامر كما يقولون ان الله عزوجل أحل لنبيه صلى الله عليه و آله ما أراد من النساء الا ما حرم عليه في هذه الاية التي في النساء.

و فيه: عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه و آله: « يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك » كم أحل له من النساء؟ قال: ماشاء من شيء قلت: قوله عزوجل: « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » فقال لا تحل الهبة الا لرسول الله صلى الله عليه و آله وأما لغير رسول الله فلا يصلح نكاح الا بمهر، قلت: أرأيت قول الله عزوجل: « لايحل لك النساء من بعد » فقال: انما عنى به لايحل لك النساء التي حرم الله في هذه الآية: « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم إلى آخرها » و لو كان الامر كما تقولون: كان قد أحل لكم مالم يحل له لان أحدكم يستبدل كلما أراد ولكن ليس الامر كما يقولون: ان الله عزوجل أحل لنبيه صلى الله عليه و آله أن ينكح من النساء ما أراد الا ما حرم عليه في هذه الاية في سورة النساء.

و فيه: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: أرأيت قول الله عزوجل: « لايحل لك النساء من بعد »؟ فقال: انما لم يحل له النساء التي حرم الله عليه في هذه الاية: « حرمت عليكم امهاتكم و بناتكم » في هذه الاية كلها و لو كان الامر كما يقولون، لكان قد أحل لكم مالم يحل له هو لأن أحدكم

يستبدل كلما أراد ولكن ليس الامر كما يقولـون ، أحاديث آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم خلاف أحاديث الناس ان الله عزوجل أحلّ لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن ينكح من النساء ما أراد إلاّ ما حرّم عليه في سورة النساء في هذه الاية .

و في وسائل الشيعة : بالاسناد عن الحلبي قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن المرأة تهب نفسها للرجل ينكحها بغيرمهر، فقال : انما كان هذا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأما لغيـره فلايصلح هذا حتى يعوّضها شيئاً يقدّم إليها قبل أن يدخل بها قلّ أو كثر، ولو ثوب أودرهم . و قال : يجرى الدرهم .

و فيه : بالاسناد عن أبى الصباح الكنانيعن أبى عبدالله عليه السلام قال : لاتحلّ الهبة إلاّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأماغيره فلايصلح نكاح الاّ بمهر.

و فيه : بالاسناد عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال : سئلته عن قول الله عزو جل : « و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبـي » فقال : لا يحلّ الهبة الاّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأما غيره فلايصلح نكاح الاّ بمهر.

و في الدر المنثور : عن على بن الحسين في قوله : « و امرأة مؤمنة » هي ام شريك الازدية التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

أقول: و في رواية : انها خولة بنت الحكيم . و فـي رواية اخرى : انهـا ليلـى بنت الخطيم . و في ثالثة : انها ميمونة . و لعل ان الـواهبة نفسها عدة من النساء .

وفي المجمع : في قوله تعالـى : « ولـو أعجبك حسنهن » قال : يعنـي ان أعجبك حسن ما حرّم عليك من جملتهن ولا حللن لك . و هو المروى عن أبى عبدالله عليه السلام .

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : لما احتضر الحسن بن على عليه السلام قال للحسين عليه السلام : يا أخـي انى اوصيك بوصيـة فاحفظها ، فاذا أنامتّ فهيئني ثم وجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاحدث به عهداً ،

ثم اصرفني إلى امي فاطمة عليها السلام ، ثم ردّني فادفني في البقيع ، واعلم انه سيصيبني من الحميراء مايعلم الناس من صنيعها وعداوتها لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وعداوتها لنا أهل البيت ، فلما قبض الحسن عليه السلام وضع على سريره وانطلق به إلى مصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يصلّي فيه الجنائز فصلّى على الحسن عليه السلام فلما ان صلّى عليه حمل ، فادخل المسجد ، فلما أوقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بلغ عائشة الخبر ، وقيل لها

انهم قد أقبلوا بالحسن بن علي عليه السلام ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وآله فخرجت مبادرة على بغل بسرج ـ فكانت أول امرأة ركبت في الاسلام سرجاً ـ فوقفت وقالت: نحوّا ابنكم عن بيتي ، فانه لايدفن فيه شيء ولايهتك على رسول الله حجابه، فقال لها الحسين بن علي عليه السلام : قديماً هتكت أنت و أبوك حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله و أدخلت بيته من لايحب رسول الله صلى الله عليه وآله قربه ، وان الله سائلك عن ذلك يا عائشة ان أخي أمرني ان اقربه من أبيه رسول الله ليحدث به عهداً واعلمي ان أخي أعلم الناس بالله و رسوله ، وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على رسول الله صلى الله عليه وآله ستره لان الله تبارك وتعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الاّ أن يؤذن لكم » وقد أدخلت بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الرجال بغير إذنه ، وقد قال الله عزوجل : « يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي »

و لعمري لقد ضربت أنت لابيك وفاروقه عند إذن رسول الله المعاول ، و قال الله عزوجل : « ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن قلوبهم للتقوى » ولعمري لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله صلى الله عليه وآله بقربهما منه الأذى ، ومارعيا من حقه ماأمرهما الله به على لسان رسول الله ، ان الله حرم من المؤمنين أمواتاًما حرّم منهم أحياءاً ،والله يا عائشة لو كان هذا الذي كرهيته من دفن الحسن عند أبيه عليه السلام جائزاً فيما بيننا وبين الله لعلمت انه سيدفن ،وان رغم معطسك . الحديث . . .

قوله عليه السلام : « معطسك » المعطس ـ كالمقعد ـ : الانف .

و فيه : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ : ان العامرية والكندية طلقها قبل الدخول ، فلما قبض صلى الله عليه وآله وسلم رخص لهما أبو بكر وعمر في النكاح ، فتزوّجتا قال : وهم يستحلّون أن يتزوجوا امهاتهم إن كانوا مؤمنين ، وان أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحرمة مثل امهاتهم .

وفيه: : ـ في حديث ـ فلما قبض رسول الله و ولّى الناس أبو بكر أتته العامرية والكندية وقد خطبتا فاجتمع أبو بكر وعمر وقالا لهما: إختارا إن شئتما الحجاب وإن شئتما الباه ، فاختارتا الباه فتزوجتا ، فجذم أحد الزوجين وجنّ الاخر .

قال عمر بن اذينة : فحدثت بهذا الحديث زرارة والفضيل فرويا عن أبي جعفر عليه السلام انه قال : ما نهى الله عزوجل عن شيء الا وقد عصي فيه حتى لقد نكحوا أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بعده ، وذكر هاتين العامرية والكندية . ثم قال أبو جعفر عليه السلام لو سئلتم عن رجل تزوج إمرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أتحل لابنه ؟ لقالوا : لا فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعظم حرمة من آبائهم .

وفي الدر المنثور : أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن **أبي حاتم** من طريق علي بن زيد عن الحسن في قوله : « ولا أن تبدّل بهن من أزواج » قال : قصره الله على نسائه التسع اللاتي مات عنهن . قال عليّ فأخبرت عليّ بن الحسين فقال : لو شاء تزوّج غيرهن . و لفظ عبد بن حميد : فقال : بل كان له أيضاً أن يتزوج غيرهن .

وفي الخرائج: روى ان الصادق عليه السلام قال : لما حضرت الحسن بن علي عليه السلام الوفاة بكى بكاءاً شديداً ، وقال : اني أقدم على أمر عظيم وهول لم أقدم على مثله قطّ ثم أوصى أن يدفنوه بالبقيع ، فقال : يا أخي احملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأجدّد به عهدي ثم ردّني إلى قبر جدّتي فاطمة بنت أسد

فادفنّى، فستعلم يا ابن ام ان القوم يظنون انكم تريدون دفنى عند رسول الله فيجلبون فى منعكم ، وبالله اقسم عليك أن تهرق فى أمرى محجمة دم ، فلماغسّله وكفّنه الحسين عليه السلام و حمله على سريره و توجّه إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليجدّد به عهداً أتى مروان بن الحكم ، و من معه من بنى امية فقال : أيدفن عثمان فى أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ؟ لايكون ذلك أبداً ولحقت عائشة على بغل وهى تقول : مالى ولكم ؟ تريدون أن تدخلوا بيتى من لاحبّ.

فقال ابن عباس لمروان بن الحكم: لانريد دفن صاحبنا ، فانه كان أعلم بحرمة قبر رسول الله من أن يطرق عليه هجماً كماطرق ذلك غيره ، و دخل بيته بغير إذنه انصرف فنحن ندفنه بالبقيع كما وصّى. ثم قال لعائشة : واسوأتاه يوماً على بغل، ويوماً على جمل . وفى رواية : يوماً تجمّلت و يوماً تبغّلت ، وإن عشت تفيّلت فأخذه ابن الحجاج الشاعر البغدادى :

يابنت أبى بكر لاكان ولا كنت   لك التسع من الثمن وبالكل تملّكت

تجمّلت تبغّلت   وإن عشت تفيّلت

قوله : « لك التسع من الثمن » إنماكان فى مناظرة فضّال ابن الحسن بن فضال الكوفى مع أبى حنيفة ، فقال له الفضال : قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى إلاّ أن يؤذن لكم » منسوخ أوغير منسوخ ؟ قال: هذه الاية غير منسوخة قال : ماتقول فى خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر وعمر؟ أم على بن أبى طالب عليه السلام ؟ فقال : أما علمت أنهما ضجيعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى قبره فأىّ حجة تريد فى فضلهما أفضل من هذه ؟ فقال له الفضّال : لقد ظلما إذ أوصيا بدفنهما فى موضع ليس لهما فيه حق ، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد أساءا إذا رجعا فى هبتهما ونكثاعهدهما ، وقد أقررت ان قوله تعالى: « لاتدخلوا بيوت النبى الاّ أن يؤذن لكم » غير منسوخة

فاطرق أبوحنيفة ثم قال : لم يكن له ولالهما خاصة ، ولكنهما نظرافى حق

عائشة وحفصة فاستحقا الدفن فى‌ذلك الموضع لحقوق ابنتيهما فقال له فضال:أنت تعلم ان النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله مات عن تسع حشايا ، وكان لهن الثمن لمكان ولده فاطمة، فاذاً لكل واحدة منهن تسع الثمن ،ثم نظرنافى تسع الثمن ، فاذاً هو شبر والحجرة كذا و كذا طولاً وعرضاً فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك ؟ وبعد فما بال عائشة وحفصة يرثان رسول الله وفاطمة بنته منعت الميراث ، فالمناقضة فى‌ذلك ظاهرة من وجوه كثيرة . . . فقال أبوحنيفة : نحّوه عنى فانه والله رافضى خبيث.

قوله : « الحشايا » : الفرش كنى بها عن الزوجات .

وفى الكافى : باسناده عن معاوية بن عمار قال: كناعندأبى عبدالله عليه‌السلام نحو أمن ثلاثين رجلاً إذدخل أبى فرحب به أبوعبدالله عليه‌السلام وأجلسه إلى جنبه، وأقبل عليه طويلاً ثم قال أبوعبدالله عليه‌السلام :ان لأبى معاوية حاجة، فلو خففتم ، فقمنا جميعاً فقال لى أبى : إرجع يامعاوية فرجعت ، فقال أبوعبدالله عليه‌السلام :هذا ابنك؟ قال: نعم وهو يزعم ان أهل المدينة يصنعون شيئاً لايحل لهم؟قال :وماهو؟ قلت:ان المرأة القرشية والهاشمية تركب وتضع يدها على رأس الاسود وذراعها على عنقه ، فقال أبوعبدالله عليه‌السلام : يابنى أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى،قال إقرأهذه الاية: « لاجناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ـ حتى بلغ ـ وماملكت ايمانهن » ثم قال: يابنى لابأس أن يرى المملوك الشعر والساق.

٥٦ـ (ان الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً)

فى تفسير القمى : ثم ذكر ما فضّل الله نبيه صلى‌الله‌عليه‌وآله فقال جل ذكره : « ان الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً »قال: صلوات الله عليه تزكية له وثناءاً عليه ،وصلاة الملائكة مدحهم له ، وصلاة الناس دعائهم له والتصديق والاقرار بفضله ، وقوله تعالى : «وسلموا تسليماً » يعنى سلموا بالولاية وبماجاء به .

وفى معانى الاخبار : باسناده عن أبى حمزة قال : سئلت أبا عبدالله عليه‌السلام

عن قول الله عزوجل : « ان الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً » فقال :الصلاة من الله عزوجل رحمة ، ومن الملائكة تزكية ، و من الناس دعاء ، وأما قوله عزوجل : «سلموا تسليماً » فيما وردعنه قال : فقلت له :فكيف نصلّى على محمد و آله؟ قال: تقولون: صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وآل محمد عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته ، قال : قلت : فماثواب من صلّى على النبى و آله بهذه الصلوات ؟ قال : الخروج من الذنوب ، والله كهيئة يوم ولدته امه .

و فى الكافى : باسناده عن أبى مريم الانصارى عن أبى جعفر عليه السلام قال : قلت له : كيف كانت الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ؟قال : لما غسّله أمير المؤمنين عليه السلام و كفنه سجّاه ثم أدخل عليه عشرة فداروا حوله ، ثم وقف أمير المؤمنين عليه السلام فى وسطهم ، فقال : « ان الله و ملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً » فيقول القوم كما يقول حتى صلّى عليه أهل المدينة و أهل العوالى .

قوله عليه السلام : « سجاه » مدّ عليه ثوباً و غطّاه به . و « أهل العوالى » أى أهل قرى بظاهر المدينة .

وفى أمالى الشيخ المفيد رحمة الله تعالى عليه باسناده عن أبى خالد الكابلى عن أبى جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام قال : لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من تغسيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و تكفينه و تحنيطه اذن للناس و قال : ليدخل منكم عشرة عشرة ليصلوا عليه صلى الله عليه وآله وسلم فدخلوا و قام أمير المؤمنين عليه السلام بينه صلى الله عليه وآله وسلم و بينهم و قال : « ان الله و ملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلموا تسليماً » و كان الناس يقولون كما يقول أبوجعفر عليه السلام و هكذا كانت الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم .

و فى محاسن البرقى : باسناده عن أبى بصير قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا

صلوا عليه وسلموا تسليماً » قال : الصلاة عليه والتسليم له في كل شيء جاء به .

و في **الاحتجاج** : قال الامام أمير المؤمنين علی عليه السلام فی قوله تعالی: « ان الله وملائكته يصلون على النبی » الاية : لهذه الاية ظاهر وباطن، فالظاهر قوله: «صلوا عليه» والباطن قوله : « و سلموا تسليماً » أی سلموا لمن وصّاه واستخلفه عليكم فضله وما عهدته إليه تسليماً و هذا مما أخبرتك لايعلم تأويله الا الله الا من لطف حسّه و صفا ذهنه و صحّ تمييزه .

و في **نور الثقلين** : بالاسناد عن جابر عن أبی جعفر عليه السلام قال : لما قبض النبی صلى الله عليه وآله وسلم صلّت عليه الملائكة والمهاجرون والانصار فوجاً فوجاً ، قال : و قال أمير المؤمنين عليه السلام : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فی صحته و سلامته : انما انزلت هذه الاية عليّ بعد قبض الله لی : « ان الله وملائكته يصلون على النبی يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما » .

و في **الكافی** : باسناده عن محمد بن مسعود قال : رأيت أباعبدالله عليه السلام انتهى إلى قبر النبی صلى الله عليه وآله وسلم فوضع يده عليه ، و قال : أسئل الله الذی إجتباك و اختارك و هداك و هدی بك أن يصلّی عليه ، ثم قال : « ان الله وملائكته يصلون على النبی يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليماً » .

و في **محاسن البرقی** : عن أبی عبدالله عليه السلام فی قول الله عزوجل : « ان الله وملائكته يصلون على النبی يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » قال : فقال : اثنوا عليه و سلموا له .

وفي **الخصال** : عن الامام أمير المؤمنين علی عليه السلام ـ فی حديث الاربعمأة ـ قال : صلّوا على محمد وآل محمد فان الله تعالی يقبل دعاءكم عند ذكر محمد و دعاءكم و حفظكم إياه إذا قرأتم : « ان الله و ملائكته يصلون على النبی » فصلّوا عليه في الصلاة كنتم أو فی غيرها .

و في **تفسير القمی** : فی قوله تعالی: «والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات»

يعني علياً و فاطمة صلوات الله عليهما « بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً و إثماً مبيناً » و هي جارية في الناس كلهم .

وفي البرهان : بالاسناد عن زيد بن علي بن الحسين و هو آخذ بشعره ، قال : حدثني الحسين و هو آخذ بشعره ، قال : حدثني علي بن أبي طالب عليه السلام و هو آخذ بشعره ، قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و هو آخذ بشعره فقال : من أذى شعرة منك فقد آذاني ومن آذاني فقد أذى الله ومن آذى الله فعليه لعنة الله .

وفيه: ابن مردويه بالاسناد عن محمد بن عبدالله الانصاري وجابر الانصاري و ذو الفضائل عن أبي المظفر باسناده عن جابر الانصاري، وفي الخصائص عن النظيري باسناده عن جابر كلهم عن عمر بن الخطاب قال: كنت أجفوا علياً فلقاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: انك أذيتني ياعمر قلت : أعوذ بالله من أذى رسول الله قال : انك قد أذيت علياً عليه السلام و من أذاه فقد آذاني .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاكياً عن ربه تعالى : « شتمني ابن آدم و لم ينبغ له أن يشتمني ، آذاني و لم ينبغ له أن يؤذيني، فأما شتمه إياى فقوله : اني اتخذت ولداً . و أما أذاه فقوله : ان الله لا يعيدني بعد أن بدأني .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى: « ملعونين أينما ثقفوا اخذوا و قتلوا تقتيلاً » قال : وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال : « ملعونين » فوجبت عليهم اللعنة بعد اللعنة بقول الله .

وفيه: في قوله تعالى : « يوم تقلب وجوههم في النار » قال : فانها كناية عن الذين غصبوا آل محمد عليهم السلام حقهم « يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا » يعني في أمير المؤمنين عليه السلام « و قالوا ربنا انا أطعنا سادتنا و كبرائنا فأضلونا السبيلا » وهما الرجلان والسادة والكبراء هما أول من بدأ بظلمهم وغصبهم قال: قوله: « وأضلونا السبيلا » أي طريق الجنة والسبيل أمير المؤمنين عليه السلام ثم يقولون « ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً » .

و في الكافي : باسناده عن محمد بن سالم عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث- قال : و لا يلعن الله مؤمناً قال الله عزوجل : « ان الله لعن الكافرين و أعدّ لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً و لا نصيراً » .

وفي المصباح: للشيخ قدس سره - في خطبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام خطب بها يوم الغدير - قال عليه السلام فيها : « و تقربوا إلى الله بتوحيده و طاعة من أمركم أن تطيعوه ولا تمسكوا بعصم الكوافر ، ولايخلج بكم الغي فتضلوا عن سبل الرشاد باتباع اولئك الذين ضلوا و أضلوا قال الله عزمن قائل في طائفة ذكرهم بالذم في كتابه : « انا أطعنا سادتنا و كبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً » .

وفي اصول الكافي : باسناده عن محمد بن مروان رفعه إليهم عليهم السلام في قول الله عزوجل : « وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله » في علي والائمة « كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا » .

و في روضة الكافي : باسناده عن يونس قال : قال أبوعبدالله عليه السلام لعباد بن كثير البصري الصوفي : ويحك يا عباد غرّك إن عفّ بطنك وفرجك إن الله عزوجل يقول في كتابه : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم » إعلم انه لا يتقبّل الله منك شيئاً حتى تقول قولاً عدلاً .

و في الدرالمنثور : عن سهل بن سعد الساعدي قال : ما جلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذا المنبر قط الاّ تلاهذه الاية : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولاً سديداً » .

و في كنز الفوائد للكراجكي باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: «ومن يطع الله ورسوله» في ولاية علي والائمة من بعده «فقدفازفوزاًعظيماً» .

و في الكافي : باسناده عن اسحق بن عمار عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: « انا عرضنا الامانة » الاية قال: هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام

في بعض التفاسير : قال :المراد بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ماكان هوأوّل

فاتح لبابه من هذه الامة وهو كون الانسان بحيث يتولّى الله سبحانه أمره بمجاهدته فيه باخلاص العبودية له دون الولاية بمعنى المحبة أو بمعنى الامامة ، وإن كان ظاهر بعض الروايات ذلك بنوع من الجرى والانطباق .

أقول: والعكس هو الصواب الذى لا يخفى على من كان الامام أمير المؤمنين على عليه السلام مولاه و لم يكن فى أمر الولاية متزلزلاً أولم يجعلها قرباناً للمصلحة الواهية . . . فالاول هو الانسب بنوع من الجرى والانطباق .

وفى غاية المرام : باسناده عن محمد بن الحنفية عن أمير المؤمنين عليه السلام ان المراد من الأمانة ولايته عليه السلام .

و فى عيون الاخبار : باسناده عن الحسين بن خالد ـ فى باب ماجاء عن الرضا عليه السلام من الاخبار المتفرقة ـ قال: سئلت أبا الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عزوجل : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها » الاية فقال: الامانة الولاية من ادعاها بغير حق كفر .

وفى معانى الاخبار : باسناده عن أبى بصير قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً » قال : الامانة الولاية والانسان أبو الشرور المنافق .

و فى بصائر الدرجات : باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله تبارك و تعالى : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها » قال : الولاية أبين أن يحملنها كفر أو حملها الانسان ، والانسان الذى حملها أبو فلان .

و فى معانى الاخبار : باسناده عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام : ان الله تبارك وتعالى خلق الارواح قبل الاجساد بألفى عام ، فجعل أعلاها وأشرفها محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين والائمة بعدهم صلوات الله عليهم ، فعرضها على السموات والارض والجبال فغشيها نورهم ، فقال الله تبارك و تعالى للسموات

والارض والجبال : هؤلاء أحبائى و أوليائى و حججى على خلقى و أئمة بريتى ، ماخلقت خلقاً هو أحب إلىّ منهم ، لهم ولمن تولاّهم خلقت جنتى، ولمن خالفهم و عاداهم خلقت نارى ، فمن ادعى منزلتهم منى ومحلهم من عظمتى عذبته عذاباً لا اعذبه أحداً من العالمين و جعلته مع المشركين فى أسفل درك من نارى ، و من أقرّ بولايتهم و لم يدّع منزلتهم منى و مكانهم من عظمتى جعلته معهم فى روضات جناتى و كان لهم فيها ما يشاؤن عندى ، و أبحتهم كرامتى ، و أحللتهم جوارى ، و شفعتهم فى المذنبين من عبادى و إمائى فولايتهم أمانة عند خلقى .

فأيّكم يحملها بأثقالها و يدعيها لنفسه ؟ فأبت السموات والارض والجبال أن يحملنها و أشفقن منها من إدعاء منزلتها ، و تمنى محلها من عظمة ربهم ، فلما أسكن الله عزوجل آدم و زوجته الجنة : « قال لهما كلامنها رغداً حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة » يعنى شجرة الحنطة « فتكونا من الظالمين » فنظرا إلى منزلة محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين والائمة بعدهم فوجداها أشرف منازل أهل الجنة فقالا : ربنا لمن هذه المنزلة ؟ فقال الله جل جلاله إرفعا رؤسكما إلى ساق العرش فرفعا رؤسهما ، فوجدا أسماء محمد و على و فاطمة والحسن والائمة عليهم السلام مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الله الجبار جل جلاله ، فقالا : يا ربنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك ، و ما أحبهم إليك و ما أشرفهم لديك ؟ فقال الله جل جلاله :

لولاهم ما خلقتكما ، هؤلاء خزنة علمى و امنائى على سرى ، إياكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد ، وتمنيا منزلتهم عندى ومحلهم من كرامتى، فتدخلان بذلك فى نهيى و عصيانى فتكونا من الظالمين قالا : ربنا و من الظالمون ؟ قال: المدّعون لمنزلتهم بغير حق، قالا : ربنا فأرنا منزلة ظالميهم فى نارك حتى نراها كما رأينا منزلتهم فى جنتك ، فأمر الله تبارك وتعالى النار فأبرزت جميع مافيها من ألوان النكال والعذاب، وقال عزوجل: مكان الظالمين لهم المدعين لمنزلتهم

في أسفل درك منهـا ، « كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيهـا » و « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » .

يا آدم و يا حوا لاتنظرا إلى أنواری وحججی بعين الحسد فاهبطكماعن (من خ) جواری و احلّ بكما هوانی (عن هوانی خ) « فوسوس لهما الشيطان ليبدی لهما ماوری عنهما من سوآتهما و قال مانهاكماربكماعن هذه الشجرة الاّ أن تكونا ملكين أوتكونا من الخالدين و قاسمهما انی‌لكما لمن الناصحين فدلاّهما بغرور » و حملهما علی تمنی منزلتهم فنظرا إليهم بعين الحسد فخذلا حتی أكلامن شجرة الحنطة فعاد مكان ما أكلاشعيراً ، فأصل الحنطة كلهامما لم يأكل (يأكلاه خ) و أصل الشعيركان مما عـاد مكان ما أكلاه ، فلما أكلامن الشجرة طار الحلـی و الحلل عن أجسادهما و بقيا عريانيـن : « و طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة و ناداهما ربهما ألـم أنهـكما عن تلكما الشجـرة و اقل لكما ان‌الشيطان لكما عدومبين قالاربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسـرين » قال : إهبطا من جواری ، فلا يجاورنی فـی جنتی من يعصينی ، فهبطا موكولين إلى أنفسهما فی طلب المعاش ، فلما أراد الله عزوجل أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل عليه السلام فقـال لهما : انكما ان ظلمتما أنفسكما بتمنی منزلة من فضل‌عليكما ، فجزاءكما ما قدعوقبتما به من الهبوط من جوار الله عزوجل إلى‌أرضه ، فسلاربكما بحق الاسماء التی رأيتموها علی ساق العرش حتی يتوب عليكما ، فقالا :

اللهم انا نسئلك بحق الاكرمين عليك محمد و علی و فاطمة و الحسن‌و الحسين و الائمة الاّتبت علينا ورحمتنا ، فتاب‌الله عليهما انه هوالتواب الرحيم، فلم يـزل انبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الامانة ، و يخبرون بها أوصياءهم و المخلصين من امتهم ، فيأبـون حملها ، ويشفقون من ادعائها و حملها الانسـان الذی قد عرف باصل (فاصل خ) كل ظالم منه إلى يوم القيامة ، وذلك قول‌الله

عزوجل : « انا عرضنا الامانة على السموات و الارض والجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً » .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « انا عرضنا الأمانة » قال : الامانة هي الامامة و الامر و النهي ثم قال : و الدليل على ذلك - ان الامانة هي الامامة - قوله عزوجل في الأئمة : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها » يعني الامامة ، فالأمانة هي الامامة عرضت على السموات و الارض ، فأبين أن يحملنها ، أبين أن يدعوها اويغصبوها أهلها ، « و حملها الانسان » أي الاول .

وفيه: - في رواية - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال الله تعالى لابن آدم : «لم اكلفك فوق طاقتك و لم احملك من الامانة الا ماقررت بها على نفسك » .

و في تفسير القشيري : ان أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان اذا حضر وقت الصلاة تلون و تزلزل ، فقيل له : مالك ؟ فقال : جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات و الارض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان ، و أنا في ضعفي فلا أدري أحسن أداء ما حملت أولاً .

و في عوالي اللئالي : و في الحديث ان عليا عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتململ و يتزلزل و يتلون ، فيقال له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت الصلاة وقت أمانة عرضها الله على السموات و الارض فأبين أن يحملنها و أشفقن منها .

وفي الاحتجاج : - في احتجاج الامام على عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآى من القرآن متشابهة - فقال الزنديق : وأجده يقول: «انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً» فما هذه الامانة ؟ ومن هذا الانسان ؟ وليس من صفته العزيز العليم التلبيس على عباده .

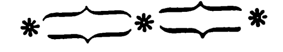
فأجاب عنه الامام عليه السلام وقال : وأما الامانة التي ذكرتها فهي : الأمانة التي

لاتجب ولاتجوزأن تكون إلاّ في الانبياء وأوصيائهم، لان الله تبارك وتعالى إئتمنهم على خلقه ، وجعلهم حججاً في أرضه والسامرى ومن أجمع معه وأعانه من الكفار على عبادة العجل عند غيبة موسى ما تمّ إنتحال محل موسى من الطعام ، والاحتمال لتلك الامانة التي لا ينبغي الاّ لطاهر من الرجس، فاحتمل وزرها و وزر من سلك سبيله من الظالمين وأعوانهم ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ومن استنّ سنة حق كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن استنّ سنة باطل كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

وفي التهذيب : باسناده عن اسحق قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن الرجل يبعث إلى الرجل يقول له : إبتع لي ثوباً فيطلب له في السوق فيكون عنده مثل ما يجد له في السوق ، فيعطيه من عنده ؟ قال : لايقربن هذا ولايدنس نفسه، ان الله عزوجل يقول : «انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً» وإن كان عنده خير مما يجد له في السوق فلايعطيه من عنده .

وفي الكافي: عن عقيل الخزاعي ان أمير المؤمنين عليه السلام كان اذا حضر الحرب يوصي المسلمين بكلمات يقول : تعاهدوا الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها ، ثم ان الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لاهل الاسلام على أهل الاسلام، ومن لم يعطها طيب النفس بها يرجو بها من الثمن ما هو أفضل منها فانه جاهل بالسنة ، مغبون الاجر، ضال العمر، طويل الندم بترك أمر الله تعالى ، والرغبة عما عليه ، صالحوا عباد الله يقول الله عزوجل : «ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى» من الامانة فقد خسر من ليس من أهلها ، وضلّ عمله ، عرضت على السموات المبنية والارض المهاد والجبال المنصوبة ، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولاأعظم منها ، لو امتنعت من طول أوعرض أوقوة أوعزة امتنعن ، ولكن أشفقن من العقوبة . الحديث . . .

وفى نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على عليه السلام ـ فى خطبة ـ : « ثم أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها ، انها عرضت على السموات المبنية والارض المدحوّة ، و الجبال ذات الطول المنصوبة ، فلا أطول و لا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها ، ولو امتنع شيء بطول أوعرض أوقوة أوعزّ لا متنعن ولكن أشفقن من العقوبة ، وعقلن ماجهل من أضعف منهن وهو الانسان، انه كان ظلوماً جهولاً » .



﴿ بحث فقهي ﴾

يستدل بقوله تعالى: « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ادعوهم لآبائهم هوأقسط عندالله » الاحزاب: ٤ و ٥) على حرمة التبني ، و حرمة دعوة الابن المتبنى ابناً للاب المتبنى له .

و يستدل بقوله جل و علا : « فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين » : ٥)على إباحة اطلاق إسم الاخوة، وحظر اطلاق اسم الابوة من غير جهت النسب .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم انه غير أبيه فالجنة عليه حرام » قال الله تعالى : وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمّدت قلوبكم » : ٥)

و يستدل بقوله تعالى : « واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » الاحزاب : ٦) على ثبوت الارث بين ذوى القرابات، فلا توارث بين الأجانب . و فيه دلالة على ان الميراث بالقرابة ، فلا توارث الا بالولادة و الرحم ، فمن كان أقرب في قرباه فهو أحق بالميراث من الأبعد .

في وسائل الشيعة : عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى : « و اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » ان بعضهم أولى بالميراث من بعض لان أقربهم إليه رحماً أولى به ثم قال أبو جعفر عليه السلام : أيّهم أولى بالميت وأقربهم إليه ؟ امه ؟ أو أخوه ؟ أليس الام أقرب إلى الميت من إخوته و أخواته .

و في تفسير العياشي : باسناده عن ابن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

اختلف علی بن أبیطالب عليه السلام و عثمان فی الرجل یموت ولیس له عصبة یرثونه ، و له ذوقرابة لایرثونه لیس لهم سهم مفروض ، فقال علی عليه السلام : میراثه لذوی قرابته لان الله تعالی یقول : « و اولوا الارحام بعضهم أولی ببعض فی کتاب الله» و قال عثمان : اجعل ماله فی بیت مال المسلمین .

و فی‌الکافی : باسناده عن زرارة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام یقول : « و لکل جعلناموا لی مما ترك الوالدان و الاقربون » قال : انما عنی بذلك اولوا الارحام فی المواریث ، ولم یعن اولیاء النعمة ، فأولاهم بالمیت أقربهم إلیه من الرحم التی یجرّه إلیها .

و فیه : باسناده عن أبی‌بصیرعن أبی‌جعفرعليه السلام قال : الخال والخالة یرثان اذا لم یکن معهما أحد ان الله تبارك وتعالی یقول : « واولوا الارحام بعضهم‌اولی ببعض فی کتاب الله » .

و فیه : باسناده عن الحسین بن‌الحکم عن أبی جعفرالثانی عليه السلام فی‌رجل مات و ترك خالتیه وموالیه قال : « و اولوا الارحام بعضهم أولی ببعض فی کتاب الله » المال بین الخالتین .

و یستدل بقوله تعالی : « إلاّ أن تفعلوا إلی‌أولیاءکم معروفاً » الاحزاب: ٦) علی جواز الوصیة بین غیرذوی القربات من الاصدقاء والموالی المؤمنین ـ للاضافة إلی ضمیرالمؤمنین « کم » ـ لان المعروف هو الوصیة ، و عدّی الفعل بـ « إلی » لتضمنه معنی الاسداء .

فی فروع الکافی : باسناده عن حنان عن أبی عبدالله عليه السلام قال : قلت‌له : أیّ‌شیء للموالی ؟ فقال : لیس لهم من المیراث الاّما قال الله تعالی ذکره : « الاّ أن تفعلوا إلی‌أولیاءکم معروفاً » .

و قال بعض الفقهاء : ان فی الایة دلالة علی انه لاوصیة لوارث . و قال بعض الاخرین : و هذا لیس بشیء لکثیرمن الروایات الواردة فی الجواز منها

ما فی فروع الکافی : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبی جعفر عليه السلام قال : سئلته عن الوصية للوارث فقال : تجوز قال : ثم تلاهذه الاية : « ان ترك خيراً الوصية للوالدين و الاقربين » .

و فی **زبدة البيان** : قال : ففيها ـ الاية ـ دلالة علـى كون الوصية أولى من الارث و تقديمها على الارث ، و ليس فيها دلالة على عدم الوصية للوارث و هو ظاهر .

ثم قال : و يحتمل أن يكون : «الا أن تفعلوا » يشمل المنجزات أيضاً ، فيدل على كونها مقدمة على الارث و كونهامن الاصل ، وخرجت الوصية بالاجماع و الخبر و صارت من الثلث ، و بقى المنجزات فتأمل . انتهى كلامه .

و قداختلفت كلمات الفقهاء فی جواز الوصية للقرابة الكافرة : فمنهم من أجاز مطلقاً ومنهم من نهى مطلقاً لقوله تعالى: « لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء» و منهم من أجاز للوالدين و الولد فقط .

و منهم من قال : معنى قوله تعالى: « الا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً»: إلا أن يكون لك ذوقرابة ليس على دينك ، فتوصى له بشیء هووليك فی النسب و ليس وليك فی الدين .

أقول: تجوز وصية المسلم للكافر مطلقاً من أهل الكتاب للروايات الصحيحة منها :

فی **الفقيه** : باسناده عن أبـی خديجة عن أبـی عبدالله عليه السلام قال : لايرث الكافر المسلم وللمسلم أن يرث الكافر إلا أن يكون المسلم قدأوصى للكافر بشیء .

و فی **وسائل الشيعة** : بالاسناد عن محمد بن مسلم قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن رجل أوصى بماله فـی سبيل الله قال : أعطه لمن أوصـی له ، و إن كان يهودياً أونصرانياً ، ان الله يقول : « فمن بدله بعد ماسمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه » .

فتصح الوصية للذمى والمرتد الملى اذالم يكن المال مما لايملكه الكافر كالمصحف و العبد المسلم و أمـا صحتها للحربى و المرتد عن فطـرة فلا تخلو عن إشكال .

و استدل بعض الفقهاء بقوله تعالى : « لقدكان لكم فـى رسول الله اسوة حسنة » الاحزاب : ٢١) على وجوب أفعال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولزوم التأسى به صلى الله عليه وآله وسلم فيها . و ذلك لان التأسى به صلى الله عليه وآله وسلم هـو الاقتداء به قولاً و فعلاً ، و قوله تعالى : « لمن كان يرجوا الله و اليوم الاخر» بعدذلك يدل على أن التأسى به واجب حيث جعله شرطاً للايمان كقوله تعالى : « و اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » و نحوه من الألفاظ المقرونة من الايمان ، فيدلّ على الوجوب .

وقد خالفه بعضهم فقال : انقوله تعالى : « لقدكان لكم فى رسول الله اسوة حسنة » يقتضى ظاهره الندب دون الايجاب لقوله تعالى: « لكم » كقول القائل: لك أن تصلى ، و لك أن تصوم .و هذا لايدل على وجوب الصلاة والصوم . بل يدل ظاهره على أن لك الفعل و الترك . وانما كان يدل على الايجاب لـوقال : عليكم التأسى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم . فدلالة الاية على الندب أظهـر منها على الايجاب . بل لا دلالة فيها على الايجاب حتى لو وردت بصيغـة الامر لمادلّت على الوجوب فى أفعاله صلى الله عليه وآله وسلم لان التأسى به صلى الله عليه وآله وسلم هو أن نفعل مثل ما فعل ، و متى خالفناه فى اعتقاد الفعل أوفى معناه لم يكن ذلك تأسياً به ألاترى انه اذا فعله على الندب وفعلناه على الوجوب كناغير متأسين به ، و اذا فعل صلى الله عليه وآله وسلم فعلاً لم يجز لنا أن نفعله على اعتقاد الوجوب فيه حتى نعلم أنه فعله على ذلك ، فاذا علمنا انه فعله على الوجوب لزمنا فعله على ذلك الوجه لامن جهة هذه الاية إذليس فيها دلالة على الوجوب لكن من جهة ما أمرنا الله تعالى باتباعه فى غير هذه الاية .

و منهم : من قال : تجب الاسوة اذا كانت فى امور الدين ، و تستحبّ اذا كانت فى امور الدنيا .

أقول: ان في لام التوطئة « لقد » دلالة على لزوم التأسي به صلى الله عليه وآله وسلم مضافاً إلى ان سياق السورة بصدد التشريع نفياً و اثباتاً ، و خاصة قصة ابطال التبني ، و ما يترتب عليه من الاحكام . . . فتأمل جيداً .

و قال بعض الفقهاء في قوله تعالى : « فمنهم من قضى نحبه » الاحزاب: ٢٣) : لما كان النحب قد يجوز أن يكون المراد به العهد و النذر ، وقدمدحهم الله تعالى على الوفاء به بعينه دل ّذلك على أن من نذر قربة فعليه الوفاء به بعينه دون كفارة اليمين .

واستدل بعض الفقهاء بقوله تعالى : « يا أيها النبي قل لازواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا . . . » الاحزاب : ٢٨) على ايجاب خيار النساء على البقاء و الفراق لمن يعجز عن النفقة لان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بتخيير نساءه حيث اختار الفقر و الاخرة .

أقول: و فيه تأمل لان الله تعالى علّق اختيار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفراقهن بارادتهن الحياة الدنيا و زينتها ، ومن المعلوم ان من أراد من نسائنا الحياة الدنيا وزينتها لم يوجب ذلك تفريقاً بينها و بين زوجها ، فلما كان السبب الذى من أجله أوجب الله تعالى التخيير المذكور في الاية غير الموجب للتخيير في نساء غيره ، فلا دلالة فيه على التفريق بين إمرأة العاجز عن النفقة ، و بينه مع أن اختار النبي صلى الله عليه وآله وسلم للآخرة دون الدنيا و ايثاره للفقر دون الغنى لم يوجب أن يكون عاجزاً عن نفقة نساءه لان الفقير قد يقدر على نفقة نساءه مع كونه فقيراً ، و لم يدع أحد من الناس ، و لاروى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان عاجزاً عن نفقة نساءه بل كان يدخر لنساءه قوت سنة .

و يستدل بقوله تعالى : « فلاتخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه مرض » الاحزاب : ٣٢) على نهي المرأة عن الأذان ، اذنهيت عن ترفيع صوتها بحيث يسمعها الرجال ، فيوجب الطمع فيهن . ويؤيده قوله تعالى : « ولايضربن بأرجلهن

ليعلم مايخفين من زينتهن » النور : ٣١) فاذاكانت المرأة منهية عن اسماع صوت خلخالها ، فكلامها أولى بالنهى عنه .

و يستدل بقوله تعالى : « و قرن في بيوتكن . . . » الاحزاب : ٣٣) على ان النساء مأمورات بلزوم البيوت ، منهيات عن الخروج الا لضرورة .

و يستدل بقوله تعالى : « و ماكان لمؤمن و لامؤمنة . . . الاية » الاحزاب: ٣٦) على ان صيغة « افعل » للوجوب في أصل وضعها لان الله تعالى نفى خيرة المكلف عند سماع أمره وأمر رسوله ﷺ ثم أطلق على من بقيت له خيرة عند صدور الامر إسم المعصية ثم علّق على المعصية بذلك الضلال، فلزم حمل الامر على الوجوب، فدلالة الاية على وجوب أوامر الله تعالى و رسوله ﷺ من وجهين : أحدهما ـ أنها تنفي الخيرة للمكلفين في ترك أوامر الله جل و علا و رسوله ﷺ ولو لم يكن على الوجوب لكانوا مخيرين بين الترك و الفعل . ثانيهما ـ ان تارك الامر عاص لله تعالى و لرسوله ﷺ و ضالاً ضلالاً مبيناً .

و يستفاد من قصة التبني و زيد وزينب امور: أحدها ـ ان قوله تعالى: «واذتقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليك» الاحزاب : ٣٧) يدل على مشروعية تملك الانسان وعتقه بل رجحانه و كون المعتق منعماً . ثانيها ـ ان البنوة من جهة التبني لاتمنع جواز النكاح . ثالثها ـ ان مناط تحريم زواج حليلة الابن هو سببية الوجود ، ولو بوسائط ، وان رسول الله ﷺ ماكان أبا أحد من الرجال الموجودين نسباً بانه ماكان سبباً في وجودهم كسببية آباءهم في وجودهم. رابعها ـ ان التساوى في النسب غير شرط في النكاح فان زينب كانت أشرف من زيد، ولهذا زوّج رسول الله ﷺ ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب ابن عمه بالمقداد ابن عمرو وهو عامي النسب . خامسها ـ ان الامة مساوية للنبي ﷺ في الاحكام إلاّ ما خصّه الله تعالى به لانه أخبر انه أحلّ ذلك للنبي ﷺ ليكون المؤمنون مساوين له ﷺ فيها .

سادسها ـ الابانة عن علة الحكم في إباحة ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وان ذلك قد اقتضى إباحته للمؤمنين من غير قياس في الاحكام . . . سابعها ـ لاتجوز الخطبة في العدة لانه لما انقضت عدتها أمر زيداً بخطبتها ويدل عليه قوله تعالى : « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله» البقرة : ۲۳۵) . ثامنها ـ ان في قوله تعالى : «زوجناكها لكي لايكون على المؤمنين حرج . . . » دلالة على أن فعله صلى الله عليه وآله وسلم يدل على الجواز، وان نفي الحرج عنه يستلزم نفي الحرج عن امته . تاسعها ـ ان النكاح يقع بلفظ التزويج ، ووجوب كونه بصيغة الماضي . و غيرها من الاحكام التي تستفاد من القصة أغمضنا عن ذكرها لطول البحث فتأمل و إغتنم جداً .

في تفسير روح المعاني: في قوله تعالى : «الذين يبلغون رسالات الله و يخشونه ولايخشون أحداً الا الله» الاحزاب : ۳۹) قال الآلوسي : استدل بالاية على عدم جواز التقية على الانبياء عليهم السلام مطلقاً ، وخص ذلك بعض الشيعة في تبليغ الرسالة ، وجعلوا ما وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه القصة المشار إليه بقوله تعالى : «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» بناء على ان الخشية فيه بمعنى الخوف لاعلى ان المراد الاستحياء من قول الناس تزوج زوجة ابنه ، ولافرق عندهم بين خوف المقالة القبيحة وإساءة الظن وبين خوف المضار في أن كلاً يبيح التقية فيما لايتعلق بالتبليغ ـ إلى ان قال ـ ان الشيعة أفرطوا حيث جوزوا بل أوجبوا التقية في إظهار الكفر لأدنى مخافة أو طمع .

أقول: لو كان مراده بالشيعة الشيعة الامامية الاثنى عشرية لفرط في الفرية والكذب عليهم ، وهم منه ومن فريته بريئون .

وفي المجمع : قال الطبرسي رضوان الله تعالى عليه في الاية : و في هذا دلالة على ان الانبياء لايجوز عليهم التقية في تبليغ الرسالة .

أقول: ليس في هذا الكلام ما افترى به الآلوسي على الشيعة فتأمل جيداً.

وفي قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات . . الآية» الاحزاب : ٤٩) بيان أحكام :

منها : ان النكاح لم يجيء في القرآن الكريم الا بمعنى العقد و هو دليل على كونه حقيقة فيه شرعاً ولانه لواستعمل في الوطيء لكان تصريحاً بكونه حقيقة فيه لغة لاشرعاً لان من دأب القرآن التعبيرعنه بالملامسة والمماسة والمقاربة والتغشي والاتيان والدخول والوطيء والكل كناية .

ومنها : يستدل بقوله تعالى : «اذا نكحتم المؤمنات» على عدم جواز نكاح الكافرات .

ومنها : في قوله تعالى : «ثم طلقتموهن» دلالة على ان الطلاق لايكون الا بعد نكاح ، وان من طلّق المرأة قبل نكاحها ، وإن عيّنها ، فان ذلك لا يلزمه. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لاطلاق قبل نكاح» فلايقع الطلاق حتى يحصل النكاح . وعن حبيب بن أبي ثابت : سئل علي بن الحسين عليه السلام عن رجل قال لامرأة : إن تزوجتك فأنت طالق ؟ فقال عليه السلام : ليس بشيء . ذكر الله عزوجل النكاح قبل الطلاق.

أقول: وقد أجازمالك وجميع مردته ، و كثيرمن علماء العامة الطلاق قبل النكاح . وهذا اجتهاد إزاء الكتاب والسنة وهو مردود عليهم .

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: وقالت طائفة من أهل العلم:ان طلاق المعينة الشخص أوالقبيلة أوالبلد لازم قبل النكاح منهم مالك وجميع أصحابه وجمع عظيم من علماء الامة .

ومنها : يستدل بقوله تعالى : «أن تمسوهن» على جوازالدخول في القبل والدبرعلى ان المراد بالمس الدخول مطلقاً قبلاًكان أودبراً . فالمعنى:اذاطلقتم الزوجات قبل الدخول مطلقا ليس لكم عليهن عدة أى يجوزلهن أن يتزوجن في الحال من غيرأن يصبرن ساعة اذلاعدة لكم عليهن تعتدونهاوتستوفون عددها.

ومنها : ان في قوله تعالى : «فما لكم عليهن من عدة تعتدونها»دلالةعلى

انه لاعدة مع عدم الدخول سواء تحقق الخلوة أم لا، فليس للخلوة حكم الدخول في المهر والعدة فان المس هو الدخول والوطيء ، ولاشك ان مع الخلوة التي ما يتحقق معها الوطيء يصدق عليه قبل المس . خلافاً لابي حنيفة .

وفي الجملة دلالة أيضاً على ان العدة حق للزوج لكون الرجوع للزوج فيها لابعدها والزوجة، وان كان لها حق النفقة والاسكان لكن حقه أقوى لان المنع من التزويج بغيره لأجله لالها .

ومنها : ان في قوله تعالى : «فمتعوهن» دلالة على ان لهن متعة عليكم ، فيجب ان تمتعوهن بشيء ، وهذا بناء على ان الامر للوجوب ، والا فيحمل على الندب اذلامتعة لغير المفروضة عند الاكثر، والا فلهن نصف المهر المسمى .

ومنها : في قوله تعالى : «سرحوهن سراحاً جميلاً» دلالة على وجوب التخلية من غير إضرار ولامنع واجب من نفقة أو كسوة ومتعة . فان المراد بالسراح: الاخراج من المنزل إجماعاً لعدم وجوب العدة هنا فلا يجب الاسكان ، خلافاً لابي حنيفة إذقال : التسريح كناية عن الطلاق .

واستدل أبوالحسن الكرخي بقوله تعالى : «اللاتي آتيت اجورهن» الاحزاب : ٥٠) على جواز وقوع النكاح بلفظ الاجارة . وتبعه بعض العامة .

أقول: وهذا ليس بشيء لان الاجر هنا مستعار للمهر بالاجماع مع أن الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد ، فهما متنافيان .

ويستدل بقوله تعالى : «وامرأة مؤمنة» على ان الكافرة الباذلة لاتحل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم . استدل بعض العامة وبقوله تعالى : «إن وهبت نفسها للنبي» على جواز وقوع النكاح بلفظ الهبة لغير النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وقال أبوحنيفة : يجوز عقد النكاح بلفظ الهبة .

أقول: وهذا ليس بشيء أيضاً لقوله تعالى : «خالصة لك» فذلك يختص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلايصح النكاح بلفظ الهبة . وقال بعض المحققين من الفقهاء:

ان المرأة عرضت نفسها للنكاح ، فليس فيه دليل على أن ينكح الرسول ﷺ بغير لفظ النكاح والزواج وفيه دليل على تأثير اللفظ في النكاح .

و استدل بعض الفقهاء بقوله تعالى : «ولو أعجبك حسنهن» الاحزاب:٥٢) على جواز النظر في المرأة الاجنبية عند إرادة النكاح قبل العقد ، اذلا يعجب حسن المرأة الا اذا نظر إليها .

و يستدل بقوله تعالى : «فاذا طعمتم فانتشروا» الاحزاب : ٥٣) على أن الضيف يأكل على ملك المضيف لاعلى ملك نفسه لان الله تعالى لم يجعل للضيف أكثر من الاكل ، ولاأضاف إليه سوى الاكل ، فيبقى الطعام الباقي على أصله .

واستدل الفقهاء بقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه» الاحزاب: ٥٦) على وجوب الصلوات على النبي الكريم ﷺ في الصلاة بعد التشهد لان ظاهر الامر يقتضي الوجوب خلافاً لأبي حنيفة ومالك فانهما لم يوجباها ولم يجعلاها شرطاً في الصلاة . وقد وردت روايات كثيرة تدل على وجوب الصلوات على النبي ﷺ في الصلاة .

منها : ما في وسائل الشيعة بالاسناد عن أبي بصير عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : «من صلّى ولم يصلّ على النبي وتركه عمداً فلا صلاة له» و قد أجمع علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية: ان الصلاة على النبي ﷺ واجب في التشهدين معاً ، وأجمعوا أيضاً على انه تجب الصلوات على آل محمد ﷺ في التشهدين ، وقد وردت فيه روايات كثيرة منها ما في المستدرك عن أبي مسعود الانصاري قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلى صلاة ولم يصلّ فيها عليّ و على أهل بيتي لم تقبل منه» .

وأما في غير الصلاة فتجب كلما ذكر النبي ﷺ لدلالة ذلك على التنويه بذكر شأنه ، والشكر لاحسانه المأمور بهما ولانه لولاه لكان كذكر بعضنا بعضاً و هو منهي عنه في قوله تعالى : «ولاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً»

النور: ٦٣)

و في وسائل الشيعة : قال رسول الله ﷺ: «من ذكرت عنده فلم يصل عليّ فدخل النار فأبعده الله» والوعيد إمارة الوجوب. وأما عند عدم ذكره فيستحب استحباباً مؤكداً لتظافر الروايات على ان الصلوات على النبي ﷺ وآله تهدم الذنوب وتوجب إجابة الدعاء المقرون بها . . .

و استدلوا بقوله تعالى: «وسلموا تسليماً» على وجوب السلام على النبي ﷺ فيجب إضافة «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» على التشهد الاخير بما تقريره: السلام على النبي ﷺ واجب × ولاشيء منه في غير التشهد الاخير بواجب = ينستج انه فيه واجب . أما الصغرى فلقوله: «وسلموا» الدال على الوجوب وأما الكبرى فللاجماع .

و يستدل بقوله تعالى: «والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثما مبيناً» الاحزاب: ٥٨) على تحريم ايذاء المؤمنين بغير جناية تقتضي ذلك، واستحقاق يبيح، وعلى جوازالايذاء على من يستحقها بالجناية والمعصية .

و يستدل بقوله تعالى: «يدنين عليهن من جلابيبهن» الاحزاب: ٥٩) على وجوب الحجاب وستر جميع البدن للنساء عن الأجانب . . .

و يستدل بقوله تعالى: «لئن لم ينته المنافقون . . الاية» الاحزاب: ٦٠ـ٦٢) على ان الارجاف بالمؤمنين والاشاعة بما يغمهم ويؤذيهم يستحق به القتل والتعزير والنفي اذا أصرّ عليه ولم ينته عنه .

﴿ بحث مذهبي ﴾

و قد اختلفت كلمات المتكلمين و غيرهم في إحباط الاعمال اختلافاً كثيراً أوردناها في محله . و ان الاحباط عبارة عن إبطال الحسنة بعدم ترتب ما يتوقع منها عليها بسبب السيئة اللاحقة ، و يقابله التكفير ، وهو إسقاط السيئة بعدم جريان مقتضاها عليها بسبب الحسنة اللاحقة ، فيسقط ثواب الايمان وآثار الطاعة بالكفر والمعصية اللاحقان اللذان يموت عليهما كسقوط عذاب الكفر والمعصية بالايمان والطاعة اللاحقان اللذان يموت عليهما .

و قد ذهب المحققون من الشيعة الامامية الاثنى عشرية قديماً و حديثاً إلى صحة الاحباط لكثير من الايات الكريمة ، والروايات الصحيحة الواردة عن طريق أهل بيت الوحي عليهم السلام على ان كثيراً من المعاصي يوجب سقوط كثير من الطاعات ، و ان كثيراً من الطاعات كفارة لكثير من السيئات . . .

ومن الايات قوله تعالى: « اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم » الاحزاب: ١٩) و فيه ردّ على المنكرين .

في المجمع : قال : و في هذا دلالة على صحة مذهبنا في الاحباط لان المنافقين ليس لهم ثواب فيحبط فليس الاّ ان جهادهم الذى لم يقارنه ايمان لم يستحقوا عليه ثواباً .

و ذهبت الأشاعرة المجبرة ـ على رأي أبي الحسن الاشعري ـ إلى سلب اختيار العباد، وإلى ان إرادة الله تعالى مسيطرة على عالم الوجود ، فلا يقع فعل،

ولايتحقق عمل من الاعمال الا بارادته تعالى، فلامدخل لاختيار العباد وإرادتهم بل لا اختيار لهم و لا إرادة سوى إرادة الله جل وعلا متشبثين بآيات تبرىء من عقائدهم السخيفة . . . منها قوله سبحانه : « قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ـ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » الاحزاب : ١٧ و ٣٣) .

أقول: و كلامهم مردود بقوله تعالى فى نفس السورة : « إن كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها ـ و إن كنتن تردن الله و رسوله والدار الاخرة ـ إن أراد النبى أن يستنكحها » الاحزاب : ٢٨ و ٢٩ و ٥٠) .

وقد ثبت بالكتاب والسنة : ان لله جل و علا إرادتين : إرادة تكوينية وهى التى تتعلق بتكوين شيء كقوله تعالى : « انما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » يس : ٨٢) .

و هذه الارادة لا تتخلف عن تحقق المراد حيث ان نفس إرادته تعالى لتكوين شيء كافية فى تحققه وجوداً . و إرادة تشريعية ، وهى التى تتعلق بأفعال العباد كقوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر » البقرة : ١٨٥) وهذه الارادة عبارة عن أمر الله تعالى و نهيه بعثاً و زجراً للعباد فيما يعود عليهم من مصالح و مفاسد كامنة وراء التكاليف ، فيعصى العباد ويخالفون عن أمره تعالى ولا محذور فى ذلك بعد أن كانت دار التكليف دار اختيار حيث لاموقع للتكليف لولا اختيار المكلفين فى الطاعة والمعصية و ان مصلحة التكليف هى التى تستدعى اختيار العباد فى الامتثال والترك تمهيداً لاختبارهم فى الحياة الدنيا ، ولا اختبار مع الالجاء ، و هذه الارادة فكثيراً ما تتخلف عن المراد .

والتفكيك بين الارادتين واضح فى الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين منها ما روى عن الامام على بن موسى الرضا عليه السلام قال : « ان لله إرادتين و مشيئتين : إرادة حتم و إرادة عزم » .

فالايتان : ١٧و٣٣) لاترتبطان بمسئلة الجبر على ما توهمه الأشاعرة فان المراد بالارادة فيهما هى ارادة تكوينية .

فى تفسير التبيان قال الشيخ قدس‌سره ـ ملخصاً منا ـ : استدل أصحابنا بهذه‌الاية : « انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل‌البيت ويطهركم تطهيراً » على ان‌الائمة عليهم‌السلام معصومون عن‌الغلط والمعصية والذنب، و ان اجماعهم‌حجة ، و انهم لا يقولون الا ما أراد الله تعالى أن يقولوا به لاذهاب الرجس عنهم ، و فعلهم‌الله تعالى بهم حيث تمتنع عنهم القبائح لاختصاصهم بذلك فلايشركهم أحد غيرهم فى ذلك لمكان « انما » تجرى مجرى ليس ، فمخلص الكلام : ليس يريد الله الا إذهاب الرجس على هذا الحد عن أهل البيت ، وقد حصل ذهاب‌الرجس عنهم ، فهذا دليل على عصمتهم .

و قد استدلت المجسمة بقوله‌سبحانه: «تحيتهم‌يوم‌يلقونه‌سلام » الاحزاب : ٤٤) على ان الله تعالى جسم متركب من أعضاء و جوارح ، و له جهت و مكان وحركة يمكن رؤيته بالابصار و مسّه بالايدى بمصافحة و معانقة ، وهوسبحانه متربع على كرسى عرشه فوق السموات وسوف ينزل إلى الملأ يوم القيامة ليراه المؤمنون بعيونهم، ويكشف فى‌ساقه ويضع‌رجله فى‌جهنم فتقول: يا رب قطقط.

و مالت إليهم الأشاعرة تبعة الاوهام ، و قلدتهم الوهابية مصطنعة الانجليز فقال شاعرهم :

لله وجـه لا يحـدّ بصـورة	و لربنـا عينـان ناظرتـان
و لـه يدان كما يقـول إلهنـا	و يمينـه جلت عـن الايمـان
كلتـا يـديه يميـن وصفهـا	فهمـا على الثقـلان منفقتان
كرسيه وسع السموات العلى	والارض و هـو يعمـه القدمـان
والله يضحك لا كضحك عبيده	والكيف ممتنع على الـرحمان
والله ينـزل كل آخـر ليلـة	لسماءه الدنيـا بلا كتمـان
فيقول: هل من‌سائل فاجيبه ؟	فأنا القريب اجيب من نادانى .

أقول: و قد أخطأ أصحاب التجسيم ومردتهم في فهم القرآن الكريم الذى لايمسه الا المطهرون وليس معنى الآية الكريمة : واذالقاه المؤمنون رآوه . على ما توهموه . ، ولايعنى اللقاء بالنظر إليه سبحانه وجهاً لوجه . و انما المراد من اللقاء هويوم الرجوع والانتهاء إلى حكم الله تعالى إذ لاحكم يومئذ الا حكمه . فكل مؤمن و كافر يلاقى جزاء عمله إن خيراً فخير، وان شراً فشر .

و قد استدل بعض المتكلمين بقوله تعالى : « و ما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » الاحزاب: ٣٦) على ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان مشرعاً لان القضاء بمعنى الحكم التشريعى من ايجاب أو إلزام تكليفى و نحو ذلك . فالمؤمن تجاه أحكام الشريعة التى جائت بالوحى أو من جانب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مستسلم لا رأى له سوى الطاعة والامتثال .

وقد أجاب عنه بعض المفسرين: بان في الاية دلالة على ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان مشرعاً اذا كان أمره في عرض أمرالله تعالى لا في طول أمره ، وبعبارة اخرى كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم مشرعاً ما لم يكن أمره بأمرالله تعالى .

و يستدل بقوله تعالى : « ان الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم في الدنيا والاخرة و أعد لهم عذاباً مهيناً والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبيناً » الاحزاب : ٥٧ـ٥٨) على عصمة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إذ أطلق الله تعالى الايذاء في ناحيته و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقيّده في جانب المؤمنين والمؤمنات بالاكتساب و عدمه ، فان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لن يفعل ما نهى عنه حتى يستحق الأذى كما يجوز أذى المؤمنين اذا فعلوا ما يستحقون به الأذى على الوجه المحدود في الشرع .

فلا يتصور أن يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كسب يستحق عليه أذى . . و معاذالله جل وعلا ! فقد حرسه الله تعالى من كل سوء ، وحماه من المعاثر والمزالق كلها . . . و أكثر من هذا فقد جعله الله تعالى في ضمانه ، إذ ضمنه إلى جنابه و جعل أذاه أذى له إطلاقاً .

﴿التبنى فى الجاهلية و قصة زيد بن حارثة﴾

قال الله تعالى : « و ما جعل أدعياءكم أبناءكم - ادعوهم لآبائهم » الاحزاب : ۳ و ٤)

ان التبنّى هو اتخاذ رجل ما طفلاً أوصبياً غريباً إبناً له ، وكان التبنى من تقاليد العرب فى الجاهلية ، و دائراً بين الامم الراقية يومئذ كالروم و فارس ، و كان يجرى بشيء ان المراسم حيث يعلن المتبنى فى ملأمن الناس تبنى الطفل أوالصبى ، فيصبح فى مقام ابنه من صلبه فى كل الواجبات و الحقوق ، وكانوا يرتّبون على المتبنى أحكام الولدالصلبى من التوارث و حرمة الازدواج وغيرهما فيرث كل واحد منهما الاخرو يحرم على كل منهما ما يحرم بين الاب والابن من أنكحة . . . فلايصح للمتبنى أن يتزوج إحدى بنات متبنّيه ولاأخواته ولاخالاته ولاعماته ولايصح للمتبنى أن يتزوج أرملة متبنيه ولامطلقته .

و قدكان للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ابن على هذا الطريق و هو زيد بن حارثة ابن شراحيل الكلبى ، وكان مملوكا لزوجته ام المؤمنين خديجة سلام الله عليها و إن زيداً هو الذى أسره بنوالقين فى الجاهلية و شروه فى سوق عكاظ أوسوق حباشة من حكيم بن حزام ، وقد اشتراه هو لعمته خديجة بنت خويلد، فاستوهبه منها وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وجاء أبوه فخيّره بين البقاء عنده أوالالتحاق بأبيه فاختار البقاء فأعلن أبوه براءته منه فأعلن النبى صلى الله عليه وآله وسلم تبنيه له ، و كان ذلك قبل نبوته و صار يدعى زيد بن محمد ، و ظل الامر على ذلك إلى أن نزلت

هذه الايات فصار يدعى زيد بن حارثة ، و ألغى الاسلام التبني وأحكامه كله .

وفي طبقات ابن سعد : و لقد ظل النبي ﷺ يحبه - زيد بن حارثة - ويرعاه وقدعهدإليه بقيادة سرايا عديدة أكثر من أي صحابي آخر، و لما استشهد في مؤتة كان ابنه اسامة محل رعاية النبي ﷺ و محبته وعطفه .

وفي الكشاف : ان زيداً هو ابن حارثة من كلب سبي صغيراً ، وكانت العرب في الجاهلية يتغاورون و يتسابون ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة ،فلما تزوجها رسول الله ﷺ و هبته له و طلبه أبوه و عمه فخير فاختار رسول الله ﷺ فاعتقه وكانوا يقولون : زيد بن محمد ، وكان رسول الله ﷺ أكبر منه بعشر سنين ، فأنزل الله عزوجل فيه : «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» .

و في تفسير ابن كثير الدمشقي : ان زيداً قدقتل في يوم موتة سنة ثمان.

وفي المجمع : في قوله تعالى : « و ما جعل أدعيائكم أبناءكم » قال : الادعياء جمع الدعي ، و هو الذي يتبناه الانسان ، بين سبحانه انه ليس ابناً على الحقيقة ، و نزلت في زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من بني عبدود تبناه رسول الله ﷺ قبل الوحي وكان قدوقع عليه السبي فاشتراه رسول الله ﷺ بسوق عكاظ ، لما نبيء رسول الله ﷺ دعاه إلى الاسلام فأسلم ، فقدم أبوه حارثة مكة ، و أتى أباطالب و قال : سل ابن أخيك فاما أن يبيعه و إما أن يعتقه ، فلما قال ذلك أبوطالب لرسول الله ﷺ قال : هو حر فليذهب حيث شاء ، فأبى زيد أن يفارق رسول الله ﷺ فقال حارثة : يا معشر قريش اشهدوا انه ليس ابني ، فقال رسول الله ﷺ :

اشهدوا ان زيداً ابني ، فكان يدعى زيد بن محمد ، فلما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش ، وكانت تحت زيد بن حارثة قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد إمرأة إبنه ، و هو ينهى الناس عنها ، فقال الله سبحانه : ما جعل الله من تدعونه ولداً وهو ثابت النسب من غيركم ولداً لكم «ذلكم قولكم بأفواهكم»

أى ان قولكم الدعى ابن الرجل شيء تقولونه بألسنتكم لاحقيقة له عندالله تعالى « والله يقول الحق » الذى يلزم اعتقاده « وهو يهدى السبيل » أى يرشد إلى طريق الحق « ادعوهم لآبائهم » الذين ولدوهم و انسبوهم إليهم أو إلى من ولدوا على فراشهم « هو أقسط عندالله » أى أعدل عندالله قولاً و حكماً .

في السيرة النبوية لابن هشام قال ابن اسحق : ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبدالعزّى بن امرى القيس الكلبى ، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان أول ذكر أسلم ، و صلّى بعد على بن أبيطالب .

قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن سراحيل بن كعب بن عبدالعزى ابن امرى القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدودّ بن عوف بن كنانة ابن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ابن و برة ، و كان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق ، فيهم زيد بن حارثة و سيف ، فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد ، و هى يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها : اختارى يا عمة أىّ هؤلاء الغلمان شئت فهو لك ، فاختارت زيداً فأخذته ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندها ، فاستوهبه منها فوهبته له ، فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتبنّاه و ذلك قبل أن يوحى إليه .

وكانت ام زيد سعدى بنت ثعلبة من بنى معن من طيء كانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها ، فأصابته خيل من بنى القين بن جسر فباعوه بسوق حباشة ، و هو من أسواق العرب ، و زيد يومئذ ابن ثمانية أعوام . . . وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعاً شديداً و بكى عليه حين فقده فقال :

بكيت على زيد و لم أدر ما فعل ... أحيّ فيرجى أم أتى دونه الأجل

فو الله ما أدرى و انى لسائل ... أغالك بعدى السهل أم غالك الجبل

و ياليت شعرى هل لك الدهر أوبة ... فحسبى من الدنيا رجوعك لى بجل

تذكّرنيه الشمس عند طلوعها ... و تعرض ذكراه اذا غربها أفل

و إن هبّت الارواح يصبّحن ذكره فياطول ما حزني عليه و ما وجل
سا عمل نصّ العيس في الارض جاهداً و لا أسام التطواف أو تسأم الابل
حياتي أو تأتي عليّ منيّتي فكل امرىء فان و إن غرّه الأمل

ثم قدم عليه و هو عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن شئت فاقم عندي وإن شئت فانطلق مع أبيك ! فقال : بل اقيم عندك فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعثه الله فصدّقه و أسلم ، و صلّى معه ، فلما أنزل الله عز و جل : « ادعوهم لآبائهم » قال : أنا زيد بن حارثة .

قوله : « غالك » : أهلك و « بجل » : حسب و « أفل » : غاب و « نصّ العيس » النص : أرفع السير.

و فيه : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما عين اسامة قائداً لجيش أراد أن يسيره إلى مؤتة لأخذ ثأر أبيه و جيشه قال الناس : أمر غلاماً حدثاً على جلّة المهاجرين والانصار وكان النبي وجعاً ، فخرج فخطب في الناس فقال : « انفذوا بعث اسامة، فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله ، وانه لخليق بالامارة و إن كان أبوه لخليقاً بها » .

وماورد في كتب السير: ان زيداً هو إبن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبدالعزى ، و امه سعدى بنت ثعلبة بن عامر بن أفلت من بني معن من طيىء ، أصابه سبي في الجاهلية لان امه خرجت به تزور قومها بني معن ، فأغارت عليهم خيل بني القين ابن جسر، فأخذوا زيداً ، فقدموا به سوق عكاظ ، وقيل : سوق حباشة ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، فوهبته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة قبل النبوة و هو إبن ثمان سنين . . .

﴿زيد بن حارثة و امارته﴾

فى البحار : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً ذات يوم إلى قوم من أشداء الكفار فأبطأ عليهم (فأبطأ عليه خ) خبرهم وتعلّق قلبه بهم ، و قال : ليت لنا من يتعرّف أخبارهم و يأتينا بأنبائهم ، بيناهو قائل إذجاءه البشير بأنهم قدظفروا بأعدائهم و استولوا وصيّروهم بين قتيل و جريح و أسير و انتهبوا (و نهبوا خ) أموالهم و سبوا ذراريهم و عيالهم ، فلما قرب القوم من المدينة خرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه يتلقاهم فلما لقاهم ، ورئيسهم زيد بن حارثة و كان قد أمّره عليهم ، فلما رأى زيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل عن ناقته و جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قبّل رجله ثم قبّل يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قبّل رأسه ، ثم نزل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبدالله بن رواحة ، فقبّل رجله ويده و ضمّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه ـ ثم نزل قيس بن عاصم المنقرى فقبل يده ورجله و ضمّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثم نزل إليه سائر الجيش و وقفوا يصلّون عليه وردّ عليهم رسول الله خيراً .

ثم قال لهم : حدّثونى خبركم و حالكم مع أعدائكم ، و كان معهم من اسراءِ القوم و ذراريهم (ذرياتهم خ) و عيالاتهم و أموالهم من الذهب و الفضة ، و صنوف الامتعة شيء عظيم ، فقالوا : يا رسول الله لوعلمت كيف حالنا لعظم تعجّبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لم أكن أعلم ذلك حتى عرّفنيه الآن جبرئيل عليه السلام وما كنت أعلم شيئاًمن كتابه ودينه أيضاً حتى علّمنيه ربى قال الله عزوجل:

« و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمـرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الكتاب (ولا الايمان ص) » إلى قوله « صراطمستقيم » ولكن حدّثوا بذلك إخوانكم هؤلاءِ المؤمنين لاصدّقكم فقد أخبرنى جبرئيل يصدقكم فقالوا (فقال خ) : يا رسـول الله ﷺ انا لمّا قربنا من العدوّ بعثنا عيناً لنا لنعـرف (ليعـرف خ) أخبارهم و عددهم لنا فرجع إلينا يخبرنا انهم قدر ألف رجل وكنا ألفى رجل، و إذا القوم قد خرجوا إلى ظاهربلدهم فى ألف رجل ، و تركوا فـى البلد ثلاثة آلاف يوهموننا (فتوهمنا خ) أنهم ألف و أخبـرنا صاحبنا انهـم يقولون فى ما بينهم :

نحن ألف و هم ألفان ، و لسنا نطيق مكافحتهم ، و ليـس لنا إلاّ التحاصـن (التحصن خ) فى البلدحتى تضيق صدورهم من منازلتنا (من مقاتلتنا خ)فينصرفوا عنافتجرّأنا بذلك عليهم ، وزحفناإليهم فدخلوا بلدهم وأغلقوا دوننا بابه ،فقعدنا ننازلهم فلما جنّ علينا الليل و صرنا إلى نصفه فتحوا باب بلدهم و نحن غارون نائمون ما كان فينامنتبه إلاّ أربعة نفـر: زيد بن حارثة فـى جانب من جوانب عسكرنا يصلّى ويقرأ القرآن ، و عبدالله بن رواحة فى جانب آخريصلّى ويقرأ القرآن و قتادة بن النعمان فى جانب آخريصلّى ويقرأ القرآن وقيس بنعاصم فى جانب آخريصلى ويقرأ القرآن .

فخرجوا فى الليلة الظلماءِ الدامسة و رشقونا بنبالهم ، وكان ذلك بلدهم، وهم بطرقه و مواضعه عالمون و نحن بها جاهلون ، فقلنافيما بينناذهيناو اوتينا، هذا ليل مظلم لايمكننا أن نتّقى النبال لأنالانبصرها ، فبينا نحن كذلك إذرأينا ضوءاً خارجاً من فى قيس بنعاصم المنقرىّ كالنار المشتعلة وضوءاً خارجاً من فى قتادة بن النعمان كضوءِ الزهرة والمشترى ، وضوءاً خارجاً من فى عبدالله بن رواحة كشعاع القمرفى الليلة المظلمة ، و نوراً ساطعاً من فى زيد بـه الحارثة أضوأمن الشمس الطالعة ، و إذاً تلك الانوار قد أضاءت معسكرنا حتى أنه أضوأ

من نصف النهار ، و أعدائنا في ظلمة شديدة فابصرناهم و عموا عنا ، ففرّقنازيد عليهم حتى أحطنا بهم ، ونحن نبصرهم وهم لايبصروننا ، فنحن بصراء وهم عميان.

فوضعنا عليهم السيوف فصاروا بين قتيل و جريح و أسير، و دخلنا بلدهم فاشتملنا على الذرارى و العيال و الأثاث و الاموال ، وهذه عيالاتهم و ذراريهم، و هذه أموالهم و مارأينا يا رسول الله أعجب من تلك الانوار من أفواه هـؤلاء القوم التى عادت ظلمة على أعدائنا حتى مكّننا (مكنا خ) منهم ، فقال رسول الله ﷺ فقولوا : الحمدلله رب العالمين على ما فضّلكم به من شهـر شعبان ، هذه كانت ليلة غرّة شعبان وقد انسلخ عنهم الشهر الحرام ، وهذه الانوار بأعمال إخوانكم هؤلاء في غرّة شعبان ، و أسلفوا لها أنواراً في ليلتها قبل أن يقع منهم الاعمال، قالوا : يارسول الله وماتلك الاعمال لنثاب عليها ؟ قال رسول الله ﷺ : أما قيس بن عاصم المنقرىّ فانه أمر بمعروف في يوم غرّة شعبان ، و قدنهى عن منكر، و دلّ على خير فلذلك قدّم له النور في بارحة يومه عند قراءته القرآن .

و أما قتادة بن النعمان فانه قضى ديناً كان عليه في يوم غـرّة شعبان ، فلذلك أسلفه الله النور في بارحة يومه ، و أما عبدالله إبن رواحة فانه كان بـرّاً بوالديه ، فكثرت غنيمته في هذه الليلة ، فلما كان من غده قال له أبوه : إنّي و امك لك محبان ، و ان إمرأتك فلانة تؤذينا و تعيبنا ، و انا لانأمن من إنقلاب (قضاء خ) من أن تصاب (نصاب خ) في بعض هذه المشاهد ، و لسنا نأمن أن تستشهد في بعضها ، فتداخلنا هذه في أموالك ، ويزداد علينا بغيها وغيّها ، فقال عبدالله : ما كنت أعلم بغيها عليكم (عليكما خ) و كراهيتكما لهـا ، و لو كنت علمت ذلك لأبنتهـا (لطلّقتها خ) من نفسي ، ولكني قـد أبنتهـا الآن لتأمنا (لتكفينا خ) ما تحذران ، فما كنت بالذى احبّ من تكرهان (ماتكرهان خ) فلذلك أسلفه الله النور الذى رأيتم .

وأمازيد بن حارثة الذى كان يخرج من فيه نور أضوأ من الشمس الطالعة، وهو سيّد

القوم و أفضلهم فلقد علم الله مايكون منه ، فاختاره و فضّله على علمه بمايكون منه ، انه في اليوم الذى ولى هذه الليلة التي كان فيها ظفر المؤمنين بالشمس الطالعة من فيه جاءه رجل من منافقى عسكرهم (عسكره خ) يريد التضريب - أى الاغراء وايجاد الخلاف - بينه وبين على بن أبى طالب عليه السلام وإفساد مابينهما، فقال له : بخّ بخّ لك ، أصبحت لانظير لك في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته، هذا بلاؤك وهذا الذى شاهد ناه نورك ، فقال له زيد : يا عبدالله اتق الله ولاتفرط في المقال و لاترفعني فوق قدرى ، فانك بذلك مخالف (فانك لله بذلك مخالف خ) و به كافر، وانى إن تلقّيت مقالتك هذه بالقبول كذلك (لكنت كذلك خ) يا عبدالله ألا احدّثك بما كان في أوائل الاسلام و ما بعده حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة و زوّجه فاطمة عليها السلام ، و ولدت الحسن و الحسين عليهما السلام ؟ قال : بلى قال :

ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لي شديد المحبة حتى تبنّانى لذلك ، فكنت ادعى زيد بن محمد إلى أن ولد لعليّ الحسن والحسين عليهما السلام ، فكرهت ذلك لأجلهما، و قلت لمن كان يدعونى : احبّ أن تدعونى زيداً مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانى اكره أن اضاهى الحسن و الحسين ، فلم يزل ذلك حتى صدّق الله ظنّى و انزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم : « و ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » يعنى قلباً يحب محمداً وآله و يعظّمهم ، و قلباً يعظّم به غيرهم كتعظيمهم ، أوقلباً يحبّ به أعداءهم ، بل من أحبّ أعداءهم فهو يبغضهم ولايحبهم ، ثم قال : « وماجعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم و ماجعل أدعياءكم أبناءكم - إلى قوله - و أولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » يعنى الحسن والحسين عليهما السلام أولى ببنوّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب الله و فرضه « من المؤمنين و المهاجرين إلاّ أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً » إحساناً و إكراماً لايبلغ ذلك محل الاولاد « كان ذلك في الكتاب مسطوراً » فتركوا ذلك و جعلوا يقولون :

زيد أخو رسول الله ﷺ فما زال الناس يقولون لى هذا و اكرهه حتى أعاد رسول الله ﷺ المؤاخاة بينه و بين على بن أبى طالب عليه السلام ثم قال زيد :

يا عبدالله ان زيداً مولى على بن أبى طالب ، كما هو مولى رسول الله ﷺ فلاتجعله نظيره ، ولاترفعه فوق قدره ، فتكون كالنصارى لما رفعوا عيسى عليه السلام فوق قدره ، فكفروا بالله العظيم، قال رسول الله ﷺ : فلذلك فضّل الله زيداً بما رأيتم ، و شرّفه بما شاهدتم ، و الذى بعثنى بالحق نبياً ، ان الذى أعدّه الله لزيد فى الاخرة ليصغر فى جنبه ما شاهدتم فى الدنيا من نوره ، انه ليأتى يوم القيامة و نوره يسير أمامه وخلفه ويمينه و يساره وفوقه و تحته من كل جانب مسيرة مأتى ألف سنة .



﴿ شبهات في زواج النبي ﷺ من زينب ودفعها ﴾

وقد شغب المشاغبون على قصة زواج النبى الكريم ﷺ من زينب بنت جحش مطلقة مولاه ومتبنّاه زيد بن حارثة وبنوا حولها شبهات من أوهامهم و ضلالاتهم ، وأساطير وأراجيف من واردات الكذب والكيد للاسلام ولنبى الاسلام ، حتى لقد صوّروا النبى المعصوم ﷺ رجلاً إستبدت به الشهوة ، و غلب عليه حب النسوة حتى لقد كاد يتخلى عن رسالته التى أقامه الله جل وعلا عليها ويشغل نفسه بالجرى وراء إشباع شهواته . . .

وقد دفعت تلك الشبهات والأراجيف بصراح الايات الكريمة فى قوله جل وعلا: «وماكان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ـ ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» الاحزاب : ٣٦ـ٤٠) ففى الايات صراحة فى أن النبى المعصوم ﷺ كان ممتنعاً من ربه بهذا الزواج الذى لم يكن يدور فى خاطره فى أية لحظة من لحظات حياته ، وذلك ليقضى بهذا الزواج على تلك العادة المتمكنة فى المجتمع العربى، والتى دخلت الاسلام مع المسلمين بهذا السلطان المتمكن الذى كان لها على النفوس...

فاذا نظرنا إلى ماوراء آيات القرآن الكريم نجد أن زينب بنت جحش هذه لم تكن غريبة عن نبى الاسلام ﷺ ، بل كانت إبنة عمته ، وكانت تحت نظره من مولدها إلى أن خطبها النبى ﷺ لزيد بن حارثة مولاه ، فماذا كان يمنع النبى ﷺ من أن يتزوجها لو أنها وقعت من قلبه موقعاً ؟ ولو انه كان

للنبى صلى الله عليه وآله وسلم أية رغبة فيها أكان يخطبها ويزوجها لمتبناه فتحرم عليه إلى الأبد، كماكان هو الحال فى زوجات الابناء الادعياء قبل أن ينزل القرآن بما يقضى على التبنى وأحكامه ! أذلك مما يستقيم أبداً مع عقل أومنطق ؟

وفى الايات الكريمة صراحة بأن زواج النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من زينب كان بأمر من الله تعالى لابد للنبى صلى الله عليه وآله وسلم نفسه من الائتمار به ، فلابد له صلى الله عليه وآله وسلم أن يتزوج من زوجة من دعاه إبناً له ليبيّن للناس عملاً: انه ليس كل من يدعى بالابن إبناً حقيقة بحيث يترتب عليه أحكام الابوة والبنوة ، وليبطل ماكان لنظام التبنى من الآثار فى حياة الجماعة العربية وغيرهم ، ولم يكن إبطال تلك الآثار فى حياة المجتمع ليمضى بالسهولة التى يمضى بها إبطال تقليد التبنى ذاته ، إذالتقاليد الاجتماعية أعمق أثراً فى النفوس ، ولابد من سوابق عملية مضادة ، و لابد أن تستقبل هذه السوابق أول أمرها بالاستنكار، وأن تكون شديدة الوقع على الكثيرين مضى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوج زيدبن حارثة الذى كان متبناه ، وكان يدعى زيد إبن محمد ثم دعى إلى أبيه من زينب بنت جحش إبنة عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليحطم بهذا الزواج فوارق الطبقات الموروثة ، و يحقق معنى قوله تعالى : «إن أكرمكم عندالله أتقاكم» ويقرر هذه القيمة الاسلامية الجديدة بفعل عملى واقعى ، وأمرالله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك أن يحمل مؤنة إزالة آثار نظام التبنى فيتزوج من مطلقة متبناه زيد، ويواجه بهذا العمل المجتمع الذى لايستطيع أحد أن يواجه المجتمع به على الرغم من إبطال عادة التبنى فى ذاتها ، فألهم الله تعالى رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم :

ان زيداً سيطلق زوجته زينب ، وانه هو سيتزوجها للحكمة التى قضى الله بها فاضطربت العلاقات بين زيد وزينب ، وعادت تنادى بان حياتهما بعد ذلك لن تستقيم ، فجاء زيد مرة يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إضطراب حياته مع زينب، و عدم إستطاعته المضى معها ، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم على شجاعته فى مواجهة قومه فى أمر العقيدة دون لجلجة ولاخشية يحس ثقل التبعة فيما ألهمه الله تعالى من

أمر زينب و يتردد فى مواجهة القوم بتحطيم ذلك التقليد العميق ، فيقول لزيد : «امسك عليك زوجك واتق الله» ويؤخر بهذا مواجهة الأمر العظيم الذى يتردد فى الخروج به على الناس كما قال تعالى : «وتخفى فى نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس والله أحق أن تخشاه»

وهذا الذى أخفاه النبى الكريم ﷺ فى نفسه ، وهو يعلم ان الله جل و علا مبديه هو ما ألهمه الله أن سيفعله ، ولم يكن أمراً صريحاً من الله تعالى ، و إلاّ ما تردد فيه ولاأخّره ولاحاول تأجيله ولجهر به فى حينه مهما كانت العواقب التى يتوقعها من إعلانه ولكن رسول الله ﷺ كان إمام إلهام يجده فى نفسه و يتوجس فى الوقت ذاته من مواجهته ومواجهة الناس به حتى أذن الله تعالى بكونه ، فطلّق زيد زوجه فى النهاية ، وهو لايفكر لاهو ولا زينب فيما سيكون بعد لان العرف السائد كان بعد زينب مطلقة إبن لمحمد ﷺ لاتحل له حتى بعد إبطال عادة التبنى فى ذاتها ولم يكن قد نزل بعد إحلال مطلقات الادعياء . . .

إنما كان حادث زواج النبى ﷺ بها فيما بعد هو الذى قرّر هذه القائدة بعد ما قوبل هذا القرار بالدهشة والمفاجأة ، ولاإستنكار ، وفى هذا هدم لما تقوله الاعداء العمياء فى تلك القضية تعبيراً على الرسول الاعظم ﷺ وقالوا فيها المفتريات . . . إنما كان الامر كما قال الله تعالى : «فلما قضى زيد منها وطراً زوّجناكها . . » وكانت هذه إحدى ضرائب الرسالة الباهظة حملها الرسول ﷺ فيما حمل وواجه بها المجتمع الكاره بها كل الكراهية حتى كان يتردد فى مواجهته بها ، وهو الذى لم يتردد فى مواجهته بعقيدة التوحيد ، وذم الالهة والشركاء و تخطئة الآباء والاجداد . . .

ولما انقضى عدة زينب أرسل رسول الله ﷺ زيداً زوجها السابق ليخطبها لرسول الله ﷺ فقال لزيد : «إذهب فاذكرها علىّ» فانطلق زيد حتى أتاها ، وهى تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما استطيع أن أنظر

إليها ، وأقول : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي ، وقلت : يا زينب أبشري أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذكرك قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى اؤامر ربي عزوجل فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخل عليها بغير إذن ، ولم المسئلة سهلة ، فلقد فوجيء بها المجتمع الاسلامي كله كما انطلقت ألسنة المنافقين وأعداء الدين تقول :

تزوّج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حليلة إبنه ، ولما كانت المسئلة مسئلة تقرير مبدأ جديد ، فقد مضى القرآن يؤكدها ، ويزيل عنصر الغرابة فيها ، ويردّها إلى اصولها البسيطة المنطقية التاريخية حيث قال : «ماكان على النبي من حرج فيما فرض الله» فقد فرض له أن يتزوج زينب ، وأن يبطل عادة العرب الجاهلية و من في سبيلها في تحريم أزواج الادعياء فاذن لاحرج في هذاالامر ، و ليس النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه بدعاً من الرسل : «سنة الله في الذين خلوا من قبل» فهو أمر يمضي وفق سنة الله التي لاتتبدل ، والتي تتعلق بحقائق الاشياء لابما يحوطهامن تصورات وتقاليد مصطنعة لاتقوم على أساس «وكان أمر الله قدراً مقدوراً» فهو نافذ مفعول لايقف في وجهه شيء ولا أحد وهومقدر بحكمة وخبرة ، و وزن منظور فيه إلى الغاية التي يريدها الله منه : ويعلم ضرورتها وقدرها وزمانها ومكانها .

وقد أمر الله جل وعلا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبطل تلك العادة بلاأساس ولابرهان إلاّ التقليد العمياء ، ويمحو آثارها عملياً ، ويقرّ بنفسه السابقة الواقعية ، ولم يكن بد من نفاذ أمر الله تعالى وسنة الله جل وعلا هذه قد مضت في الذين خلوا من قبل من الرسل : «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون أحداً إلاّ الله» فلايحسبون للخلق حساباً فيما يكلفهم الله به من امور الرسالة ، ولايخشون أحداً إلاّ الله الذي أرسلهم للتبليغ والعمل والتنفيذ «وكفى بالله حسيباً» فهو وحده الذي يحاسبهم ،وليس للناس عليهم من حساب «ماكان محمداً أبا أحد من رجالكم» حتى تكون زينب حليلة إبنه ، وزيد إبن محمد إنما زيد هو إبن حارثة

ولاحرج إذن في الامرحتى ينظرإليه بعين الحقيقة الواقعية .

وإنما العلاقة بين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبين جميع امته ومنهم زيد بن حارثة هي علاقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقومه ، وليس هو أباً لأحد منهم «ولكن رسول الله وخاتم النبيين» ومن ثم فهو يشرّع الشرائع الباقية لتسير عليها البشرية وفق آخر رسالة السماء إلى الارض ، ليست بعده رسالة ولا نبوة «وكان الله بكل شيء عليماً» فهو جل و علا الذى يعلم ما يصلح لهذه البشرية وما يصلحها ، وهو الذى وحده فرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما فرض واختار له ما اختار ليحلّ للناس أزواج أدعياءهم إذا ما قضوا منهن وطراً ، وانتهت حاجاتهم منهن ، واطلقوا سراحهن ، قضى الله تعالى هذا وفق علمه بكل شيء ، ومقتضى حكمته التي فيها صلاح عباده .

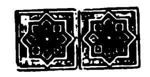
فالايات الكريمة مع ما فيها من عتاب شديد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على تردده ظاهراً في تنفيذ ما ألهمه الله تعالى تحسباً من إنتقاد الناس من أقوى البراهين على أنه لم يكن في الحادث أيّ شيء يمسّ كرامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونزاهته وسموّ أخلاقه، وان الايات ليست إلاّ في صدد تنفيذ إلهام الله تعالى في إبطال التبني «لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعياءهم إذا قضوا منهن وطراً» ثم إنفصلوا عنهم بالطلاق أو الموت .

فما تشبث به الاعداء والخصوم من الشبهات والأكاذيب والمفتريات والأراجيف للتشويه من سمعة الرسول الطيبة والازراء بكرامة النبي المجيدة كلها مدفوع بنفس القصة فانها حدثت لمحق عادة جاهلية ،فكانت مكافحة هذه السنة الجاهلية بحاجة إلى تضحية ممن يعرض بنفسه للشناعة الراهنة ويتحملها ، ومن ثم تحملها الرسول بنفسه كسراً لشوكتها ، وان شخصيته الكبيرة لتحول دون توجيه أيّ شناعة إليه ! .

وقال بعض المتكلمين في شرح القصّة : ان سبب إزدواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من زينب : انها لما كانت من قريش وقبلت إزدواجها بزيد بخطبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ،و

كان زيد بهذا النكاح غير راض ، ثم أراد بطلاقها ، وكان ذلك صعباً وهواناً وذلة لامرأة قريشية التى قبلت النكاح بعبد ، وهو يتنفر عنها ويطلقها ، فانكسر قلبها بذلك ، فزوّجها رسول الله ﷺ تسلية لها وجعلها من أزواجه جبراً لما إنكسر قلبها .

أقول: وهذا من الاجتهاد تجاه النص ، فانه يصرّح بأن السبب إنما هو نسخ التقاليد الجاهلية . . .



﴿ابطال التقاليد الجاهلية وأحكام التبني﴾

ومن غير مراءٍ ان التبني وأحكامه من التقاليد بين العرب والامم الراقية ، وكان إبطالها حدثاً من أحداث الاسلام غرب به وجه من وجوه الحياة الجاهلية ، وانتهى به اسلوب من أساليب نظامها الاجتماعي الموروث ، إذكانوا يختارون من يرون من أبناءِ غيرهم ثم ينسبونهم إلى أنفسهم نسبة الابناءِ إلى آبائهم ، وكان هؤلاءِ المتبنّون في حكم أبنائهم من أصلابهم ، ويضافون إليهم إضافة ابوة ، و يرثونهم إرث الابن لابيه ، ويحرّمون التزوج من نساءِ هؤلاءِ الابناءِ تحريماً مطلقاً .

وقد جاء الاسلام بابطال التبني وماكان يترتب عليه من الاحكام بقوله تعالى: « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ـ فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم ـ وماكان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ـ ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله و خاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً » الاحزاب : ٤و٥ و٣٦ ـ ٤٠)

ومن الحكمة الالهية أن كان للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ابن بالتبني وهو زيد إبن حارثة ، وذلك ليكون في إبطال هذا التبني مثل يراه المؤمنون في النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين يبطل نسبة زيد إليه ، فلايكون لمؤمن بعد هذا متعلق بنسبة من كان منتسباً إليه من أبناءِ من غير صلبه ، وبهذا ينحسم الامر في غير مهل أو تردد .

إذكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أول من نفّذ هذا الحكم السماوي ، و أول من ألغى التبني الذي كان قائماً بينه وبين زيد بن حارثة الذي كان يدعى زيد بن

محمد ، ويدعوه المسلمون زيد حبّ رسول الله ، ولو كان فيهذا الحكم إستثناء لكان النبي ﷺ أولى الناس به ، اذلم يكن له ولد ذكر، و لكان هذا الاستثناء من خصوصيات النبي الكريم ﷺ فيما كانت له ﷺ من خصوصيات ، ولكن الحكم كان واجباً على كل مسلم من غير إستثناء ، وبقيت مسئلة تحريم الزواج من نساء المتبنين التي كان يلزم بها الجاهليون أنفسهم تمكينا لهذا النسب بينهم وبين أدعيائهم ، و جعله على قدم المساواة في كل شيء مع أبناء الاصلاب ، وكان لابد للقضاء على تلك العادة الجاهلية من مثل عملي يراه المسلمون في رسول الله ﷺ فيقتدون به ، ولايقع في صدورهم حرج من الخروج على هذا الالف القديم .

ومن الحكمة الالهية فيذلك أن كان زيد بن حارثة ـ متبنى النبي ﷺ نفسه ـ متزوجاً من زينب بنت جحش الأسدية إبنة عمة رسول الله ﷺ لزيد و زوجها إياه ، ولم تستطع زينب ولا أهلها مراجعة رسول الله في هذا الزواج الذي كانت تراه زينب ويراه أهلها معها غبناً لها ، إذكانت ترى و يرى أهلها معها أنها أشرف من زيد بيتاً ، و أكرم منه نسباً ، و قدتمّ الزواج و دخل زيد بزوجه ، ولكن لم يقع التوافق بينهما إذكانت زينب تعيش مع زوجها بهذا الشعور المتعالي، و كان زوجها ـ حين يجد منها هذا الشعور ـ يلقاها بما يحفظ عليه مرؤته وأنفته كعربي وبما يعطيه القوامة عليها كرجل ، و كمسلم..معاً..

ومن غير ريب ان هذا الزواج الذي لم يقم على التوافق من أول الامر ، إنما هو تدبير من الحكيم العليم ،وقد اصطنعه النبي ﷺ بأمر من الله جل وعلا لحكمة ستكشف عنها الايام فيما بعد . . وكان لابد أن يمضي الامر الالهي في حلّ الزواج من أزواج المتبنّين بعد إنتهاء الزوجية بأمر أو بآخر . . وكان لابد أيضاً أن يكون رسول الله ﷺ نفسه في هذا هو القدوة و الاسوة حتى يأخذ المسلمون بعمله ، ولا يتحرجون من أمره ، وبهذا يقضي على عادة التبني وما اتصل بها في فورية وحسم... وذلك لايتم على تلك الصورة إلاّ إذا كان للنبي ﷺ متبنّى . . وقدكان ، وأن

يكون هذا الابن المتبنى متزوجاً ، وقدكان هذا أيضاً .

ثم يبقى بعد ذلك أن يطلق هذا الابن زوجه ، حتى تحل للنبى ﷺ بعد إنقضاء عدتها ، وقد كان ذلك أيضاً ، فطلق زيد زوجه ، فلما إنقضت عدتها تزوجها النبى ﷺ .

ولا يقف القارى الخبير المنصف من هذا الزواج أكثر من أنه أمر أمر الله تعالى نبيه ﷺ به وألزمه إياه لابطال التقاليد الجاهلية فى التبنى ، فالله تعالى هو الذى زوّج النبى ﷺ من مطلقة متبنيه إذقال : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا كها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً »الاحزاب : ٣٧) فهذه هى حكمة هذا الزواج . .

وما ينبغى لنا أن نقف عنده ، ونطيل النظر إليه : هو طلاق زينب من زوجها ، أو تطليق زيد لزوجه ، أكان هذا الطلاق بأمر سماوى تلقاه رسول الله ﷺ من ربه ، ثم آذن به زيداً ، فأطاع فيه أمر ربه فطلّق زوجه ؟ أكان هذا من شريعة قامت على العدل والاحسان ، وعلى رفع الحرج عن الناس ؟ ولو كان ذلك من أمر سماوى لكان فيه إعنات بل جور على حق إنسان لم يأت أمراً يقضى بهذا الحكم عليه ، فضلاً عما فى ذلك من قطع علاقة مقدسة بين المرء وزوجه ، وقد كان الاسلام أحرص ما يكون على توثيق الرباط القائم بين الزوجين ، وعلى إلتماس كل الوسائل الممكنة فى الناس للحفاظ عليه ، وحياطته من دواعى الوهن والانحلال ! ! ثم كيف يكون من حكم شريعة الاسلام أن تجعل أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق ثم تعود فتأمر به وتحمل الناس عليه حملاً ؟

أكان هذا الطلاق عن رغبة من النبى المعصوم ﷺ وعن إرادة له ﷺ فى الزواج من زوج متبنيه زيد بعد أن رآها فى حال من أحوالها ، فوضعت من نفسه كما يتخرّص بذلك المتخرصون من أهل الضلال والنفاق ، ومن أهل العدواة والكيد للاسلام ورسوله ﷺ والمسلمين ؟

وكما تمضي هذه الفرية ، فتقول : ان زيداً حين شعر بمالزينب فـي نفس رسول الله ﷺ اصطنع هذه المخاصمة بينه وبين زوجه كي يطلقها إرضاءاً للنبي ﷺ ومسارعة إلى ايثاره بأحب شيء في يده ! !

وقد غفل كثير من المفسرين عن تلك المفتـريات والأراجيف والكيد والخداع فانخدعوا لها فتأولوا الايات الكريمة إلى ما ، الله تعالى ورسوله ﷺ بريء منه .

وقد تمّ الزواج بين زيد وزوجه بعمل النبي ﷺ بأمر من الله تعالى وهو زواج قام من أول الامر على غير توافق أو تكافؤ ولكن لحكمة يعلم الله تعالى ورسوله ﷺ فجرى هذا الزواج في ظاهره وعلى مستوى النظر البشرى كما يجرى عليه كثير من الازواج التي تعرض لها عوارض الشقاق والخلاف ثم الطلاق ، وذلك بعد أن تمّ الزواج ، وعاش الزوجان كل منهما الآخر . . . أما قبل الزواج ، فلم يكن أحد يدرى ما سيقع من شقاق وخلاف ثم طلاق إلاّ رسول الله ﷺ ممـا أنبأه الله تعالى به لأمر أراده الله جل وعلا ولم يقع بعد .

فلما تمّ زواج زيد وزينب وعاشر كل منهما صاحبه ، وظهرت أعراض الشقاق والخلاف بينهما ، وشقي كل منهما بصاحبه ، كان رسول الله ﷺ يدعوهما إلـى إصلاح ما فسد من أمرهما ، متجاهلاً الحكم المقضيّ به في أمر هذا الزواج ، وهو الفراق الذى لابد منه ، وغير ملتفت إلى القدر المقدور على هذا الزواج كما علم من ربه ! !

ان النبي ﷺ إنما يعمل هنا على مستوى الحياة البشـرية ، ويعالج أمـراً بين شخصين لم ينكشف لهما من حجب الغيب ما انكشف له منه ، وكان من مقتضى هذا أن يدعو كلاً من الزوجين إلـى المياسرة والمحاسنة . . . أمـا ما يؤول إليه أمرهما بعد هذا فأمره الى الله تعالى : « وكان أمر الله مفعولاً » .

﴿ غزوة الخندق و أيام الاحزاب ﴾

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذجاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها و كان الله بما تعملون بصيراً ـ إلى قوله ـ وأورثكم أرضهم و ديارهم و أموالهم و أرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً » الاحزاب : ٩ ـ ٢٧) .

إعلم أن الايات الكريمة ـ تسع عشرة آية ـ تحتوي وصف مشهد زحف من أعداء النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين على المدينة ، و قد أجمعت روايات التفسير والسيرة على أنه وقعة الخندق أو الاحزاب ، وسميت بوقعة الخندق لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين قرّروا حفرخندق لمنع الاحزاب العادية من إقتحام المدينة ، وسميت بوقعة الاحزاب لأن الايات سمت الزاحفين الغزاة بالاحزاب ، و هي غزوة مشهورة نصرالله تعالى فيها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المؤمنين على جماهير من أعدائه تحزّبوا عليه صلى الله عليه وآله وسلم و عليهم . و لم تكن غزوة من غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعظم خطراً على الاسلام والمسلمين من غزوة الخندق ، لان الكفار اجتمعوا من قبائل كثيرة مختلفة بعدة كثيرين . . . ولكن لم تنته غزوة من الغزوات أسهل من هذه الغزوة إذ مزّقهم الله تعالى كل ممزّق بجنوده من الرياح والملائكة و كفى الله المؤمنين القتال .

و نحن نشير إلى إجمال ما جاء في السير من التفاصيل ، ثم نذكر بعض ما جاء فيها منها . فاعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزا بني النضير ، و هم طائفة من

اليهود العنيد كانوا يجارون المدينة ، و سبب غزوته لهم إنهم نكثوا أيمانهم و همّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيلة ، فقصدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطائفة من أصحابه و أجلاهم عن بلادهم ، فنزل زعماؤهم بخيبر ، و بعضهم الاخرون بأذرعات من الشام ، و لم يقرّ لبني النضير قرار بعد جلائهم عن بلادهم ، بل كانت تنازعهم أنفسهم إلى مناجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاخذ بثار أنفسهم ، إلى أن ذهب جمهور من أكابرهم إلى مكة في شوال سنة خمس من الهجرة فحرّضوا زعماء قريش على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة ، و إستئصال شأفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين قبل أن يتفاقم خطره صلى الله عليه وآله وسلم و قالوا لهم :

ان دينكم خير من دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووعدوهم بمظاهرة من بقي في المدينة من اليهود و أذنابهم لهم ، و التحالف معهم إذا زحفوا على المدينة ، فأجابت قريش طلبهم ، و تعاهدوا معهم ، فذهبوا إلى الكعبة ، و أقسموا على الثبات على المحالفة عند الاصنام التي كانت في فنائها ، و ان زعماء قريش استحلفوهم أن يقولوا: انهم هم الاهدى أم محمد فقالوا لهم: هم الاهدى أشار تعالى إليه بقوله : « ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت و يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » النساء : ٥١) .

ثم ذهب الوفد إلى قبائل غطفان و قيس و غيلان ، و أخبروهم بأن قريشاً تتأهب للحرب ، فطلبوا إليهم أن يحتذوا حذوهم ، و حرّضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة فأجابوا ملتمسهم و تحالفوا معهم ، و أتمّت تلك الاحلاف وتجهّزت هؤلاء الاحزاب زحفوا على المدينة ونزلوا على أطرافها ، وكان عددهم أكثر من عشرة آلاف . . . تجهزت قريش ، و جمعت قضّها و قضيضها تحت رئاسة أبي سفيان بن حرب و كان عددهم أربعة آلاف مقاتل ، صاحب رايتهم عثمان بن طلحة العبدري ، و تجهّزت غطفان بقيادة عينية بن حصن ، وكان معه ألف فارس، و تجهّزت بنومرة تحت رئاسة الحارث بن عوف المري و هم أربعة آلاف ، و

تجهّزت بنو أشجع بقيادة أبى مسعود بن رخيلة ، وتجهّزت بنوسليم تحت رئاسة سفيان بن عبدالله شمس ، و هم سبعمأة ، و تجهّزت بنو أسد بقيادة طليحة بن خويلد الاسدى ، و كان اولئك الاحـزاب والمقاتلون تحت قيادة أبى سفيان بن حرب قائد قريش .

و سعى زعماء بنى النضير حتى جعلوا يهود بنى قريظـة الموجودين فى المدينة ينقضون عهـدهم مع المسلمين ، و قـد أرسل رسول الله ﷺ زعيمى الاوس والخزرج ليستطلعا خبرهم ، فوجدوهم على أخبث حال حيث انكروا ما بينهم و بين النبى ﷺ والانصار من عهـود و أسفروا عن عدائهم و لؤمهم ، و جرؤالمنافقون فأخذوا يثبطون‌هم إخوانهم ويثيرون فيهم الفزع ويسيئون أدبهم نحوالله تعالى و رسوله ﷺ وقد أدّى كل هذا إلى إضطراب المسلمين الذين وجدوا أنفسهم بين نارين من الاعداء من قدامهم و من خلفهـم ، و مخامرة من المنافقين بين صفوفهم . . .

و لما بلغ رسول الله ﷺ أمر هذه الجموع الكثيفة ، واولئك الاحزاب الباغية و مسيرهم ، جمع أصحابه و إستشارهم فى وجوه الدفاع عنهم ، وفى أيهما أفضل : الخروج إليهم ؟ أم إنتظارهم فى المدينة ؟ فأشار عليه سلمان الفارسى أن يحفر خندقاً حول المدينة ، و هو أمر لم يعهده العرب لذلك العهد ، فاستحسن رسول الله ﷺ هذا الرأى ، فامر أصحابه بحفر الخندق فى الجهة الشمالية من المدينة ما بين الحرة الشرقية إلى الحرة الغربية ، و هى التى يسهل على جيش المشركين غشيان المدينة منها ، وأما باقى جهاتها فكانت محاطة بالنخيل والبيوت و يصعب على المحارب بين الكرّ والفرّ فيها .

فأخذ المسلمون بحفر الخندق من ناحية مكة ، ويعسكرون حوله للدفاع ، و يرفعون النساء والاولاد إلى الهضاب والجبال ، وعانوا فى عملهم مشاق كبيرة ، و كان رسول الله ﷺ يعمل فى مقدمتهم يرفع معهم التراب على عاتقه ، وكان

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرتجز بكلمات إبن رواحة :

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا و لا تصدقنا و لا صلّينا
فانزلن سكينة علينا و ثبت الاقدام أن لا قينا
والمشركون قد بغوا علينا و إن أرادوا فتنة أبينا

وكانت تعبئة جيش الصحابة تنحصر في أنهم أقاموا جنودهم في الجهة الشرقية مسندين ظهورهم إلى جبل سلع ، و هو مطل على المدينة ، وكانت عدتهم ثلاثة آلاف مقاتل ، و كان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة و لواء الانصار مع سعد بن عبادة ، وقد حال الخندق كما كان مقدراً دون إشتباك المسلمين مع الاحزاب في معركة و زحف عام ، و لم يقع بينهم إلاّ حوادث قتال و براز فردية وتراش بالنبال ، و لم يصب من الطرفين إلاّ قليل .

أماجيش قريش فكان معسكراً في مجمع الأسيال ، وأماجنود بني غطفان ، فنزلت جهة جبل أحد ، و ظلّ الاحزاب العادية يحاصرون المدينة نحو عشرين يوماً ، و لما أشرف المشركون على الخندق و رأوه حائلاً بينهم و بينها تعجّبوا من صنعه لانهم ما كانوا يعرفونه و وقفوا دونه ، فقالوا : والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها و وقعت مصادمات بين القوم كرّاً وفراً فأخذوا يرمون المسلمين بالسهام والحجارة ، فلما طال مقامهم على غير جدوى حملت الشجاعة بعضهم إلى إقتحامه ، فاقتحمه عكرمة بن أبي جهل و عمرو بن عبدود وجماعة آخرون من أهل الجرأة والاقدام . . . فبرز علي بن أبيطالب عليه السلام لعمرو بن عبدود فقتله ، و هرب من كان معه ، و هوى في الخندق نوفل بن عبدالله فاندقت عنقه ، وإضطر المسلمون لحراسة الخندق ليلاً ونهاراً و أظهر المنافقون الخور حتى قالوا كما حكاه الله تعالى عنهم : « ما وعدنا الله و رسوله إلاّ غروراً » .

و نقصوا على أعقابهم بحجة أن بيوتهم عورة و هم يخشون أن يقتحمها المشركون عليهم قال تعالى : « و ما هي بعورة إن يريدون إلاّ فراراً » و لما

طال أمد الحصار و تضايق من فى المدينة إنتهز المنافقون هذه الفرصة ، فقالوا ما سوّلته لهم أنفسهم ، و مما زاد الطين بلة أن حيى بن أخطب سيد بنى النضير و هم اليهود الذين أجلاهم رسول الله ﷺ عن بلادهم توجه إلى أسد القرظى سيد بنى قريظة ، و هم من اليهود أيضاً ، فحسن له أن ينقض العهد الذى أعطاه لرسول الله ﷺ فأطاعه كعب بن أسد و بلغ الخبر رسول الله ﷺ فأرسل مسلمة بن أسلم و زيد بن حارثة فى ثلاثمأة لحراسة المدينة ، و أرسل الزبير بن العوام يستجلى له الخبر، فذهب و عاد مخبراً بأنهم ينوون الشر، فزلزل المسلمون زلزالاً شديداً لتفاقم الخطوب و تزايد عديد الاعداء . . .

فأراد رسول الله ﷺ أن يصالح عيينة بن حصن قائد غطفان على ثلث ثمار المدينة جزاء أن ينسحب مع قومه ، فأبى الانصار ذلك قائلين: انهم لم يكونوا ينالون منا قليلاً من ثمرنا ، و نحن كفار أفبعد الاسلام يشاركوننا فيها .

بينما المسلمون فى هذا الامر المريج إذ أقبل على رسول الله ﷺ نعيم بن مسعود بن عامر الاشجعى من غطفان ، وكان هو مؤمناً يكتم ايمانه عن قومه، و كان صديقاً لقريش واليهود و بنى غطفان ، فقال : يا رسول الله انى قد أسلمت و قومى لا يعلمون ، و سئله ﷺ عما يجب عليه أن يفعله لصالح المسلمين فقال : إنما أنت فينا رجل واحد ، و ما ذا عسى أن تفعل ولكن أخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة ، فأمره النبى ﷺ بالتخذيل والتثبيط فى صفوف الاعداء . . .

فخرج نعيم بن مسعود من عند النبى ﷺ ، و قصد بنى قريظة ، فلما رأوه أكرموه و التفّوا حوله فقال لهم : يا بنى قريظة انعم تعرفون و دّى لكم ، و خوفى عليكم ، و انى محدثكم حديثاً فاكتموه عنى ؟ قالوا : نعم ، فقال : لقد رأيتم ما وقع لبنى قينقاع والنضير من إجلائهم و أخذ أموالهم ، و إنّ قريشاً و غطفان ليسوا مثلكم ، فهم إذا رأوا فرصة انتهزوها ، و إلاّ انصرفوا لبلادهم ، و

أما أنتم فتسا كنون الرجل- يريد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - ولاطاعة لكم بحربه وحدكم، فأرى أن لاتدخلوا في هذه الحرب ، ولا تحاربوا مع قريش و غطفان على محمد حتى تستيقنوا منهم و تأخذوا منهم رهناً سبعين من أشرافهم يكونون بأيديكم تقية لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم و أن لا يتركوكم و لا يذهبوا إلى بلادهم ، لانهم رجعوا و سئموا حربه ، و انكم وحدكم لا تقدرون عليه . فاستحسن بنو قريظة إقتراحه و عدّوه نصيحة لهم و أجابوه إلى ذلك .

ثم ذهب إلى قريش و قابل قادتهم و قال لهم : أنتم تعرفون ودّى ومحبتى إياكم وانى محدثكم حديثاً فاكتموه عنى؟ قالوا : نعم ، فقال لهم : ان بنى قريظة يريدون أن يأخذوا منكم رهناً يدفعونها لمحمد ، فيضرب أعناقهم و يتحدون معه على قتالكم لانهم ندموا على مافعلوا من نقض العهد وتابوا، وهذا هو المخرج الذى اتفقوا عليه فقالت له قريش : أيرضيك أن نأخذ نحن جمعاً من أشرافهم و نعطيهم لك و تردّ جناحنا الذى كسرت (يريد بنى النضير) فرضى بذلك منهم ، وهاهم مرسلون إليكم فاحذروهم و لا تذكروا مما قلت لكم حرفاً .

ثم أتى نعيم بن مسعود بنى غطفان ، و قال لهم : مثل ما ذكر لقريش ، فأرسل أبوسفيان وفداً لبنى قريظة يدعوهم للقتال غداً ، فأجابوا انا لانستطيع أن نقاتل فى السبت و لم يصبنا ما أصابنا إلاّ من إعتدائنا فيه ، و مع ذلك فلانقاتل معكم حتى تعطونا رهائن منكم كيلا تتركونا و تذهبوا إلى بلادكم ، فتحققت قريش و غطفان من صدق نعيم بن مسعود ، فكان هو يسعى بين اليهود والاحزاب الطاغية حتى أوجد شكوكاً فى كل من الطرفين نحو الاخر ، فتفرقت القلوب ، فخشى بعضهم غائلة بعض ، فثارت زوبعة شديدة أزعجت إزعاجاً شديداً ، فاشتدّ فيهم السأم والفتور فحينئذ تخاذل اليهود والعرب و دبّ بينهم دبيب الفشل ، و ألقى الله تعالى فى قلوبهم الرعب فلم يلبث أبوسفيان أن قرّر الارتحال فتابعوه

و ارتحلوا ، ومما زاد فشلهم أن بعث الله تعالى عليهم ريحاً فى ليلة شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفىء قدورهم و تطرح آنيتهم ، فخاف المشركون أن يتحد اليهود مع المشركين ، و يداهموهم فى تلك الليلة الليلاء فعزموا لرحيل قبل أن يصبحوا ، وهكذا ردّهم الله تعالى بغيظهم لم ينالوا خيراً و كفى الله المؤمنين القتال.



﴿ تحقيق في قصة أيام الاحزاب ﴾

وقد وردت قصة أيام الاحزاب عن الطريقين في تفسير القمي والمجمع و أعلام الورى وإرشاد المفيد ، وفي صحيح البخاري ومستدرك الحاكم والسيرة النبوية لابن هشام والامتاع للمقريزي و غيرها من الكتب التفسرية والتاريخية والسير بطرق مختلفة على طريقي الاجمال والتفصيل ولابد للمحقق الخبير من التحفظ والتأمل لمافيها من النكات واللطائف ، ومن الحكم والمعارف . . .فنشير إلى ما يسعه المقام ، ونحن على جناح الاختصار :

ففي تفسير القمي : في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذجاءتكم جنود . . . » الاية . قال : فانها نزلت في قصة الاحزاب من قريش والعرب الذين تحزّبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : وذلك ان قريشاً قد تجمّعت في سنة خمس من الهجرة ، وساروا في العرب وجلبوا و استنفروهم (و استفزّوهم خ) لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوا فوا في عشرة آلاف ، ومعهم كنانة وسليم وفزارة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أجلا بني النضير وهم بطن من اليهود من المدينة ، وكان رئيسهم حييّ بن أخطب ،وهم يهود من بني هارون عليه السلام فلما أجلاهم من المدينة صاروا إلى خيبر وخرج حييّ بن أخطب وهمّ إلى قريش بمكة، وقال لهم : إن محمداًقد وتركم ووترنا وأجلانا من المدينة من ديارناوأموالنا، وأجلابني عمّنا بني قينقاع .

فسيروا في الارض وأجمعوا حلفاءكم وغيرهم حتى نسير إليهم ، فانه قدبقي

من قومي بيثرب سبعمأة مقاتل وهم بنوقريظة ، وبينهم وبين محمد عهد وميثاق، وأنا أحملهم على نقض العهد بينهم وبين محمد ، ويكونون معنا عليهم فتأتونه أنتم من فوق وهم من أسفل ، وكان موضع بني قريظة من المدينة على قدر ميلين وهو الموضع الذي يسمّى ببئر بني المطلب ، فلم يزل يسير معهم حييّ بن أخطب في قبائل العرب حتى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش وكنانة والاقرع بن حابس في قومه ، وعباس بن مرداس في بني سليم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و إستشار أصحابه وكانوا سبعمأة رجل ، فقال سلمان :

يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان القليل لايقاوم الكثير في المطاولة قال : فما نصنع ؟ قال : نحفر خندقاً يكون بيننا (بينك خ) وبينهم حجاباً فيمكنك معهم في المطاولة، ولايمكنهم أن يأتونا من كل وجه ، فانا كنا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهمهم (دهماء خ) من عدوّنا نحفر الخنادق فيكون الحرب من مواضع معروفة،فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أشار بصواب ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمسحة (بحفرة خ) من ناحية أحد إلى راتج ، وجعل على كل عشرين خطوة و ثلاثين خطوة قوم (قوماً خ) من المهاجرين والانصار يحفرونه ، فأمر فحملت المساحي والمعادل ، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين بنفسه ، وأمير المؤمنين عليه السلام ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعيّ (عيي خ) وقال : «لاعيش إلاّ عيش الاخرة أللهم اغفر للانصار والمهاجرين » .

فلما نظر الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحفر اجتهدوا في الحفر ونقلوا التراب، فلما كان في اليوم الثاني بكروا إلى الحفر، وقعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسجد الفتح ، فبينا المهاجرون والانصار يحفرون إذ عرض لهم جبل لم تعمل المعاول فيه،فبعثوا جابر بن عبدالله الانصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمه ذلك ، قال جابر: فجئت إلى المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستلقي على قفاه ، و رداؤه تحت رأسه ، وقد شدّ على بطنه حجراً ، فقلت : يا رسول الله انه قد عرض لنا جبل لاتعمل (لم تعمل خ)

المعاول فيه ، فقام مسرعاً حتى جاءه ثم دعا بمآءٍ في إناءٍ وغسل وجهه و ذراعيه و مسح على رأسه ورجليه ، ثم شرب و مجّ ذلك الماء في فيه ثم صبّه على ذلك الحجر، ثم أخذ معولاً فضرب ضربة ، فبرقت برقة ، فنظرنا فيها إلى قصور الشام، ثم ضرب اخرى ، فبرقت برقة فنظرنا فيها إلى قصور المدائن ، ثم ضرب اخرى فبرقت برقة اخرى فنظرنا إلى قصور اليمن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما انه سيفتح الله عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرقة ثم انهال علينا الجبل كما ينهال الرمل .

فقال جابر: فعلمت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقوى أي جائع لما رأيت على بطنه الحجر فقلت : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل لك في الغداء (من الغداء خ) ؟ قال : ما عندك يا جابر؟ فقلت : عناق وصاع من شعير، فقال : تقدّم وأصلح ما عندك ، قال جابر: فجئت إلى أهلي ، فأمرتها فطحنت الشعير وذبحت العنز وسلختها ،وأمرتها أن تخبز وتطبخ وتشوّي فلما فرغت من ذلك جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : بأبي وامي أنت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدفرغنا فاحضر مع من أحببت، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى شفير الخندق ثم قال : يا معاشر المهاجرين والانصار أجيبوا جابراً ، وكان في الخندق سبعمأة رجل ، فخرجوا كلهم ثم لم يمرّ بأحد من المهاجرين والانصار إلاّ قال : أجيبوا جابراً ، قال جابر:فتقدمت وقلت لأهلي : قدوالله أتاك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمالاقبل لك به ، فقالت : أعلمته أنت ماعندنا (بما عندنا خ) ؟ قال : نعم .

قالت : هوأعلم بماأتى قال جابر: فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر في القدر ثم قال : اغرفي وأبقي ، ثم نظر في التنور، ثم قال : أخرجي وأبقي ، ثم دعا بصحفة فثرد فيها وغرف ، فقال : ياجابر أدخل عليّ عشرة ، فأدخلت عشرة ، فأكلوا حتى نهلوا وما يرى في القصعة إلاّ أثار أصابعهم، ثم قال : ياجابر عليّ بالذراع فأتيته بالذراع، فأكلوه ، ثم قال : أدخل عليّ عشرة فدخلوا فأكلوا حتى نهلوا (فادخلتهم حتى أكلوا ونهلوا خ) ومايرى في القصعة إلاّ أثار أصابعهم ، ثم قال : يا جابر عليّ

بالذراع فأتيته فأكلوا وخرجوا ، ثم قال : أدخل عليّ عشرة فأدخلتهم فأكلوا حتى نهلوا ومايرى (ولم يرخ) في القصعة إلاّ أثارأصابعهم ثم قال :

يا جابرعليّ بالذراع فأتيته بالذراع ، فقلت : يا رسول الله كم للشاة من ذراع ؟ قال : ذراعان ، فقلت : والذى بعثك بالحق نبياً لقد أتيتك بثلاثة، فقال : أمالوسكت ياجابر لأكلوا (لأكل الناس خ) كلهم من الذراع ، قال جابر :فاقبلت ادخل (ادخلت خ) عشرةعشرة ، فيأكلون حتى أكلوا كلهم : وبقى والله لنامن ذلك الطعام ماعشنابه أياماً. قال : وحفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندق وجعل له ثمانية أبواب ، وجعل على كل باب رجلاً من المهاجرين و رجلاً من الانصار مع جماعة يحفظونه ، وقدمت قريش و كنانة وسليم وهلال ، فنزلوا الزغابة ، ففرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيام ، وأقبلت قريش ، ومعهم حييّ بن أخطب ، فلما نزلوا العقيق جاء حييّ بن أخطب إلى بني قريظة في جوف الليل وكانوا في حصنهم ، قد تمسّكوا بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدقّ باب الحصن ، فسمع كعب بن أسد الباب قرع فقال لأهله :

هذا أخوك قدم شأم قومه ، وجاء الآن يشأمنا ويهلكنا ويأمرنا بنقض العهد بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقدوفى لنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأحسن جوارنا ، فنزل إليه من غرفته ، فقال له : من أنت ؟ قال : حييّ بن أخطب قد جئتك بعزّ الدهر، فقال كعب : بل جئتني بذلّ الدهر، فقال : يا كعب هذه قريش في قادتها و سادتها قد نزلت بالعقيق مع حلفائهم و كنانة، وهذه فزارة مع قادتها وسادتها قد نزلت الزغابة وهذه سليم وغيرهم قد نزلوا حصن بني ذبيان ، ولايفلت محمد وأصحابه من هذا الجمع أبداً ، فافتح الباب ، وانقض العهد بينك وبين محمد ، فقال كعب : لست بفاتح لك الباب ، ارجع من حيث جئت ، فقال حييّ : مايمنعك من فتح الباب إلاّ جشيشتك (خشيشتك خ) التي في التنور تخاف أن اشركك (اشاركك خ) فيها فافتح فانك آمن من ذلك ، فقال له كعب : لعنك الله لقد دخلت عليّ من باب دقيق

ثم قال : افتحوا له الباب ، ففتحوا له الباب ، فقال : ويلك يا كعب انقض العهد بينك وبين محمد ، ولاترد رأيي فان محمداً لايفلت من هذا الجمع أبداً ، فان فاتك هذا الوقت لاتدرك (لم تدرك خ) مثله أبداً قال :

واجتمع كل من كان في الحصن من رؤساء اليهود مثل غزال بن شمول (غزال بن سمول خ) وياسر بن قيس (وبناشر بن قيس خ) و(نباش بن قيس خ) ورفاعة بن زيد (عقبة بن زيد خ) والزبير بن باطا (الزهير بن ناطاخ) فقال لهم كعب : ماترون ؟ قالوا : أنت سيّدنا والمطاع فينا وصاحب عهدنا و عقدنا ، فان نقضت نقضنا معك ، وإن أقمت أقمنا معك ، وإن خرجت خرجنا معك ، قال الزبير بن باطا (الزهير بن ناطاخ) وكان شيخاً كبيراً مجرّباً قد ذهب بصره ، قد قرأت التوراة التي أنزلها الله في سفرنا بانه : « يبعث نبياً (نبي خ) في آخر الزمان يكون مخرجه بمكة ومهاجرته في هذه البحيرة ، يركب الحمار العريّ و يلبس الشملة ويجتزىء بالكسيرات (بالكسر خ) والتميرات وهو الضحوك القتّال في عينيه الحمرة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، يضع سيفه على عاتقه ، لايبالي من لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر » .

فان كان هذا هو فلايهولنّه هؤلاء وجمعهم، ولو ناوى على هذه الجبال الرواسي لغلبها ، فقال حييّ : ليس هذا ذاك ، ذلك النبي من بني اسرائيل ، وهذا من العرب من ولد اسمعيل ، ولايكونوا بني إسرائيل (ولايكون بنوإسرائيل خ) أتباعاً لولد اسمعيل أبداً لان الله قد فضّلهم على الناس جميعاً ، وجعل فيهم النبوة والملك ، و قد عهد إلينا موسى أن نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، و ليس مع محمد آية ، وإنما جمعهم جمعاً وسحرهم ويريد أن يغلبهم بذلك ، فلم يزل يقلّبهم عن رأيهم حتى أجابوه فقال لهم : أخرجوا الكتاب الذي بينكم وبين محمد فأخرجوه فأخذه حييّ بن أخطب ومزقه ، و قال : قد وقع الامر فتجهّزوا وتهيّأوا للقتال .

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك فغمّه غماً شديداً، وفزع أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسعد بن معاذ واسيد بن حصين (حضير خ) وكانا من الاوس، وكانت بنو قريظة حلفاء الاوس: أئتيا بني قريظة فانظرا ماصنعوا، فان كانوا نقضوا العهد، فلا تعلما أحداً إذا رجعتما إليّ وقولا: عضل والقارة فجاء سعد بن معاذ واسيد بن حصين (حضير خ) إلى باب الحصن، فأشرف عليهما كعب بن الحصن فشتم سعداً وشتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له سعد: إنما أنت ثعلب في جحر، لتولينّ قريش وليحاصرنك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولينزلنك (ثم لينزلنك خ) على الصغر والقمأ. وليضربنّ عنقك ثم رجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالا له: عضل والقارة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعنا نحن أمرناهم بذلك» وذلك انه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيون لقريش يتجسّسون خبره، وكانت عضل والقارة قبيلتان من العرب دخلا في الاسلام ثم غدرا، وكان إذا غدر أحد ضرب بهما المثل، فيقال: عضل والقارة.

ورجع حييّ بن أخطب إلى أبي سفيان وقريش فأخبرهم بنقض بني قريظة العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففرحت قريش بذلك، فلما كان في جوف الليل جاء نعيم بن مسعود الاشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، فقال: يارسول الله قد آمنت بالله وصدّقتك وكتمت ايماني عن الكفرة فان أمرتني أن آتيك بنفسي وأنصرك بنفسي فعلت، وإن أمرك أن اخذّل بين اليهود وبين قريش، فعلت حتى لايخرجوا من حصنهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اخذل بين اليهود وبين قريش، فانه أوقع عندي قال: فتأذن لي أن أقول فيك: ما اريد؟ قال: قل مابدالك، فجاء إلى أبي سفيان فقال له: تعرف مودتي لكم ونصحي ومحبتي ان ينصركم الله على عدوّكم، وقد بلغني أن محمداً قد وافق اليهود أن يدخلوا بين عسكركم ويميلوا عليكم، ووعدهم إذا فعلوا ذلك أن يردّ عليهم جناحهم الذي قطعه بني النضير وقينقاع فلا أرى أن تدعوهم يدخلوا في عسكركم حتى تأخذوا منهم رهناً تبعثوا بهم إلى مكة فتأمنوا مكرهم وغدرهم

فقال له أبو سفيان :

وفّقك الله وأحسن جزاءك ، مثلك أهدى (من أهدى خ) النصائح ولم يعلم أبو سفيان باسلام نعيم ولا أحد من اليهود ثم جاء من فوره ذلك إلى بني قريظة فقال له : يا كعب تعلم مودتي لكم وقد بلغني ان أباسفيان قال : نخرج هؤلاء اليهود ، فنضعهم في نحر محمد ، فان ظفروا كان الذكر لنا دونهم ، و إن كانت علينا كانوا هؤلاء مقاديم الحرب ، فلا أرى لكم أن تدعوهم يدخلوا عسكركم حتى تأخذوا منهم عشرة من أشرافهم يكونون في حصنكم ، انهم إن لم يظفروا بمحمد لم يبرحوا حتى يردّوا عليكم عهدكم وعقدكم بين محمد وبينكم لانه إن ولّت قريش ولم يظفروا بمحمد غزاكم محمد فيقتلكم فقالوا : أحسنت وأبلغت في النصيحة لا نخرج من حصننا حتى نأخذ منهم رهناً يكونون في حصننا .

وأقبلت قريش فلما نظروا إلى الخندق قالوا : هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك فقيل لهم : هذا من تدبير الفارسي الذي معه ، فوافى عمرو بن عبدود وهبيرة بن وهب وضرار بن الخطاب إلى الخندق ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد صفّ أصحابه بين يديه ، فصاحوا بخيلهم حتى ظفروا الخندق إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصاروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قدّموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أيديهم ،وقال رجل من المهاجرين وهو فلان لرجل بجنبه من إخوانه: أما ترى هذا الشيطان عمرو ؟ لا والله ما يفلت من يديه أحد ، فهلمّوا ندفع إليه محمداً ليقتله ، ونلحق نحن بقومنا ، فأنزل الله على نبيه في ذلك الوقت : «قد يعلم الله المعوقين منكم۔ إلى۔ وكان ذلك على الله يسيراً » و ركز عمرو بن عبدود رمحه في الارض وأقبل يجول جولة و يرتجز و يقول :

و لقد بححت من النداء	بجمعكم هل من مبارز
و وقفت إذ جبن الشجاع	مواقف القرن المناجز
انى كذلك لم أزل	متسرّعاً نحو الهزاهز

ان الشجاعة في الفتى　　والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من لهذا الكلب ؟ فلم يجبه أحد ، فوثب (فقام خ) إليه صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أناله يا رسول الله ، فقال : ياعليّ هذا عمرو بن عبدود فارس يليل ، قال : أنا علي بن أبيطالب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أدن مني ، فدنا منه فعمّمه بيده ،ودفع إليه سيفه ذا الفقار ، وقال له : « اذهب وقاتل بهذا اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله و من فوقه و تحته » فمرّ أمير المؤمنين عليه السلام يهرول في مشيته وهو يقول :

لا تعجلنّ فقد أتاك　　مجيب صوتك غير عاجز

ذو نيّة و بصيرة　　والصدق منجي كل فائز

إني لأرجو أن اقيم　　عليك نائحة الجنايز

من ضربة نجلاء يبقى　　صوتها بعد الهزاهز

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبيطالب ابن عم رسول الله و ختنه فقال : والله إن أباك كان لي صديقاً ونديماً ، واني اكره أن اقتلك ما أمن ابن عمك حين بعثك إليّ أن اختطفك برمحي هذا فاتركك شائلاً بين السماء والارض لاحيّ ولاميّت ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : قدعلم إبن عمّي انك إن قتلتني دخلت الجنة وأنت في النار ، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة فقال عمرو : كلتاهما لك ياعليّ تلك إذاً قسمة ضيزى ، فقال عليّ : دع هذا ياعمرو اني سمعت منك وأنت متعلق بأستار الكعبة تقول : لايعرض عليّ أحد في الحرب ثلاث خصال : إلاّ أجبته إلى واحدة منها ، وأنا اعرض عليك ثلاث خصال ، فأجبني إلى واحدة قال : هات ياعليّ ، قال : تشهد أن لاإله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، قال: نحّ عني هذا ، قال :

فالثانية أن ترجع وتردّ هذا الجيش عن رسول الله ، فان يك صادقاً فأنتم أعلى به عيناً ، وإن لك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره ، فقال : إذاً تتحدّث (لا

تتحدّث خ) نساء قريش بذلك وينشد (ولاينشد خ) الشعراء في أشعارها اني جبنت ورجعت على عقبي من الحرب، وخذلت قوماً رأسوني عليهم فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : فالثالثة أن تنزل إليّ فانك راكب ، وأنا راجل حتى انا بذك فوثب عن فرسه وعرقبه ، وقال : هذه خصلة ماظننت ان أحداً من العرب يسومني عليها ،ثم بدأفضرب أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف على رأسه ، فاتقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالدرقة فقطعها ، وثبت السيف على رأسه ، فقال له عليّ : ياعمرو أما كفاك أني بارزتك وأنت فارس العرب حتى استعنت عليّ بظهير؟ فالتفت عمرو إلى خلفه فضربه أمير المؤمنين عليه السلام مسرعاً على ساقيه فأطنّهما (فقطعها خ) جميعاً ، وارتفعت بينهما عجاجة ، فقال المنافقون :

قتل عليّ بن أبيطالب،ثم إنكشفت العجاجة ونظروا فاذاً أمير المؤمنين عليه السلام على صدره قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه ، ثم أخذ رأسه وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو ، وسيفه يقطر منه الدم ، و هو يقول والرأس بيده :

أنا عليّ وابن عبدالمطلب　　　الموت خير للفتى من الهرب

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا عليّ ماكرته ؟ قال : نعم يارسول الله الحرب خديعة وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزبير إلى هبيرة فضربه على رأسه ضربة فلق هامته، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب . فلما برز إليه ضرار إنتزع له عمر سهماً فقال ضرار : ويلك يا بن صهّاك ارمي في مبارزة والله لئن رميتني لاتركت عدوياً بمكة إلاّ قتلته فانهزم عند ذلك عمر، ومرّ نحوه ضرار، وضرب بالقناة على رأسه ، ثم قال : احفظها يا عمر، فاني آليت أن لاأقتل قرشياً ما قدرت عليه ، فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولّي وولاّه .

فبقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحاربهم في الخندق خمسة عشر يوماً ، فقال أبوسفيان لحييّ بن أخطب : ويلك يا يهودي أين قومك ؟ فصار حييّ بن أخطب إليهم،فقال :

ويلكم اخرجوا فقدنابذتم محمداً الحرب (فقدنابذكم محمد الحرب خ)فلاأنتم مع محمد ولاأنتم مع قريش فقال كعب : لسنا خارجين حتى يعطينا قريش عشرة من أشرافهم رهناً يكونون في حصننا انهم إن لم يظفروا بمحمد لم يبرحوا حتى يردّ علينا محمد عهدناوعقدنا ، فانالانأمن أن تمرّ قريش ونبقى نحن في عقر دارنا ويغزونا محمد فيقتل رجالنا ويسبي نساؤنا وذرارينا ، وإن لم نخرج لعله يردّ علينا عهدنا ، فقال له حيىّ بن أخطب : تطمع في غير مطمع ، فقدنابذت محمداً الحرب ، فلا أنتم مع محمد ، ولاأنتم مع قريش ، فقال كعب : هذا من شؤمك ، إنما أنت طائر تطير مع قريش غداً وتتركنا في عقر دارنا ويغزونا محمد ، فقال له: لك عهدالله عليّ وعهد موسى عليه السلام انه إن لم تظفر قريش بمحمد أني أرجع معك إلى حصنك يصيبني مايصيبك فقال كعب :

هو الذى قدقلته لك إن أعطتنا قريش رهناً يكونون عندنا، وإلاّ لم نخرج، فرجع حيي بن أخطب إلى قريش فأخبرهم ، فلما قال يسئلون الرهن ، فقال أبو سفيان : هذا والله اوّل العذر ، قد صدق نعيم بن مسعود لاحاجة لنا في إخوان القردة (القرود خ) والخنازير فلما طال على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الامر وإشتدّ عليهم الحصار وكانوا في وقت برد شديد،وأصابتهم مجاعة ، وخافوا من اليهود خوفاً شديداً ، وتكلّم المنافقون بما حكى الله عنهم ، ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ نافق إلاّ القليل ، وقدكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أصحابه ان العرب تتحزّب عليّ ، ويجيؤنا من فوق ، تغدراليهود ونخافهم من أسفل ، و انه يصيبهم جهد شديد ، ولكن تكون العاقبة لي عليهم ، فلما جاءت قريش و غدرت اليهود قال المنافقون : « ماوعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً » .

وكان قوم منهم لهم دور في أطراف المدينة ، فقالوا : يا رسول الله تأذن لنا أن نرجع إلى دورنا، فانهافي أطراف المدينة وهي عورة ، ونخاف اليهود أن يغيروا عليها، وقال قوم : هلمّوا فنهرب ونصير في البادية ونستجير بالاعراب ، فان الذى

كان يعدنا محمد كان باطلاً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كله بالليل يحرسهم ، فان تحرّك أحد من قريش نابذهم ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يجوز الخندق ويصير إلى قرب قريش حيث يراهم ، فلايزال الليل كله قائم وحده يصلّي .

فاذا أصبح رجع إلى مركزه ، ومسجد أمير المؤمنين عليه السلام هناك معروف يأتيه من يعرفه ، فيصلّي فيه وهو من مسجد الفتح إلى العقيق أكثر من غلوة نشاب، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أصحابه الجزع لطول الحصار صعد إلى مسجد الفتح، وهو الجبل الذى عليه مسجد الفتح اليوم ، فدعا الله وناجاه فيما وعده وقال : « يا صريخ المكروبين ويا مجيب المضطرين و يا كاشف الكرب العظيم، أنت مولاى و وليّي و وليّ آبائي الاولين ، اكشف عنا غمّنا و همّنا و كربنا و اكشف عنا كرب هؤلاء القوم بقوّتك وحولك وقدرتك » فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال : يامحمد ان الله قد سمع مقالتك وأجاب دعوتك وامر الدبور مع الملائكة أن تهزم قريشاً والاحزاب ، وبعث الله على قريش الدبور فانهزموا وقلعت أخبيتهم ، و نزل جبرئيل ، فأخبره بذلك فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله حذيفة بن اليمان وكان قريباً منه فلم يجبه ثم ناداه ثانياً فلم يجبه ثم ناداه ثالثاً فقال :

لبيك يا رسول الله ، فقال أدعوك فلاتجيبني؟ قال : يارسول الله بأبي أنت و امي من الخوف والبرد والجوع ،فقال :ادخل في القوم وأتني بأخبارهم ، ولاتحدثنّ حدثاً حتى ترجع إليّ فان الله قدأخبرني انه قدأرسل الرياح على قريش وهزمهم، قال حذيفة : فمضيت وأنا أنتقض من البرد ، فوالله ماكان إلاّ بقدر ماجزت الخندق حتى كأني في حمّام فقصدت خباء عظيماً ، فاذانار تخبو وتوقد ، وإذاً خيمة فيها أبوسفيان قد دلاّ خصيتيه على النار وهو ينتفض من شدة البرد ويقول : يا معشر قريش ان كنا نقاتل أهل السماءِ بزعم محمد فلا طاقة لنا بأهل السماءِ، و إن كنا نقاتل أهل الارض ، فنقدر عليهم ، ثم قال : لينظر كل رجل منكم إلى جليسه لا

يكون لمحمد عين فيمابيننا ، قال حذيفة : فبادرت أنا فقلت للذى عن يمينى من أنت ؟ قال : أناعمرو بن العاص ، ثمقلت للذى عن يسارى :

من أنت ؟ قال : أنا معاوية ، و إنما بادرت إلى ذلك لئلاّ يسئلنى أحد من أنت ، ثم ركب أبوسفيان راحلته وهى معقولة ، ولو لا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لاتحدث حدثاً حتى ترجع إلىّ لقدرت أن أقتله ، ثم قال أبوسفيان لخالدبن الوليد: ياباسليمان لابد من أن اقيم أنا و أنت على ضعفاء الناس ، ثم قال : إرتحلوا انا مرتحلون ، ففرّوا منهزمين فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لاصحابه: لاتبرحوا ، فلما طلعت الشمس دخلوا المدينة ، و بقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى نفر يسير ، وكان إبن عرقة الكنانى رمى سعدبن معاذ رحمه الله بسهم فى الخندق ، فقطع أكحله ، فنزفه الدم فقبض سعد على أكحله بيده ثم قال: « اللهم إن كنت أبقيت من حرب (حزب خ) قريش شيئاً فأبقنى لها ، فلا أحد أحبّ إلى محاربتهم من قوم حاربوا (حادوا خ) الله و رسولـه ، و إن كانت الحرب قد وضعت أو زارها بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين قريش، فاجعلها لى شهادة ، ولاتمتنى حتى تقرّ عينى من بنى قريظة » .

فأمسك الدم و تورّمت يده ، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المسجد خيمة وكان يتعاهده بنفسه ، فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها و كان الله بما تعملون بصيراً إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم » بنى قريظة حين غدروا وخافوهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « و إذا زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر ـ إلى قوله ـ إن يريدون إلاّ فراراً » و هم الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تأذن لنا نرجع إلى منازلنا فانها فى أطراف المدينة ، و نخاف اليهود عليها ، فأنزل الله فيهم : « إن بيوتنا عورة وماهى بعورة إن يريدون إلاّ فراراً ـ إلى قوله ـ وكان ذلك على الله يسيراً » و نزلت هذه الاية فى الثانى لما قال لعبدالرحمن بن عوف: هلم ندفع محمداً إلى قريش، و نلحق نحن بقومنا « يحسبون الاحزاب لم يذهبوا »

إلى قوله « و ذكر الله كثيراً » ثم وصف الله المؤمنين المصدقين بما أخبرهم رسول الله ما يصيبهم في الخندق من الجهد، فقال: « و لما رأى المؤمنون الاحزاب ـ إلى قوله ـ و ما زادهم إلاّ ايماناً » يعنى ذلك البلاء والجهد والخوف إلاّ ايماناً و تسليماً .

أقول: و نحن نشير إلى مواضع جاءت في (الامتاع) للمقريزى لم تجىء فيما قدمناه من تفسير القمى :

منها : « و خرجت يهود إلى غطفان ، و جعلت لهم ثمر خيبر سنة ان هم نصروهم ، و تجهزت قريش و أتت يهود بنى سليم ، فوعدوهم السير معهم ، و لم يكن أحد أسرع إلى ذلك من عيينه بن حصن الفزارى ، و خرجت قريش و من تبعها من أحابيشها فى أربعة آلاف و عقدوا اللواء فى دار الندوة ، حمله عثمان بن طلحة بن أبى طلحة وقادوا معهم ثلاثمأة فرس وكان معهم ألف بعير وخمسمأة بعير، ولاقتهم سليم بمر الظهران فى سبعمأة يقودهم سفيان بن عبد شمس أبو الاعور السلمى الذى كان مع معاوية بن أبى سفيان بصفين ، و كان أبو سفيان بن حرب قائد قريش ، و خرجت بنو أسد و قائدها طليحة بن خويلد الاسدى ، و خرجت بنو فزارة فى ألف يقودهم عيينة بن حصن ، و خرجت أشجع فى أربعمأة يقودهم مسعود بن رخيلة ، و خرجت بنو مرة فى أربعمأة يقودهم الحارث بن عوف بن أبى حارثة .

و قيل : لم يحضر بنو مرة ، و كانوا جميعاً عشرة آلاف ، و أقبلت قريش فى أحابيشها ومن تبعها من بنى كنانة ، حتى نزلت وادى العقيق ، ونزلت غطفان بجانب أحد و معها ثلاثمأة فرس ، فسرحت قريش ركابها فى عضاه وادى العقيق ، و لم تجد لخيلها هناك شيئاً إلاّ ما حملت من علفها وهو الذرة ، وسرحت غطفان إبلها إلى الغابة فى اثلها و طرفائها ، و كان الناس قد حصدوا زرعهم قبل ذلك بشهر ، و ادخلوا حصادهم وأتبانهم ، وكادت خيل غطفان وإبلهما تهلك من الهزال،

و كانت المدينة إذ ذاك جديبة .

و منها : و كان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف ، و زعم إبن اسحق انه إنما كان فى سبعمأة و هذا غلط ، و قال إبن حزم : و خرج رسول الله ﷺ يعنى فى الخندق فى ثلاثة آلاف ...

و قد قيل : فى تسعمأة فقط وهوالصحيح الذى لا شك فيه ، والاول وهم .

و منها : وكان المشركون يتناوبون بينهم فيغدوا أبوسفيان بن حرب فى أصحابه يوماً ، و خالد بن الوليد يوماً ، و يغدو عمرو بن العاص يوماً ، و هبيرة بن أبى وهب يوماً ، و عكرمة بن أبى جهل يوماً ، و ضرار بن الخطاب الفهرى يوماً ، فلا يزالون يجيلون خيلهم و يتفرّقون مرة ، و يجتمعون مـرة اخرى ، ويناوشون المسلمين ويقدمون رماتهم فيرمون ، وإذاً أبوسفيان فى خيل يطيفون بمضيق من الخندق ، فرماهم المسلمون حتى رجعوا وكان عبادبن بشر الزم الناس لقبة رسول الله ﷺ يحرسها ، و كان أسيد بن حضير يحرس فى جماعة ، فاذاً عمرو إبن العاص فى نحوالمأة يريدون العبور من الخندق ، فرماهم حتى ولّوا ، و كان المسلمون يتناوبون الحراسة و كانوا فى قرّ شديد وجوع ، وكان عمرو بن العاص و خالدبن الوليد كثيراً ما يطلبان غرة و مضيقاً من الخندق يقتحمانه ، فكانت للمسلمين معهما وقائع فى تلك الليالى .

و منها : و بعثت بنوحارثة بأوس بن قيظى بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة الانصارى إلى رسول الله ﷺ يقولون : ان بيوتنا عورة و ليس دار من دور الانصار مثل دارنا ، ليس بيننا و بين غطفان أحد يـردهم عنا ، فأذن لنا ، فلنرجع إلى دورنا فنمنع ذرارينا و نساءنا ، فأذن لهم ﷺ فبلغ سعدبن معاذ ذلك، فقال: يارسول الله لاتأذن لهم انا والله ما أصابنا و إياهم شدة قط إلاّ صنعوا هكذا فردهم .

و منها : و أقام عمرو بن العاص و خالدبن الوليد فى مأتى فارس جريدة ،

ثم ذهب حذيفة إلى غطفان ، فوجدهم قد ارتحلوا فاخبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم بذلك ، فلما كان السحر لحق عمرو و خالد بقريش ، و لحقت كل قبيلة بمحلتها، وأصبح رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بعد رحيل الاحزاب ، فاذن للمسلمين فى الانصراف فلحقوا بمنازلهم .

و **فى الارشاد** للشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه : وكانت غزاة الاحزاب بعد بنى النضير: وذلك ان جماعة من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق النضيرى وحيّ بن أخطب و كنانة بن الربيع وهودة بن قيس الوالبى و أبو عمارة الوالبى فى نفر من بنى والبة خرجوا حتى قدموا مكة ! فصاروا إلى أبى سفيان صخر بن حرب لعلمهم بعداوته لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، و تسرعه إلى قتاله ، فذكروا له ما نالهم منه وسئلوه المعونة لهم على قتاله ، فقال لهم أبو سفيان : أنا لكم حيث تحبّون فاخرجوا إلى قريش فادعوهم إلى حربه و ضمنوا النصرة لهم والثبوت معهم حتى تستأصلوه ، فطافوا على وجوه قريش ، و دعوهم إلى حرب النبى صلى الله عليه و آله و سلم و قالوا لهم : أيدينا مع أيديكم و نحن معكم حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر اليهود أنتم أهل الكتاب الاول و العلم السابق ، و قد عرفتم الدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه و آله و سلم و ما نحن عليه من الدين ، فديننا خير من دينه أم هو أولى بالحق منا ، فقالوا لهم : بل دينكم خير من دينه ، فنشطت قريش لما دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم .

و جاءهم أبو سفيان فقال لهم : قد مكنكم الله من عدوكم ، و هذه اليهود تقاتله معكم و لم تنفك عنكم حتى يؤتى على جميعها أو نستأصله و من اتبعه ، فقويت عزائمهم إذ ذاك فى حرب النبى صلى الله عليه و آله و سلم ثم خرج اليهود حتى جاؤا غطفان و قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ضمنوا لهم النصرة والمعونة و أخبروهم باتباع قريش لهم على ذلك ، و اجتمعوا معهم ، و خرجت قريش و قائدها إذ ذاك أبو سفيان صخر بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن

في بني فزارة و الحرب بن عوف فـي بني مرة و وبرة بن طريف فـي قومه من أشجع و اجتمعت قريش معهم ، فلما سمع رسول الله ﷺ باجتماع الاحزاب عليه ، وقوة عزيمتهم في حربه إستشار أصحابه ؟ فأجمع رأيهم على المقام بالمدينة و حرب القوم إن جاؤا إليهم على انقابها .

فأشار سلمان رحمة الله على رسول الله ﷺ بالخندق ، فأمـر بحفره و عمل فيه بنفسه و عمل فيه المسلمون ، و أقبلت الاحزاب إلى رسول الله ﷺ فهال المسلمون أمرهم وارتاعوا من كثرتهم وجمعهم ، فنزلوا ناحية من الخندق و أقاموا بمكانهم بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهم حرب إلاّ الرمي بالنبل والحصى ، فلما رأى رسول الله ﷺ ضعف قلوب أكثر المسلمين من حصارهم لهم و وهنهم فـي حربهم ، بعث إلى عيينة بن حصن و الحرث بن عوف و هما قائـدا غطفان يدعوهم إلى صلحه و الكفّ عنه و الرجوع بقومهما عن حربه علـى أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة ، و استشار سعد بن معاذ و سعد بـن عبادة فيما بعث به إلـى عيينة و الحرث ؟ فقالا : يا رسول الله إن كان هذا الامر لا بدلنـا من العمل به لان الله أمرك فيه بما صنعت والوحي جاءك به فافعل ما بدالك وإن كنت تختار أن تصنعه لنا كان لنا فيه رأي .

فقال عليه و آله السلام : لـم يأتني وحي به ، ولكنى رأيت العـرب قـد رمتكم عن قوس واحدة ، و جاؤكم من كل جانب ، فـأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرما ، فقال سعد إبن معاذ : قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله و عبادة الاوثان لا نعرف الله ولا نعبده و نحن لانطعمهم من ثمـرنا إلاّ قرى أو بيعاً و الآن حين أكرمنا الله بالاسلام و هدانا به و أعزّنابك نعطيهم أموالنا؟ ما بنا إلى هذا من حاجة ، و الله لا نعطيهم إلاّ السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فقال رسول الله ﷺ : الآن قد عرفت ما عندكم فكونوا على ما أنتم عليه ، فان الله تعالى لن يخذل نبيه ولن يسلمه حتى ينجزله ما وعده ، ثـم قام رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم في المسلمين يدعوهم إلى جهاد العدو ويشجعهم ويعدهم النصر من الله تعالى.

فانتدبت فوارس من قريش للبراز منهم: عمرو بن عبدود بن أبي قيس بن عامر ابن لوي بن غالب، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان، و ضرار بن الخطاب، و مرداس الفهري، فلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم، حتى مرّوا بمنازل بني كنانة، فقالوا: تهيأوا يا بني كنانة للحرب ثم اقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق، فلما تأملوه قالوا: والله ان هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكاناً من الخندق فيه ضيق، فضربوا خيلهم فاقتحمته و جائت بهم في السبخة بين الخندق و سليع، و خرج أمير المؤمنين علي عليه السلام في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي إقتحموها، فتقدم عمرو بن عبدود الجماعة الذين خرجوا معه و قد أعلم ليرى مكانه، فلما رأى المسلمين وقف هو والخيل التي معه، وقال: هل من مبارز؟ فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عمرو: ارجع يا بن الاخ فما احب أن اقتلك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قد كنت يا عمرو عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خصلتين إلاّ اخترتها منه، قال: أجل، فما ذاك؟ قال: اني أدعوك إلى الله و رسوله والاسلام قال: لاحاجة لي إلى ذلك قال: فاني أدعوك إلى النزال، فقال: ارجع فقد كان بيني وبين أبيك خلّة، و ما احبّ أن أقتلك فقال له أمير المؤمنين عليه السلام لكنني والله احب أن أقتلك ما دمت آبياً للحق.

فحمي عمرو ـ أي غضب و اشتد غضبه ـ عند ذلك وقال: أتقتلني؟ و نزل عن فرسه فعقره و ضرب وجهه حتى نفر، و أقبل على عليّ عليه السلام مصلتاً سيفه و بدره بالسيف، فنشب سيفه في ترس علي عليه السلام فضربه أمير المؤمنين ضربة فقتله، فلما رأى عكرمة بن أبي جهل، و هبيرة بن أبي وهب، و ضرار بن الخطاب عمرواً صريعاً ولّوا بخيلهم منهزمين حتى إقتحموا الخندق لايلون إلى شيء، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام إلى مقامه الاول، و قد كادت نفوس القوم الذين خرجوا معه

إلى الخندق تطير جزعاً و يقول :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه　　و نصرت رب محمد بصواب

فضربته و تركته متجد لاً　　كالجذع بين دكادك و روابي

و عففت عن أثوابه و لو انني　　كنت المقطّر بزّني أثوابي

لا تحسبنّ الله خاذل دينه　　و نبيّه يا معشر الاحزاب

و في السيرة النبوية لابن هشام ـ على طريق الاختصار منا ـ كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس ، انه كان من حديث الخندق ان نفراً من اليهود ، منهم : سلاّم ابن أبي الحقيق النضرى وحيى بن أخطب النضرى ، و كنانة ابن أبي الحقيق النضرى (و كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضرى خ) و هوذة بن قيس الوائلي، و أبو عمّار الوائلي في نفر من بني النضير و نفر من بني وائل، وهم الذين حزّبوا الاحزاب على رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش : يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن و محمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، و أنتم أولى بالحق منه ، فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : « ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب ـ و كفى بجهنم سعيراً » النساء : ٥١ ـ ٥٥) .

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك و اتّعدوا له ، ثم خرج اولئك النفر من يهود ، حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ و أخبروهم انهم سيكونون معهم عليه ، وان قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه ، فخرجت قريش و قائدها أبوسفيان بن حرب ، و خرجت غطفان و قائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة ، والحارث بن عوف ابن أبي حارثة المرّي في بني مرّة ، و مسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف إبن سحمة بن

عبدالله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ و ما أجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين فى الأجر ، و عمل معه المسلمون فيه فدأب فيه و دأبوا و أبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين ، و جعلوا يورّون - يستترون - بالضعيف من العمل ، و يتسلّلون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ و لا إذن ، و جعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التى لابد له منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ و يستأذنه فى اللحوق بحاجته، فيأذن له ، فاذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة فى الخير و إحتساباً له .

فأنزل الله تعالى فى اولئك من المؤمنين : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم و استغفر لهم الله ان الله غفور رحيم » فنزلت هذه الاية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة فى الخير والطاعة لله ولرسوله ﷺ . ثم قال تعالى يعنى المنافقين الذين كانوا يتسلّلون من العمل ، و يذهبون بغير إذن من النبى ﷺ : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

وعمل المسلمون فيه حتى احكموه و ارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له : جعيل سمّاه رسول الله ﷺ عمراً فقالوا :

سمّاه من بعد جعيل عمراً و كان للبائس يوماً ظهراً

الظهر : القوة والمعونة . فاذا مرّوا بعمرو قال رسول الله ﷺ : عمراً ،

و إذا مرّوا بظهر قال رسول الله ﷺ : ظهراً .

و كان في حفر الخندق أحاديث فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ و تحقيق نبوته عاين ذلك المسلمون ، قال جابر بن عبدالله اشتدّت عليهم في بعض الخندق كدية ، فشكوها إلى رسول الله ﷺ فدعا باناء من ماء فتفل فيه ، ثم دعا بماشاءالله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبياً لانهالت - أى تفتتت - حتى عادت كالكثيب لا تردّ فأساً و لا مسحاة .

قال سلمان الفارسي : ضربت في ناحية من الخندق ، فغلظت عليّ صخرة ، و رسول الله ﷺ قريب مني ، فلما رآني أضرب و رأى شدة المكان عليّ ، نزل فأخذ المعول من يدى ، فضرب به ضربة سمعت تحت المعول برقة ، قال: ثم ضرب به ضربة اخرى فلمعت تحته برقة اخرى ، قال: ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة اخرى قال : قلت : بأبي أنت و امي يا رسول الله ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول و أنت تضرب ؟ قال : أو قدرايت ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت : نعم ، قال : أما الاولى فان الله فتح عليّ بها اليمن ، و أما الثانية فان الله فتح عليّ بها الشام والمغرب ، و أما الثالثة فان الله فتح عليّ بها المشرق .

قال إبن اسحق : و لما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجروف و زغابة - وهي اسم موضع - في عشرة آلاف من أحابيشهم و من تبعهم من بني كنانة و أهل تهامة ، و أقبلت غطفان و من تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد ، و خرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع - جبل بالمدينة - في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنا لك عسكره والخندق بينه ﷺ وبين القوم . قال إبن هشام : و استعمل على المدينة إبن ام مكتوم . و قال إبن اسحق : و أمر بالذرارى والنساء فجعلوا في الآطام - أى الحصون - وخرج عدوالله حيي

بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى، صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم، و كان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قومه، و عاقده على ذلك و عاهده، فلما سمع كعب بحيى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حيى:

و يحك يا كعب إفتح لى، قال: و يحك ياحيى انك امرؤ مشئوم، و انى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى و بينه، و لم أرمنه إلاّ وفاء و صدقاً، قال: ويحك إفتح لى اكلمك قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دونى إلاّ عن جشيشتك ـ الجشيشة: طعام يصنع من الجشيش و هو البر يطحن غليظاً ـ أن آكل معك منها، فأحفظ الرجل ـ أى أغضبه ـ ففتح له، فقال: ويحك يا كعب جئتك بعزّ الدهر و ببحر طام ـ أى مرتفع و يريد كثرة الرجال ـ جئتك بقريش على قادتها و سادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، و بغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب احد، قد عاهدونى وعاقدونى على أن لايبرحوا حتى نستأصل محمداً و من معه قال:

فقال له كعب: جئتنى والله بذل الدهر و بجهام ـ أى سحاب رقيق لاماء فيه ـ قد هراق ماءه فهو يرعد و يبرق، ليس فيه شيء، ويحك يا حيى فدعنى و ما أنا عليه، فانى لم أر من محمد إلاّ صدقاً و وفاء فلم يزل حيى بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً: لئن رجعت قريش و غطفان و لم يصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخبر و إلى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سعد بن معاذ بن النعمان و هو يومئذ سيد الاوس و سعد بن عبادة بن دليم أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج و هو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبدالله بن رواحة أخو بنى الحارث إبن الخزرج و خوّات بن جبير أخو بنى عمرو بن

عوف ، فقال : انطلقوا حتى تنظروا أحقّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فان كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ، و لاتفتّوا في أعضاد الناس ، و إن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم ، فاجهروا به للناس قال : فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث مابلغهم عنهم فيما نالوا من رسول الله ﷺ و قالوا : من رسول الله ؟لاعهد بيننا و بين محمد ولاعقد ، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلاً فيه حدة، فقال له سعد بن عبادة : دع عنك مشاتمتهم فما بيننا و بينهم أربى - أي أعظم - من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد و من معهما إلى رسول الله ﷺ فسلّموا عليه ثم قالوا : عضل والقارة أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب واصحابه، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر أبشروا يامعشر المسلمين .

وعظم عند ذلك البلاء وإشتدّ الخوف وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظنّ المؤمنون كل ظنّ ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتّب بن قشير أخو بني عمرو بن عـوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى و قيصـر، و أحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، و حتى قال أوس بن قيظيّ أحد بني حارثة بن الحارث : يارسول الله ان بيوتنا عورة من العدو ، و ذلك عن ملأمن رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج ، فنرجع إلـى دارنا ، فانها خارج من المدينة ، فأقام رسول الله ﷺ و أقام عليه المشركـون بضعاً و عشرين ليلة ، قريباً من شهر لم تكن بينهم حرب إلاّ الرميا بالنبل و الحصار .

فلما اشتدّ على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، و إلى الحارث بن عوف إبن أبي حارثة المري وهما قائداغطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه و بينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب و لم تقع الشهادة ولاعزيمة الصلح إلاّ المراوضة في ذلك ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ و سعد بن عبادة فذكر ذلك لهما ، وإستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله أمراً

تحبّه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بدلنا من العمل بـه ؟ أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم .

والله ما أصنع ذلك إلاّ لأنني رأيت العرب قدر متكم عن قـوس واحدة و كالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرما ، فقـال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن و هولاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لانعبدالله و لانعرفه ، و هم لايطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلاّ قرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام و هدانا له و أعزّنا بك و به نعطيهم أموالنا ! والله مالنا بهذا من حاجة والله لانعطيهم إلاّ السيف حتى يحكم الله بيننا و بينهم ، قال رسول الله ﷺ : فأنت و ذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحى مافيها من الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال إبن اسحق : فأقام رسول الله ﷺ و المسلمون وعدوّهم محاصروهم و لم يكن بينهم قتال ، إلاّ أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود بن أبـي قيس أخو بني عامر بن لوى ، و عكرمة بن أبي جهل ، و هبيـرة بن أبـي وهب المخزوميان ، وضرار بن الخطاب الشاعر بن مرداس أخو بني محارب بن فهر تلبّسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مرّوا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهيّئوا يـا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تعنق ـ أى تسرع ـ بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منـه ، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، و خرج علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر معـه من المسلمين ، حتى اخذوا عليهم الثغرة ـ أى الثلمة التي كانت هناك في الخندق ـ التي أقحموا منها خيلهم و أقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبـدودّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق

خرج معلماً ـ وهو علامة يعرف بها ـ ليرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله ، قال : من يبارز ؟ فبرزله علي بن أبي طالب ،فقال له : ياعمرو انك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلاّأخذتها منه ، قال له : أجل، قال له عليّ : فاني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الاسلام ، قال : لاحاجة لي بذلك ، قال : فاني أدعوك إلى النزال ، فقال له : لم يابن أخي ؟ فوالله ما احبّ أن أقتلك ، قال له عليّ : لكنني والله احبّ أن اقتلك فحمي عمرو ـ إشتد غضبه ـ عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه فعقره و ضرب وجهه ، ثم أقبل على عليّ فتنازلا و تجا و لا ، فقتله علي رضي الله عنه ، و خرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذ وهومنهزم عن عمرو .

وقال في ذلك حسان ابن ثابت :

فرّ و ألقى لنا رمحه	لعلك عكرم لم تفعل
وولّيت تعد و كعدوالظ	ليم ما إن تجور عن المعدل
و لم تلق ظهرك مستأنساً	كأن قفاك قفا فرعل .

وكان شعارأصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قريظة : « حم ـ لا ينصرون » حتى أتى نعيم بن مسعود بن عامر رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله اني قد أسلمت ، وان قومي لم يعلموا باسلامي ، فمرني بما شئت ، فقال رسول الله ﷺ : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذّل عنا ـ أي ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضاً ـ إن استطعت، فان الحرب خدعة ، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة قد عرفتم ودّي إياكم ، وخاصّة مابيني وبينكم ، قالوا : صدقت لست عندنا بمتّهم ، فقال لهم : ان قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناءكم ونساءكم لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وان قريشاً وغطفان قد جاؤا لحرب محمد

وأصحابه ، وقد ظاهر تموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة - أي إختلاساً - أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودّى لكم وفراقي محمداً ، وانه قد بلغني أمر قد رأيت عليّ حقاً أن ابلغكموه نصحاً لكم ، فاكتموا عني ، فقالوا : نفعل ، قال : تعلّموا أن معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد ارسلوا إليه : انا قد ندمنا على مافعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم ، فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم ؟ فارسل إليهم : أن نعم ، فان بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال: يامعشر غطفان ! انكم أصلي وعشيرتي وأحبّ الناس إليّ ، ولا أراكم تتهموني ، قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم ، قال : فاكتموا عني، قالوا: نفعل فما أمرك ؟ ثم قال لهم : مثل ما قال لقريش وحذّرهم ماحذّرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوّال سنة خمس ، و كان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن ارسل أبو سفيان بن حرب ورؤس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف (أى الابل) والحافر (أى الخيل) فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ، و نفرغ مما بيننا وبينه ، فارسلوا إليهم : ان اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً ، فأصابه مالم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا، حتى

نناجز محمداً، فانا نخشى إن ضرّستكم - أى نالت منكم كما يصيب ذو الأضراس بأضراسه- الحرب وإشتدّ عليكم القتال أن تنشمروا- أى أن تنقبضوا وتسرعوا - إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه ، فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنوقريظة قالت قريش و غطفان :

والله ان الذى حدّثكم نعيم بن مسعود لحقّ ، فأرسلوا إلى بنى قريظة : إناوالله لاندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنوقريظة ، حين إنتهت الرسل إليهم بهذا : ان الذى ذكر لكم نعيم إبن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلاّ أن يقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها ، و إن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم و خلّوا بينكم و بين الرجل فى بلدكم ، فارسلوا إلى قريش و غطفان : انا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً فأبوا عليهم ، و خذّل الله بينهم ، و بعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ - أى تميل و تقلّب - قدورهم و تطرح أبنيتهم .

و **فى الجامع لاحكام القرآن :** و كان الخندق أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ و هو يومئذ حرّ . ثم قال : و كان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره حتى كمل الخندق . فالمسلمون يد على من سواهم .

﴿ صخرة بيضاء في بطن الخندق ﴾

و قد وردت في المقام روايات كثيرة عن الطريقين نشير إلى نبذة منها حفظاً لما فيها من النكات واللطائف . . .

في تفسير الطبري : عن عمرو بن عوف المزني قال: خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندق عام ذكرت الاحزاب من أجم الشيخين طرف بني حارثة حتى بلغ المذاد ثم جعل أربعين ذراعاً بين كل عشرة (أي قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً) فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي، وكان رجلاً قوياً ، فقال الانصار: سلمان منا ، و قال المهاجرون : سلمان منا ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : سلمان منا أهل البيت .

قال عمرو بن عوف : فكنت أنا و سلمان و حذيفة بن اليمان ، والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا تحت ٣ دو بار حتى بلغنا الصربي، أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة (مدوّرة خ) فكسرت حديدنا وشقت علينا ، فقلنا : يا سلمان ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره خبر هذه الصخرة ، فاما أن نعدل عنها فان المعدل قريب ، وإما أن يأمرنا فيها بأمره ، فانا لانحبّ أن نجاوز خطّه ، فرقى سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ضارب عليه قبة تركيّة ، فقال : يا رسول الله بأبينا أنت و امنا ، خرجت صخرة بيضاء من بطن الخندق مروة (مدورة خ) فكسرت حديدنا و شقت علينا حتى ما يجيء منها (حتى ما يحيك فيها خ) و لا كثير ، فمرنا فيها بأمرك فانا لا نحب أن

نجاوز خطك .

فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان فى الخندق و رقينا نحن التسعة على شفة الخندق ، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان ، فضرب الصخرة ضربة صدعها و برقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها يعنى لابتى المدينة حتى لكأن مصباحاً فى جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتح ، و كبّر المسلمون ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية فصدعها و برقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً فى جوف بيت مظلم ، فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتح و كبّر المسلمون ، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثالثة فكسرها و برقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً فى جوف بيت مظلم ، فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتح .

ثم أخذ بيد سلمان فرقى فقال سلمان : بأبى انت و امى يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيته قط ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم ، فقال : هل رأيتم مايقول سلمان ؟ قالوا: نعم يارسول الله بأبينا أنت وامنا، قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج ، فرأيناك تكبّر فنكبّر ولانرى شيئا غيرذلك، قال : صدقتم ضربت ضربتى الاولى ، فبرق الذى رأيتم أضاء لى منه قصور الحيرة و مدائن كسرى (و مدائن و كسرى خ) كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبرائيل عليه السلام : ان امتى ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتى الثانية ، فبرق الذى رأيتم أضاء لى منه قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، و أخبرنى جبرائيل عليه السلام : ان امتى ظاهرة عليها .

ثم ضربت ضربتى الثالثة ، و برق منها الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، و أخبرنى جبرائيل عليه السلام ان امتى ظاهرة عليها ، فابشروا يبلغهم النصر، وأبشروا يبلغهم النصر ، و أبشروا يبلغهم النصر، فاستبشر **المسلمون و قالوا : الحمد لله موعود صدق بان وعدنا النصر بعد الحصر** (بعد

الحفر خ) ، فطبقت الاحزاب ، فقال المسلمون : هذا ما وعدنا الله و رسوله . . الاية وقال المنافقون : ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل يخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة و مدائن كسرى (و مدائن و كسرى » وانها تفتح لكم ، و أنتم تحفرون الخندق من الفرق ، ولاتستطيعون أن تبرزوا وأنزل القرآن : « و اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله و رسوله الا غروراً » رواه الثعلبي في تفسيره والطبرسي في المجمع والفخر في تفسيره والآلوسي في روح المعاني والميبدى في كشف الاسرار والمجلسي في البحار ، والقاسمي في محاسن التأويل و غيرهم .

قوله : «مروة» : حجارة صلبة تعرف بالصوان ، و «يحيك» حاك فيه السيف و أحاك بمعنى، يقال: ضربه فما أحاك فيه السيف : اذا لم يعمل . و «من الفرق» : من الخوف .

وفي الخرائج : روى عن جابر قال : لما اجتمعت الاحزاب من العرب لحرب الخندق واستشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم المهاجرين والانصار في ذلك، فقال سلمان : ان العجم اذا حزبها أمر مثل هذا اتخذوا الخنادق حول بلدانهم ، وجعلوا القتال من وجه واحد ، فأوحى الله إليه أن يفعل مثل ما قال سلمان ، فخطّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخندق حول المدينة ، وقسّمه بين المهاجرين والانصار بالذراع ، فجعل لكل عشرة منهم عشرة أذرع ، قال جابر : فظهرت يوماً من الخط لنا صخرة عظيمة لم يمكن كسرها ، و لا كانت المعاول تعمل فيها ، فأرسلني أصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاخبره بخبرها، فصرت إليه فوجدته مستلقياً وقد شدّ على بطنه الحجر، فأخبرته بخبر الحجر ، فقام مسرعاً فأخذ الماء في فمه فرشّه على الصخرة ، ثم ضرب المعول بيده وسط الصخرة ضربة برقت منها برقة فنظر المسلمون فيها إلى قصور اليمن و بلدانها .

ثم ضربها ضربة اخرى فبرقت برقة اخرى ، فنظر المسلمون فيها إلى قصور

العراق و فارس و مدنها ، ثم ضربها الثالثة ، فانهارت الصخرة قطعاً ، فقال رسول الله ﷺ ما الـذی رأیتم فی کل برقة ؟ قالوا : رأینا فی الاولی کذا ، و فی الثانیة کذا ، و فی الثالثة کذا قال : سیفتح الله علیکم ما رأیتموه ، قال جابر : و کان فی منزلی صاع من شعیر وشاة مشدودة ، فصرت إلی أهلی ، فقلت: رأیت الحجر علی بطن رسول الله ﷺ و أظنّـه جائعاً ، فلو أصلحنا هذا الشعیر، وهذه الشاة و دعونا رسول الله ﷺ إلینا کان لنا قربة عندالله، قالت: فاذهب فأعلمه ، فان أذن فعلناه ، فذهبت فقلت له :

یا رسول الله إن رأیت أن تجعل غداءك الیـوم عندنا ، قال : و ما عندك ؟ قلت: صاع من الشعیر وشاة ، قال: أفأصیر إلیك مع من أحب أو أنا وحدی ؟ قال: فکرهت أن أقول : أنت وحدك قلت : بل مع من تحبّ و ظننته یرید علیاً ؑ بذلك ، فرجعت إلی أهلی ، فقلت: أصلحی أنت الشعیر و أأصلح (أسلخ خ) الشاة ففرغنا من ذلك، وجعلنا الشاة کلها قطعاً فی قدر واحدة وماءاً وملحاً ، و خبزت أهلی ذلك الدقیق ، فصرت إلیه و قلت : یا رسول الله قد أصلحنا ذلك فوقف علی شفیر الخندق و نادی بأعلی صوته : یامعشر المسلمین أجیبوا دعوة جابر، فخرج جمیع المهاجرین والانصار ، فخرج النبی ﷺ والناس خلفه ، و لم یکن یمرّ بملأ من أهل المدینة إلاّ قال :

أجیبوا دعوة جابر فأسرعت إلی أهلی ، و قلت : قد أتانا ما لا قبل لنا به ، و عرّفتها خبر الجماعة ، فقالت : ألست قد عرّفت رسول الله ما عندنا ؟ ! قلت : بلی ، قالت : فلا علیك هو أعلم بما یفعل ، فکانت أهلی أفقـه منی ، فأمر رسول الله ﷺ الناس بالجلوس خارج الدار ، و دخل هـو و علیّ الـدار ، فنظر فی التنّـور والخبز فیه ، فتفل فیه و کشف القدر فنظر فیها ، ثم قال للمرأة : اقلعی من التنّـور رغیفاً رغیفاً، وناولینی واحداً بعد واحد ، فجعلت تقلع رغیفاً وتناوله ایاه وهو وعلیّ یثردان فی الجفنة ، ثم تعود المرأة إلی التنّور فتجد مکان الرغیف

الذى قلعته (ا قتلعته خ) رغيفاً آخر، فلمّا امتلأت الجفنة بالثريد غرف عليها (غرف عليه خ) من القدر ، و قال :

أدخل عليّ عشرة من الناس ، فدخلوا و أكلوا حتى شبعوا ، ثم قال : يا جابر ايتنى بالذراع ثم قال : أدخل عليّ عشرة ، فدخلوا و أكلوا حتى شبعوا والثريد بحاله ، ثم قال : هات الذراع فأتيته به ، فقال : ادخل عشرة فأكلوا و شبعوا ثم قال : هات الذراع قلت : كم للشاة من ذراع ؟ قال : ذراعان ، قلت : قدآتيت بثلاث أذرع قال : لوسكتّ لأكل الجميع من الذراع ، فلم يزل يدخل عشرة ، و يخرج عشرة حتى أكل الناس جميعاً ثم قال : تعال حتى نأكل نحن و أنت ، فأكلت أنا ومحمد ﷺ وعلى عليه السلام وخرجنا والخبز فى التنّور بحاله (على حاله خ) والقدر على حالها والثريد فى الجفنة على حاله، فعشنا أيّاماً بذلك.

قوله : « اذا حزبها أمر » أى أصابها و اشتدّ عليها . « فانهارت الصخرة » : انصدعت الصخرة و سقطت قطعاً .

وفى الخصال : باسناده عن البراء بن عازب قال: لمّا أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت له صخرة عظيمة شديدة فى عرض الخندق لا تأخذ منها المعاول ، فجاء رسول الله ﷺ فلما رأها وضع ثوبه و أخذ المعول ، و قال : « بسم الله » و ضرب ضربة فكسّر ثلثها و قال : « الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لأبصر قصورها الحمراء الساعة » ثم ضرب الثانية فقال: « بسم الله » ففلق ثلثاً آخر فقال : « الله أكبر اعطيت مفاتيح فارس والله إنى لأبصر قصر المدائن الابيض » ثم ضرب الثالثة ففلق بقيّة الحجر و قال : « الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لأبصر أبواب الصنعاء مكانى هذا » .

و فى الجامع لاحكام القرآن : فروى النسائى عن أبى سكينة رجل من المحررين ـ أى المعتق من النار ـ عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : لما أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر،

فقام رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم و أخذ المعول و وضع رداءه ناحية الخندق وقال: « وتمت كلمة ربك صدقا » الاية فندر ـ أى سقط ـ ثلث الحجر و سلمان الفارسى قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برقة ثم ضرب الثانية و قال: «وتمت» الاية فندر الثلث الاخر، فبرقت برقة فرآها سلمان ثم ضرب الثالثة، و قال: « و تمت كلمة ربك صدقا » الاية فندر الثلث الباقى و خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ رداءه و جلس، قال سلمان: يارسول‌الله رأيتك حين ضربت ماتضرب ضربة الا كانت معها برقة؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رأيت ذلك يا سلمان؟ فقال:

اى والذى بعثك بالحق يا رسول‌الله قال: فانى حين ضربت الضربة الاولى رفعت لى مدائن كسرى و ما حولها و مدائن كثيرة حتى رأيتها بعينى ـ قال له من حضره من أصحابه: يا رسول‌الله ادع الله أن يفتحها علينا و يغنمنا ذراريهم و يخرب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ضربت الضربة الثانية، فرفعت لى مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعينى ـ قالوا: يا رسول‌الله ادع الله تعالى أن يفتحها علينا و يغنمنا ذراريهم و يخرب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لى مدائن الحبشة وماحولها من القرى حتى رأيتها بعينى ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك ـ دعوا الحبشة ما و دعوكم و اتركوا الترك ما تركوكم.

﴿الجوع و الاعجاز يوم الخندق﴾

في عيون الاخبار : باسناده عن الامام على بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن على عليه السلام قال : كنا مع النبى صلى الله عليه و آله وسلم في حفر الخندق إذجاء ته فاطمة و معها كسرة من خبـز فدفعتها إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم فقال النبى صلى الله عليه و آله وسلم : ما هذه الكسيرة ؟ قالت : قرص خبزته للحسن والحسين جئتك منه بهذه الكسيرة فقال النبى صلى الله عليه و آله وسلم : أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث .

وفي الخرائج : روى ان عام الخندق أصاب أصحاب النبى صلى الله عليه و آله وسلم مجاعة لما حاصرهم المشركون فدعا بكف من تمر، و أمر بثوب فبسط و ألقى ذلك التمر عليه ، و أمر منادياً ينادى في الناس : هلمّوا إلى الغداء فاجتمع أهـل المدينة فأكلوا و صدروا و التمر تبض من أطراف الثوب . بضّ الماء : سال قليلاً قليلاً .

وفي الامتاع : من دلائل النبـوة و معجزات النبى صلى الله عليه و آله وسلم في هذه الغزة: ان المسلمين قد أصابهم مجاعـة شديدة ، وكان أهلوهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه ، فارسلت عمرة ابنة رواحة ابنتها بجفنة تمر عجوة في ثوبها إلـى زوجها بشير بن سعد بن ثعلبة الانصارى ، وإلى أخيها عبدالله بن رواحة ، فوجدت رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم جالساً في أصحابه ، فقال : تعالى يا بنية ماهذا معك ؟ فأخبرته فأخذه في كفيه و نثره على ثوب بسطه ، و قال لجعال بن سراقة : اصرخ يا أهل الخندق هلمّ إلى الغداء فاجتمعوا عليه يأكلون منه حتى صدر أهل الخندق و انه ليفيض من أطـراف الثوب . و ارسلت ام معتب الاشهلية بقعبة فيها حيس إلى رسـول

الله صلى الله عليه وآله وسلم و هو فى قبته مع ام سلمة ، فأكلت حاجتها ثم خرج بالقعبة فنادى مناديه : هلمّ إلى عشائه فأكل أهل الخندق حتى نهلوا و هى كماهى .

وفى فروع الكافى : باسناده عن أبى بصير عن أحدهما عليهما السلام فى قول الله عزوجل : « احلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نساءكم » الاية فقال : نزلت فى خوات بن جبير الانصارى وكان مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الخندق و هو صائم ، فأمسى و هو على تلك الحال ، وكانوا قبل أن تنزل هذه الاية اذا نام أحدهم حرّم عليه الطعام و الشراب فجاء خوات إلى أهله حين أمسى، فقال : هل عندكم طعام ؟ فقالوا : لا (لاتنم خ) حتى نصلح لك طعاماً ، فاتكأفنام ، فقالوا له : قد فعلت قال : نعم ، فبات على تلك الحال فاصبح ، ثم غدا إلى الخندق ، فجعل يغشى عليه فمرّ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما رأى الذى به أخبره كيف كان أمره ، فأنزل الله عزوجل فيه الاية : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر» .

و فى الجامع لاحكام القرآن : عن أبى طلحة قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجوع، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حجرين.

وفى السيرة النبوية لابن هشام : ان ابنة لبشير بن سعد اخت النعمان بن بشير قالت: دعتنى امى عمرة بنت رواحة فأعطتنى جفنة من تمر فى ثوبى ثم قالت : أى بنيّة اذهبى إلى أبيك و خالك عبدالله بن رواحة بغدائهما ، قالت : فأخذتها فانطلقت بها فمررت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أنا ألتمس أبى وخالى ، فقال : تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟ قالت : فقلت : يا رسول الله هذا تمر بعثتنى به امى إلى أبى بشير بن سعد وخالى عبدالله بن رواحة يتغدّيانه ، قال : هاتيه ، قالت : فصببته فى كفّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدّد فوق الثوب ، ثم قال لانسان عنده : اصرخ فى أهل الخندق : ان هلمّ إلى الغداء ، فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه و جعل يزيد حتى صدر

أهل الخندق عنه ، وانه ليسقط من أطراف الثوب .

و فيه : عن جابر بن عبدالله قال : علمنا مع رسول الله ﷺ في الخندق، فكانت عندي شويهة غير جد سمينة - أي غير كاملة السمن - قال : فقلت : والله لوصنعناها لرسول الله ﷺ قال: فأمرت امرأتي فطحنت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً ، و ذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله ﷺ قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق قال : و كنا نعمل فيه نهارنا فاذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا ، قال : قلت : يا رسول الله اني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير فاحب أن تنصرف معي إلى منزلي ،و انما اريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده قال : فلما أن قلت له ذلك قال : نعم .

ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر ابن عبدالله ، قال : قلت : انا لله و انا إليه راجعون ، قال : فأقبل رسول الله ﷺ وأقبل الناس معه ، قال : فجلس وأخرجناها إليه ، قال فبرك و سمى الله ثم أكل، وتواردها الناس ،كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها.

وفي الخرائج : روى ان بنت عبدالله بن رواحة الانصاري مرت به أيام حفرهم الخندق فقال لها : من تريدين ؟ فقالت : آتي عبدالله بهذه التمرات ، فقال: هاتيهن فنثرت في كفه ثم دعا بالأنطاع، ثم نادى : هلموا فكلوا فأكلوا فشبعوا وحملوا ما أراد وامعهم و دفع مابقي إليها .

وفي المناقب : لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه : رأى النبي ﷺ عمرة بنت رواحة تذهب بتميرات إلى أبيها يوم الخندق ، فقال : اجعليها على يدي ثم جعلها على نطع فجعل يربو حتى أكل منه ثلاثة آلاف رجل .

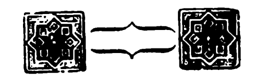
وفي صحيح البخاري : عن جابر الانصاري في حديث حفر الخندق : فلما رأيت ضعف النبي ﷺ طبخت جدياً و خبزت صاع شعير، و قلت : يارسول الله

تكرمني بكذى و كذى فقال : لاترفع القدر من النار ولا الخبز من التنّور ثم قال: ياقوم قوموا إلى بيت جابر فأتوا وهم سبعمأة رجل. وفي رواية ثمان مأة وفي رواية ألف رجل .فلم يكن موضع الجلوس، فكان يشير إلى الحائط والحائط يبعد حتى تمكّنوا ، فجعل يطعمهم بنفسه حتى شبعوا ،ولم يزل يأكل ويهدى إلى قومنا أجمع، فلما خرجوا أتيت القدر فاذا هو مملوّ و التنور محشوّ.

و فيه : روى أنس أنه قال : أرسلني أبوطلحة إلى النبي ﷺ لما رأى فيه أثر الجوع ، فلمّا رآني قال : أرسلك أبوطلحة ؟ قلت : نعم فقال لمن معه : قوموا فقال أبوطلحة : يا ام سليم قدجاء رسول الله ﷺ بالناس ، وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم فقال ﷺ : يا ام سليم هلمّي بما عندك ، فجاءت بأقراص من شعير، فأمر به ففتّ (فأمر بها ففتت خ) وعصرت ام سليم عكّة سمن فأخذها النبي ﷺ ثم وضع يده على رأس الثريد ، وكان يدعو بعشرة عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا وكانوا سبعين أوثمانين رجلاً .

وفي البحار : عن جابر بن عبدالله قال : كنا يوم الخندق نحفر الخندق ، فعرضت فيه كدية وهي الجبل ـ الكدية : الارض الصلبة الغليظة الصفاة العظيمة الشديدة ـ فقلنا : يا رسول الله إن كدية عرضت فيه ، فقال رسول الله ﷺ رشّوا عليها ماء ثم قام فأتاها وبطنه معصوب بحجر من الجوع ، فأخذ المعول أوالمسحاة فسمّى ثلاثاً ثم ضرب فعادت كثيباً أهيلاً (مهيلاً خ) فقلت له : ائذن لي يارسول الله إلى المنزل ففعل فقلت للمرأة : هل عندك من شيء؟ فقال : عندي صاع من شعير وعناق ، فطحنت الشعير وعجنته وذبحت العناق وسلختها وخلّيت بين المرأة و بين ذلك ثم أتيت إلى رسول الله ﷺ فجلست عنده ساعة ثم قلت : ائذن لي يا رسول الله ففعل ، فأتيت المرأة فاذا العجين واللحم قد أمكنا ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت : ان عندنا طعيماً لنافقم يا رسول الله أنت و رجلان من أصحابك فقال :

و كم هو ؟ قلت : صاع من شعير و عناق ، فقال للمسلمين جميعاً : قوموا إلى جابر، فقاموا فلقيت من الحياء مالا يعلمه إلا الله ، فقلت : جاء بالخلق على صاع شعير و عناق ، فدخلت على المرأة و قلت : قد افتضحت جاءك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالخلق (أجمعين خ) فقالت :هل كان سئلك كم طعامك ؟ قلت : نعم ، فقالت :الله و رسوله أعلم قد أخبرناه ما عندنا ، فكشفت عني غماً شديداً ، فدخل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال : خذي و دعيني من اللحم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يثرد و يفرّق اللحم ، ثم يحمّ هذا و يحمّ هذا فمازال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين ،و يعود التنور و القدر أملأما كانا ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : كلي و اهدي ، فلم نزل نأكل و نهدي قومنا أجمع .



﴿ جنود الله تعالى في أيام الاحزاب وحذيفة ابن اليمان ﴾

في السيرة النبوية لابن هشام : فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم و ما فرّق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أباعبدالله أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم يابن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال: والله لقد كنا نجهد قال : فقال : والله لوأدركناه ما تركناه يمشي على الارض و لحملناه على أعناقنا قال : فقال حذيفة : يا بن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلّى رسول الله ﷺ هويّاً - أي قطعة - من الليل ثم إلتفت إلينا ، فقال : من رجل يقوم ، فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع - يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسئل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة ؟ فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع و شدة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني فقال :

يا حذيفة اذهب فادخل في القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تحدثنّ شيئاً حتى تأتينا قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لاتقرّ لهم قدراً ولاناراً ولابناء ، فقام أبو سفيان فقال : يامعشر قريش لينظر امرء من جليسه؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت من أنت ؟ قال :فلان بن فلان .

وفي شرح المواهب : فضربت بيدى على يدالذى عن يمينى فأخذت بيده، فقلت : من أنت ؟ قال : معاوية بن أسفيان ، ثم ضربت بيدى على يد الذى عن شمالي ، فقلت : من أنت ؟ قال : عمرو بن العاص .

وفي السيرة : ثم قال أبوسفيان : يامعشرقريش انكم والله ماأصبحتم بدار مقام لقدهلك الكراع ـ أي الخيل ـ و الخف و أخلفتنا بنوقريظة و بلغنا عنهم الذى نكره ، و لقينا من شدة الريح ماترون ، ما تطمئنّ لنا قدر ولاتقوم لنا نار، ولايستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهومعقول ،فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما اطلق عقاله إلاّ و هو قائم ، و لولا عهد رسول الله ﷺ إليّ « أن لاتحدث شيئاً حتى تأتيني » ثم شئت لقتلته بسهم. قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ﷺ و هوقائم يصلّي في مرط ـ أي كساء ـ لبعض نسائه مراجل ـ و هي ضرب من وشي اليمن ـ فلما رآني أدخلني إلى رجليه ، وطرح عليّ طرف المرط ، ثم ركع وسجد واني لفيه ، فلماسلّم أخبرته الخبر، و سمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم . و لما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة و المسلمون و وضعا السلاح .

وفي شرح المواهب : كان دخول الرسول ﷺ المدينة يوم الاربعاء يوم منصرفه من الخندق ، لسبع بقين من ذى القعدة .

وفي روضة الكافي : باسناده عن أبان بن عثمان عمن حدّثه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قام رسول الله ﷺ على التلّ الذى عليه مسجد الفتح فيغزوة الأحزاب في ليلة ظلماء قرّة ـ أي باردة ـ فقال : من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنة؟ فلم يقم أحد ثم أعادها ، فلم يقم أحد ، فقال أبوعبدالله عليه السلام بيده ـ أي أشار أوحرّك يده على وجه التعجب ـ وما أراد القوم ؟ ! أرادوا أفضل من الجنة ؟ ثم قال : من هذا ؟ فقال : حذيفة ، فقال : أماتسمع كلامي منذالليلة ولاتكلّم أقبرت

فقام حذيفة و هو يقول : القرّ - أى البرد - و الضرّ - أى سوء الحال - جعلني الله فداك منعني أن اجيبك ، فقال رسول الله ﷺ : انطلق حتى تسمع كلامهم و تأتيني بخبرهم فلما ذهب قال رسول الله ﷺ : اللهم احفظه من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله حتى تردّه و قال له رسول الله ﷺ : يا حذيفة لاتحدث شيئاً حتى تأتيني فأخذ سيفه و قوسه و حجفته - يقال للترس اذاكان من جلود ليس فيه خشب ولاعقب : حجفة ودرقة - قال حذيفة : فخرجت ومابي من ضرّ ولا قرّ فمررت على باب الخندق ، و قداعتراه المؤمنون والكفار، فلما توجّه حذيفة قام رسول الله ﷺ و نادى :

يا صريخ المكروبين ويامجيب المضطرين اكشف همّي وغمي و كربي فقد ترى حالي و حال أصحابي ، فنزل عليه جبرئيل ﷺ فقال : يا رسول الله ان الله عز ذكره قد سمع مقالتك و دعاءك و قد أجابك و كفاك هول عدوّك فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه و بسط يديه و أرسل عينيه ، ثم قال : شكراً شكراً كما رحمتني و رحمت أصحابي ، ثم قال رسول الله ﷺ : قد بعث الله عزوجل عليهم ريحاً من السماء الدنيا فيها حصى وريحاً من السماء الرابعة فيها جندل - الجندل: الحجارة و هي أكبر من الحصى - قال حذيفة : فخرجت فاذاً أنا بنيران القوم و أقبل جندالله الاول ريح فيها حصى فما تركت لهم ناراً الا أذرتها ولا خباءاً الا طرحته ولا رمحاً الا ألقته حتى جعلوا يتترّسون من الحصى فجعلنا نسمع وقع الحصى في الأترسة ، فجلس حذيفة بين رجلين من المشركين ، فقام ابليس في صورة رجل مطاع في المشركين ، فقال : أيها الناس انكم قد نزلتم بساحة هذا الساحر الكذاب ، ألاو إنه لن يفوتكم من أمره شيء ، فانه ليس سنة مقام قد هلك الخف و الحاضر فارجعوا و لينظر كل رجل منكم من جليسه قال حذيفة : فنظرت عن يمني فضربت بيدي فقلت : من أنت ؟ فقال : معاوية ، فقلت للذى عن يساري : من أنت ؟ فقال : سهيل بن عمرو قال حذيفة : و أقبل جندالله الاعظم

فقام أبوسفيان إلى راحلته ثم صاح في قريش : النجاء النجاء - أي اسرع اسرع - و قال طلحة الازدي : لقد زادكم محمد بشر ثم قام إلى راحلته و صاح في بني أشجع : النجاء النجاء و فعل عيينة ابن حصن مثلها ، ثم فعل الحرث بن عوف المزني مثلها ثم فعل الأقرع بن حابس مثلها وذهب الاحزاب و رجع حذيفة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره الخبر وقال أبوعبدالله عليه السلام : انه كان ليشبه يوم القيامة .

قوله عليه السلام : « ليشبه يوم القيامة » أي ليلة الكفار من هبوب الرياح عليهم و اضطرابهم و حيرتهم و خوفهم . و يحتمل أن يكون الغرض بيان شدة حال المسلمين قبل نزول هذا الظفر من البرد و الخوف و الجوع .

وروى : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الضوضاء في جيش العدو قال لأصحابه لابد من أمر حدث بين القوم : فمن منكم يكشف لنا خبرهم فسكتوا حتى كرر ذلك ثلاثاً ، و كان فيهم حذيفة بن اليمان ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسمع صوتي منذ الليلة ولاتجيب ، فقال : يا رسول الله ! البرد شديد ، فقال : اذهب في حاجة رسول الله واكشف لنا خبر القوم ، فخرج ، و تلطف في الاستكشاف وجاء بجلية الخبر وهوان القوم قد عزموا على الرحيل ، عزموا على الرحيل ، و قد بلغ من خوفهم أن قائدهم أباسفيان كان يقول لهم ليتعرف كل منهم أخاه وليمسكه بيده حذراً من أن يدخل بينكم ، و قد حل عقال بعيره يريد أن يبدأ بالرحيل و ترك خالد ابن الوليد في جماعة ليحموا ظهور المرتحلين حتى لايدهموا من ورائهم، و أزاح الله عن المسلمين هذه الغمة ، و قد سمى الله هذا الرحيل نعمة على المسلمين .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذجاءكم جنود . . . الايات . . . »

و في تفسير المراغي : قال حذيفة بن اليمان وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليأتي بخبر القوم : خرجت حتى اذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم

توقد، و اذا رجل أدهم ضخم (أبوسفيان) يقول: الرحيل الرحيل لا مقام لكم، و اذا الرجل فى عسكرهم ما يجاوز عسكرهم شبراً، فوالله انى لأسمع صوت الحجارة فى رحالهم و فرشهم، و الريح تضربهم، ثم رجعت نحو النبى ﷺ فلما صرت فى منتصف الطريق أو نحو ذلك إذا أنا بنحو عشرين فارساً معتمّين قالوا: أخبر صاحبك أن الله قد كفاك القوم.

و فى البحار: و لما نزلت الاحزاب على المدينة عبّى أبوسفيان سبعة آلاف رام كركبة واحدة ثم قال: ارموهم رشقاً واحداً فوقع فى اصحاب النبى ﷺ سهام كثيرة، فشكوا ذلك إلى النبى ﷺ فلوّح إلى السهام بكمّه، و دعا بدعوات فهبّت ريح عاصفة، فردّت السهام إلى القوم، فكل من رمى سهماً عاد السهم إليه فوقع فيه، جرحه بقدرة الله وبركة رسوله، ودخل النبى ﷺ مع ميسرة إلى حصن من حصون اليهود ليشتروا خبزاً وادماً، فقال يهودى: عندى مرادك، و مضى إلى منزله و قال لزوجته: اطلعى إلى عالى الدار فاذا دخل هذا الرجل، فارمى هذه الصخرة عليه، فأدارت المرأة الصخرة فهبط جبرئيل فضرب الصخرة بجناحه، فخرقت الجدار و أتت تهتزّ كأنها صاعقة، فأحاطت بحلق الملعون، وصارت فى عنقه كدور الرحى (كحجر الرحى خ) فوقع كأنه المصروع، فلما أفاق جلس و هو يبكى، فقال له النبى ﷺ: ويلك ما حملك على هذا الفعال؟ فقال: يا محمد لم يكن لى فى المتاع حاجة، بل أردت قتلك، و أنت معدن الكرم، و سيّد العرب والعجم اعف عنّى، فرحمه النبى ﷺ فانزاحت الصخرة عن عنقه.

وفى الخرائج: روى ان الحصار لما اشتدّ على المسلمين فى حرب الخندق، و رأى رسول الله ﷺ منهم الضجر لما كان فيه من الضرّ ـ الشدة والضيق وسوء الحال ـ صعد على مسجد الفتح فصلّى ركعتين ثم قال: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد (لما تعبد خ) بعدها فى الارض» فبعث الله ريحاً قلعت خيم

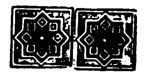
المشركين ، و بدّدت رواحلهم و أجهدتهم بالبرد ، و سفّت الرمال و التراب عليهم ، وجاءته الملائكة فقالت : يا رسول الله ان الله قدأمرنا بالطاعة لك فمرنا بما شئت ، قال : قلت : زعزعي المشركين وارعبيهم ، و كونوا من ورائهم ،ففعلت بهم ذلك ، و أنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذجاءتكم جنود » يعني أحزاب المشركين « فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها و كان الله بما تعملون بصيراً إذجاؤكم من فوقكم » أي أحزاب العرب «و من أسفل منكم » .

يعني بني قريظة حين نقضوا عهد رسول الله ﷺ و صاروا مع الاحزاب على المسلمين ثم رجع من مسجد الفتح إلى معسكره فصاح بحذيفة بن اليمان و كان قدناداه ثلاثاً، فقال في الثالثة : لبيك يارسول الله قال : تسمع صوتي ولاتجيبني؟ فقال : منعني شدة البرد ، فقال : « اعبرالخندق فاعرف خبرقريش و الاحزاب و ارجع ، ولا تحدث حدثاً حتى ترجع إليّ » قال : فقمت و أنا أنتقض من البرد فعبرت الخندق و كأني في الحمام فصرت إلى معسكرهم فلم أجد هناك الآخيمة أبي سفيان و عنده جماعة من وجوه قريش و بين أيديهم نار تشتعل مرة و تخبو اخرى ، فانسللت فجلست بينهم ، فقال أبوسفيان : إن كنا نقاتل أهل الارض فنحن بالقدرة عليه ، و ان كنا نقاتل أهل السماء كما يقول محمد فلا طاقة لنا بأهل السماء انظروا بينكم لا يكون لمحمد عين بيننا ، فليسئل بعضكم بعضاً ، قال حذيفة :

فبادرت إلى الذي عن يميني فقلت : من أنت قال : خالد بن الوليد ، وقلت للذي عن يساري : من أنت ؟ قال : فلان فلم يسئلني أحد منهم ، ثم قال أبوسفيان لخالد : إما أن تتقدّم أنت فتجمع الناس ليلحق بعضهم بعضاً فأكون على الساقة ، و إما أن أتقدّم أنا و تكون على الساقة قال : بل أتقدّم أنا و تتأخرأنت ، فقاموا جميعاً فتقدّموا وتأخّرأبوسفيان ، فخرج من الخيمة واختفيت في ظلها ،فركب

راحلته وهى معقولة من الدهش الذى كان به ، فنزل يحل العقال فأمكننى قتله فلما هممت بذلك تذكرت قول رسول الله ﷺ : « لاتحدثن حدثاً حتى ترجع إلى » فكففت و رجعت إلى رسول الله ﷺ وقدطلع الفجر، فحمدالله ، ثم صلى بالناس الفجرو نادى مناديه :

« لايبرحن أحد مكانه إلى أن تطلع الشمس » فما أصبح إلا وقد تفرق عنه الجماعة الا نفراً يسيراً فلما طلعت الشمس انصرف رسول الله ﷺ و من كان معه ، فلما دخل منزله أمر فنودى : ألا لايصلى أحد الا في بنى قريظة ، فسار المسلمون إليهم ، فوجدوا النخل محدقاً بقصرهم و لم يكن للمسلمين معسكر ينزلون فيه ، و وافى رسول الله ﷺ فقال : « مالكم لاتنزلون ؟ » فقالوا : مالنا مكان فنزل من اشتباك النخل ، فدخل فى طريق بين النخل فأشار بيده يمنة ، فانضم النخل بعضه إلى بعض، و أشار بيده يسرة فانضم النخل كذلك واتسع لهم الموضع ، فنزلوا .



﴿ الامام علي عليه السلام و عمرو بن عبدود يوم الخندق ﴾

وقد وردت روايات كثيرة باسانيد عديدة عن الطريقين بان الفتح كان في ذلك اليوم على يد الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام ان قتل عمرو بن عبدود، فنشير إلى ما يسعه المقام، أما العامة فمنهم :

١ ـ روى البيهقي في (السنن الكبرى ج٩ ص١٣٢ ط حيدرآباد الدكن) باسناده عن ابن اسحق قال: خرج ـ يعني يوم الخندق ـ عمرو بن عبدود، فنادى من يبارز فقام علي رضي‌الله‌عنه، و هو مقنع في الحديد، فقال : أنا لها يانبي‌الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم : انه عمرو اجلس، و نادى عمرو ألا رجل؟ وهو يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون انه من قتل منكم دخلها؟ أفلا يبرز إليّ رجل، فقام علي عليه السلام فقال : أنا يا رسول الله، فقال : اجلس، ثم نادى الثالثة و ذكر شعراً فقام عليّ فقال يا رسول الله : أنا فقال : انه عمرو قال : و إن كان عمراً فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمشى إليه حتى أتاه و ذكر شعراً :

رواه جماعة من أعلام العامة و حملة آثارهم :

منهم: الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ١٠٢ ط تبريز).

ومنهم : الخثعمي المراكشي في (الروض الأنف ج ٢ ص ١٩١).

ومنهم : الدميري في (حياة الحيوان ج ١ ص ٢٧٤ ط القاهرة).

٢ ـ ما رواه ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٦٢ ط دار احياء الكتب العربية سنة ١٣٨٣ هـ) ما لفظه : « و ينبغي أن نذكر ملخص هذه

القصة من مغازى الواقدى وابن اسحق ، قالا : خرج عمرو بن عبدود يوم الخندق ، وقد كان شهد بدراً فارتثّ جريحاً - أى حمل من المعركة جريحاً و به رمق - ولم يشهد احداً ، فحضر الخندق شاهراً نفسه معلماً مدلاً بشجاعته وبأسه وخرج معه ضرار بن الخطاب الفهرى ، و عكرمة بن أبى جهل ، و هبيرة بن أبى وهب ، ونوفل بن عبدالله ابن المغيرة المخزوميون ، فطافوا بخيولهم على الخندق إصعاداً وانحداراً ، يطلبون موضعاً ضيقاً يعبرونه حتى وقفوا على أضيق موضع فيه من المكان المعروف بالمزار فاكرهوا خيولهم على العبور ، فعبرت و صاروا مع المسلمين على أرض واحدة و رسول الله ﷺ جالس و أصحابه قيام على راسه ، فتقدّم عمرو بن عبدود فدعا إلى البراز مراراً ، فلم يقم إليه أحد ، فلما أكثر قام على عليه السلام فقال : أنا ابارزه يا رسول الله ، فأمره بالجلوس ، و أعاد عمرو النداء والناس سكوت كأن على رؤسهم الطير ، فقال عمرو :

أيها الناس انكم تزعمون ان قتلاكم فى الجنة و قتلانا فى النار ، أفما يحبّ أحدكم أن يقدم على الجنة أو يقدّم عدواً له إلى النار ؟ ! فلم يقم إليه أحد، فقام على عليه السلام دفعة ثانية و قال : أنا له يارسول الله ، فأمره بالجلوس، فجال عمرو بفرسه مقبلاً ومدبراً و جائت عظماء الاحزاب ، فوقفت من وراء الخندق ومدّت أعناقها تنظر ، فلما رأى عمرو أن أحداً لا يجيبه قال :

و لقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
و وقفت إذ جبن المشجع موقف القرن المناجز
و كذاك انى لم أزل متسرّعاً قبل الهزاهز
ان الشجاعة فى الفتى والجود من خير الغرائز

فقام علىّ عليه السلام فقال : يا رسول الله ائذن لى فى مبارزته ، فقال : ادن فدنا فقلّده سيفه و عمّمه بعمامته ، و قال : امض لشأنك ، فلما انصرف قال : « اللهم أعنه عليه » فلما قرب منه قال له مجيباً اياه عن شعره :

لا تعجلنّ فقد أتـا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيـة و بصيـرة يرجو بذاك نجاة فائز
انى لـآمل ان اقيـم عليك نائحة الجنائز
مـن ضربـة فوهـاء يبقى ذكرها عندالهزائز

٣ ـ روى ابن الصباغ المالكى فى (الفصول المهمة ص ٤٢ ط الغـرى) بعد ما ذكر الحديث قال : و قال ﷺ له : أدن منّى يا علىّ فدنـا منه فنزع عمامته من رأسه ﷺ و عممه بها و أعطاه سيفه ، و قال : امض لشأنك ثم قال : اللهم قد خرج على عليه السلام و هو يقول الابيات .

٤ ـ روى الحلبى فى (السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ ط القاهرة) مالفظه: بعد ما شافهه على عليه السلام انك كنت تقـول : لا يدعونى أحد إلى واحدة من ثلاث الاّ قبلتها؟ قال: أجل ، فقال علىّ عليه السلام : فانى أدعوك أن تشهد ان لااله الاّ الله و ان محمداً رسول الله و تسلم لرب العالمين ، فقال : يا بن أخى أخّر عنى هـذه قال : و اخرى ترجع إلى بلادك فان يك محمد ﷺ صادقاً كنت اسعد الناس به ، و إن يك كاذباً كان الذى تـريـد قال : هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبداً كيف و قدرت على استيفاء ما نذرت أى فانه نذر لما أفلت هارباً يوم بدر ، وقد جرح أن لا يمسّ رأسه دهناً حتى يقتل محمداً قال : فالثالثة ماهى؟ قال: البراز فضحك عمرو وقال: ان هذه لخصلة ما كنت اظن ان أحداً من العرب يروعنى بها.

رواه زينى دحلان الشافعى فى (السيرةالنبوية) المطبوع بهامش (السيرة الحلبية ج ٢ ص ١١٠ ط القاهرة) .

٥ ـ روى البيهقى فى (السنن الكبرى ج٩ص١٣٢ط حيدرآباد) باسناده عن ابن اسحق قال : خرج ـ يعنى يوم الخندق ـ عمرو بن عبدود فنادى : من يبارز فقام علىّ رضى الله عنه و هو مقنّع فى الحديد ـ إلى أن قال ـ فقال لـه عمرو : من أنت ؟ فقال : أنا على قال : ابن عبد مناف ، فقال : أنا على بن أبيطالب،

فقال : غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فاني اكره أن اهريق دمك، فقال علي رضي الله عنه لكنني والله ما اكره أن اهريق دمك ، فغضب، فنزل و سل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي رضي الله عنه مغضباً واستقبله علي رضي الله عنه بدرقته ، فضربه عمرو في الدرقة فقدها و أثبت فيها السيف ، وأصاب رأسه ، فشجه و ضربه علي رضي الله عنه على حبل العاتق فسقط ، وثار العجاج و سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التكبير فعرف ان علياً رضي الله قد قتله .

رواه الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص١٠٢ ط تبريز) و زاد (ثم أقبل علي عليه السلام نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و وجهه يتهلل نوراً) .

واليعمري الاندلسي في (عيون الأثر ج ٢ ص ٦١ ط القدسي بالقاهرة) وزاد - بعد ما ذكره - و قال علي في ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه	و نصرت دين محمد بضراب
فصددت حين تركته متجدلاً	كالجذع بين دكادك و رواب
و عففت عن أثوابه و لو انني	كنت المقطر بزني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه	و نبيه يا معشر الاحزاب

٦ - روى ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة ص ٤٣ ط النجف) بعد ما ذكر الحديث زاد (فتصا و لا وتجا و لا ساعة و ضربه علي رضي الله عنه على عاتقه بالسيف و رمى جثته إلى الارض وتركه قتيلاً ثم ركب علي رضي الله عنه على فرسه و كر على ابنه حسل بن عمرو فقتله فخرجت خيولهم مهزمة ، و رمى عكرمة بن أبي جهل رمحه ، و فر منهزماً مع من انهزم من أصحابه فرجع علي بن ابيطالب رضي الله عنه و هو يقول :

أعلي تفتخر الفوارس هكذا	عني و عنهم سائلوا أصحابي
اليوم تمنعني الفرار حفيظتي	و مصمم في الرأس ليس بناب
أرديت عمراً إذ طغى بمهند	صافي الحديد مجرب قصاب

هذا ابن عبد الودّ كذب قوله وصدقت فاستمعوا إلى الكذّاب

٧ ـ روى الصفدى الشافعى فى (الغيث المسجم ج ٢ ص ١١٤) ما لفظه : و ضربته عمرو بن عبدود العامرى و كان جباراً عنيداً غليظاً عتلاً من الرجال ، فقطع علىّ فخذه من أصلها و نزل عمرو فأخذ فخذ نفسه ، فضرب بها علياً، فتوارى عنها فوقعت فى قوائم بعير فكسرتها .

٨ ـ روى البدخشى فى (مفتاح النجاة) ما لفظه : و أما يوم الخندق فانه كرم الله وجهه قتل يومئذ عمرو بن عبدود و كان عمرو من مشاهير الابطال و شجعان العرب و كانوا يعدلونه بألف رجل .

٩ ـ روى عبدالغفار الحنفى فى (أئمة الهدى ص ٣٨ ط القاهرة) مالفظه: قد جندل أى علىّ عمرو بن عبدود أشجع قريش و أشدهم فروسيّة ومبارزة على الاطلاق فى غزوة الاحزاب ، و قد أردف بابنه أيضاً فهزم الله بقية الاحزاب بعد مصرعهما بعاصفة عاتية .

١٠ ـ روى الحلبى فى (السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩) مالفظه : فى تفسير الفخر انه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى كرّم الله وجهه بعدقتله لعمرو بن عبدود : كيف وجدت نفسك معه يا على ؟ قال : وجدته لو كان أهل المدينة كلهم فى جانب و أنا فى جانب لقدرت عليهم .

رواه احمد زينى دحلان فى (السيرة النبوية) .

١١ ـ روى الحضرمى فى (زهر الآداب) المطبوع بهامش (عقد الفريد ج ١ ص ٥٠ ط الشرقية بمصر) ما لفظه : و لما قتل عمرو جائت اخته ، فقالت: من قتله ؟ فقيل : على بن ابيطالب ، فقالت : كفو كريم ثم انصرفت و هى تقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكى عليه آخر الأبد

لكنّ قاتله من لا يعاب به و كان يدعى قديماً بيضة البلد

من هاشم فى ذراها وهى صاعدة إلى السماء تميت الناس بالحسد

قوم أبى الله الا أن يكون لهم مكارم الدين والدنيا بلا أحد

١٢ ـ روى النسائى فى (الخصائص ص ٣٨ ط التقدم بمصر) باسناده عن على رضى الله عنه قال : لما رجعت إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لى : كلمة (ما احب ان لى بها الدنيا) .

١٣ ـ روى الحاكم الحسكانى الحنفى فى (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٥ ط بيروت) باسناده عن ابن عباس فى قوله : « و كفى الله المؤمنين القتال » قال : كفاهم الله القتال يوم الخندق بعلى بن أبى طالب حين قتل عمرو بن عبدود .

وفيه: باسناده عن حذيفة قال : لما كان يوم الخندق عبر عمروبن عبدود حتى جاء فوقع على عسكر النبى فنادى البراز : فقال رسول الله : أيكم يقوم إلى عمرو؟ فلم يقم أحد الا على بن أبيطالب فانه قام ، فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم : اجلس ثم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : أيكم يقوم إلى عمرو ؟ فلم يقم أحد فقام إليه على عليه السلام فقال: أنا له فقال النبى : اجلس ثم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه : أيكم يقوم إلى عمرو ؟ فلم يقم أحد فقال على عليه السلام فقال : أنا له ، فدعاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : انه عمرو بن عبدود قال : و أنا على بن أبى طالب ، فألبسه درعه ذات الفضول و أعطاه سيفه ذا الفقار و عمّمه بعمامته السحاب على رأسه تسعة أكوار ثم قال له : تقدم فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما ولّى :

اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه و عن يمينه و عن شماله ، ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه ، فجاء حتى وقف على عمرو فقال: من أنت؟ فقال عمرو : ما ظننت انى أقف موقفاً أجهل فيه ، أنا عمرو بن عبدود ، فمن أنت ؟ قال: أنا على بن أبى طالب فقال : الغلام الذى كنت أراك فى حجر أبى طالب ؟ قال : نعم ، قال: ان أباك كان لى صديقاً ، و أنا اكره أن اقتلك ، فقال له على : لكنى لا اكره ان اقتلك ، بلغنى انك تعلّقت بأستار الكعبة وعاهدت الله عزوجل أن لا يخيّرك رجل بين ثلاث خلال الاّ اخترت منها خلّة ؟ قال : صدقوا ، قال: إما أن ترجع

من حيث جئت قال : لا تحدث بها قريش ، قال : أو تدخل في ديننا فيكون لك مالنا ، و عليك ما علينا ؟ قال : و لا هذه فقال له علي :

فأنت فارس و أنا راجل فنزل عن فرسه و قال : ما لقيت من أحد ما لقيت من هذا الغلام ، ثم ضرب وجه فرسه فأدبرت ، ثم أقبل إلى علي و كان رجلاً طويلاً - يداوى دبر البعيرة و هو قائم - و كان علي في تراب دق ، و لا يثبت قدماه عليه ، فجعل علي ينكص إلى ورائه يطلب جلداً من الارض يثبت قدميه و يعلوه عمرو بالسيف فكان في درع عمر و قصر فلما تشاك بالضربة تلقاها علي بالترس فلحق ذباب السيف في رأس علي ، و تسيف علي رجليه بالسيف من أسفل ، فوقع على قفاه فثارت بينهما عجاجة فسمع علي يكبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قتله والذى نفسي بيده فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب فاذا علي عليه السلام يمسح سيفه بدرع عمرو فكبر عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتله .

فجز علي عليه السلام رأسه ثم أقبل يخطر في مشيته ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي ان هذه مشية يكرهها الله عزوجل الا في هذا الموضع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : ما منعك من سلبه ، و كان ذوسلب ؟ فقال : يا رسول الله انه تلقاني بعورته فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد لرجح عملك بعملهم و ذلك انه لم يبق بيت من بيوت المسلمين الا و قد دخله عز بقتل عمرو .

وفيه: باسناده عن علي عليه السلام قال: خرج عمرو بن عبدود يوم الخندق معلماً مع جماعة من قريش فأتوا نقرة من نقر الخندق فأقحموا خيلهم فعبروه و أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم و دعا عمرو البراز فنهضت إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي انه عمرو قلت : يا رسول الله و اني علي فخرجت إليه و دعوت بدعاء علمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : قل : بك أصول و بك أحول و إياك أدرء في نحره ، فنازلته وثار العجاج فضربني ضربة في رأسي فعملت - أى فأثرت ضربته على رأسي - فضربته

فجدلته و ولّت خيله منهزمة .

و غير ذلك مما ورد عن طريق العامة تركناه للاختصار . و نذكر قليلاً من الكثير الوارد عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية :

في البحار : روى أبوهلال العسكرى في كتاب الاوائل قال : أول من قال: « جعلت فداك » على عليه السلام لما دعا عمرو بن عبدود إلى البراز يوم الخندق و لم يجبه أحد قال على عليه السلام : جعلت فداك يا رسول الله أتأذن لى ؟ قال : انه عمرو بن عبدود قال : و أنا على بن أبي طالب ، فخرج إليه فقتله . و أخذ الناس منه و من غير كتاب الاوائل: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أذن لعلى عليه السلام في لقاء عمرو بن عبدود و خرج إليه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : برز الايمان كله إلى الكفر كله .

وفيه: و جاء في الحديث المرفوع ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك اليوم حين برز إليه : برز الايمان كله إلى الشرك كله .

وفي الحديث المرفوع : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما بارز علىّ عمرواً مازال رافعاً يديه مقمحاً راسه قبل السماء داعياً ربه قائلاً : اللهم انك أخذت منى عبيدة يوم بدر و حمزة يوم احد فاحفظ علىّ اليوم علياً « رب لا تذرنى فرداً و أنت خير الوارثين » .

و قال جابر بن عبدالله الانصارى : والله ما شبّهت يوم الاحزاب قتل علىّ عمرواً وتخاذل المشركين بعده الا بما قصّه تعالى قصة داود و جالوت في قوله : « فهزموهم باذن الله و قتل داود جالوت » .

وفيه: عن عمرو بن عبيد عن الحسن ان علياً عليه السلام لما قتل عمرواً جزّ رأسه و حمله فألقاه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام أبو بكر و عمر فقبّلا رأسه و وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يهلّل ، فقال : هذا النصر او قال : هذا أوّل النصر .

وفيه: وفي الحديث المرفوع : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يوم قتل عمرو : ذهب ريحهم و لا يغزوننا بعد اليوم و نحن نغزوهم إن شاء الله .

وفي الخصال: في خبر اليهودي الذي سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن خصال الاوصياء فقال عليه السلام فيما قال: و أما الخامسة يا أخا اليهود فان قريشاً والعرب تجمّعت و عقدت بينها عقداً و ميثاقاً لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و تقتلنا معه معاشر بني عبد المطلب، ثم أقبلت بحدّها و حديدها ـ أي بعدتها و سلاحها ـ حتى أناخت علينا بالمدينة واثقة بأنفسها فيما توجّهت له، فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنبأه بذلك، فخندق على نفسه و من معه من المهاجرين والانصار، فقدمت قريش فأقامت على الخندق محاصرة لنا، ترى في أنفسها القوة و فينا الضعف ترعد و تبرق و رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعوها إلى الله عزوجل، و يناشدها بالقرابة والرحم، فتأبى ولايزيدها ذلك إلاّ عتواً، وفارسها و فارس العرب يومئذ عمرو بن عبدود يهدر كالبعير المغتلم يدعو إلى البراز و يرتجز، و يخطر برمحه مرّة و بسيفه مرة ـ أي يهزهما معجباً بنفسه ـ لايقدم عليه مقدّم و لا يطمع فيه طامع لا حميّة تهيّجه و لا بصيرة تشجّعه، فانهضني إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و عمّمني بيده و أعطاني سيفه هذا ـ و ضرب بيده إلى ذي الفقار ـ فخرجت إليه و نساء أهل المدينة بواكي إشفاقاً عليّ من ابن عبدود، فقتله الله عزوجل بيدي والعرب لا تعد لها فارساً غيره، وضربني هذه الضربة، و أومأ بيده إلى هامته، فهزم الله قريشاً والعرب بذلك، و بما كان مني فيهم من النكاية، ثم إلتفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين.

و في البحار: و قد روى محمد بن عمر الواقدي قال: حدّثني عبد الله بن جعفر عن أبي عون عن الزهري قال: جاء عمرو بن عبدودّ، و عكرمة بن أبي جهل، و هبيرة بن أبي وهب، و نوفل بن عبدالله بن المغيرة، و ضرار بن الخطاب في يوم الاحزاب إلى الخندق، فجعلوا يطوفون به يطلبون مضيقاً منه، فيعبرون حتى انتهوا إلى مكان اكرهوا خيولهم فيه فعبرت و جعلوا يجيلون خيلهم فيما بين الخندق و سلع، والمسلمون وقوف لا يقدم منهم أحد عليهم،

و جعل عمرو بن عبدودّ يدعو إلى البراز و يعرّض للمسلمين ، و يقول :

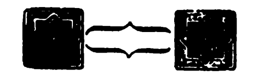
و لقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز

و فى كل ذلك يقوم علىّ بن أبيطالب عليه السلام من بينهم ليبارزه فيأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجلوس انتظاراً منه ليتحرّك غيره ، والمسلمون كأن على رؤسهم الطير لمكان عمرو بن عبدود والخوف منه ، و ممن معه و وراءه فلما طال نداء عمرو بالبراز وتتابع قيام أمير المؤمنين عليه السلام قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أدن منّى يا علىّ ، فدنا منه فنزع عمامته من رأسه و عمّمه بها و أعطاه سيفه ، وقال له : « امض لشأنك » ثم قال : « اللهم أعنه » فسعى نحو عمرو و معه جابر بن عبدالله الانصارى رحمه الله لينظر ما يكون منه و من عمرو .

فلما انتهى أمير المؤمنين عليه السلام إليه قال له : ياعمرو انك كنت فى الجاهلية تقول : لايدعونى أحد إلى ثلاث واللات والعزّى الاّ قبلتها أو واحدة منها؟ قال: أجل قال : فانى أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله و أن محمداً رسول الله ، و أن تسلم لرب العالمين، قال: يابن الأخ ! أخّر هذه عنى، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أما انها خير لك لو أخذتها، ثم قال: فههنا اخرى قال: وماهى؟ قال: ترجع من حيث جئت قال: لاتحدّث نساء قريش بهذا أبداً، قال: فههنا اخرى ، قال : وماهى؟ قال: تنزل فتقاتلنى ، فضحك عمرو و قال : إن هذه الخصلة ما كنت أظن ان أحداً من العرب يرومنى عليها ، انى لاكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك ، وقد كان أبوك لى نديماً .

قال على عليه السلام : لكنى احبّ أن أقتلك فأنزل إن شئت ، فأسف عمرو ونزل و ضرب وجه فرسه حتى رجع فقال جابر رحمه الله : فثارت بينهما قترة فما رأيتهما ، فسمعت التكبير تحتها فعلمت ان علياً قد قتله ، فانكشف أصحابه حتى طفرت خيولهم الخندق ، و تبادروا (تبادر ظ) أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم فوجدوا نوفل بن عبدالله فى جوف الخندق لم

ينهض به فرسه ، فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم : قتلة أجمل من هذه ينزل إليّ بعضكم اقاتله ، فنزل إليه أميرالمؤمنين عليه السلام فضربه حتى قتله ، ولحق هبيرة فأعجزه وضرب قربوس سرجه ، و سقطت درع كانت عليه ، و فرّ عكرمة ، وهرب ضرار بن الخطاب، فقال جابر: فما شبّهت قتل علي عليه السلام عمرواً الاّ بما قصّ الله من قصّة داود وجالوت حيث يقول جل شأنه: « فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت » .



﴿الامام على عليه السلام وذو الفقار﴾

فـي اصول الكافي : باسناده عن أحمد بن أبي عبدالله عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سئلته عن ذي الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أين هو ؟ قال : هبط به جبرئيل عليه السلام من السماء وكانت حليته من فضّة وهو عندي .

رواه الصدوق رضوان الله تعالى عليه في أماليه باسناده عن أحمد بن عبدالله الحديث و« فقال » بدل «قال» .

وفي روضة الكافي: باسناده عن صفوان بن يحيى قال : سئلت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن ذي الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : نزل به جبرئيل عليه السلام من السماء وكانت حلقته فضة .

قيل : وفي الرواية ومافي الرواية السابقة من قوله : « حليته » دلالة على جواز كون حلقة السيف من فضة. وان وصول السيف إلى على عليه السلام كان بأمر الله تعالى وتقديره لاتفاقهم على ان السيف كان لعاص بن منبه .

وفي معاني الاخبار : مرفوعاً عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : انما سمّي سيف أمير المؤمنين عليه السلام ذا الفقار لانه كان في وسطه خطة في طوله تشبه بفقار الظهر، فسمي ذا الفقار لذلك ، وكان سيفاً نزل به جبرئيل عليه السلام من السماء كانت حلقته فضة ، وهو الذي نادى به مناد من السماء : لاسيف الاّ ذو الفقار ولافتى إلاّ علي .

وفي العلل : عن الثمالي قال : سئلت أباجعفر عليه السلام فقلت : يابن رسول الله لم سمّي سيف أمير المؤمنين عليه السلام ذا الفقار ؟ فقال عليه السلام : لأنه ماضرب به أحد من

خلق الله إلاّ أفقره من هذه الدنيا من أهله وولده ، وأفقره فى الآخرة من الجنة .

وفى بصائر الدرجات : باسناده عن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال : قال : آتى أبى بسلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد دخل عمومتى من ذلك ، فقال : كلمة ، فقال صفوان: وذكرنا سيف رسول الله فقال : أتانى إسحق بن جعفر فعظّم علىّ وسئلنى له بالحق والحرمة : السيف الذى أخذه هو سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : فقلت : لا كيف يكون هذا ، وقد قال أبوجعفر عليه السلام مثل السلاح فينا مثل التابوت فى بنى اسرائيل حيث مادار دار الامر قال: فسئلته عن ذى الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: نزل به جبرئيل من السماء ، وكانت حليته فضة وهو عندى .

وفى البحار : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله تبارك و تعالى أعطانى ذا الفقار قال : يا محمد خذه وأعطه خير أهل الارض ، فقلت : من ذلك يارب ؟ فقال : خليفتى فى الارض على بن أبيطالب عليه السلام وأن ذا الفقار كان ينطق مع على عليه السلام ويحدّثه حتى انه همّ يوماً بكسره فقال : مه ياأمير المؤمنين انى مأمور وقد بقى فى أجل المشرك تأخيراً .

قال المجلسى رحمة الله تعالى عليه: انما يمكن أن يكون قد سقط بعد قوله : « همّ يوماً بكسره » وقد ضرب به مشركاً فلم يقتله .

وفى الخرائج : روى عن الصادق عليه السلام انه قال : لما قتل على عليه السلام عمرو بن عبدود اعطى سيفه الحسن عليه السلام وقال : قل لامك : تغسل هذا الصيقل ، فردّه وعلى عليه السلام عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم وفى وسطه نقطة لم تنق قال : أليس قد غسلته الزهراء ؟ قال: نعم قال: فماهذه النقطة؟ قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ياعلىّ سل ذا الفقار يخبرك، فهزّه وقال: أليس قد غسلتك الطاهرة من دم الرجس النجس ؟ فأنطق الله السيف فقال : بلى ولكنك ماقتلت بى أبغض إلى الملائكة من عمرو بن عبدود فأمرنى ربى فشربت هذه النقطة من دمه ، وهو حظّى منه ، فلا تنتضينى يوماً الاّ ورأته الملائكة وصلّت عليك .

قوله : « تنتضيني » من نضى السيف وانتضاه : سلّه .

و **في المناقب :** لابن شهر آشوب قدس سره عن ابن عباس في قوله تعالى: « وأنزلنا الحديد » قال : أنزل الله آدم من الجنة معه ذوالفقار ، خلق من ورق آس الجنة ثم قال: « فيه بأس شديد » فكان به يحارب آدم أعداءه من الجن والشياطين ، وكان عليه مكتوباً لايزال أنبيائي يحاربون به نبي وصديق بعد صديق حتى يرثه أمير المؤمنين عليه السلام فيحارب به عن النبي الامي : « ومنافع للناس » لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ « ان الله قوي عزيز » منيع من النقمة بالكفار بعلي بن أبي طالب عليه السلام .وقد روى كافة أصحابنا ان المراد بهذه الاية ذوالفقار انـزل به من السماء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأعطاه علياً ، وقيل : أمر جبرئيل عليه السلام أن يتخذ من صنم حديد في اليمن فذهب عليّ وكسره فاتخذ منه سيفان : مخذم وذوالفقار وطبعهما عمير الصيقل . و قيل : صار إليه يوم بدر أخذه من العاص بن منبّه السهمي وقد قتله . وقيل: كان من هدايا بلقيس إلى سليمان . وقيل : أخذه من منبّه بن الحجاج السهمي في غزاة بني المصطلق بعد أن قتله . وقيل:كان سعف نخل نفث فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصار سيفاً. وقيل:صار إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر فأعطاه علياً، ثم كان مع الحسن ثم مع الحسين إلى أن بلغ المهدى عجل الله فرجه سئل الصادق عليه السلام : لم سمي ذوالفقار؟ فقال: انما سمي ذوالفقار لانه ماضرب به أمير المؤمنين أحداً إلاّ افتقر في الدنيا من الحياة وفي الآخرة من الجنة.

وزعم الاصمعي انه كان فيه ثماني عشرة فقارة .

وفي تاريخ أبي يعقوب: كان طوله ـ ذي الفقار ـ سبعة أشبار وعرضه شبر، في وسطه كالفقار .

عن أبي عبدالله عليه السلام نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جبرئيل بين السماء والارض على كرسيّ من ذهب وهو يقول : لاسيف الاّ ذوالفقار ولافتى الاّ علي .

وفي الطرائف : ابن المغازلي باسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : ان المنادى نادى يوم احد :**لاسيف الاّ ذوالفقار ولافتى الاّ علي عليه السلام . وروى أيضاً**:ان المنادى

كان قد نادى بذلك يوم البدر . وروى أيضاً باسناده إلى محمدبن علي الباقر عليه السلام قال: نادى ملك من السماء يوم بدرويقال له رضوان : لاسيف إلا ذوالفقارولافتى الا علي .

وفيعيون الاخبار: مرفوعاً عن موسى بن جعفر عليه السلام فيما ناظر بهالرشيد في تفضيل العترة قال عليه السلام : ان العلماء قد أجمعوا على ان جبرئيل قال يوماحد : يا محمد ان هذه لهيالمواساة منعلي ، قال صلى الله عليه وآله وسلم :لانه مني وأنا منه ،قال جبرئيل عليه السلام : وأنا منكما يا رسول الله ، ثم قال : لاسيف إلا ذوالفقارولافتى إلا عليفكان كما مدح الله عزوجل به خليله عليه السلام إذ يقول : « فتى يذكرهم يقال له ابراهيم» انا معشر بني عمك نفتخر بقول جبرئيل عليه السلام انه منا .

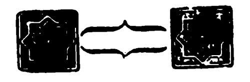
وفيمعاني الاخبار: باسناده عن أبان بن عثمان عن الصادق عن أبيه عن جده عليهم السلام قال : إن أعرابياً أتى رسول الله فخرج إليه في رداء ممشق ، فقال : يا محمد لقد خرجت إلي كأنك فتى ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : نعم ياأعرابي أنا الفتى ابن الفتى أخوالفتى ، فقال : يا محمد أما الفتى فنعم فكيف ابن الفتى و أخوالفتى ؟ فقال : أما سمعت الله عزوجل يقول : « قالوا سمعنا فتىيذكرهم له ابراهيم » الانبياء : ٦٠) فأنا ابن ابراهيم ، وأما أخوالفتى فان منادياً نادى من السماء (في السماءخ) يوم أحد : لاسيف الا ذوالفقارولافتى الا علي ، فعلي أخي وأنا أخوه .

وفيأمالي الصدوق: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عمروبن حبشي عنالحسين بن عليبن أبيطالب عليه السلام قال: ماقدمت راية قوتل تحتها أميرالمؤمنين عليه السلام الا نكسهاالله تبارك وتعاليوغلب أصحابها وانقلبوا صاغرين ، وما ضربأمير المؤمنين عليه السلام بسيفه ذي الفقارأحداً فنجي ، وكان اذا قاتل (قاتل قاتل)جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملك الموت بين يديه .

وفي اعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب قال : لما ذاعجزالعرب عن معارضة القرآن والوقوف فيوجه هذا التحدي للذي دعاهم إليه فيإصرار وقوة

وإثارة وسخرية ؟ لما ذا عجزوا وفى أيديهم كل مافى يده من أسلحة المعركة : . الحروف والكلمات والأساليب ؟ ؟

والجواب على هذا هو عين الجواب على سؤال كهذا : لما ذا كان على بن أبى طالب لايقف له فارس فى ميدان الحرب ، ولايصمد له بطل فى معركة ؟ والسيف الذى فى يده مما يباع ويشترى فى سوق الأسلحة ومعدات القتال ، و أمثاله كثير فى يد منازليه ومحاربيه ؟ ذلك ان السيف انما تختلف أفعاله باختلاف الايدى التى تحمله وتقاتل به ، فهو فى يد أشبه بالعصا وفى يد اخرى أشبه بالشعلة من النار ، وفى يد ثالثة أشبه بالقذيفة المدمرة أوالقدر الذى لايرد ! والشأن كذلك فى كل عمل يكون العنصر الانسانى قائماً عليه ومكيّفاً له ومؤثراً فيه .



﴿ في فضل ضربة الامام علي عليه السلام يوم الخندق ﴾

وقد أورد في المقام جماعة من أعلام العامة وحملة آثارهم روايات كثيرة بأسانيد عديدة في أسفارهم نشير إلى نبذة منها :

١ـ روى الحاكم النيشابوري في (المستدرك ج ٣ ص ٢٢ ط حيدرآباد الدكن) باسناده عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمبارزة علي بن أبي طالب عليه السلام لعمرو بن عبدود يوم الخندق أفضل من أعمال امتي إلى يوم القيامة .

رواه جماعة من أعلام العامة .

منهم: الحافظ الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ج ١٣ ص١٩ ط السعادة بمصر).

ومنهم : أخطب خوارزم في (مقتل الحسين ص ٤٥ ط الغري) .

ومنهم : الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٦٣ ط تبريز) .

ومنهم : الحمويني في (فرائد السمطين) الا انه ذكر (عمل امتي) بدل (أعمال امتي) .

٢ـ عضد الدين الايجي في (المواقف ص ٦١٧ ط اسلامبول) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاحزاب : لضربة علي خير من عبادة الثقلين .

رواه التفتازاني في (شرح المقاصد ج ٢ ص ٢٣٠ ط الآستانة)والدهلوي في (تجهيز الجيش ص ٤٠٧)

٣- الفخر الرازي في (نهاية العقول في دراية الاصول ص ١١٤) قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاحزاب : لضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين .

رواه بهجت افندى في (تاريخ آل محمد ص ٥٧)

٤- الكركي في (نفحات اللاهوت ص ٩١) يقول النبي صلى الله عليه وآله : ان ضربته (ضربة عليّ عليه السلام) تعدل عمل الثقلين إلى يوم القيامة .

٥ - القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٩٥ و١٣٧ ط اسلامبول) عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من أعمال امتي إلى يوم القيامة .

٦- روى الامرتسري في (أرجح المطالب ص ٤٨١ ط لاهور) عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمبارزة علي بن أبيطالب عليه السلام لعمرو بن عبدود يوم الخندق أفضل من عمل امتي إلى يوم القيامة .

رواه الديلمي في (فردوس الاخبار)

٧- ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٣٣٤ ط مصر) مالفظه: فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبدود فانها أجل من أن يقال: جليلة وأعظم من أن يقال : عظيمة ، وماهي الا كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد سئله سائل : أيما أعظم منزلة عندالله علـيّ أم أبو بكر ؟ فقال : يابن أخي ، والله لمبارزة عليّ عمراً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والانصار وطاعاتهم كلها ، وتربي عليها فضلاً عن أبي بكر وحده . وقد روى عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا بل ماهو ابلغ منه ، روى قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدي عن ربيعة بن مالك السعدي قال :أتيت حذيفة بن اليمان فقلت : يا أبا عبدالله ان الناس يتحدثون عن علي بن أبيطالب ومناقبه ، فيقول لهم أهل البصيرة : انكم لتفرطون في تقريظ هذا الرجل ، فهل أنت محدّثي بحديث عنه أذكره للناس ؟ فقال : ياربيعة وما الذى تسئلني عن عليّ ؟ وما الذى احدّثك عنه ؟!

والذى نفس حذيفة بيده لـو وضع جميع أعمال امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فـى كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا ، ووضع عمل واحد من أعمال علي في الكفة الاخرى لرجح على أعمالهم كلها ، فقال ربيعة : هذا المدح الذى لايقام له ولايقعد ولايحمل انى لأظنه إسرافاً يا أباعبدالله ! فقال حذيفة : يا لكع وكيف لايحمل! وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الهلع والجزع ، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه علـي فقتله ! والذى نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا اليوم ، وإلى أن تقوم القيامة .

وجاء في الحديث المرفوع : « ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك اليوم حين برز إليه : « برز الايمان كله إلى الشرك كله » وقال أبوبكر بن عيّاش : لقد ضرب علي بن أبي طالب عليه السلام ضربة ماكان في الاسلام أيمن منها ، ضربته عمراً يوم الخندق ، ولقد ضرب علي ضربة ماكان في الاسلام أشأم منها - يعني ضربة ابن ملجم لعنه الله.

وفيه: وفي الحديث المرفوع :ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم قتل عمرو :ذهبت ريحهم ، ولايغزوننا بعد اليوم ونحن نغزوهم إن شاء الله .

٨- روى الديلمي في (الفردوس) باسناده عن ابن عباس قال : لما قتل علي بن أبيطالب عليه السلام عمرو بن عبدود العامري ودخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيفه يقطر دماً فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : اللهـم أعـط علياً فضيلة لم تعطها أحداً قبله ، ولا تعطيها أحداً بعده فهبط جبرئيل عليه السلام ومعه الأترجة من اترج الجنة فقال له :ان الله عزوجل يقرؤك السلام ، و يقول : حيي بهذه علي بن أبيطالب فدفعها إليه فانفلقت في يده فلقتين فاذا فيها حريرة خضراء مكتـوب فيها سطران بخضرة تحفة من الطالب الغالب إلى علي بن أبيطالب و يقال:كان ذلك لما قتل عمرواً .

رواه الذهبى في (ميزان الاعتدال ج ١ ص ٧٦ ط القاهرة) والقندوزى

في (ينابيع المودة ص ٩٥ ط اسلامبول)

٩- روى البيهقي في (المحاسن والمساوى ص ٤٢ ط بيروت) باسناده عن أبي مالك الاشجعي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : هبط علي جبرئيل عليه السلام يوم حنين فقال : يامحمد ان ربك تبارك وتعالى يقرءك السلام ، وقال : ادفع هذه الاترجة إلى ابن عمك ووصيك علي بن أبي طالب عليه السلام فدفعتها إليه فوضعتها في كفه ، فانفلقت بنصفين ، فخرج منها رق أبيض مكتوب فيه بالنور من الطالب الغالب إلى علي بن أبي طالب .

١٠- روى الحافظ أبو بكر البغدادي في (تاريخ بغداد ج ٤ ص ٢٧٨ ط السعادة بمصر) باسناده عن أبي سعيد: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لما اسرى بي دخلت الجنة فناولني جبرئيل تفاحة فانفلقت بنصفين ، فخرجت منها حوراء فقلت لها: لمن أنت ؟ فقال لعلي .

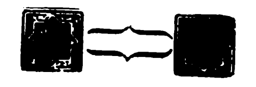
رواه الذهبي في (ميزان الاعتدال ج ١ ص ٦٠ ط القاهرة) و ابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان ج ١ ص ٢٤٣ ط حيدر آباد الدكن) وغيرهم .

وفي شرح التجريد : قال العلامة قال حذيفة : لما دعا عمرو إلى المبارزة أحجم المسلمون كافة ماخلا علياً ، فانه برز إليه فقتله الله على يديه ، والذى نفس حذيفة بيده لعمله في ذلك اليوم اعظم أجراً من عمل أصحاب محمد إلى يوم القيامة، وكان الفتح في ذلك اليوم على يد علي عليه السلام و قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لضربة علي خير من عبادة الثقلين » وذكره القوشجي أيضاً في شرحه بعينه .

وفي المجمع : عن محمد بن اسحق فجز علي عليه السلام رأسه وأقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجهه يتهلل قال حذيفة : فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أبشر ياعلي فلو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لرجح عملك بعملهم ، وذلك انه لم يبق بيت من بيوت المشركين الا وقد دخله وهن بقتل عمرو ولم يبق بيت من بيوت المسلمين

الأ وقد دخله عزّ بقتل عمرو .

وفي البحار : قال : قال : ولايخفى على أحد أن من كان عمل من أعماله معادلاً لأعمال الثقلين إلى يوم القيامة ، وبضربة منه تشيّد أركان الدين لا ينبغى أن يكون رعيّة لمن امتنّ عليه ضرار فأعتقه وأمثاله من المنافقين .



حكم سعد بن معاذ يوم الخندق و غزوة بني قريظة

في **السيرة النبوية** لابن هشام ـ على طريق الاختصار منا ـ : ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة و المسلمون و وضعا السلاح وكان دخول الرسول ﷺ المدينة يوم الاربعاء يوم منصرفه من الخندق لسبع بقين من ذى القعدة . فلما كانت الظهر أتى جبرئيل رسول الله ﷺ كما حدّثني الزهرى معتجراً بعمامة ـ أى لايلقى شيئاً تحت لحيته ـ من إستبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم فقال جبرئيل : فماوضعت الملائكة السلاح بعد، و مارجعت الآن الآمن طلب القوم ، ان الله عزوجل يأمرك يامحمد بالمسير إلى بني قريظة فاني عامد إليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله ﷺ مؤذّناً فأذن في الناس : من كان سامعاً مطيعاً فلايصلين ّالعصر الآ ببني قريظة ، و استعمل على المدينة ابن ام مكتوم .

و قدّم رسول الله ﷺ على بن ابيطالب برايته إلى بني قريظة وابتدرها الناس ، فسار على بن أبيطالب حتى دنامن الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقى رسول الله ﷺ بالطريق فقال : يا رسول الله لاعليك أن لاتدنوا من هؤلاء الأخابث قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم يا رسول الله قال : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئاً ، فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال : يا إخوان القردة هل أخزا كم الله و أنزل بكم نقمته ؟ قالوا :

يا أبا القاسم ما كنت جهولاً . و مر ّ رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصورين ـ موضع قرب المدينة ـ قبل أن يصل إلى بنى قريظة ، فقال : هل مر ّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله ﷺ قدمر ّ بنا دحية بن خليفة الكلبى على بغلة بيضاء عليها رحالة ، عليها قطيفة ديباج ، فقال رسول الله ﷺ : ذالك جبرئيل بعث إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم و يقذف الرعب فى قلوبهم .

و لما أتى رسول الله ﷺ بنى قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم يقال لها : بئر أنا ، وتلاحق به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة و لم يصلّوا العصر لقول رسول الله ﷺ : لايصلين أحد العصر الا ّ ببنى قريظة فشغلهم ما لم يكن لهم منه بد ّ فى حربهم ، و أبوا أن يصلّوا لقول رسول الله ﷺ : حتى تأتوا بنى قريظة فصلّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فماعابهم الله بذلك فى كتابه ، و لاعنّفهم به رسول الله ﷺ ، وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب . وقد كان حيى ّ بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا بان رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم .

قال كعب ابن أسد لهم : يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون ، و انى عارض عليكم خلالاً ثلاثاً ، فخذوا أيها شئتم قالوا : و ما هى ؟ قال : نتابع هذا الرجل و نصد ّقه ، فوالله لقد تبيّن لكم انه لنبى ّ مرسل ، وانه للذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبناءكم و نساءكم ، قالوا : لانفارق حكم التوراة أبداً ، ولانستبدل به غيره ، قال : فاذا أبيتم على ّ هذه فهلم ّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فان نهلك نهلك و لم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، و إن نظهر فلعمرى لنجدن ّ (لنجدن خ) النساء و الابناء

قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فان أبيتم على هذه ، فان الليلة ليلة السبت ، و انه عسى أن يكون محمد و أصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلّنا نصيب من محمد و أصحابه غرّة فالوا :

نفسد سبتنا علينا، ونحدث فيه مالم يحدث من كان قبلنا الاّ من قد علمت، فأصابه مالم يخف عليك من المسخ ! قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازماً .

ـ ثم ذكر قصة أبى لبابة و توبته ـ ثم ان ثعلبة بن سعية و اسيد بن سعية و أسد بن عبيد ، و هم نفر من بنى هدل ، ليسوا من بنى قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم عمّ القوم ، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ و خرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى ، فمرّ بحرس رسول الله ﷺ و عليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى ـ و كان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله ﷺ و قال : لا اغدر بمحمد أبداً ـ فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام ثم خلّى سبيله ، فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الارض إلى يومه هذا ، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه ، فقال: ذاك رجل نجّاه الله بوفائه .

و بعض الناس يزعم انه كان أوثق برمّة ـ اى الحبل البالى ـ فيمن اوثق من بنى قريظة ، حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأصبحت رمّته ملقاة ، و لايدرى أين ذهب، فقال رسول الله ﷺ فيه : تلك المقالة ، والله أعلم أى ذلك كان.

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الأوس فقالوا : يارسول الله انهم كانوا موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت ـ و قد كان رسول الله ﷺ قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع ،

وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسئله إياهم عبدالله بن ابى بن سلول ، فوهبهم له ـ فلما كلمته الاوس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يامعشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى قال رسول الله ﷺ :

فذاك إلى سعد بن معاذ ، و كان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها : رفيدة في مسجده ـ و قيل : إنها أنصارية ـ كانت تداوي الجرحى و تحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، و كان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : إجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب ، فلما حكّمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه ، فحملوه على حمار قد وطّئوا له بوسادة من أدم ، و كان رجلاً جسيماً جميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ و هم يقولون : يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله ﷺ انما ولاّك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد أنى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته التي سمع منه ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال رسول الله ﷺ :

قوموا إلى سيّدكم ـ فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : انما أراد رسول الله ﷺ الانصار و أما الانصار فيقولون : قد عمّ بها رسول الله ﷺ ـ فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمر و ان رسول الله ﷺ قد ولاّك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله و ميثاقه ، ان الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم قال : وعلى من ههنا ؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ و هو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له ، فقال رسول الله ﷺ : نعم قال سعد : فاني احكم فيهم أن تقتل الرجال و تقسّم الاموال وتسبى الذرارى والنساء .

قال رسول الله ﷺ لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ـ ان علي بن أبي طالب صاح و هم محاصر و بني قريظة : يا كتيبة الايمان ، و تقدّم هو والزبير بن العوّام ، و قال : والله لأذوقنّ ما ذاق حمزة أو لأفتحنّ حصنهم ، فقالوا : يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ . ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث إمرأة من بني النجار ـ و إسمها : كيسة بنت الحارث بن كريز وكانت تحت مسليمة الكذاب ثم خلف عليها عبدالله بن عامر بن كَريز وقيل : هي رملة بنت الحارث بن ثعلبة زوجة معاذ بن الحارث ابن رفاعة ـ ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، يخرج بهم إليه أرسالاً ـ أي طائفة بعد طائفة ـ و فيهم عدوّ الله حييّ ابن أخطب و كعب بن أسد رأس القوم ، و هم ست مأة أو سبعمأة والمكثّر لهم يقول :

كانوا بين الثمان مأة والتسع مأة ، و قد قالوا لكعب بن أسد و هم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفي كلّ موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعي لا ينزع ، و انه من ذهب به منكم لايرجع ؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ واتى بحيى بن أخطب عدوالله وعليه حلّة له فقّاحية ـ ضرب من الوشي تضرب إلى الحمرة ـ قد شقّها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله مالمت نفسي في عدواتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب و قدر و ملحمة كتبها الله على بني اسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه .

و عن عائشة انها قالت: لم يقتل من نساءهم الاّ امرأة واحدة ، قالت: والله انها لعندي تحدّث معي وتضحك ظهراً و بطناً ، و رسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ، قالت : قلت لها:

ويلك ! مالك ؟ قالت : أقتل، قلت : و لم ؟ قالت : لحدث أحدثته ، قالت : فانطلق بها فضربت عنقها ، فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجبا منها ، طيب نفسها ، و كثرة ضحكها ، و قد عرفت أنها تقتل .

قال ابن هشام :و هي التي طرحت الرحا على خلاّد بن سويد ، فقتلته . و قال أبوذر : هي إمرأة الحسن القرظي .

و عن عطيّة القرظي قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أنبت منهم و كنت غلاماً ، فوجدوني لم أنبت فخلّوا سبيلي . ثم ان رسول الله ﷺ قسّم أموال بني قريظة و نساءهم و أبناءهم على المسلمين ، و أعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل و سهمان الرجال ، و أخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل من ليس له فرس سهم ، و كانت الخيل يوم بني قريظة ستة و ثلاثين فرساً و كان أول فيء وقعت فيه السهمان ، و اخرج منها الخمس فعلى سنتها و ما مضى رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم و مضت السنة في المغازي .

ثم بعث رسول الله ﷺ سعدبن زيد الانصاري أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قرظي إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلاً و سلاحاً . و كان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نساءهم ريحانة بنت عمروبن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها و هي في ملكه ، و قد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ، و يضرب عليها الحجاب ، فقالت : يارسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخفّ عليّ و عليك ، فتركها ، و قد كانت حين سباها قد تعصّت بالاسلام و أبت إلاّ اليهودية ، فعزلها رسول الله ﷺ و وجد في نفسه لذلك من أمرها، فبينا هو مع أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه ، فقال : ان هذا لثعلبة بن سعية يبشّرني باسلام ريحانة ، فجاءه ، فقال : يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسرّه ذلك من أمرها .

ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق الا ستة نفر، وقتل من المشركين ثلاثة نفر . و استشهد يوم بني قريظة من المسلمين خلادبن سويدبن ثعلبة طرحت عليه رحى فشد خته شدخاً شديداً .

و في **تفسير القمي** : قال: ونزل في بني قريظة : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ـ إلى قوله ـ و كان الله على كل شيء قديراً » .

قال : و لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة واللواء معقود أراد أن يغتسل من الغبار فناداه جبرائيل: عذيرك من محارب ، والله ما وضعت الملائكة لأمتها ، فكيف تضع لامتك؟ ان الله يأمرك أن لاتصلّي العصر الا ببني قريظة فاني متقدّمك و مزلزل بهم حصنهم انا كنا في آثار القوم نزجرهم زجراً حتى بلغوا حمراء الأسد ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستقبله حارثة بن نعمان فقال له : ما الخبر يا حارثة ؟ فقال : بأبي أنت و امي يا رسول الله هذا دحية الكلبي ينادي في الناس : ألا لايصلّين العصر أحد الا في بني قريظة فقال : ذاك جبرئيل ادعوا علياً، فجاء علي عليه السلام فقال له : « ناد في الناس أن لا يصلّين أحد العصر الا في بني قريظة » فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فنادى فيهم ، فخرج الناس فبادروا إلى بني قريظة ، و خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و علي عليه السلام بين يديه مع الراية العظمى .

و كان حييّ بن أخطب لما انهزمت قريش جاء فدخل حصن بني قريظة فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فأحاط بحصنهم ، فأشرف عليهم كعب بن أسد من الحصن يشتمهم و يشتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حمار فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال : بأبي أنت و امي يا رسول الله لا تدنو من الحصن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي لعلهم يشتموني ، انهم لو رأوني لأذلهم الله ، ثم دنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حصنهم ، فقال : « يا أخوالقردة والخنازير و عبدة الطاغوت أتشتموني إنا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحهم » فأشرف عليهم كعب ابن أسد من الحصن ، فقال : والله يا أبا القاسم ما كنت جهولاً فاستحيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى سقط الرداء

من ظهره حياء مما قاله ، و كان حول الحصن نخل كثير ، فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده فتباعد عنه و تفرّق في المفازة ، و أنزل رسول الله ﷺ العسكر حول حصنهم فحاصرهم (فحاصروهم خ) ثلاثة أيام ، فلم يطلع أحد منهم رأسه.

فلما كان بعد ثلاثة أيام نزل إليه غزال بن شمول فقال : يا رسول الله تعطينا ما أعطيت إخواننا من بني النضير: احقن دماءنا و نخلّي لك البلاد و ما فيها و لا نكتمك شيئاً ؟ فقال : لا أو تنزلون على حكمي ، فرجع و بقوا أياماً فبكى النساء و الصبيان إليهم ، و جزعوا جزعاً شديداً ، فلما اشتدّ عليهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ بالرجال فكتفوا و كانوا سبعمأة و أمر بالنساء فعزلوا (فعزلن خ) و قامت الاوس إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله حلفاؤنا و موالينا من دون الناس نصرونا على الخزرج في المواطن كلها ، وقد وهبت لعبدالله بن ابي سبعمأة درّاع وثلاثمأة حاسر في صبيحة واحدة، وليس نحن بأقلّ من عبدالله بن ابي ، فلما أكثروا على رسول الله ﷺ قال لهم: أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم ؟ فقالوا : بلى فمن هو ؟ قال : سعد بن معاذ .

قالوا : قد رضينا بحكمه فأتوا به في محفّة ـ و هي سرير يحمل عليه المريض أو المسافر ـ و اجتمعت الاوس حوله يقولون له : يا أبا عمرو اتق الله و أحسن في حلفائك ومواليك ، فقد نصرونا ببغاث (ببعاث خ) والحدائق والمواطن كلها ، فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، فقال الاوس : و اقوماه ذهب و الله بنو قريظة آخر الدهر، و بكت النساء و الصبيان إلى سعد ، فلما سكتوا قال لهم سعد : يا معشر اليهود أرضيتم بحكمي فيكم ؟ قالوا : بلى قد رضينا بحكمك و الله قد رجونا نصفك و معروفك و حسن نظرك فأعاد عليهم القول ، فقالوا : بلى يا أبا عمرو فالتفت إلى رسول الله ﷺ إجلالاً له فقال : ما ترى بأبي أنت و امي يا رسول الله ؟ فقال : احكم فيهم يا سعد فقد

رضيت بحكمك فيهم ، فقال : قد حكمت يا رسول الله أن تقتل رجالهم و تسبى نساءهم و ذراريهم و تقسّم غنائمهم و أموالهم بين المهاجرين و الانصار فقام رسول الله ﷺ فقال :

قد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ـ أى السماء ـ ثم الفجر جرح سعد بن معاذ فما زال ينزفه الدم حتى مضى (قضى خ) رحمه الله وساقوا الاسارى إلى المدينة ، وأمر رسول الله ﷺ باخدود ، فحفرت بالبقيع ، فلما أمسى أمر باخراج رجل رجل ، وكان يضرب عنقه ، فقال حيىّ بن أخطب لكعب بن أسد : ما ترى يصنع بهم ؟ فقال له : ما يسوءك أما ترى الداعى لايقلع ، والذى يذهب لايرجع ؟ فعليكم بالصبر و الثبات على دينكم ، فأخرج كعب بن أسد مجموعة يديه إلى عنقه وكان جميلاً و سيماً ، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال له :

يا كعب أما نفعك وصيّة ابن الحواس الحبر الذكى الذى قدم عليكم من الشام ؟ فقال : « تركت الخمر و الخنزير » وجئت إلى البؤس و التمور لنبىّ يبعث مخرجه بمكة ومهاجره فى هذه البحيرة يجتزىء بالكسيرات والتميرات ويركب الحمار العرى فى عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة يضع سيفه على عاتقه لايبالى من لاقى منكم ، يبلغ سلطانه ، منقطع الخف و الحافر. فقال : قد كان ذلك يا محمد ، و لولا أن اليهود يعيرونى أنى جزعت عند القتل لآمنت بك وصدّقتك ، ولكنى على دين اليهود عليه أحيى وعليه أموت ، فقال : رسول الله ﷺ قدّموه و اضربوا عنقه فضربت ، ثم قدّم حيىّ بن أخطب ، فقال رسول الله ﷺ يا فاسق كيف رأيت الله صنع بك ؟ فقال : والله يا محمد ما ألوم نفسى فى عداوتك ، و لقد قلقت كل مقلقل ، و جهدت كل الجهد ، ولكن من يخذل الله يخذل ثم قال حين قدّم للقتل .

لعمرى ما لام ابن أخطب نفسه و لكنه من يخذل الله يخذل

فقدّم وضرب عنقه ، فقتلهم رسول الله ﷺ فى البردين : بالغداة والعشىّ

فى ثلاثة أيام وكان يقول: « اسقوهم العذب وأطعموهم الطيب وأحسنوا إسارهم » حتى قتلهم كلهم و أنزل الله على رسوله فيهم : « و أنـزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم » أى من حصونهم « و قذف فى قلوبهم الرعب ـ إلى ـ و كان الله على كل شىء قديراً » .

و فى قرب الاسناد : عن أبى البخترى عن جعفر عن أبيه عن على عليه السلام انه قال : الحرب خدعة اذا حدّثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً ، فوالله لئن أخرّ من السماء أو يخطفنى الطير أحب إلىّ من أن اكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واذا حدّثتكم عنى فانما الحرب خدعة ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلغه أن بنى قريظة بعثوا إلى أبى سفيان انكم اذا التقيتم أنتم و محمداً أمددناكم و أعنّاكم ، فقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم فخطبنا فقال: ان التقينا نحن و أبوسفيان أمددونا و أعانونا ، فبلغ ذلك أباسفيان فقال : غدرت يهود فارتحل عنهم .

وفيه: عن أبى البخترى أيضاً عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث علياً عليه السلام يوم بنى قريظة بالراية ، و كانت سوداء تدعى العقاب ، و كان لواؤه أبيض .

قوله عليه السلام : « بالراية » أى العلم الكبير . واللواء أصغر منها .

و فى كمال الدين : باسناده عن ابن عباس قال : لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكعب بن أسد ليضرب عنقه و أخرج و ذلك فى غزوة بنى قريظة نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له : يا كعب اما نفعك وصيّة ابن حواش الحبر الذى أقبل من الشام فقال : « تركت الخمر والخمير و جئت إلى البؤس والتمور لنبىّ يبعث هذا أوان خروجه يكون مخرجه بمكة و هذه دار هجرته وهو الضحوك القتّال يجتزىء بالكسرة والتميرات ويركب الحمار العارى فى عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة يضع سيفه على عاتقه لا يبالى بمن لاقى يبلغ سلطانه ، منقطع الخف والحافر » .

قال كعب : قد كان ذلك يا محمد ، و لولا أن اليهود تعيّرني أني خشيت عند القتل لآمنت بك و صدّقتك ولكني على دين اليهودية عليه أحيى و عليه أموت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قدّموه فاضربوا عنقه ، فقدّم و ضربت عنقه .

و في البحار : و لما انهزم الاحزاب و ولّوا عن المسلمين الدبر عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قصد بني قريظة ، و أنفذ أمير المؤمنين عليه السلام إليهم في ثلاثين من الخزرج ، وقال له : انظر بني قريظة هل نزلوا حصونهم ، فلمّا شارف سورهم سمع منهم الهجر فرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فقال : دعهم فان الله سيمكّن منهم ، ان الذي أمكنك من عمرو بن عبدودّ لايخذلك، فقف حتى يجتمع الناس إليك و أبشر بنصر من عندالله ، فان الله تعالى قد نصرني بالرعب من بين يدى مسيرة شهر ، قال علي عليه السلام فاجتمع الناس إليّ و سرت حتى دنوت من سورهم فأشرفوا عليّ ، فلما رأوني صاح صائح منهم : قدجاءكم قاتل عمرو ، وقال آخر (آخرون خ) : قد أقبل إليكم قاتل عمرو و جعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك ، و ألقى الله في قلوبهم الرعب و سمعت راجزاً يرتجز :

قتل عليّ عمرواً صاد عليّ صقراً

قصم عليّ ظهراً أبرم عليّ أمراً

هتك عليّ ستراً

فقلت : الحمد لله الذي أظهر الاسلام و قمع الشرك ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لي حين توجّهت إلى بني قريظة : « سر على بركة الله تعالى فان الله قدوعدكم أرضهم و ديارهم » فسرت متيقّناً لنصرالله عزوجل حتى ركزت الراية في أصل الحصن فاستقبلوني في صياصيهم يسبّون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا سمعت سبّهم له كرهت أن يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك فعملت على الرجوع إليه ، فاذاً به صلى الله عليه وآله وسلم قد طلع و سمع سبّهم له فناداهم : « يا اخوة القردة والخنازير انا اذا حللنا (نزلنا خ) بساحة قوم فساء صباح المنذرين » فقالوا له : يا أبا القاسم ما كنت

جهولاً ولا سبّاباً ، فاستحيى رسول الله ﷺ و رجع القهقرى قليلاً ثم امرت ، فضربت خيمته بازاء حصونهم ، فأقام النبى ﷺ حاصراً لبنى قريظة خمساً و عشرين ليلة حتى سئلوه النزول على حكم سعد بن معاذ ، فحكم سعد بقتل الرجال و سبى الذرارى و النساء و قسمة الاموال فقال النبى ﷺ : « يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » .

وأمر النبى ﷺ بانزال الرجال منهم وكانوا تسعمأة رجل ، فجيء بهم إلى المدينة ، وقسّم الاموال واسترقّ الذرارى والنسوان ، ولمّا جيىء بالاسارى إلى المدينة حبسوا فى دارمن دوربنى النجار، وخرج رسول الله ﷺ إلى موضع السوق اليوم فخندق فيه خنادق ، وحضر أمير المؤمنين عليه السلام ومعه المسلمون وأمربهم أن يخرجوا ، وتقدّم إلى امير المؤمنين عليه السلام أن يضرب أعناقهم فى الخندق ، فأخرجوا إدسالاً ، وفيهم حيىّ بن أخطب و كعب بن أسد ، وهمااذذاك رئيسا القوم فقالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ : يا كعب ماتراه يصنع بنا ؟

فقال : فى كل موطن لاتعقلون ؟ ألاترون الداعى لاينزع ، ومن ذهب منكم لايرجع ؟ هووالله القتل ، وجيىء بحيىّ بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله مالمت نفسى على عداوتك ، ولكن من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس انه لابد من أمر الله ، كتاب وقدروملحمة كتبت على بنى اسرائيل ، ثم اقيم بين يدى أمير المؤمنين عليه السلام وهويقول : قتلة شريفة بيد شريف ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ان خيار الناس يقتلون شرارهم ، وشرارهم يقتلون خيارهم ، فالويل لمن قتله الاخيار الاشراف ، والسعادة لمن قتله الأراذل الكفار، فقال : صدقت لاتسلبنى حلّتى، فقال :هى أهون علىّ من ذاك ،فقال:سترتنى سترك الله ومدّ عنقه فضربها على عليه السلام ولم يسلبه من بينهم ، ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام لمن جاء به : ماكان يقول حيىّ وهو

قاد إلى الموت ؟ قال :كان يقول :

لعمرك مالام ابن أخطب نفسه　　و لكنه من يخذل الله يخذل
فجاهد حتى بلّغ النفس جهدها　　وحاول يبقى العز كل مقلقل

فقال أمير المؤمنين عليّ عليه الصلاة والسلام :

لقد كان ذاجدّ وجدّ بكفره　　فقيد إلينا فى المجامع يعتل
فقلّدته بالسيف ضربة محفظ　　فصار إلى قعر الجحيم يكبّل
فذاك مآب الكافرين ومن يطع　　لأمر إله الخلق فى الخلد ينزل

واصطفى رسول الله ﷺ من نساء هم بنت عمرة خناقة ، وقتل من نساءهم مرأة واحدة كانت أرسلت عليه حجراً ، وقد جاء النبى ﷺ باليهود يناظرهم بل مباينتهم له فسلّمه الله تعالى من ذلك الحجر، وكان الظفر ببنى قريظة و فتح الله على النبى ﷺ بأمير المؤمنين عليه السلام وماكان من قتله من قتل منهم ، وما ألقاه الله عزوجل فى قلوبهم من الرعب فيه ، وما ثلث هذه الفضيلة ما تقدّمها من فضائله ، وشابهت هذه المنقبة ما سلف ذكره من مناقبه .

وفى تفسير فرات الكوفى : عن محمد بن القرظى قال : لما رجع رسول الله ﷺ من الاحزاب قال له جبرئيل : عفى الله عنك وضعت السلاح ؟ ما زلت بمن معى من الملائكة نسوق المشركين حتى نزلنا بهم حمراء الأسد ، أخرج وقد أمرت بقتالهم ، وانى غاد بمن معى فنزلزل بهم حصونهم حتى تلحقونا، فاعطى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام الراية و خرج فى أثر جبرئيل عليه السلام وتخلّف النبى ﷺ ثم لحقهم ، فجعل كلما مرّ رسول الله ﷺ بأحد فقال : مرّ بكم الفارس ؟ فقالوا : مرّ بنا دحية بن خليفة وكان جبرئيل يشبه به ، قال : فخرج يومئذ على فرس و كف بقطيفة ارجوان أحمر، فلما نزلت بهم جنود الله نادى مناديهم :

يا أبالبابة بن عبدالمنذر مالك ؟ قال النبى ﷺ : هذا يدعون فأتهم وقل:

معروفاً فلما اطلع عليهم انتحبوا فى وجهه يبكون ، وقالوا : يا أبالبابة لاطاقة لنا اليوم بقتال من وراءك .

وفى رواية: ان مما صادره رسول الله منهم ١٥٠٠سيف و٣٠٠درع و٢٠٠٠ رمح و١٥٠٠ترس وجحفة وخمرعدا كثيرمن الجمال النواضح والماشية ، وكان عدد الذين قتلوا بين ٦٠٠ و٧٠٠ واستثنى من القتل من لم ينبت شاربه و أسروا مع النساء والاطفال الذين ارسلوا إلى نجد حيث بيعوا و اشترى بثمنهم خيل وسلاح .

ولايخفى على القارىء الخبير المتدبر ان الموقف الذى وقفه بنوقريظة فى غدرهم وخيانتهم ثم فى مظاهرتهم للأحزاب الشيطانية كان عدوانياً باغياً ، وكان فى ظرف تعرض فيه المسلمون والاسلام للاستئصال والابادة فلاجرم أن يكون عقابهم متناسباً مع ذلك ، ولاسيما انهم لم يعتبروا باجلاء بنى قينقاع وبنى النضير من قبلهم .

وفى المجمع : روى الزهرى عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبيه قال : لما انصرف النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع المسلمين عن الخندق ، و وضع عنه اللأمة ـ أى الدرع أوالسلاح ـ واغتسل واستحم تبدّى له جبرائيل عليه السلام فقال : عذيرك من محارب ألاأراك قد وضعت عنك اللأمة وما وضعناها بعد ، فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزعاً ، فعزم على الناس أن لايصلّوا صلاة العصر حتى يأتوا قريظة، فلبس الناس السلاح ، فلم يأتوا بنوقريظة حتى غربت الشمس ، و اختصم الناس، فقال بعضهم : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عزم علينا أن لانصلّى حتى نأتى قريظة ،فانما نحن فى عزمة رسول الله فليس علينا إثم ، وصلّى طائفة من الناس احتساباً و تركة طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس ، فصلّوها حين جاؤا بنى قريظة احتساباً فلم يعنف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واحداً من الفريقين .

وذكر عروة : انه بعث على بن أبى طالب عليه السلام على المقدم ودفع إليه اللواء

وأمره أن ينطلق حتى يقف بهم على حصن بنى قريظة ففعل وخرج رسول الله ﷺ على آثارهم ، فمرّ على مجلس من الانصار فى بنى غنم ينتظرون رسول الله ﷺ فزعموا انه قال : مرّ بكم الفارس آنفاً فقالوا : مرّ بنا دحية الكلبى على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج ، فقال رسول الله ﷺ : ليس ذلك بدحية ولكنه جبرائيل عليه السلام أرسل إلى بنى قريظة ليزلزلهم ويقذف فى قلوبهم الرعب قالوا : وسار على عليه السلام حتى اذادنا من الحصن سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقى رسول الله ﷺ بالطريق فقال : يارسول الله لاعليك أن لاتدنو من هؤلاء الأخابث قال : اظنك سمعت لى منهم أذى فقال :

نعم يا رسول الله فقال : لوقدرأونى لم يقولوا من ذلك شيئاً فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال : يا اخوة القردة والخنازير هل أخزاكم الله و أنزل بكم نقمته فقالوا : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، و قذف الله فى قلوبهم الرعب وكان حيى بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت قريش و غطفان ، فلما أيقنوا ان رسول الله ﷺ غيرمنصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشريهود قد نزل بكم من الامر ماترون (ماترون خ) وانى عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيّها شئتم قالوا : ماهن ؟ قال نبايع هذا الرجل ونصدّقه ، فوالله لقد تبيّن لكم انه نبى مرسل و انه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنوا على دمائكم وأموالكم ونسائكم فقالوا : لانفارق حكم التوراة أبداً ولانستبدل بهغيره قال : فاذا أبيتم على هذا فهلمّوا فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد رجالاً مصلتين بالسيوف ، ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمّنا حتى يحكم الله بينناوبين محمد ، فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً يهمنا وان نظهر لنجدنّ النساء والابناء فقالوا :

نقتل هؤلاء المساكين فما خيرفى العيش بعدهم قال : فاذا أبيتم على

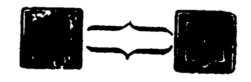
هذه فان الليلة ليلة السبت ، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد امنوا فيها فأنزلوا فعلّنا نصيب منهم غرة فقالوا : نفسد سبتنا ونحدث فيها ما أحدث من كان قبلنا فأصابهم ماقد علمت من المسخ فقال : مابات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازماً .

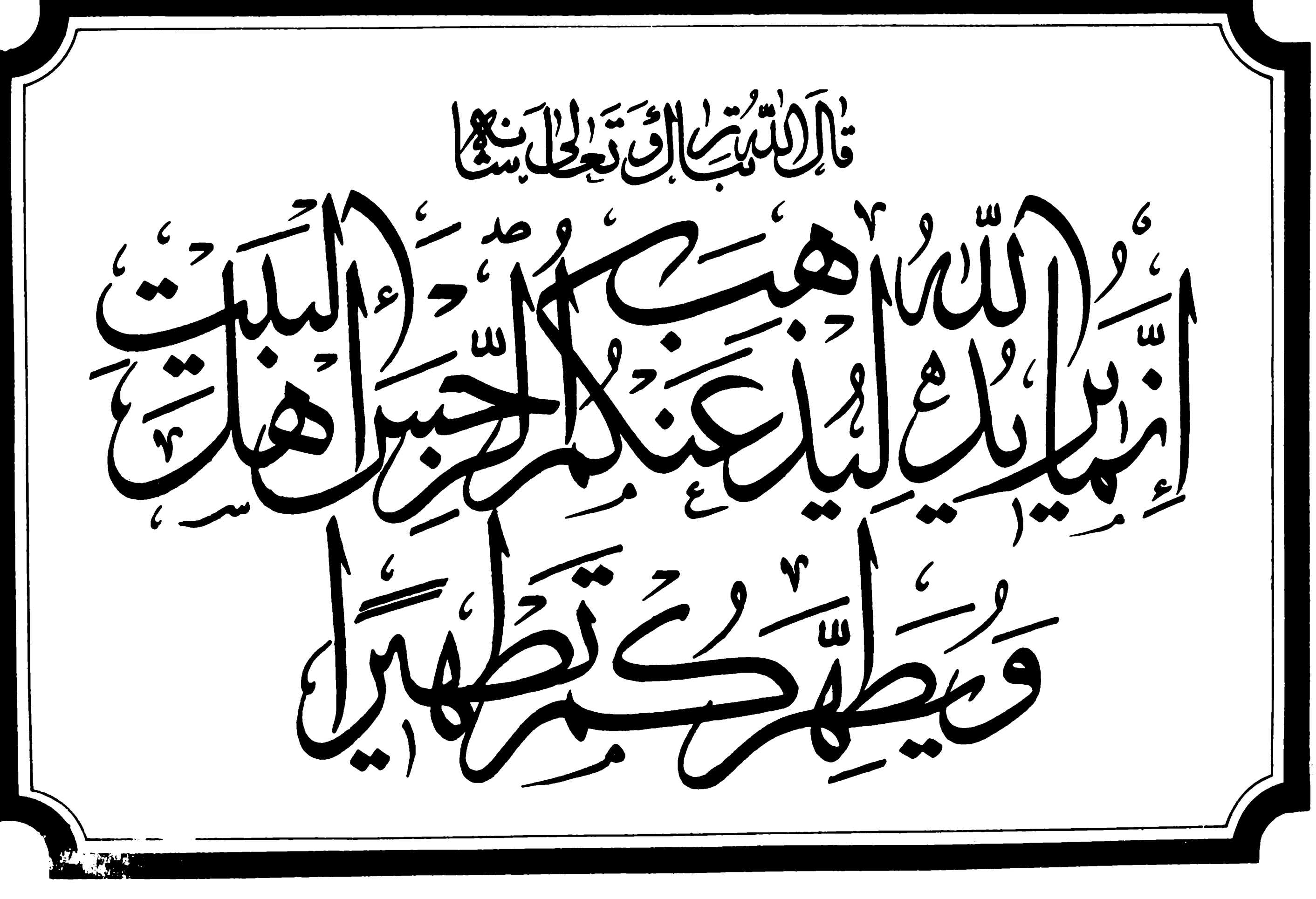
قال الزهرى : وقال رسول الله ﷺ حين سئلوه أن يحكم فيهم رجلاً اختاروا من شئتم من أصحابى ، فاختاروا سعد بن معاذ فرضى بذلك رسول الله ﷺ فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فأمر رسول الله ﷺ بسلاحهم فجعل فى قبته و أمر بهم فكتفوا وأوثقوا وجعلوا فى داراسامة وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فجيء به ، فحكم فيهم بان يقتل مقاتليهم وتسبى ذراريهم و نساءهم و تغنم أموالهم وان عقارهم للمهاجرين دون الانصار، وقال للأنصار: انكم ذووعقار و ليس للمهاجرين عقار فكبّر رسول الله ﷺ وقال لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله عزوجل .

و فى بعض الروايات : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ـ وأرقعة جمع رقيع اسم لسماء الدنيا ـ فقتل رسول الله ﷺ مقاتليهم وكانوا فيما زعموا ستمأة مقاتل . وقيل : قتل منهم أربعمأة وخمسين رجلاً وسبى سبعمأة وخمسين . وروى : انهم قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ إرسالاً يا كعب ماترى يصنع بنا ؟ فقال كعب : أفى كل موطن تقولون : ألاترون الداعى لاينزع ومن يذهب منكم لايرجع هو والله القتل وأتى بحيى بن أخطب عدوالله عليه حلّة فاختية قدشقّها عليه من كل ناحية كموضع الانملة لئلايسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما بصر برسول الله ﷺ فقال : أما والله مالمت نفسى على عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال : أيها الناس انه لابأس بأمر الله كتاب الله وقدره ملحمة كتبت على بنى اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه ، ثم قسّم رسول الله ﷺ نساءهم وأبناءهم وأموالهم على المسلمين ، و

بعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الانصاری ، فابتاع بهم خيلاً و سلاحاً قالوا :

فلما انقضى شأن بنی قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ ، فرجعه رسول الله ﷺ إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد . وروى عن جابر بن عبدالله قال: جاء جبرائيل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فقال : من هذا العبد الصالح الذی مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش فخرج رسول الله ﷺ فاذا سعد بن معاذ قد قبض .





قال الله تبارك وتعالى شأنه
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا

أهل بيت النبوة و دلالة آية التطهير

على اختصاصها بالمعصومين عليهم السلام

قال الله تعالى : « انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » الاحزاب : ٣٣) .

لابدلنا قبل الخوض في دلالة الاية الكريمة على الاختصاص من بيان المعاني الواردة في القرآن الكريم للكلمات الثلاث : الرجس و الاهل و الطهارة :

أما الرجس ـ بكسر الراء وسكون الجيم ـ ففي الاصل : القذر حساً أو معنى، و هو أعم من النجاسة ، و يطلق على ما يستقبح في الشرع و الفطر السليمة من الحرام و الفعل القبيح و العمل السيّىء و النجس و العذاب و الرجز و الشيء القذر و الغضب و العقاب و النتن ، و ما لا خير فيه ، و اللعنة و الكفر و النفاق و وسوسة الشيطان و الشك في الدين الحق . و من هنا قيل : الرجس صفة من الرجاسة وهي القذارة هيئة في الشيء توجب الاجتناب والتنفر عنها شرعاً أو طبعاً . و تكون بحسب ظاهر الشيء كرجاسة الخنزير، و بحسب باطنه و هو الرجاسة و القذارة المعنوية كالشرك و الكفر و النفاق و الشك في الدين و الرجس ـ بفتح الراء وسكون الجيم و فتحها ـ : شدة الصوت ، وصوت الشيء المختلط العظيم كالجيش و السيل والرعد و الانفجار ، فكأن الرجس هو العمل الذي يقبح ذكره و يرتفع في القبح .

قال الله تعالى : « كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون » الانعام: ١٢٥) أى الكفر و الضلال أوالعقاب و الغضب . وفى دعاء الوتر: « و أنزل عليهم رجسك و عذابك » .

و قال : « و يجعل الرجس على الذين لا يعقلون » يونس : ١٠٠) اى يجعل الضلال أو الشك و الريب على أهل العناد والجحود . وقيل : العذاب .

وقال : « فاعرضوا عنهم انهم رجس » التوبة : ٩٥) أى قذر لخبث باطنهم، فكأن رجس النفاق والكفر والفسق قدأحاطت بهم بحيث صاروا هم عين الرجس.

و قال : « قد وقع عليكم من ربكم رجس و غضب » الاعراف : ٧١) أى لعنة أورجز وعذاب .

و قال : « انما الخمر و الميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » المائدة : ٩٠) أى وسوسة و إلقاء أو قبيح و خبيث يزينه الشيطان .

و قال : « فاجتنبوا الرجس من الاوثان » الحج : ٣٠) أى الشرك الكائن فى عبادة الاوثان .

و قال : « الا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً اولحم خنزير فانه رجس » الانعام : ١٤٥) أى نجس أو حرام .

و قال : « و أما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون » التوبة : ١٢٥) أى شكاً ونفاقاً جديداً إلى شكهم ونفاقهم السابق.

وقال : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» الاحزاب : ٣٣) أى الشك فى الدين .

و أما الاهل فله معان :

١ ـ الزوجة أهل للزوج كقوله تعالى : « إذقال موسى لأهله انى آنست ناراً » النمل : ٧) أى قال موسى لامرأته و هى بنت شعيب النبى عليهما السلام .

٢ ـ أهل الدار سكانها من الزوج و الولد و من معهما كقوله تعالى : « و

امر أهلك بالصلاة » طه : ١٣٢) والمراد بالاهل بحسب انطباقه على وقت النزول خديجة زوج النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و علي عليه السلام وكان من أهله و في بيته أو هما و بعض بنات خديجة عليها السلام .

٣ ـ الاهل : الاخصاء و المخصوصون و الممتازون ليس لغيرهم بصاحب الاهل تلك الخصوصية و الامتياز كقوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » الاحزاب : ٣٣) يعني أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المخصوصين منهم من علي بن أبيطالب وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم . وقوله تعالى : « قالوا أتعجبين من أمر الله ورحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت » هود : ٧٣) ولكن المراد المخصوصون بابراهيم عليه السلام لقوله : «عليكم أهل البيت » .

٤ ـ أهل الرجال : عشيرته وذو وقرباه كقوله تعالى : « فابعثوا حكماً من أهله و حكماً من أهلها » النساء : ٣٥) .

٥ ـ أهل الكتاب : اليهود والنصارى كقوله تعالى : « يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم » آل عمران : ٦٥) .

٦ ـ أهل الارض والقرية والمدينة:سكانها كقوله تعالى : « أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها » الاعراف : ١٠٠) و قوله : « ولو أن أهل القرى آمنوا »الاعراف : ٩٦) و قوله: «ومن أهل المدينة مردوا على النفاق »التوبة:١٠١).

٧ ـ أهل الذكر: أهل القرآن وهم أهل الله تعالى و خاصته و هم أولياء الله والمختصون به اختصاص أهل الانسان به كقوله تعالى : « واسئلوا أهل الذكر» الانبياء : ٧) .

٨ ـ أهل المذهب : أتباعه ، و أهل الاسلام : من يدين به ، و أهل الامر: ولاته ، و أهل النبي : امته . قال الله تعالى : « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين و أهلك ـ انه ليس من أهلك » هود : ٤٠ ـ ٤٦) .

٩ ـ أهل الامانة : أصحابها من الاموال والاملاك كقوله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها » النساء : ٥٨) .

١٠ ـ أهل المكر والخداع والمعصية:أصحابها قال الله تعالى : « ولايحيق المكر السيّىء الاّ بأهله » فاطر: ٤٣) .

١١ ـ أهل النار: أصحابها قال الله تعالى: « ان ذلك لحق تخاصم أهل النار » ص : ٦٤) .

١٢ ـ الاهل : الاجدر و الاحق ، و الاهلية : الصلاحية . يقال : فلان أهل لكذا : أى خليق به و صالح لذلك . قال الله تعالى : « و ألزمهم كلمة التقوى و كانوا أحق بهاو أهلها»الفتح: ٢٦) وقال : «هو أهل التقوى وأهل المغفرة» المدثر: ٥٦) يعنى هو أحق أن يتقى منه و هو أحق ان يغفرلمن يتقى منه .

و أما الطهارة : فهى على ضربين :

أحدهما ـ طهارة الجسم و الظاهر، وهى زوال الدنس والقذر كقوله تعالى: «ولا تقربوهن حتى يطهرن» البقرة ٢٢٢) أى من دم الحيض .

ثانيهما ـ طهارة النفس و هى تنزهها عمالايحل و ابتعادها عمالايجوز كقوله تعالى : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » التوبة : ١٠٨) و قوله : « فماكان جواب قومه الاّ أن قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون » النمل : ٥٦) .

و ان تطهير النفس قد يكون بابعادها عن الشك فى الدين الحق و الشرك و الكفر و النفاق و اجتنابها من المعاصى و الذنوب . . . كقوله تعالى : « خذمن أموالهم صدقة تطهّرهم و تزكيهم بها » التوبة : ١٠٣) و قوله : « و طهّر بيتى للطائفين و القائمين » الحج : ٢٦) .

وقد يكون بصون النفس من قذارة الباطل و الريبة و مداخلة الشياطين ، و هذا معنى اعتصامها بعصمة الله تعالى و كونها مصطفاة معصومة .

قال الله تعالى : « ان الله اصطفاك و طهرك واصطفاك على نساء العالمين » آل عمران : ٤٢) و قال : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » الاحزاب : ٣٣)

و قال : « رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة » البينة : ٢) .

في عيون الاخبار : باسناده عن الريان بن الصلت قال : حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق و خراسان ، فقال المأمون : أخبروني عن معنى هذه الاية : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » فقالت العلماء : أراد الله عزوجل بذلك الامة كلها ، فقال المأمون : ما تقول يا أباالحسن ؟ فقال الرضا عليه السلام : لاأقول كما قالوا ولكني أقول : أراد الله عزوجل بذلك العترة الطاهرة ـ إلى أن قال ـ قالت العلماء : فأخبرناهل فسر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب ؟ فقال الرضا عليه السلام : فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطنا وموضعاً ـ إلى أن قال ـ : والاية الثانية في الاصطفاء : قوله عزوجل : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » وهذا الفضل الذى لايجحده أحد معاند أصلاً (لايجهله أحد إلاّ معاند ضال خ) لانه فضل بعد طهارة تنتظر (ينتظر خ) فهذه الثانية .

﴿ آية التطهير والعصمة ﴾

و في دلالة آية التطهير على عصمة أهل بيت النبوة والرسالة كلمات من أعلام العامة ومحققي الشيعة الامامية الاثني عشرية لاينبغي لاحد من سليم العقول والاحرار الغفلة عنها ، فنذكرها على طريق الاختصار:

ومن العامة: السيد السمهودي في (جواهر النقدين في فضل الشرفين) مالفظه:

قلت : وانما أيدت بهذه الاية يعني آية التطهير لأني تأملتها مع ما ورد من الاخبار في شأنها وما صنعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزولها ، فظهر لي انها منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتمالها على امور عظيمة لم أر تعرّض لها :

أحدها: إعتناء الباري جل وعلا بهم وإشارته لعلو قدرهم حيث انزلها في حقهم.

ثانيها : تصديره لذلك بـ«إنما» التي هي أداة الحصر لافادة ان إرادته في أمرهم مقصورة على ذلك الذي هو منبع الخيرات لاتتجاوزه إلى غيره .

ثالثها ـ تأكيده لتطهيرهم بذكر المصدر ليعلم انه في أعلى مراتب التطهير.

رابعها: تنكيره تعالى لذلك المصدر حيث قال: «تطهيراً» للاشارة إلى كون تطهيره إياهم نوعاً عجيباً غريباً ليس مما يعهده الخلق، ولايحيطون بدرك نهايته.

خامسها: شدة إعتناءه صلى الله عليه وآله وسلم وإظهار اهتمامه بذلك وحرصه على ذلك مع إفادة الاية لحصوله فهو إذاً لتحصيل المزيد من ذلك حيث كرر طلبه لذلك من مولاه عزوجل مع استعطافه **بقوله : «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي»** أي وقد

جعلت إرادتك فى أهل بيتى مقصورة على إذهاب الرجس وأذهبه عنهم ، وطهّرهم تطهيراً بان تجدد لهم من مزيد تعلق الارادة بذلك ما يليق بعطائك .

سادسها ـ دخوله ﷺ فى ذلك لما ورد عن أبى سعيد الخدرى و غيره انها نزلت فى خمسة وقد تقدم ، وقد جاء فى رواية ام سلمة رضى الله عنها نزلت هذه الاية فى بيتى : «انما يريد الله» الاية . فى سبعة :جبرئيل وميكائيل ورسول الله وفاطمة وعلى والحسن والحسين ، وفيه مزيد كرامتهم وإبانة تطهيرهم وابعادهم عن الرجس مالايخفى موقعه عند اولى الالباب .

سابعها : دعائه ﷺ بما تضمنت الاية وبان يجعل الله صلواته ورحمته و بركاته ومغفرته ورضوانه عليهم لان من كانت إرادة الله فى أمره مقصورة على ذهاب الرجس عنهم والتطهير لهم كان حقيقاً بهذه الامور.

ثامنها : فى طلب ذلك له ﷺ ولهم من تعظيم قدرهم وإنافة منزلتهم حيث ساوى بين نفسه وبينهم فى ذلك مالايخفى .

تاسعها : انه ﷺ سلك فى طلب ذلك من مولاه عزوجل أعظم اسلوب وأبلغه حيث قدم مناجاته تعالى على الطلب بقوله : «اللهم قدجعلت صلواتك و رحمتك ومغفرتك ورضوانك على ابراهيم» فأتى بهذه الجملة الخبرية المقرونة بـ «قد» التحقيقية المفيد لتحقيق ذلك من مولاه ثم اتبعها بالمناجاة بقوله : «انهم منى وأنا منهم» وذلك من قبيل الاخبار ثم فرع على الجملة الطلبية حيث قال : فاجعل صلواتك لسرّ لطيف ظهر لى بوجهين :

أحدهما ـ تمام المناسبة فى الابوة الابراهيمية التى فانها تقتضى استجابة هذا الدعاء ، وأن يعطى ماطلبه لنفسه ولاهل بيته كما اعطى ابوه ابراهيم .

ثانيهما ـ انه ﷺ من جملة آل ابراهيم كما عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : «ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم» الاية فمحمد ﷺ من آل ابراهيم وآله قد اعطوا تلك الانوار فقد ثبت اعطاء الانوار له فيما مضى و

آله منه، وهو منهم فتوصل لاستجاب انعامه بذكر انعامه.

عاشرها: ان دعائه ﷺ مقبول سيما في أمر الصلاة عليه فقد دعامو لاه أن يختصه وآله بالصلاة عليه وعليهم، فتكون الصلاة عليه وعليهم من ربه عزوجل.

الحاديعشر: ان جمعه معه ﷺ في هذا التطهير الكامل وما نشأ عنه و عنهم من **الصلاة** عليه وعليهم مقتض لالحاقهم بنفسه الشريفة كما يشير إليه قوله: «اللهم انهم مني وأنا منهم» وقوله: «انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم» و كذا ألحقوا به في قصة المباهلة المشار إليها بقوله تعالى: «قل تعالوا ندعوا ابناءنا وأبناءكم...» فالحق تعالى أهل الكساء به ﷺ ولانه آكد في الدلالة على ثقته واستيقانه صدقه حيث اجترء على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس اليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه وعلى ثقته بكذب خصمه.

الثاني عشر: ان قصر الارادة الالهية في أمرهم على إذهاب الرجس والتطهير يشير إلى ما سيجيىء من تحريمهم في الاخرة على النار.

الثالث عشر: حثهم بذلك على كمال البعد عن دنس الذنوب والمخالفات و تمام الحرص على امتثال المأمورات بدلالة ماسبق من قوله ﷺ عند تذكيرهم بالصلاة: «الصلاة يرحمكم الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

الرابع عشر: ان قوله ﷺ، فجعلني في خيرهم بيتاً فذلك قوله تعالى: «انما يريد الله» الاية دال على انهم استحقوا بذلك أن يكونوا خير الخلق.

و الخامس عشر: ان الاية أفادت طهارتهم ومساواتهم نشأ من ذلك إلحاقهم به في المنع من الصدقة التي هي أوساخ الناس وعوضوا عن ذلك خمس من الفيىء والغنيمة ولذلك قال ﷺ: لاحل لكم أهل البيت من الصدقات شيئاً ولاغسالة الايدى ان لكم في خمس الخمس ما يكفيكم إلى آخر ماأفاد.

ومنهم: العلامة الحداد ابو بكر الحضرمي الشافعي في (القول الفصل ج٢ ص ٣٢٠) ما لفظه، **واعلم انه ممايتصل بآية التطهير وحديثها و يثبت مقتضاها و**

يؤيد معناها ، وينزل منها بمنزلة المعلول من العلة والتفصيل من الجملة ماثبت من تحريم الزكاة عليه وآله صلى الله عليهم أجمعين تنزيهاً لمقامهم وتقديساً لذواتهم لانها أوساخ الناس و غسالة الايدى ومظنة المنة من معطيها ، وكون يده العليا و لايليق أن يترفع عليهم أحد أو تعلو أيديهم يدفان ذلك مباين لما يجب من تجليلهم واحترامهم وما يقتضيهم علو مكانهم . إلى آخر ما قال وأجال القلم في المضمار.

ومما يناسب المقام أبيات من العلامة الشيخ محمد الحضرمي التريمي:

دع امة في غيّها راكضة — وفي ضلالات الردى خائضة
تجهد أن تطمس نور الهدى — و أن ترى أبحره غائضة
و هي لعمر الله اخيب من — كفّ على الماء غدت قابضة
تنتحل الارشاد جهلاً به — وهي إلى هدم العلى ناهضة
مذهبها بغض بني المصطفى — يا قبحها من فئة باغضة

إلى أن قال :

أيتها العترة لاتعباؤا — سحابة صيفية عارضة
وفيكم من سيفه مرهف — و قوسه موترة نابضة
يرمي بها الاعداء حتى ترى — وهي بادراك الردى حارضة
من كل شحم من بني هاشم — فروع مجد للمعدى هائضة
أماترواشمس الهدى أشرقت — فبان غيّ الفئة الراكضة

و منهم : السيد يحيى بن عمر مقبول الاهدل بعدذكر كلام السمهودي مالفظه:

فاذا تقرر لديك ذلك فايضاح وجه الاستهلال ان من المعلوم المقطوع به عند أهل السنة ان إرادته تعالى أزلية ، وانها من صفات الذات القديمة بقدمها الدائمة بدوامها ، وقد علق الله تعالى الحكم بها اذ أحكام صفات الذات المعلقة بها لايجوز عليها التجوز لانه يلزم منه حدوث تلك الصفة ، فيلزم من حدوثها

حدوث ذات القديمة ، وقيام الحوادث بها وكل منهما يستحيل قطعاً تعالى الله عن ذلك .

حتى قال جمع من المشايخ العارفين : يجب على كل مسلم ان يعتقد **أن** لاتبديل لما اختص الله تعالى به أهل البيت بما أنزل الله فيهم اذشهادته لهم بالتطهير و إذهاب الرجس عنهم فى الازل على الوجه المذكور .

واختلف فى كون الارادة المذكورة فى الاية هل هى تكوينية كما عليه أكثر الأشاعرة أو تشريعية كما عليه المعتزلة أوهما معاً كما ذهب إليه ابن تيمية، فبأىّ منها كانت لاتخفى عليك أيها القارىء الكريم المتجنب عن الحمية الجاهلية و العصبية الباطلة اذا نظرت الروايات و الاحاديث الواردة المتواترة المستفيضة فى المقام ، ودلالة الاية الشريفة على طهارة أهل البيت النبوى صلى الله عليه وآله وسلم وعصمتهم من كل رجس ظاهرى وباطنى ، خلقى وخلقى ،قولى وفعلى كالشمس المشرقة على البسيط التى نستضيىء بها الكائنات من الذرة إلى الذرة ، فلا مجال للترديد فى نزولها فى حقهم ، وان الخمسة صلى الله عليهم أجمعين هم أصحاب الكساء وهم المعنيون والمقصودون بها من غير تشريك أحد حتى امهات المؤمنين .

ونعم ما قال الشيخ أحمد الشافعى المصرى كما فى كتاب (المشارق) للعدوى :

لآل البيت عزّ لايزول	و فضل لاتحيط به العقول
و إجلال و مجدقد تسامى	و قدر ما لغايته وصول
وفى التنزيل بالتطهير خصّوا	و مدحتهم بها شهد الرسول

وقال الشيخ يوسف النبهانى البيروتى :

آل طه يا آل خير نبى	جدّكم خيرة و أنتم خيار
اذهب الله عنكم الرجس أهل	البيت قدماً و أنتم الاطهار
لم يسل جدكم على الدين أجراً	غير ودّ القربى و نعم الاجار

وقال السيد محمود الخلوتي الدمشقي في ديوانه :

انی دخیل المرتضی و فاطمة　　　وابنيهما أهل العباء الباسمة

وقال الشيخ عبدالحسين الحويزى الحائرى :

أذهب الله عنهم كل رجس　　　بهدى الاية التي اهداها

كان تطهيرها بأنفس أمجاد　　　بهم أفلح الذى زكاها

وغيرهم من كلمات أعلام العـامة . . .

وأما محققو الشيعة الامامية الاثنى عشرية : فمنهم السيد شرف الدين قدس سره في (الفصول المهمة) مالفظه : تنبيهان : أحدهما ـ ان الاية دلت على عصمة الخمسة لان الرجس فيها عبارة عن الذنوب كما في الكشاف وغيره ، وقد تصدرت بأداة الحصر وهى «انما» فأفادت ان ارادة الله تعالى في أمرهم مقصورة على اذهاب الذنوب عنهم وتطهيرهم منها ، و هذا كنه العصمة وحقيقتها .

ثانيهما ـ أنهـا دلت بالالتزام على إمامة أمير المؤمنين لانه ادعى الخلافة لنفسه وادعاها له الحسنان وفاطمة ، ولايكونون كاذبين لان الكذب من الرجس الذى أذهبه الله عنهم وطهرهم منه تطهيراً .

و منهم : العلامة المجلسى رضوان الله تعالى في (البحار) قـال : اعلم أن هذه الاية مما يدل على عصمة أصحاب الكساء عليهم السلام لان الامة بأجمعها اتفقت على ان المراد بأهل البيت أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي هامش احقاق الحق: اعلم أن الاية صريحة في الدلالة على عصمة أهل البيت توضيحه ان الاية صريحة في تعلق إرادته تعالى بتطهير أهل البيت فيثبت تحققه لاستحالة تخلف إرادته عز اسمه عن مراده لكونها مرادة بالارادة التكوينية لامحالة دون التشريعية فـان الارادة التشريعية لاتتعلق الا بفعل المكلف وهى مساوق للامر به ،وقد تعلق في الاية بفعل الله جل وعز ، فقال : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس و يطهركم تطهيراً» مضافاً إلى أن إرادته تعالى بالارادة التشريعية للطهارة

لاتختص بأهل البيت بل يعم جميع المكلفين ، و بالجملة ماسموه في الاصطلاح بالارادة التشريعية ليس الا إرادة صدور الفعل عن العبد باختياره المستتبعة لمجرد أمر المولى عبده بذلك الفعل من غير أن يصدر من المولى ما يوقعه في الفعل ، ويلزمه عليه بل العبد قد يختار عصيانه ، و قد يختار طاعته باستقلال إرادته من غير أن تتوجه إليه قدرة تقوده إلى الفعل أو الترك .

ومن هنا يعلم ان الارادة التشريعية ليست إرادة في الحقيقة ، فان الارادة على ما عرفوها هي كيفية نفسانية مستتبعة لتحريك العضلات نحو الفعل ، وإن كان يجب تجريدها بالنسبة إلى المبادي العالية عن خصوصية كونها كيفية عارضة وتجريد فعله عن كونه بتحريك العضلات ، فيكون ما يتحقق من المولى عند التكليف مجرد إرادة الأمر و الايجاب أوالنهي والتحريم .

ثم ان من البديهي أيضاً انه ليس المراد من الرجس الرجس البدني الظاهري فالمراد منه الرجس الباطني من الشرك والكفر والشك ودنس الذنب ومعصية الله و كلما يعد رجساً .فان قلت : يحتمل أن يرادمن التطهير انه تعالى غفرذنوبهم. قلت : ان المغفرة لاتطهر الدنس الحادث في نفس العاصي بل انما يوجب رفع العقوبة عنه ضرورة ان مغفرة المعصية لاتوجب انقلابها عما وقعت عليها ،ألاترى ان مغفرة المظلوم لظلم من ظلمه لايخرج فعله عن القبح .

هذا مضافاً إلى أن حمل الاية عليها تنافي اطلاق الاية ، فان مغفرة الذنب لاتكون الا بعد تحققه ، فالمذنب عند صدور الذنب منه غير مطهر لعدم امكان مغفرة الذنب عند الارتكاب به ، و الا خرج عن كونه ذنباً و لم يصدق عليه عنوانه .

وبالجملة قد ظهر من الأحاديث التي قدمنا نقلها ، وقد حكموا بصحتها ان أهل البيت هم أصحاب الكساء خاصة ، ودخول أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم معهم تحته مما لم ينقله أحد مع انه لامحرمية بينهن وبين علي عليه السلام فالظن بدخولهن أوهن مع

من تحرم عليه الصدقة مطلقاً فى أهل البيت وهم و تخليط أوعناد أعاذنا الله منها .

والاية الكريمة دالة على عصمتهم عليهم السلام من الارجاس بجميع أنواعها با لتاكيدات التى قدمنا الاشارة إليها من ذكر لفظة «انما» و إدخال اللام فى الخبر ، واختصاص الخطاب وتكرير المؤدى ، و ايراد المفعول المطلق بعده و تنكيره الدال على الاهتمام والتعظيم و تقديم ما حقه التأخر كتقديم «عنكم» على «الرجس» .

فانشدك أيها الاخ أفبعد هذا يبقى لك ريب وشك فى السند ؟ أوالدلالة ؟ أو الجهة ! ! ! لاوالله العلى العظيم فارجو من اخوانى أهل الجماعة المنتحلين إلى السنة أن ينبذوا اتباع سلفهم ، و يمنعوا النظر فيما تلونا عليهم وربى الواقف على الضمائر والمطلع على السرائر يعلم انى مخلص فى هذه النصيحة إياهم لافى ضميرى مرض وليس سوى الارشاد غرض سبيل ربى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً .

إلى الله فى كل الامور توكلى وبالخمس أصحاب الكساء توسلى
محمد المبعوث للناس رحمة وفاطمة الزهراء والمرتضى على

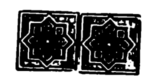
اللهم امتنا مماتهم و احينا حياتهم واحشرنا فى زمرتهم ولاتفرق بيننا و بينهم طرفة عين أبداً آمين آمين .

ومنهم : السيد الطباطبائى قدس سره فى (الميزان) مالفظه: وأياً ماكان فهو - إذهاب الرجس - إدراك نفسانى وأثر شعورى من تعلق القلب بالاعتقاد الباطل أو العمل السيىء وإذهاب الرجس - واللام فيه للجنس - إزالة كل هيئة خبيثة فى النفس تخطىء حق الاعتقاد والعمل ، فتنطبق على العصمة الالهية التى هى صورة علمية نفسانية تحفظ الانسان من باطل الاعتقاد وسيىء العمل .

على أنك عرفت أن إرادة التقوى أوالتشديد فى التكاليف لاتلائم اختصاص

الخطاب في الاية بأهل البيت، وعرفت أيضاً ان إرادة ذلك لاتناسب مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم من العصمة .

فمن المتعين حمل إذهاب الرجس في الاية على العصمة ، ويكون المراد بالتطهير في قوله : «و يطهركم تطهيراً» ـ وقد اكّد بالمصدر ـ إزالة أثر الرجس بايراد ما يقابله بعد إذهاب أصله ، ومن المعلوم ان ما يقابل الاعتقاد الباطل هو الاعتقاد الحق فتطهيرهم هو تجهيزهم بادراك الحق في الاعتقاد والعمل ، ويكون المراد بالارادة أيضاً غير الارادة التشريعية لما عرفت ان الارادة التشريعية التي هي توجيه التكاليف إلى المكلف لاتلائم المقام أصلاً . والمعنى ان الله سبحانه تستمرّ إرادته أن يخصكم بموهبة العصمة باذهاب الاعتقاد الباطل ، وأثر العمل السيّىء عنكم أهل البيت وايرادما يزيل أثر ذلك عليكم وهي العصمة.



﴿ آية التطهير و أهل البيت المعصومون عليهم السلام ﴾

وقدوردت روايات كثيرة بأسانيدعديدةعن طريق العامةفي كتبهم الحديثية و التفسيرية والكلامية : ان آية التطهير نزلت في حق « علي و فاطمة و الحسن و الحسين سبطي المصطفى » خاصة و نقلوا في هذا الشأن أحاديث متينة الاسناد واضحة الدلالات لايستطيع أحد إنكارها الا من كان منافقاً أومريض القلب الذي يوسوس في صدور الناس و انعقد الاجماع على ذلك كما صرّح به بعضهم كابن حجر في (الصواعق) و المحدث الدشتكي في (روضة الاحباب) وغيرهما .

وهناك شرذمة قليلة من العامة متعصبة بعصبية جاهلية عمياء بشمول الاية زوجات النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم متشبثة بروايات ضعيفة الاسناد ، و خفية الدلالات مع دخول آل العباء فيها ، ولكن اذا تدبّر متدبر منصف سليم القلب غير مخدوش العقل في الروايات الواردة في كتب العامة تجد اختصاص الاية الكريمة بهؤلاء المعصومين صلوات الله عليهم فلايعتني بماذهب هؤلاءالشرذمةالموسوسة بالعموم.

و نحن نذكر يسيراً من الكثير على ماورد في كتب العامة باسانيدهم و ألفاظهم ، ونحيل البقية إلى تتبع البحاثة النقاب ، فممن صرّح بنزول آية التطهير في حق « علي و فاطمة و الحسنين صلوات الله عليهم » فقط أواختصاصها بهم :

١ ـ روى الحاكم في (المستدرك ـ على الصحيحين ج٢ص٤١٦) باسناده عن ام سلمة انها قالت : في بيتي نزلت هذه الاية : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » قالت : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي و فاطمة والحسن

و الحسين رضوان الله عليهم أجمعين ، فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي قالت ام سلمة : يا رسول الله ما أنا من أهل البيت ؟ قال : انك على خير، و هؤلاء أهل بيتي .

و ذكر رواية اخرى عن واثلة بن الاسقع ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

و كذا في (ج ٣ ص ١٤٦ من الكتاب ط حيدرآباد) أورد الرواية بهذا السند أيضاً . و في (ج ٣ ص ١٣٢ و ص ١٤٧ و ص ١٥٩) و في (ج ٢ ص ١٥٠ و ١٥٢) و في اختصاص عنوان أهل البيت بعلي و فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام مما لايخفى على متأمل منصف سليم القلب من الغرض و المرض .

٢ ـ روى القندوزى الحنفى في (ينابيع المودة ص ١٧٤ ط اسلامبول) ما لفظه : و في مودة القربى عن أنس بن مالك وعن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأتى كل يوم باب فاطمة عند صلاة الفجر فيقول : الصلاة يا أهل بيت النبوة : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » تسعة أشهر بعد ما نزلت : « و أمر أهلك بالصلاة و اصطبر عليها » و روى هذا الخبر عن ثلاثمأة من الصحابة .

٣ ـ روى الحافظ أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادى في (تاريخ بغداد ج ١٠ ط أمين الخانجي بمصر) باسناده عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً و فاطمة والحسن والحسين ثم أدار عليهم الكساء فقال : هؤلاء أهل بيتى اللهم أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً » و ام سلمة على الباب فقالت : يا رسول الله ألست منهم ؟ فقال : انك لعلى خير أو إلى خير.

٤ ـ روى الحاكم في (المستدرك ج ٣ ص ١٧٢) عن علي بن الحسين

قال : خطب الحسن بن على عليه السلام الناس حين قتل على عليه السلام فحمدالله و اثنى عليه ثـم قال : لقد قبض فـي هذه الليلة رجل لايسبقه الاولـون بعمل ، و لايدركه الاخرون وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطيه رايته ، فيقاتل و جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره فمـا يرجع حتى يفتح الله عليه ، و ما ترك على أهل الارض صفراء ولابيضاء الا سبع مأة درهم فضلت من عطاياه أراد أن يبتاع بها خادماً لاهله ثم قال :

أيها الناس من عرفنى ، و من لم يعرفنى فأنا الحسن بن علـى ، و أنا ابن النبى وأنا ابن الوصى وأنا ابن البشير وأنا ابن النذير وأنا ابن الداعى إلى الله باذنه وأنا ابن السراج المنير، و أنا من أهل البيت الذى كان جبرئيل ينـزل إلينا و يصعد من عندنا ، و أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرّهم تطهيراً و أنا من أهل البيت الذى افترض الله مودتهم على كل مسلم ، فقال تبارك و تعالـى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : « قل لاأسئلكم عليه أجراً الاّ المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً » فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت .

٥ ـ روى الحاكم الحسكانى الحنفى فى (شواهد التنزيل ج ٢ ص ١٨ ط بيروت) باسناده عن هلال بن يساف يقول : سمعت الحسن بن على وهو يخطب الناس ويقول : يا أهل الكوفة اتقوا الله عزوجل فينا ، فانا امراؤكم وانا ضيفانكم ونحن أهل البيت الذين قال الله عزوجل : « انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » .

٦ ـ روى الطبرى فى (تفسيره جامع البيان) باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت هذه الاية فى خمسة فىّ وفى علىّ رضى الله عنه و حسن رضى الله عنه و حسين رضى الله عنه و فاطمة رضى الله عنها « انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً »

٧ ـ و عنه أيضا باسناده عن ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان هذه الاية نزلت

في بيتها : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً »
قالت : وأنا جالسة على باب البيت ، فقلت : أنا يارسول‌الله ألست من أهل البيت؟
قال : انك إلى خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت : وفي البيت رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم
و علي و فاطمة و الحسن و الحسين رضي‌الله عنهم .

٨ ـ روى الحافظ البغوي الشافعي فـي (مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٠٤ ط القاهـرة بمطبعة الخشاب) قال ما لفظه : من الصحاح عـن عائشة قالت : خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة و عليه مرط مرجل من شعر اسود موشى منقوش ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جائت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال : « انما يريـد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » .

رواه الزمخشري في تفسيره (الكشاف) و الفخر الرازي في تفسيره .

٩ ـ روى ابن الاثير الجزري الموصلي فـي (اسد الغابة ج ٢ ص ١٢ ط مصر) ما لفظه : عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لما نزلت هذه‌الاية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم « انما يريد‌الله » الاية في بيت امسلمة فدعى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة و حسناً و حسيناً فجللهم بكساء و علي خلف ظهره ثـم قال : هؤلاء أهل بيتـي فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً . قالت ام سلمة : و أنا معهم يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : أنت على مكانك انت في خير.

رواه السيوطي في (الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٠٠) .

١٠ ـ روى الكنجـي الشافعـي فـي (كفايـة الطالب ص ٢٣٢ ط النجف الاشرف) باسناده عن أبي الحمراء قال : صبحت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعة أشهر و كان اذا أصبح أتـى باب علي و فاطمة و يقول يرحمكم الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس . . الاية . ثم روى باسناده عن أبي‌سعيد الخدري قال : حين نزلت: « وأمر أهلك بالصلاة و اصطبر عليها » كان يجيىء نبي‌الله إلى باب علي صلاة الغداة

ثمانية أشهر يقول : « الصلاة رحمكما الله انما يريد الله . . الاية .

و روى في (ص ١٣) عن مسلم عن عائشة . . . الحديث .

١١ـ روى ابن الاثير في (اسد الغابة ج ٢ ص ٢٠ ط مصر) مالفظه : عن شداد بن عبدالله قال : سمعت واثلة ابن الاصقع ، و قد جيىء برأس الحسين إلى أن قال : وقال : والله لاأزال احب علياً والحسن والحسين وفاطمة بعد ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيهم ماقال : لقد رأيتني ذات يوم وقد جئت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيت ام سلمة فجاء الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى وقبّله ثم جاء الحسين فأجلسه على فخذه اليسرى وقبّله ثم جاءت فاطمة ، فأجلسها بين يديه ثم دعى بعلي ثم قال : «انما يريد الله . . » الاية قلت لواثلة : ماالرجس ؟ قال : الشك في الله عزوجل .

و ذكره في (ج ٣ ص ٤١٣) وفي (ج ٣ ص ١١) في ترجمة صبيح بسنده إلى ابراهيم بن عبدالرحمن بن صبيح مولى ام سلمة عن جده صبيح ما لفظه : «قال : كنت بباب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء علي وفاطمة والحسن والحسين، فجلسوا ناحية فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : انكم على خير، وعليه كساء خيبري فجللهم به وقال : أنا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالكم .

وفي (ج ٢ ص ٩) في مناقب الامام الحسن المجتبى مالفظه : و هو خامس أصحاب الكساء . . وكذا عبّر عن مولانا الامام الحسين الشهيد في (ج٢ص١٨) .

١٢ـ روى سبط ابن الجوزي في (تذكرة الائمة ص ٢٤٤ ط النجف الاشرف) ما لفظه : عن واثلة بن الاسقع قال: أتيت فاطمة عليها السلام اسئلها عن علي عليه السلام فقالت: توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلست انتظره فاذا برسول الله قد أقبل و معه علي والحسن والحسين قد أخذ بيد كل واحد منهم حتى دخل الحجرة فأجلس الحسن على فخذه اليمنى ، والحسين على فخذه اليسرى ، وأجلس علياً وفاطمة بين يديه ثم لفّ عليهم كساه أوثوبه ثم قرء : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل

آلبيت . . . » الاية ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي حقاً .

١٣ـ روى الحافظ محب الدين الطبري في (ذخائرالعقبى ص ٢١ط مصر) مالفظه : عن ام سلمة : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة : ائتني بزوجك وابنيك فجاءت بهم واكفأ عليهم كساء فدكياً ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد قالت ام سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : انك على خير.

ونقل عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى : «انما يريد الله . . » الاية قال: نزلت في خمسة : في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين .

١٤ـ روى الشيخ حميد المحلي اليماني في (الحدائق الوردية) باسناده عن أبي الحمراء قال : شهدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعين صباحاً ، فيجيىء إلى باب علي وفاطمة فيأخذ بعضادتي الباب ويقول : السلام عليكم أهل البيت و رحمة الله الصلاة يرحمكم الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً

١٥ـ روى علي بن ابراهيم البلخي الحنفي في (بحر المناقب) عن ام سلمة قالت : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اشتمل بالعباء ثم جعل ظهر علي بن ابيطالب عليه السلام على صدره، وظهر فاطمة إلى ظهره ، والحسن و الحسين عن يمينه وشماله ثم عمّهم و نفسه بالعباء قالت ام سلمة : حتى انه صلى الله عليه وآله وسلم جعل أطراف الكساء تحت قدمه ثم رفع طرفه إلى السماء ، وأشار بسبابته ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي اللهم وال والاهم وعاد من عاداهم وانصر من نصرهم واخذل من خذلهم ، وكان جبرئيل يؤمن... الحديث .

١٦ـ روى المراغي في (تفسيره) عن ابن عباس قال : «شهدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة فيقول: السلام عليكم ورحمة الله ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً ، الصلاة يرحمكم الله كل يوم خمس مرات» .

١٧- قال الشوكاني في تفسيره (فتح القدير ج ۴ ص ٢٧٠ ط القاهرة) مالفظه:
و قال أبوسعيد الخدري و مجاهد و قتادة و روى عن الكلبي : ان أهل البيت المذكورين في الاية هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصّة إلى آخر ماأفاد. ثم ذكر عدة روايات من طرق عديدة من الصحاح وغيرها في ذلك .

١٨- روى الشيخ يوسف اسمعيل النبهاني في (الشرف المؤبد لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ص ٦ ط مصر) مالفظه : وروى أحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انزلت هذه الاية في خمسة : فيّ وفي عليّ و حسن وحسين وفاطمة . وروى من طرق عديدة حسنة وصحيحة عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان بعد نزول هذه الاية يمرّ ببيت فاطمة إذاخرج إلى صلاة الفجر يقول : الصلاة أهل البيت انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً . وعن أبي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وآله وسلم جاء أربعين صباحاً يعني بعد نزول هذه الاية إلى باب فاطمة يقول : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله و بركاته الصلاة يرحمكم الله انما يريد الله . . الخ . وعن ابن عباس سبعة أشهر. وفي رواية ثمانية أشهر وهذا نصّ منه صلى الله عليه وآله وسلم على ان المراد من أهل البيت في هذه الاية هم الخمسة إلى أن قال : وذكر ابن جرير في تفسيره خمسة عشر رواية باسانيد مختلفة في أن أهل البيت في الاية هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة وحسن وحسين . وحكى عن خاتمة الحفّاظ جلال الدين السيوطي في تفسيره (الدرالمنثور) عشرين رواية من طرق مختلفة في ان المرادمنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام:

منها : ما أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني و ابن مردويه عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها على مقامة له عليه كساء خيبري فجائت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ادعي زوجك وابنك حسناً وحسيناً ، فدعتهم فبينماهم يأكلون إذ نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم

تطهيراً». فاخذالنبى ﷺ بفضلة فغشاهم إياها ثم اخرج يده من الكساء و ألوى بها إلى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتى وحامتى . و فى رواية : وخاصتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالها ثلاث مرات قالت ام سلمة : فادخلت رأسى فى الستر فقلت : يا رسول‌الله وأنا معكم ؟ فقال : انك إلى خير مرتين .

وقد أورد حملة آثار العامة فى أسفارهم روايات كثيرة باسانيد عديدة بان الاية الكريمة نزلت فى حق الخمسة خاصة نشير إلى نبذة منها :

١ـ ابوداود الطيالسى فى (المسند ج ٨ ص ٢٧٤ ط حيدرآباد) .

٢ـ أحمدبن محمد بن حنبل الشيبانى امام الحنابلة فـى (المسند ج١ص ٣٣١ ط القاهرة) ان الاية نزلت فى حق الخمسة خاصة .

٣ـ أبوعبدالرحمن احمد بن شعيب النسائى فى (الخصائص ص ٤ ط مصرو ص١٦) .

٤ـ الطبرى فى (جامع‌البيان ج ٢٢ ص ٥ ط مصر) بطرق عديدة كلها دالة على اختصاص آيـة التطهير بالخمسة أصحاب الكساء و ذلك يقرب من خمسة عشر طريقاً .

٥ـ الطبرانى فى (المعجم) كما فى (الصواعق ص٨٥ ط مصر) .

٦ـ الجصاص فى (أحكام القرآن ج ٣ ص ٤٤٣ ط القاهرة) باسانيدعديدة إلى أن قال : انهم المقصودون بأهل البيت فيها .

٧ـ أحمد المؤيد بالله فى (الامالى ص٢٣ ط صنعاء) .

٨ـ أبوالقاسم حمزة بن يوسف السهمى الجرجانى فى (تاريخ جرجان ص ٤٦ ط حيدرآباد) .

٩ـ البيهقى فى (السنن الكبرى ج٢ ص ١٤٩ ط حيدرآباد).

١٠ـ حافظ الاندلسى الشيخ أبوعمر ويوسف بن عبدالله فى (الاستيعاب ج٢ ص ٤٦٠ ط حيدرآباد) .

١١- الواحدى النيسابورى فى (أسباب النزول ص ٢٦٧ ط مصر) .

١٢ - ابن العربى المالكى فى (احكام القرآن ج ٢ ص ١٦٦ ط مصر).

١٣- القاضى عياض المغربى فى (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج٢ص٤١ ط الآستانة بمطبعة العثمانية) .

١٤- موفق بن أحمد اخطب خطباء الخوارزم فى (المناقب ص ٣٥).

١٥- ابن عساكر الدمشقى الشافعى فى (تاريخ دمشق على ما فى منتخبه ج٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٦ ط مصر) .

١٦- الفخر الرازى فى (تفسير الكبير ج ٢ ص ٧٠٠ ط الآستانة) .

١٧- ابن الاثير الجزرى فى (جامع الاصول ج ١ ص ١٠١ ط القاهرة) .

١٨- الشيخ حسن ابن الحسين فى (العمدة ص ١٦ ط تبريز) بطرق عديدة.

١٩- القرطبى الاندلسى فى (الجامع لاحكام القرآن ج١٤ ص ١٨٢ الطبعة الاولى بالقاهرة المحمية) نقل نزول الاية الكريمة فى حقهم عليهم السلام .

٢٠- النووى الدمشقى فى (شرح المهذب) .

٢١- القاضى البيضاوى فى تفسيره (سورة الشورى ص ٣٨٧ ط مصر القديم).

٢٢- النسفى فى (مدارك التنزيل) .

٢٣- الخازن البغدادى فى تفسيره (لباب التأويل) .

٢٤- الخطيب العمرى التبريزى فى (مشكاة المصابيح ص ٥٦٨ ط لكهنو) ان الاية نزلت فى حقهم خاصة .

٢٥- ابن كثير الدمشقى فى تفسيره (ج ٣ ص ٤٨٣ ط مصر) أورد الحديث بطرق مختلفة واسانيد عديدة.

٢٦- الحافظ الهيثمى فى (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٦ و ١٦٨ ط القاهرة) أورد روايات فى نزول الاية فى حقهم عليهم السلام خاصة عن طرق عديدة : عن امسلمة و واثلة وأبى سعيد وأبى حمراء وغيرهم . . .

٢٧ـ الحافظ ابن‌حجر العسقلانی‌الشافعی فی (الاصابة ج ٢ص ٥٠٢ طمصر) و فی (ج١ص ٣٢٩) عن ام‌سلمة : ان الاية نزلت فی حقهم خاصة . وفی (ج٤ص ٣٦٧) وفی (ج٤ص ٢٠٧) .

٢٨ـ ابن حجر فی (الكافی الشافی فی تخريج أحاديث الكشاف ص ٢٦ الحديث ٢١٦ ط مصر المطبوع فی آخر الكشاف ط مصطفی محمد) .

٢٩ـ ابن‌حجر فی (فتح الباری شرح صحيح البخاری ج ٣ ص ٤٢٢ طمصر القديم) .

٣٠ـ الذهبی، فی (تلخيص المستدرك المطبوع فی ذيل المستدرك ج ٣ص ٤١٦ ط حيدرآباد) وفی(ج٣ص ١٤٦) وفی (ج ٣ ص ١٤٧) و فی (ج٣ ص١٥٨).

٣١ـ الذهبی‌فی (تاريخ الاسلام‌ج٣ ص٦ ط حسام الدين القدسی بالقاهرة).

٣٢ـ النظام النيسابوری فی (تفسيره ج ٣ فی ذيل‌آية التطهير) .

٣٣ـ الدشتكی الشيرازی فی (روضة الاحباب) .

٣٤ـ السيوطی الشافعی فی (الدر المنثور ج٥ ص ١٩٨ و١٩٩ ط القاهرة) أورد فيه عدة أحاديث صحيحة صريحة دالة علی ان الاية الكريمة نزلت فی حق الخمسة الطيبة أصحاب الكساء من طرق عديدة من جماعة الصحابة والصحابيات والتابعين كام سلمة وعائشة وأبی سعيد الخدری وسعد وزيدبن أرقم وابن‌عباس و الضحاك بن مزاحم وأبی الحمراء وعمربن أبی سلمة وغيرهم .

٣٥ـ السيوطی فی (الاتقان ج٢ ص ٢٠٠ ط مصر) .

٣٦ـ ابن همام فی (حبيب السير ج١ص ٤٠٧ ط تهران) .

٣٧ـ ابن‌حجرالهيثمی‌المكی‌فی (الصواعق المحرقةص ١٨٥ الطبع القديم) ما لفظه : آية التطهير أكثر المفسرين علی أنها نزلت فی علی و فاطمة و الحسنين .

٣٨ـ المير محمد صالح الترمذی الحنفی فی (مناقب مرتضوی ص ٤٣ط

بمبئی) .

٣٩ـ المتقی الهندی فی (منتخب کنز العمال المطبوع بهامش المسند لاحمد بن حنبل ج ٥ ص ٩٦ ط مصر) .

٤٠ـ ألخطیب شربینی فی تفسیره (سراج المنیر) .

٤١ـ ألحلبی الشافعی فی (السیرة الحلبیة) .

٤٢ـ الدهلوی فی (مدارج النبوة ص ٥٨٩ ط دهلی) فصرّح بان الایة الکریمة نزلت فی حقهم ﷺ خاصة .

٤٣ـ الزرقانی فی (الشهیر ص ٢ و٤).

٤٤ـ الشیخ عبدالله بن محمد بن عامر المصری الشافعی فی (الاتحاف ص٥ طمصر بمطبعة مصطفی الحلبی) .

٤٥ـ الشیخ محمد الصبان المصری فی (اسعاف الراغبین) المطبوع بهامش (نور الابصار ص ١٠٥ ط مصر مطبعة مصطفی محمد) عن طرق عدیدة ذکر فی روایة انه ﷺ أدرج معهم جبرئیل ومیکائیل .

٤٦ـ القاضی الحسین بن أحمد فی (الروض النضیر ج ١ ص ١٠٦) و (ص ٩٧).

٤٧ـ الشبلنجی فی (نور الابصار ص ١١٢ ط مصر مطبعة مصطفی محمد) من طرق عدیدة قال ما لفظه : روی الحدیث من طرق عدیدة صحیحة .

٤٨ـ الحمزاوی المصری المالکی فی (مشارق الانوار فی فوز أهل الاعتبار ص ٨٤ وص ٩٢) عن طرق عدیدة . وقال : ان نقلة الحدیث صححوه .

٤٩ـ عبدالغفار الحنفی فی (ائمة الهدی ص ١٤٥ ط القاهرة) .

٥٠ـ التونسی الشهیر بالکافی فی (السیف الیمانی المسلول ص ٩ ط دمشق) .

٥١ـ احمد بن حنبل فی (الفضائل ص ٧٣ و٧٨ و٨١ و١٠٥ و١٦١ و١٦٤ و٢٢٣).

٥٢ ـ البخاری فی (التاریخ الکبیر ج ١ ص ١١٠ و١٩٦ ط حیدر آباد الدکن) .

٥٣ـ الحاکم فی (المستدرك ج ٣ ص ١٠٨ ط حیدرآباد الدکن) .

٥٤ـ الطبرانی فی (المعجم الصغیر ص ٣٤ ط مطبعة الانصاری بهند).

٥٥ـ الذهبی فی (تلخیص المستدرك ج ٢ ص ٤١٦ ط حیدرآبادالدکن) .

٥٦ـ البغوی الشافعی فی (مصابیح السنة ج ٢ ص ٢٠٤ ط مصر بمطبعة خیریة).

٥٧ـ ابن الاثیر الجزری فی (اسد الغابة ج ٤ ص ٢٩ ط جمعیة المعارف بمصر) .

٥٩ـ سبط ابن الجوزی فی (التذکرة ص ٢٤٤ ط النجف) .

٥٩ـ الکنجی الشافعی فی (کفایة الطالب ص ٥٦ و١١٧) .

٦٠ـ محب الدین الطبری فی (الریاض النضرة ص ٢٠٣ ط محمدأمین الخانجی بمصر) .

٦١ـ الخوارزمی فی (المقتل ج١ ص ٧٠ ط النجف) .

٦٢ـ القندوزی البلخی الحنفی فی (ینابیع المودة ص١٧٧ ط اسلامبول) مالفظه : عن أبی وائل عن ابن عمر قال : کنا اذا عددنا أصحاب النبی صلى الله عليه وآله وسلم قلنا: أبو بکر وعمر وعثمان فقال رجل لابن عمر : فعلیّ ما هو ؟ قال : ان علیاً من أهل البیت لایقاس به أحد هو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فی درجته ان الله یقول :«الذین آمنوا واتبعتهم ذریتهم بایمان ألحقنا بهم ذریاتهم» ففاطمة مع أبیها صلى الله عليه وآله وسلم فی درجته وعلیّ معهما مع الحسن والحسین .

٦٣ـ فی تفسیر الحدیث عن الحصین عن زید بن أرقم : ان النبی قال : أذکر کم فی أهل بیتی، أذکر کم فی أهل بیتی، أذکر کم من أهل بیتی ،فسئل الحصین زیداً ومن أهل بیته یا زید ؟ ألیس نساؤه ؟ قال : نساؤه من أهل بیته ولکن أهل

بيته من حرم من الصدقة بعده . . .

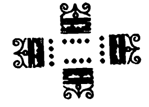
وفيه: وفي رواية قال الحصين من أهل بيته نساؤه ؟ قال زيد : لاوايم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها ، فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته : أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده .

وفيه: عن عائشة جواباً على سؤال سئلتها ام مجمع عن أحب الناس إلى رسول الله ، فقالت :لقد رأيت رسول الله جمع علياً و فاطمة وحسناً وحسيناً بثوب ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ، فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً فقلت : يا رسول الله أنا من أهلك ؟ قال : تنحّى فانك إلى خير .

٦٤ـ روى الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل ج٢ ص ٦٠ ط بيروت) باسناده عن أبي سعيد قال : قالت أم سلمة: ان هذه الآية نزلت في بيتي : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» قالت : وفي البيت رسول الله وعلي والحسن والحسين وفاطمة وأنا جالسة على باب البيت . قلت : يا رسول الله ألست من أهل البيت ؟ قال : أنت من أزواج رسول الله .

وغيرها من الروايات الواردة تزيد على مأة حديث رواه نقلة العامة في أسفارهم بطرق كثيرة عن ام سلمة وعائشة وإبن عباس وزيد بن أرقم وابن عمر وانس بن مالك وهلال بن يساف ، وقتادة ومجاهد والكلبي وصبيح وعمر بن أبي سلمة و أبي سعيد الخدري وسعد بن أبي وقاص وواثلة بن الاسقع وأبي الحمراء و ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعبدالله بن جعفر وعلي بن أبيطالب والحسن بن علي عليهما السلام نحو أربعين طريقاً . ويربو ما وردمنها عن طرق العامة على ماورد منها عن طرق الشيعة الامامية الاثنى عشرية ، فانهم رووها عن طرق ائمتهم المعصومين : علي بن ابي طالب والحسن بن علي وعلي بن الحسين والباقر والصادق والرضا عليهم السلام وعن ام سلمة و عائشة وابن عباس وأبي سعيد الخدري وأبي ذر وأبي ليلى وأبي الاسود الدئلي وعمرو بن ميمون الازدي وسعد بن أبي وقاص نحو ثلاثين طريقاً .

مضـافاً إلى ما كان أئمتنـا المعصومون عليهم السلام يستدلون بآية التطهير على فضلهم في مجالس عديدة و كان أهلها يصدقونهم على ذلك ، فاذالم يكن ذلك كله دليلاً على إثبات تواتر إختصاص آية التطهير بأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فلن توجد رواية واحدة متواترة على وجه الارض في طول الاعصار ...



﴿اهل البيت و أصحاب الكساء﴾

و قد ثبت عن الطريقين : ان أهل البيت هم المخصوصون الممتازون على من سواهم و هم النبي الكريم و علي و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم أجمعين و هم أصحاب الكساء ، لم يدخل معهم فيه أحد ، و ان حديث الكساء متواتر مستفيض أورده العامة والشيعة الامامية الاثنيعشرية بطرق عديدة نشير إلى ما يسعه المقام :

و من العامة : الحاكم الحسكاني الحنفي في (شواهدالتنزيل ج۲ ص۱۵ ط بيروت سنة ۱۳۹۳ هـ) باسناده عن البراء بن عازب قال : جاء علي وفاطمة و الحسن و الحسين إلى باب النبي فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فقام ظ) بردائه فطرحه عليهم و قال : اللهم هؤلاء عترتي .

و فيه : باسناده عن البراء بن عازب قال : جاء علي بن أبي طالب إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و فاطمة و الحسن و الحسين فخرج رسول الله و هو عرق فقال بردائه و طرحه عليهم و قال : اللهم هؤلاء عترتي .

و فيه : باسناده عن جابر بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا علياً و ابناه و فاطمة فألبسهم من ثوبه ثم قال : اللهم هؤلاء أهلي ، هؤلاء أهلي .

و فيه : باسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قول الله تعالى: « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » قال : جمع رسول الله علياً و فاطمة و الحسن و الحسين ثم أدار عليهم الكساء فقال : هؤلاء أهل بيتي اللهم

أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً .

و فيه : باسناده عن علي عليه السلام قال : جمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فـي بيت ام سلمة أنا و فاطمة و حسناً و حسيناً ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كساء له ، و أدخلنامعه ثم ضمّنا ثم قال : اللهم هؤلاء أهل‌بيتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . فقالت ام سلمة : يا رسول الله فأنا ــ ودنت منه ــ فقال : أنت فمن أنت منه و أنت على خير أعادها رسول الله ثلاثاً يصنع ذلك .

ومنهم : محمد بن طلحة الشامي الشافعي في (مطالب السئول في مناقب آل الرسول) ما لفظه : و أما جعله أهل العباء فقد روى أئمة للنقل و الرواية فيما اسندوه واستفاض عندذوي العلم والدراية فمما أوردوه ماصرّح به الامام الواحدي في كتابه المسمى (باسباب النزول) يرفعه إلى امسلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكرت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت بها عليه فقال لها : ادعي لي زوجك و ابنيك قال : فجاء علـي و الحسن و الحسين فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة و هو على دكان وتحته كساء خيبري قالت : و أنا في الحجرة اصلّي فأنزل الله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكـم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » قال : فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به ثم أخرج يديه فالوا بهما إلى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً .

قالت : فادخلت رأسي البيت فقلت : أنا معكم يا رسول الله ؟ قال : آئـل إلى خير آئل إلى خير.

ثم قال : فهؤلاء أهل البيت المرتقون بتطهيرهم إلـى ذروة أوج الكمال المستحقون لتوقيرهم مراتب الاعظام والاجلال الموفقون لتأييدهم لابتهاج مناهج الاستقامة والاعتدال ــ إلى أن قال ــ :فهذه الادلة من خصوص النصوص وصحاحها و وجوهها في دلائلها من مصابيح صباحها قد ارتضعت فاطمة درة الفضيلة والشرف

بصراحها و صدعت ألفاظها الفصيحة و معانيها البليغة إلى أن قال :

يا رب بالخمسة أهل العبا　　وى الهدى و العمل الصالح
و من هم سفن نجاة و من　　والاهم ذومتجر رابح
و من لهم مقعد صدق ذا　　قام الورى في الموقف الفاضح
لا تخزنى و اغفر ذنوبى عسى　　اسلم من حر لظى اللافح
فاننى أرجو بحبى لهم　　تجاوزا عن ذنبى الفادح
فهم لمن و الا هم جنة　　تنجيه من طائرة البازح
و قد توسلت بهم راجياً　　نحح سؤال المذنب الطالح
لعله يحظى بتوفيقه　　فيهتدى بالمنهج الواضح

ومنهم : الطبرى فى تفسيره باسناده عن ام سلمة قالت : جاءت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق ، فوضعته بين يديه فقال : أين ابن عمك وابناك ؟ فقالت : فى البيت ، فقال : ادعيهم فجاءت إلى على فقالت : أجب النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنت و ابناك قالت ام سلمة : فلما رآهم مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة فمده وبسطه وأجلسهم عليه ثم أخذ بأطراف الكساء الاربعة بشماله ، فضمه فوق رؤسهم و أو مأبيده اليمنى إلى ربه فقال :هؤلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً .

و فيه : عن ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان هذه الاية نزلت فى بيتها : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » قالت : و أنا جالسة على باب البيت فقلت : أنا يا رسول الله ألست من أهل البيت ؟ قال : انك إلى خير أنت من أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم قالت : و فى البيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و على و فاطمة و الحسن و الحسين رضى الله عنهم .

ومنهم : ابن كثير فى تفسيره عن ام سلمة قالت : جاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيتى فقال : لا تأذنى لاحد فجائت فاطمة ، فلم استطع ان احجبها عن أبيها ثم

جاء الحسن فلم استطع أن امنعه أن يدخل على جدّه و امه ، و جاء الحسين فلم استطع أن احجبه ، فاجتمعوا حول النبي صلى الله عليه و آله على بساط فجللهم نبي‌الله بكساء كان عليه ثم قال : هؤلاء أهل بيتي ، فاذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً . فنزلت هذه الاية حين اجتمعوا على البساط قالت : فقلت : يا رسول الله و أنا قالت فوالله ما أنعم ، و قال : انك إلى خير.

ومنهم : السيوطي في الدر المنثور : أخرج الطبراني عن ام سلمة قالت: جائت فاطمة عليها السلام إلى أبيها بثريدة لها تحملها في طبق لها حتى وضعتها بين يديه فقال لها : أين ابن عمك ؟ قالت : هو في البيت قال : اذهبي فادعيه وابنيك فجاءت تقود ابنيها لكل واحد منهما في يد وعلي عليه السلام يمشي في أثرهما حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه و آله فأجلسهما في حجره و جلس علي عليه السلام عن يمينه و جلست فاطمة عليها السلام عن يساره قالت ام سلمة : فأخذت من تحتي كساء كان بساطنا على المنامة في البيت .

و ذكر أبوعبدالله الدامغاني في كتابه (سوق العروش) أبياتاً في حديث الكساء جدير حفظه :

ان يوم الطهور يوم عظيم — فاز بالفضل فيه أهل الكساء
قال يا رب انهم أهل بيتي — فاستجب فيهم إلهي دعائي
اذهب الرجس عنهم و عن — الابناء منهم وعن بني الابناء
رحمة‌الله و السلام عليكم — و صلاة الابرار و الاتقياء

و قال بعض الشعراء :

تطاول ليلي و لم أرقد — فبتّ كذى اللدغ و الأرمد
بذكر النبي و ذكر الوصي — و ذكر بني المصطفى أحمد
حسان الوجوه عظام الحلوم — كرام المغارس و المحتد
و من دنس الرجس قد طهّروا — ففاز الذي بهم يقتدي

علىٌ أبوالحسن و الحسين　　رشيدين للراشد المرشد

ومن هنا أطلق آل‌عباء على هؤلاء الخمسة الطيبة كما قال الشاعر:

آل العباء رسول الله فابنته　　و المرتضى ثم سبطاه اذا جمعوا

ومنهم: الحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٢ ط بيروت) باسناده عن اسمعيل‌بن عبدالله بن جعفرالطيار عن ابيه قال: لما نظرالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جبرئيل هابطاً من السماء قال: من يدعولي؟ من يدعولي؟ فقالت زينب: أنا يا رسول الله، فقال: ادعي لي علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً، فجعل حسناً عن يمينه وحسيناً عن يساره و علياً وفاطمة تجاههم ثم غشّاهم بكساء خيبري وقال: اللهم ان لكل نبي أهلاً، وان هؤلاء أهلي فأنزل‌الله تعالى: «انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» الاية فقالت: زينب: ألا أدخل معكم قال: مكانك فانك على خير إن‌شاءالله.

و فيه: باسناده عن‌اسمعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي‌طالب عن أبيه‌قال: لما نظر رسول‌الله إلى الرحمة هابطة قال: ادعوالي ادعوالي، فقالت زينب (صفية خ): من يا رسول‌الله؟ قال: علي وفاطمة و الحسن و الحسين، فجاء بهم فألقى عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كساءاً له ثم رفع يده فقال: اللهم ان هؤلاء آلي فصلّ على محمد و على آل محمد و أنزل الله: «انما يريد الله» الاية.

و فيه: باسناده عن جميع بن عميرقال: إنطلقت مع امي إلى عائشة فسئلتها امي عن عليّ قالت: ماظنك برجل كانت فاطمة تحته والحسن والحسين ابنيه، ولقد رأيت رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم إلتفّ عليهم بثوبه، وقال: اللهم هؤلاء أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقلت: يا رسول الله ألست من أهلك؟ قال: انك على خير.

و في رواية اخرى زاد «و لم يدخلني معهم» على ما تقدم. و في رواية اخرى قال: تنحّي فانك إلى خير.

و فيه: باسناده عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان رسول‌الله قال لفاطمة:

إئتيني بزوجك و ابنيك ، فجاءت بهم فألقى عليهم رسول الله كساءاً كان تحتي خيبرياً أصبناه من خيبر ، ثم قال: اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك و بركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل ابراهيم انك حميد مجيد قالت ام سلمة : فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبه رسول الله من يدى و قال : انك على خير.

و في رواية : قالت ام سلمة : أنا منهم يا رسول الله ؟ قال: اجلسي مكانك فانك على خير و غيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة تركنا ذكرها للاختصار .

وأما ماورد عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية فكثير نشير إلى نبذة منها :

١ ـ في أمالي الشيخ الطوسي قدس سره باسناده عن علي بن الحسين عليه السلام عن ام سلمة قالت : نزلت هذه الاية في بيتي و في يومي وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندي ، فدعا علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجاء جبرئيل فمدّ عليهم كساءاً فدكياً ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، قال جبرئيل : و أنا منكم يا محمد ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أنت منا يا جبرئيل ، قالت ام سلمة : فقلت : يا رسول الله و أنا من أهل بيتك ؟ و جئت لأدخل معهم ، فقال :كوني مكانك يا ام سلمة انك إلى خير، أنت من أزواج نبي الله ، فقال جبرئيل : اقرأ يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » في النبي و علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام .

٢ ـ في أمالي الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان علياً وصيي و خليفتي و زوجه فاطمة سيدة نساء العالمين ابنتي و الحسن والحسين سيداشباب أهل الجنة ولداى ، من والاهم فقد والاني ومن عاداهم فقد عاداني ، ومن ناواهم فقد ناواني ومن جفاهم فقد جفاني، و من برّهم فقد برّني ، وصل الله من وصلهم و قطع من قطعهم و نصر من نصرهم

و أعان من أعانهم ، و خذل من خذلهم ، اللهـم من كان له من أنبيائك و رسلك ثقل و أهل بيت ، فعليّ و فاطمة والحسن والحسين أهل بيتى و ثقلى فاذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً .

٣ ـ فى تفسيرفرات الكوفى : عن أبى عبدالله الجدلى قال : دخلت علـى عائشة فقلت : أين نزلت هذه الاية : « إنمايريدالله »قالت : :نزلتفىبيت امسلمةـ قالت ام سلمة : لـوسئلت عائشة لحدثتك ان هذه الاية نزلت فـى بيتى ـ قالت : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال : لوكان أحد يذهب فيدعولنا علياً وفاطمة وابنيها، قال : قلت : ما أجد غيرى قالت : قد قنّعت ، فجئت بهم جميعاً ، فجلس علىبين يديه و جلس الحسن و الحسين عن يمينه و شماله وأجلس فاطمة خلفه ثمتجلل بثوب خيبرى ثم قال : نحن جميعاً إليك ـ فاشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات : إليك لاإلى النار ـ ذاتى و عترتى و أهل بيتى من لحمى و دمى ، قالت امسلمة: يا رسول الله أدخلنى معهم قال : يا ام سلمة انك من صالحات أزواجـى ، فنزلت هذه الاية : « انما يـريد الله ليذهب عنكـم الرجس أهـل البيت و يطهـركم تطهيراً » .

قولها : « قد قنّعت » أى لبست القناع و هوما تغطى به المرأة نفسها . و « تجلل بالثوب » أى تغطى به .

٤ ـ و فى بشارة المصطفى باسناده عن ابن عباس قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالسـاً ذات يوم و عنده علـى و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام فقـال : اللهم انك تعلم ان هؤلاءأهل بيتى و أكرم الناس علىّ ، فأحبب من يحبّهم و أبغض من يبغضهم ، و وال من والاهم و عاد من عاداهم وأعن من أعانهم و اجعلهم مطهرين من كل رجس ، معصومين من كل ذنب ، و أيّدهم بروح القدس منك . الحديث .

٥ ـ و فى أمالى الصدوق رحمة الله تعالى عليه باسناده عن على بن موسى

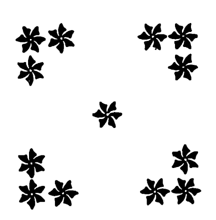
الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من سرّه أن ينظر إلى القضيب الاحمر الذى غرسه الله بيده و يكون متمسكابه فليتول علياً و الائمة من ولده فانهم خيرة الله عزو جل و صفوته ، و هم المعصومون من كل ذنب و خطيئة .

و غيرها من الروايات الواردة لايسعها المقام

و في زيارة الامام الحسين عليه السلام : -يوم الاضحى - : « أشهد أنك كنت نوراً فى الأصلاب الشامخة ، و الأرحام المطهرة ، لم تنجّسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمّات ثيابها . . . »

وفى زيارة الاربعين: « و لم تلبسك المدلهمات من ثيابها » بدل « و لم تلبسك من مدلهمات ثيابها »

و في زيارة الجامعة الكبيرة : - « عصمكم الله من الزلل ، و آمنكم من الفتن ، و طهّركم من الدنس ، و أذهب عنكم الرجس و طهّركم تطهيراً . . .» الزيارة



﴿حديث الكساء و به الاستشفاء﴾

ان حديث الكساء صحيح لامراء فيه ورد بأسانيد صحيحة ، و هذا الحديث ممـا يستشفى بقرائته عند المرضى ، ويطلب به قضاء الحاجات .. .

وقد ورد عن جابر بن عبدالله الانصارى انه قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

سمعت فاطمة الزهراء عليها السلام (بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خ) انها قـالت : دخل علىّ أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بعض الايام ، فقال : السلام عليك يا فاطمة ، فقلت : وعليك السلام يا أبتاه ، فقال : انى لأجد فى بدنى ضعفاً ، فقلت له : اعيذك بالله يا أبتاه من الضعف ، فقال : يا فاطمة ايتينى بالكساء اليمانى وغطينى بـه ، فأتيته و غطيته به ، وصرت أنظر إليه فاذاً يتلألأ كأنه البدر فى ليلة تمامه و كماله ، فما كانت الاّ ساعة . وإذاً بولدى الحسن عليه السلام قد أقبل فقال : السلام عليك يـاامـاه فقلت : وعليك السلام يا قرّة عينى وثمرة فؤادى فقال لى : يا اماه انـى أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : نعم ياولدى ان جدك تحت الكساء فاقبل الحسن عليه السلام نحو الكساء وقال :

السلام عليك يا جداه يا رسول الله أتأذن لى أن أدخل معك ، فقال : وعليك السلام يا ولدى وصاحب حوضى قد أذنت لك فدخل معه تحت الكساء فما كانت الاّ ساعة ، فاذاً بولدى الحسين عليه السلام قد أقبل وقال : السلام عليك يا اماه فقلت :

وعليك السلام ياقرة عيني وثمرة فؤادى ، فقال لى : يا اماه انى أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت : نعم يا بنى ان جدك وأخاك تحت الكساء فدنى الحسين عليه السلام نحو الكساء وقال :

السلام عليك يا جداه السلام عليك يـا من اختاره الله أتأذن لى أن أكون معكما تحت هذا الكساء فقال: وعليك السلام ياولدى وياشافع امتى قد أذنت لك، فدخل معهما تحت الكساء فأقبل عند ذلك أبوالحسن على بن ابيطالب ، و قال : السلام عليك يا فاطمة يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت : وعليك السلام يا أباالحسن ويا أمير المؤمنين ، فقال : يا فاطمة انى أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة أخى وابن عمى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت : نعم هاهو مع ولديك تحت الكساء فاقبل على نحو الكساء وقال :

السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله أتاذن لى أن أكون معكم تحت الكساء قال له : وعليك السلام يا أخى وخليفتى وصاحب لوائى فى المحشر ، نعم قد أذنت لك فدخل علىّ تحت الكساء ثم أتيت نحو الكساء وقلت :

السلام عليك يا أبتاه يا رسول الله أتأذن لى أن أكون معكم تحت الكساء قال لى: وعليك السلام يا بنتى ويا بضعتى قد أذنت لك فدخلت معهم فلما اكتملنا واجتمعنا جميعاً تحت الكساء فأخذ أبـى رسول الله بطرفى الكساء وأومى بيده اليمنى إلى السماء وقال :اللهم ان هؤلاء أهل بيتى وخاصتى وحامتى لحمهم لحمى ودمهم دمى ، يؤلمنى ما يؤلمهم ، ويحزننى ما يحزنهم ، أنا حرب لمن حاربهم و سلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم ومحب لمن أحبهم ، وانهم منى وأنا منهم فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك علىّ و عليهم ،وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، فقال الله عزوجل :

يا ملائكتى وياسكان سمواتى انى ما خلقت سماءاً مبنية ولاأرضاً مدحية،و لاقمراً منيراً ولاشمساً مضيئة ولافلكاً يدور و لافلكاً تسرى ولابحراً يجرى الاّ

لمحبةهؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء ، فقال الامين جبرئيل : يارب ومن تحت الكساء ؟فقال الله عزوجل : هم أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة وهمفاطمة وأبوها وبعلها وبنوها ، فقال جبرئيل : يارب ! أتأذن لي أن أهبط إلى الارض لأكون معهمسادساً ، فقال الله عزوجل : قد أذنت لك ، فهبطالامين جبرئيل وقال لأبي:

السلامعليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العلي الاعلى يقرءك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ، ويقول لك: وعزتي وجلالي اني ماخلقت سماءاً مبنية ولاأرضاً مدحية ولاقمراً منيراًولاشمساً مضيئة ولافلكاً يدور ولابحراً يجري ولافلكاً تسري إلا لاجلكم ومحبتكم ، وقد أذن لي أن أدخل معكم ، فهل تأذنلي أنت يا رسول الله فقال أبي : وعليك السلام يا أمين وحي الله نعم قد أذنت لك ، فدخل جبرئيلمعنا تحت الكساء فقال جبرئيل ان الله قد اوحى إليكم يقول : «انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس اهلالبيت ويطهركم تطهيراً» فقال علي عليه السلام : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني ما لجلوسنا هذا تحت هذاالكساء من الفضل عندالله فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

و الذي بعثني بالحق نبيا واصطفاني بالرسالة نجيا ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الارض ، وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا الا ونزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة ، واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا ، فقال علي عليه السلام : إذاً والله فزنا وفازشيعتنا ورب الكعبة ، فقال أبي : يا علي ! والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياًماذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهلالارض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم الا و فرجالله همه ، و لامغمومالا و كشف الله غمه ، ولاطالب حاجة الا وقضىالله حاجته ، فقال علي عليه السلام : اذاً والله فزنا وسعدنا ، وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والاخرة برب الكعبة .

وقد نظم هذا الحديث الشريف عدة من نوابغ الادب وفرسان الشعر من العامة والشيعة الامامية الاثنيعشرية ومنهم الفقيه الاديب السيد محمدالقزويني

قدس سره من أعلام الشيعة .

روت لنا فاطمة خيرالنساء حديثأهل الفضل أصحاب الكساء
تقول ان سيد الانام قد زارنى يوماً من الايام
فقال لى انى أرى فى بدنى ضعفاً أراه اليوم قد انحلنى
قومى علىّ بالكسا اليمانى و فيه غطّينى بلا توانى
فقمت نحوه و قد لبيته مسرعة و بالكساء غطّيته
وصرت أرنو وجهه كالبدر فى أربع بعد ليال عشر
فما مضى الاّ يسير من زمن حتى أتى ابومحمد الحسن
فقال يا اماه انى أجد رائحة طيبة أعتقد
بانها رائحة النبى أخى الوصى المرتضى علىّ
قلت نعم هاهوذا تحت الكساء من علة مدثر به اكتسى
فجاء نحوه ابنه مسلّما مستأذناً قال له ادخل كرما
فما مضى غير القليل إلاّ و جاءنى الحسين مستقلا
فقال يا ام أشم عندك رائحة كأنها المسك الذكى
و حق من اولاك منه شرفا اظنها ريح النبى المصطفى
قلت نعم تحت الكساء هذا بجنبه أخوك فيه لاذا
فجاء نحوه ابنه مستأذنا مسلّما قال له ادخل معنا
فما مضت من ساعة الاّ و قد جاء أبوهما الغضنفر الاسد
أبو الائمة الهداة النجبا المرتضى رابع أصحاب العباء
فقال يا سيدة النساء و من بها زوجت فى السماء
انى أشم فى حماك رائحة كأنها الورد الندى فائحة
يحكى شذاهاعرف سيدالبشر وخير من طاف ولبى و اعتمر
قلت نعم تحتالكساء التحفا و ضمّ شبليك و فيه اكتنفا

فجاء يستأذن منه قائلاً … أ أدخلن قال فادخل عاجلا

قالت فجئت نحوهم مسلمة … قال ادخلى محبوبة مكرمة

فعند ما بهم أضاء الموضع … و كلهم تحت الكساء اجتمعوا

نادى اله الخلق جل و علا … يسمع أمـلاك السموات العلى

إقسم بالعزة و الجلال … و بارتفاعى فوق كل عال

ما من سما خلقتها مبنيه … و ليس ارض فى الثرى مدحيه

و لا خلقت قمراً منيراً … كلا ولا شمساً أضاءت نوراً

كلا ولاخلقت بحراً يجرى … ماء و لا فلك البحار تسرى

إلا لاجل من هم تحت الكساء … من لم يكن امرهم ملتبساً

قال الامين قلت يارب و من … تحت الكسا بحقهم لنا ابن

فقال لى هم معدن الرسالة … و مهبط التنزيل و الجلالة

و قال هم فاطمة و بعلها … والمصطفى والحسنان نسلها

فقلت : يارب وهل تأذن لى … ان اهبط الارض لذاك المنزل

فاغتدى تحت الكساء سادساً … كما جعلت خادماً و حارساً

قال اهبطن فجاءهم مسلّما … مستأذناً يتلو عليهم انما

يقول ان الله خصكم بها … معجزة لمن غدا منتبهاً

اقرأكم رب العلى سلامة … و خصّكم بغاية الكرامة

وهو يقول معلنا و مفهما … أملاكه الغر بما تقدما

قال على قلت يا حبيبى … ما لاجتما عنا من النصيب

فقال والله الذى اصطفانى … و خصّنى بالوحى و اجتبانى

ما ان جرى ذكر لهذاالخبر … فى محفل الاشياع خير معشر

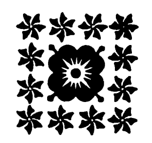
الاّ و أنزل الاله الرحمة … و فيه قد خفت جنود جمة

من الملائك الذين صدقوا … تحرسهم فى الارض ما تفرقوا

كلا و ليس فيهم مهموم الاّ و عنه كشفت غموم
كلا و لاطالب حاجة يرى قضاءها عليه قد تعسرا
الاّ قضىالله الكريم حاجته و أنزل السرور فصلا ساحته
قال علىّ نحن و الاحباب شيعتنا الذين قدماً طابوا
فزنا بما نلنا و ربالكعبة فليشكر كل فرد ربه

و غيرها تركناها للاختصار

و نحن معاشر الشيعة الامامية الحقة الاثنى عشرية نقول : اللهم ! أحينا بحياتهم و أمتنا مماتهم واحشرنا معهم فى الدنيا والآخرة و لا تفرق بيننا وبينهم طرفة عين أبداً بحقهم صلواتك عليهم أجمعين .



كلمات العلماء فى اختصاص

آية التطهير بالمعصومين عليهم السلام

و قد اتفق أعاظم علماء العامــة على اختصاص آية التطهيــر بالمعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فلا يعتنى بما تقوّل به بعض الأصاغرة وأتباعهم الجهلة .

و من علماء العامة : أبوبكر الحضرمى الشافعى فى (رشفة الصادى ص١٢ ط القاهرة بمصر) مالفظه: قال الله تعالى: « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس . . » الاية الرجس : القذر والدنس . والمراد هنا الاثم المدنس للقلـوب . و قيل : الرجس الشك . وقيل: السوء . وقيل: عمل الشيطان . والعموم أولى . وفى إستعارة الرجس للاثم والترشيح لها بالتطهير تنفير بليغ عن اقترافه مطلقا . وقد اختلف المفسرون فى المراد بأهل البيت المذكورين فى الايـة الكريمـة فمن قائلين أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم نساءه متمسكين بظاهر سياق الآيات منهم عكرمة وعطاء ومقاتل. ويرد هذا القول مع ما يأتى من الاحاديث الصريحة قول مجاهد وقتادة وأبى سعيد الخدرى و غيرهم انها لو نـزلت فى نسائه صلى الله عليه وآله وسلم خاصة لكان الخطاب فى الايـة الكريمة بما يصلح للاناث ، و لقال تعالى : « عنكن و يطهركن » كما فى الاية قبلها إلى أن قال :

و هذا القول : « اى القول بعموم شمول الاية للزوجات » أيضاً لا يطابق ما سيرد من الاحاديث والزوجات الطاهرات ، و ان كن داخلات فى عموم الايـة بمقتضى السياق ، لـكن الخصوص موجـه إلى علىّ و فاطمة و ابنيهما ، و لو كان

غير علي و فاطمة و ابنيهما مقصوداً أو مشاركاً في المعنى المراد بأهل البيت ، و هو موجود عند نزولها لقال ﷺ حين جلّل علياً و فاطمة و ابنيهما رضوان الله عليهم بالكساء المقدس هؤلاء من أهل بيتي ، ولكنه حصر المعنى عليهم ، فقال : هؤلاء أهل بيتي . و ما كان تخصيصهم بذلك منه ﷺ الا عن أمر الهى و وحي سماوي والذي قال به الجماهير من العلماء و قطع به أكابر الائمة ، وقامت به البراهين و تظافرت به الادلة : ان أهل البيت المرادين في الاية هم : سيدنا علي و فاطمة و ابناهما إذ المصير إلى تفسير من أنزلت عليه الاية متعين .

دعوا كل قول غير قول محمد فعند بزوغ الشمس ينطمس النجم

فانه صلوات الله وسلامه عليه وآله هو الذي فسّرها بأن أهل بيته المذكورين في الاية الكريمة هم علي و فاطمة و ابناهما بنص أحاديثه الصحيحة الواردة عن ائمة الحديث المعتد بهم رواية و دراية ، فقد أخرج الامام أبـو عيسى الترمذي و صححه و ابن جرير و ابن المنذر والحاكم و صححه ، وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن ام سلمة زوج النبي ﷺ و رضي عنها قالت : في بيتي نزلت : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس . . » الاية .

وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال : هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً .

ثم ذكر الرواية بطرق عديدة . . . ثم ذكر بلفظه و أخرجه الطبراني أيضاً إلى أن قال: والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، و بما اوردته منها يعلم ان المراد بأهل البيت في الاية الكريمة هم : علي و فاطمة و ابناهما رضوان الله عليهم ولا إلتفات إلى ما ذكره صاحب روح البيان : من ان تخصيص الخمسة المذكورين عليهم بكونهم أهل البيت هو من أقوال الشيعة لان ذلك محض تهور يقتضي بالعجب، و بما سبق من الاحاديث ، و ما في كتب اهل السنة السنية يسفر الصبح لذي عينين ، و لنعيم ما قال الشاعر :

هم العروة الوثقى لمعتصم بهم　مناقبهم جاءت بوحي و انزال
مناقب في الشورى وسورة هل أتى　وفي سورة الاحزاب يعرفها التالي
وهم أهل بيت المصطفى فودادهم　على الناس مفروض بحكم واسجال

وقال الشافعي :

يا أهل بيت رسول الله حبكم　فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم القدر انكم　من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

وقال الشيخ قطب الارشاد الحبيب عبدالله بن علوى بن محمد الحداد علوى شعراً:

و آل رسول الله بيت مطهر　محبتهم مفروضة كالمودة
هم الحاملون السرّ بعد نبيهم　و وراثه أكرم بها من وراثة

و من علماء العامة : محمود الآلوسي مفتي العامة ببغداد في تفسير (روح المعاني ج٢٢ ص١٤ ط القاهرة بمطبعة المنيرية) بعد ما ذكر الحديث عن طرق عديدة قال ما لفظه :

و اخبار ادخاله صلى الله عليه وآله وسلم علياً و فاطمة و ابنيهما رضى الله تعالى عنهم تحت الكساء و قوله صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم هؤلاء أهل بيتي . و دعائه صلى الله عليه وآله وسلم : لهم و عدم إدخاله صلى الله عليه وآله وسلم ام سلمة أكثر من أن تحصى ، وهي مخصصة لعموم أهل البيت بأيّ معنى كان البيت في المراد بهم من شملهم الكساء و لا يدخل فيهم أزواجه .

ثم قال الآلوسي : و صحّ عن زيد بن أرقم في حديث أخرجه مسلم : انه قيل له : من أهل بيته؟ نسائه؟ فقال: لا أيم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها ، فترجع إلى ابيها و قومها أهل بيته أصله و عصبته الذين حرموا الصدقة بعده صلى الله عليه وآله وسلم .

و من علماء العامة : السيد صديق حسن خان الحسيني في (تشريف البشر بذكر الائمة الاثنى عشر ص٤ ط بهوپال) ما لفظه : المراد من الآل علي وفاطمة والحسنان ، و يدل عليه آية المباهلة و آية التطهير والكساء .

و منهم : النبهانى فى (الشرف المؤبد لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ص ٦ ط مصر) ما لفظه : و اختلف المفسرون فى أهل البيت فى هذه الاية ، فذهبت طائفة منهم أبو سعيد الخدرى و جماعة من التابعين منهم مجاهد و قتادة و غيرهم كما نقله الامام البغوى و ابن الخازن و كثير من المفسرين إلى أنهم هنا أهل العباء ، وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و على و فاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم ، و ذهب جماعة منهم ابن عباس و عكرمة إلى انهم أزواجه الطاهرات قال : هؤلاء الايات كلها من قوله: « يا أيها النبى قل لازواجك - إلى قوله - ان الله كان لطيفاً خبيراً » منسوق بعضها على بعض فكيف صار فى الوسط كلام لغيرهن ؟

أجاب عن هذا القائلون بان المراد أهل العباء بان الكلام العربى يدخله الاستطراد والاعتراض ، وهو تخلل الجملة الاجنبية بين الكلام المتناسق كقوله تعالى : « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها و جعلوا أعزة أهلها اذلة و كذلك يفعلون و انى مرسلة إليهم بهدية » فقوله : « و كذلك يفعلون » جملة معترضة من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس . و قوله تعالى : « فلا اقسم بواقع النجوم و انه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم » أى فلا اقسم بمواقع النجوم انه لقرآن كريم . و ما بينهما اعتراض على اعتراض ، وهو كثير فى القرآن وغيره من كلام العرب .

و قد ثبت من طرق عديدة صحيحة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء و معه على و فاطمة والحسن والحسين قد أخذ كل واحد منهما بيد حتى دخل فأدنى علياً و فاطمة و أجلسهما بين يديه و أجلس حسناً و حسيناً كل واحد على فخذه ثم لفّ عليهم كساء ثم تلا هذه الاية : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » قالت ام سلمة : فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبه من يدى، فقلت: وأنا معكم يارسول الله؟ فقال : انك من أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم على خير .

و منهم : العلامة الحضرمى الشافعى فى (القول الفصل) بعد ما نقل الحديث

قال ما لفظه : قلت لهذا الحديث طرق جمة و صحته و ثبوته مما لا شك فيه و لا مرية و هو نص صريح على إنحصار الخصوصية العظمى فى جميع ما جاء فى أهل بيته ﷺ فى هؤلاء و ابناءهم فقط ، و ان دخول غيرهم فى شيء من رشاش ذلك الفضل انما هو على سبيل التبعية كدخول مواليهم لا غير فهم فقط حامة النبى ﷺ و خاصته و ورائه و خلفائه وأهل الحق و قرناء الكتاب ولايشاركهم فى شيء من هذا ولا ما يقاربه أحد لا آل عباس ولا آل جعفر فضلاً عن غيرهم، بل و لا بنو علىّ من غير فاطمة .

ثم نقل عن محب الدين الطبرى انه قال : ان إدخال النبى ﷺ لهؤلاء الخمسة تكرر فى بيت فاطمة و ام سلمة و غيرهما و هو الصواب . ثم قال : وقد زعم بعض حسّاد أهل البيت وأعدائهم : ان الاية مخصوصة بامهات المؤمنين لوقوعها فى سياق آيات متعلقة بهن ، و تكلفوا فى تأويل تذكير الضمير من المذكورين فى هذه الاية خاصة دون ما قبلها وما بعدها ، و هى بضعة عشر ضميراً و احتجوا بما افتخره عكرمة الصفرى الخارجى و حاله معلوم ، و من المشهور تردد ذلك الخبيث إلى الامراء يستعطيهم ويستطعمهم فغير بعيد أن ينال منهم أجراً وتشجيعاً على هذا الافتراء اذ النصب قدكان فاشياً اذ ذاك ، والتأجير على بغضهم كانت من التجارات الرابحة فى تلك الايام كما لا يخفى على من درس التاريخ ، و يقارب عكرمة فى النصب عروة بن الزبير .

ثم قال : والتعبير بأهل بيت النسب هو المتعارف المتبادر فهمه كما فى خبر كعب بن عجرة عند الحاكم يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت ، و خبر على فى مسنده عند النسائى و خبر أبى هريرة لأبى داود اذا صلّى علينا أهل البيت وخبر اللياسى و ابن أبى شيبة و أحمد وابن ماجه و أبى يعلى والطبرانى و أبى نعيم والمستغفرى المهدى منا أهل البيت إلى أن قال : و لفظ أهل و إن صحّ اطلاقه على بيت السكنى و أهل بيت النسب ، فهؤلاء حقيقته و بالذات ، و

لا يتصور انفكاكهم عنه و أهل بيت السكنى بالعرض ، و يجوز أن ينفك ذلك الوصف بان تعود المرأة إلى بيت أبيها ، و تلحق بقوم آخرين .

و قوله : « هو أهل التقوى و أهل المغفرة » و « كانوا أحق بها و أهلها » فالذين لا ينفك عنهم ذلك الوصف هم المرادون عند الاطلاق قطعاً كما قاله الاكثرون وجائت به الروايات الجمة الصحيحة ، فالآية فى أهل الكساء خاصة ، و هم أيضاً أهل المباهلة لم يدخل فيهم أحد آخر - إلى أن قال - : ويشهد لذلك ما صحّ عند الجمهور من ردّه صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة و ام سلمة ، و عدم إدخاله صلى الله عليه وآله وسلم لهما - إلى أن قال - : و من تأمل اسلوب الايات ، و تأنيث الضمائر فيهن ، ثم صرف ذلك و تغييره و تذكيره فى تلك الآية وحدها و ايراد لفظ أهل البيت منادياً لهم مخصصاً مع تكرار النداء فيما سوى ذلك بلفظ « يا نساء النبى » .

و عرف ان الاضافة إلى البيت لو تمحضت لما كانت خيراً من الاضافة إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم و كيف افرد لفظ البيت مع أن لامهات المؤمنين بيوتاً متعددة للسكنى و تحليته باللام التى هنا للعهد الذهنى ، و من تأمل هذا لم يبق عنده غبار ريب فى أن القول قول الجمهور و هو اختصاص الاية بالخمسة ، و هذا القول منقول عن زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام و مجاهد و قتادة والمحدث المفسر ابن جرير أورد للقول بان الاية فى أهل الكساء أحاديث متعددة بأسانيد صحيحة و حسنة عن ثمانية من الصحابة و ذكر الآثار فى ذلك عن التابعين كذلك ، و قد حقق الطحاوى فى مشكل الآثار استحالة دخول غير أهل الكساء معهم فيما اريدت به هذه الاية .

و هو الذى لا يتخطاه مسلم منصف إذ أى شبهة تبقى بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم لام المؤمنين لما سئلته أن تكون معهم : « انك على خير و هؤلاء أهل بيتى » أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم لها : « لا و انت على خير » و أين غفلوا عن قولها وددت انه قال: نعم فكان أحب إلىّ مما تطلع عليه الشمس و تغرب و اذا كانت منهم فلم جذب الكساء

من يدها . و قد خطب الامام الحسن السبط عليه السلام بعد دفن أبيه و بين اختصاص أهل البيت بالخمسة بمشهد و مسمع من ابن عباس و جماعة بني‌هاشم و أصحاب علي عليه السلام و ابن مسعود ، و لم ينكره أحد فهل يبقى شك بعد ذلك .

و لله در العلامة الشيخ أحمد بن محمد الاشعري الخفطي المغربي أشار في أبياته إلى بعض النكات والدقائق التي ذكرها السمهودي و طريق دخول سائر الائمة في أهل البيت حيث قال :

و آية التطهير من هذا النمط — و كل ما قالوه سهو و غلط
و غفلوا عن أربع من النكت — تفيد للحصر على قطع و بت
فانما الاول ثم الثاني — تأكيده باللام للمباني
مؤكداً بالمطلق المفعول — منكراً في الحكم والنزول
و جعله في سبب الانزال — لآية التطهير في السئوال
اسم إشارة لما قد اسندا — إليه في دعائه و ما اعتدى
و عند أرباب البيان نكت — غير التي تسمعها قد اثبتوا
إن قلت ان الاية المعظمة — قد أنزلت في خمسة مكرمة
فما الدليل في دخول عترته — تحت الكساء حكماً و تحت دعوته
فعندنا دلائل تواترت — دلت على القطع و قد تظافرت
منها خصوص السبب المهم — لم يمتنع منه عموم الحكم
لم يخلقوا إذ ذاك والبطون — في عالم الظهور قد يكون
و قال الحقنا بهم سبحانه — ذرية فرددن قرآنه
و أهل بيت المصطفى ذريته — حقيقة و هم بنوه عترته
مقارنين للكتاب أبداً — إلى ورود الحوض فيما وردا
و واحد من ثقلين قد ترك — من بعده فينا تنور الملك
و امر الامة بالتمسك — بهم فيا لله من مستمسك

فـهـذه دلائـل الـدخـول في آية التطهير والشمول
و انهم قد ألحقـوا بنفسه و كل فـرع لا حـق بغرسـه
طهّرهـم ربهـم و اذهبـا لـكل رجس عنهم و طيبا
فـكل فـرد منهـم مطهـر من ذلك اليوم إلى أن يحشروا
و صيغة الفعل لهـا التجديد على الـدوام و لها الترديـد

إلى آخر ما نظمه. و على القارىء التدبر فيما أوردناه من كلمات أعاظم العامة نثراً و نظماً، و فيما ورد في المقام من الروايات...

و من علماء العامة: أحمد مصطفى المراغي قال في (تفسيره ج ٢٢ ص ٧ ط مصر) ما لفظه: و أهل بيتـه صلى الله عليه وآله وسلم من كان ملازماً لـه من الرجال والنساء والازواج والاماء والأقارب، و كلما كان المرء منهم أقـرب و بالنبي أخص و ألزم كان بالارادة أحق و أجدر. و عن ابن عباس قال: «شهدنا رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعة أشهر يـأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة فيقـول: «السلام عليكم و رحمة الله انما يـريـد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً، الصلاة يرحمكم الله كل يوم خمس مرات».

و منهم: النظام النيسابوري في (تفسيره ذيل آيـة التطهير) ما لفظه: و قد مرّ في آية المباهلة انهم أهل العباء: النبي صلى الله عليه وآله وسلم لانه أصل وفاطمة رضي الله عنها والحسن والحسين رضي الله عنهما بالاتفاق، والصحيح ان علياً رضي‌الله عنه منهم لمعاشرته بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم و ملازمته إياه.

و منهم: العلامة أبوبكر الحضرمي الشافعي في (القول الفصل ج ١ ص٨٤ ط افريقيا) ما لفظه: انـه أي حديث الكساء من الاحاديث الصحيحة المستفيضة المتواترة معنى اتفقت الامة على قبوله، فهم بين من يحتج به كالشيعة، ومئول‌له كغيرهم والتأويل فرع القبول، و قـد قال بصحته سبعة عشر حافظاً من كبـار حفاظ الحديث.

و قال فی (ج ٢ ص ١٦٢ الطبع) فی هـذا الكتاب فی مقام الـرد علی الناصب المشتهر بابن التلميذ وهو نصاب عصرنا فی بلاد افريقيا مالفظه : الحديث صحيح أخرجه مسلم فی صحيحه و ابن السكن فی صحاحه المشهـورة والترمذی فی جامعه والامام احمد فی مسنده من طرق ، والحاكم فی مستدركه و صححه والبيهقی و صححه و أخرجه ابن حبان فی صحيحه والنسائی والطبرانی فی معجمه الكبير من طرق ، و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبی حاتم فی تفسيره ، و قد التزم أن يذكر أصح ما ورد و ابن مردويه والخطيب و ابن أبی شيبه والطيالسی و أبو نعيم والحكيم والترمذی والذين قالوا بصحته جمع غفير منهم الأئمة :

مسلم و ابن أبی حاتـم و صالح بن محمد الاسدی و ابن شاهين والحافظ أحمد بن صالح المصری والحاكم والبيهقی والحافظ ابن حجر و ابن عبدالبر وابن تمية والسخاوی والقسطلانی والكمال المـزی والزرقانی والسمهودی والشوكانی و غيرهم من أئمة أهل السنة والجماعة ، و محدثـوا الشيعة قاطبة ، و قدروه من الصحابة الامام علی والسبطان عليهم السلام و عبدالله بن جعفـر و ابن عباس و ام سلمة و عائشة و سعد بن أبی وقاص و انس بن مالك و أبو سعيد الخـدری و ابن مسعـود و معقل بن يسار و واثلة بن الاسقع و عمر بن أبی سلمة و أبوالحمراء ، فهؤلاء خمسة عشر صحابياً .

و غيرهم من أعاظم علماء العامـة تركناهم للاختصار ، و نختم الكلام فی المقام بماجاء فی ذيل (شواهد التنزيل ج٢ص٦١ ط بيروت) للحاكم الحسكانی الحنفی : و فی ذلك يقول الشاعر :

بأبی خمسة هم جنبوا الـ　　رجـس و طهّروا تطهيـراً
أحمد المصطفی وفاطمة ثم أعنی　　عليـاً و شبـراً و شبيـراً
من تولاّهم تولاه ذو العـرش　　و لقـاه نضـرة و سـروراً
و علی مبغضيهم لعنـة الله　　و أصلاهم المليك سعيـراً

كلمات المحققين فى اختصاص آية التطهير بالمعصومين عليهم السلام

و لأعلام الشيعة الامامية الاثنى عشرية ومحققيهم كلمات لايسعها المقام ، فنشير إلى نبذة منها على طريق الاختصار :

منهم: شيخ المفسرين الطبرسى قدس‌سره قال فى (المجمع) ذيل الاية الكريمة : والبيت التعريف فيه للعهد ، والمراد به بيت النبوة والرسالة والعرب تسمى مايلتجأإليه بيتاً ،ولهذاسموا الانساب بيوتاً ، قالوا : بيوتات العرب يريدون النسب قال :

ألا يا بيت بالعلياء بيت و لولا حبّ أهلك ما أتيت

ألا يا بيت أهلك أو عدونى كأنى كل ذنبهم جنيت

يريد بيت النسب وبيت النبوة والرسالة كبيت النسب .

و«العلياء» : رأس الجبل . المكان العالى .

ثم قال قدس‌سره : وقد اتفقت الامة بأجمعها على أن المراد بأهل البيت فى الآية أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى أن قال ـ واستدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة عليهم السلام بان قالوا : إن لفظة ـ «انما» محققة لما اثبت بعدها نافية لما لم يثبت ، فان قول القائل انما لك عندى درهم ، و انما فى الدار زيد يقتضى انه ليس عنده سوى الدرهم ، وليس فى الدار سوى زيد ، واذا تقرر هذا فلاتخلو الارادة فى الاية أن تكون هى الارادة المحضة أوالارادة التى يتبعها التطهير و

إذهاب الرجس ، ولايجوز الوجه الاول لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الارادة المطلقة فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق ، و لان هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ولا في مدح في الارادة المجردة فثبت الوجه الثاني ، وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالاية من جميع القبائح ، و قد علمنا ان من عدا من ذكرناه من أهل البيت غير مقطوع على عصمته ، فثبت ان الآية مختصة بهم لبطلان تعلّقها بغيرهم ، ومتى قيل : ان صدر الاية و ما بعدها في الازواج فالقول فيه ان هذا لاينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم ، فانهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه ، والقرآن من ذلك مملؤ وكذلك كلام العرب واشعارهم .

ومنهم : السيد شرف الدين رضوان الله تعالى عليه في (الفصول المهمة) قال: لاريب في أن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم في هذه الاية انما هم الخمسة «أصحاب الكساء» و كفاك هذا برهاناً على انهم أفضل من أقلته الارض يومئذ ومن أظلته السماء .

ألا وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصنوه الجاري بنص الذكر مجرى نفسه ، وبضعته التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها و ريحانتاه من الدنيا سبطاه الشهيدان سيدا شباب أهل الجنة ، فهولاء هم أصحاب هذه الاية البينة بحكم الادلة القاطعة والحجج الساطعة لم يشاركهم فيها أحد من بني آدم ، ولازاحمهم تحت كساءها واحد من هذا العالم - إن أن قال - وقد اجمعت كلمة أهل القبلة من أهل المذاهب الاسلامية كلها على انه صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل الوحي بها ضمّ سبطيه وأباهما وامهما إليه ثم غشاهم ونفسه بذلك الكساء تمييزاً لهم عن سائر الابناء والانفس والنساء فلما انفردوا تحته عن كافة اسرته واحتجبوا به عن بقية امته بلغهم الآية ، وهم على تلك الحال حرصاً على أن لايطمع بمشاركتهم فيها أحد من الصحابة والآل .

فقال مخاطباً لهم وهم معه في معزل عن كافة الناس : «انما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» فازاح ﷺ بحجبهم فى كسائه حينئذ حجب الريب وهتك سدف الشبهات ، فبرح الخفاء بحكمته البالغة وسطعت أشعة الظهور ببلاغة المبين ، والحمدلله رب العالمين ، ومع ذلك لم يقتصر ﷺ على هذا المقدار من توضيح اختصاص الاية بهم عليهم السلام حتى أخرج يده من تحت الكساء فألوى بها إلى السماء فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، يكرر ذلك وام سلمة تسمع وترى إذ كان نزول الآية و قضية الكساء فى بيتها ، فقالت : وانا معكم يا رسول الله ، ورفعت الكساء لتدخل فجذبه من يدها ، وقال : انك على خير ، وفى ذلك كله صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة .

فيا أهل البصائر برسول الله ﷺ العارفين بمبلغه من الحكمة والعصمة المقدرين قدر أفعاله وأقواله هل تجدون وجهاً لحصرهم تحت الكساء عند تبليغهم الاية عن الله تعالى الاّ المبالغة البليغة فى توضيح ما قلناه من اختصاصها و امتيازهم بها عن العالمين ؟ وهل تفهمون من قوله : «اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» الاّ الحصر بهم والقصر عليهم ؟ وهل ترون وجهاً لجذب الكساء من يدام سلمة ومنعها من الدخول معهم على جلالة قدرها وعظم شأنها الاّ الذى ذكرناه؟ فأين تذهبون وأنى تؤفكون «انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين و ما صاحبكم بمجنون» .

و قد تكررت منه ﷺ قضية الكساء حتى احتمل بعض العلماء تكرار نزول الاية أيضاً ، والصواب عندنا نزولها مرة واحدة لكن حكمة الصادق الامين فى نصحه ببلاغه المبين اقتضت تكرير تلك القضية مرة فى بيت ام سلمة عند نزول الاية ، وتبليغها لاهلها المخاطبين فيها، واخرى فى بيت فاطمة وفى كل مرة يتلو عليهم الاية مخاطباً لهم بها وهم فى معزل عن الناس تحت ذلك الكساء درءاً للشبهة فى نحور أهل الزيغ .

وقد بلغ بأبى هو وامى فى توضيح اختصاص الاية بهم كل مبلغ ، وسلك فى اعلان ذلك مسالك ينقطع معها شغب المشاغب ولايبقى بعدها أثر لهذيان النواصب حتى كان بعد نزول الاية كلما خرج إلى الفجر يمرّ ببيت فاطمة فيقول :الصلاة يا أهل البيت انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً و قد استمرّ على هذا ستة أشهر فى رواية أنس ، وعن ابن عباس سبعة أشهر (و فى رواية تسعة أشهر) وفى رواية ذكرها النبهانى وغيره ثمانية أشهر، فصرّح الحق عن محضه و بدا الصبح لذى عينين.

لكن حثالة من أعداءأهل البيت ؛ وصنائع بنى امية ودعاة الخوارج ذهبوا فى صرف الايةعن أهلها كل مذهب ، فقال بعضهم : انها خاصة بنساء النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم و تشبثوا فى ذلك بسياق الاية ، و بالغ عكرمة و مقاتل بن سليمان فى الانتصار لهذا الرأى والاستدلال بالسياق عليه، وكان عكرمة ينادى به فى الاسواق (١٨) تحاملاً على أصحاب الكساء ولاعجب فان عكرمة من الدعاة إلى عداوة علىّ عليه السلام والسماة فى تضليل الناس عنه بكل طريق .

ثم قال : وأما مقاتل فقد كان عدواً لامير المؤمنين عليه السلام أيضاً ، و كان دأبه صرف الفضائل عنه عليه السلام حتى افتضح بذلك . قال ابراهيم الحربى كما فى ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان: قعد مقابل بن سليمان فقال(إطفاء لنور أمير المؤمنين): سلونى عمادون العرش فقال له رجل : أخبرنى من حلق رأس آدم حين حجّ ؟ فبهت .

و كان مقاتل مع ذلك كله من رجال المرجئة وغلاة المشبهة . ثم قال : و آية التطهير جاءت مستطردة بين آيات النساء فتبين بسبب استطرادها ان خطاب الله لهن بتلك الاوامر والنواهى والنصائح والآداب لم يكن الاّ لعناية الله تعالى **بأهل البيت «أعنى الخمسة» لئلاينالهم «ولومن جهتهن» لوم أو ينسب إليهم «ولو**

بواسطتهن» هناة أو يكون عليهم للمنافقين «ولو بسببهن» سبيل ، ولولا هذا الاستطراد ما حصلت هذه النكتة الشريفة التي عظمت بها بلاغة الذكر الحكيم ، وكمل إعجازه الباهر كما لا يخفى .

و منهم : العلامة المجلسي قدس سره في البحار فقال: المراد بالارادة في الاية إما الارادة المستتبعة للفعل أعني إذهاب الرجس، حتى يكون الكلام في قوة ان يقال :انما اذهب الله عنكم الرجس ، أو الارادة المحضة التي لا يتبعها الفعل حتى يكون المعنى:أمركم الله باجتناب المعاصي يا أهل البيت ،فعلى الاول ثبت المدعى، وأما الثاني فباطل من وجوه :

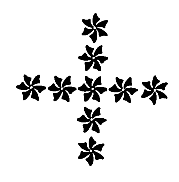
الاول : ان كلمة «انما» تدل على التخصيص كما قرّر في محله ، والارادة المذكورة تعمّ سائر المكلفين حتى الكفار لاشتراك الجميع في التكليف ، وقد قال سبحانه : «وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون» فلا وجه للتخصيص بأهل البيت عليهم السلام .

الثاني : ان المقام يقتضي المدح والتشريف لمن نزلت الاية فيه ، حيث جلّلهم بالكساء ولم يدخل فيه غيرهم ، و خصّصهم بدعائه فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي على ما سبق في الاخبار ، وكذا التأكيد في الاية حيث أعاد التطهير بعد بيان إذهاب الرجس ، والمصدر بعده منوّناً بتنوين التعظيم . . .

الثالث : ان الاية على ما مرّ في بعض الروايات انما نزلت بعد دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم وان يعطيه ما وعده فيهم ، وقد سئل الله أن يذهب عنهم الرجس ويطهّرهم لا أن يريد ذلك منهم ويكلفهم بطاعته ، فلو كان المراد هذا النوع من الارادة لكان نزول الاية في الحقيقة رداً لدعوته صلى الله عليه وآله وسلم لا إجابة لها ، بطلانه ظاهر .

وأما الالتفات في الاية فقد وقع في سورة الاحزاب بعينها ما يشبه هذا فان

الله تعالى بعد ما خاطب أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بايات مصدرة بقوله : «يا نساء النبي إن كنتن تردن الحياة الدنيا» الاية عدل إلى الخطاب للمؤمنين بما لاتعلق له بازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بآيات كثيرة ثم عاد إلى الامر بالخطاب لهن وعيّرهن بقوله تعالى : «يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك . .» .



﴿أهل بيت النبوة عليهم السلام و شيعتهم﴾

في معاني الاخبار : باسناده عن أبي بصير قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : ذريته فقلت من أهل بيته ؟ قال : الائمة الاوصياء فقلت : من عترته ؟ قال : أصحاب العباء فقلت : من امته ؟ قال : المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عندالله عز و جل المتمسكون بالثقلين الذين امروا بالتمسك بهما بكتاب‌الله وعترته أهل بيته الذين أذهب‌الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً و هما الخليفتان على الامة بعده عليه السلام .

و فيه : باسناده عن عبد بن ميسرة قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : انا نقول: اللهم صلّ على محمد و أهل بيته ، فيقول قوم : نحن آل محمد فقال : انما آل محمد من حرّم الله عزوجل على محمد و آله نكاحه .

و فيه : باسناده عن سليمان الديلمي قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام :جعلت فداك من الآل ؟ قال : ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال : قلت : فمن الاهل ؟ قال : الائمة عليهم السلام .

و في تفسير العياشي : باسناده عن ثعلبة بن ميمون عن ميسر قال : كنا في الفسطاط عند أبي جعفر عليه السلام نحو من خمسين رجلاً قال : فجلس بعد سكوت كان منا طويلاً فقال : مالكم لاتنطقون لعلكم ترون اني نبي لا والله ما أنا كذلك، و لكن فيّ قرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريبة ولادة من وصلها وصله الله و من أحبّها أحبّه الله من أكرمها أكرمه الله أتدرون أيّ البقاع أفضل عندالله منزلة، فلم يتكلم

أحد ، فكان هو الراد على نفسه ، فقال : تلك مكة الحرام التى رضيها لنفسه حرماً وجعل بيته فيها ، ثم قال : أتدرون أىّ بقعة أفضل من مكة ، فلم يتكلم أحد فكان هو الراد على نفسه ، فقال : مابين الحجر الاسود إلى باب الكعبة ذلك حطيم ابراهيم نفسه الذى كان يذود فيه غنمه ، و يصلّى فيه فوالله لو أن عبداً صفّ قدميه فى ذلك المكان قام النهار مصلياً حتى يجنّه الليل ، و قام الليل مصلياً حتى يجنه النهار .

ثم لم يعرف لنا حقاً أهل البيت و حرمنا حقنا لم يقبل الله منه شيئاً أبداً ان أبانا ابراهيم صلوات الله عليه كان فيما اشترط على ربه ان قال : « اجعل افئدة من الناس تهوى إليهم » اما انه لم يقل الناس كلهم انتم اولئك رحمكم الله و نظراؤكم انما مثلكم فى الناس مثل الشعرة البيضاء فى الثور الاسود أو الشعرة السوداء فى الثور الابيض ، و ينبغى للناس أن يحجّوا هذا البيت و أن يعظّموه لتعظيم الله اياه و أن يلقونا أينما كنا نحن الادلاء على الله .

و فيه : باسناده عن الفضيل بن يسار عن أبى جعفر عليه السلام قال : انظر إلى الناس يطوفون حول الكعبة ، فقال : هكذا كانوا يطوفون فى الجاهلية انما امروا أن يطوفوا ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم ، و يعرضون علينا نصرتهم ثم قرء هذه الاية : « فاجعل افئدة من الناس تهوى إليهم » فقال : آل محمد آل محمد ثم قال : إلينا إلينا .

و فيه : باسناده عن أبى عبيدة عن أبى جعفر عليه السلام قال : من أحبنا ، فهو منا أهل البيت قلت : جعلت فداك منكم ؟ قال : منا والله أما سمعت قول ابراهيم عليه السلام : « فمن تبعنى فانه منى » .

و فيه : باسناده عن محمد الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من اتق الله منكم و أصلح فهو منا أهل البيت ، قال : منكم أهل البيت ؟ قال : منا أهل البيت قال فيها ابراهيم : « فمن تبعنى فانه منى » قال عمر بن يزيد قلت له : من آل محمد؟

قال : اى والله من آل محمد اى والله من أنفسهم أما تسمع الله يقول : « ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه » و قول ابراهيم : « فمن تبعني فانه منى » .

و فيه : باسناده عن ابن عمرو الزبيرى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من تولى آل محمد ، وقدّمهم على جميع الناس بما قدّمهم من قرابة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فهو من آل محمد لتوليه آل محمد لا انه من القوم بأعيانهم، وانما هو منهم بتوليه إليهم واتباعه اياهم، و كذلك حكم الله فى كتابه : « و من يتولهم منكم فانه منهم » و قول ابراهيم : « فمن تبعني فانه مني و من عصاني فانك غفور رحيم » :

كما قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لسلمان الفارسى رضوان الله تعالى عليه :سلمان منا أهل البيت لمتابعته له صلى الله عليه و آله و سلم بما هو حقه .

و فيه : باسناده عن خالدبن نجيح عن جعفربن محمد عليه السلام فى قوله تعالى: « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » فقال : بمحمد و آله السلام تطمئن القلوب و هو ذكر الله و حجابه .

و فى الدر المنثور : أخرج ابن مردويه عن على عليه السلام :ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لما نزلت هذه الاية : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » قال : ذاك من أحب الله و رسوله و أحبّ أهل بيتى صادقاً غير كاذب ، و أحب المؤمنين شاهداً وغائباً ألا بذكر الله يتحابون .

و فى المستدرك لابن بطريق : روى الحافظ أبو نعيم باسناده عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : « الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » أتدرى من هم يا بن ام سليم ؟ قلت : من هم يا رسول الله ؟ قال : نحن أهل البيت و شيعتنا .

أهل البيت عليهم السلام هم العترة الطاهرة

و آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

في **عيون أخبار الرضا** عليه السلام: باسناده عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد إجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق و خراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الاية: « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا »؟ فقالت العلماء: أراد الله عزوجل بذلك الامة كلها، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الرضا عليه السلام: لاأقول كما قالوا، ولكني أقول: أراد الله عزوجل بذلك العترة الطاهرة، فقال المأمون: وكيف عني العترة من دون الامة؟ فقال له الرضا عليه السلام: انه لوأراد الامة لكانت أجمعها في الجنة لقول الله عزوجل: «فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير» ثم جمعهم كلهم في الجنة، فقال عزوجل: « جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب » الآية، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لالغيرهم فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟

فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال عزوجل: « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً »

و هم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله

و عترتی أهل بیتی ألاوانهمالن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض ، فانظروا کیف تخلفون فیهما أیها الناس لاتعلموهم فانهم أعلم منکم .

قالت العلماء : أخبرنا یا أبا الحسن عن العترة أهم الآل ؟أم غیرالآل ؟

فقال الرضا عليه‌السلام : هم الآل ، فقالت العلماء : فهذا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم یؤثرعنه انه قال : امتی آلی و هؤلاء أصحابه ، یقولون بالخبرالمستفاض الذی لایمکن دفعه آل محمد امته .

فقال أبوالحسن عليه‌السلام : أخبرونی فهل تحرم الصدقة علی الآل ؟ فقالوا : نعم قال : فتحرم علی الامة ، قالوا : لا ، قال : هذا فرق بین الآل و الامة ، و یحکم أین یذهب بکم أضربتم عن الذکر صفحاً أم‌أنتم قوم مسرفون ! أماعلمتم انه وقعت الوراثة والطهارة علی‌المصطفین المهتدین دون سائرهم ؟

قالوا : و من أین یا أبا الحسن ؟ فقال : من قول الله عزوجل : « و لقد أرسلنا نوحاً و إبراهیم و جعلنا فی ذریتهما النبوة و الکتاب فمنهم مهتد و کثیر منهم فاسقون » فصارت وراثة النبوة و الکتاب للمهتدین دون الفاسقین ، أما علمتم ان نوحاً حین سئل ربه عزوجل : « فقال رب ان إبنی من أهلی وان وعدك الحق و أنت أحکم الحاکمین » و ذلك ان الله عزوجل وعده أن ینجیه و أهله ، فقال ربه عزوجل : « یا نوح انه عمل غیرصالح فلا تسئلن ما لیس لك به علم‌انی أعظك أن تکون من الجاهلین »

فقال المأمون : و أین ذلك من کتاب الله ؟ فقال له الرضا عليه‌السلام فی قول الله عزوجل : « ان الله اصطفی آدم و نوحاً و آل إبراهیم و آل عمران علی‌العالمین ذریة بعضها من بعض و الله سمیع علیم » و قال عزوجل فی موضع آخر: « أم یحسدون‌الناس علی ماآتاهم‌الله من فضله فقد آتیناآل إبراهیم الکتاب والحکمة وآتیناهم ملکاً عظیماً » ثم ردّ المخاطبة فی اثرهذه إلی سایرالمؤمنین فقال : « یا أیها الذین آمنوا أطیعوا الله و أطیعوا الرسول و اولی الامرمنکم » یعنی

الذى قرنهم بالكتاب و الحكمة و حسدوا عليهما فقوله عزوجل : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً » يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين ، فالملك هيهنا هو الطاعة لهم ، فقالت العلماء : فأخبرنا هل فسّر الله عزوجل الاصطفاء في الكتاب ؟ فقال الرضا عليه السلام : فسّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في إثناعشر موطناً و موضعاً :

فأول ذلك: قوله عزوجل : «وأنذر عشيرتك الأقربين» ورهطك المخلصين هكذا في قراءة ابي بن كعب ، و هي ثابتة في مصحف عبدالله بن مسعود و هذه منزلة رفيعة و فضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عزوجل بذلك الانذار فذكره لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهذه واحدة .

و الآية الثانية : في الاصطفاء قوله عزوجل : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » وهذا الفضل الذى لايجهله أحد إلاّ معاند ضال لأنه فضل بعد طهارة تنتظر فهذه الثانية .

و أما الثالثة فحين ميزان الله الطاهرين من خلقه ، فأمر نبيه بالمباهلة بهم في آية الابتهال ، فقال عزوجل : يا محمد « فمن حاجك فيه من بعد ما جائك فقل تعالوا ندع أبنائنا و أبنائكم ونسائنا و نسائكم وأنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » فبرز النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم ، و قرن أنفسهم بنفسه ، فهل تدرون ما معنى قوله : « وأنفسنا و أنفسكم » ؟

قالت العلماء : عنى به نفسه ، فقال أبوالحسن عليه السلام : لقد غلطتم إنما عنى بها على بن أبى طالب عليه السلام ومما يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين قال : لينتهين بنوو ليمة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي يعني على بن أبيطالب عليه السلام و عنى بالأبناء الحسن و الحسين عليهما السلام ، و عنى بالنساء فاطمة عليها السلام فهذه خصوصية لايتقدمهم

فيها أحد، و فضل لايلحقهم فيه بشر و شرف لايسبقهم إليه خلق إذ جعل نفس علي عليه السلام كنفسه فهذه الثالثة.

و أما الرابعة: فاخراجه صلى الله عليه وآله وسلم الناس من مسجده ماخلا العترة حتى تكلم الناس في ذلك و تكلم العباس، فقال: يارسول الله تركت علياً و أخرجتنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما أنا تركته وأخرجتكم ولكن الله عزوجل تركه وأخرجكم وفي هذا تبيان قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، قالت العلماء: و أين هذا من القرآن؟ قال أبوالحسن عليه السلام: اوجدكم في ذلك قرآناً واقرأه عليكم قالوا: هات قال: قول الله عزوجل: «و أوحينا إلى موسى وأخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة» ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى، و فيها أيضاً منزلة علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و مع هذا دليل واضح في قوله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: ألا ان هذا المسجد لايحل لجنب إلا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم و آله.

قالت العلماء: يا أبا الحسن هذا الشرح و هذا البيان لايوجد إلا عندكم معاشر أهل بيت الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: و من ينكرلنا ذلك ورسول الله يقول: أنا مدينة العلم و علي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها؟ ففيما أوضحنا و شرحنا من الفضل و الشرف و التقدمة و الاصطفاء و الطهارة ما لاينكره إلا معاند والله عزوجل والحمد على ذلك - فهذه الرابعة.

و الآية الخامسة: قول الله عزوجل: «و آت ذا القربى حقه» خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها، و اصطفاهم على الامة، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ادعوا إلى فاطمة فدعيت له فقال: يا فاطمة قالت: لبيك يا رسول الله فقال: هذه فدك مما هي لم يوجف عليه بالخيل و لاركاب، و هي لي خاصة دون المسلمين و قد جعلتها لك لما أمرني الله تعالى به فخذيها لك و لو لدك فهذه الخامسة.

والآية السادسة : قول‌الله عزوجل: « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى » وهذه خصوصية للنبى ﷺ إلى يوم القيامة و خصوصية للآل دون غيرهم ، و ذلك ان‌الله عزوجل حكى فى‌ذكر نوح فى كتابه : « يا قوم لا أسئلكم عليه ما لا إن أجرى إلاّ على الله و ما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوماً تجهلون » وحكى عزوجل عن هود انه قال: « قل لا أسئلكم عليه أجراً إن أجرى إلاّ على الذى فطرنى أفلا تعقلون » و قال عزوجل لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد : « لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى » و لم يفرض الله تعالى مودتهم إلاّ و قد علم أنهم لا يريـدون عن الدين أبـداً و لا يرجعون إلى‌ضلال أبداً ، و اخرى أن يكون الرجل واداً للرجل ، فيكون بعض أهل بيته عدواً له ، فلا يسلم له قلب الرجل .

فأحب الله عزوجل أن لا يكون فى قلب رسول الله ﷺ على المؤمنين شيء ، ففرض عليهم الله مودة ذوى‌القربى ، فمن أخذ بها و أحب رسول‌الله ﷺ و أحب أهل بيته لم يستطع رسول الله ﷺ أن يبغضه ، ومن تركها ولم يأخذ بها و أبغض أهل بيته ، فعلى رسول الله ﷺ أن يبغضه لانه قد ترك فريضة من فرائض‌الله عزوجل فأىّ فضيلة وأىّ شرف يتقدم هذا أو يدانيه؟ فأنزل‌الله عزوجل هذه الآية على نبيه ﷺ : « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة فى‌القربى » .

فقام رسول الله ﷺ فى أصحابـه فحمد الله و أثنى عليه و قال : يا أيها الناس ! ان الله عزوجل قد فرض لى عليكم فرضاً ، فهل أنتم مؤدوه ؟ فلم يجبه أحد ، فقال : يا أيها الناس انه ليس بذهب و لا فضة و لا مأكول و لا مشروب ، فقالوا: هات إذاً فتلا عليهم هذه الاية ، فقالوا: أما هذه فنعم فما وفى‌بها أكثرهم، و ما بعث الله عزوجل نبياً إلا اوحى إليه أن لا يسئل قومه أجراً لان الله عزوجل يوفيه أجر الانبياء و محمد ﷺ فرض الله عزوجل مودة طاعته ومودة قرابته على امته و أمـره أن يجعل أجره فيهم ليؤدّوه فى قـرابته بمعرفة فضلهم الذى

أوجب الله عزوجل لهم، فان المودة إنما تكون على قدر معرفة الفضل، فلما أوجب الله تعالى ثقل ذلك لثقل وجوب الطاعة فتمسك بها قوم قد أخذالله ميثاقهم على الوفاءو عاند أهل الشقاق والنفاق، والحدوا في ذلك فصرفوه عن حدّه الذى حدّه الله عزوجل.

فقالوا: القرابة هم العرب كلهم و أهل دعوته، فعلى أى الحالتين كان فقد علمنا انالمودة هيالقرابة فأقربهم من النبى صلى الله عليه وآله وسلم أولاهم بالمودة، وكلما قربت القرابة كانت المودة على قدرها، و ما انصفوا نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حيطته و رأفته و ما منّ الله به على امته مما تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه أن لا يؤذوه فيذريته و أهلبيته، و أن يجعلوهم فيهم بمنزلة العين من الرأس حفظاً لرسول الله فيهم، والذين فرض الله تعالى مودتهم و وعد الجزاء عليها، فما و فى أحد بها فهذه المودة لا يأتى بها أحد مؤمناً مخلصاً إلا استوجب الجنة لقول الله عزوجل فى هذه الاية: «والذين آمنوا و عملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة فيالقربى» مفسّراً و مبيناً ثم قال أبوالحسن عليه السلام:

حدثنى أبى عن جدى عن آبائه عن الحسين بن على عليهما السلام قال: إجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله، فقالوا: ان لك يارسول الله مؤنة فينفقتك، و فيمن يأتيك من الوفود و هذه أموالنا مع دمائنا، فاحكم فيها باراً مأجوراً اعط ما شئت و امسك ما شئت من غير حرج قال: فأنزل الله عزوجل عليه الروح الأمين، فقال: يا محمد: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة فى القربى» يعنى أن تودّوا قرابتى من بعدى، فخرجوا فقال المنافقون: ما حمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ترك ما عرضنا عليه إلاّ ليحثنا على قرابته من بعد ان هو إلاّ شيء إفتراه فى مجلسه و كان ذلك على قولهم عظيماً.

فأنزل الله عزوجل هذهالاية: « أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلاتملكون لى من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بينى وبينكم وهوالغفور الرحيم » فبعث عليهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : هل من حدث؟ فقالوا : اى والله يارسول الله لقد قال بعضنا: كلاماً غليظاً كرهناه فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاية فبكوا و اشتدّ بكاؤهم فأنزل الله عزوجل : « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات و يعلم ما تعملون » فهذه السادسة .

و أما الاية السابعة : فقول الله عزوجل : « ان الله و ملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً » قالوا : يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : تقولون : اللهم صلّ على محمد و آل محمد كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم انك حميد مجيد .

فهل بينكم معاشر الناس فى هذا خلاف ؟ فقالوا : لا فقال المأمون : هذا مما لا خلاف فيه أصلاً و عليه إجماع الامة ، فهل عندك فى الآل شيء أوضح من هذا فى القرآن ؟ فقال أبوالحسن : نعم ! أخبرونى عن قول الله عزوجل : « يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم » فمن عنى بقوله: «يس» ؟ قالت العلماء : « يس » محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يشك فيه أحد .

قال أبوالحسن عليه السلام : فان الله عزوجل اعطى محمداً و آل محمد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه إلاّ من عقله ، و ذلك ان الله عزوجل لم يسلم على أحد إلاّ على الانبياء صلوات الله عليهم ، فقال تبارك و تعالى : « سلام على نوح فى العالمين » و قال : « سلام على إبراهيم » و قال : « سلام على موسى وهارون » و لم يقل : سلام على آل نوح و لم يقل : سلام على آل إبراهيم و لا قال : سلام على آل موسى و هارون ، و قال عزوجل : « سلام على آل يس » يعنى آل محمد صلوات الله عليهم .

فقال المأمون: لقد علمت أن فى معدن النبوة شرح هذا وبيانه فهذه السابعة.

و أما الثامنة : فقول الله عزوجل: «واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى» فقرن سهم ذى القربى بسهمه و بسهم رسول الله ﷺ فهذا فضل أيضاً بين الآل والامة لان الله تعالى جعلهم فى حيز وجعل الناس فى حيز دون ذلك ورضى لهم مارضى لنفسه ، واصطفاهم فيه ، فبدأ بنفسه ثم ثنى برسوله ثم بذى القربى ، فكل ما كان من الفىء والغنيمة وغير ذلك مما رضيه عزوجل لنفسه فرضيه لهم ، فقال: وقوله الحق : «واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى» .

فهذا تأكيد مؤكد وأثر قائم لهم إلى يوم القيامة فى كتاب الله الناطق : «الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» وأما قوله: «واليتامى والمساكين» فان اليتيم إذا انقطع يتمه خرج من الغنائم ، ولم يكن له فيها نصيب وكذلك المساكين إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم، ولا يحل له أخذه و سهم ذى القربى قائم إلى يوم القيامة فيهم للغنى و الفقير منهم لانه لا أحد أغنى من الله عزوجل ولا من رسول الله ﷺ فجعل لنفسه منها سهماً، ولرسوله ﷺ سهماً ، فما رضيه لنفسه ولرسوله ﷺ رضيه لهم ، وكذلك الفىء ما رضيه منه لنفسه ولنبيه ﷺ رضيه لذى القربى كما أجراهم فى الغنيمة فبدأ بنفسه جل جلاله ثم برسوله ثم بهم وقرن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله ﷺ.

وكذلك فى الطاعة قال : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و اولى الامر منكم» فبدأ بنفسه ثم برسوله ثم بأهل بيته كذلك آية الولاية : «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ـــ ـــ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» فجعل طاعتهم مع طاعة الرسول مقرونة بطاعته كذلك و لايتهم مع ولاية الرسول مقرونة بطاعته كما جعل سهمهم مع سهم الرسول مقروناً بسهمه فى الغنيمة والفىء فتبارك الله وتعالى ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت ؟ فلما جاءت قصة الصدقة نزه نفسه ورسوله ونزه أهل بيته فقال : «إنما الصدقات للفقراء

والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم و في الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله».

فهل تجد في شيء من ذلك انه سمى لنفسه أو لرسوله أولذى القربى لانه لما نزّه نفسه عن الصدقة ونزّه رسوله ونزّه أهل بيته لابل حرم عليهم لان الصدقة محرمة على محمد وآله وهي أوساخ أيدى الناس لايحل لهم لانهم طهروا من كل دنس ووسخ ، فلما طهرهم الله عزوجل واصطفاهم رضى لهم ما رضى لنفسه، وكره لهم ما كره لنفسه عزوجل فهذه الثامنة .

وأما التاسعة : فنحن أهل الذكر الذين قال الله عزوجل : «فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون» فنحن أهل الذكر فاسئلونا إن كنتم لاتعلمون ،فقالت العلماء : انما عنى الله بذلك اليهود والنصارى ، فقال ابوالحسن عليه السلام : سبحان الله، فقال المأمون : فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوه يا أباالحسن ؟ فقال ابو الحسن : نعم ! الذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و نحن أهله و ذلك بيّن في كتاب الله عزوجل حيث يقول في سورة الطلاق : «فاتقوا الله يا اولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً لايتلوا عليكم آيات الله مبينات» فالذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن اهله فهذه التاسعة .

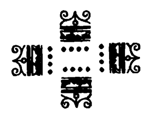
و أما العاشرة: فقول الله عزوجل في آية التحريم :«حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم» الآية فأخبروني هل تصلح إبنتي وإبنة إبني ، وما تناسل من صلبي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتزوجها لو كان حياً ؟ قالوا : نعم قال: فأخبروني هل كانت إبنة أحدكم تصلح له أن يتزوجها لوكان حياً ؟ قالوا : نعم قال: ففي هذا بيان لأني أنا من آله ولستم من آله، ولو كنتم من آله لحرم عليه بناتكم كما حرم عليه بناتي لاني من آله ، وأنتم من امته ، فهذا فرق بين الآل والامة لان الآل منه و الامة إذا لم تكن من الآل ، فليست منه فهذه العاشرة .

و أما الحادية عشرة : فقول الله عزوجل في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل مؤمن من آل فرعون :«وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون

رجلاً أن يقول ربى الله وقد جائكم بالبينات من ربكم» إلى تمام الايات . . .

فكان إبن خال فرعون فنسبه إلى فرعون بنسبه ولم يضفه إليه بدينه ، و كذلك خصصنا نحن إذ كنا من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بولادتنا منه و عمّمنا بالدين فهذا فرق بين الآل والامة فهذه الحادية عشرة :

و أما الثانية عشرة : فقوله عزوجل : «وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها» فخصّنا الله تبارك وتعالى بهذه الخصوصية إذ امر نامع الامة باقامة الصلاة ثم خصصنا من دون الامة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجيىء إلى بـاب على وفاطمة عليهما السلام بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرّات ،فيقول : الصلاة رحمكم الله وماأكرم الله أحداً من ذرارى الانبياء هذه الكرامة التىأكرمنا بها وخصصنا من دون جميع أهل بيتهم ، فقال المأمون والعلماء : جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن هذه الامة خيراً ،فمانجد الشرح والبيان فيما اشتبه علينا إلا عندكم.



﴿أهل البيت وطهارة مولدهم عليهم السلام﴾

و قدوردت روايات كثيرة باسانيد عديدة عن الطريقين في طهارة مولد أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين نشير إلى مايسعه المقام :

١ ـ في الكافي باسناده عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : ان الله كان إذ لاكان ، فخلق الكان والمكان ، وخلق نور الانوار الذى نوّرت منه الانوار و أجرى فيه من نوره الذى نوّرت منه الانوار ، و هو النور الذى خلق منه محمداً و علياً ، فلم يزالانورين أوّلين إذ لاشيء كوّن قبلهما ، فلم يزالايجريان طاهرين مطهّرين في الاصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبدالله و أبي طالب عليهما السلام

٢ ـ في قرب الاسناد : عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله تبارك و تعالى قسّم الناس نصفين ، فكنت في النصف الخير، ثم قسّم النصف الخير ثلاثة فكنت في الثلث الخير ، وما عرق في عرق سفاح قط، و ما عرق في الأعرق نكاح كنكاح الاسلام حتى آدم عليه السلام .

٣ ـ في كنز الفوائد للكراچكي رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي الجارود قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عزوجل : « و تقلبك في الساجدين » قال : يرى تقلّبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام

٤ ـ في العلل باسناده عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان

الله خلقني و علياً و فاطمة والحسن والحسين من قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام، قلت: فأين كنتم يا رسول‌الله؟ قال: قدّام العرش نسبّح الله ونحمده و نقدّسه و نمجّده، قلت: على أيّ مثال؟ قال: أشباح نور حتى اذا أراد الله عزوجل أن يخلق صورنا صيّرنا عمود نور ثم قذفنا في صلب آدم، ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء و أرحام الامهات، ولا يصيبنا نجس الشرك و لا سفاح الكفر، يسعد بنا قوم و يشقي بنا آخرون، فلما صيّرنا إلى صلب عبد المطلب أخرج ذلك النور فشقّه نصفين، فجعل نصفه في عبدالله و نصفي في أبي‌طالب ثم أخرج النصف الذي لي إلى آمنة، والنصف إلى فاطمة بنت أسد، فأخرجتني آمنة، وأخرجت فاطمة علياً ثم أعاد عزوجل العمود إليّ فخرجت مني فاطمة، ثم أعاد عزوجل العمود إلى عليّ فخرج منه الحسن والحسين- يعني من النصفين جميعاً- فما كان من نور عليّ فصار في ولد الحسن، و ما كان من نوري صار في ولد الحسين، فهو ينتقل في الائمة من ولده إلى يوم القيامة.

٥ ـ في معاني الاخبار باسناده عن أبي‌ذر رحمةالله عليه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و هو يقول: خلقت أنا و علي‌بن أبي‌طالب من نور واحد، نسبّح الله يمنة العرش قبل أن خلق آدم بألفي عام، فلما أن خلق الله آدم عليه السلام جعل ذلك النور في صلبه، و لقد سكن الجنة و نحن في صلبه، و لقد همّ بالخطيئة ونحن في صلبه، و لقد ركب نوح عليه السلام السفينة و نحن في صلبه، و لقد قذف ابراهيم عليه السلام في النار و نحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عزوجل من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة حتى انتهى بنا إلى عبدالمطلب، فقسّمنا بنصفين فجعلني في صلب عبدالله، و جعل علياً في صلب أبي‌طالب، و جعل فيّ النبوة و البركة، و جعل في عليّ الفصاحة والفروسية، و شقّ لنا إسمين من أسمائه فذو العرش محمود و أنا محمد والله الاعلى وهذا عليّ.

٥ ـ في أمالي ابن الشيخ الطوسي قدس‌سره باسناده عن أنس قال: سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : كنت أنا و عليّ عن يمين العرش ، نسبّح الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام ، فلما خلق آدم جعلنا في صلبه ، ثم نقلنا من صلب إلى صلب في أصلاب الطاهرين و أرحام المطهرات حتى انتهينا إلى صلب عبدالمطلب فقسّمنا قسمين : فجعل في عبدالله نصفاً ، و في أبي طالب نصفاً ، و جعل النبوة والرسالة فيّ ، و جعل الوصية والقضية في عليّ ، ثم اختار لنا إسمين اشتقّهما من أسمائه: فالله المحمود و أنا محمد ، والله العلي و هذا عليّ ، فأنا للنبوة والرسالة و عليّ للوصية والقضية .

٧ ـ في كمال الدين باسناده عن الاصبغ بن نباته قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : والله ما عبد أبي و لا جدّي عبد المطلب و لا هاشم و لا عبد مناف صنماً قط ، قيل : فما كانوا يعبدون ؟ قال : كانوا يصلّون إلى البيت على دين ابراهيم عليه السلام متمسكين به .

و في العقائد : قال الشيخ أبوجعفر رضوان الله تعالى عليه : اعتقادنا في آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم انهم مسلمون من آدم إلى أبيه عبدالله ، و ان أبا طالب كان مسلماً ، و آمنة بنت وهب بن عبد مناف ام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت مسلمة ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : خرجت من نكاح و لم اخرج من سفاح من لدن آدم .

و قد روى ان عبد المطلب كان حجة و أبو طالب كان وصيه عليه السلام .

و في البحار : قال العلامة المجلسي رحمة الله تعالى عليه : اتفقت الامامية رضوان الله عليهم على أن والدى الرسول ، و كل أجداده إلى آدم عليه السلام كانوا مسلمين بل كانوا من الصديقين : إما أنبياء مرسلين أو أوصياء معصومين ، و لعل بعضهم لم يظهر الاسلام لتقية أو لمصلحة دينية .

وفي المجمع : قال الطبرسي رضوان الله تعالى عليه : قال أصحابنا : ان آزر كان جدّ ابراهيم عليه السلام لامه أو كان عمه من حيث صحّ عندهم ان آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى آدم كلهم كانوا موحدين ، و أجمعت الطائفة على ذلك ، و روى عن

النبی صلی الله علیه وآله انه قال : لم یزل ینقلنی الله من أصلاب الطاهرین إلی أرحام المطهرات حتی أخرجنی فی عالمکم هذا ، لم یدنسنی بدنس الجاهلیة .

و لو کان فی آبائه صلی الله علیه وآله کافر لم یصف جمیعهم بالطهارة مع قوله سبحانه: «انما المشرکون نجس» و لهم فی ذلك أدلة لیس هنا موضع ذکرها . انتهی کلامه .

٨ ـ فی نهج البلاغة قال الامام مولی الموحدین أمیرالمؤمنین علی علیه السلام: «فاستودعهم فی أفضل مستودع ، وأقرّهم فی خیر مستقر، تناسختهم کرائم الاصلاب إلی مطهّرات الارحام ،کلما مضی منهم سلف ، قام منهم بدین الله خلف حتی أفضت کرامة الله سبحانه و تعالی إلی محمد صلی الله علیه ، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعزّ الارومات مغرساً من الشجرة التی صدع منها أنبیاءه ، وانتجب منها امناءه ، عترته خیر العتر و اسرته خیر الاسر، و شجرته خیر الشجر، بنتت فی حرم و بسقت فی کرم ، لها فروع طوال و ثمر لاینال ، فهو إمام من اتقی و بصیرة من اهتدی» .

قوله علیه السلام : « تناسختهم » : تناقلتهم و التناسخ فی المیراث : أن یموت ورثة بعد ورثة . و « سلف » : متقدمون و «خلف» : باقون ، و «أفضت» : انتهت و « الارومات » : الاصول و « صدع » : شقّ، و « انتجب » : اصطفی و « بسقت »: طالت ومعنی «و ثمر لاینال» لیس علی ان یرید به ان ثمرها لاینتفع به لان ذلك لیس بمدح ، بل یرید به ان ثمرها لاینال قهراً و لایجتنی غصباً ، و یجوز أن یرید بثمرها نفسه صلی الله علیه وآله و من یجری مجراه من أهل البیت علیهم السلام لانهم ثمرة تلك الشجرة . فلاینال مساعیهم و مآثرهم و لایباریهم أحد .

و غیرها من الروایات الواردة عن طریقهم . . .

و أما ماورد عن طریق العامة فی المقام فکثیر جداً فنشیر إلی نبذة منها :

١ ـ أخرج شیخ الاسلام الحموینی فی الباب الاول من (فرائد السمطین)

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : لما خلق الله تعالى آدم أبا البشر و نفخ فيه من روحه إلتفت آدم يمنة العرش فاذا في النور خمسة أشباح سجداً وركعاً قال آدم : هل خلقت أحداً من طين قبلي ؟! قال : لايا آدم ، قال : فمن هؤلاء الخمسة الاشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي ؟! قال : هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك ، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي لولاهم ما خلقت الجنة و النار و لا العرش و لا الكرسي ولا السماء و لا الارض ، و لا الملائكة و لا الانس ولا الجن ، فأنا المحمود و هذا محمد ، و أنا العالي و هذا عليّ ، و أنا الفاطر و هذه فاطمة ، و أنا الاحسان و هذا الحسن ، و أنا المحسن و هذا الحسين .

آليت بعزتي أن لايأتيني أحد بمثقال ذرة من خردل من بغض أحدهم الاّ ادخله ناري ، و لا ابالي يا آدم عليه السلام ؟ هؤلاء صفوتي بهم انجيهم و بهم أهلكهم ، فاذا كان لك إليّ حاجة فبهؤلاء توسّل . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : نحن سفينة النجاة من تعلق بها نجى و من حاد عنها هلك ، فمن كان له إلى الله حاجة فليسئل بنا أهل البيت .

٢ ـ روى السيوطي في تفسير(الدر المنثور) عن ابن عباس قال : سئلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : بابي انت وامي أين كنت و آدم في الجنة ؟ فتبسّم حتى بدت نواجده ثم قال : اني كنت في صلبه وهبط إلى الارض وأنا في صلبه وركبت السفينة في صلب أبي نوح ، و قذفت في النار في صلب أبي ابراهيم ، لم يلتق أبواى قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة إلى الارحام الطاهرة مصفى مهذّباً لا تتشعب شعبتان الاّ كنت في خيرهما قد أخذ الله بالنبوة ميثاقي و بالاسلام هداني ، و بين التوراة و الانجيل ذكري و بين كل شيء من شرق الارض و غربها ، و علمني كتابه ورقى بي في سمائه و شقّ لي من أسمائه ـ فذو العرش محمود و أنا محمد و وعدني أن يحبوني بالحوض و أعطاني الكوثر، وأنا

أول شافع وأول مشفع ، ثم أخرجنى فى خير قرون امتى ، وامتى الحمادون يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر.

٣ ـ و فيه : أخرج ابن مردويه عن أنس قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لقد جاء كم رسول من أنفسكم» فقال علي بن أبيطالب عليه السلام يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما معنى أنفسكم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا أنفسكم نسباً وصهراً وحسباً ليس فيّ ولا في آبائي من لدن آدم سفاح كلها نكاح .

٤ ـ و فيه : أخرج الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ، و ما ولدني الا نكاح كنكاح الاسلام .

وفي مسالك الحنفاء للسيوطي قال : المسلك الثاني انهما أي عبدالله و آمنة لم يثبت عنهما شرك ، بل كانا على الحنيفية دين جدهما ابراهيم على نبينا و عليه الصلاة و السلام كما كان على ذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل و ورقة بن نوفل و غيرهما ، و هذا المسلك ذهبت إليه طائفة منهم الامام فخر الدين الرازي ، فقال في كتابه (أسرار التنزيل) مانصّه : قيل : ان آزر لم يكن والد ابراهيم بل كان عمه ، و احتجّوا عليه بوجوه :

منها ـ ان آباء الانبياء ما كانوا كفاراً ، و يدل عليه وجوه : منها ـ قوله تعالى : « الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين » قيل : معناه انه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد . و بهذا التقدير الاية دالة على ان جميع آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مسلمين ، وحينئذ يجب القطع بان والد ابراهيم ماكان من الكافرين انما ذاك عمه ، أقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى : « وتقلبك في الساجدين» على وجوه آخر ، و اذا وردت الروايات بالكل ولامنافاة بينهما وجب حمل الاية على الكل و متى صحّ ذلك ثبت ان والد ابراهيم ما كان من عبدة الاوثان .

ثم قال : و مما يدل على أن آباء محمد صلى الله عليه وآله وسلم ماكانوا مشركين قوله عليه السلام: « لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين » و قال تعالى : « انما المشركون نجس »

فوجب أن لايكون أحد من أجداده مشركاً .

ثم قال السيوطي : و عندى فى نصرة هذا المسلك و ما ذهب إليه الامام فخرالدين امور : أحدها دليل استنبطه مركب من مقدمتين :

الاولى : ان الاحاديث الصحيحة دلت علــى ان كل أصل من اصول النبى ﷺ من آدم عليه السلام إلى أبيه عبدالله فهو خيرأهل قرنه و أفضلهم ، ولا أحد فى قرنه ذلك خيرمنه ولا أفضل .

الثانية : ان الأحاديث و الآثار دلت على أنه لم تخل الارض من عهدنوح عليه السلام أو آدم عليه السلام إلى بعثة النبى ﷺ إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفطرة يعبدون الله ويوحدونه ، و يصلون له وبهم تحفظ الارض و لولاهم لهلكت الارض و من عليها ، و اذا قرنت بين هاتين المقدمتين انتج منهما قطعاً ان آباء النبى ﷺ لم يكن فيهم مشرك لانه ثبت فى كل منهم انه خيرقرنه ، فان كان الناس الذين على الفطرة هم آباءهم فهو المدعى ، وإن كان غيرهم ، وهم على الشرك لزم أحد الامرين : إما أن يكون المشرك خيراً من المسلم وهوباطل بالاجماع، و إما أن يكون غيرهم خيراً منهم ، و هو باطل لمخالفة الأحاديث فوجب قطعاً أن لايكون فيهم مشرك ليكونوا خيرأهل الارض فى كل قرنه .

ثم ذكرالسيوطى أدلة لاثبات المقدمة الاولى منها : ما أخرجه البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : بعثت من خيرقرون بنى آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه . وما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة عن أنس ان النبى ﷺ قال : ما افترق الناس فرقتين الا جعلنى الله فى خيرهما، فاخرجت من بين أبوى فلم يصبنى شيء من عهد الجاهلية ، و خرجت من نكاح و لم اخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى وامى فأنا خيركم نفساً و خيركم أباً .

و ما أخرجه أبو نعيم فــى دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس قال : قال

النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة إلى الارحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تنشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما . و ما أخرجه الحافظ أبوالقاسم حمزة بن يوسف السهمى فى فضائل العباس من حديث واثلة بلفظ : « ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم و اتخذه خليلاً ، و اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل ، ثم اصطفى من ولد اسمعيل نزاراً ثم اصطفى من ولد نزار مضر ، ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشاً ، ثم اصطفى من قريش بنى هاشم ثم اصطفى من بنى هاشم بنى عبد المطلب ، ثم اصطفانى من بنى عبد المطلب » .

قال السيوطى : أورده المحب الطبرى فى ذخائر العقبى . ثم ذكر تسعة أحاديث اخرى تدل على ذلك .

ثم ذكر أدلة لاثبات المقدمة الثانية : منها : أحاديث تدل على ان الارض لم تزل بعد نوح كان على وجهها مسلمون يعملون لله بطاعته و يدفع الله بهم عن أهل الارض ، فعدهم فى بعضها سبعة ، وفى اخرى أربعة عشر ، وفى ثالثة اثنى عشر .

و منها : أحاديث وردت فى تفسير قوله تعالى : « كان الناس امة واحدة » فيها انه كان بين آدم و نوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق ، و فيها : ان ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الاسلام ، وفيها: ان أولاد نوح عليه السلام لم يزالوا على الاسلام و هم ببابل حتى ملكهم نمرود ابن كوش فدعاهم إلى عبادة الاوثان ففعلوا .

ثم قال: فعرف من مجموع هذه الآثار ان أجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مؤمنين بيقين من آدم إلى زمن نمرود ، و فى زمنه كان ابراهيم عليه السلام و آزر فان كان آزر والد ابراهيم فيستثنى من سلسلة النسب ، و ان كان عمه فلا استثناء فى هذا القول ـ أعنى ان آزر ليس أبا ابراهيم ـ كما ورد عن جماعة من السلف . ثم ذكر السيوطى آثاراً و أقوالاً تدل على ان آزر كان عم ابراهيم و لم يكن أباه . ثم قال : ثم استمر التوحيد فى ولد ابراهيم و اسمعيل . قال الشهرستانى فى الملل

والنحل : كان دين ابراهيم قائماً والتوحيد فى صدر الاسلام شائعاً ، و أول من غيّره واتخذ عبادة الاصنام عمرو بن لحى ، وقال عمادالدين ابن كثير فى تاريخه :

كانت العرب على دين ابراهيم عليه السلام إلى أن ولّى عمرو بن عامر الخزاعى مكة ، و انتزع ولاية البيت من أجداد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأحدث عمرو المذكور عبادة الاصنام و شرع للعرب الضلالات ، و تبعته العرب على الشرك و فيهم بقايا من دين ابراهيم و كانت مدة ولاية خزاعة على البيت ثلاث مأة سنة ، وكانت ولايتهم مشؤومة إلى أن جاء قصى جد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقاتلهم و انتزع ولاية البيت عنهم الا ان العرب بعد ذلك لم ترجع عما كان أحدثه عمرو الخزاعى .

فقال السيوطى : فثبت ان آباء النبى صلى الله عليه وآله وسلم من عهد ابراهيم عليه السلام إلى زمان عمرو المذكور كلهم مؤمنون بيقين ، و نأخذ الكلام على الباقى . ثم ذكر آيات لاثبات ذلك وعقبها بأحاديث منها : ما ورد فى تفسير قوله تعالى: « وجعلها كلمة باقية فى عقبه » تدل على أن التوحيد كان باقياً فى ذرية ابراهيم عليه السلام ولم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة . و أحاديث فى تفسير قوله : « و اجنبنى و بنى أن نعبد الاصنام » تدل على ان الله استجاب لابراهيم عليه السلام دعوته فى ولده ، فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته ، وحديثاً فى تفسير قوله تعالى : « رب اجعلنى مقيم الصلاة و من ذريتى » يدل على انه لن تزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى ، ثم ذكر آثاراً تدل على ان عدنان و معد و ربيعة و مضر وخزيمة و إلياس و كعب بن لوى ، وغيرهم كانوا مسلماً ، ثم قال : فحصل مما أوردناه ان آباء النبى صلى الله عليه وآله وسلم من عهد ابراهيم إلى كعب بن لوى كانوا كلهم على دين ابراهيم عليه السلام ، و ولده مرة بن كعب الظاهر انه كذلك لان أباه أوصاه بالايمان ، و بقى بينه و بين عبد المطلب أربعة آباء و هم كلاب و قصى و عبد مناف و هاشم ، و لم أظفر فيهم بنقل لا بهذا ولا بهذا .

و أما عبدالمطلب ففيه ثلاثة أقوال: أحدها ـ انه لم تبلغه الدعوة . والثانى:

انه على التوحيد و ملة ابراهيم ، و هو ظاهر عموم قول الامام فخر الدين ، وما تقدم من الاحاديث . . . والثالث : ان الله أحياه بعد بعثة النبى ﷺ حتى آمن به و أسلم ثم مات ، حكاه ابن سيد الناس . و هذا أضعف الاقوال ، و وجدت فى بعض كتب المسعودى اختلافاً فى عبد المطلب ، و انه قد قيل فيه : مات مسلما لما رأى من الدلائل على نبوة محمد ﷺ و علم انه لا يبعث الاّ بالتوحيد . و قال الشهرستانى فى الملل والنحل :

ظهر نور النبى ﷺ فى أسارير عبد المطلب بعض الظهور ، وبركة ذلك النور ألهم النذر فى ذبح ولده ، و بركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغى ، و يحثهم على مكارم الاخلاق ، و ينهاهم عن دنيات الامور ، و بركة ذلك النور كان يقول فى وصاياه : انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة ، فقيل بعبد المطلب فى ذلك ، ففكر فى ذلك فقال : والله ان وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن باحسانه ، و يعاقب فيها المسيىء باساءته، وببركة ذلك النور قال لابرهة: ان لهذا البيت رباً يحفظه، و منه قال : و قد صعد أبا قبيس :

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك

فانصر على آل الصليب و عابديه اليوم آلك

ثم ذكر السيوطى اموراً تدل على ايمان عبد المطلب إلى أن قال: ثم رأيت الامام أبا الحسن الماوردى أشار إلى نحو ما ذكره الامام فخر الدين الاّ انه لم يصرح كتصريحه ، فقال فى كتابه (أعلام النبوة) : لما كان انبياء الله صفوة عباده و خيرة خلقه لما كلفهم من القيام بحقه والارشاد لخلقه استخلصهم من أكرم العناصر، و اجتباهم بمحكم الاوامر فلم يكن لنسبهم من قدح ، ولا لمنصبهم من جرح ليكون القلوب أصغى ، والنفوس لهم أوطأ ، فيكون الناس إلى إجابتهم أسرع ، و لاوامرهم أطوع ، و ان الله استخلص رسوله ﷺ من أطيب المناكح ،

و حماه من دنس الفواحش ، و نقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام منزهة ، و قد قال ابن عباس فى تأويل قول الله تعالى : « و تقلبك فى الساجدين » أى تقلبك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلك نبياً ، فكان نور النبوة ظاهراً فى آبائه ، و اذا خبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت انه سلالة آباء كرام ليس فى آبائه مسترذل و لا مغمور مسبل ، بل كلهم سادة قادة ، وشرف النسب و طهارة المولد من شروط النبوة . انتهى كلام الماوردى بحروفه .



﴿ أهل بيت النبوة عليهم السلام وخزان العلم السماوى ﴾

فى نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين أمير المومنين علـى عليه السلام : « نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ، ومختلف الملائكة و معادن العلم ، و ينابيع الحكم ناصرنا و محبنا ينتظر الرحمة ، و عدوّنا و مبغضنا ينتظر السطوة » .

فى شرح الحديد : قال : قوله عليه السلام : « نحن شجرة النبوة » كأنه جعـل النبوة كثمرة أخرجتها شجرة بنى‌هاشم ، و « محط الرسالة » : منزلها و «مختلف الملائكة » : موضع إختلافها فى صعودها ونزولها .

ثم قال : و اعلم أنه إن أراد بقوله : « نحن مختلف الملائكة » جماعة من جملتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلاريب فى صحة القضية و صدقها ، و إن أراد بها نفسه وابنيه فهى أيضاً صحيحة ، ولكن مدلوله مستنبط ، فقد جاء فى الاخبارالصحيحة انه قال : « يا جبرئيل انه منى و أنا منه » فقال جبرئيل : و أنا منكما .

فأما قوله : « و معادن العلم و ينابيـع الحكم » يعنى الحكمة أو الحكـم الشرعى ، فانه و إن عنى بها نفسه و ذريته ، فان الامرفيها ظاهرجداً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا مدينة العلم و علـى بابها ، فمن أراد المدينة فليأت الباب » و قال : « أقضاكم على » و القضاء أمر يستلزم علوماً كثيرة .

و جاء فى الخبرانه بعثه إلى اليمن قاضياً ، فقال : يا رسول الله انهم كهـول و ذو و أسنان و أنافتى ، و ربما لم أصب فيما أحكم به بينهم ، فقال له : « اذهب فان الله سيثبّت قلبك و يهدى لسانك » و جاء فى تفسير قوله تعالى : « وتعيها اذن

واعية » : سئلت الله أن يجعلها اذنك ففعل ، و جاء في تفسير قوله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » انها أنزلت في علي عليه السلام و ما خصّ به من العلم ، و جاء في تفسير قوله تعالى : « أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه » : ان الشاهد علي عليه السلام . و روى المحدثون انه قال لفاطمة عليها السلام : « زوّجتك أقدمهم سلماً و أعظمهم حلماً وأعلمهم علماً » و روى المحدثون أيضاً عنه عليه السلام انه قال : « من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه وموسى في علمه وعيسى في ورعه فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب » .

ثم قال ابن أبي الحديد : و بالجملة فحاله عليه السلام في العلم حال رفيعة جداً لم يلحقه أحد فيها و لا قاربه و حق له أن يصف نفسه بأنه معادن العلم و ينابيع الحكم ، فلاأحد أحق بها منه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

و في الكافي : باسناده عن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله تبارك و تعالى يقول : استكمال حجتي على الاشقياء من امتك : من ترك ولاية عليّ و والى أعداءه وأنكر فضله وفضل الاوصياء من بعده ، فان فضلك فضلهم ، وطاعتك طاعتهم، وحقك حقهم ومعصيتك معصيتهم، و هم الائمة الهداة من بعدك جرى فيهم روحك و روحك ماجرى فيك من ربك، و هم عترتك من طينتك و لحمك و دمك ، و قد أجرى الله عزوجل فيهم سنتك و سنة الانبياء قبلك ، و هم خزّاني على علمي من بعدك ، حق عليّ لقداصطفيتهم و انتجبتهم و أخلصتهم و ارتضيتهم و نجى من أحبهم و والاهم و سلّم لفضلهم ، ولقد آتاني جبرئيل عليه السلام بأسمائهم وأسماء آبائهم وأحبائهم والمسلمين لفضلهم .

و فيه : باسناده عن هارون بن حمزة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : « بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم » قال : هم الائمة خاصة.

و فيه : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل : **« و انه لذكر لك و لقومك و سوف تسئلون » فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذكر و أهل**

بيته عليهم السلام المسئولون و هم أهل الذكر.

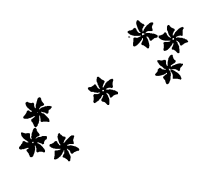
و فيه : باسناده عن سدير قال : قلت لأبى عبدالله عليه السلام : ان قوماً يزعمون أنكم آلهة ، يتلون بذلك علينا قرآنا : « و هو الذى فى السماء اله و فى الارض اله » فقال : يا سدير سمعى و بصرى و بشرى و لحمى و دمى و شعرى من هؤلاء براء و برىء الله منهم ، ما هؤلاء على دين آبائى ، والله لايجمعنى الله و إياهم يوم القيامة ، إلاّ و هو ساخط عليهم ، قال : قلت : وعندنا قوم يزعمون انكم رسل يقرؤن علينا بذلك قرآناً : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات و اعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم »

فقال : يا سدير سمعى و بصرى و شعرى و بشرى و لحمى و دمى من هؤلاء براء و برىء الله منهم و رسوله ، ما هولاء على دينى و لاعلى دين آبائى والله لايجمعنى الله و إياهم يوم القيامة الاّ و هو ساخط عليهم ، قال : قلت : فما أنتم ؟ تبارك و تعالى بطاعتنا و نهى عن معصيتنا ، نحن الحجة البالغة على من دون السماء و فوق الارض .

و فى رسالة المحكم و المتشابه للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه باسناده عن اسمعيل بن جابر قال : سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول : ان الله تبارك و تعالى بعث محمداً و ختم الانبياء به ، فلانبىّ بعده و أنزل عليه كتاباً فختم به الكتب فلا كتاب بعده أحلّ فيه حلالاً و حرّم فيه حراماً ، فحلاله حلال إلى يوم القيامة . ، و حرامه حرام إلى يوم القيامة ، فيه شرعكم و خير من قبلكم و بعدكم ، و جعله النبى صلى الله عليه و آله و سلم علماً باقياً فى أوصيائه . . . الحديث

و فى تحف العقول : عن الامام السبط الزكى الحسن بن على عليه السلام فى ـ حديث ـ قال : واعلموا علماً يقيناً انكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى و لن تمسكوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الذى نبذه و لن تتلوا الكتاب حق

تلاوته حتى تعرفوا الذى حرفه ، فاذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم الفرية على الله و التحريف و رأيتم كيف يهوى من يهوى ، و لايجهلنكم الذين لايعلمون ، و التمسوا ذلك عند أهله ، فانهم خاصة نور يستضاء بهم وأئمة تقتدى بهم ، بهم عيش العلم وموت الجهل وهم الذين أخبركم حلمهم عن جهلهم وحكم منطقهم عن صمتهم ، و ظاهرهم عن باطنهم ، لايخالفون الحق و لايختلفون فيه ، وقدخلت لهم من الله سنة ومضى فيهم من الله حكمان فى ذلك الذكرى للذاكرين و اعقلوه اذا سمعتموه عقل رعاية ، و لاتعقلوه عقل رواية فان رواة الكتاب كثير و رعاته قليل والله المستعان .



﴿وديعة رسول الله وحب أهل بيت النبوة عليهم السلام﴾

وقد أورد في المقام حملة آثار العامة و نقلة أخبارهم في أسفارهم روايات كثيرة بأسانيد عديدة نشير إلى نبذة منها :

١ ـ الترمذي في (صحيحه ج ١٣ ص ٢٠١ ط الصادي بمصر) باسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أحبّوا الله لما يغذوكم من نعمة . وأحبّوني بحب الله و أحبّوا أهل بيتي لحبّي .

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة من أعلام العامة :

منهم: الطبراني في (المعجم الكبير ص ١٣١)

و منهم: الحاكم النيشابوري في (المستدرك ج٣ ص١٤٩ ط حيدرآباد الدكن)

و منهم: الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ج ٤ ص١٥٩ ط القاهرة)

و منهم: باكثير الحضرمي في (وسيلة المآل ص ٦١)

و منهم: الفقيه ابن المغازلي الشافعي في (المناقب ص ٤)

و منهم: ابن الأثير في (جامع الاصول ج١ ص١٠٠ ط السنة المحمدية بمصر)

و منهم: ابن الاثير ايضاً في (اسد الغابة ج٢ ص ١٢ ط مصر)

و منهم: محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص١٨ ط المقدسي بمصر)

و منهم: الذهبي في (ميزان الاعتدال ج٢ ص٤٣ ط القاهرة)

و منهم: الذهبي أيضاً في (تلخيص المستدرك ج٣ ص ١٤٩ ط حيدرآباد)

و منهم: الزرندي الحنفي في (نظم درر السمطين ص٢٣١ ط القضاء بمصر)

و منهم: الخطيب العمری فی (مشكاة المصابيح ص٥٧٣ ط الدهلی)

و منهم: السيوطی فی (احياء الميت) المطبوع بهامش الاتحاف ص١١١ ط مصطفی الحلبی بمصر)

و منهم: السيوطی ايضاً فی (الاكليل ص١٩٠ ط مصر)

و منهم: ابن حجر الهيتمی فی (الصواعق المحـرقة ص ١٨٥ و ٢٢٨ ط عبداللطيف بمصر)

و غيرهم من اعلامهم تركناهم للاختصار .

٢ ـ الديلمی فی (الفردوس) باسناده عن العباس عمّ النبی صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما بال أقوام يتحدّثون بينهم ، فاذارأوا الرجل من أهل بيتی قطعوا حديثهم ، والله لايدخل قلب الرجل الايمان حتی يحبّهم لله ولقرابتهم منی.

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة منهم :

١ ـ ابن حجر الهيتمی فی (الصواعق المحرقة ص١٨٥ ط مصر)

٢ ـ المتقی الهندی فی (منتخب كنزالعمال) المطبوع بهامش (المسند ج٥ ص٩٣ ط الميمنية بمصر)

٣ ـ الشيخ سليمان القندوزی الحنفی فی(ينابيع المودة ص٢٣١ ط اسلامبول)

٤ ـ البدخشی فی (مفتاح النجا ص١٠)

٥ ـ القلندر الهندی فی (الروض الازهر ص٣٥٧ ط حيدرآباد)

٦ ـ النبهانی فی (الفتح الكبير ج٣ ص٨٥ ط مصر)

٧ ـ الصبّان المصری فی (أسعاف الراغبين) المطبوع بهامش (نورالابصار ص ١٢٣ ط مصر)

٨ ـ أبوبكر الحضرمی فی (رشفة الصادی ص٤٦ ط القاهرة)

٩ ـ النبهانی فی (الشرف المؤبد ص٧٤ ط مصر)

و من كلام بعض أعاظم العامة ما نقله أبوبكر الحضرمی فی (رشفة الصادی

ص ۶۳ ط القاهرة) ما لفظه : وقال سيدى الشيخ الكبير عبد الوهاب الشعراوى في (اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر) : و يجب اعتقاد وجوب محبة ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم و إكرامهم و احترامهم ، و هم الحسن والحسين ابنا فاطمة رضى الله عنهم و أولادهما إلى يوم القيامة ، و ان نكره كل من آذى شريفاً و هجره و لو كان من أعز أصحابنا لقوله تعالى : « قل لا اسئلكم عليه أجراً الا المودة فى القربى » .

و قال سيدى الشيخ الكبير احمد الرفاعى : نوّروا قلوبكم بمحبة آله الكرام عليه أفضل الصلاة والسلام ، فهم أنوار الوجود اللامعة ، و شموس السعود الطالعة من أراد الله به خيراً ألزمه وصية نبيه فى آله فاحبهم و اعتنى بشأنهم و عظمهم و حماهم وصان حماهم ، وكان لهم مراعياً ، و لحقوق رسوله فيهم راعياً المرء مع من أحب و من أحب الله أحب رسول الله ، و من أحب رسول الله أحب آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و من أحبهم كان معهم ، و هم مع ابيهم عليه أفضل الصلاة والسلام قدموهم عليكم ولاتقدموهم و اعينوهم و اكرموهم يعد خير ذلك عليكم.

و قال سيدى الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى فى (الباب الثانى بعد الخمسماة من الفتوحات المكية) : اعلم أن من الخيانة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تخونه فيما سئلك فيه من المودة لقرابته و أهل بيته ، فان من كره أحداً من أهل بيته فقد كره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه صلى الله عليه وآله وسلم واحد من أهل البيت وحب أهل البيت لا يتبعض فانه ما تعلق إلاّ بمطلق الاهل لا بواحد بعينه ، فاجعله ببالك واعرف قدر أهل البيت ، فمن خان أهل البيت فقد خان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى سننه ومن خان ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد خانه صلى الله عليه وآله وسلم - إلى أن قال - : فان النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما طلب منا عن أمر الله الاّ المودة فى القربى ، و فيه سرّ صلة الارحام ، و من لم يقبل سئوال نبيه فيما سئله فيه مما هو قادر عليه بأىّ وجه يلقاه غداً أو يرجو شفاعته ، وهو ما أسعف نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فيما طلب منه من المودة فى قرابته ، فكيف

بأهل بيته فهم أخص القرابة .

ثم ذكر الحضرمی فی (ص ٥٩) ما لفظه : قال سيدی العارف بالله شيخ بن عبدالله العيدروس نفع الله به فی كتابه (العقد النبوی) بعد كلام يتعلق بالذرية العلية قال : و اعلم ان حبهم يبلغ صاحبه عندالله الدرجة العالية ، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دليل على محبة الله و طاعته كما قال : « و من يطع الرسول فقد أطاع الله » و قال تعالى : « قل لا أسئلكم عليه أجراً الا المودة فی القربی » و كلما ازددت قرباً و نفعاً من النبی صلى الله عليه وآله وسلم ازددت قرباً بقدره من الله ، و تتخذ بذلك الحب يداً عندالله و رسوله على قدره لانك تتحقق انك كلما ازددت محبة وقرباً ومودة وحرمة وقدراً واعظاماً ازددت عند محبوبك بقدر ما احببتهم و عظمتهم ، و كل ما نقصت عن ذلك فيهم انتقصت عنده بقدر ذلك النقصان .

وقال الحداد الحضرمی فی (القول الفصل ج ٢ ص ٣٨ ط جاوا) ما لفظه : فی ذيل حديث فی فضل أهل البيت (و أخرجه احمد فی مسنده بسند رجاله ثقاة : فمحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و محبة أهل بيته متلازمة ، و من أحبهم أحب ذريتهم و ذوی قرباهم لا محالة لان من أحبهم انما أحبّهم بحبه لسلفهم ، و من أبغضهم فانما أبغضهم لبغضه لسلفهم .

و قال النبهانی البيروتی فی (الشرف المؤبد ص ٩٤ ط مصر) ما لفظه : وعن الشيخ زيد الدين عبدالرحمن الحلال البغدادی ان بعض امراء تيمورلنك أخبره انه لما مرض مرض الموت اضطرب ذات يوم اضطراباً شديداً واسود وجهه ، و تغيّر لونه ثم أفاق ، فذكروا له ذلك فقال : ان ملائكة العذاب أتوه فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم : اذهبوا عنه ، فانه كان يحب ذريتی و يحسن اليهم فذهبوا ـ إلى أن قال ـ و عن شمس الدين محمد بن حسن الخالدی قال : رأی بعض أصحاب النبی صلى الله عليه وآله وسلم فی المنام و رأی عنده تيمور لنك فقال له : وصلت إلى

هنايا عدوالله ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إليك يا محمد فانه كان يحب ذريتي .

و ذكرحسن النجار المصري في (الاشراف ص ٢٤ ط مصر) ما أنشأه أبوالحسن ابن جبير:

احبّ النبي المصطفى و ابن عمه — علياً و سبطيه و فاطمة الزهراء

هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم — و اطلعهم افق الهدى انجمازهرا

موالاتهم فرض على كل مسلم — و حبهم سنا الذخائر للاخرى

و ذكرابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة ص ١١ ط الغرى) عن بعض شعراء العامة :

هم القوم من اصفاهم الود مخلصاً — يمسك في اخراه بالسبب الاقوى

هم القوم فاقوا العالمين مناقباً — محاسنها تجلى و آياتها تروى

موالاتهم فرض و حبهم هدى — و طاعتهم ودّ و ودّهم التقوى

و ذكرالحضرمي في (رشفة الصادى ص ٢٤) ما قال الشافعي :

و لما رأيت الناس قد ذهبت بهم — مذاهبهم في أبحرالغيّ و الجهل

ركبت على اسم الله في سفن النجا — وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل

و أمسكت حبل الله و هو ولائهم — كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل

٣ ـ أخرج الطبراني في (الاوسط) من طريق أبي ليلى عن الامام السبط الشهيد الحسين عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : ألزموا مودتنا أهل البيت فانه من لقي الله عزوجل و هو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا ، و الذي نفسي بيده لاينفع عبداً عمله الا بمعرفة حقنا .

رواه جماعة منهم :

١ ـ الهيثمي في (المجمع ج ٩ ص ١٩٢)

٢ ـ ابن حجرالهيتمي في (الصواعق المحرقة)

٣ ـ النبهاني في (الشرف المؤبد ص ٩٦)

٤ ـ الحضرمی فی (رشفة الصادی ص٤٣)

٥ ـ أخرج الحاكم فی (المستدرك ج٣ ص١٤٩) عن ابن عباس فی حدیث عن النبی ﷺ : لو أن رجلاً صفن بین الركن و المقام فصلّی و صام ثم لقی الله و هو مبغض لأهل بیت محمد ﷺ دخل النار .

٦ ـ روی القندوزی الحنفی فی (ینابیع المودة ص ٢٤٦ ط اسلامبول) بالاسناد عن ام سلمة قالت : سمعت رسول الله ﷺ یقول : ما من قوم اجتمعوا یذكرون فضائل محمد و آل محمد الاّ هبطت ملائكة من السماء حتی لحقت بهم تحدّثهم ، فاذا تفرّقوا عرجت الملائكة ، و قالت الملائكة الاخر لهم : انا نشمّ رائحة منكم ما شممنا رائحة أطیب منها ، فیقولون : اهبطوا بنا إلیهم فیقولون : انهم قد تفرّقوا ، فیقولون : اهبطوا بنا إلی مكان الذی كانوا فیه .

رواه أبو الفوارس فی (الاربعین ص ٤٨) و زاد بعد « كانوا فیه » « لنتبرّك به » .

و غیرها من الروایات الواردة عن طریق العامة لا یسعها المقام . و نختم البحث بذكر نبذة ما ورد عن طریق الشیعة الامامیة الاثنیعشریة :

١ ـ فی الكافی باسناده عن مدرك بن عبدالرحمن عن أبی عبدالله علیه السلام قال: قال رسول الله ﷺ : الاسلام عریان ، فلباسه الحیاء و زینته الوقار (الوفاء خ) و مروته العمل الصالح و عماده الورع ، و لكل شیء و أساس الاسلام حبنا أهل البیت .

٢ ـ و فیه باسناده عن عبدالعظیم بن عبدالله الحسنی عن أبی جعفر الثانی علیه السلام عن أبیه عن جدّه صلوات الله علیهم قال : قال أمیرالمؤمنین علیه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : ان الله خلق الاسلام فجعل له عرصة ، وجعل له نوراً ، وجعل له حصناً ، و جعل له ناصراً فأما عرصته فالقرآن ، و أما نوره فالحكمة ، و أما حصنه فالمعروف ، و أما أنصاره فأنا و أهل بیتی و شیعتنا ، فأحبوا أهل بیتی و

شيعتهم و أنصارهم ، فانه لما اسرى بى إلى السماء الدنيا ، فنسبنى جبرئيل عليه السلام لأهل السماء استودع الله حبى و حب أهل بيتى و شيعتهم فـى قلوب الملائكة ، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة .

ثم هبط بى إلى أهل الارض فنسبنى إلى أهل الارض ، فاستودع الله عزوجل حبى و حب أهل بيتى و شيعتهم فى قلوب مؤمنى امتى ، فمؤمنوا امتى يحفظون وديعتى فـى أهل بيتى إلـى يوم القيامة ، ألا فلـو ان الرجل من امتى عبـدالله عزوجل عمره أيام الدنيا ثم لقى الله عزوجل مبغضاً لاهل بيتى وشيعته (شيعتى خ) ما فرّج الله صدره إلاّ عن النفاق .

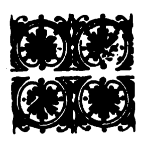
۳ ـ فى العلل باسناده عن ابن عباس انه قال : معاشر الناس اعلموا ان الله تبارك و تعالى خلق خلقاً ليس هم من ذرية آدم ، يلعنون مبغضى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقيل له : و من هذا الخلق ؟ قال : القنابر ، تقول فى السحـر : اللهم العن مبغضى على عليه السلام اللهم أبغض من أبغضه و أحبّ من أحبّه .

٤ ـ فى قرب الاسناد : باسناده عن الامام الحسين بن على عن أبيه عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله : ليس منا من لم يوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف فضلنا أهل البيت .

٥ ـ فى مجالس المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبى عبدالرحمان عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : بينا رسول الله صلى الله عليه و آله فى سفر إذ نزل فسجد خمس سجدات فلما ركب قال لـه بعض أصحابه : رايناك يا رسول الله صنعت ما لـم تكن تصنعه ؟ قال : نعم أتانى جبرئيل عليه السلام فبشّرنى ان علياً فـى الجنة فسجدت شكراً لله فلما رفعت رأسـى قال : و فاطمة فـى الجنة فسجدت شكراً لله تعالى ، فلما رفعت رأسـى قال : و الحسن و الحسين سيّدا شباب أهـل الجنـة فسجدت شكراً لله تعالى ، فلما رفعت رأسى قال : و من يحبّهم فى الجنة فسجدت شكراً لله تعالـى ، فلما رفعت رأسـى قال : و من يحبّ من يحبّهم فى الجنة فسجدت

شكراً لله تعالى .

أقول: الحمدلله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهدى لولا أن هدانا الله، اللهم أحينى و ذريتى حياة أهل بيت النبوة و أمتنا مماتهم بحقهم صلواتك عليهم أجمعين إلى لقاء يوم الدين آمين رب العالمين .



﴿ بحث روائي في خاتمية نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

قال الله عزوجل : « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله و خاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً » الاحزاب : ٤٠)

في الكافي : باسناده عن أيوب بن الحر قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ان الله عزّ ذكره ختم بنبيكم النبيين فلانبيّ بعده أبداً ، و ختم بكتابكم الكتب فلا كتاب بعده أبداً ، وأنزل فيه تبيان كل شيء وخلقكم وخلق السموات والارض ونبأ ما قبلكم وفصل ما بينكم و خبر مابعدكم ، وأمر الجنة والنار ، وما أنتم صائرون إليه .

و فيه : باسناده عن عليّ السائي عن أبي الحسن الاول موسى عليه السلام قال : قال : مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه : ماض وغابر وحادث ، فاما الماضي فمفسّر ، وأما الغابر فمزبور ، وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الاسماع و هو أفضل علمنا ولانبيّ بعد نبينا .

قوله عليه السلام « غابر » : آت ، و « فمزبور » : فمكتوب ، و « نقر في الاسماع » يعني من طريق الالهام ، وتحديث الملك ولماكان هذا القول منه عليه السلام يوهم إدعاء النبوة رد ذلك بقوله عليه السلام : لانبي بعد نبينا .

و فيه : باسناده عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : الائمة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا أنهم ليسوا بانبياء ولا يحلّ لهم من النساء ما يحلّ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأما ماخلا ذلك فهم فيه بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

و فيه : باسناده عن المفضل بن عمر قال : قلت لابى الحسن عليه السلام: روّينا عن أبى عبدالله عليه السلام انه قال : ان علمنا غابر و مزبور ونكت فى القلوب ونقر فى الاسماع ، فقال : أما الغابر فما تقدم من علمنا ، وأما المزبور فما يأتينا ، و أما النكت فى القلوب فالهام وأما النقر فى الأسماع فأمر الملك .

وفيه: باسناده عن بريد عن أبى جعفر وأبى عبدالله عليهما السلام فى قوله عزوجل : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى (ولامحدّث) » قلت : جعلت فداك ليست هذه قرائتنا الرسول والنبى والمحدث ؟ قال : الرسول الذى يظهر له الملك فيكلمه والنبى هو الذى يرى فى منامه ، وربما اجتمعت النبوة والرسالة ، والمحدث الذى يسمع الصوت ولا يرى الصورة ،قال : قلت : أصلحك الله كيف يعلم ان الذى راى فى النوم حق ، وانه من الملك ؟ قال : يوفّق لذلك حتى يعرفه ، لقد ختم الله بكتابكم الكتب وختم بنبيكم الانبياء .

وفى الدر المنثور : عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مثلى ومثل الانبياء كمثل رجل ابتنى داراً فأكملها وأحسنها إلاّ موضع لبنة ، فكان من دخلها فنظر إليها قال : ما أحسنها الاّ موضع اللبنة ، فأنا موضع اللبنة فختم بى الانبياء .

وفيه: أخرج مسلم والترمذى وابن المنذر والبيهقى فى الدلائل وابن مردويه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فضلت على الانبياء بستّ : اعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، واحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الارض طهوراً ومسجداً ، وارسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون .

وفى الصحيفة السجادية : قال الامام سيد الساجدين على بن الحسين عليهما السلام : « والحمدلله الذى منّ علينا بمحمد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم دون الامم الماضية والقرون السالفة بقدرته التى لاتعجز عن شىء وإن عظم ، ولايفوتها شىء وإن لطف فختم بنا على جميع من ذرأ وجعلنا شهداء على من جحد ، و كثّرنا بمنّه على من قلّ ».

وفى الكافى: باسناده عن صالح بن سهيل عن أبى عبدالله عليه السلام : ان بعض قريش

قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بأى شيء سبقت الانبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: انى كنت أول من آمن بربى وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، فكنت أنا أول نبى قال : بلى ، فسبقتهم بالاقرار بالله عز وجل .

قوله : «بأى شيء سبقت الانبياء » أى فضلا ورتبة .

وفيه: باسناده عن أبان بن عثمان عمن ذكره عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى أعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم شرائع نوح وابراهيم و موسى و عيسى عليهم السلام : التوحيد والاخلاص وخلع الانداد والفطرة الحنيفية السمحة ، ولارهبانية ولاسياحة ، أحل فيها الطيبات وحرّم فيها الخبائث ووضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم، ثم افترض عليه فيها الصلاة والزكاة والصيام والحج والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والحلال والحرام والمواريث والحدود والفرائض والجهاد فى سبيل الله ، وزاده الوضوء وفضّله بفاتحة الكتاب ، وبخواتيم سورة البقرة والمفصل، وأحلّ له المغنم والفيء ونصره بالرعب ، وجعل له الارض مسجداً وطهوراً، وأرسله إلى كافة الابيض والاسود والجن والانس ، وأعطاه الجزية وأسر المشركين وفداهم، ثم كلّف مالم يكلّف أحد من الانبياء وانزل عليه سيف من السماء فى غير غمد و قيل له : « قاتل فى سبيل الله لاتكلف الا نفسك » .

قوله عليه السلام : « والمفصل » قيل : أى من سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر القرآن. ومن المحتمل أن يكون المراد منه السور الطويلة .

وفيه: باسناده عن سماعة ابن مهران قال : قلت لأبى عبدالله عليه السلام : قول الله عزوجل : « فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل » فقال : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم ، قلت : كيف صاروا اولى العزم ؟ قال :لان نوحاً بعث بكتاب وشريعة وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه، حتى جاء ابراهيم عليه السلام بالصحف ، وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفراً به ، فكل نبى

بعد ابـراهيم عليه السلام أخذ بشريعة ابراهيم ومنهاجه ، و بالصحف حتى جاء موسى بالتوراة وشريعته ومنهاجه ، و بعزيمة ترك الصحف وكل نبى جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه حتى جاء المسيح عليه السلام بالانجيل ، و بعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه ، فكل نبى جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه ، حتى جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم فجاء بالقرآن و بشريعته ومنهاجه ، فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة ، فهؤلاء اولوا العزم من الرسل عليهم السلام .

وفي رواية: : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة ؟ فأنا في النبيين موضع هذه اللبنة .

وفي رواية : عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى بعدى » .

وفي رواية : عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذى يمحوا الله تعالى بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى .

و في أمالي المفيد رحمه الله تعالى باسناده عن أبى بصير عن أبـى جعفر الباقر عليه السلام قال : لما حضر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة نـزل جبرئيل ، فقال له جبرئيل : يا رسول الله هـل لك في الرجوع ؟ قال : لا قد بلغت رسالات ربى ، ثم قال لـه : أتريد الرجوع إلى الدنيا ؟ قال :لا بل الرفيق الاعلى ثـم قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين وهم مجتمعون حوله : أيها الناس ؟لا نبى بعدى ولا سنة بعد سنتى ،فمن ادعى ذلك فدعواه و بدعته في النار ، ومن ادعى ذلك فاقتلوه ومن اتبعه فانهم في النار ، أيها الناس ، احيوا القصاص واحيوا الحق ، ولا تفرقوا وأسلموا تسلموا« كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز »

و في المجمع : في قوله تعالى : « و خاتم النبيين » قال : أى و آخر النبيين

ختمت النبوة به ، فشريعته باقية إلى يوم الدين ، و هذا فضيلة له صلى الله عليه وآله وسلم اختص بها من بين سائر المرسلين . فان قيل : ان اليهود يدّعون فى موسى مثل ذلك؟ فالجواب : ان بعض اليهود يدّعون ان شريعته لاتنسخ و هم مع ذلك يجوزون أن يكون بعده أنبياء ونحن اذا أثبتنا نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزات القاهرة وجب نسخ شريعته بذلك إنتهى كلامه .

و ان رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم جعلت خاتمة لجميع الرسالات ، وكاملة لجميع النبوات المتقدمة ، و ان الاية الكريمة : « ولكن رسول الله و خاتم النبيين » ختمت عهد النبوة ، و حكمت بان لا نبى بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع انه قد مضى على الخليقة قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم آلاف كثيرة من السنين ، والانبياء يتعاقبون فيها نبياً بعد نبى ، وقدكانت فى الكتب السماوية النازلة على المرسلين بشاراة بانه سيأتى انبياء من بعدهم ، و كل هذا كان يدعو محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يحجم عن قطع عهد النبوة لو كان القرآن من عند نفسه لانه يخالف سنّة الخليقة ، و ما جرى عليه الانبياء . . . فلو كان القرآن من عند نفسه لأتى ببشارة من البشارات كما فعل الانبياء من قبله ترويجاً لأمره بين الناس لا سيما و ان للناس شغفاً بالبشارات والتنبؤات ، و ميلاً إلى تصديق من يذهب هذا المذهب .

و قد مضى على هذه الاية الكريمة أربعة عشر قرناً، و هذه المدة الطويلة تكفى لظهور كثير من الانبياء بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتوالى ظهورهم ويعاصر الكثير منهم البعض فما بالهم انقطعوا فى هذه المدة الطويلة ، و اذا كانت هناك طوائف من اتباع الاديان الاخرى لا تعترف بان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو النبى الذى بشربه الانبياء السابقون ، و لا تزال تنتظر نبيا ، فان فيما مضى من هذه المدة الطويلة ما يكفى لقطع أملها فى ذلك ويدعوها إلى الصواب لتؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، و لا شك ان مثل هذا الحكم لا يمكن أن يحكم به بشر ، و انما هو حكم الله جل وعلا ومعجزة من معجزات القرآن الكريم التى تدل على انه وحى الهى نزل

على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأكمل به النبوات وختم به الرسالات السابقة وقال : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » على ان كمال النبوات السابقة بنبوة خاتم الانبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وكمال هذا الدين الاسلامي بالولاية العلوية على هذه الامة المسلمة ، فكما ان النبوات الماضية لم تكتمل الاّ بهذه النبوة فكذلك هذه الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم لم تكتمل الاّ بهذه الولاية اذ قال الله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته » المائدة : ٦٧)

وقد تواترت الاخبار واستفاضت الآثار عن الطريقين : ان المراد بتبليغ ما انزل : هو ابلاغ خلافة الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام وولايته على هذه الامة الاسلامية بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي المقام لبعض المفسرين كلام لا يخلو عن فائدة :

« إن قلت : لماذا لم يرسل الله تعالى رسولاً واحداً ، و لم يجعل الدين واحداً ولم ينزل كتاباً واحداً كاملاً حتى لاتتعدد الرسل ، ولاالشرائع ولاالكتب الموجبة لاختلاف الناس ؟

قلت : لابدلنا من ذكر مثل فيظهر الجواب في خلاله و ذلك : اننا كثيراً مانرى جوّ السماء صافياً والهواء راكداً ساكناً ، فيفاجئنا هبوب ريح شديدة تثير السحاب فتبسط في السماء ، ثم تحيطنا بالامطار حتى نظن اننا في وسط البحار، و اذا امعنا النظر في هذه الحادثة الجوية و تدبرنا فيها نجدها على مقتضى القواعد الفنية للتكامل ، حيث ان حرارة الشمس قدمسّت و تدخلت برطوبة الارض بأمر الله تعالى وجعلت تلك الرطوبات بخاراً ثم تصاعدت تلك الابخرة إلى جوّ السماء، فتكاثفت وصارت سحاباً بأمر الله جل وعلا ثم تحلّلت فصارت ماءاً وامطهرت على ما يقال.

وأيضاً كان بعض ذلك السحاب كهربائية سالبة ، وبعضها الاخرى كهربائية موجبة كما هو الحال في سائر الاجسام ، ويحصل في الجو من اصطكاك تلك السحب

بعضها ببعض و احتكاكها صوت يقال له : الرعد ، و لاريب ان الحكمة فى هذه التحـولات و تلك التركبات الجويـة هى حصول المطر لتـزدان الارض و تنشط الحيوانات و تروى النباتات ، و بالجملة لتحيى الارض بعد موتهـا ، مع كـون المركبات خاضعة لناموس الطبيعة ، و مسخرة لها فى تكونها و نشؤها ونموّها ، و فى تكاملها و بقائها و فنائها ، و ليس هذا التكامل آنياً و لايحصل الكمال فجأة، وانما معنى التكامل هوحصول الكمال علىسبيل التدريج ، فالكمال تابع لناموس التكامل المسنون فـى هذا العالم ، سواء كان هذا الكمال للانسان أم للحيوان ، للنبات أو للجماد ، و كان فى الاجرام الارضية أم فى الاجرام السماوية . . .

و هذا قانون التكامل يجـرى فى أصل التكون و النمو ، و فـى البقاء و الفناء : « الله الذى خلق السموات و الارض و ما بينهما فى ستة أيام ثـم استوى على العرش ـ الذى أحسن كل شىء خلقه و بدأ خلق الانسان من طين ثـم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكـم السمـع والابصار والافئدة » السجدة : ٤ ـ ٩)

كل ذلك تدريجى ، وليس بصدفة ، واذا ثبت جريان هذا القانون فىخلق هذا العالم ومافيه منالامور المادية ، فليست الامـور المعنوية بخارجة عن هذا القانون .

فكما ان الانسان يحتاج فىنمو جسمه إلى قانون التكامل ، فلم يـولد بسن الاربعين سنة كذلك يحتاج فىارتقاء روحه إلى هذا القانون سـواء بسواء ، فلا يولد ومعه عقل ابن الاربعين سنة ، وعلـى هذا القانون نزل قانون إلهـى علـى الانبياء فكملت شريعة نبىالسابق بشريعة نبى اللاحق ، والثانى بالثالـث و هـكذا إلى أن انتهت إلى شريعة موسى عليه السلام فاكتملت بشريعة عيسى عليه السلام ثم كمل جميع شرائع الانبياء بشريعةخاتمهممحمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم و كملت الشريعة المحمدية بأمرالخلافة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فىحجة الوداع فىآخرحياته . . .

وهذه الشريعة الكاملة باقية إلى يوم القيامة لكفالتها صيانة ما يحتاج إليه البشر إلى يوم القيامة ، فمهما تكثرت حاجات الانسان ، وازدادت لوازم المجتمع البشرى فالاسلام يجيبه ، من غير حاجة إلى شريعة اخرى ولاقانون آخر ، حيث ان حاجات الانسان ولوازم المجتمع المدنية مهما كثرت لاتخرج عن دائرة المعارف الاسلامية المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية الواردة عن طريق أهل بيت الرسالة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

فالاسلام كافل لكل حاجات البشر فى كل وقت ومكان ، وان العقل البشرى مهما ارتقى وتكمل لايستطيع الخروج عن حدود المعارف الاسلامية ، والاحكام السماوية النازلة على خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم بصورتى الكتاب والسنة ، فاصبح من الضروريات اللازمة التى لامحيص للعقل السليم عنها أن يتبع الانسان فى كل وقت ومكان الشريعة المحمدية الغراء والسمحة السهلاء ، فالقرآن الكريم قانون إلهى ونظام سماوى ومحكم أزلى لن ينسخ أبداً ولايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه .

وفي اتباع القرآن والعمل عزة وسعادة ونجاة وفوز وفلاح ، و فى مخالفته ذلة وهوان ومسكنة وخسران مبين ، فهو خاتم الكتب السماوية ، ومن جاء به فهو خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ، ومن ادعى بعد القرآن الكريم بكتاب ، وبعد نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنبوة فهو من مردة شياطين الجن والانس . . .

كما أن المجالس والبرلمانات لوضع القوانين طاغوتية مردودة ولو كانت باسم الاسلام ومن أى زى كان أهلها ، فان القرآن الكريم منها ومن أهلها الوضيع برىء .

﴿ كلام في خاتمية نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

قال الله تعالى : « و لكن رسول الله وخاتم النبيين » الخاتم ـ بفتح التاء ـ : ما يختم به كالطابع بمعنى ما يطبع به ، و المراد من كونه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين النبوة اختتمت به صلى الله عليه وآله وسلم فلانبي بعده .

و ان الاية الكريمة كما تصرح بانه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين تنطوى ان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يكون خاتم المرسلين و ذلك لان كل رسول نبيّ ، و ليس كل نبي رسولاً ، فما دام انه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الانبياء فهو خاتم الرسل ، وان الرسول هو الذي يحمل رسالة من الله تعالى إلى الناس ، و النبي هو الذي يحمل نبأ الغيب الذي هو الدين و حقائقه و معارفه و أحكامه . . . و لازم ذلك أن ترتفع الرسالة بارتفاع النبوة ، فان النبوة من أنباء الغيب ، فاذا انقطعت هذه الأنباء انقطعت الرسالة . و من هنا يظهر ان كونه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين يستلزم أن يكون خاتم المرسلين .

و ان ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن الكريم هوخاتم الكتب السماوية لانه يحتوى من الاسس والمبادى والتشريعات و التلقينات و النظم و المعالجات فى صدد العقائد والمعاملات والحياة الدنيوية والاخروية مايكفل جميع الاشكالات و التمشى مع كل طور و زمن ومكان و صلاح البشرية فرادى و جماعة وسعادتها على أتم وجه وأكمله و أفضله ، وجاءت السنن النبوية المحمدية متممة موضحة مفسّرة مكملة ، فلم يعدهناك حاجة إلى نبي ورسول من بعده ، وذلك هومصداق

قول الله عزوجل : « ولكن رسول الله و خاتم النبيين » و هو المهيمن برسالته على رسالات الرسل و نبوات الانبياء كلهم ، فلارسول ولانبي بعده إلى يوم الدين.

و لقد ختمت به ﷺ رسالات السماء واضيفت شعاعاتها كلها إلى شمس شريعته، فأصبحت تلك الشعاعات مضموناً من مضامينها وقبساً من قبساتها ، فلاهدى بعد هذا إلا من هداها ، و لانوراً إلا من نورها «ان الدين عندالله الاسلام ـ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين» آل عمران: ١٩ ـ ٨٥) .

و قال : « ان هو الانذير لكم بين يدى عذاب شديد » سباء : ٤٦) و في الاية دلالة على خاتمية محمد ﷺ في الرسالة حيث جعل الله تعالى إنذاره بين يدى العذاب لان محمداً ﷺ بعث قرب الساعة كما ورد في الخبر: « بعثت أنا و الساعة إن كادت لتسبقني » .

و من دلائل خاتمية نبينا محمد ﷺ بقاء معجزته من كتابه ، و لم يعهد لأحد من الرسل ذلك ، و هذا أحد أسرار خاتميته . و قد جاء النبي الكريم ﷺ بشيء ينطبق على مصالح الناس و حاجاتهم أينما كانوا و أي زمان وجدوا مما لم يتفق في شرع قبله قط ، و لهذا ختمت النبوات بنبوته ، و الكتب بكتابه ﷺ ولذلك عمت رسالته و شملت نبوته لكافة الناس و بقيت شريعته لجميع الازمان إلى يوم القيامة .

فجعل الله تعالى هذا النبي الامي ﷺ أفضل النبيين و أكمل المرسلين وخاتمهم ، وجعل شريعته أكمل الشرايع نظاماً وأرفعها مقاماً وأجمعها لمصالح الدارين و أقربها لتحصيل السعادتين ، فلاجرم جعله خاتم الانبياء وآخر السفراء وجعل شريعته و كتابه خاتمة الشرائع وخاتم الكتب السماوية ، وأصفى المشارع اذ لاشريعة أكمل منها في مجال العقل ، ومنفسح الفكر وحصافة الفحص ومصارعة الآراء ، وماجاء به من الاحكام والفرائض في غاية السهولة لاحرج ولا كلفة فيها.

وانما الدين الاسلامى هو الجامع لكل النواميس الحيوية : أدبيه ومادية، دنيوية و اخروية ، اخلاقية و اجتماعية ، سياسية و اقتصادية . . . و ان شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين الشرائع هى الشريعة الوحيدة العلمية والعلمية المستوفاة التى ترمى إلى أغراض دنيوية و اخروية معاً حقيقة ، و انها لم تقتصر على الاصول الكلية الشائعة بين جميع الشرائع ، بل اهتمت إهتماماً خاصاً بالاحكام الجزئية ، فوضعت أحكام المعاملات و التجارات حتى فروض العبادات أيضاً ، و هى من هذه الجهة شريعة علمية وعملية، مادية و معنوية ، و من أعظم ما تركه الاسلام آثار أدبية لخدمة الغاية الدينية ، وقدفاق بتلك الآثار أيضاً جميع الامم التى تقدمته...

وان شريعة موسى عليه السلام مادية عملية و لكنها غيرمستوفاة ، و شريعة عيسى عليه السلام و إن كانت حكماً و مواعظ تعتبر اصولاً كلية الا انها نظرت فى جملتها إلى العالم الروحانى أكثر من الحياة الدنيا ، بخلاف شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانها نظام عالمى اجتماعى، علمى وعملى، مادى قانونى وروحى معنوى حقيقى تقتضيه الفطرة البشرية فى كل وقت و مكان . . .

فالدليل العقلى واضح لمن تدبّر نواميس هذه الشريعة و أحكامها ، و أنها بلغت الغاية فى الاحاطة بمصالح البشر و النظام الاجتماعى الذى لاتتصور العقول أرقى منه و أكمل ، فلابد أن تكون هى الغاية و الخاتمة كما قال الله جل وعلا : « اليوم اكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً » المائدة : ٣) و اذ اكمل الشيء فقدتمّ و إنتهى ولامجال لجعل غيره اذ المجعول إما مثله أو أنقص فهو قبيح ، و أما الاكمال فهو حاصل فى هذه الشريعة بلامراء.

و قد ورد عن الطريقين صحيحاً : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «لانبى بعدى» لاتعقيد فيه ، و قد أجمع العلماء الاسلامية ، و اعتقدت الامة المسلمة على انه لاوحى إلى أحد بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم و يحكم عليه العقل من الوحى و الرسالة و النبوة عند حاجة الناس إلى حكم لايوجد فى الرسالات السابقة . . .

هذا هو القرآن الكريم : «فيه تبيان كل شيء» قال الله تعالى : « ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء» النحل : ٨٩) فمن أنكر ذلك فهو كافر، ومن ادعى أو اعتقد النبوة بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجب قتله .

قال بعض أعلام العامة : لو جاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبي لجاء علي بن أبيطالب عليه السلام لانه كان منه بمنزلة هارون من موسى .

فالغاية الاولى والاخيرة من إرسال الرسل و مجيىء الانبياء ابلاغ الاحكام الالهية إلى الناس مما فيه سعادتهم الدنيوية و الاخروية ، و ما من شيء يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة الاّ و قد أنزله الله تعالى على خاتم أنبيائه و آخر رسله محمد صلى الله عليه وآله وسلم و قد قال في آخر كتابه : «ما فرّطنا في الكتاب من شيء ـ ولارطب ولايابس الاّ في كتاب مبين » الانعام : ٣٨ ـ ٥٩) ولاوسيلة لاثبات هذه الحقيقه الاّ بالتجربة التي لاتقبل الشك و الجدال بان يدرس أهل الاختصاص القرآن الكريم دراسة علمية شاملة من ألفه إلى يائه و من اسم « الله » جل وعز إلى «الناس» ثم يقارنون بينه وبين غيره من كتب الاديان ، فاذاً ينتهون بلاشك إلى أمرين :

أحدهما: ان القرآن الكريم ببلاغته و عقيدته و شريعته يفوق جميع كتب الاديان لايماثله كتاب قطّ .

ثانيهما : انهم يجدون في القرآن الكريم جميع الاصول والمبادىء التي تتجاوب مع حاجات الناس و مصالحهم و تقدمهم إلى قيام الساعة ، فما من نهضة علمية أو ثورة تحريرية الاّ و يدعواليها القرآن و يباركها و يبشرها ، و ما من تشريع يحتاج إليه الناس في دور من أدوار التاريخ ، الاّ و يستطيع أهل العلم و الفضل ، وأهل الاختصاص والاجتهاد أن يستخرجوه من أحد اصول القرآن الكريم و مبادئه و قد أذن الله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لمن له الاهلية و الكفاءة أن يفرّع على اصول هذا الكتاب السماوي و يستخرج منها الاحكام التي فيها خير وصلاح

للمجتمع البشرى بجهـة من الجهات ، فحكـم المجتهد العادل العامل الجامـع لشرائط الاجتهاد هو حكم قرآني و حكم رسول ﷺ كما صرّح به رسول الله ﷺ : « ان الراد على حكمه كالراد على الله »

فالنبى الخاتم ﷺ موجود بوجود القرآن الذى لايأتيه الباطل من بين يديه و لامن خلفه ، و انه فى حماية الله جلوعلا و قد ضمن بحفظه اذ قال : « و انه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيلمن حكيمحميد» فصلت : ٤١ ـ ٤٢) و قال : « انا نحن نزّلنا الذكر و انا له لحافظون » الحجر : ٩) فما دام النبى بين كافة الناس موجوداً بوجود كتابه فلاموضع لنبى آخر اذ لانبيان فى زمن واحد للناس .

و ان هذا القرآن الكريم وحده صرّح بانه تبيان كل شيء ، ولا رطب و لايابس الاّ وقد جاء فيه بيانه ، وانه كتاب لايأتيه باطل ، ولايمسه الاّ المطهرون، و انه فى ضمان الله تعالى وحمايته . . . فأين هى كتبالانبياء السماوية قالت به؟! فليأت الجاحدون بواحد منها فيه تبيان كل شيء ، أويجرأ على القول به انه ما فرط فيه من كل شيء ، و انه فى حماية الله تعالى لايأتيه باطل .

وان الاسلام الذى جاء به محمد ﷺ قد استوفى جميع صفات الكمال، و بلغ الغاية منها و النهاية تماماً كما بلغت الشمس الحدّالاعلى من النور ،فلا كوكب و لا كهرباء يمتليء الكون بنورهما بعدكوكب الشمس « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً و داعياً إلـى الله باذنه و سراجاً منيـراً » الاحزاب : ٤٥ـ٤٦) فلادين بعد الاسلام « ان الدين عندالله الاسلام ـ ومن يبتغ غيرالاسلام دينا فلن يقبل منه » و لانبى بعد محمد ﷺ الاّ و هـو مأمور من جانب الشيطان أو مصنوع الانجليز و أذنابه . . .

﴿ المتنبؤن بعد خاتم الانبياء ﷺ و معجزاتهم ﴾

وقد ادعى طائفة من أتباع شياطين الجن والانس النبوة بعد خاتم الانبياء محمد ﷺ و ادعوا لاثبات نبواتهم معجزات كلها خرافات لاحقيقة لها، فنشير إلى نفر منهم ، و نبذة منها :

في الدرالمنثور : عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : انه سيكون في امتي كذّابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي ، و أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي .

و في رواية : أربعة منهم نسوة .

وفي لباب التأويل : ان مسليمة الكذاب ادعى النبوة باليمامة من اليمن و تبعه قومه من بني حنيفة و كان صاحب نيرجات ، فاغترّ قومه بذلك . و قتل مسليمة في عهد أبي بكر بيد وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب ، و كان وحشي يقول : قتلت خير الناس و هو حمزة ، و قتلت شر الناس و هو مسليمة .

وفيه: ان الاسود العنسي ـ بالنون ـ هو عبهلة بن كعب و كان يقال له : ذوالحمار ادعى النبوة باليمن في آخر عهد النبي ﷺ و قتل ، والنبي ﷺ كان حياً و كان ذلك قبل موته ﷺ بيومين ، و أخبر أصحابه بقتله ، و قتله فيروز الديلمي ، فقال رسول الله ﷺ فاز فيروز يعني بقتله الاسود العنسي .

و في تفسير الكاشف : قال : ان أهل السير والتاريخ قالوا : ان ثلاثة إرتدّوا و ادعوا النبوة على عهد رسول الله ﷺ بعد أن آمنوا به :

الاول : الاسود العنسي تنبّأ في اليمن ، و أخرج عمّال رسول الله ﷺ

منها ، ولكنه قتل قبل وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بيوم واحد .

الثاني : مسليمة الكذاب ادعى النبوة و كتب إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم : « من مسليمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فانى شريك معك فى الامر ، والارض بيننا منا نصفة » و قتل فى عهد أبى بكر .

الثالث : طلحة بن خويلد إدعى النبوة ثم عاد و أسلم . و أما سجاح ، فقد ادعت النبوة فى عهد أبى بكر و تزوجها مسليمة . و قال أبو العلاء المعرى فى هذا الزواج :

أمست سجاح و والاها مسليمة كذابة فى بنى الدنيا كذاب

و فى تفسير ابن كثير الدمشقي : ومن كلمات مسليمة الكذاب : « ياضفدع بنت ضفدعين نقى كم تنقين لا الماء تكدرين و لا الشارب تمنعين » و قوله : « لقد أنعم الله على الحبلى إذا خرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى » و قوله : « الفيل و ما أدراك ما الفيل له خرطوم طويل » و قوله : « والعاجنات عجناً ، والخابزات خبزاً واللاقمات لقماً اهالة و سمناً » .

و قال مسليمة لعمرو بن العاص : لقد سمعت أصحاب محمد يقرؤن سورة عظيمة و قصيرة ؟ قال : نعم ، فقال : ماهى ؟ فقال : « والعصر ان الانسان لفى خسر » إلى آخر السورة ففكر مسليمة ساعة ثم قال : و أنا قد أنزل علىّ مثله ، فقال : و ما هو ؟ فقال : « يا وبر يا وبر انما انت اذنان و صدر و سائرك حفر نقر » كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله انك تعلم انى أعلم انك تكذب .

فاذا كان هذا (عمرو بن العاص) من مشرك فى حال شركه لم يشتبه عليه حال محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصدقه ، و حال مسليمة لعنه الله و كذبه فكيف باولى البصائر والنهى . ثم قال ابن كثير : كان عمرو بن العاص فى تلك الحال مشركاً .

و فى السيرة لابن هشام : قال ابن اسحق : و قد كان تكلم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكذابان : مسليمة ابن حبيب باليمامة فى بنى حنيفة والاسود بن كعب

العنسي بصنعاء .

وفيه: عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ و هو يخطب الناس على منبره و هو يقول : أيها الناس ! اني قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ، و رأيت في ذراعيّ سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما فطارا ، فأوّلتهما هذين الكذابين : صاحب اليمن ، و صاحب اليمامة .

وفيه: عن أبي هريرة انه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كلهم يدّعي النبوة .

وفيه: و قد كان مسليمة بن حبيب ، قد كتب إلى رسول الله ﷺ « من مسليمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، سلام عليك ، أما بعد فاني قد اشركت في الامر معك ، و ان لنا نصف الارض ، و لقريش نصف الارض ولكن قريشاً قوم يعتدون » فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب . قال نعيم بن مسعود الاشجعي : سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالا: نقول كما قال ، فقال ﷺ : أما والله لولا ان الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما كما كتب إلى مسليمة : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى مسليمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

و ذلك في آخر سنة عشر .

و في بعض التفاسير : ان أبا جهل قال : ان الذي يقول محمد شعر . فقال ﷺ : الشعر غير هذا ، إن هذا إلاّ كلام الرحمن ، فقال أبوجهل: بخ بخ لعمري انه لكلام الرحمن الذي هو يعلّمك فقال ﷺ : الرحمن هو إله السماء و من عنده يأتيني الوحي ، فقال أبو جهل : يا آل غالب من يعذرني من محمد ﷺ ؟ يزعم ان الله واحد وهو يقول: الله يعلّمني والرحمن ألستم تعلمون انهما إلهان ؟ ثم قال : ربكم الله الذي خلق هذه الاشياء والرحمن فهو مسليمة .

و في تفسير طنطاوی : نقلاً عن كتاب (المختار فی كشف الاسرار) علی طريق الاختصار : « ظهر فی آخر خلافة السفّاح سنة باصفهان رجل يعرف باسحق الأخرس ، فادعی النبوة و تبعه خلق كثير و ملك البصرة و عمان ، وفرض علی الناس فرائض ، و فسّر لهم القرآن علی ما أراد ثم قتل و كان حديثه انه نشأ بالمغرب ، فتعلّم القرآن ثم تلا الانجيل والتوراة والزبور ، وجميع الكتب المنزلة ثم قرأ الشرائع ثم حلّ الرموز والاقلام ، و لم يترك علماً حتی أتقنه .

ثم ادعی انه أخرس و سافر ، فنزل باصفهان و حذم قيماً فی مدرسة و أقام بها عشر سنين، و عرف جميع أهلها و كبرائها . ثم بعد ذلك أراد الدعوة ، فعمل له أدهاناً و دهن بها وجهه حتی لا يمكن أحد النظر إليه من شدة الانوار . . . ثم نام فیالمدرسة و أغلق عليه الابواب . . . فلما نام الناس و هدأتالحواس قام ، فدهنوجهه من ذلكالدهن ثم اوقد شمعتين مصبوغتين لهما أنوار تفوق السرج ، ثم صرخ صرخة أزعج الناس ثم اتبعها ثانيةوثالثة ثم انتصب فیالمحراب يصلّی ، و يقرأ القرآن بصوت أطيب ما يكون و بنغمة أرق من النسيم .

فلما سمع الفقهاء تواثبوا و أشرفوا عليه ، و هو علی تلك الحالة فحارت أفكارهم من ذلك ، ثم اعلموا المدرس بذلك ، فاشرف عليه و هو علی تلك الحال فلمارآه خرّ مغشياً عليه ، فلما أفاق عمد إلی بابالمدرسة ليفتحه فلم يقدر علی ذلك فخرج من المدرسة ، و تبعه الفقهاء حتی انتهی إلی دارالقاضی والاخبار قد شاعت فیالمدينة ، فأخبرالقاضی بذلك ، فخرج القاضی و اتصل الخبر بالوزير ، و اجتمع الناس علیبابالمدرسة ، وهو قد فتح الاقفال وتركالابواب غيرمفتحة، فلما صار القاضی والوزير و كبراء البلد إلی الباب اطلع عليه الفقهاء و قالوا له بالذی أعطاك هذه الدرجة : إفتح لنا الباب ، فأشار بيده إلی الابواب ، وقال : تفتحی أيتها الاقفال ، فسمعوا وقع الاقفال إلی الارض ، فدخل الناس إليه وسئله القاضی عن ذلك ، فقال: انه منذ أربعين يوماً رأی فی المكان اثر دليل ، و اطلع

على أسرار الخلق و رآها عياناً ، فلما كان في هذه الليلة أتاني ملكان فأيقظاني و غسلاني .

ثم سلما عليّ بالنبوة ، فقالا : السلام عليك يا نبيّ الله فخفت من ذلك و طلبت أن أرد عليهما فلم اطق ، و جعلت أتململ لردّ الجواب فلم أقدر على ذلك، فقال أحدهما : إفتح فاك بسم الله الازلي ، ففتحت فمي ، و أنا أقول في قلبي : بسم الله الازلي ، فجعل في فمي شيئاً أبيض لا أعلم ماهو أبرد من الثلج ، وأحلى من الشهد ، و أذكى من المسك ، فلما حصل في أمعائي نطق لساني ، فكان أول ما قلت: أشهدأن لا اله إلاّ الله وأشهدان محمدا رسول الله . فقالا: وأنت رسول الله حقاً، فقلت: ما هذا الكلام أيها السادة ؟ فقالا: ان الله قد بعثك نبياً، فقلت: و كيف ذلك والله تعالى قد أخبر عن سيدنا محمد انه خاتم النبيين ؟ فقالا: صدقت ولكن الله أراد بذلك انه خاتم النبيين الذين هم على غير ملته و شريعته ، فقلت : اني لا أدعي بذلك ولا اصدق ولا لي معجزات ، فقالا : يوقع في قلوب الناس تصديقك الذي أنطقك بعد أن كنت أخرس منذ خلقت .

و أما المعجزات التي أعطاك الله عزوجل فهي معرفة كتبه المنزلة على أنبيائه و معرفة شرائعه و معرفة الألسن والاقدام ، ثم قالا : اقرأ القرآن فقرأته كماأنزل، ثم قالا: إقرأ الانجيل فقرأته، ثم قالا: إقرأالتوراة والزبور والصحف، فقرأت الجميع كما أنزل ، ثم قالا : قم فأنذر الناس ثم انصرفا عني ، و قمت أنا اصلي ، و هذا آخر خبري فمن آمن بالله و بمحمد ثم بي فقد فاز و من كذب فقد عطل شريعة محمد و هو كافر والسلام .

فعند ذلك سمع له خلق كثير واستقام أمره وملك البصرة وعمان وغيرهما، و استفحل أمره ولم يزل كذلك حتى قتل، و له أتباع بعمان إلى يومنا هذا قبحهم الله تعالى . انتهى كلامه .

و في بعض التفاسير : تنبأ رجل فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال:

أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب قالوا : رضينا فاخرج حصاة معه و طرحها في الماء فذابت ، فقالوا : هـذه حيلة ، ولكن نعطيك حصاة من عندنا و دعها تذب قال : لستم أجلّ من فرعون و لا أنا أكرم من موسى عليه السلام ان فرعون لم يقل لموسى عليه السلام : لم أرض بما تفعله بعصاك حتى اعطيك عصا من عندى تجعلها ثعباناً .

وفيه: ادعى رجل النبوة في زمن (خالد بن عبدالله القسرى) فأتى به إلى خالد ، فقال له : ما تقول ؟ فقال : عارضت القرآن قال: بماذا ؟ قال: قال الله « انا اعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر ان شانئك هو الابتر » وقلت: « إنا اعطيناك الجماهر فصل لربك و جاهر و لا تطع كل ساحر » فأمر به خالد فضرب عنقه وصلب فمرّ به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال: « انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود و أنا ضامن لك أن لا تعود » .

وفيه: ان امرأة ادعت النبوة أيام المتوكل فقال لها : أنت نبية ؟ قالت: نعم قال : أتؤمنين بمحمد ؟ قالت : نعم قال : فانه صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا نبى بعدى قالت: نعم ولكنه لم يقل : لا نبية بعدى .

وفيه: تنبّأ رجل في زمن المأمون فأحضره ، فقال له: ألك المعجزة لنبوتك ؟ قال : نعم ، قال : ما هى ؟ قال : كلما شئت ، قال لـه المأمون : إفتح هـذا الغفل بلا مفتاح قال : إني نبى ولست بحدّاد .

وفيه: ادعى رجل النبوة ، فأحضره المأمـون ، فقال له : من أنت ؟ قال : نبى الله و رسوله ، فقال له : أيوحى إليك من السماء ؟ قال: نعم ، نزل إلىّ جبرئيل بالوحى قبل إحضارك إياىّ بساعة، وينزل إلىّ الوحى فى كل اسبوع، فظن المأمون بصحة دعواه ، فأمر المأمون طبّاخه أن يحترموه في مطبخه فى اسبوع حتى يحين وقت الوحى ، فلما مضى الاسبوع أحضره المأمـون ، فامتنع الرجل فقال : لابـد للامة أن يزور النبى ، فجاءه المأمون فقال له : أنزّل عليك الوحى ؟ قال : نعم ، فقال المأمون : متى ؟ قال : قبل زيارتك إيّاىّ ، و لو سعيت إلى زيارتى لكنت

تسمع ما يوحى إلىّ، فقال المأمون : فماذا نزل إليك ؟ قال : نزل إلىّ جبرئيل ، و قال : لا تخرج أيها النبى من هذا المطبخ لانك لا تجد موضعاً أحسن منه قط ، فعلم المأمون ان الموجب لادّعاءه النبوة هو الجوع .

و **من المتنبئين** : أبوالطيب المتنبى الشاعر اسمه احمد بن الحسين ابن الحسن بن عبدالصمد الجعفى الكندى الكوفى، و انما سمى المتنبى لادعائه النبوة فى بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بنى كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره و تفرّق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه، و كان قد قرأ على البوادى كلاماً ذكر انه قرآن أنزل عليه :

و من كلامـه : « والنجم السيّار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، ان الكافر لفى أخطار ، امض على سنتك ، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من ألحد فى الدين و ضلّ عن السبيل » .

وكان اذا جلس فى مجلس سيف الدولة و أخبروه عن هذا الكلام أنكره وجحده و لما اطلق من السجن إلتحق بالامير سيف الدولة بن حمدان ، ثم فارقه و دخل مصر سنة ست وأربعين و ثلاثمأة ، و مدح كافور الأخشيدى و أنوجور بن الأخشيد وكان يقف بين يدى كافور ، وفى رجليه خفان وفى وسطه سيف و منطقة يركب بحاجبين من مماليكه ، وهما بالسيوف والمناطق ، و لما لم يرضه هجاه و فارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين و ثلاثمأة ، فوجه كافور خلفه عدة رواحل ، فلم تلحقه و قصد بلاد فارس و مدح عضدالدولة بن بويه الديلمى ، فأجزل صلته و لما رجع من عنده عرض له فاتك بن أبى جهل الأسدى فى عدة من أصحابه فقاتله فقتل المتنبىء و ابنه محمد و غلامه مفلح بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له : الصافية من الجانب الغربى من سواد بغداد .

ويقال: انه قال شيئاً فى عضدالدولة فدسّ عليه من قتله لانه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار و ثلاثة أفراس مسرجة محلاة و ثياب فاخرة ، ثم دسّ

عليه من سئله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال : هذا أجزل الا ّ انه عطاء متكلف ، و سيف الدولة كان يعطى طبعاً ، فغضب عضدالدولة ، فلما انصرف جهز عليه قوماً من بنى ضبّة فقتلوه بعد أن قاتل قتالاً شديداً ثم انهزم فقال له غلامه أين قولك ؟ :

الخيل والليل والبيـداء تعـرفنى والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال : قتلتنى قتلك الله ، ثم قاتل فقتل .

ويقال: ان الحفزاء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهماً ليسيروا معه ، فمنعه الشح والكبر فتقدموه فوقع له ما وقع . وكان قتله يوم الاربعاء لست بقين وقيل لثلاث بقين و قيل لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع و خمسين و ثلاثمأة ، و مولده كان فى سنة ثلاث مأة بالكوفة فى محله تسمى كندة ، وليس هو من كندة و ليس هو من كندة التى هى قبيلة بل هو جعفى .

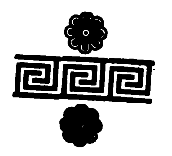
و كان أبوه سقاء بالكوفة و كان يلقب بعبدان ثم انتقل إلى الشام بولده .

و غيرهم من المتنبئين المتقدمين والمتأخرين ، و ان القارى المتدبر الخبير يجد لادعاء المتنبئين النبوة بعد نبوة خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم موجبات كثيرة : أهمها حبّ الجاه والاشتهار والمقام ـ و انى رأيت سنة ١٣٤٦ ش هـ بمشهد الرضا عليه آلاف التحية و الثناء سارقاً يضرب و هو يضحك ، فقيل له : كيف تضحك ، و أنت تضرب ضرباً شديداً؟ فقال: انى قد اسرق بالمرئى لأشتهر بالسرقة ـ ومن الموجبات: الجوع و رفع الفقر ، ومنها: حب الدنيا والشهوات ومنها: جبراً لكسر الشوكة المتقدمة و ذهاب الدولة السالفة . . .

و قد كان المتنبئون المتأخرون من صنع الممالك المستثمرة المستعمرة المستحمقة ـ وكانواهم عمّالاً لهم للفرقة بين الامة الاسلامية ولغيرها من الاغراض الشؤمة ـ و كان تخصّص الانجليز فى صنع النبى الكاذب ، والامام الباطل أكثر من غيره ، فصنع الوهابية العادية فى القـرن الثانى عشر ، و صنع البابية الضالة

والبهائية طلاقة العنان فى القرن الثالث عشر من الهجرة النبوية .

ونختم البحث بذكر معجزة نبى البهائية - صنع الانجليز - ميرزا حسين على النورى مقيماً ، والشيرازى نسباً - فان أباه كان من أهل الشيراز على ما حققناه فجاء بقرية من النور الواقع بمازندران و كان من أصدقاء محمدعلى الباب الشيرازى - و لما حبس ميرزا حسين على بتهران يذكر عمّاله معجزة له ، و يحرصون جهلة الناس على زيارته ، فمن أراد بزيارته يستخبرونه عن أقاربه و اصدقاءه و اشتغالاته فى طول حياته و عن أولاده و سكناه و أمواله و املاكه ، و عما كان يعلم من شئون حياته . . . ثم يذكرون ذلك كله لهذا النبى مصنوع الانجلترا ، ثم يستأذنون لهذا الجاهل بزيارته ، فلما رآه النبى المختلق يخبره بما علم من عمّاله ، فعندئذ يؤمن هذا الجاهل الغبى بهذا النبى البغى .



﴿ بحث روائي في ثواب الصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

قال الله تعالى : « ان الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً » الاحزاب : ٥٦).

الصلاة في الاصل الدعاء ، وسميت العبادة المخصوصة صلاة من باب تسمية الشيء بأهم أجزائه لان الدعاء مخّ العبادة وروحها .

وقد سبق منا : ان الصلاة من الله تعالى على عباده الرحمة والحنان والتعطف ومن الملائكة الاستغفار ومن الناس الدعاء فصلاتنا على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله المعصومين دعائنا له صلى الله عليه وآله وسلم ولهم بما أمرنا الله تعالى به في خاتمة تشهد الصلاة.

وقد ورد في فضيلة الصلاة على النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين وثوابها روايات كثيرة لايسعها المقام ، فنشير إلى نبذة منها روماً للاختصار :

١ـ في الكافي : باسناده عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال : مافي الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد ، وان الرجل لتوضع أعماله في الميزان ، فتميل به فيخرج الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فترجّح .

٢ـ وفيه : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إرفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فانها تذهب بالنفاق .

٣ـ وفيه : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال : اذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأكثروا الصلاة عليه فانه من صلّى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاة واحدة صلّى الله عليه ألف صلاة في ألف صفّ من الملائكة ، ولم يبق شيء مما خلقه الله

الأصلى على العبدلصلاةالله وصلاةملائكته ، فمن لم يرغب فى هذا فهو جاهل مغرور قدبرىء الله منه ورسوله وأهل بيته .

٤ـ وفيه : باسناده عن ابن القدّاح عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صلّى علىّ صلّى الله عليه وملائكته ، فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر.

٥ـ فى عيون الاخبار باسناده عن الحسن بن فضّال قال : قال الرضا عليه السلام ـ فى حديث ـ : من لم يقدر على مايكفّر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد و آل محمد ، فانها تهدم الذنوب هدماً . وقال عليه السلام : الصلاة على محمد وآله تعدل عندالله عزوجل التسبيح والتهليل والتكبير .

٦ـ فى العلل باسناده عن عبد العظيم الحسنىّ قال : سمعت على بن محمد العسكرى عليه السلام يقول : انما اتخذالله عزوجل ابراهيم خليلاً لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم .

٧ـ فى ثواب الاعمال باسناده عن عاصم بن ضمرة عن على عليه السلام قال :الصلاة على النبى وآله أمحق للخطايا من الماء للنار ، والسلام على النبى وآله أفضل من عتق عشر رقاب . الحديث .

٨ـ وفيه باسناده عن أبى البخترى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا عند الميزان يوم القيامة فمن ثقلت سيئاته على حسناته جئت بالصلاة علىّ حتى أثقل بها حسناته .

٩ـ فى وسائل الشيعة بالاسناد عن محمد بن مسلم عن أبى عبدالله عليه السلام ان رجلاً أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله اجعل لك ثلث صلاتى ، لابل أجعل لك نصف صلاتى ، لابل أجعلها كلها لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اذاً تكفى مؤنة الدنيا والآخرة .

١٠ـ وفيه بالاسنادعن محمدبن أبى عمير عمن أخبره عن أبى عبدالله عليه السلام قال:

وجدت في بعض الكتب : من صلّى على محمد و آل محمد كتب الله له مأة حسنة ، ومن قال : صلّى الله على محمد وأهل بيته كتب الله له ألف حسنة .

١١- في محاسن البرقي باسناده عن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صلّى عليّ ايماناً واحتساباً إستأنف العمل.

١٢- في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه: باسناده عن عبيدالله بن عبدالله ، عمن سمع الباقر عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فأبعده الله : ومن أدرك والديه فلم يغفر له فأبعده الله ، و من ذكرت عنده فلم يصل عليّ فلم يغفر له فأبعده الله .

١٣- وفيه : في خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بالشهادتين تدخلون الجنة ، وبالصلاة تنالون الرحمة فأكثروا من الصلاة على نبيكم و آله ان الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليماً .

١٤- وفيه باسناده عن معاوية بن عمار قال : ذكرت عند أبي عبدالله عليه السلام بعض الانبياء فصليت عليه ، فقال : إذا ذكر أحد من الانبياء فابدأ بالصلاة على محمد ثم عليه ، صلّى الله على محمد و آله وعلى جميع الانبياء .

١٥- وفيه باسناده عن محمد بن هارون عن الصادق عليه السلام قال : اذا صلّى أحدكم ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسلك بصلاته غير سبيل الجنة ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من ذكرت عنده فلم يصل عليّ فدخل النار فأبعده الله عز وجل .

١٦- في الخصال باسناده عن ابن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اذا كانت عشيّة الخميس وليلة الجمعة نزلت ملائكة من السماء ، معها أقلام الذهب وصحف الفضة لايكتبون عشية الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعة إلى أن تغيب الشمس الا الصلاة على النبي و آله صلى الله عليه و آله .

١٧- وفيه : باسناده عن ابن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

مامن عمل أفضل يوم الجمعة من الصلاة على محمد وآله .

١٨ـ في العلل باسناده عن عبدالحميد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من ذكر الله كتبت له عشر حسنات ، ومن ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتبت له عشر حسنات لان الله عزوجل قرن رسوله بنفسه .

١٩ـ في معاني الاخبار باسناده عن عبدالله بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : البخيل حقاً من ذكرت عنده فلم يصل علي .

٢٠ـ في ثواب الاعمال : باسناده عن الصباح بن سيابة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ألا اعلمك شيئاً يقي الله به وجهك من حر جهنم ؟ قال : قلت : بلى قال : قل بعد الفجر : اللهم صل على محمد وآل محمد مأة مرة يقي الله به وجهك من حر جهنم .

٢١ـ في جامع الاخبار : عن عبدالله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة في دار الدنيا .

٢٢ـ وفيه : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من قال : اللهم صل على محمد وآل محمد أعطاه الله أجر اثنين وسبعين شهيداً ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه .

٢٣ـ وفيه :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مامن أحد صلى علي مرة واسمع حافظيه الا أن لا يكتبا ذنبه ثلاثه أيام .

٢٤ـ وفيه : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من صلى علي يوم الجمعة مأة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة .

٢٥ـ وفيه : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الصلاة علي نور الصراط ، ومن كان له على الصراط من النور لم يكن من أهل النار .

٢٦ـ وفيه : عن أبي عبدالله عليه السلام انه سئل عن أفضل الاعمال يوم الجمعة ؟ فقال : الصلاة على محمد مأة مرة بعد العصر ، ومازدت فهو أفضل .

٢٧ـ في البحار : بالاسناد عن عمار بن ياسر قال : سمعت رسول الله

يقول : ان الله أعطى ملكاً من الملائكة أسماء الخلائق كلهم ، وأسماء آباءهم فهو قائم على قبرى إذامت إلى يوم القيامة ، فليس أحد يصلّى علىّ صلاة الا قال : يا محمد صلّى عليك فلان بن فلان بكذا و كذا ، وان ربى كفل لى أن يصلى على ذلك العبد واحدة عشراً .

٢٨ـ فى الكافى : باسناده عن مرازم قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ان رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يارسول الله انى جعلت ثلث صلاتى لك ، فقال له : خيراً، فقال له : يارسول الله انى جعلت نصف صلاتى لك ، فقال له : ذاك أفضل ، فقال: انى جعلت كل صلاتى لك فقال : إذن يكفيك الله عزوجل ما أهمك من أمر دنياك و آخرتك ، فقال له رجل : أصلحك الله كيف يجعل صلاته ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : لايسئل الله عزوجل الا بدأ بالصلاة على محمد و آله .

٢٩ـ وفيه : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ما اجتمع فى مجلس قوم لم يذكروا و لم يذكرونا إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة ، ثم قال : قال أبوجعفر عليه السلام : ان ذكرنا من الله ، وذكر عدوّنا من ذكر الشيطان.

٣٠ـ فى عيون الاخبار باسناده عن عبدالله التميمى عن الرضا عن آبائه عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كان آخر كلامه الصلاة علىّ ، وعلى علىّ دخل الجنة .

٢١ـ فى دعوات الراوندى :قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : أكثروا الصلاة علىّ فان الصلاة علىّ نور فى القبر و نور على الصراط و نور فى الجنة .

٣٢ـ فى التوحيد : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام فى خطبة خطب بها : « وبالشهادتين تدخلون الجنة و بالصلاة تنالون الرحمة ، فاكثروا من الصلاة على نبيكم و آله ان الله و ملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً .

٣٣ـ فى رواية : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : جاء ذات يوم والبشرى ترى فى

وجهه ، فقال النبی ﷺ انه جاءنی جبرئیل علیه السلام فقال : أما ترضی یا محمد أن لایصلّی علیك أحد من امتك صلاة واحدة الاّ صلیت علیه عشراً ولایسلم علیك أحد من امتك الاّ سلّمت علیه عشراً .

٣٤ـ فی روایة : قال رسول الله ﷺ : من صلی علیّ صلت علیه الملائكة ما صلی علیّ فلیقلل عند ذلك اولیكثر . وقال ﷺ : ان أولی الناس بی أكثرهم علیّ صلاة .

٣٥ـ فی روایة : قال النبی ﷺ : من صلّی علیّ من امتی كتبت له عشر حسنات ومحیت عنه عشر سیئات .

٣٦ـ فی روایة : قال رسول الله ﷺ : من صلّی علیّ فی كتاب لم تزل الملائكة یستغفرون له مادام إسمی فی ذلك الكتاب .

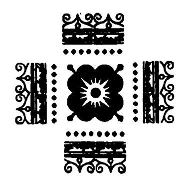
٣٧ـ فی روایة : قال النبی ﷺ : ان فی الارض ملائكة سیّاحین یبلغونی عن امتی السلام . وقال ﷺ : لیس أحد یسلم علیّ إلارد ّالله علی روحی حتی أردّ علیه السلام .

٣٨ـ فی روایة : قال رسول الله ﷺ : ان الله تعالی لما خلق العرش خلق سبعین ألف ملك وقال لهم : طوفوا بعرشی النور وسبّحونی واحملوا عرشی ، فطافوا و سبحوا وأرادوا أن یحملوا العرش فماقدروا فقال لهم الله : طوفوا بعرشی النور و صلوا علی نور جلالی محمد حبیبی واحملوا عرشی ، فطافوا وحملوه وقالوا : ربنا أمرتنا بتسبیحك وتقدیسك وأمرتنا أن نصلی علی نور جلالك محمد فننقص من تسبیحك ؟ فقال الله لهم : یا ملائكتی اذا أنتم صلیتم علی حبیبی محمد فقد سبحتمونی وقدّستمونی وهلّلتمونی .

٣٩ـ فی البحار : عن أبی عبدالله علیه السلام قال له رجل . جعلت فداك أخبرنی عن قول الله تبارك وتعالی وماوصف من الملائكة : « یسبحون اللیل والنهار لایفترون» ثم قال : «ان الله وملائكته یصلون علی النبی یا أیها الذین آمنوا صلوا علیه وسلّموا

تسليماً » كيف لايفترون وهم يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : ان الله تبارك وتعالى لما خلق محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أمر الملائكة فقال : انقصوا من ذكري بمقدار الصلاة على محمد ، فقول الرجل صلى الله على محمد في الصلاة مثل قوله : سبحان الله والحمدلله ولا اله الاّ الله والله أكبر .

٤٠ـ في عيون الاخبار : باسناده عن البزنطي عن ابن خالد قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : جعلت فداك كيف صار مهر النساء خمسمأة درهم : اثنتي عشرة أوقية ونشّ؟ قال : ان الله تبارك وتعالى أوجب على نفسه أن لايكبّره مؤمن مأة تكبيرة ويسبّحه مأة تسبيحة ، ويحمده مأة تحميدة ويهلّله مأة مرة ، ويصلّي على محمد وآله مأة مرة ثم يقول : اللهم زوّجني من الحور العين الاّ زوّجه الله عزوجل فمن ثم جعل مهر النساء خمسمأة درهم ، وأيمّا مؤمن خطب إلى أخيه حرمة ، وبذل له خمسمأة درهم فلم يزوّجه فقد عقّه واستحق من الله عزوجل أن لايزوّجه حوراء .



﴿الصلوات و تأثيرها﴾

و اعلم ان للصلاة على محمد و آله صلوات الله عليهم أجمعين تأثيراً عظيماً في النفوس وفي جميع شئون حياة الانسان، فلابد لكل مؤمن أن يتوسل بها في الامور الدنيوية و الاخروية . . .

في الكافي: باسناده عن أبي بصير قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام مامعنى أجعل صلواتي كلها لك؟ فقال: يقدمه بين يدي كل حاجة فلا يسئل الله عزوجل شيئاً حتى يبدأ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيصلي عليه ثم يسئل الله حوائجه . . .

و فيه: باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الصلاة عليّ و على أهل بيتي تذهب بالنفاق.

و في عيون الاخبار: فيما سئل الخضر الحسن بن علي عليه السلام: أخبرني عن الرجل كيف يذكر و ينسى؟ قال: إنّ قلب الرجل في حق، و على الحق طبق، فان صلّى الرجل عند ذلك على محمد وآل محمد صلاة تامة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحق، فأضاء القلب و ذكر الرجل ما كان نسي، و إن هو لم يصلّ على محمد و آل محمد أو نقص من الصلاة عليهم، انطبق ذلك الطبق على ذلك الحق فأظلم القلب ونسي الرجل ما كان ذكره.

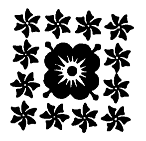
قوله عليه السلام: « حق »: جمع حقة ـ بالضم فيهما ـ و هي وعاء من خشب قد تسوّى من عاج، و « طبق » ـ محركة ـ: غطاء كل شيء.

و لايبعد أن يكون الكلام مبنياً على الاستعارة و التمثيل فان الصلاة على

محمد و آل محمد لما كانت سبباً للقرب من المبدأ و استعداد النفس لافاضة العلوم عليها ، فكأن الشواغل النفسانيةالموجبة للبعد عن الحق تعالى طبق عليها ، فتصير الصلاة سبباً لكشفه وتنور القلب واستعداده لفيض الحق ، إما بافاضة الصورة ثانية أو باستردادها من الخزانة .

و في جامع الاخبار : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صلّى عليّ مرّة فتح الله عليه باباً من العافية .

أقول: ولعمري ! ان لي في تأثير الصلوات على محمد و أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين تجربات عظيمة في جميع شئوون-حياتي لايمكن إحصائها ، و لعمري ! انها وسيلة يأمرنا الله جل وعلا بابتغائها إذ يقول : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون » المائدة : ۳۵)



﴿الصلاة على النبی و آله صلى الله عليه و آله و سلم واستجابة الدعاء﴾

و قد وردت روايات كثيرة : ان الدعاء لاتستجاب الا بالصلاة على النبی و آله صلى الله عليه و آله و سلم نشير إلى ما يسعه المقام :

فی الكافی : باسناده عن صفوان الجمال عن أبی عبدالله عليه السلام قال : كل دعاء يدعا الله عزوجل به محجوب عن السماء حتى يصلّى على محمد وآل محمد .

و فيه : باسناده عن أبی بصير قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام ما معنى أجعل صلاتی كلها لك ؟ قال : يقدمه بين يدی كل حاجة ، فلايسئل الله عزوجل شيئاً حتى يبدأ بالنبی صلى الله عليه و آله و سلم فيصلّی عليه ثم يسئل الله حوائجه .

و فيه : عن السكونی عن أبی عبدالله عليه السلام قال : من دعا و لم يذكر النبی صلى الله عليه و آله و سلم رفرف الدعاء على رأسه فاذا ذكر النبی صلى الله عليه و آله و سلم رفع الدعاء .

و فيه : باسناده عن ابن القداح عن أبی عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : لاتجعلونی كقدح الراكب ، فان الراكب يملؤ قدحه فيشربه اذا شاء اجعلونی فی أول الدعاء و فی وسطه و فی آخره .

و فی ثواب الاعمال : باسناده عن معاوية بن عمار عن أبی عبدالله عليه السلام قال : من قال : يارب صل على محمد و آل محمد مأة مرة قضيت له مأة حاجة ثلاثون للدنيا .

و فی وسائل الشيعة : قال أبو عبدالله عليه السلام : من كانت له إلى الله عزوجل حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد و آله ثم يسئل حاجته ، ثم يختم بالصلاة على

محمد وآل محمد فان الله عزوجل أكرم من أن يقبل الطرفين و يدع الوسط، اذا كانت الصلاة على محمدو آل محمد لاتحجب عنه .

و في كفاية الاثر : بالاسناد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لايزال الدعاء محجوباً حتى يصلّى عليّ و على أهل بيتي .

وفي الامالي: للحسن بن محمد الطوسي قدس سره باساده عن أبان بن عثمان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اذا دعا أحدكم فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فان الصلاة على النبي مقبولة ، و لم يكن الله ليقبل بعض الدعاء ويردّ بعضاً .

و فيه : باسناده عن محمد بن مروان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صلاتكم عليّ إجابة لدعائكم و زكاة لأعمالكم .

و في نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام : « اذا كانت لك إلى الله حاجة فابدأ بمسئلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم سل حاجتك فان الله أكرم من أن يسئل حاجتين ، فيقضي إحداهما و يمنع الاخرى » .

و في ثواب الاعمال : باسناده عن عبدالسلام بن نعيم قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : اني دخلت البيت ولم يحضرني شيء من الدعاء الاّ الصلاة على محمد وآله ، فقال : أما انه لم يخرج أحد بأفضل مما خرجت به .

وفي الخصال : -الاربعمأة- قال أمير المؤمنين عليه السلام: صلّوا على محمد وآل محمد ، فان الله عزوجل يقبل دعاءكم عند ذكر محمد و دعائكم له و حفظكم إياه صلى الله عليه وآله وسلم .

و في ثواب الاعمال : باسناده عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قال في يوم مأة مرة : ربّ صلّ على محمد و أهل بيته قضى الله له مأة حاجة، ثلاثون منها للدنيا و سبعون للاخرة .

و فيه : باسناده عن محمد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صلّى عليّ يوم الجمعة مأة مرّة قضى الله له ستين حاجة منها للدنيا

ثلاثون حاجة و ثلاثون للآخرة .

و في جامع الاخبار : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : صلاتكم عليّ جواز دعائكم، و مرضاة لربكم و زكاة لاعمالكم .

و في رواية « مجوّزة لدعائكم » بدل « جواز دعائكم »

و في البحار : بالاسناد عن عبدالملك بن عتبة عن أبي عبدالله عليه السلام : اذا دعا أحدكم فليبدأ بالصلاة على محمد و يقول : إفعل بي كذا و كذا ، فان العبد إذا قال : اللهم صلّ على محمد و على أهل بيته ، استجاب له ، فاذا قال : إفعل بي كذا و كذا كان أجود من أن يردّ بعضاً و يستجيب بعضاً .

قيل : ان السر في حجب الدعاء بدون الصلاة امور :

أحدها ـ ان العبد اذا ضمّ الصلاة مع دعائه ، و عرض بالمجموع على الله جل وعلا ، والصلاة غير محجوبة فالدعاء أيضاً غير محجوب .

ثانيها ـ ان من كانت له حاجة إلى سلطان فمن آدابه المقررة في العقول و العادات أن يهدى تحفاً إلى المقربين لديه لكي يشفعوا له عنده وعلم السلطان ذلك يقضي حاجته .

ثالثها ـ ان الصلاة على النبي و آله يصير سبباً لتكفير السيئات المانعة عن قبول الدعوات .

رابعها ـ ان حبهم و ولائهم و الاقرار بفضلهم من أعظم أركان الايمان ، فبالصلاة عليهم و التوسل بهم يكمل الايمان ، و لاريب ان كمال الايمان يوجب مزيد القرب من الرحمن .

خامسها ـ ان الغرض من ايجاد الثقلين هو رسول الله و أهل بيته عليهم السلام و بواسطتهم تفيض الرحمات و هم القابلون لجميع الفيوض القدسية ، فاذا فيض عليهم فبتطفلهم يفيض على سائر الموجودات ، فاذا أراد الداعي استجلاب رحمة من الله تعالى يصلي عليهم ، و لايرد هذا الدعاء لان المبدأ فياض و المحل قابل ،

و ببركتهم يفيض على الداعى بل على جميع الخلق .

سادسها - انهم عليهم السلام وسائط بيننا وبين ربنا فى ايصال الاحكام لعدم ارتباطنا بساحة جبروته ، فلابد أن يكون بيننا و بين سفراء و حجب ذووا جهات قدسية و حالات بشرية يكون لهم بالجهات الاولى ارتباط بالجناب الاعلى يأخذون عنه ، و بالجهات الثانية مناسبة للخلق يلقون إليهم ما اخذوا من ربهم ، فكذلك فى إفاضة سائر الفيوض ، فكل فيض وجود يبتدأ بهم ثم ينقسم على سائر الخلق ؛ فالصلاة عليهم استجلاب للرحمة من معدنها لتنقسم على سائر البرايا . . .

و قد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة لايسعها المقام :

منها: ما رواه ابن حجر فى (الصواعق المحرقة ص ٨٨) عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد و أهل بيته : اللهم صلّ على محمد و آله(وآل محمد خ) .

و منها : ما رواه الطبرانى فى الاوسط عن على أمير المؤمنين عليه السلام : كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد و آل محمد .

رواه الحافظ الهيثمى فى(مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٦٠) وقال :رجاله ثقات.

و منها : ما رواه الخفاجى فى (شرح الشفا ج ٣ ص ٥٠٦) عن على عليه السلام: الدعاء و الصلاة معلق بين السماء و الارض لايصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى عليه صلى الله عليه وآله وسلم و آل محمد .

أقول: و ما ورد من الروايات الصحيحة عن الطريقين يدل على عدم جواز ما يقوله أهل السنة من « صلّى الله عليه و سلم » و من « صلى الله على محمد و على آل محمد » فتدبرو اغتنم ، وتب أيها الاخ المسلم السنى لوأردت درك الحقيقة ، و ترك العصبية . ما أحوج المسلمين فى هذا العصر و فى كل وقت إلى توحيد الكلمة وتماسك جماعتهم ، وأن يقفوا صفاً واحداً يصدّون التهجمات عن أنفسهم كى لايجدعدو الدين منفذاً لاستقلالهم و السيطرة عليهم ، و أن يقفوا من

كل ما فيه شائبة الشتاب و التفرقة موقف الحـذر الفطن ، فجدير على إخواننـا المسلمين أن يذكروا الآل عند ذكر النبى ﷺ بالصلاة كيف وليس ذكر الآل مختلفاً فيه مع ذكر النبى ﷺ عند أحـد من المسلمين كما قد عرفته بل أو جبه الشافعى فى التشهد على رواية عنه ، فما لهم لايصلون على محمد وآله معاً فى كتبهم المطبوعة ؟ وما لهم ان يزيدوا كلمة «على» على الصلاة من غير ورودها فى الاخبار ؟ و انما يقولون : صلى الله عليه و سلم تارة و صلى الله على محمد و على آل محمد تارة اخرى و لماذا هذا التزلزل و الاضطراب ؟؟؟ !!!



﴿ الصلوات الكبيرة على الائمة المعصومين ﴾

في البحار : بالاسناد عن أبي‌محمدبن عبدالله بن‌محمد العابد قال : سئلت مولای أبامحمد الحسن بن‌علی عليه السلام فی‌مسير له بسر من‌رأی سنة خمس وخمسين ومأتين أن يملی علیّ الصلاة علی‌النبی و أوصيائه عليه و عليهم‌السلام ، وأحضرت معی قرطاساً كبيراً فأملی علیّ لفظاً من غير كتاب ، قال : اكتب :

الصلاة على النبی صلى الله عليه و آله :

اللهم صلّ علی محمد كما حمل و حيك و بلّغ رسالاتك ، و صلّ علی محمد كما أحلّ حلالك و حرّم حرامك و علّم كتابك ، و صلّ علی محمد كما أقام الصلاة و أدّی الزكاة و دعا إلی‌دينك ، و صلّ علی محمد كما صدق بوعدك و أشفق من وعيدك ، وصلّ علی‌محمد كما غفرت به الذنوب و سترت به العيوب و فرّجت به الكروب ، وصلّ علی‌محمد كما دفعت به الشقاء و كشفت به العماء و أجبت به الدعاء و نجّيت به من البلاء ، وصلّ علی‌محمد كما رحمت به‌العباد و أحييت به البلاد و قصمت به الجبابرة و أهلكت به الفراعنة ، وصلّ علی‌محمد كما أضعفت به الاموال وحذّرت به من‌الاهوال و كسّرت به الاصنام و رحمت به الأنام ، وصلّ علی‌محمد كما بعثته بخير الاديان و أعززت به الايمان و تبرّت به الاوثان و عصمت به البيت الحرام ، و صل علی محمد و أهل بيتـه الطاهرين الاخيار و سلّم تسليماً .

الصلاة على أمير المؤمنين علی بن أبيطالب عليه السلام :

اللهم صل على أمير المؤمنين على بن أبيطالب أخى نبيك ، و وليه و وصيه ووزيره ، ومستودع علمه وموضع سرّه وباب حكمته ، والناطق بحجته والداعى إلى شريعته وخليفته فى امته ومفرّج الكروب عن وجهه، و قاصم الكفرة و مرغم الفجرة الذى جعلته من نبيك بمنزلة هارون من موسى، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، والعن من نصب له من الاولين والآخرين، و صلّ عليه أفضل ما صلّيت على أحد من أوصياء أنبيائك يا رب العالمين .

الصلاة على السيدة فاطمة عليها السلام :

اللهم صلّ على الصديقة فاطمة الزهراء الزكية ، حبيبة نبيك و ام أحبائك وأصفيائك التى انتجبتها وفضّلتها واخترتها على نساء العالمين ، اللهم كن الطالب لها ممن ظلمها و استخفّ بحقها ، اللهم و كن الثائر لها بدم أولادها ، اللهم و كما جعلتها ام أئمة الهدى و حليلة صاحب اللواء الكريمة عند الملأ الاعلى ، فصلّ عليها وعلى امها خديجة الكبرى صلاة تكرم بها وجه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتقرّ بها أعين ذريتها و أبلغهم عنى فى هذه الساعة أفضل التحية والسلام .

الصلاة على الحسن والحسين عليهما السلام :

اللهم صلّ على الحسن والحسين عبديك و وليبك و ابنى رسولك و سبطى الرحمة ، وسيّدى شباب أهل الجنة ، أفضل ما صلّيت على أحد من أولاد النبيين والمرسلين ، اللهم صلّ على الحسن ابن سيد النبيين و وصى أمير المؤمنين السلام عليك يا ابن رسول الله ، السلام عليك يا ابن سيد الوصيين ، أشهد انك يا ابن أمير المؤمنين أمين الله و ابن أمينه ، عشت رشيداً مظلوماً ، و مضيت شهيداً ، و أشهد انك الامام الزكى الهادى المهدى ، اللهم صلّ عليه ، و بلّغ روحه و جسده عنّى فى هذه الساعة أفضل التحية والسلام .

اللهم صلّ على الحسين بن علىّ المظلوم الشهيد ، قتيل الكفرة و طريح الفجرة ، السلام عليك يا أباعبدالله السلام عليك يابن رسول الله السلام عليك يابن

أمیر المؤمنین ، أشهد موقناً أنك أمین الله و ابن أمینه ، قتلت مظلوماً ، ومضیت شهیداً ، و أشهد أن الله تعالی الطالب بثارك و منجزما وعدك من النصر، والتأیید فی هلاك عدوّك وإظهار دعوتك ، وأشهدانك وفیت بعهدالله وجاهدت فی سبیل الله و عبدت الله مخلصاً حتی أتاك الیقین .

لعن الله امة قتلتك ولعن الله امة خذلتك و لعن الله امة ألبّت علیك وأبرء إلی الله تعالی ممن کذّبك و استخفّ بحقك و استحلّ دمك ، بأبی أنت و امی یا أباعبدالله ، لعن الله قاتلك و لعن الله خاذلك ، و لعن الله من سمع داعیتك ، فلم یجبك و لم ینصرك ، و لعن الله من سبی نساءك أنا إلی الله منهم بریء ، و ممن والاهم و مالأهم و أعانهم ، و أشهد انك والائمة من ولدك کلمة التقوی و باب الهدی والعروة الوثقی والحجة علی أهل الدنیا، وأشهدأنی بکم مؤمن و بمنزلتکم موقن ، و لکم تابع بذات نفسی و شرائع دینی وخواتیم عملی و منقلبی و مثوای فی دنیای و آخرتی .

الصلاة علی علی بن الحسین علیه السلام :

اللهم صلّ علی علی بن الحسین سید العابدین الذی استخلصته لنفسك ، و جعلت منه أئمة الهدی الذین یهدون بالحق و به یعدلون ، اخترته لنفسك و طهّرته من الرجس ، و اصطفیته و جعلته هادیاً مهدیاً ، اللهم صلّ علیه أفضل ما صلیت علی أحد من ذریة أنبیائك حتی تبلغ به ما تقرّ به عینه فی الدنیا والاخرة انك عزیز حکیم .

الصلاة علی محمد بن علی الباقر علیه السلام :

اللهم صلّ علی محمدبن علیّ باقر العلم و إمام الهدی ، وقائد أهل التقوی والمنتجب من عبادك، اللهم و کما جعلته علماً لعبادك ومناراً لبلادك ومستودعاً لحلمك (لحکمتك خ) ومترجماً لوحیك، و أمرت بطاعته وحذّرت عن معصیته، فصلّ علیه یارب أفضل ما صلّیت علی أحد من ذریة أنبیائك و أصفیائك و رسلك و امنائك

يا إله العالمين .

الصلاة على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام :

اللهم صلّ على عبدك جعفر بن محمد الصادق ، خازن العلم الداعي إليك بالحق النور المبين ، اللهم و كما جعلته معدن كلامك و وحيك و خازن علمك و لسان توحيدك و ولّي أمرك و مستحفظ دينك فصلّ عليه أفضل ما صلّيت على أحد من أصفيائك و حججك انك حميد مجيد .

الصلاة على موسى بن جعفر عليه السلام :

اللهم صلّ على الأمين المؤتمن ، موسى بن جعفر البرّ الوفيّ ، الطاهر الزكي النور المنير ، المجتهد المحتسب الصابر على الأذى فيك ، اللهم و كما بلّغ عن آبائه ما استودع من أمرك و نهيك ، و حمل على المحجّة و كابد أهل العزّة والشدة فيما كان يلقى من جهّال قومه ، ربّ فصلّ عليه أفضل و أكمل ما صلّيت على أحد ممن أطاعك و نصح لعبادك انك غفور رحيم .

الصلاة على علي بن موسى الرضا عليه السلام :

اللهم صلّ على علي بن موسى الرضا الذى ارتضيته و رضّيت به من شئت من خلقك ، اللهم و كما جعلته حجة على خلقك و قائماً بأمرك و ناصراً لدينك و شاهداً على عبادك ، و كما نصح لهم في السرّ والعلانية ، و دعا إلى سبيلك بالحكمة والموعظة الحسنة ، فصلّ عليه أفضل ما صليت على أحد من أوليائك و خيرتك من خلقك انك جواد كريم .

الصلاة على محمد بن علي الجواد ابن موسى عليهما السلام :

اللهم صلّ على محمد بن عليّ بن موسى علم التقى و نورالهدى و معدن الهدى و فرع الازكياء و خليفة الاوصياء و أمينك على وحيك ، اللهم فكما هديت به من الضلالة ، واستنقذت به من الجهالة وأرشدت بهمن اهتدى و زكّيت به من تزكّى ، فصلّ عليه أفضل ما صلّيت على أحد من أوليائك وبقيّة اوليائك

انك عزيز حكيم .

الصلاة على على بن محمد أبى الحسن العسكرى عليه السلام :

اللهم صلّ على علىّ بن محمد وصىّ الاوصياء و إمام الاتقياء ، وخلف أئمة الدين والحجة على الخلائق أجمعين، اللهم كما جعلته نوراً يستضيىء به المؤمنون ، فبشّر بالجزيل من ثوابك ، و أنذر بالأليم من عقابك ، و حذّر بأسك و ذكّر بآياتك و أحلّ حلالك و حرّم حرامك و بيّن شرائعك و فرائضك و حضّ على عبادتك و أمر بطاعتك و نهى عن معصيتك فصلّ عليه أفضل ما صلّيت على أحد من أوليائك و ذرية أنبيائك يا إله العالمين .

يقول السيد الامام العالم العامل رضى الدين ركن الاسلام أبو القاسم على بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد الطاووس الحسينىّ : وجدت فى أصل قوبل بخطّ الشيخ أبو جعفر الطوسى رضوان الله عليه : أبو محمد اليمنى ، و فى نسخة اخرى عتيقة قال أبو محمد عبدالله بن محمد اليمنى قال: فلما انتهيت إلى الصلاة عليه أمسك فقلت له فى ذلك ، فقال : لولا انه دين أمرنا الله أن نبلغه ، و نؤدّيه إلى أهله لأحببت الامساك ، ولكنه الدين اكتبه :

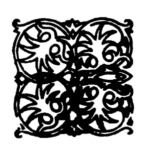
الصلاة على الحسن بن على العسكرى عليهما السلام :

اللهم صل على الحسن بن علىّ الهادى البرّ التقى الصادق الوفىّ النور المضيىء ، خازن علمك والمذكر بتوحيدك و ولىّ أمرك ، و خلف أئمة الدين الهداة الراشدين والحجة على أهل الدنيا ، فصلّ عليه يا رب أفضل ما صليت على أحد من أصفيائك و حججك على خلقك و أولاد رسلك يا إله العالمين .

الصلاة على ولى الامر المنتظر الحجة بن الحسن عليه السلام :

اللهم صلّ على وليّك و ابن أوليائك الذين فرضت طاعتهم ، و أوجبت حقهم و أذهبت عنهم الرجس وطهّرتهم تطهيراً ، اللهم انصره و انتصر به لدينك وانصر به أولياءك و أولياءه و شيعته و أنصاره و اجعلنا منهم ، اللهم أعذه من شرّ

كل طاغ و باغ ، و من شرّ جميع خلقك ، و احفظه من بين يديه ، و من خلفه و عن يمينه و عن شماله ، و احرسه و امنعه أن يوصل إليه بسوء ، و احفظ فيه رسولك و آل رسولك و أظهر به العدل ، و أيّده بالنصر وانصر ناصريه ، واخذل خاذليه ، واقصم بهالجبابرةالكفر، واقتل بهالكفار والمنافقين وجميعالملحدين، حيث كانوا من مشارق الارض و مغاربها و برّها و بحرها ، و سهلها و جبلها ، و أملأ به الارض عدلاً و أظهر به دين نبيك عليه و آله السلام ، واجعلني اللهم من أنصاره و أعوانه و أتباعه و شيعته ، و أرني في آل محمد ما يأملون ، و في عدوّهم ما يحذرون إله الحق رب العالمين آمين .



﴿الصلوات على النبي ﷺ و آله﴾

قال الله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليماً » الاحزاب : ٥٦)

في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن ابن أبي ليلا يقول: لقيت كعب بن عجرة فقال : ألا اهدى لك هدية ؟ ان رسول الله ﷺ خرج علينا فقلنا : يا رسول الله قد علّمتنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : قولوا: اللهم صلّ على محمد و آل محمد كما صليت على ابراهيم و آل ابراهيم انك حميد مجيد ، و بارك على محمد و آل محمد كما باركت على ابراهيم و آل ابراهيم انك حميد مجيد .

و في قرب الاسناد : باسناده عن بكر بن محمد قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : و قد قال بعض أصحابه : اللهم صلّ على محمد و آل محمد كما صليت على ابراهيم ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : لا و لكن قل : كأفضل ما صلّيت و باركت على ابراهيم و آل ابراهيم انك حميد مجيد .

و في ثواب الاعمال : باسناده عن أبي المغيرة (أبي المعزا خ) ـ في حديث ـ قال : قلت لابي الحسن عليه السلام : مامعنى صلاة الله وصلاة ملائكته وصلاة المؤمنين ؟ قال : صلاة الله رحمة من الله وصلاة ملائكته تزكية منهم له ، و صلاة المؤمنين دعاء منهم له . الحديث

و في الدر المنثور : أخرج ابن مردويه عن أنس ان رهطاً من الانصار

قالوا : يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال : قالوا : «اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم و آل ابراهيم » فقال فتى من الانصار : يارسول الله من آل محمد ؟ قال : كل مؤمن .

وفي أمالي الصدوق رحمة الله تعالى عليه باسناده عن أبان بن تغلب عن الباقر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صلّى عليّ و لم يصل على آلي لم يجد ريح الجنة ، و ان ريحها لتوجد من مسيرة خمسمأة عام .

و فيه : باسناده عن ابن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم لعلي عليه السلام : ألا ابشّرك ؟ فقال : بلى بأبي أنت وامي فانك لم تزل مبشّراً بكل خير ، فقال : أخبرني جبرئيل آنفاً بالعجب ، فقال له علي عليه السلام : و ما الذي اخبرك يا رسول الله ؟ فقال : أخبرني ان الرجل من امتي إذا صلّى عليّ و اتبع بالصلاة على أهل بيتي فتحت له أبواب السماء وصلّت عليه الملائكة سبعين صلاة ، و ان كان مذنباً خطّاء ثم تتحات عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر ، و يقول الله تبارك و تعالى : لبيك يا عبدي و سعديك ، و يقول الله لملائكته : يا ملائكتي انتم تصلّون عليه سبعين صلاة ، و أنا اصلّي عليه سبعمأة صلاة ، و اذا صلّى عليّ و لم يتبع بالصلاة على أهل بيتي كان بينها و بين السماء سبعون حجاباً ، و يقول جل جلاله : لالبيك و لاسعديك يا ملائكتي لاتصعدوا دعاؤه الا أن يلحق بنبيّي عترته ، فلايزال محجوباً حتى يلحق به أهل بيتي .

و في ثواب الاعمال : باسناده عن أبي المغيرة (أبي المعزا خ) قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول ـ في حديث ـ : و من سرّ آل محمد في الصلاة على النبي و آله « اللهم صل على محمد و آل محمد في الاولين و صل على محمد و آل محمد في الاخرين ، و صل على محمد و آل محمد في الملأ الاعلى ، و صل على محمد و آل محمد في المرسلين ، اللهم أعط محمداً الوسيلة والشرف والفضيلة و الدرجة الكبيرة ، اللهم اني آمنت بمحمد ولم أره فلاتحرمني يوم القيامة رؤيته

و ارزقنى صحبته و توفّنى علـى ملته و اسقنى من حوضه مشرباً رويّاً سائغاً هنيئاً لا أظمأ بعده أبداً انك على كل شيء قدير، اللهم كما آمنت بمحمد ولم أره فعرّفنى فى الجنان وجهه ، اللهم بلّغ روح محمد عنى تحية كثيرة و سلاماً .

فان من صلّى على النبى صلى الله عليه و آله بهذه الصلوات هدمت ذنوبه ، و محيت خطاياه و دام سروره و استجيب دعاؤه و اعطى أمله و بسط له فى رزقه وأعين على عدوّه و هى له سبب أنواع الخير، و يجعل من رفقاء نبيه فـى الجنان الا على ، يقولهن ثلاث مرّات غدوة و ثلاث مرّات عشية .

و فى أمالى الطوسى قدس سره باسناده عن عمرو بن شمر عن أبى جعفر عليه السلام قال : ان ملكاً من الملائكة سئل الله أن يعطيه سمع العباد فأعطاه الله ،فذلك الملك قائم حتى تقوم الساعة ليس أحدمن المؤمنين يقول : « صلّى الله على محمد و آله و سلم » الاّ قال الملك : « و عليك السلام » ثم يقول الملك : يا رسول الله ان فلاناً يقرئك السلام فيقول رسول الله : و عليه السلام .

وفى دعوات الراوندى : عن الصادق عليه السلام : من صلّى على النبى و آله مرّة واحدة بنيّة و إخلاص من قلبه ، قضـى الله له مأة حاجة منها ثلاثـون للدنيا و سبعون للاخرة .

و فى عيون الاخبار :فيما احتجّ الرضا عليه السلام على علماء المخالفين بمحضر المأمون فى تفضيل العترة الطاهرة قال : وأما الاية السابعة فقول الله تعالى : «ان الله وملائكته يصلّون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليماً» و قد علـم المعاندون منهم انه لما نزلت هذه الاية قيل : يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : تقولون : اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صلّيت على ابراهيم و على آل ابراهيم انك حميد مجيد ، فهل بينكم معاشر الناس فى هذا خلاف ؟ قالوا : لا ، قال المأمون : هذا ما لا خلاف فيه أصلاً و عليه إجماع الامة ، فهل عندك فى الآل شيء أوضح من هذا فى القرآن ؟ .

قال أبوالحسن عليه السلام : نعم أخبروني عن قول الله عزوجل : « يس و القرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم » فمن عنى بقوله : «يس» ؟ قالت العلماء : « يس » محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يشكّ فيه أحد ، قال أبوالحسن عليه السلام : فان الله عزوجل أعطى محمداً و آل محمد من ذلك فضلاً لايبلغ أحد كنه و صفه الاّ من عقله ، وذلك ان الله عزوجل لم يسلّم على أحد الاّ على الانبياء صلوات الله عليهم، فقال تبارك وتعالى : « سلام على نوح في العالمين » وقال : «سلام على ابراهيم» و قال : « سلام على موسى و هارون » و لم يقل : سلام على آل نوح ، ولم يقل : سلام على آل ابراهيم ولا قال : سلام على آل موسى و هارون ، و قال عزوجل : « سلام على آل يس » يعني آل محمد عليهم السلام .

و في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن ابن أبي عمير عن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قال : صلّى الله على محمد و آله ، قال الله جل جلاله : صلّى الله عليك فليكثرمن ذلك ، و من قال : صلّى الله على محمد و لم يصلّ على آله لم يجدريح الجنة ، و ريحها توجد من مسيرة خمسمأة عام .

وفي الكافي: باسناده عن أبي بصيرعن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من ذكرت عنده فنسي أن يصلّي عليّ خطأ الله به طريق الجنة .

و فيه : باسناده عن ابن القدّاح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمع أبي رجلاً متعلّقا بالبيت و هو يقول : اللهم صلّ على محمد ، فقال له أبي عليه السلام : لاتبترها لا تظلمنا حقنا ، قل : اللهم صلّ على محمد و أهل بيته .

و في فروع الكافي : عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ في حديث ـ : و من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ فلم يغفرالله له و أبعده الله .

و في الفقيه : باسناده عن أنس بن محمد عن أبيه عن جعفر بن محمد عن آبائه في وصيّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام قال : يا عليّ من نسي الصلاة عليّ فقد

أخطأ طريق الجنة .

وفي مجالس الطوسي قدس سره باسناد عن أبان بن تغلب عن أبي جعفر الباقر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أراد التوسل إليّ و أن تكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة ، فليصلّ على أهل بيتي و يدخل السرور عليهم .

و في المحكم والمتشابه : للسيدالمرتضى رضوان الله تعالى عليه نقلاً من تفسير النعماني باسناده الآتي عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لاتصلّوا عليّ صلاة مبتورة ، بل صلّوا إلى أهل بيتي ولاتقطعوهم فان كل نسب وسبب يوم القيامة منقطع الاّ نسبي .

و في عدة الداعي : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث - : أجفى الناس رجل ذكرت بين يديه فلم يصلّ عليّ .

وفي المجمع : عن عبدالله بن مسعود قال : اذا صلّيتم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال : قولوا : اللهم اجعل صلاتك و رحمتك و بركاتك على سيدالمرسلين و إمام المتقين و خاتم النبيين محمد عبدك و رسولك إمام الدين و قائد الخير و رسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الاولون و الآخرون اللهم صلّ على محمد و آل محمد كما صليت على ابراهيم و آل ابراهيم انك حميد مجيد .

و في عيون الاخبار : باسناده عن الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام في كتابه إلى المأمون قال : و الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجبة في كل موطن و عند العطاس و الذبائح و غير ذلك .

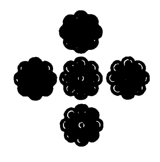
و في مصباح الكفعمي: عن الامام علي ابن أبيطالب عليه السلام في خطبة يوم الجمعة : « الحمدلله ذي القدرة والسلطان - إلى أن قال - وأشهد ان محمداً عبده و رسوله الصادق الأمين ، ختم به النبيين و أرسله رحمة للعالمين صلّى الله عليه

وآله أجمعين ، فقد أوجب الصلاة عليه وأكرم مثواه لديه »

و في تفسير الثعلبي : في قوله تعالى : « ان الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً » قالت الصحابة : يا رسول الله ! قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد .

رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين ، والبخاري في الجزء السادس و مسلم في الصحيح .

هذه هي الكيفية الكاملة للتصلية ، و أدنى ما يجزى اللهم صلّ على محمد وآل محمد و صلى الله على محمد وآل محمد و نحوهما .



بحث روائي في لحوق الآل

في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

و قد وردت ـ مضافاً إلى ما تقدم ـ روايات كثيرة بأسانيد متعددة عن طريق العامة في دخول آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم نشير إلي نبذة منها :

١ ـ روى أبو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي في (المسند ج ٢ ص ٩٧ ط مطبعة السعادة بمصر) باسناده عن أبي هريرة انه قال: يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف نصلّي عليك ؟ فقال : تقولون : اللهم صلّ على محمد و آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد و آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم، ثم تسلّمون عليّ .

٢ ـ و في (المسند) أيضاً باسناده عن ابن عجرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يقول في الصلاة : اللهم صلّ على محمد و آل محمد كما صليت على ابراهيم و على آل ابراهيم و بارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد .

٣ ـ روى الحافظ البخاري في (صحيحه ج ٦ ص ١٢٠ ط مصر) باسناده عن ابن عجرة و عن أبي سعيد الخدري و غيرهما .

٤ ـ البخاري في (تاريخ الكبير ج ٢ القسم الاول ص ٣٥١ حيدر آباد الدكن) .

٥ ـ الحاكم فى (المستدرك ج ٣ ص ١٤٨ ط حيدر آباد الدكن) عن طرق عديدة .

٦ ـ الحاكم ايضاً فى (معرفة علوم الحديث ص٣٢ ط دار الكتب المصرية بمصر) .

٧ ـ الحافظ أبو نعيم الاصفهانى فى (اخبار اصفهان ج١ ص١٣١ ط ليدن) .

٨ ـ الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى الاندلسى فى (تجريد التمهيد ص ١٨٥ ط مصر سنه ١٣٥٠ هـ) .

٩ ـ الحافظ ابو بكر الخطيب فى (تاريخ بغداد ج ٦ ص ٢١٦ ط مطبعة السعادة بمصر) متعددة و فى (ج ٨ ص ١٤٣ الطبع) باسناده عن بريدة الخزاعى قال : قلنا : يارسول الله قد علمنا كيف السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا : اللهم اجعل صلواتك و رحمتك على محمد و آل محمد كما جعلتها على آل ابراهيم انك حميد مجيد .

١٠ ـ الواحدى النيسابورى فى (أسباب النزول ص٢٧١ ط الهندية بمصر) .

١١ ـ البغوى فى تفسير (معالم التنزيل المطبوع بهامش تفسير الخازن) .

١٢ ـ أبو نعيم فى (حلية الاولياء) .

١٣ ـ الديلمى فى (الفردوس) ما لفظه : عن على عليه السلام قال : ما من دعاء الا و بينه و بين السماء حجاب الا أن يدعو لمحمد و آل محمد .

١٤ ـ السمعانى فى (مناقب الصحابة) .

١٥ ـ ابن العربى الاندلسى المالكى فى (أحكام القرآن ج ١ ص ١٨٤ ط مطبعة السعادة بمصر) ما لفظه : عدة روايات تدل على انها ـ الاية ـ : « ان الله وملائكته يصلون . . » الاية نزلت فى حق النبى صلى الله عليه وآله وسلم وآله الاطهار . ثم ذكر الروايات . . .

١٦ ـ الفخر الرازى فى تفسير (الكبير ج ٢٥ ص٢٢٦ ط مصر) ما لفظه :

سئل النبي ﷺ كيف نصلّي عليك يا رسول الله ؟ فقال : قولوا : اللهم صلّ على محمد و آل محمد كما صليت على ابراهيم و آل ابراهيم ، و بارك على محمد و على آل محمد كما باركت على ابراهيم و آل ابراهيم انك حميد مجيد .

١٧ ـ الذهبى فى (تلخيص المستدرك المطبوع بهامش المستدرك ج ٣ ص ١٤٨ ط حيدر آباد الدكن) .

١٨ ـ القرطبى فى (الجامع لاحكام القرآن ج ١٤ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ط القاهرة سنة ١٣٥٧هـ) مالفظه: روايات كثيرة دالة على لحوق الآل بالنبى ﷺ عند الصلاة عليه .

١٩ ـ محب الدين الطبرى فى (ذخائر العقبى ص١٩ ط مصر سنة١٣٥٦هـ) .

٢٠ ـ محيى الدين النووى فى (رياض الصالحين ص ٤٥٥ ط مصر) .

٢١ ـ ابن جرير الطبرى فى تفسير (جامع البيان ج٢٢ ص٢٧ ط الميمنية بمصر) بطرق عديدة .

٢٢ ـ النظام النيشابورى فى تفسير (غرائب القرآن) .

٢٣ ـ أبوحيان الاندلسى فى تفسير (البحر المحيط ج ٧ ص ٢٤٨ ط مطبعة السعادة بمصر) .

٢٤ ـ اسمعيل بن كثير دمشقى فى (تفسيره ج ٣ ص ٥٠٦ ط مصطفى الحلبى بمصر) بطرق عديدة .

٢٥ ـ الدشتكى الشيرازى فى (روضة الاحباب) ذكر عدة روايات . . .

٢٦ ـ الشيخ محمد ادريس الهندى الحنفى فى (التعليق الصبيح فى شرح المصابيح ج ١ ص ٤٠١ ـ ٤٠٢) .

٢٧ ـ المحدث السيد ابراهيم نقيب مصر فى (البيان والتعريف ج٢ ص١٣٤ ط حلب سنة ١٣٢٩ هـ) .

٢٨ ـ الخازن البغدادى فى تفسير (لباب التأويل) .

٢٩ ـ السيوطى فى (بغية الوعاء ص ٤٤٢ ط مصر) ذكر عدة روايات .

٣٠ ـ السيوطى الشافعى أيضاً فى (الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٥ ـ ٢١٩ ط مصر) ذكر عدة روايات عن طرق مختلفة . . .

٣١ ـ الهيتمى فى (الصواعق المحرقـة ص ١٤٤ ط المحمديـة بمصر) . عن عدة .

٣٢ ـ محمد بن پير على افندى البركوئى من علماء الدولة العثمانية فى (الاربعين حديثاً ص ٢٦٤ ط الآستانة) .

٣٣ ـ محمد الاقكرمانى القاضى بازمير من علماء دولة آل عثمان فى شرح (الاربعين البكوى ص ٢٤٦ ط الآستانة) .

٣٤ ـ الميرمحمد صالح الكشفى الترمذى فى (مناقب مرتضوى ص ٤٥ ط بمبئى بمطبعة محمدى) .

٣٥ ـ الشوكانى فى تفسير (فتح القديـر ج ٤ ص ٢٩٣ ط مصطفى محمد بمصر) عن عدة .

٣٦ ـ مفتى البغداد محمود الآلوسى فى تفسير (روح المعانى ج٢٢ص٧٢ ط المنيرية بمصر) عن عدة .

٣٧ ـ ابوبكر الحضرمى فى (رشفة الصادى ص٢٤و٢٩ط الاعلامية بمصر) .

٣٨ ـ علوى بن طاهر بن عبدالله فى (القول الفصل ج ٢ ص٢٧٢ ط مطبعة ارشيفل) ما لفظه : « السادس و هو ان الله تعالى قال فى حق نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته كما بينته السنة : « ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً » فهـذه صلاة عامة ، و قال فى حق المؤمنين : « هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور » فهذه صلاة خاصة ، و قد اتفق العلماء على ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم التى أخبر الله بها عنه و عن ملائكته ، وأمر المؤمنين بها ليست كصلاته و صلاة ملائكته على سائر المؤمنين .

ثم قال: فما تدل عليه الاية الاولى مفارق لما تدل عليه الاية الثانية ، و ان جمعهما مسمى الصلاة و اسمها كما يجتمع الفرس و زيد في مسمى الحيوانية ، و يفارق زيدالفرس بالانسانية ثم ان في ورود الامر بالصلاة على الآل وأهل البيت عند ما سئل الصحابة رسول الله ﷺ عن كيفية الصلاة التي أمرهم الله بها إثبات لتبعيتهم له ﷺ في هذه الصلاة الخاصة ، و حينئذ فلأهل البيت من الصلاة نوع هوأعظم من الصلاة على مؤدّى الزكاة و آل أبي أوفى و آل سعدبن عبادة ، والصلاة على الآل مأمور بها شرعاً في سائر الازمان ، و من كل أحد بخلاف الصلاة على مؤدى الزكاة ، فانما تكون من الامام أو عامله ، فلا تطلب من كل أحد و لا في كل وقت و كذلك الصلاة على آل أبي أوفى و آل سعد ـ إلى ما قال ـ ثم ذكر الروايات . . .

٣٩ ـ ذكر ابن حجر العسقلاني في (الصواعق المحرقة ١٤٦) ماقال الشافعي إمام الشافعية :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر انكم من لم يصلّ عليكم لاصلاة له .

٤٠ ـ الدهلوي في (تجهيز الجيش) مالفظه: و روى انه ﷺ سئل عن كيفية الصلاة فقال ﷺ : قولوا : اللهم صلّ على محمد وآل محمد . فقال رجل من الصحابة : وعلى آل محمد ؟ فقال ﷺ : من فصّل بيني و بين آلي « بعلي » لم ينل شفاعتي . ومن طريق آخر : « فليس من امتي » وقدأشار إلى هذا الحديث جلال الدواني في حاشيته على (شرح التجريد) للقوشجي .

وفي الجامع لاحكام القرآن : ما لفظه : و قال سهل بن عبدالله : الصلاة على محمد ﷺ أفضل العبادات لان الله تعالى تولاّها هو و ملائكته ، ثم أمر بها المؤمنين ، و سائر العبادات ليس كذلك .

٤١ ـ ذكر ابن حجر في (الصواعق المحرقة ص ٨٧) قوله تعالى : « ان

الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً »
و روى جملة من الاخبار الصحيحة الواردة فيها ، و ان النبي ﷺ قرن الصلاة
على آله بالصلاة عليه لما سئل عن كيفية الصلاة والسلام عليه . ثم قال: وهذا دليل
ظاهر على ان الامر بالصلاة على أهل بيته و بقية آله مراد من هذه الاية ، والاّ
لم يسئلوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ، ولم يجابوا بما ذكر فلما
اجيبوا به دلّ على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به ، و انه ﷺ أقامهم
في ذلك مقام نفسه لان القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ، ومنه تعظيمهم ، ومن
ثمّ لما دخل من مرّ في الكساء قال : اللهم انهم مني و أنا منهم فاجعل صلاتك
و رحمتك و مغفرتك و رضوانك عليّ و عليهم .

ثم قال : و قضية إستجابة هذا الدعاء : ان الله صلّى عليهم معه ، فحينئذ
طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه . و يروى : لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء
فقالوا : و ما الصلاة البتراء ؟ قال : تقولون : اللهم صلّ على محمد و تمسكون
بل قولوا : اللهم صلّ على محمد و آل محمد .

ثم نقل عن الامام الشافعي قوله :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر انكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

فقال ابن حجر: فيحتمل لاصلاة له صحيحة ، فيكون موافقاً لقومه بوجوب
الصلاة على الآل و يحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قوليه .

و قال ابن حجر في (الصواعق المحرقة ص ١٣٩) ما لفظه : أخرج الدار
قطني والبيهقي حديث من صلّى صلاة و لم يصلّ فيها عليّ و على أهل بيتي لم
تقبل منه . و كأن هذا الحديث هو مستند قول الشافعي : ان الصلاة على الآل من
واجبات الصلاة كالصلاة عليه ﷺ لكنه ضعيف ، فمستنده الامر في الحديث المتفق
عليه: قولوا : اللهم صلّ على محمد وآل محمد والامر للوجوب حقيقة على الاصح .

و منهم : الفخر الرازى فى تفسيره (ج ٧ ص ٣٩١) قال : ان الدعاء للآل منصب عظيم ، و لذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد فى الصلاة ، و قوله : اللهم صلّ على محمد و آل محمد و ارحم محمداً و آل محمد . و هذا التعظيم لم يوجد فى حق غير الآل ، فكل ذلك يدل على ان حب آل محمد واجب . وقال: أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم ساووه فى خمسة أشياء : فى الصلاة عليه و عليهم فى التشهد ، و فى السلام والطهارة ، و فى تحريم الصدقة ، و فى المحبّة .

و منهم : النظام النيسابورى فى تفسيره عند قوله تعالى : « قل لا أسئلكم عليه أجراً الا المودة فى القربى » الشورى : ٢٣) قال : كفى شرفاً لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و فخراً ختم التشهد بذكرهم والصلاة عليهم فى كل صلاة .

و فى صحيح الاخبار : ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : من صلّى علىّ ولم يصلّ على آلى لم يجد ريح الجنة و ان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمأة عام ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إذا صلّى علىّ و لم يتبع بالصلاة على أهل بيتى كان بينها و بين السماء سبعون حجاباً يقول الله عزوجل : لا لبيك و لا سعديك يا ملائكتى لا يصعدوا دعائه إلاّ أن يلحق بنبىّ عترته ، فلا يزال محجوباً حتى يلحق بى أهل بيتى .

و فى الروايات : انه لما نظر آدم إلى حوّاء قال : يارب زوّجنى منها ، فقال جلّ إسمه : هات مهرها يا آدم ، فقال آدم : يا رب ما أعلم قال الله تعالى : يا آدم صلّ على محمد و آل محمد عشر مرات ، فصلى آدم كما أمره الله جل جلاله فنزوّجه بها .

فاذا كانت الصلاة مهر حوّاء فكيف لا تكون مهر حور العين !

أقول: ومايستفاض من الروايات الواردة : ان المراد من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم هم أهل بيته المعصومون : من فاطمة الزهراء و أئمتنا إثنى عشر من الامام الاول على ـ إلى ـ الامام الثانى عشر المهدى حجة بن الحسن العسكرى صلوات الله عليهم أجمعين و عليه مذهب الحقة الشيعة الاثنى عشرية .

و **في الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف** للسيدبن طاووس رضوان الله تعالى عليه قال : ومن طرائف ما إنتهى إليه إعراضهم عن آل محمد انهم يروون في صحاحهم و عن رجالهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علمهم إذا صلّوا عليه يصلّون على آله معه ، إذا اعتبرت كتبهم المجلدات ، و ما يجري على ألسنتهم في المحاورات رأيت أكثر ذلك قد اطرحوا فيه ذكر آل محمد فكيف استحسنوا لأنفسهم أن ينجلوا عليهم بهذا المقدار ، وهل يحسن أن يبلغ التعصب عليهم إلى هذه الغاية .

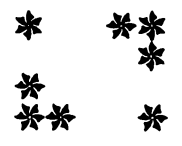
ثم قال : قال عبد المحمود بن داود : ومن عجيب ما رأيت انني وقفت على هذه الأحاديث في كتبهم المذكورة ، و لما ذكروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : صلى الله عليه و سلم ولم يذكروا و آله ! و هذا هو العناد القبيح والجهل الصريح ، وأما كتبهم فاني قد وقفت على شيء كثير من مجلداتهم ، و سمعت محاوراتهم فما رأيت في شيء مما وقفت عليه بخطوطهم ذكر الصلاة على آله عند ذكر الصلاة عليه إلاّ عند خاتمة المجلدات والمكاتبات في بعض دون بعض .

ثم قال السيد: ومن طرائف امورهم انهم قدرووا مثل هذه الأحاديث وصحت عندهم ، و هي تتضمن ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد أجرى آلـه مجرى نفسه في تعظيم الصلاة عليه .

و قال الشافعي في رواية التنوخي عنه : ان الصلاة على النبي وآله فريضة في الصلاة .

و قال أبو حنيفة : الصلاة على النبي وآله فريضة في الصلاة فأين الاهتمام بمعرفة هؤلاءِ آل محمد ؟ و هذا التعظيم لجميعهم الصالح منهـم والطالح أم لا ؟ فان كان المراد الصالحين منهم فأين التعرف بهم ؟ والمعرفة لهم ؟ والتعظيم لشأنهم ؟ والتخلق بأخلاقهم ؟ و ان اهمال هؤلاءِ الاربعة المذهب (المذاهب ظ) لآل محمد نبيهم مع ما قد شهدوا لهم به ، من الطرائف العجيبة والغرائب المريبـة . انتهى كلامه و رفع مقامه الشريف .

وفى أمالى الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن إسحق بن عمار قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول وهو قائم عند قبر الرسول (رسول الله خ) صلى الله عليه وآله وسلم : أسئل الذى إنتجبك واصطفاك وهدى بك أن يصلى عليك ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً .



كلام في وجوب الصلاة على محمد و آله

صلوات الله عليهم أجمعين

و قد اتفقت الشيعة الامامية الاثنى عشرية قديماً و حديثاً على وجوب الصلاة على النبي و آله صلوات الله عليهم في تشهد الصلاة ، وإن اختلفوا في غيرها كما اختلفت العامة في وجوبها اطلاقا ، فلابد لنا من ذكر كلمات علماء الفريقين:

و أما العامة : فمنهم القرطبي في (الجامع لاحكام القرآن) ما لفظه : و لا خلاف في أن الصلاة عليه صلى الله عليه و آله و سلم فرض في العمر مرة ، و في كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها و لا يغفلها الا من لا خير فيه . ثم قال : والذي يقتضيه الاحتياط : الصلاة عند كل ذكر لما ورد من الاخبار في ذلك .

ومنهم: الزمخشري في (الكشاف) قال : فان قلت : الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم واجبة أم مندوب إليها ؟ قلت : بل واجبة .

و قد اختلفوا في حال وجوبها ، فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره . و منهم من قال : تجب في كل مجلس مرة ، و إن تكرر ذكره . كما قال في آية السجدة و تشميت العاطس . و كذلك في كل دعاء في أوله و آخره . و منهم من أوجبها في العمر.

و في الجامع لاحكام القرآن : قال : و اختلف العلماء في الصلاة على

النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة فالذى عليه الجمّ الغفير و الجمهور الكثيران ذلك من سنن الصلاة و مستحباتها . ثم قال : وشذّ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة . و أوجب إسحاق الاعادة مع تعمّد تركها دون النسيان . وقال أبوعمر: قال الشافعي : اذا لم يصلّ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التشهد الاخير بعد التشهد ، و قبل التسليم أعاد الصلاة . قال : و إن صلّى عليه صلى الله عليه وآله وسلم قبل ذلك لم تجزه . إلى أن قال :

قلت : قد قال بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة محمد بن الموّاز من أصحابنا فيما ذكرابن القصّار و عبدالوهاب ، و اختاره ابن العربي للحديث الصحيح : ان الله أمرنا أن نصلي عليك فكيف نصلّي عليك ؟ فعلم الصلاة و وقتها فتعينت كيفية و وقتاً .

و فيه : ما لفظه : و ذكر الدار قطني عن أبي جعفرمحمد بن علي بن الحسين انه قال : لوصلّيت صلاة لم اصلّ فيها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا على أهل بيته لرأيت انها لاتتم . وروى مرفوعاً عنه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . و الصواب انه قول أبي جعفر عليه السلام قاله الدار قطني .

و في مدارك التنزيل : قال عبدالله النسفي : ان الصلاة على محمد و آله واجبة مرة عند الطحاوي و كلما ذكر اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند الكرخي . ثم قال : وهو الاحتياط وعليه الجمهور ثم قال : وإن صلّى على غيرمحمد على سبيل التبع كقوله : صلّى الله على النبي و آله . فلا كلام فيه . و أما الصلوات على آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من غير ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيجوز كما صلّى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « اللهم صلّ على أبي أوفى وآل أبي اوفى » وان لم يكن واجبة عند ذكر الائمة عليهم السلام كما يجب على قول عند ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

و في تفسير ابن كثير الدمشقي : قال: ان بعض أصحابنا اوجب الصلاة على آله صلى الله عليه وآله وسلم فيماحكاه البندينجي وسليم الرازي وصاحبه نصر بن ابراهيم المقدسي

و نقله امام الحرمين و صاحبه الغزالى قولاً عن الشافعي .

ثم قال ابن كثير : و الواجب فيه مرة كالشهادة له صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة و ما زاد على ذلك فمندوب ومرغب فيه من سنن الاسلام وشعار أهله ، حاكياً عن القاضي عياض . ثم قال ابن كثير : في ان الوجوب مرة والباقي مستحب هذا قول غريب فانه قد ورد الامر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة ، فمنها مستحب . ثم ذكر الاوقات . . . منها : بعد الصلاة و سماعها عن الغير ، و منها : بعد الأذان ، ومنها: يوم الجمعة و ليلتها ، و منها حين دخول المسجد ، و منها في صلاة الميت ، و منها على كل حال ، و منها في الكتابة .

و في تفسير روح البيان : ما لفظه : انأهل السنة إلتزموا إدخال «على» على الآل في الصلوات رداً على الشيعة ، فانهم منعوا ذكر « على » بين النبى و آله للحديث : « من فصّل بيني و بين آلي بـ « على » لم ينله شفاعتي » .

أقول: فلفظ « على » الفاصل بين النبى و آله ليس مما ورد في الاخبار في الصلاة ، بل انما هو من التزامات أهل السنة بان يدخلوها في الروايات رغم الشيعة الذين لايقولون الاّ بالروايات الواردة ،فدليل أهل السنة هو العصبية الجاهلية و الالتزام الغلط الذى أوجب التحريف و الدسّ في الاخبار اذزادوا كلمة « على » في الروايات وهذه إحدى الدلائل : ان أهل السنة لايبالون في تحريف الروايات و الدسّ فيها . فلابد من حذف « على » الفاصل بين محمد و آله صلوات الله عليهم أجمعين .

و فيه : ما لفظه : قال الاصمعي سمعت المهدى على منبر البصرة يقول : ان الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه و ثنى بملائكته فقال : « ان الله و ملائكته يصلون على النبى . . . » الاية آثره صلى الله عليه وآله وسلم من بين الرسل و اختصكم بها من بين الامم ، فقابلوا نعمة الله بالشكر وانما بدأ تعالى بالصلاة عليه بنفسه إظهاراً لشرفه ومنزلته و ترغيباً للامة فانه تعالى مع استغنائه إذا كان مصلياً عليه كان الامة أولى به

لاحتياجهم إلى شفاعته و تقوية لصلوات الملائكة و المؤمنين ، فان صلاة الحق حق ، و صلاة غيره رسم ، و الرسم يتقوّى بمقارنة الحق .

ثم قال : و فيه إشارة إلى انه ﷺ مجلّى تام لأنوار الجمال و الجلال ، ومظهر جامع لنعوت الكمال به فاض الجود وظهر الوجود، فاذا كانت الملائكة مأمورين بالصلاة عليه ﷺ فكيف الامة ، وان الصلوات ثمن الشفاعة ،فاذا أدّوا الثمن هذا اليوم يرجى أن يحرزوا المثمن يوم القيامة.

قال شاعر :

يصلّي عليه الله جلّ جلاله	بهذا أبداً للعالمين كماله
ألاأيها الاخوان صلّوا وسلّموا	على المصطفى في كل وقت وساعة
فان صلاة الهاشمي محمد	تنجي من الاهوال يوم القيامة

ثم قال : وبقدر صلواتهم عليه ﷺ تحصل المعارفة بينهم وبينه ، و علامة المصلي يوم القيامة بياض لسانه ، و علامة التارك سواده ، و بهما تعرف الامة يومئذ ، و في صيغة المضارع في الصلاة ما لا يخفى من دلالة الاستمرار والتجدد في كل آن .

قال شاعر :

شعبان شهر رسول الله فاغتنموا	صيام أيامه الغرّ الميامين
صلّوا على المصطفى في شهره وارجوا	منه الشفاعة يوم الحشر و الدين

و قال آخر :

على المصطفى صلّوا فان صلاته	أمان من الآفات و الخطرات
تحيته أصل الميامن فاطلبوا	بها جملة الخيرات و البركات

و من العامة : ابو القاسم حمزة بن يوسف بن ابراهيم سهمي في (تاريخ جرجان ص ١٤٨ ط حيدرآباد الدكن) باسناده عن علي عليه السلام قال : ان الله فرض على العالم الصلاة على رسول الله ﷺ و قرننا به ، فمن صلى على رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم و لم يصلّ علينا لقي الله تعالى و قد بتر الصلاة عليه و ترك أوامره .

رواه القاضي عياضي أبو الفضل اليحصبي الاندلسي في كتابه (الشفا ص ٥٥ ط الآستانة) و نعم ما قال العبدي الكوفي :

محمد و صنوه و ابنته	و ابنيه خير من تحفّى و احتذا
صلّى عليهم ربنا باري الورى	و منشيء الخلق على وجه الثرى
صفاهم الله تعالى و ارتضى	و اختارهم من الأنام و اجتبى
لولاهم الله ما رفع السماء	ولا دحى الارض ولا أنشأ الورى
لايقبل الله لعبد عملاً	حتى يواليهم باخلاص الولا
و لا يتمّ لامرىء صلاته	إلاّ بذكراهم و لايزكو الدعا

و في البيت الاخير إشارة إلى كون الصلاة عليهم مأموراً بها في الصلاة .

و في (نيل الاوطار ج ٢ ص ٢٩٤) عن أبـي مسعود الانصاري قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و نحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلّي عليك فكيف نصلّي عليك؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد . و السلام كما قد علمتم.

رواه أحمد ومسلم والنسائي والترمذي وصححه . وقد استحسن كثير من أهل السنة الاستدلال بحديث أبي مسعود على وجوب الصلاة حيث يستظهر منه أن وجوب الصلاة كان مفروغاً عنه في الصلاة . و استدل به في (سبل السلام ج ١ ص ١٩٣) على وجوب ذكر الآل أيضاً بانه حيث أجاب عن السؤال عنها انها الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم و آله ، فمن لم يأت بالآل ، فما صلّى عليه بالكيفية التي أمر بها ، فلايكون ممتثلا للامر، فلا يكون مصلياً عليه .

و غير ذلك من كلمات العامة . . .

و أما الشيعة الامامية الاثني عشرية : فقال الفاضل المقداد في كنز

العرفان في ذيل قوله تعالى : « ان الله و ملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلموا تسليماً » فهنا فوائد :

١ ـ ذهب أصحابنا و الشافعي و أحمد إلى وجوب الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة خلافاً لأبى حنيفة و مالك فانهما لم يوجباها و لم يجعلاها شرطاً في الصلاة. و استدل بعض الفقهاء بما تقريره : شيء من الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم واجب و لاشيء من ذلك في غيرالصلاة بواجب ينتج انها في الصلاة واجبة ، أما الصغرى فلقوله : « صلوا » و الامر حقيقة في الوجوب ، و أما الكبرى فظاهره و فيه نظر لمنع الكبرى كما يجيء ، و حنيئذ فالاولى الاستدلال على الوجوب بدليل خارج أما من طرقهم ، فما رووه عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لاتقبل صلاة الا بطهور و بالصلاة عليّ » و كذا عن أنس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « قال اذا صلّى أحدكم فليبدأ بحمدالله ثم ليصل عليّ » .

و من طرقنا ما رواه أبو بصير و غيره عن الصادق عليه السلام : « قال : من صلّى و لم يصل علي النبى صلى الله عليه وآله وسلم و تركه عمداً فلا صلاة له » ان الشيخ جعلها ركناً في الصلاة ، فان عنى الوجوب والبطلان بتركها عمداً فهو صحيح ، و إن عنى تفسير الركن بانه ما يبطل الصلاة بتركه عمداً و سهواً فلا .

٢ ـ قال علمائنا أجمع : ان الصلاة على النبى واجب في التشهدين معاً ، و به قال أحمد و قال الشافعي مستحب في الاول ، و واجب في الاخير ، و قال مالك و أبوحنيفة هي مستحبة فيهما . دليل أصحابنا ـ الشيعة الامامية الاثنى عشرية ـ روايات كثيرة عن أئمتهم عليهم السلام .

٣ ـ هل يجب الصلاة على النبى في غير الصلاة أم لا ؟ ذهب الكرخى إلى وجوبها في العمر مرة ، و قال الطحاوى كلما ذكر و اختاره الزمخشرى ، و نقل عن ابن بابويه من أصحابنا و قال بعضهم : في كل مجلس مرّة .

ثم قال المقداد قدس سره : و المختار الوجوب كلما ذكر لدلالة ذلك على

التنويه بذكر شأنه والشكر لاحسانه المأمور بهما ، و لانه لولاه لكان كذكر بعضنا بعضاً ، وهومنهيّ عنه في آية النور وهي قوله : « ولاتجعلوا دعاء الرسول » الاية : ٦٣) . و لما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ فدخل النار فأبعده الله » والوعيد إمارة الوجوب ، و روى : انه قيل له : يا رسول الله أرايت قول الله : « ان الله وملائكته يصلون على النبى » فقال عليه الصلاة والسلام : « هذا من العلم المكنون ولولا انكم سئلتمونى عنه لما أخبرتكم به ان الله وكل بى ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلى عليّ الاّ قال له ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته آمين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلى عليّ الاّ قال له الملكان لاغفر الله لك و قال الله تعالى و ملائكته آمين » و أما عند عدم ذكره فيستحب استحباباً مؤكداً لتظافر الروايات على أن الصلاة عليه و على آله تهدم الذنوب و توجب إجابة الدعاء المقرون بها .

٤ ـ روى كعب بن عجرة قال: لما نزلت الاية قلنا : يارسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : قولوا : اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد و آل محمد كما باركت على ابراهيم و آل ابراهيم انك حميد مجيد .

٥ ـ دلّ حديث كعب المذكور على مشروعية الصلاة على الآل تبعاً له صلى الله عليه وآله وسلم و عليه اجماع المسلمين ، و هل يجوز الصلاة عليهم لا تبعاً له بل إفراداً كقولنا : اللهم صل على آل محمد بل الواحد منهم لا غير أم لا ؟ قال أصحابنا : بجواز ذلك . وقال الجمهور بكراهته لان الصلاة على النبى صارت شعاراً له فلا تطلق على غيره و لا يهامه الرفض والحق ما قاله الاصحاب لوجوه :

الاول : قوله تعالى مخاطباً للمؤمنين كافة : « هو الذى يصلى عليكم و ملائكته » و هو نصّ فى الباب .

الثانى : قوله : « الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله و انا اليه راجعون

اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة » ولاريب ان أهل البيت عليهم السلام اصيبوا بأعظم المصائب الذى من جملتها اغتصابهم مقام إمامتهم.

وقوله تعالى : « وصلّ عليهم ان صلاتك سكن لهم » التوبة : ۱۰۳) فكما ان أخذ الزكاة ليس مختصاً بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فكذلك الصلاة.

الثالث : انه لما أتى أبوأوفى بزكاته قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم صلّ على أبى أوفى و آل أبى أوفى » فيجوز على أهل البيت عليهم السلام بطريق أولى.

الرابع : ان الصلاة من الله بمعنى الرحمة و يجوز الرحمة عليهم إجمالاً ويجوزمرادفها لما تقرّر فيالاصول انه يجوز إقامة أحدالمترادفين مقام الاخر.

الخامس: قولهم: انه صار شعاراً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم قلنامصادرة على المطلوب لانها كما دلّت على الاعتناء برفع شأنه كذلك تدل على الاعتناء برفع شأن أهله القائمين مقامه و يكون الفرق بينهم و بينه وجوبها فيحقه عليه السلام كلما ذكر كما اخترناه. **إن** قلت : عادة السلف قصره على الانبياء قلت : العادة لا تخصّص كما تقرّر فيالاصول هذا مع أن منأعظم السلف الباقر والصادق عليهما السلام ولم يقولا بذلك.

السادس: ان قولهم : ان ذلك يوهم الرفض تعصّب محض و عناد ظاهر نظير قولهم من السنة تسطيح القبور لكن لما اتخذته الرافضة شعاراً لقبورهم عدلنا عنه إلى التسنيم فعلى هذا كان يجب عليهم ان كل مسئلة قال بها الامامية أن يفتوا بخلافها ، و ذلك هو محض التعصب والعناد نعوذبالله من الاهواء المضلة والآراء الفاسدة . . .

٦ ـ مذهب علمائنا أجمع انه يجب الصلاة على آل محمد فيالتشهدين وبه قال بعض الشافعية و فى إحدى الروايتين عن أحمد و قال الشافعى بالاستحباب لنا رواية كعب ، و قد تقدّمت فى كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم و اذا كانت الصلاة عليه واجبة كانت كيفيتها واجبة أيضاً . و روى كعب ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول ذلك فى صلاته و قال : « صلوا كما رأيتمونى اصلّى » و عن جابر الجعفى عن

الباقر عليه السلام عن أبى مسعود الانصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صلّى صلاة و لم يصلّ فيها عليّ و على أهل بيتى لم تقبل منه .

أقول: و نزيد على ذلك ما رواه الصدوق رضوان الله تعالى عليه فى ثواب الاعمال باسناده عن محمد بن هارون عن أبى عبدالله عليه السلام قال : اذا صلّى أحدكم و لم يصلّ على النبى فى صلاته يسلك بصلاته غير سبيل الجنة .

رواه البرقى فى المحاسن باسناده عن أبى جميلة والصدوق فى أماليه إلا ان فى الامالى ولم يذكر « النبى صلى الله عليه وآله وسلم » بدل « ولم يصل على النبى صلى الله عليه وآله وسلم » .

و فى البحار : بالاسناد عن جابر الجعفى قال : سمعت أبا عبدالله يقول : اذا صلّى أحدكم فنسى أن يذكر محمداً وآله فى صلاته سلك بصلاته غير سبيل الجنة و لا تقبل صلاة الاّ أن يذكر فيها محمد و آل محمد .

ثم قال: لعل النسيان بمعنى الترك أو محمول على نسيان مستند إلى تقصيره و عدم اهتمامه .

و فى فلاح السائل : يقول فى التشهد : « بسم الله و بالله والاسماء الحسنى كلها لله أشهدأن لاإله الاّ الله وحده لا شريك له واشهدان محمداً عبده و رسوله اللهم صلّ على محمد وآل محمد و تقبّل شفاعته فى امته و ارفع درجته » وإن اقتصر على الشهادة لله جل جلالـه بالوحدانية و لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة و على الصلاة عليه وآله أجزأه ذلك .

٧ ـ الذين تجب الصلاة عليهم فى الصلاة و يستحب فى غيـرها هم الائمة المعصومون عليهم السلام لاطباق الاصحاب على انهم هم الآل و لان الامر بذلك مشعر بغاية التعظيم المطلق الذى لايستوجبه الاّ المعصومون وأما فاطمة عليها السلام ، فتدخل أيضاً لانها بضعة منه صلى الله عليه وآله وسلم .

٨ ـ استدل بعض شيوخنا على وجـوب التسليـم المخرج عن الصلاة بما تقريره: بشيء من التسليم واجب + ولاشيء منه فى غير الصلاة بواجب = فيكون

وجوبه في الصلاة و هو المطلوب أما الصغرى فلقوله : « و سلّموا » الدال على الوجوب ، و أما الكبرى فللاجماع و فيه نظر لجواز كونه بمعنى الانقياد كما تقدّم سلّمنا لكنه سلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسياق الكلام و قضيّة العطف و أنتم لا تقولون انه المخرج من الصلاة بل المخرج غيره .

٩ ـ استدل بعض شيوخنا المعاصرين على انه يجب إضافة « السلام عليك أيها النبي و رحمة الله و بركاته » على التشهد الأخير بما تقريره : السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجب + ولاشيء منه في غير التشهد الاخير بواجب ينتج = انه فيه واجب .

أقول: اذا ثبت وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التشهد بقوله تعالى : « صلوا عليه » ثبت وجوب التسليم بقوله : « سلموا تسليماً » فالقول باختلاف الحكم بينهما غير وجيه .

و في البحار : عن أبي حازم قال : سئل علي بن الحسين عليه السلام ما افتتاح الصلاة؟ قال : التكبير ، قال : ما تحريمها ؟ قال : التكبير ، قال : ما تحليلها ؟ قال : التسليم .

و في الهداية : قال الصادق عليه السلام : تحريم الصلاة التكبير، وتحليلها التسليم .

و في المنار : قال: والافضل الجمع بين الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله و أكثر المسلمين يخصّ بالسلام الانبياء والملائكة ، و كذا جماعة آل بيته صلى الله عليه وآله وسلم والشيعة يلتزمون السلام على السيدة فاطمة وبعلها و ولديهما والائمة المشهورين من ذرية السبطين ويوافقهم كثير من أهل السنة وغيرهم في الزهراء والسبطين و والدهما سلام الله و رضوانه عليهم اذا ذكروا جماعة أو إفراداً ، و أما الصلاة والسلام على الآل بالتبع للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو مجمع عليه ، و منه صلاة التشهد .

أقول: و قد دلّت الاخبار الصحيحة على وجوب الصلاة على النبي الكريم

صلى الله عليه وآله على آله كما ذكره ذاكر باسمه : « محمد » سواء إتحد مجلس الذكر أم تعدّد ، و سواء صلّى عليه صلى الله عليه وآله سابقاً أم لا ، و عليه إتفاق أصحابنا الامامية الاثنى عشرية . و أما إذا ذكر بلقبه أو بكنيته أو بالضمير الراجع إليه صلى الله عليه وآله فتستحب الصلاة إستحباباً مؤكداً ، فالاحتياط لا يترك .

و تجب الصلاة عند ذكره صلى الله عليه وآله ولو كان السامع مشغولاً بالصلاة الواجبة ، فيقطعها و يصلّى عليه صلى الله عليه وآله ثم يمضى على صلاته مما قطعه .

وينبغى أن تكتب الصلاة لا بلفظ الرمز مثل : « ص » أو « صلعم » ونحوهما كما هو المتعارف بين ضعفاء الولاية لأهل بيت النبوة فى هذه الاعصار . . .

و قال الشهيد الثانى رضوان الله تعالى عليه : أول من كتب «صلعم» قطعت يده وأقل ما في الاخلال بها تفويت الثواب العظيم عليها . فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله انه قال : من صلّى عليّ فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام إسمى فى ذلك الكتاب . إنتهى كلامه و رفع مقامه .

﴿ الايذاء و اللعنة ﴾

قال الله تعالى : « ان الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا و الاخرة و أعدّ لهم عذاباً مهيناً و الذين يؤذون المؤمنين و المؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ـ ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا » الاحزاب : ٥٧ ـ ٥٩)

الأذى : كل ما تأذّيت به من القول و الفعل ، و من الشوك و النجاسة ، و الصوت النكير و الريح النتن ، و ما يصل إلى الكائن الحيّ من الضرر في نفسه أو جسمه أو في تبعاته دنيوياً أو اخروياً يوجب الاغتمام به . و الايذاء : ايصال المكروه إلى غيره حساً أو معنى ، الأذية : اسم من الأذى .

وقد أوعد الله تعالى في الايات السابقة الذين يؤذون الله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم باللعنة في الحياة الدنيا و الاخرة ، و بالعذاب المهين ، و نهى عن ايذاء المؤمنين بغير حق ، و نهاهم عن ايذاء النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، و قد أغمض عمر بن الخطاب عن هذا النهي المؤكد ، و هذا اللعن و العذاب إذ أذى الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم باجترائه الهذيان إلى رسول الله المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم حين وفاته إذ أراد الوصية بالكتابة ، و أذى الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام بتضييع حقه في أمر الخلافة، وفي غيرها ... وأذى بضعة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء سلام الله عليها وأذى الامة الاسلامية كافة إلى يوم القيامة بالفرقة بينهم اذ تصدى ما ما كان لايقاً له...

و نحن نشير في المقام نبذة إلى ما ورد عن الطريقين في ايذائه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأما

ماوردعن حملة آثار العامة في أسفارهم فمنها :

١ ـ روى سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص ص٩٨ ط النجف الاشرف) عن أبي حامد الغزالي في كتاب (سر العالمين) انه قال صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته بيسير: « اعطوني بدوات و بياض لأكتب لكم كتاباً لاتختلفون فيه بعدى » فقال عمر : دع الرجل انه ليهجر.

٢ ـ قال الحلبي في (السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٢ ط مصر) باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم مالفظه : فقال بعضهم و هو سيدنا عمر: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدغلبه الوجع و عندكم القرآن .

٣ ـ روى أحمد في (المسند ج ١ ص ٣٢٥ الطبع المصرى القديم) بهذا المضمون .

٤ ـ في (شرح المواقف ج ٢ ص ٤٧٩ ط مصر) قال عمر: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله .

٥ ـ في (صحيح البخارى في الجزء الاول ص ٣٠ ط الاميرية بمصر)

٦ ـ في (صحيح مسلم في الجزء الخامس ص ٧٦ ط الصبيح بمصر)

٧ ـ في (مجمع الزوائد في الجزء التاسع ص ٣٦ ط مصر) و فيه رواية عن عمر بن الخطاب غير ما رواه صاحب الصحيحين .

٨ ـ في (حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ج ٣ ص٣٣٩ مخطوط)

٩ ـ ابن سعد في (الطبقات ج٤ باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم) عن ابن عباس: فقال عمر: ان رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله . وفي رواية : عن جابر بعد ما ذكر ما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : فكان في البيت لغط و كلام و تكلم عمر بن الخطاب فرفضه النبي صلى الله عليه وآله وسلم . و في رواية : عن عمر بن الخطاب : ان النسوة قلن : اعطوا رسول الله بحاجته قال عمر: قلت : اسكتن فانكن صواحبه اذا مرض عصرتن أعينكن و اذا صح أخذتن بعنقه فقال صلى الله عليه وآله وسلم : هن خير منكم .

١٠ ـ روى الخطيب الكازروني في كتاب (مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخطوط) مالفظه : فقال عمر : ان رسول الله قدغلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله .

١١ ـ ما يظهر من (المناقب المرتضوية) لمحمد صالح الترمذي الكشفي الحنفي من مشاهير أعلام السنة في القرون المتأخرة : ان صدور تلك المقالة من الثاني ـ عمر بن الخطاب ـ في مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم و بمحضره من المسلمات ، وانه تجاسر بقوله : « ان هـذا الرجل اشتدّ وجعه حسبنا كتاب الله » و قال الترمذي بعد هذه القضية : انها مما اتفق عليه .

١٢ ـ في كتاب (مدارج النبـوة ص ٥٣٢ ط كانپور) للمحدث الشهير المولوي شاه عبد العزيز الدهلوي الهندي . وقد نقل ما هو صريح في ذلك .

١٣ ـ نصّ على ذلك المولى شمس الدين الهروي في كتاب (السيرة ص٣٩ ط بمبئي)

١٤ ـ ما ورد في (صحيح البخاري ج ١ ص ٣٠ الطبع الجديد بمصر)

١٥ ـ ما ورد في (صحيح مسلم ج ٥ ص١٧٦ الطبع الجديد بمصر)

١٦ ـ ما ورد في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤ ط مصر) من عدة روايات غير ما في الصحيحين . فراجع

﴿الامام الحق أمير المؤمنين علي عليه السلام والايذاء﴾

و قد وردت روايات كثيرة باسانيد عديدة عن طريق العامة : ان ايذاء علي بن أبيطالب عليه السلام هو ايذاء النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و ايذائه صلى الله عليه وآله وسلم هو ايذاء الله جل و علا ، و ايذاءه يوجب اللعن في الحياة الدنيا والاخرة والعذاب المهين .

١ ـ روى احمد بن حنبل في (المسند ج ٣ ص ٤٨٣ ط الميمنية بمصر) باسناده عن عمرو بن شاس الاسلمي : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من آذى علياً فقد آذاني . رواه سنداً جماعة من حملة آثار العامة في أسفارهم وقفت منها إلى الآن نحو أربعة و عشرين كتاباً :

و منهم : الحاكم النيشابوري في (المستدرك ج ٣ ص١٢٢ ط حيدرآباد الدكن) و لما ذكر الحديث قال : هذا حديث صحيح الاسناد .

و منهم : الطبري في (منتخب ذيل المذيل ص١٠٨ ط الاستقامة بمصر) .

ومنهم: سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص ص ٤٩ ط الغري) .

و منهم : الطبري في (الرياض النضرة ج١ ص١٦٥ ط محمد أمين الخانجي بمصر) و في (ذخائر العقبى ص ٦٥ ط مكتبة القدسي بمصر) .

و منهم : ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٦ ط حيدر آباد) و غيرهم تركنا للاختصار .

٢ ـ روى البيهقي في (المحاسن والمساوي ص٤١ ط بيروت) عن مصعب عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : مالكم و لعليّ من

آذى علياً آذاني .

رواه جماعة من أعلام العامة :

و منهم : أخطب خوارزم في (المناقب ص ٨٩ ط تبريز) .

و منهم : ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٦ ط حيدر آباد) .

و منهم : الحافظ الهيتمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٩ ط مكتبة القدسي بالقاهرة) .

و منهم : السيوطي في (تاريخ الخلفاء ص ١٧٢ ط السعادة بمصر) .

و منهم : ابن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ص٧٣ط الميمنية بمصر).

و منهم : البدخشي في (مفتاح النجا ص ٦٣) .

و منهم : الصبان في (اسعاف الراغبين ص ١٧٦ ط مصر) .

و منهم : الشبلنجي في (نور الابصار ص ٧٣ العامرة بمصر) .

و منهم : القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٨٢ ط اسلامبول) و غيرهم . . .

٣ ـ روى السمعاني في (الانساب ص ١٧٩) عن عبيد بن ثعلبة : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من آذى علياً فقد آذاني .

٤ ـ روى القرطبي في (الاستيعاب) المطبوع بذيل (الاصابة ج٣ص٣٧ ط مطبعة مصطفى محمد بمصر) ما لفظه : وردت طائفة من الصحابة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث : من آذى علياً فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله .

رواه الكشفي الترمذي الحنفي في (المناقب المرتضوية ص٨٠ط بمبئي) .

والقندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٠٥ ط اسلامبول) .

٥ ـ روى ابن المغازلي الواسطي الشافعي في (المناقب) باسناده عن جابر بن عبدالله الانصاري : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا أيها الناس من آذى علياً بعث يوم

القيامة يهودياً أو نصرانياً. فقال جابر ابن عبدالله: يارسول الله فان شهدوا لاإله الا الله و انك رسول الله ؟ قال : يا جابر كلمة يحتجون بها ألا تسفك دمائهم و تؤخذ أموالهم و ان يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون .

رواه الدهلوى فى (تجهيز الجيش ص ١٣٦) باختلاف يسير .

٦- روى الحافظ ابن عبدالبر فى (الاستيعاب ج٢ص٤٦١ ط حيدرآباد) ما لفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أحب علياً فقد أحبني ، و من أبغض علياً فقد أبغضني و من آذى علياً فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله .

رواه الطبرى فى (ذخائر العقبى ص ٦٥ ط مكتبة القدسى بمصر) و فى (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٦ ط مصر) .

٧ - روى المناوى فى (الكواكب الدرية ج١ص٣٩ ط الازهرية بمصر) ما لفظه : قال صلى الله عليه وآله وسلم من آذى علياً فقد آذاني ، و من سبّه فقد سبّني ومن أبغضه فقد أبغضني و من أحبه فقد احبّني .

٨ - روى ابن حجر الهيثمى فى (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٨ ط مكتبة القدسى بمصر) عن بريدة قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ما بال أقوام ينتقصون علياً من تنقص علياً فقد تنقصني .

رواه الامر تسرى فى (أرجح المطالب ص ٥١١ ط لاهور) والديلمى فى (الفردوس) .

٩ - روى الحاكم الحسكانى الحنفى فى (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٩٧ ط بيروت سنة ١٣٩٣هـ) باسناده عن الحسين بن على وهو آخذ بشعره قال: حدثني على بن أبيطالب وهو آخذ بشعره قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بشعره فقال : من آذى شعرة منك فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله و من آذى الله فعليه لعنة الله .

وفيه: باسناده عن ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم قالت : قد سمعت رسول الله

يقول لعلى ابن أبى طالب : أنت أخى و حبيبى من آذاك فقد آذانى .

و فى ذيله : بالاسناد عن الحسين بن على عليه السلام و هو آخذ بشعره قال: حدثنى أبى على ابن أبى طالب و هو آخر بشعره قال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و هو آخذ بشعره قال : من آذى شعرة منى فقد آذانى ، و من آذانى فقد آذى الله و من آذى الله لعنه الله ملأ السماوات و ملأ الارض ولايقبل الله منه صرفاً ولاعدلاً.

١٠ ـ روى ابن حنبل فى كتاب (الفضائل حديث ٢١١) باسناده عن أبى الاسود عن عروة ان رجلاً وقع فى على بن ابيطالب بمحضر من عمر فقال له عمر . أتعرف صاحب هذا القبر ؟ هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، وعلى بن ابيطالب بن عبد المطلب ، فلا تذكر علياً الا بخير فانك إن أبغضته آذيت هذا فى قبره .

و لسائل أن يسئل فى المقام : ان الذين تصدّوا الخلافة بعد النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فلتة و من غير حق و لا لياقة لها ، و قد كانت حقاً للامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب صلى الله عليه وآله وسلم فغصبوها وأوجدوا بذلك فرقة بين الامة الاسلامية فانحطّوا بما انحطوا ثم أيّد هؤلاء الغاصبين مردتهم و آمن بهم أذنابهم على طريق جواز تقديم المفضول على الفاضل والجاهل على العالم ، و على ان الخلافة والامامة بعد النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم من الامور الانتخابية العادية ـ التى خطأها أكثر من صوابها ـ و ليست انتصابية سماوية لاخطأ فيها قط . . . ألم تكن هذه ايذاء على مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام يوجب لايذاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم الموجب لايذاء الله جل و علا الموجب للعن والعذاب المهين ؟ ؟ ؟ .

و هل يكون الايذاء مقصوداً فى الشتم والسب باللسان ؟ أو فى الضرب والقتل فى المحراب ؟

أم يكون كتمان الحق و هضمه حياً و ميتاً من الايذاء ؟ ؟ ؟

ونحن لسنا بصدد الجواب ، فعلى القارىء المنصف الحرّ التدبر ثم القضاء .

و نختم البحث بذكر بعض ما يناسب المقام :

١ ـ روى الطبراني في (المعجم الكبير ص ١٣٢) عن أنس بن مالك ـ في حديث ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسن بن علي عليه السلام : إبني وثمرة فؤادي فانه من آذى هذا فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله .

رواه جماعة من أعلام العامة :

منهم: الهيتمي في (مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٨٤ ط القدسي بالقاهرة) .

و منهم : الهندي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند ج ٥ ص ١٠٢ ط الميمنية بمصر) .

و منهم : البدخشي في (مفتاح النجا ص ١١٥) .

و منهم : الامر تسري في (أرجح المطالب ص ٢٦٩ ط لاهور) وغيرهم.

٢ ـ روى احمدبن حنبل في (المسند ج ٤ ص ١٣٢ ط الميمنية بمصر) باسناده عن خالد بن معدان قال : وفد المقدام بن معدي كرب وعمرو بن الاسود إلى معاوية فقال معاوية للمقدام : أعلمت ان الحسن بن علي توفّى، فرجع المقدام ، فقال له معاوية : أتراها مصيبة ؟ فقال : ولم لا أراها مصيبة ، وقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجره و قال : هذا مني و حسين من علي رضي الله عنهما !

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة منهم :

١ ـ الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ٢٦٧ ط القاهرة) .

٢ ـ محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ١٣٣ ط القدسي بالقاهرة) .

٣ ـ الطبراني في (المعجم الكبير ص ١٣٢) .

٤ ـ باكثير الحضرمي في (وسيلة المآل ص ١٦٥) و غيرهم .

و أما ايذاء عمر بن الخطاب لفاطمة الزهراء بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأوردنا الروايات الواردة فيه عن طريق العامة في محله فراجع .

﴿في النهي عن ايذاء المؤمنين﴾

قال‌الله تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقداحتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » الاحزاب : ٥٨)

وقد ورد في المقام روايات كثيرة نشير إلى نبذة منها :

في الكافي : باسناده عن هشام بن سالم قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : قال‌الله عزوجل : ليأذن بحرب مني من أذى عبدي المؤمن وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن . الحديث ...

وفيه . باسناده عن المفضل ابن عمر قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : اذاكان يوم القيامة نادى مناد : أين الصدود لأوليائي ؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم ، فيقال : هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنّفوهم في دينهم ، ثم يؤمر بهم إلى جهنم .

قوله عليه السلام « أين الصدود » أي أين الذين كانوا يصدون أوليائي عن نشر المعارف والحكم ومعالم الدين . وقيل : أي أين المعرضون عن اوليائي المعادون لهم أوأين الماتعون لهم عن حقوقهم أوأين المستهزؤن بهم .

وفيه: في حديث طويل ـ و قال علي بن الحسين عليهما السلام : و كفّ الأذى من من كمال العقل وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً .

وفي الصحيفة السجادية: ـ من دعاء الامام زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلام في طلب العفو والرحمة ـ اللهم صلّ على محمد و آله واكسر

شهوتي عن كل محرم وازو حرصي عن كل مأثم وامنعني عن أذى كل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة .. » الدعاء .

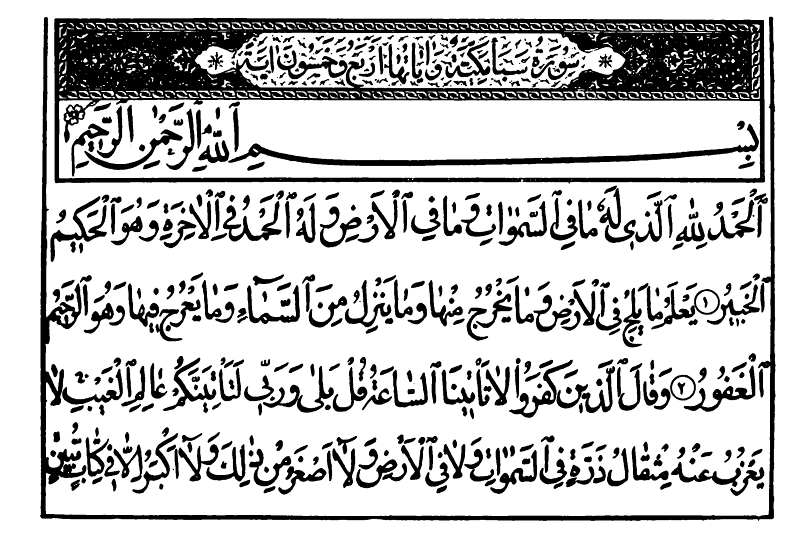
وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: ان الله وضع أربعاً في أربع : بركة العلم في تعظيم الاستاذ ، وبقاء الايمان في تعظيم الله ، ولذة العيش في برّ الوالدين ، والنجاة من النار في ترك ايذاء الخلق .

وفي رواية: عن ابن عباس : انه إستند إلى جدار الكعبة وقال : يا كعبة ما أعظم حرمتك على الله لكنني لو هدمتك سبع مرّات كان احب إليّ من أن اوذى مسلماً مرة واحدة .

وفي رواية: : عن وهب بن منبه انه قال : جمع عالم من علماء بني اسرائيل سبعين صندوقاً من كتب العلم ، كل صندوق سبعون ذراعاً ، فأوحى الله تعالى إلى نبيّ ذلك الزمان : ان قل لهذا العالم : لاتنفعك هذه العلوم و ان جمعت أضعافاً مضاعفة مادام معك ثلاث خصال : حب الدنيا ومرافقة الشيطان وأذى مسلم .

وفي رواية: قال إمام المتقين أمير المؤمنين علي عليه السلام : « من كفّ أذاه لم يعاده أحد »

تمت سورة الأحزاب والحمدلله رب العالمين وصلوات الله وملائكته والناس أجمعين على محمد وأهل بيته المعصومين الى يوم الدين



سورة سبأ مكية وآياتها أربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم
الخبير ① يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم
الغفور ② وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا
يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين

۝۳ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝۴ وَالَّذِينَ سَعَوْا
فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ۝۵ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝۶ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ
إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝۷ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ۗ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ۝۸ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ
إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝۹
وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝۱۰ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ
وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝۱۱ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا
شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ
أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝۱۲ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ
رَاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۝۱۳ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ
عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا
فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝۱۴ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ
وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝۱۵ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝۱۶ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ۝۱۷

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا
لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَ
مَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ
ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ
بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ
ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ
رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ
إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ
أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ
لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَنْ نُؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ
مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا
أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي
أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ
مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ
﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَ
مَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ
يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ
وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ
وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾

وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير (٤٤) وكذب الذين من قبلهم
وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير (٤٥) قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا
لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد (٤٦)
قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد (٤٧) قل إن ربي يقذف
بالحق علام الغيوب (٤٨) قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد (٤٩) قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي
وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب (٥٠) ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان
قريب (٥١) وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد (٥٢) وقد كفروا به من قبل ويقذفون
بالغيب من مكان بعيد (٥٣) وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم
كانوا في شك مريب (٥٤)

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان‌الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن ابن اذينة عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: للحمدين جميعاً ـ حمد سبأ و حمد فاطر ـ من قرأهما في ليله (ليلة خ) لم يزل في ليلته في حفظ الله و كلاءته، فان قرأهما في نهاره لم يصبه في نهاره مكروه واعطي من خير الدنيا وخير الاخرة مالم يخطر على قلبه ولم يبلغ مناه.

أقول: رواه الطبرسي في المجمع، والحر العاملي في وسائل الشيعة، والبحراني في البرهان، والحويزي في نورالثقلين، والمجلسي في البحار.

وذلك لمن آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وباليوم الاخر وعمل صالحاً، و هذا هو المؤيد بمواضع من السورة نفسها...

قال الله تعالى: « أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وماخلفهم من السماء والارض إن نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب ـ وجعلنا بينهم و بين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين ـ ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين وماكان له عليهم من سلطان إلاّ لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هومنها في شك وربك على كل شيء حفيظ ـ من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون » سبأ: ٩ و١٨ و٢٠و٢١و٣٧)

وقال: « فلاتعلم نفس مااخفي لهم من قرّة أعين جزاء بماكانوا يعملون »

السجدة : ١٧)

وقال : « يا عباد لاخوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب و فيها ماتشتهيه الانفس وتلذّ الاعين وانتم فيها خالدون و تلك الجنة التي او رثتموها بماكانوا تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون » الزخرف : ٦٨ ـ ٧٣)

وفي المجمع : ابيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولارسول الا ّكان له يوم القيامة رفيقاً ومصافحاً .

أقول: وفي سند الرواية مالايخفى لمكان ابيّ بن كعب إذلاشأن له عند أصحابنا لكذبه وافترائه ، ولكن دلالتها مؤيدة بالايات الكريمة . . .

منها : قوله تعالى : « ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » النساء:٦٩)

ومنها قوله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً و على جنوبهم و يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته و ما للظالمين من أنصار ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفّر عنا سيئاتنا وتوفّنا مع الابرار ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد » آل عمران : ١٩١ ـ ١٩٤)

وغيرها من الايات القرآنية . . .

وفي البرهان : روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : انه قال : من قرأ هذه السورة لم يبق شيء إلا ّكان يوم القيامة رفيقاً صالحاً ، ومن كتبها وعلقها عليه لم يقربه دابة ولاهوام ، وان شرب مائها ورشّ عليه وكان يفرق من شيء أمن وسكن روعته ولا

يفرق ان غسل وجهه بمائها .

وفيه: : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كتبها وعلقها إليه لايقربه دابة ولاهوام ومن كتبها وشربها بماء ورش على وجهه منها ، وكان خائفاً أمن مما يخاف منه و سكن روعته .

أقول : ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ما قرأته .

* * * *

﴿ الغرض ﴾

تدور السورة على قضية البعث والجزاء ، وعلى إحاطة علم الله تعالى وشموله ودقته ولطفه ، وتتكرر فيها الاشارة إلى هاتين القضيتين المترابطتين بطرق منوّعة وأساليب شتّى، وتظل جو السورة كله من البدء إلى النهاية ، حيث تذكرهما فى مفتتحها ثم تعود إليهما عودة بعد عودة إلى مختتمها ، فعن قضية البعث تقول :«و قال الذين كفروا لاتأتينا الساعة . . » : ٣) وعن قضية الجزاء : « ليجزى الذين آمنوا . . » : ٤) وفى موضع آخر قريب من سياقها آية : ٧ و ٨)

وفيها بيان : ان الايمان وصالح الاعمال هما قوام الحكم والجزاء عند الله تعالى لا الاموال والاولاد كما زعم المشركون ، وتقرير لشبهاتهم فى البعث والجزاء ودفعها ، ونقاشهم فى عقائدهم وأقوالهم وأعمالهم على طريق حكمة و موعظة و مجادلة حسنة . . . . وفيها فصول مناظرة بينهم وبين النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و إشارة إلى جهود الزعماء فى التعطيل والصد و إعتدادهم بالاموال والاولاد ، و تنويه بالمؤمنين المخلصين ، وإشارة إلى داود وسليمان عليهما السلام ، و ماكان من إسباغ الله تعالى نعمه عليهما وشكرهما إياه جل وعلا ، وإلى سبأ وماكان من رغدها و عدم شكرها ونقمة الله تعالى عليها .

و فيها صور لما كان عليه الموقف فى مكة بالنسبة للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين وزعماء الكفار وسوادهم ومعتدليهم ومتطرفيهم .

وفى جوارها تصح بعض القيم الأساسية المتعلقة بموضوعات العقيدة الرئيسة،

و في خلالها تسوق بعض القصص للعبرة والتسلية . وتوردعدة مشاهدة للقيامة ، و مافيها من تأنيب للمكذبين بها ، ومن صور العذاب الذى كانوا يكذبون به أو يشكون في وقوعه وتقول : « ولو ترى اذالظالمون موقوفون عند ربهم - هل تجزون الآ ما كانوا يعملون » : ٣١ - ٣٣)

وتتكرر هذه المشاهد، وتتوزع في السورة وتختم بها كذلك في آية: ٥١ و٥٤)

وعن قضية العلم الالهى الشامل يرد في مطلع السورة آية :٢) ويرد تعقيباً على التكذيب بمجيىء الساعة في آية : ٣) ويرد قرب ختام السورة آية : ٤٨) وفى موضوع التوحيد تبدأ السورة بـ« الحمدلله . . . » آية : ١) ويتحداهم مرات في شأن الشركاء الذين يدعونهم من دون الله سبحانه بقوله : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله - قل من يرزقكم من السموات والارض - قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء » آية : ٢٢ و٢٤ و٢٧) وتشير بآيات منها إلى عبادتهم للملائكة والجن ، و ذلك في مشهد من مشاهد القيامة في قوله تعالى : « ويوم يحشرهم جميعاً - إلى - أكثرهم بهم مؤمنون » آية : ٤٠ و٤١)

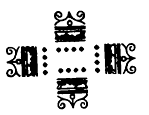
وتنفي ماكانوا يظنونه من شفاعة الملائكة لهم عندالله سبحانه في قوله : «ولا تنفع الشفاعة عنده . . . » آية : ٢٣) وبمناسبة عبادتهم للشياطين ترد قصة سليمان و تسخير الجن له ، وعجزهم عن معرفة موته في قوله : « فلما قضيناعليه الموت...» الاية :١٤).

وفي موضوع الوحي والرسالة ترد في آية : ٣١ و ٤٣) وترد عليهم بتقرير الوحي والرسالة في آية ٦و٢٨) ، وفي موضوع تقرير القيم ترد في آية ٣٤ - ٣٨) ثم ضرب على هذا أمثلة من الواقع التاريخي في هذه الارض قصة آل داود الشاكرين على نعم الله تعالى ، وقصة سبأ المتبطرين الذين لايشكرون ، وماوقع لهؤلاء وهؤلاء وفيه مصداق مشهود للوعد والوعيد من آية : ١٠ - ١٩)

ان تلك القضايا التى تعالجها السور المكية في صور شتى تعرض في كل سورة

فى مجال كونى مصحوبة بمؤثرات منوعة جديدة على القلب فى كل مرة ، ومجال عرضها فى سورة سبأ هذه هو ذلك المجال ممثلاً فى رقعة السموات والارض الفسيحة، وفى عالم الغيب المجهول المرهوب ،وفى ساحة الحشر الهائلة العظيمة ،وفى أعماق النفس المطوية اللطيفة ، وفى صحائف التاريخ المعلومة والمجهولة ، وفى مشاهد من ذلك التاريخ عجيبة غريبة ، و فى كل منها مؤثر موح للقلب البشرى موقظ له من الغفلة والضيق والهمود ، فافتتحت السورة على هذا الكون الهائل ، وعلى صحائفه ، وما فيها من آيات الله تعالى ، وعلى مجالى علمه اللطيف الشامل الدقيق الهائل .

وفى السورة تنبيه إلى النعم الالهية الظاهرة من الطعام والشراب والهواء والامن والعافية وما إليها مما يتكامل به الاجسام ، والباطنة من الرسالة والكتاب والدين التى يتكامل بها الارواح ، وإلى النعم السماوية النازلة والارضية النابتة والمستخرجة ، وإلى النعم الدنيوية والاخروية ، وإلى نعمة الايجاد والابقاء فلابد من الحمد للمنعم حمداً كثيراً .



«النزول»

سورة « سباء » مكية ، نزلت بعد سورة « لقمان » و قبل سورة «الزمر» و هي السورة الثامنة و الخمسون نزولاً ، و الرابعة و الثلاثون مصحفاً ، و تشتمل على أربع و خمسين آية ، سبقت عليها ٢٩٣٨/ آية نزولاً و ٣٦٠٦/ آيةمصحفاً على التحقيق . قيل : ان آية ٦ نزلت بالمدينة .

ومشتملة على ٨٨٣/ كلمة ، وعلى ١٥١٢/ حرفاً ، وقيل : ٣٥١٢/ حرفاً، و قيل : ٤٥١٢/ حرفاً .

وقيل : سميت هذهالسورة بـ« سباء » لتضمنقصتها التي تدور عليها السورة من النعم الالهية التي أنعمها الله تعالى على الانسان ، وهي تبقى بالحمد والشكر كما أن سليمان أدامها بالحمد حتى مات ، و هي تزول بالكفران كما ان سبأ أزالها عنهم بالكفر.

في تفسير فتح القدير: عن أبي رزين قال : كان رجلان شريكين خرج أحدهما إلى الساحل ، و بقي الآخر، فلما بعثالله النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتب إلى صاحبه يسئله مافعل ؟ فكتب إليه انهلم يتبعه أحدمنقريش الا رذالة الناس ومساكينهم، فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال : دلني عليه و كان يقرأ الكتب ، فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

إلى ما تدعوا ؟ قال : إلى كذا و كذا قال : أشهد انك رسول الله قال : وما علمك بذلك ؟ قال : انه لم يبعث نبي الا اتبعه رذالة الناس و مساكينهم فنزلت

هذه الاية : « وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها » الايات . . . فأرسل إليه النبى ﷺ ان الله قد أنزل تصديق ما قلت .

رواه السيوطى فى أسباب النزول عن إبن رزين وفيه «الشام» بدل «الساحل» و « ما عمل » بدل « ما فعل » .

وفى أسباب النزول : أخرج ابن أبى حاتم عن على بن رباح قال : حدثنى فلان ان فروة بن مسيك الغطفانى قدم على رسول الله ﷺ فقال : يا نبى الله إن سبأ قوم كان لهم فى الجاهلية عز ، و انى أخشى أن يرتدوا عن الاسلام ،أفا قاتلهم ؟ فقال : ما امرت فيهم بشىء بعد ، فأنزلت هذه الاية : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم » الايات . . .

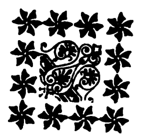
و فى تفسير القمى : باسناده عن ابن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام قال : لما أمر الله نبيه ﷺ أن ينصب أمير المؤمنين عليه السلام للناس فى قوله : « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك » فى على بغدير خم ، فقال : من كنت مولاه فعلى مولاه فجائت الأبالسة إلى ابليس الاكبر .

وحثوا التراب على وجوههم ، فقال لهم ابليس : ما لكم ؟ قالوا : ان هذا الرجل قد عقد اليوم عقدة لايحلها شىء إلى يوم القيامة فقال لهم ابليس: كلا ان الذين حوله قد وعدونى فيه عدة لن يخلفونى ، فأنزل الله على رسوله : « و لقد صدق عليهم ابليس ظنه . . » الاية .

و فيه : عن زيد الشحام ، قال : دخل قتادة بن دعامة على أبى جعفر عليه السلام و سئله عن قوله عزوجل : « و لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين » قال : لما أمر الله نبيه أن ينصب أمير المؤمنين عليه السلام للناس و هو قوله : « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك » فى على «و ان لم تفعل فما بلغت رسالته » أخذ رسول الله ﷺ بيد على عليه السلام يوم غديرخم ، وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه حثت الأبالسة التراب على رؤسها ، فقال لهم ابليس الاكبر؟ ما لكم؟

قالوا: قد عقد هذا الرجل اليوم عقدة لا يحلها انسي إلى يوم القيامة، فقال لهم ابليس: كلا ان الذي حوله قد وعدوني فيه عدة و لن يخلفوني ، فأنزل الله سبحانه هذه الاية : « و لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين» يعني شيعة أمير المؤمنين عليه السلام .

و في رواية : عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الاية : « وأنذر عشيرتك الاقربين » خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى صعد الصفا فهتف : يا صباحاه ؟ فقالوا : من هذا الذي يهتف !؟ قالوا : محمد ، فاجتمعوا إليه فقال : «يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبدمناف يا بني عبدالمطلب - فاجتمعوا إليه فقال - أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي » ؟ قالوا : ماجربنا عليك كذباً قال : « فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » قال : فقال ابولهب : تباً لك ! أما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قال : فأنزل الله تعالى : « تبت يدا أبي لهب وتب » .



﴿ القراءة ﴾

قرأ أبوجعفر و نافع و ابن‌عامر و ابن كثير « عالم الغيب » بالرفع على الابتداء، فخبره : « لايعزب » أو على الخبر لمحذوف أى هو عالم الغيب ، وقرأ عاصم و أبو عمرو بالجر على الوصف من « لله » أى الحمدلله عالم الغيب ، و نعت من «ربى» أو بدل منه ، وقرأ حمزة و تبعه الكسائى « علام الغيب » على المبالغة والنعت . وقرأ إبن كثير و أبوعمرو «معجزين» بالتشديد ، والباقون «معاجزين» بالالف من باب المفاعلة ، و قرأ حفص و ابن كثير « أليم » بالرفع على الوصف من « عذاب » و قرأ الباقون بالجر على الوصف من « رجز » لانه بمعنى عذاب لقوله تعالى : « لئن كشفت عن الرجز » .

وقرأ حمزة « يشاء » و « يخسف » و « يسقط » كلها على الغيبة ، والباقون بالنون للتكلم مع الغير، وقرأ حفص « كسفاً » بفتح السين ، والباقون بسكونها، وقرأ ابن كثير «كالجوابى» بالياء وقفاً و وصلاً ، ووافقه أبوعمرو وصلاً والباقون بحذف الياء مطلقاً ، و قرأ حمزة « عبادى الشكور » بسكون الياء ، والباقون بفتحها ، و قرأ نافع و أبو عمرو و أبوجعفر « منساته » بابدال الهمزة الساكنة ، و قرأ ابن عامر بهمزة ساكنة ، والباقون « منسأته » بهمزة مفتوحة .

وقرأ أبوعمرو و ابن كثير « لسباء » بفتح الهمزة غيرمنصرف لكونه اسماً لقبيلة ، والباقون بالصرف والتنوين على أنه إسم حيّ وهو فى الاصل إسم رجل . و قرأ حمزة و حفص « مسكنهم » بالافراد و فتح الكاف على تقدير : فى مواضع

سكناهم ، فلماجعل المسكن مصدراً كالسكنى والسكون افرد كما يفرد المصدر ، و ان كان « مسكن » اسم مكان و لذلك فتحت الكاف . و قرأ الباقون «مساكنهم» على الجمع إذ لكل ساكن مسكن ، قرأ أبو عمرو « اكل خمط » بضم الكاف والاضافة ، والاخرون بسكونها والتنوين بدون الاضافة .

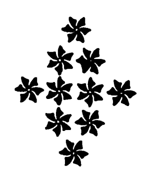
وقرأ حمزة وحفص «هل نجازى» بضم النون و كسر الزاءِ و « الاّ الكفور » بالنصب ، و قرأ الباقون «يجازى» بالغيبة و ضم الياء و فتح الزاء مبنياً للمفعول و رفع « الكفور » و قرأ إبن كثير و أبو عمرو « بعّد » على الامر من التبعيد ، والباقون « باعد » على الامر من باب المفاعلة ، و هو قراءة الامام محمدبن على الباقر عليه‌السلام و إبن عباس ، و قرأ عاصم و حمزة « صدّق » بتشديد الدال من باب التفعيل ، و « ظنه » على النصب بوقوع الفعل عليه ، والباقون بتخفيف الدال ثلاثياً و « ظنه » بالرفع أى فى ظنه أو صدق يظن ظناً .

وقرأ حمزة و أبوعمرو « اذن له » مبنياً للمفعول ، والباقون مبنياً للفاعل لذكر «الله» تعالى أوّلاً، وقرأ ابن عامر «فزع» مبنياً للفاعل والباقون للمفعول ، و قرأ ابن عامر « جزاء » بالنصب و « الضعف » بالرفع ، أى فاولئك لهم الضعف جزاء على التقديم والتأخير ، والباقون « جزاء » بالرفع ، و « الضعف » بالجر للاضافة من إضافته إلى المفعول .

و قرأ حمزة « فى الغرفة » إفراداً لقوله تعالى : « اولئك يجزون الغرفة » والغرفة قد يراد بها إسم الجمع و إسم الجنس ، و قرأ الباقون « فى الغرفات » على الجمع . و قرأ حفص « يحشرهم » و « يقول » على الغيبة ، والباقون بنون التكلم مع الغير .

و قرأ أبوجعفر و نافع و إبن‌عامر و أبوعمرو و حفص « إن أجرى » بفتح الياءِ ، والباقون بسكونها، وقرأ حمزة « الغيوب » بكسر الغين والباقون بضمّها .

و قرأ أبو جعفر و نافع و أبو عمرو « ربى انه » بفتح الياء والباقون بسكونها .
و قرأ حمزة و أبو عمرو و عاصم « لهم التناؤش » بالهمزة بعد الالف بالمد ،
والباقون « التناوش » بالواو المحضة بعد الالف من غير مدّ من باب التفاعل .
و قرأ ابن عامر « حيل » بضم الحاء و كسر الياء والباقون بكسر الحاء .



﴿الوقف والوصل﴾

« فى الاخرة ط » لتمام الكلام السابق ، و استيناف التالى ، و « فيها ط » لما تقدم و « الساعة ط » لمن قرأ « عالم » بالرفع أى هو عالم ، ومن خفض جعله نعتاً ا « ربى » فلم يقف ، و « لتأتينكم لا » للوصف التالى ، و « عالم الغيب ج » لان قوله : « لايعزب » يصلح حالاً و إستينافاً ، و « مبين لا » لتعلق اللام التالية ، و « الصالحات ط » لاستيناف التالى ، و « أليم ق » أى قال بعض العلماء بالوقف ، و « الحق لا » لان قوله : « و يهدى » عطف على المعنى أى يحق قوله و يهدى و « ممزق لا » لان ما بعده فى حكم المفعول لانه مفعول ثان ا « ينبئكم » وانما كسرت لدخول اللام فى خبرها ، و « جديد ج » للاية و إتحاد المقول .

و « جنة ط » لتمام الاستفهام ، و ابتداء التالى بالجواب ، و « الارض ط » لتمام الكلام و ابتداء التالى بالشرط ، و « السماء ط » لتمام الشرط و استيناف التالى ، و « منيب ع » علامة انتهاء الركوع وهو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن الكريم فى عامين ، و « فضلا ط » لابتداء التالى بالنداء ، و « الطير ج » لان ما يتلوه يصلح حالاً و استينافاً ، و « الحديد لا ى » لتعلق « أن » التالى و « ى » علامة العشر ، و توضع عند انتهاء عشر آيات ، و « صالحاً ط » لاستيناف التالى ، و « شهر ج » لان قوله : « و أسلنا » عطف على محذوف أى و سخرنا لسليمان الريح ، و «القطر ط» لتمام الكلام ، و «ربه ط» لابتداء التالى بالشرط . و « راسيات ط » لابتداءِ التالى بالامر ، و « شكراً ط » لتمام الامر ، و استيناف

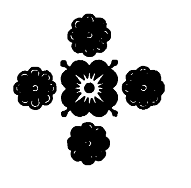
التالى بالاخبار ، و « منسأته ج » لتمام السابق و تفريع اللاحق ، و « آية ج » لاحتمال أن يكون التقدير: هي جنتان وأن يكون بدلاً من «آية» و «شمال ط» لتمام الاخبار و استيناف التالى بالامر، و « له ط » لتمام الامر و استيناف التالى أى لكم بلدة ، و « كفروا ط » لابتداء التالى بالاستفهام ، و « السير ط » لتمام الاخبار ، و « ممزق ط » لتمام السابق و ابتداء اللاحق ، و « المؤمنين ى » و « فى شك ط » لتمام الكلام ، و « حفيظ ع » و « من دون الله ج » لاحتمال الجملة التالية حالاً و استينافاً و «له ط» لتمام الكلام ، و « ماذا لا » لجواب الاستفهام ، و « الحق ج » لاحتمال التالى عطفاً و استينافاً ، و « قل الله لا » لاتصال المقول ، و « بالحق ط » لتمام الكلام ، و « كلا ط » لاستيناف التالى .

و « تستقدمون ى ع » و «يديه ط» لابتداءِ التالى بالشرط ، و «عند ربهم ج» لان ما بعده يصلح حالاً و استينافاً ، و « القول ج » لمثل ذلك ، و « أنداداً ط » لتمام الكلام ، و « العذاب ط » لماسبق، و « كفروا ط» لابتداءِ التالى بالاستفهام ، و « مترفوها لا » لمقول القول ، و « اولاداً لا » للعطف ، و « لا يعلمون ع » و « صالحاً ز » لان اولئك مبتداء مع الفاءِ و « يقدر له ط » لاستيناف التالى ، و « يخلفه ج » لعطف الجملتين المختلفتين و « يعبدون ى » و « من دونهم ج » لتنويع الكلام مع اتحاد المقول ، و « الجن ج » لذلك ، و « ضراً ط » لابتداءِ التالى، و «آباؤكم ج» للعطف مع طول الكلام والتكرار ، و « مفترى ط » لتمام المقول ، و «لماجاءهم لا» لمقول القول ، و « من نذير ط » للآية واستيناف التالى .

و « من قبلهم لا » للحال التالية ، و « رسلى قف » فيستحب الوقف من غير حرج فى الوصل و « نكير ع » و « بواحدة ج » لان ما بعده بدل أو خبر أى هى أن تقوموا ، و « ثم تتفكروا قف » لما سبق، و «من جنة ط» لابتداءِ التالى بالنفى، و « لكم ط » لما تقدم ، و « على الله ج » لاحتمال التالى يصلح حالاً و استينافاً ، و « بالحق ج » لاحتمال ان ما بعده بدل من الضمير فى « تقذف » أو خبر أى هو ،

و « على نفسى ج » لعطف جملتى الشرط .

و « ربى ط » لاستيناف التالى ، و « قريب ى » و « مكان قريب لا » للعطف و « آمنا به ج » لاحتمال جملة الاستفهامية مبتداء بها أو حالاً . و « بعيد ج » لاحتمال الاستيناف والحال بعده ، والعامل معنى الفعل فى التناوش ، و «من قبل ج» للعطف على « كفروا» بناء على أنه حال ماضية ، أو للاستيناف أى وهم يقذفون ، و « من قبل ط » لاستيناف التالى .



﴿ اللغة ﴾

٣٦ - العزب - ١٠٠١

عزب فلان عن الشيء يعزب عزوباً - من باب ضرب و نصر - : بعد وغاب عنه وخفي عليه . ويقال : عزب عن الرجل حلمه : غاب و ذهب . و عزّب الرجل تعزيباً : أطال غيبته و أهمل ما ابتدأ به . و كل مافات حتى لايقدر عليه قد عزب عنك .

قال الله تعالى : « لايعزب عنه مثقال ذرة » سباء : ٣) أي لايغيب عن علمه شيء ولا يذهب عن علمه شيء ، ولايخفى عليه شيء من أعمال عباده . قال الامام جعفربن محمد عليه السلام في قوله تعالى : « لايعزب » أي بالاحاطة و العلم لابالذات وإذا كان بالذات لزمها الحواية .

من الحسّيّ : العازب من الكلاء : البعيد المطلب ، وأعزب القوم : أصابوا عازباً من الكلاء . العزوبة : الارض البعيدة المضرب إلى الكلاء . و في حديث ام معبد : « و الشاء عازب حيال » أي بعيدة المرعى لاتأوى إلى المنزل في الليل و لاتحمل . و منه الحديث : « انه بعث بعثاً فاصبحوا بأرض عزوبة بجراء » أي بارض بعيدة المرعى قليلته . ومن المعنوي قولهم للمتفرد بلاأهل : عزب . وهي عزب أيضاً و عزبة . و تعزّب : ترك الدخول بأهله بعد التأهل . و العزبة : التي لازوج لها أصلاً و التي تركت زوجها بالنشوز .

في فروع الكافي : باسناده عن محمد الاصم عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : رذال موتاكم العزاب .

و فيه : باسناده عن أبى القداح قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ركعتان يصليهما المتزوج أفضل من سبعين ركعة يصليها أعزب .

و يقال : أعزب ثم أعزب على الامر أى أبعد نفسك عن الامر ثم أبعد . ويقال: فلان عزب طهر المرأة : غاب عنها . و فى رواية : « من قرأ القرآن فى أربعين ليلة فقد أعزب » اى بعد عهده بما ابتدأ منه و أبطأ فى تلاوته . والجمع : أعزاب و عزّاب من الرجال والنساء . و الاسم : العزبة و العزوبة والعزب : إسم للجمع كخادم و خدم .

المعزابة : من لا أهل له من الرجال والنساء . والمعزابة : الرجل يعزب بماشيته عن الناس فى المرعى . و المعزابة : الذى طالت عزوبته حتى ماله فى الاهل من حاجة .

٢٩ - المزق - ١٤٢٧

مزق الشيء يمزقه مزقاً و مزقة - من باب ضرب - : شقه . المزق : خرق الشيء . ويقال منه : ثوب ممزوق و مزيق ومتمزق وممزّق إذا صار قطعاً بالياً. و مزق الطائر بسلحه : رمى بذرقه .

و مزّق الشيء تمزيقاً : شقه . و مزّق الثوب : شقه . و من هذا : مزّق الميت : فرّق جسده و صار تراباً و حطاماً بفعل البلى .

قال الله تعالى : « اذا مزقتم كل ممزّق انكم لفى خلق جديد » سباء : ٧)
و يقال : مزّق القوم : فرّقهم فى البلاد بعد أن كانوا جميعاً كأنما شقّ اجتماعهم قال الله تعالى : « فجعلنا هم أحاديث ومزقناهم كل ممزّق » سباء:١٩)
أى فرّقهم الله تعالى فى كل وجه من البلاد .

الممزق : مصدر ميمى بمعنى التمزيق . و تمزيق الشيء : تقطيع أو صاله

و جعله قطعاً قطعاً صغيرة لايمكن أن توصل . والمزقة ـ بكسر الميم ـ : القطعة من الثوب و غيره . و مزّق عرض أخيه : طعن فيه ، فهو مزق ، جمعه : مزقون كقوله : « أتاني انهم مزقون عرضي » و مزّق ملكه : أذهب أثره . و في حديث كتابه ﷺ إلى كسرى : « لما مزّقه دعا عليهم أن يمزّقوا كل ممزّق » وأراد بتمزيقهم تفرّقهم و زوال ملكهم و قطع دابرهم .

المزاق ـ بكسر الميم ـ : الناقة السريعة جداً و كذلك الفرس . مازقه ممازقة : سابقه في العدو . إنمزق : انخرق

٣٤ ـ السرد ـ ٦٩٣

سرد الأديم يسرده سرداً و سراداً ـ من باب نصر ـ : خرزه وثقبه بالمخرز على التتابع والاتساق . والسرد : إتباع الشيء بالشيء من جنسه . ويقال للدرع: مسرودة لانه توبع فيها الحلق بالحلق قال الشاعر:

و عليهما مسرودتان قضاهما		داود أو صنع السوابغ تبع

السرد : نسج الدروع قال الله تعالى : « و قدر في السرد » أي كن حكيماً في نسج الدروع بحيث تتناسب مساميرها وثقوبها فلاتتقلقل ولاتنفصم . فلاتجعل مسمار الدرع رقيقاً فيغلق ولاغليظاً ، فيفصم حلق الدرع . و يقال لصانع ذلك : سرّاد . و يقال : زراد بتبدّل السين زاء كما يقال : سراط و زراط أيضاً . و سرد القرآن إذا حدر فيه والكلام اذا تابعه مستعجلاً فيه . وسرد الحديث والقراءة: أجاد سياقهما و أتى بهما على ولاء . وسرد الصوم : تابعه ومنه : « إذا كان لايقدر على سرده فرقه »

السرد : اسم جامع للدروع و سائر الحلق لانه مسرّد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار يقال : جاؤا وعليهم السرد اي الحلق . السارد : الخرّاز المسرودة: الدرع المثقوبة . و تسرّد الدر : تتابع في النظام . و يقال : تسرّد دمعه كما

يتسرّد اللؤلؤ .

و قيل لأعرابى : أتعرف الاشهرالحرم ؟ فقال : نعم ، ثلاثة سرد ، و واحد فرد . فالسرد : ذو القعدة و ذو الحجة والمحرم ، والفرد : رجب . و قيل للاولى: سرد لتتابعها . و نجوم سرد :متتابعة . ماش متسرّد : يتابع خطاه فى مشيه .

السرندى : السريع فى اموره و الشديد . و الجسرىء . و السرندى : اسم رجل . و إسرنداه : علاه وغلبه . والمسرندى : الذى يعلوك ويغلبك . والمسرد: النعل المخصوفة اللسان .

فى المفردات : السرد : خرز مايخشن ويغلظ كنسج الدرع ، وخرزالجلد و استعيرلنظم الحديد .

وفى المجمع : السرد : نسج حلق الدرع .

وفى اللسان : السرد فى اللغة : تقدمة شىء إلى شىء تأتى به متسقاًبعضه فى أثر بعض متتابعاً و فى قوله تعالى : « و قدر فى السرد » قيل : هو أن لايجعل المسمار غليظاً و الثقب دقيقاً فيفصم الحلق ، و لايجعل المسمار دقيقاً و الثقب واسعاً فيتقلقل أو ينخلع أو يتقصف اجعله على القصد و قدر الحاجة .

١٠٨ - السيل - ٧٦٧

سال المائع يسيل سيلاً وسيلاناً - من باب ضرب نحو باع - : جرى .

السيل : مصدر جعل إسماً للماءِ الكثيرالذى يجرى على الارض .

قال الله تعالى : « فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم » سباء : ١٦)

و قال : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » الرعد : ١٧)

إسناد السيلان إلى الأودية مجاز أى سالت مياه أودية . ماء سيل : سائل وضعوا المصدر موضع الصفة . وجمع السيل : سيول : السيلة - بالكسر- :جرية الماء .ومنه : « سالت عيناه » **السيّال : الشديد السيل وهى سيّالة . أسال المائع:**

جعله يسيل ، و سيّله : أجراه . و أسال الجامد : أذابه .

قال الله تعالى : « و أسلنا له عين القطر » سباء : ۱۲) أى أذ بناله .الاسالة في الحقيقة حالة فى القطـر تحصل بعد الاذابة . و السيلان : الممتد من الحديد الداخل من النصاب فى المقبض .

مسيل الماء : موضع سيله جمعه : مسايل . و السوائل : نقيض الجوامد .

تقول العـرب : « سال بهم السيل و جاش بنا البحر » أى وقعوا فى أمـر شديد ، و نحن فى أشد منه .

وسالت الغرة : استطالت و عرضت . و فـى حديث وصفه صلى الله عليه وآله وسلم : « سايل الاطراف » أى طويل الأصابع ممتدّها .

السيلان ـ بالكسر ـ : سنخ قائمة السيف والسكين و نحوهما .

۳۸ ـ الجفان ـ ۲۵۴

جفن نفسه عن الشيء الدنيء يجفن جفناً ـ من باب نصر ـ : ظلفها ومنعها عنه.

و يقال : جفن فلان نفسـه عن الخبائث و المدانس : منعها عنها . و جفن الناقة : نحرها و أطعم لحمها في الجفان والجفان: قصاع كبار يطعم فيها .

الجفنة : كالقصعة وزناً و معنى ، و تجمع على جفان و جفون و أجفان و أجفن و جفنات . و الجفنة خصّت بوعاء الاطعمة .

قال الله تعالى : « يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب» سباء : ۱۳) وفى الحديث : « انه قيل له : أنت كذا و كذا وأنت الجفنة الغراء» أى الطعام . و كانت العرب تدعو السيد المطعام جفنة لانه يضعها و يطعم الناس فيها ، فسمى باسمها ، و الغراء : البيضاء أى انها مملؤة بالشحم و الدهن .

و تقول العرب : « أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تشبع العشرة ثم الصفحة تشبع الخمسة ».

الجفن : غطاء العين من أعلى و أسفل . والجفن : غمدالسيف . وفيحديث الخوارج : « سلّوا سيوفكم من جفونها » أي أغمادها . و الجفن : أصل الكرم أو قضبانه وسمى الكرم جفناً تصوراً انه و عاء العنب . والجفن : ضرب من العنب ، و شجرطيب الريح . و جفن الجروز : اتخذ منها طعاماً .

وقيل للبئرالصغيرة : جفنة تشبيهاً بها . و الجفين : كثرة الجماع وأجفن: اذا أكثرالجماع .

٣ ـ سباء ـ ٦٦٢

سباء الخمر يسبؤها سبأ وسباءاً ومسبئاً ـ من باب منع ـ : شراها ليشربها، فاذا شراها وحملها إلى بلد آخر قيل : سباها بلاهمز و لايقال ذلك إلاّ في الخمر.

وفي وصفه عليه السلام : « لم يستحل السبأ » و هو بالكسر والمد : الاسم : السباء على وزن فعال ـ بكسر الفاء ـ و منه سميت الخمر سبيئة .

سبأ ـ بفتح السين ـ : إسم بلد تفرّق أهله قال الله تعالى : « وجئتك من سبـأ بنباء يقين » النمل : ٢٢) و قال : « لقـد كان لسباء فـي مسكنهم آية » سبأ : ١٥)

سبأ أبوعرب قبائل اليمن كلها ، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ثم سميت مدينة مأرب المسماة بمازن سبأ ، وهي قرب اليمن ، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال . ويقال : ان سبأ مدينة بلقيس باليمن وهي ملكة سبأ . وقيل: إسم سبأ عبد الشمس ، فلما أكثروا الغزو و السبى سمى سبأ . و هو يصرف على القياس ولايصرف لوزن الفعل ، فمن جعله إسماً للقبيلة لم يصرفه ، و من جعله إسماً للحى أو للأب الاكبر صرفه .

و يقال : « تفرّق القوم أيـدى سبا و أيادى سبا » بابدال الهمـزة ألفاً أي تبدّدوا تبدّداً لا اجتماع بعـده . و ذلك لان الله تعالـى أرسل على تلك الارض

السيل ، فأغرقها و أذهب جناتها ، فانتزح سبأ وقومه و تبدّدوا في البلاد ، فضرب بهم المثل للفرقة والمتفرقين . و في هذا المعنى يقال : لعبت بالقوم أيدى سبا أى تشتتوا في كل مكان . و يقال : ذهبوا أيادى سبأ أى تفرّقوا تفرّق أهل هذا المكان من كل جانب . فشبهوا بأهل سبأ لما مزّقهم الله تعالى في الارض كل ممزق ، فأخذ كل طائفة منهم طريقاً على حدة . و اليد : الطريق . يقال : أخذ القوم يدبحر فقيل للقوم إذا تفرّقوا في جهات مختلفة : ذهبوا أيدى سبأ . أى فرقتهم طرقهم التى سلكوها كما تفرّق أهل سبأ في مذاهب شتى . و ان أيدى سبأ و أيادى سبا : إسمان جعلا واحداً كمعدى كرب .

وسباالجلد : سلخه ، و سبا الجلد بالنار : أحرقه ، و سبا الرجل: جلده ، و سبت الشمس جلد الانسان : غيّرته . و سبىء الحية : سلخها . والسابياء : جلد فيه الولد و هو المشيمة التى تخرج مع الولد . و قيل : هى جليدة رقيقة على أنفه إن لم تكشف عند الولادة مات . أسبأ لأمر الله تعالى : خضع ، و على الشر : انقاد قلبه إليه .

السباء ـ بالضم ـ : السفرالبعيد يقال: اريد سبأة أى سفراً بعيداً. المسبأ : الطريق في الجبل . السابياء : المال الكثير مجازاً . و قيل : النتاج نفسه لأن الشيء قديسمى بما يكون منه .

والسبائية والسبئية من الغلاة الذين ينسبون إلى عبدالله بن سبأ .

السبّاء : بيّاع الخمر .

في النهاية : فيحديث عمر بن الخطاب : « انه دعا بالجفان فسبأ الشراب فيها » قال أبو موسى : المعنى في الحديث فيما قيل : جمعها و خبأها .

٣٣ ـ العرم ـ ٩٩٨

عرم يعرم عرمة و عراماً ـ بالضم ـ من باب نصر وضرب و علم و كرم ـ :

اشتدّ و فارق القصد ، و خرج عن الحدّ . و منه حديث الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام : « على حين فترة من الرسل و اعترام من الفتن » أي إشتداد .

والعرم المضاف إليه السيل في القرآن الكريم : إما السيل الشديد الذى لايطاق ، و إما المطر الشديد ، و إما السدّ يعترض دون الوادى جمع لا واحد له أو واحدته العرمة ـ نحو الكلم والكلمة ـ و إما ان العرم إسم واد بعينه .

قال الله تعالى : « فارسلنا عليهم سيل العرم » سباء : ١٦) .

و عرم العظم عرماً : نزع ما عليه من لحم ، و عرم الصبي امه : رضعها ، و عرم الابل الشجر : نالت منه ، وعرم فلاناً: أصابه بشراسة و أذى . و عرّم الشيء تعريماً : خلطه . وأعرمه : جنى عليه ما لم يجنه ، و عرم علينا : أشر و مرح . و اعترمت الفرس : سطت و مالت .

من الحسى : ليل عارم : نهاية في البرد و كذلك يوم عارم . والعرام ـ بالضم ـ من الجيش: حدّتهم وشدتهم و كثرتهم . العرام : الشدة والقوة والشراسة . والعرم ـ بالفتح ثم السكون ـ : الدسم و بقية القدر و ـ بالضم ثم السكون ـ : بيض القطا و ـ بالفتحتين ـ : سواد مختلط ببياض في أيّ شيء كان و ـ بالفتح ثم الكسر ـ الجاهل والشرس المؤذى . و في حديث عاقر الناقة : « فإنبعث لها رجل عارم » أى خبيث شرّير .

العرماء : الحية الرقشاء ، والقطيع من ضأن و معزى . والعرمة ـ بالفتح ثم الكسر ـ : سدّ يعترض به الوادى جمعها : عرم مثل كلمة و كلم . و قيل : عرم نحو كلم جمع بلاواحد . و واد العريم : الداهية جمعها: عرمان . والأعرم : المتلون . و في حديث معاذ : « انه ضحّى بكبش أعرم » هو الابيض الذى فيه نقط سود والانثى عرماء . والعرمان : المزارع . . .

في المفردات : العرامة : شراسة و صعوبة في الخلق وتظهر بالفعل ، يقال: عرم فلان فهو عارم ، و عرم تخلّق بذلك و منه عرام الجيش .

۵۷ - الخمط - ۲۴۵

خمط اللبن يخمط خمطاًوخموطاً ـ من باب ضرب و نصر و علم ـ : طابت ريحه و تغيّرت ضدّ ، فهو خامط أى طيب الريح متغيّر ضدّ .

و خمط اللحم : شواه ولم ينضجه . و خمط الجدى : سلخه فشواه . وخمط الرجل: تكبّر و غضب ، وتخمّطالفحل: هدر ، وتخمّطالبحر: التطم واضطرب، و يقال للبحر اذ التطمت أمواجه : انه لخمط الامواج ... و تخمّط نابالبعير: ظهر و ارتفع . المتخمّط : المتكبّر والقهّار والغلّاب والشديدالغضب له جلبة من شدة غضبه .

قالالله‌تعالى: « وبدلناهم بجنتيهمجنتين‌ذواتى اكلخمط وأثل » سبأ: ۱۶) أى ثمر بشع الطعم ، و قيل : ثمر الاراك و هو البرير ، و قيل : شجرله شوك ، و قيل : شجر قاتل أو سمّ قاتل ، وقيل : الخمط : الحمل القليل من كل شجرة ، والخمط شجر مثل السدر و حمله كالتوت .

الخمط : كل نبت قد اخذ طعماً من المرارة أو الحموضة حتى لا يمكن أكله و لا تعافه النفس . و قيل : شجرة مرّة ذات شوك . و قيل : شجر لاشوك له ، و قيل : هو شجر الاراك له حمل يؤكل . و قيل : ثمرة شجرة على صورة الخشخاش لا ينتفع بها . الخمطة : ريح نور العنب و شبهه . والخمطة : الخمر التى اخذت ريحاً . والخمطة : اللوم والكلام القبيح .

ارضخمطة: طيبة الريح ، الخمّاط : الشوّاء . الخميط : الجدى المسلوخ المشوى ، فان نزع شعره فشوى فسميط يقال : « أطعمنا يوماً خميطاً و يوماً سميطاً » و قيل : الخمط بالنار والسمط بالماء .

و فى النهاية : فىحديث رفاعةبن‌رافع قال: «الماء منالماء فتخمّطعمر» أى غضب .

١١ - الاثل - ١١

أثل يأثل أثولاً و أثالة و أثلاً - من باب ضرب - : تأصّل . و أثّل ماله تأثيلاً : أصّله و كثر و أثّل ملكه : عظّمه و ثبّته ، و أثّل أهله : كساهم أحسن كسوة . و تأثّل : تأصّل ، و تأثّل الشيء : تجمّع ، و تأثّل المال : اكتسبه و ثمره ، و تأثّل البئر : حفرها لنفسه ، و أثّل الله ماله : زكّاه .

الأثل: شجر طويل مستقيم الخشب أغصانه كثيرة التعقد و ورقه دقيق وثمره حبّ أحمر لايؤكل ، والأثل : شجر ثابت الأصل و شجر متأثّل : ثابت ثبوته . و تأثّل كذا : ثبت ثبوته .

قال الله تعالى : « و بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط و أثل » سباء : ١٦) و فى الحديث : « ان منبر رسول الله ﷺ كان من أثل الغابة » الأثل : شجر شبيه بالطرفاء إلاّ انه أعظم منه. والغابة غيضة ذات شجر كبير وهى على تسعة أميال من المدينة . الاثل : العرض ، يقال : نحتّ أثلة فلان : اذ اعابه و تنقّصه .

الأثال - بالفتح كسحاب - : المجد و - بالضم كغراب - : إسم جبل ، تقول : له أثال كأنه اثال أى مجد كأنه جبل . مجد مؤثّل و أثيل : أصيل .

يقال : لفلان أثلة مال أى أصل وجمعه إثال ، و فى حديث مال اليتيم : « فليأكل منه غير متأثل مالاً » أى غير جامع . و قول رسول الله ﷺ فى الوصى: « غير متأثّل مالاً » أى غير مقتن له و مدّخر . فاستعار التأثل له ، وعنه استعير: نحتّ أثلته إذا اغتبته .

١٠٣ - التناوش - ١٥٧٨

ناش المال ينوشه نوشاً - من باب نصر نحو قال - : اذا تناوله و طلبه و

أخذه بسهل لا شاق فيه .

النوش : التناول السهل لشيء قريب ، يقال للرجل اذا تناول رجلا ليأخذ برأسه و لحيته : ناشه نوشاً . و في حديث الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام و قد سئل عن الوصية فقال : « الوصية نوش بالمعروف » أي يتناول الموصى الموصى له بشيء من غير أن يجحف بماله .

التناوش : تناول سهل لشيء قريب . و تناوش القوم كذا : تناولوه .

قال الله تعالى : « و أنى لهم التناوش من مكان بعيد » سباء : ٥٢) أي من أين لهم أن يتناولوا الايمان و قد بعد عنهم بكفرهم و تمردهم من قبل ، فذهب وقت الايمان ، و قيل : فيه إشارة إلى قوله تعالى : « يوم لاينفع نفساً ايمانها » .

التناوش : الرجوع ، والمناوشة : المناولة من قرب ، والمناوشة في القتال: تداني الفريقين و أخذ بعضهم بعضاً بالسلاح . ومنه حديث قيس بن عاصم : « كنت انا وشهم واها وشهم في الجاهلية » و يقال : و قد تناوش القوم في القتال : اذا تناول بعضهم بعضاً بالرماح و لم يتدانوا كل التداني .

تنوش الناقة الحوض بفيها : تناول ملأه . وقيل: أي تتناول الحوض من فوق و تشرب شرباً كثيراً ، وتقطع بذلك الشرب فلوات من غير حاجة إلى ماء آخر .

النوش : الطلب ، والنوش : المشي ، والنوش : الاسراع في النهوض . يقال: ناشت الابل تنوش : اذا أسرعت النهوض . والنووش : القوي ذوالبطش .

انتاش الدين: إستدركه و استنقذه و تناوله ، و يقال : إنتاشه من الهلكة : أي أنقذه منها .

«النحو»

١ - (الحمد لله الذى له ما فى السموات و ما فى الارض و له الحمد فى الاخرة و هو الحكيم الخبير)

« الحمد » مبتداء واللام فيه للاستغراق ، و يحتمل الجنس ، و « لله » مجرور بلام الملك والاختصاص التى تسمى بلام التحقيق ، متعلق بمحذوف وهو الخبر أى واجب و ثابت . و قيل : اللام هنا للمبدأ والمنتهى و لذلك كررت . و « الذى » موصول فى موضع جرّ على النعت أو البدل من « لله » و يحتمل أن يكون فى موضع نصب على الاختصاص ، و أن يكون فى موضع رفع على تقدير المبتداء أى هو الذى .

و « له » متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و « ما » موصولة فى موضع رفع ، مبتداء مؤخر والجملة صلة لـ « الذى » و « فى السموات » متعلق بمحذوف ، وهو صلة لـ « ما » « و ما فى الارض » عطف على « ما فى السموات » و فى تعلق « له » وجوه : أحدها - متعلق بمحذوف، خبر مقدم و «الحمد» مبتداء مؤخر . ثانيها - متعلق بنفس « الحمد » ثالثها - متعلق بما تعلّق به خبر « الحمد » اعنى « فى الاخرة » أى استقر أو مستقر أو نحوهما . و « فى الاخرة » أيضاً وجوه : أحدها - أن يكون ظرفاً ، والعامل فيه « الحمد » ثانيها - أن يكون العامل فيه الظرف أعنى « له » ثالثها - أن يكون فى موضع نصب ، حالاً من « الحمد » والعامل فيه الظرف اعنى « له » .

«و هو» الواو للاستيناف و «هو» مبتداء و «الحكيم» خبره و «الخبير» خبر بعد خبر.

٢ - (يعلم ما يلج في الارض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء وما يعرج فيها و هو الرحيم الغفور)

في «يعلم» وجهان: أحدهما- مستأنف فلاموضع له من الاعراب. ثانيهما- في موضع نصب على الحال المؤكدة من إسم «الله». و «ما» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و «يلج» فعل مضارع، صلة الموصول، و «في الارض» متعلق ب «يلج» والفاعل ضمير مستتر فيه، والموصولات الثلاث عطف على الاولى، و «و هو» الواو للاستيناف و «هو» مبتداء و «الرحيم» خبره و «الغفور» خبر بعد خبر.

٣ - (و قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى و ربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات و لا في الارض ولا أصغر من ذلك و لا أكبر الا في كتاب مبين)

عطف على مضمون الآيتين السابقتين على تقدير: قال المؤمنون: ان الساعة حق لا ريب فيها. و «لا» نافية و «تأتي» فعل مضارع، و «نا» ضمير تكلم مع الغير في موضع نصب، مفعول به، و «الساعة» فاعل الفعل، و «قل» فعل أمر، والواو في «و ربي» للقسم و «ربي» مجرور بالقسم واللام في «لتأتينكم» للتأكيد، و مدخولها جواب القسم.

و «عالم الغيب» نعت من «و ربي» أو بدل منه على قراءة الجر، و أما على قراءة الرفع فعلى وجهين: أحدهما - أن يكون مبتداء و خبره «لا يعزب عنه مثقال ذرة» ثانيهما - أن يكون خبر لمحذوف أي هو عالم الغيب. و في «ولا أصغر» وجهان: أحدهما - الجر عطفاً على «ذرة» ثانيهما - الرفع عطفاً على «مثقال».

٤ ـ (ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة و رزق كريم)

اللام فى « ليجزى » تتعلق بـ « لا يعزب » و يحتمل أن يكون متعلقاً بـ « لتأتينكم » على تقدير : لتأتينكم الساعة ليجزى . . . والفعل منصوب بلام كى. و فاعل الفعل ، ضمير مستتر فيه راجع إلى الرب تعالى ، و « الذين » موصولة فى موضع نصب ، مفعول به ، و « آمنوا » صلتها ، و « اولئك » مبتداء و « لهم » متعلق بـ « مغفرة » وهى خبر المبتداء و « رزق » عطف على « مغفرة » و « كريم » نعت من « رزق » .

٥ ـ (والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز أليم)

عطف على الموصول السابق ، و « فى آياتنا » متعلق بـ « سعوا » على حذف المضاف أى فى إبطال آياتنا ، و « معاجزين » حال لبيان الغاية من هذا السعى الآثم فى آيات الله تعالى ، و « اولئك » مبتداء و « لهم » متعلق بمحذوف و هو وصف لـ « عذاب » أى لهم عذاب ثابت ، و « أليم » صفة اخرى من « عذاب » .

٦ ـ (و يرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق و يهدى الى صراط العزيز الحميد)

فى « و يرى » وجوه : أحدها ـ قال الزجاج والفراء : فى موضع نصب ، عطفاً على « ليجزى » أى و ليرى . قيل : و فيه نظر لان قوله : « ليجزى » إما متعلق بقوله : « لتأتينكم الساعة » و إما متعلق بقوله : « لا يعزب » و لا يقال : لتأتينكم الساعة أو لا يعزب ليرى الذين اوتوا العلم ان القرآن حق ، فانهم يرون القرآن حقاً و إن لم تأتهم الساعة . ثانيها ـ فى موضع نصب ، حالاً من فاعل « كفروا » ثالثها ـ فى موضع رفع على الاستئناف . و « الذين » فى موضع رفع ، فاعل الفعل ، و « اوتوا » فعل ماض مبنى للمفعول و « العلم » مفعول ثان قام مقام الاول والجملة صلة الموصول ، و «الذى» فى موضع نصب ، مفعول أول لـ

« يرى » و « انزل » فعل ماض مبنى للمفعول من باب الافعال و « إليك » و « من ربك » متعلقان بـ«انزل» و «هو» ضمير فصل ، و « الحق » مفعول ثان لـ«يرى».

و فى « يهـدى » وجوه : أحدها ـ عطف على « يرى » ثانيها ـ عطف على « ليجزى » ثالثها ـ عطف على موضع « الحق » من عطف الفعل على الاسم على تقدير « أن » لانه فى تأويل الهداية أو الهادى أو على تقدير: و يروه حقاً وهادياً. رابعها ـ مستأنف . خامسها ـ حال من « الذى انزل » على تقدير : و هو يهدى . و « إلى صراط » متعلق بـ« يهدى » اضيف إلى « العزيز » و « الحميد » نعت من « العزيز » .

٧ ـ (و قال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد)

عطف على « يرى الذى » و « ندلكم » فعل مضارع المتكلم مع الغيـر ، و ضمير الجمع المخاطب فى موضع نصب ، مفعول به ، و « ينبّئكم » فى موضع جر، نعت من « رجل » و فى « إذا » وجوه : أحدها ـ أن يكون فى موضع نصب على الظرف ، و عاملها « مزقتم » و لا يجوز أن يكون العامل فيها « ينبئكم » لانه ليس يخبرهم ذلك الوقت أى هل ندلكم على رجل يقول لكم : اذا مزقتم تبعثون ، و يكون « إذا » بمنزلة ان الجزاء يعمل فيها الذى يليها . و لا يكون العامل ما بعد « إن » لانه لا يعمل فيما قبله ، و ألا يتقدم عليها ما بعدها و لا معمولها . ثانيها ـ قال الزجاج : يكون العامل محذوفاً ، فالتقدير : اذا مزقتم كل ممزق بعثتم أو ينبئكم بانكم تبعثون إذا مزقتم . و قيل : لا يعمل فيه « مزقتـم » لانه مضاف إليه ، والمضاف إليه لا يعمل فى المضاف .

ثالثها ـ أن يكون العامل فى «اذا» ما دلّ عليه خبر « ان » أى اذا مزقتم بعثتم أو نشرتم ، ولا يعمل فيها « ينبئكم » لان اخبارهم لايقع وقت تمزيقهم ولا مزقتم لان « إذا » مضافة إليه ، ولا يكون العامل « جديد » لان ما بعد « ان » لا

يعمل فيما قبلها . رابعها- أن يكون العامل فيها ما دلّ عليه قوله تعالى: « انكم لفي خلق جديد » و هو تخلقون أو تبعثون . خامسها- أن يكون العامل فيها قوله تعالى : « انكم لفي خلق جديد » .

و « مزقتم » فعل ماض لجمع المذكر المخاطب مبنيّ للمفعول من باب التفعيل و « كل ممزق » مفعول به ، و اللام في « لفي » للتأكيد ، و « جديد » وصف ل « خلق » .

٨ - (أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد)

أصل «أفترى» : أإفترى الهمزة الاولى للاستفهام والثانية للوصل إذ الفعل ماض من باب الافتعال ، فلما دخلت ألف الاستفهام استغنيت عن ألف الوصل ، فحذفت استثقالاً لاجتماع همزتين : همزة الاستفهام المفتوحة ، وهمزة الوصل المكسورة ، وكان فتح ألف الاستفهام فرقاً بينها و بين ألف الوصل ، وفاعل الفعل ضمير مستتر فيه راجع إلى « رجل » و « على الله » متعلق ب « افترى » وقيل: ب « كذباً » و « أم » متصلة وقعت بعد همزة التسوية . و « به » متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و « جنة » مبتداء مؤخر ، و « بل » للاضراب و « بالاخرة » متعلق ب « يؤمنون » و « في العذاب » متعلق بمحذوف أي مستقرون ، و « الضلال » عطف على « العذاب » و « البعيد » وصف ل « الضلال » .

٩ - (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وماخلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب)

الاستفهام تقريري ، والفاء للتفريع وتحتمل العطف، والزيادة زيدت الفاء - في هذه الاية وحدها و ليست في غيرها - لان الاعتبار فيها بالمشاهدة ، وخصت بالفاء لشدة اتصالها بالاول لان الضمير يعود إلى الذين قسّموا الكلام في النبي

ﷺ و قالوا : محمد إما غافل كاذب ، و إما مجنون هاذ وهو قولهم : « أفترى على الله كذباً أم به جنة » فقال الله تعالى : بل تركتم القسمة الثالثة وهي: وإما صحيح العقل ، صادق الدعوى . و « لم يروا » ليس من أفعال القلوب لان المراد بالرؤية رؤية العين لارؤيةالقلب ، و « ما » موصولة فيموضع جر بحرف « إلى » و « بين » ظرف ، متعلق بمحذوف ، وهوصلة الموصول ، و « إن » حرف شرط ، و « نشأ » فعل مضارع للتكلم معالغير شرط، و « نخسف » جوابه ، و «أونسقط» عطف على الجزاء ، و « كسفاً » مفعول به ، و « من السماء » متعلق بمحذوف ، و هو نعت من « كسفاً » و « ان » حرف تأكيد ، و « في ذلك » متعلق بمحذوف وهوخبر لها ، و « لآية » إسمها ، واللام فيها للتاكيد ، و « السماء ان » اجتمعت الهمزتان المكسورتان فيالكلمتين وهي في ثلاثة عشر موضعاً فيالقرآنالكريم . و « لكل » متعلق بمحذوف ، و هو صفة لـ « لآية » و « منيب » نعت من « عبد »

١٠ ـ (ولقدآتينا داود منا فضلاً ياجبال أوبيمعه والطير وألنا لهالحديد)

اللام في «لقد» للقسم و «آتينا» فعلماض للتكلم معالغير منباب الافعال ، و « داود » مفعولأول ، و « منا » متعلق بـ « آتينا » و « فضلاً » مفعولثان ، و «يا» حرف نداء و «جبال» مبني على الرفع لانه نكرة مقصودة ، و « أوّبي » فعل أمر من باب التفعيل ، خطاب لـ « جبال » و «معه» متعلق بـ « أوّبي » . وفي «ياجبال» وجوه : أحدها ـ بدل من « فضلاً » ثانيهاـ بدل من «آتينا» باضمار قولنا أوقلنا. ثالثها ـ أن يكون تفسيراً للفصل و كذلك « ألنا له الحديد » .

و في « الطير » وجوه : أحدها ـ النصب بفعل مقدر أي ناديت الطير أو سخرنا لهالطير . ثانيهاـ عطف على محل « جبال » أيدعوناها تسبح معه ثالثهاـ مفعولمعه لـ « أوبي » والمعنى : أوبي معه و مع الطير التي تسبح معه . رابعهاـ علىتقدير : آتيناه الطير حملاً على « ولقدآتينا داود منا فضلا » خامسهاـ عطف على « فضلا » على تقدير : و تسبيح الطير . كل ذلك على قراءة النصب ، و أما

على قراءة الرفع ففيه و جهان : أحدهما ـ أن يكون عطفاً على لفظ « جبال » ثانيهما ـ على الضمير في « اوبى » و أغنت « مع » عن توكيده ، فان الفصل يقوم مقام التوكيد .

« وألنا » الواو للعطف ، و مدخولها فعل ماض للمتكلم مع الغير من باب الافعال و « له » متعلق بـ « ألنا » و « الحديد » مفعول به .

١١ ـ (أن اعمل سابغات و قدر في السرد و اعملوا صالحاً انى بما تعملون بصير)

في « أن » و جهان : أحدهما ـ تفسيرية بمعنى « أى » و المعنى : أمرناه أن أعمل أوقلناله : اعمل . وذلك لان إلانة الحديد له في معنى الامربان يستعمل سابغات . و على هذا فلا موضع لـ «أن» من الاعراب . ثانيهما ـ مصدرية ، فتكون في موضع نصب على تقدير حرف جر ، و تقديره : لان أعمل أى ألنا له الحديد لهذا الامر . و « اعمل » فعل أمر ، خطاب لـ « داود » و « سابغات » مفعول بها ، صفة لمحذوف أى دروعاً سابغات ، فحذف الموصوف ، و اقيم الصفة مقامه . و « قدر » فعل أمر من باب التفعيل على حذف المفعول أى قدّر الحلق و المسامير.

« و اعملوا » الواو للعطف على قوله تعالى : « قدر في السرد » و الفعل للامر خطاب لداود و أهله كما قال تعالى : «اعملوا آل داود شكراً» و «صالحاً» مفعول به .

و « انى » حرف تأكيد مع إسمها ، و « بما » موصولة مجرورة متعلقة بـ « بصير » و « تعملون » صلة الموصول على حذف العائد و « بصير » خبر لحرف التأكيد .

١٢ ـ (و لسليمان الريح غدوها شهر و رواحها شهر و أسلنا له عين القطر و من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه و من يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير)

فی « ولسليمان الريح » وجوه : أحدها ـ عطف على « و لقد آتينا داود » على تقدير: و سخرنا لسليمان الريح . و هذا على قراءة نصب «الريح» . ثانيها ـ أن يكون « الريح » مبتداء و « لسليمان » خبـره . ثالثها ـ أن يكون مرفوعاً بالجارو المجرور . و « غدوها » مبتداء و « شهـر» خبره على حذف المضاف أى مسيرة شهر، و الجملة فی موضع نصب على الحال من « الريح » على تقدير: مدة غدوها مسيرة شهرلان الغدو مصدر و ليس بزمان ، و « رواحها شهر» عطف على ما تقدم على تقدير: ومدة رواحها مسيرة شهر. وانما وجب هذا التقديرلانالغدو و الرواح ليس بالشهر، و انما يكونان فيه .

و « و أسلنا » فعـل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال ، عطف علـى المحذوف و « له » متعلق بـ « أسلنا » و الضمير راجع إلـى « سليمان » و « عين القطر» مفعول به . و فی « من الجن » وجوه : أحدها ـ عطف على « الريـح » و « من الجـن » حال متقدمة . ثانيها ـ ان جملة « من الجن من يعمل » مبتداء و خبر. ثالثها ـ ان « من يعمل » عطف على « الريح » و « من الجن » حالمتقدمة. و فی « من » وجـوه : أحدها ـ فی موضع نصب بمعنى : و سخـرنا له من الجن فريقاً يعمل . ثانيها ـ فی موضع رفع علـى الابتـداء ، و « من الجن » خبـره . ثالثها ـ فی موضع رفع على الفاعل ، أى وله من الجن فريق يعمل . و « من » شرطية فی موضع رفع على الابتداء و « يزغ » فعل شرط ، و « نذقه » جوابه و هو خبرالمبتداء .

۱۳ ـ (يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادى الشكور)

بدل من « من يعمل بين يديه » و « ما » موصولة فی موضع نصب ، مفعول به ، و « يشاء » صلة الموصول ، و « من » بيانية ، و « محاريب » : جمع محراب و « تماثيـل » . جمع تمثال ، و « جفـان » : جمع جفنة و « كالجـواب » : جمع

جابية ، كل ذلك من صيغ انتهاء الجموع . . . و « قدور » : جمع قدر من جمع مكسّر ، و « راسيات » صفة « قدور » و « اعملوا » فعل أمر خطاب لآل داود ، و في « آل داود » وجوه : أحدها ـ على تقدير : يا آل داود . ثانيها ـ على تقدير : أعني آل داود . ثالثها ـ عطف بيان من ضمير الجمع . رابعها ـ بدل من ضمير الجمع . وفي نصب « شكراً » وجوه : أحدها ـ مفعول له أي اعملوا الطاعة شكراً ثانيها ـ مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له . ثالثها ـ مصدر لمحذوف أي اشكروا شكراً . رابعها ـ منصوب على الحال أي شاكرين . خامسها ـ مفعول به أي اعملوا شكراً لان الشكر عمل صالح . سادسها ـ صفة لمحذوف أي عملاً شكراً .

و « قليل » مبتداء و «الشكور» خبره ، وابتدء بالنكرة للفائدة فتدبر جيداً.

١٤ ـ (فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلماخر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)

الفاء في «فلما» للعاقبة ، ومدخولها ترد لربط مضمون جملة بوجود مضمون اخرى إذا دخلت على الماضي ، و في كونها حرفاً أو ظرفاً خلاف ، و « قضينا » فعل ماض للمتكلم مع الغير ، و « عليه » متعلق بـ « قضينا » و الضمير راجع إلى « سليمان » و « الموت » مفعول به ، و « ما » حرف نفي و « دلّ » فعل ماض ، و ضمير الجمع في موضع نصب ، مفعول به ، و « دابة » فاعل الفعل ، اضيفت إلى «الارض» مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمفعول أكلتها الأرضة ، و « تأكل » في موضع رفع ، نعت من « دابة الارض » و « منسأته » مفعول بها .

و في « أن » وجوه : أحدها ـ في موضع رفع على البدل من الجن بدل إشتمال . والتقدير : تبيّن أمر الجن ، فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقام المضاف. ثانيها ـ في موضع نصب على تقدير حذف اللام. ثالثها ـ في موضع رفع بدلاً من أمر المقدر

لان المعنى تبينت الانس جهل الجن. رابعها ـ ان «أن» هذه مخففة من الثقيلة على تقدير: انهم لو كانوا يعلمون الغيب. و «يعلمون» في موضع نصب، خبر لفعل الناقص «كانوا» و «الغيب» مفعول به، و «ما» حرف نفي، و «المهين» وصف لـ «العذاب».

۱۵ ـ (لقد كان لسباء في مسكنهم آية جنتان عن يمين و شمال كلوا من رزق ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور)

اللام لتوطئة القسم، و مدخولها للتحقيق و «كان» من أفعال الناقصة، و «لسباء» متعلق بمحذوف، و هو خبر لـ «كان» و «آية» إسمها، و في «جنتان» وجوه: أحدها ـ أن يكون بدلاً من «آية» ثانيها ـ أن يكون خبراً لمحذوف على تقدير: هي جنتان، أو كأنه قيل: ما الاية؟ فقال: الاية جنتان. ثالثها ـ أن يكون مبتداء، وخبره محذوف على تقدير هنا أو هناك جنتان. رابعها ـ على تقدير أعنى أو امدح. و هذا بناء على قراءة النصب. و «عن يمين» صفة لـ «جنتان» و «بلدة» خبر لمحذوف أى هذه بلدة أو على تقدير: هذه البلدة التى فيها جنتان بلدة و «طيبة» نعت من «بلدة».

و «رب» خبر لمحذوف أى ربكم رب. أو مبتداء، خبره محذوف أى و لكم رب أو على تقدير: ربكم الذى رزقكم و طلب منكم الشكر رب و «غفور» نعت من «رب».

۱٦ ـ (فأعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم و بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط و أثل و شيء من سدر قليل)

الفاء الاولى تحتمل الاستيناف و التعقيب، و الثانية للنتيجة، و مدخول الاولى فعل ماض لجمع الغيبة من باب الافعال، و الثانى فعل ماض للمتكلم مع الغير من باب الافعال، و «عليهم» متعلق بـ «أرسلنا» و «سيل» مفعول به، أضيف إلى «العرم» و هى جمع العرمة، صفة للسيل من إضافة الموصوف إلى صفته كقولك: مسجد الجامع. و الواو في «وبدلناهم» للعطف، و مدخولها فعل ماض

للتكلم مع الغير من باب التفعيل ، و ضمير « هم » في موضع نصب ، مفعول أوّل ، و «جنتين» مفعول ثان ، و « ذواتى » صفة من « جنتين » أضيف إلى « اكل » ، و «خمط» عطف بيان من « اكل » قيل : لايجوز أن يكون وصفاً لانه اسم شجرة بعينها ، و لا بدلاً لانه ليس هو الاول و لا بعضه ، و « قليل » نعت من « اكل » و يجوز أن يكون نعتاً من « خمط » و « أثل » و « سدر » .

١٧ - (ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازى الا الكفور)

« ذلك » في موضع نصب ، مفعول ثان لـ « جزينا » والمفعول الاول هو ضمير الجمع « هم » والباء في « بما » سببية و مدخولها مصدرية ، والتقدير: جزيناهم ذلك بسبب كفرهم . و قيل : « ذلك » في موضع رفع على الابتداء ، و خبره محذوف على تقدير : ذلك ما جزيناهم به ، و « جزيناهم بما كفروا » بدل من المحذوف أوعطف بيان له ، و «هل» للاستفهام الانكارى في معنى النفي و «نجازى» فعل مضارع للتكلم مع الغير من باب المفاعلة ، و « الكفور » مفعول به .

١٨ - (وجعلنا بينهم و بين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى و أياماً آمنين)

عطف على « جزينا » و قيل : عطف على « كان لسبأ » و « بينهم » متعلق بـ «جعلنا» و ضمير الجمع راجع إلى سباء و « القرى » : جمع القرية ، و «التى» موصولة و « باركنا فيها » صلتها ، والجملة في موضع جر ، صفة لـ « القرى » و « قرى » مفعول به لـ « جعلنا » و « ظاهرة » صفة لـ « قرى » و « و قدرنا » عطف على « جعلنا » و « سيروا » فعل أمر لجمع المذكر المخاطب ، والجملة مقولة لمحذوف أى قلنا لهم : سيروا . و « ليالى و أياماً » ظرفان .

و « ليالى » : جمع ليلة على خلاف القياس ، فان القياس أن يكون واحدة « ليلاه » فجمع على لفظ واحده كمشابه جمع مشبهة وملاقح جمع ملقحة ، وإن لم يكن مستعملاً ، و « أياماً » : جمع قلة من « يوم » وأصله : أيوام إلا انه لما

اجتمعت الواو والياء والسابق منهما ساكن، قلبوا الواو ياء وجعلوهما ياء مشددة. و « آمنين » منصوب على الحال من ضمير الجمع فى « سيروا ».

۱۹ - (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا و ظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور)

الفاء للتعقيب، و « ربنا » منصوب على انه نداء مضاف، وهو منصوب لانه مفعول به لان معناه: ناديت و دعوت، و « باعد » فعل أمر من باب المفاعلة و « أحاديث »: جمع حديث، مفعول ثان ا « جعلنا » و قيل: جمع احدوثة وهى ما يتحدث به على سبيل التلهى والاستغراب لاجمع الحديث على خلاف القياس، و « ومزقنا » عطف على « فجعلنا » و « فى ذلك » متعلق بمحذوف وهو خبر لحرف التأكيد، واللام فى «لايات» للتأكيد، ومدخولها اسم لحرف التأكيد، و«لكل» متعلق بمحذوف و هو صفة ا «لايات» و «صبار» صيغة مبالغة، و كذلك «شكور» صفة ا « صبار ».

۲۰ - (و لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين)

اللام فى « لقد » لتوطئة القسم، و « صدق » فعل ماض من باب التفعيل، و « عليهم » متعلق ب « صدق » والضمير راجع إلى سبأ و قيل: إلى الناس كلهم، والفاء فى « فاتبعوه » للتفريع، ومدخولها فعل ماض لجمع الغيبة من باب الافتعال، والضمير فى موضع نصب، مفعول به، و « فريقاً » منصوب على الاستثناء، و « من » فى « من المؤمنين » بيانية.

۲۱ - (وماكان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها فى شك و ربك على كل شيء حفيظ)

فى الاستثناء وجهان: أحدهما - منقطع أى لا سلطان له عليهم ولكنا ابتلينا بوسوسته لنعلم ف « الا » بمعنى « لكن » فليس قوله تعالى: « الا لنعلم » جواباً ا « وماكان له عليهم من سلطان » فى ظاهره، وانما هو محمول على المعنى

أى و ما جعلنا له سلطاناً الاّ لنعلم . ثانيهما ـ متصل أى ما كان لـه عليهم من سلطان غير أنـا سلطناه عليهم ليتم الابتلاء . و قيل : « كان » زائـدة أى و ما له عليهم من سلطان . و فى « من » فى « من يؤمن » وجهان : أحدهـا ـ موصولـة فى موضع نصب بـ « لنعلم » ثانيهما ـ استفهام فى موضع رفع على الابتداء . وفى « من » فى « منها » وجوه : أحدهاـ أن تكون للتبيين أى لشك منها أى بسببها . ثانيهاـ أن يكون « منها » حالاً من «شك» ثالثهاـ أن تكون «من» بمعنى «فى» .

و «ربك» مبتداء ، و « على كل شيء » متعلق بـ «حفيظ» وهو خبر المبتداء .

٢٢ ـ (قل ادعـوا الذيـن زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات و لا فى الارض ومالهم فيهما من شرك و ما له منهم من ظهير)

« ادعوا » فعل أمر ، خطاب للمشركين ، و « الذين » موصولة فى موضع نصب ، مفعول به لـ « ادعوا » و « زعمتم » صلة الموصول على حذف مفعوليه أى زعمتموهم آلهة . و سبب حذف الاول إستحقاق عوده إلى الموصول، وسبب حذف الثاني إقامة الصفة وهى « من دون الله » مقام الموصول و « لا يملكون » فى موضع نصب ، صفـة للمفعول الثاني ، و تحتمل الحـال ، والاستيناف . و « مثقال ذرة » مفعول به ، و « فى السموات » متعلق بمحذوف وهو صفة لـ « مثقال ذرة » و « ما » حرف نفى و « لهم » متعلق بمحذوف وهو إسمها و « من شرك » خبرها، و « ماله منهم من ظهير » عطف على ما قبله .

٢٣ ـ (و لا تنفع الشفاعة عنـده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلى الكبير)

فى « لمن » وجهان : أحدهماـ أن يكون متعلقاً بـ « الشفاعة » لانك تقول: شفعت له . ثانيهماـ أن يكون متعلقاً بـ « تنفع » وتحتمل أن تكون اللام للتمليك ، و أن تكون للتعليل، و « إذا » شرطية و « فزع » فعل ماض مبنىّ للمفعول ، و « عن قلوبهم » ناب مناب الفاعل ، والجملة شرطية ، و « قالوا ماذا » جوابهـا .

و « ما » في موضع نصب بـ «قال» و «ذا» زائدة وكذلك ينصب الجواب بـ «قال» و هو قوله تعالى : «قالوا الحق» ليكون الجواب على وفق السؤال .

«وهو» الواو تحتمل الحال والاستيناف و «هو» مبتداء و «العلي» خبره ، و «الكبير» صفة ا «العلي» .

٢٤ ـ (قل من يرزقكم من السموات و الارض قل الله و انا أو اياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين)

« من » استفهامية في موضع رفع على الابتداء و « يرزقكم » خبره و في « الله » وجوه : أحدها ـ مبتداء و خبره محذوف أي الله يرزقكم . ثانيها ـ خبر لمحذوف أي هو الله تعالى . ثالثها ـ خبر لمحذوف و هو خبر لمحذوف آخرأي الرزاق هو الله . و «أو اياكم» «أو» عند البصريين على بابها و ليس للشك لكنها على ما تستعمله العرب في مثل هذا إذا لم يرد المخبرأن يبين وهوعالم بالمعنى . و قيل : بمعنى الواو فتقديره : و انا لعلى هدى و إياكم في ضلال مبين . كقول الشاعر:

سيان كسر رغيفه أو كسرعظم من عظامه

و «اياكم» ضمير منصوب منفصل ، و هو عطف على إسم « إن » ولو عطف على الموضع لكان « أوانتم » و في « لعلى هدى » وجهان : أحدهما ـ أن يكون خبراً للاول ، وخبر الثاني محذوف لدلالة الاول عليه . ثانيهما ـ أن يكون خبراً للثاني ، وخبر الاول محذوف لدلالة الثاني عليه كقولك : زيدوعمر وقائم . ولك فيه وجهان: فان شئت جعلت «قائماً» خبراً للاول ، وقدرت خبراً للثاني وإن شئت جعلته خبراً للثاني وقدرت للاول خبراً اكتفاء بأحدهما عن الاخر لدلالته عليه. ولو عطفت على موضع إسم «إن» لقلت : و إنا أوأنتم لم يجز أن يكون « لعلى هدى » الآخبر الثاني لانه لايجوز العطف على الموضع الآ بعد الخبر لفظاً أو تقديراً ، فلابد من تقدير خبر الاول قبل المعطوف لئلا يكون العطف قبل الاتيان بالخبر.

وهذامذهب البصريين ،و أما الكوفيون فيجوزون العطف على الموضع قبل الاتيان بالخبر. وقيل : التقدير : و انا لعلى هدى أو فى ضلال مبين و انكم لعلى هدى أوفى ضلال مبين .

و «أوفى ضلال» عطف على « لعلى هدى » و خبر المعطوف محذوف لدلالة المذكور عليه و قيل : عكس ذلك ، و «مبين» وصف من «ضلال» .

٢٥ ـ (قل لاتسئلون عما أجرمنا ولانسئل عما تعملون)

«تسئلون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب ، مبنىّ للمفعول ، و «ما» فى «عما» موصولة و «أجرمنا» فعل ماض للتكلم مع الغير صلة الموصول على حذف العائد ، والجملة التالية معطوفة على ما قبلها ، وتركيبها ظاهر.

٢٦ ـ (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق و هو الفتاح العليم)

« هو » مبتداء و « الفتاح » للمبالغة ، إسم من أسماء الله تعالى و «العليم» وصف ا «الفتاح» .

٢٧ ـ (قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم)

«أرونى» فعل أمر، خطاب لجمع المذكر من باب الافعال ، من رؤية القلب، فالنون للتكلم وحده فى موضع نصب ، مفعول أوّل ، والياء للوقاية ، و «الذين» موصولة فى موضع نصب ، مفعول ثان ، و « ألحقتم » فعل ماض لجمع المذكر المخاطب ، صلة الموصول على حذف العائد أى ألحقتموهم به، و «شركاء» مفعول ثالث . والمعنى : عرّفونى هذا الاصنام والاوثان التى جعلتموها شركاء لله سبحانه. وإن جعلت «أرونى» من رؤية البصر كان «شركاء» حالاً من ضمير محذوف أى هم. على ان عبادة الاصنام مما يحسّ .

« كلا» حرف ردع وزجر، و «بل» حرف إضراب ، جيئت ههنا لابطال السابق، و «هو» مبتداء و «الله» مبتداء ثان ، و «العزيز» خبر الثانى والجملة خبر الاول ، و «الحكيم» خبر بعد خبر للمبتداء الثانى .

٢٨ - (و ما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً و نذيراً و لكن أكثر الناس لا يعلمون)

« ما » حرف نفي ، و «أرسلنا» فعل ماض للتكلم مع الغير، وكاف الخطاب في موضع نصب ، مفعول به ، و في نصب « كافة » وجـوه : أحدها ـ منصوب على الحال من كاف الخطاب أى و ما أرسلناك الاّ جامعاً للناس بالانذار و الابلاغ ، فالكافة بمعنى الجامع ، و الهاء للمبالغة كعلامة و نسابة و أصل « كافة » : كاففة الاّ انه اجتمع حرفان متحركان من جنس واحد في كلمة واحدة ، فسكن الاول و ادغم في الثانـي ، فصار كافة . و قيل : الكافـة بمعنى المانع ، فالمعنـى : و ما أرسلناك الاّ مانعاً للناس من الكفـر بالانذار و الابلاغ . ثانيها ـ منصـوب على المصدرية ، و الهاء للمبالغة أيضاً كالعاقبة و العافية و الهداية ، و هو صفة لمصدر محذوف أى الاّ رسالة كافة . و قيل : على تقدير: و ما أرسلنا الاّ للناس كافة .

ثالثها ـ منصوب على الحال من « للناس » و المعنى : وما أرسلناك الاّ إلى الناس كافة . و أما الاشكال في تقديم الحال على ذى الحال المجرور ، فجـوّزه بعض النحويين ، فقدمت للاهتمام و التقـوى . و على هذا فاللام تكـون بمعنى «إلى» فالمعنى : أرسلناك إلى الناس ويجوز أن يكون التقدير: من أجل الناس. رابعها ـ منصوب بنصب مضافه و اقيم مقامه ، فالتقديـر : ذا كافة أى ذا منع من الكفر والمعاصى أو ذا جمع لهم بالانذار والابلاغ . وقيل : معناه : وما أرسلناك إلاّ أن تكفهم و تردعهم عماهم فيه من الكفرو تدعوهم إلى الاسلام .

و «للناس» متعلق بـ «أرسلنا» و «بشيراً ونذيراً» حالان للكاف في«أرسلناك» بلا خلاف أى مبشراً لهم بالجنة ومنذراً لهم من النار ، و «لكن» حرف إستدراك و «أكثرالناس» إسمها و «لايعلمون» في موضع رفع ، خبرها .

٢٩ - (و يقولون متي هذا الوعد ان كنتم صادقين)

« هذا » في موضع رفع بالابتداءِ و « الوعد » نعت من «هذا» و «متى» إسم

إستفهام زمانى ، خبره وفيه ضمير راجع إلى «الوعد» و «إن كنتم صادقين» شرط محذوف الجزاء يدل عليه ما قبله .

٣٠ ـ (قل لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة و لاتستقدمون)

« لكم » متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و « ميعاد » مبتداء مؤخر ، مصدر مضاف إلى الظرف ، والاضافة بيانية آى وعد يوم أو زمان وعد ، و «تستأخرون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من باب الاستفعال ، و الضمير فى « عنه » راجع إلى « ميعاد » و يجوز أن يكون راجعاً إلى « يـوم » و إلى أيهما أعدتها كانت الجملةصفة لـ « ميعاد » و المعنى ان هذا الميعاد المضروب لكم لاتتأخرون عنـه ، و لا تتقدمون عليه بـل يكون لامحالة فـى الوقت الـذى قدره تعالـى وقوعه فيه .

٣١ ـ (و قال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن و لا بالذى بين يديه و لـو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنامؤمنين)

« لو » شرطية ، و « ترى » فعل شرط ، و جوابه محذوف أى لرأيت أمراً هائلاً فظيعاً أو لقضيت العجب ، و « الظالمـون » مبتداء و اللام فيـه للعهد . و «موقوفون» خبره ، و «يرجع بعضهم» فى موضع نصب على الحال من «الظالمون» و « القول » مفعول به ، و «لولا» حرف ترد لربط امتناع جوابه بوجود شرطه، وتختص بالاسمية ، ويغلب معها حذف الخبر إن كان كوناً مطلقاً ، و «أنتم» مبتداء على حذف الخبر، و لايجوز إظهاره لطول الكلام بالجواب ، و اللام فى « لكنا » للتأكيد ، ومدخولها فعل ماض للتكلم مع الغير من أفعال الناقصة ، و «مؤمنين» خبره ، والجملة جواب لـ «لولا» .

٣٢ ـ (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين)

« أنحن » الاستفهام انكارى ، و «نحن» مبتداء و «صددنا» فعل ماض للتكلم مع الغير في موضع رفع ، خبر المبتداء و « كم » في موضع نصب ، مفعول به ، و « عن الهدى » متعلق بـ« صددنا » و « بل » حرف إضراب للانتقال .

٣٣ - (و قال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون)

في « مكر الليل » وجهان : أحدهما- أن يكون مبتداء ، وخبره محذوف أى مكركم في الليل والنهار صدّنا عن ذلك حين أمرتمونا أن نكفر بالله . ثانيهما - أن يكون فاعل فعل محذوف على تقدير : بل صدّنا مكركم فى الليل والنهار والعرب تضيف الاحداث إلى الزمان على سبيل الاتساع فتقول : صيام النهار و قيام الليل ، والمعنى : ان الصيام فى النهار والقيام فى الليل .

«أسروا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الافعال، و «هل» استفهامية انكارية فى معنى النفى ، و « يجزون » فعل مضارع مبنى للمفعول ، و «ما» موصولة في موضع نصب بالاستثناء و « يعملون » في موضع رفع ، خبر لـ« كانوا » والجملة صلة الموصول على حذف العائد .

٣٤ - (و ما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون)

«ما» حرف نفى و « أرسلنا » فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال ، و « من نذير » في موضع نصب ، مفعول به أى منذراً ، و « مترفوها » إسم مفعول من باب الافعال اضيف إلى ضمير التأنيث الراجع إلى « قرية » و « ما » فى « بما » موصولة مجرورة بحرف الباء متعلق بـ« كافرون » و « ارسلتم » فعل ماض لجمع المذكر المخاطب مبنى للمفعول صلة الموصول ، والعائد هو الضمير في « به » و « كافرون » خبر لحرف التأكيد « انا » .

٣٥ ـ (و قالوا نحن أكثر أموالاً و أولاداً و ما نحن بمعذبين)

« نحن » مبتداء و « أكثر » خبره و « أموالاً » تمييز ، و « أولاداً » عطف على « أموالاً » على حذف المفضل عليه و تقديره : نحن أكثر منكم أموالاً و أولاداً . و قيل : ان التقدير : ان أموالنا و أولادنا كثيرة جداً فـ « أفعل » للزيادة المطلقة ، و «ما» حرف نفي تشبه بـ« ليس » و «نحن» إسمها و « بمعذبين » خبرها على زيادة الباء للتأكيد .

٣٦ ـ (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

« يبسط » في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « لايعلمون » في موضع رفع ، خبر لحرف الاستدراك .

٣٧ ـ (و ما أموالكم و لا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بماعملوا وهم في الغرفات آمنون)

« ما » حرف نفي ، و « أموالكم » إسمها ، و « لا أولادكم » عطف على « أموالكم » و « بالتي » موصولة في موضع نصب ، خبر لـ « ما » و دخلت الباء في خبر «ما» لتكون بازاء اللام في خبر « ان » لأن « ان » للاثبات و « ما » للنفي فيكون ما زيد بقائم جواباً لمن قال : ان زيداً لقائم . و «زلفى» مصدر في موضع نصب على المعنى : تقربكم قربى .

وقيل : إسم بمعنى القربة وقع موقع المصدر كقوله تعالى : « والله أنبتكم من الارض نباتاً » . و قيل : إسم مصدر فيكون موضعه نصباً كأنه قال : بالتي تقربكم عندنا تقريباً .

« الا من آمن » في الاستثناء وجوه : أحدها ـ منقطع ، فيكون موضع « من » نصباً أي لكن من آمن و عمل صالحاً . ثانيها ـ متصل ، مستثنى من مفعول « تقربكم » وذلك إذا كان الخطاب عاماً للمؤمنين والكافرين ، ويجوز أن يكون

منقطعاً اذا كان الخطاب خاصاً بالكافرين ف «من» فی‌موضع نصب. ثالثها ـ إستثناء من أموالكم و أولادكم علی‌حذف مضاف أی أموال من آمن و عمل و أولادهم.

رابعها ـ إستثناء من الفاعل فی « تقربكم » والمعنی: ان شیئاً من‌الاشیاء لایقرّب الاّ عمل المؤمن الصالح لان ما سوی ذلك شاغل عن‌الله والعمل الصالح إقبال علی العبودية ، و من توجه إلی الله وصل و من طلب شیئاً من الله حصل.

و فی موضع « من » وجوه: أحدها ـ فی موضع نصب. ثانيها ـ فی موضع جر بدلاً من‌الضمير فی « تقربكم » والقول بعدم جوازالبدل عن الضمير ليس بشیء. والمعنی: ان الاموال والاولاد من حيث هماهما لاتفيدان الاّ اذا انضما بالايمان والعمل الصالح. و قيل: لايجوز أن يكون بدلاً من الضمير فی « تقربكم » لان المخاطب لا يبدل منه. ثالثها ـ فی موضع رفع. والمعنی: ما هو الاّ من آمن رابعها ـ فی موضع رفع علی كونه مبتداء و ما بعده خبره. و قيل: خبره مقدر أی لكن من آمن و عمل صالحاً فايمانه و عمله الصالح يقربانه.

و قوله تعالی: « فاولئك » الفاء للتفريع ، و مدخولها فی موضع رفع ، مبتداء و « لهم » متعلق بمحذوف وهو الخبر ل « جزاء الضعف » والجملة خبر ل « اولئك » و « جزاء الضعف » من إضافة المصدر إلی‌المفعول. وتقديره: فاولئك لهم أن يجازوا الضعف. و قيل: هذا من إضافة الموصوف إلی الصفة أی الجزاء المضاعف. والباء فی « بما » سببية و مدخولها مصدرية و تحتمل الموصولة علی حذف العائد. و « هم » مبتداء و « آمنون » خبره.

٣٨ ـ (والذين يسعون فی‌آياتنا معاجزين اولئك فی العذاب محضرون)

« معاجزين » حال مقدرة أی لنا مقدرين عجزنا و « اولئك » مبتداء و « محضرون » إسم مفعول من باب الافعال ، خبر المبتداء.

٣٩ ـ (قل ان ربی يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له وما أنفقتم من شیء فهو يخلفه و هو خير الرازقين)

في « ما » و جهان : أحدهما ـ شرطية في موضع نصب ، والفاء في «فهو» جواب الشرط و «من» في « من شيء » للتبيين . ثانيهما ـ موصولة ، ففي موضع رفع بالابتداءِ و ما بعد الفاءِ هو الخبر.

٤٠ ـ (و يوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون)

« يوم » ظرف لمحذوف أى اذكر ، و « جميعاً » تأكيد لضمير الجمع في « يحشرهم » و الاستفهام في « أهؤلاء » إنكارى و مدخولها مبتداء و « إياكم » ضمير منفصل منصوب بـ « يعبدون » و الجملة في موضع نصب ، خبر ا « كانوا » و فيه دلالة على جواز تقديم معمول خبر كان عليها ، و الجملة خبر المبتداءِ .

٤١ ـ (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون)

« أنت » مبتداء و « ولينا » خبره ، و « بل » حرف إضراب للانتقال ، و « يعبدون » في موضع نصب ، خبر ا « كانوا » و « الجن » مفعول به ، و «أكثرهم» مبتداء و « بهم » متعلق بـ « مؤمنون » و هو خبر المبتداء ، و الجملة تحتمل الحال و الاستيناف .

٤٢ ـ (فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعاً ولاضراً و نقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون)

الفاء للتفريع ، و مدخولها منصوب على الظرفية ، « و نقول » عطف على « يقول الملائكة » و هذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة أى يوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة كذا و كذا و هم يقولون كذلك و نقول للمشركين الاية فالقول بانه عطف على « لايملك » بلا وجه . و « ذوقوا » فعل أمر لجمع المذكر المخاطب ، و « عذاب النار » مفعول به ، و « التى » موصولة و « تكذبون » فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من

باب التفعيل ، والجملة في موضع نصب، خبر ل « كنتم » والجملة صلة الموصول ، والجملة في موضع نصب ، نعت من « عذاب النار » .

٤٣ - (و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم و قالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين)

« بينات » منصوب على الحال من « آياتنا » و « ما » حرف نفي ، و «هذا» اسمها و « رجل » خبرها، ولم تعمل لمكان « إلاّ » و « يريد » صفة من « رجل » و « آباءكم » فاعل ل « يعبد » و هو في موضع نصب ، خبر ل « كان » و اسمها محذوف يفسّره «آباءكم» والتقدير : عما كان آباؤكم يعبدون . و « ان » حرف نفي تشبه بـ «ليس» و « هذا » إسمها ، و « سحر » خبرها، و انتقض عملها بـ «الاّ» و « مبين » وصف ل « سحر » .

٤٤ - (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير)

الواو للحال ، و مدخولها حرف نفي ، و « آتينا » فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال ، والجملة حالية ، و « هم » في موضع نصب ، مفعول أوّل ، و « من كتب » في موضع نصب ، مفعول ثان ، و « يدرسونها » في موضع جرّ ، صفة ل « كتب » ويجوز أن يكون في موضع نصب على موضع الجار والمجرور لان المعنى : و ما آتيناهم كتباً مدرسة . و « ما أرسلنا . . الخ » عطف على « ما آتينا » .

٤٥ - (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير)

الواو للاستيناف ، و « كذب » فعل ماض من باب التفعيل ، و « الذين » موصولة ، في موضع رفع ، فاعل الفعل ، و « من قبلهم » متعلق بمحذوف ، صلة الموصول ، و ضمير الجمع راجع إلى مشركي مكة والواو في « و ما » للحال ،

و مدخولها حرف نفي ، والضمير في « بلغوا » راجع إلى مشركي مكة أيضاً والجملة حالية ، و «معشار» مفعول به ، اضيف إلى «ما» وهي موصولة و «آتيناهم» صلتها ، و ضمير الجمع : « هم » راجع إلى متقدمي المشركين من الكفار ، و « فكذبوا » عطف على « كذب » من عطف الخاص على العام على طريقة التفسير كقوله تعالى : « كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا » لان التكذيب الاول لما حذف منه متعلقه أفاد العموم من الكتب والرسل والمعجزات فسّر بذلك الخاص من تكذيب الرسل .

و قيل : « فكذبوا رسلي » عطف على « ما بلغوا » و على هذا فالفاء سببية والمعنى : انهم اذا لم يبلغوا معشار الاقدمين فكيف كذبوا . و « كيف » خبر مقدم لـ « كان » و « نكير » إسمها ، على حذف ياء التكلم . و « نكير » مصدر بمعنى إنكاري . و في الكلام حذف و تقديره : فأهلكناهم فكيف كان نكيري .

٤٦ - (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد)

« قل » فعل أمر ، و « انما » كلمة حصر ، و « أعظكم » فعل مضارع للتكلم وحده و ضمير الخطاب في موضع نصب ، مفعول به ، و « بواحدة » صفة لمحذوف أي بكلمة واحدة أو بخصلة أو حسنة واحدة . و في « أن تقوموا لله » وجوه : أحدها - أن يكون في موضع رفع على أن يكون خبراً لمبتداء محذوف أي و هي أن تقوموا لله . ثانيها - أن يكون في موضع نصب ، على تقدير حذف حرف الجر ، و هي اللام ، وتقديره : لان تقوموا لله . فحذفت اللام تخفيفاً . وقيل: على تقدير : أعني أن تقوموا لله . ثالثها - أن يكون في موضع جر . و تقديره : بان تقوموا لله . رابعها - في موضع جر على البدل من « بواحدة » .

و « مثنى وفرادى » منصوبان على الحال من الواو في « تقوموا » و « ثم » حرف عطف . و « تتفكروا » فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من باب التفعيل

عطف على « أن تقوموا » و « ما بصاحبكم من جنة » نفي و استئناف . وفي « بين يدي » وجوه : أحدها ـ أن يكون ظرفاً ل « نذير » ثانيها ـ أن يكون نعتاً ل «نذير» ثالثها ـ أن يكون « لكم » صفة ل «نذير» فيكون «بين» ظرفاً للاستقرار أو حالاً من الضمير في الجار أو صفة اخرى .

٤٧ ـ (قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم ان أجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد)

« ما » إسم شرط في موضع رفع على الابتداء و خبره شرطه أو جزاءه او كلاهما على اختلاف فيه ، و قيل : في موضع نصب بانها مفعول ثان ل « سئلت » و يجوز أن تكون موصولة على تقدير : ما سئلتكموه . فيكون مع الصلة في موضع رفع بالابتداءِ و « سئلتكم » شرط ، والفاء في « فهو » للجزاء و مدخولها مبتداء و « لكم » متعلق بمحذوف خبره والجملة جزاء الشرط ، و « إن » حرف نفي و « أجر » مصدر اضيف إلى ياء التكلم ، و « على الله » متعلق بمحذوف والواو في «وهو» تحتمل الحال والاستيناف ومدخولها مبتداء و «على كل شيء» متعلق بـ« شهيد » و هو خبره .

٤٨ ـ (قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب)

« ربي » إسم لحرف التأكيد ، و « يقذف » خبرها و في « علام الغيوب » وجوه : أحدها ـ أن يكون خبراً لمحذوف أي هو علام الغيوب . ثانيها ـ أن يكون خبر ثان ل « ان » و « يقذف » خبر أول . ثالثها ـ أن يكون بدل من الضمير المستكن في « يقذف » رابعها ـ انه صفة محمولة على موضع « ان ربي » خامسها ـ أن يكون بدلاً من موضع « ربي » لان موضعه الرفع . وهذا على قراءة الرفع . وأما على قراءة النصب ففيه وجوه : أحدها ـ انه صفة ل «ربي» ثانيها ـ على إضمار أعني . ثالثها ـ انه بدل من «ربي» أي قل : ان ربي علام الغيوب يقذف بالحق .

٤٩ ـ (قل جاء الحق و ما يبدىء الباطل و ما يعيد)

« ما » حرف نفي و « يبدىء » فعل مضارع من باب الافعال ، و « ما يعيد » عطف على « يبدئ الباطل » . و قيل : « ما » استفهامية بمعنى أي شيء أي جاء الحق فأيّ شيء بقي للباطل حتى يعيده و يبدئه .

٥٠ ـ (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي و ان اهتديت فبما يوحى الى ربي انه سميع قريب)

« إن » حرف شرط و « ضللت » فعل الشرط ، و « فانما أضل » جـزاءه و «ان اهتديت» عطف على المتقدم، والفاء في «فبما» للجزاء والباء سببية ومدخولها موصولة و « يوحى » فعل مضارع من باب الافعال و « إلى » متعلق بـ « يوحى » و « ربي » فاعل الفعل ، و « سميع » خبر لحرف التأكيد و «قريب» صفة لـ «سميع» .

٥١ ـ (و لو ترى اذ فزعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب)

« لو » حرف شرط ، حذف جوابه أي ولو ترى لرأيت ما تعتبر عبرة عظيمة من أمر عظيم هائل فظيع . و يدل عليه الكلام . و قيل : على تقدير : لو ترى لتعجبت . و « فزعوا » في موضع جر باضافة « إذ » إليه ، و « اخذوا » فعل ماض مبني للمفعول ، عطف على « فزعوا » و قيل : عطف على « فلا فوت » على معنى: اذ فزعوا فلم يفوتوا و اخذوا . و « قريب » وصف لـ « مكان » .

٥٢ ـ (و قالوا آمنا به و أنى لهم التناوش من مكان بعيد)

عطف على « اخذوا » و «أنى» بمعنى « كيف» وهو استفهام يراد به الاستبعاد في موضع رفع ، خبر مقدم و « التناوش » مبتداء مؤخر ، و « من مكان » متعلق بـ « التناوش » و « بعيد » وصف لـ « مكان » .

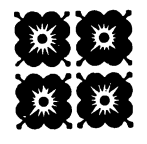
٥٣ ـ (و قد كفروا به من قبل و يقذفون بالغيب من مكان بعيد)

الواو للحال ، و « قد » للتحقيق والجملة في موضع نصب على الحال من ضمير الجمع في « لهم » أو من « قالوا » و « قبل » مبني لقطعه عن الاضافة و كون المحذوف منوياً للمتكلم و «يقذفون» في موضع نصب، خبراً لـ « كانوا » محذوفاً،

والجملة في موضع نصب ، حالاً اخرى ، على تقدير: و قد كانوا يقذفون بالغيب ، و « بعيد » وصف ﻟ « مكان » .

۵۴ ـ (و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب)

« حيل » فعل ماض مبني للمفعول ، و « ما » موصولة و « يشتهون » صلتها، على حذف العائد ، و « كانوا » مع خبرها في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « في شك » في موضع نصب ، خبر ﻟ « كانوا » و « مريب » صفة ﻟ « شك » .



﴿البيان﴾

١ - (الحمد لله الذى له ما فى السموات و ما فى الارض و له الحمد فى الاخرة و هو الحكيم الخبير)

حمد لذات الله جل وعلا من ذاته ، ايذاناً بأنه تعالى وحده هـو المستحق للحمد ، و إن لم ينطق به لسان ، فالوجود كله يسبّح بحمده إذ كان الوجودفى ذاته نعمة على أىّ صورة كان عليها الوجود ، وعلى أىّ وضع قام عليه ، حيث ان الوجود هو الخروج من عدم ، و العدم سلب و الوجود وجوب ، والوجود شيء، و العدم عدم ، لاشيء و الوجـود صفة من صفات الله ، و به تتحقق ذاتية الذات ، و تتحدد ماهيته . . . و من هنا كان الحمدلله تسبيح كل موجود ، و صلاة كل مخلوق .

و وصف من الله تعالى لذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية و الاخروية ، و حمد منه جل وعلا نفسه بذلك ، و المراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد و هوالوصف بالجميللله تعالى على جهة التعظيم ، ثناء عليه بما هو أهله ، ونقيضه: الذم و هو الوصف بالقبيح علىجهة التحقير ثم ينقسم ، فمنه ما هو أعلى ، ومنه ما هو أدنى و الاعلى ما يقع على وجه العبادة و لايستحقها الاّ الله سبحانه لان إحسان الله عز إسمه لايوازيه إحسان احد من المخلوقين ، و يستحق الحمد على الاحسان و الانعام ، فلايستحق أحد من المخلوقين مثل ما يستحقه سبحانه .

و تعريف « الحمد » : **تعريف لوجوب الشكرعلى نعم الله تعالى** ، و تعليم

لكيفية الشكر، مع لام الاختصاص والملك « لله » مشعران باختصاص جميع افراد الحمد بالله تعالى كما ان وصفه جل و علا بقوله : « له ما في السموات و ما في الارض » لتقرير ما أفاده تعليق « الحمد » المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل « لله » من اختصاص جميع أفراد الحمد به جل و علا ببيان تفرده و استقلاله جل و علا بما يوجب ذلك ، و كون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان تحت ملكوته جل وعلا ، فليس لما سواه في حدّ ذاته استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاته ، فكل ذلك نعم فائضة على الموجودات من ناحيته جل وعلا، فما هذا شأنه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار ، فظهر اختصاص جميع أفراد الحمد به تعالى .

و قوله تعالى : « الذى له ما في السموات و ما في الارض » وصف من الله تعالى نفسه ايذاناً بان كونه مالكا لكل الاشياء يوجب كونه محموداً على كل لسان ، لان الكل اذا كان له ، فكل من ينتفع بشيء من ذلك كان مستنفعاً بنعمه ، ثم صرّح بأن له الحمد في الاخرة تفضيلاً لنعم الاخرة على نعم الدنيا ، و ايذاناً بانها هي النعم الحقيقية التي يحق أن يحمد عليها ويثنى عليه من أجلها مع إفادة الاختصاص بتقديم الظرف . وفي الجملتين ثناء على الله تعالى على ملكه المنبسط على كل شيء بحيث له أن يتصرف في كل شيء بما شاء و حيثما أراد .

و قوله تعالى : « و له الحمد في الاخــرة » في تقديم الصلة « لـه » ايماء بالاختصاص ، فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ، و لا كذلك نعم الاخرة ، و بيان لاختصاص الحمد الاخروى بالله تعالى اثر بيان اختصاص الحمد الدنيوى به جل و علا ، و إطلاق الحمد الاخروى عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه كما ذكر في الحمد الدنيوى ليعم النعم الاخروية . والفرق بين الحمدين في النعمتين : ان الاول على سبيل التفضل من غير ملاحظة الاستحقاق والليافة في المنعم عليه و أما الثاني فعلى سبيل الاستحقاق والليافة بالايمان و

صالح العمل و إن كان فيـه التفضل أيضاً كما قال تعالى : « انا لا نضيع أجـر المحسنين » ففـى تقديـم الظرف دلالة على اختصـاص النعمة الاخرويـة بمن يستحق بها .

و قيل : وفيه إشارة إلى ما استوجب الله تعالى من حمد فوق حمد الوجود و هو حمد البعث بعد الموت الذى هو أشبه بوجود جديد للانسان وامساك بهمن الذهاب إلى العدم كان الذى وشيكاً أن ينتهى إليه بعد الموت .

و « له الحمد فى الاخـرة » عطف على الصلة « له ما فى السمـوات . . . » ايذاناً بانه تعالى هو المحمود على نعم الاخرة كما انه جل وعلا هو المحمود علم نعم الدنيا ليتلاءم الكلام وفى تقييد الحمد فى المعطوف بان محله الاخرة ايذان بان محل الحمد الاول الدنيا فالله تعالى محمود على نعم الدنيا فيها ، و محمود على نعم الاخرة فيها ، و هو المالك للآخرة كما انه المالك للاولى . وتخصيص الحمد بالاخرة لما ان الجملةالاولى تتضمن الحمد فى الدنيا ، فان النظامالمشهود فى السموات و الارض نظام دنيوى كما يشهدبه قوله سبحانه : «يوم تبدل الارض غيرالارض و السموات » ابراهيم : ٤٨)

و قوله تعالى : « و هو الحكيم الخبير» تمهيد و توطئة لذكرالاية التالية كما ان قوله جل وعلا : « و هـو الرحيم الغفـور » تتمة للاية السابقة ، و فى لطافة التقدم و التأخر مما لا يخفى على القارىء الخبير المتدبر، حيث ان قوله جل و علا : « يعلم ما يلـج . . . » بيان لاحاطة علمه تعالى لما أشـار بكلمتى : « الحكيم الخبير» .

و فى الاسمين الكريمين دلالـة على أن تصرفه فى نظام الدنيا ثم تعقيبه بنظام الاخرة مبنى على الحكمة و الخبرة ، فبحكمته عقب الدنيا بالآخرة و الا لغت الخلقة ، و بطلت ، و لم يتميز المحسن من المسيىء و لاالمؤمن من الكافر، و لا المطيع من العاصى و لا السعيد من الشقى ، و لا المصلح من المفسد ... كما

قال تعالى : « و ما خلقنا السماء والارض و بينهما باطلاً - ام نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار » ص : ۲۸)
و بخبرته يحشرهم و لايغادر منهم أحداً و يجزى كل نفس بما كسبت .

وفيه إشارة إلى أن الله تعالى هوالذى ملك هذا الوجود بسلطانه المطلق، لم يكن فى هذا السلطان جور و لا استبداد لانه سلطان بيدالحكيم الذى أحسن كل شيء خلقه ، و أقامه فى المقام المناسب له ، و تنبيه إلى سوءظن الكافرين و أصحاب الضلال بالله سبحانه ، و قصور إدراكهم لمالله تعالى من علم ، و انهم لو علموا بعض مالله تعالى من قدرة و علم و سلطان لخافوا بأسه ، و لماجرؤا على عصيانه ، إذ لايجرؤ على مخالفة أمر ذى الامر و الخروج على سلطان ذى السلطان إلا من وقع فى تصوره أن عين صاحب الامر لاتراه ، أو ان سلطان ذى السلطان لايقدر عليه .

و لا يخفى ان الخبيرمن أسماء الله الحسنى مأخوذ من الخبرة و هى العلم بالجزئيات فهو أخص من العلم .

۲ - (يعلم ما يلج فى الارض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء وما يعرج فيها و هو الرحيم الغفور)

تفصيل و بيان لبعض ما يحيط به علمه تعالى من الامور التى انيطت بها مصالحهم الدنيوية و الاخرية ، و تأكيد لحكمته وخبرته اللتين وصف بهماذاته جل وعلا ، و فى قوله تعالى : « يعلم ما يلج فى الارض و ما يخرج منها » إشارة إلى بعض علم الله تعالى فيما بين أيدى الناس ، و هو هذا العالم الارضى الذى يعيشون فيه فهذه الارض يعلم الله جل و علا ما ينفذ إلى باطنها و يتسرب إلى أعماقها . . . و فى قوله سبحانه : « و ما ينزل من السماء وما يعرج فيها » إشارة إلى علم الله تبارك وتعالى بما فوق هذا العالم الارضى وهو السماء، فيعلم ماينزل من السماء من ماء و ملائكة ، و يعلم ما يصعد إليها من الاعمال و الارواح . . .

ان تسئل : لماذا قال : « و ما يعرج فيها » ولم يقل : « ومايعرج إليها » ؟

تجيب : إذ فى « فيها » إشارة إلى قبول الاعمال الصالحة و مرتبة النفوس الزكية ، و ذلك لان حرف « إلى » للغاية ، فلو قال : « و ما يعرج إليها » لفهم الوقوف عند السموات ، فقال : « و ما يعرج فيها » ليفهم صعودها فيها و نفوذها منها ، ولهذا قال فى الكلم الطيب : « إليه يصعد الكلم الطيب » .

الولوج : مقابل الخروج ، والعروج مقابل النزول ، وكأن العلم بالولوج والخروج والنزول والعروج كناية عن علمه تعالى بحركة كل متحرك و فعله و اختتام الاية بقوله جل وعلا : « و هو الرحيم الغفور » كأن فيه إشارة إلى ان له رحمة ثابتة ومغفرة ستصيب قوماً بايمانهم وصالح أعمالهم . . . وفيه وعد بالرحمة والغفران لمن تاب و آمن فلا يعجل لهم الجزاء بل يؤخر لعل العاصى يتوب فيغفر له ، والكافر يؤمن فيرحم به ، و فيه حثّ على الايمان والطاعة .

قيل : ان الآيتين المتقدمتين مطلع بارز للسورة و تمهيد لما بعدهما من البعث والجزاء و إشارة إلى الحجة التى ينقطع لديها الخصم ، والأساس الذى يقوم عليه ذلك أمران : أحدهما ـ عموم ملكه جل و علا لكل شيء من كل جهة حتى يصح له أىّ تصرف أراد فيها من إبداء و رزق و إماتة و إحياء بالاعادة و جزاء . ثانيهما ـ كمال علمه تعالى بالأشياء من جميع جهاتها علماً لايطرء عليه عزوب و زوال حتى يعيد كل من أراد و يجزيه على ما علم من أعماله خيراً أو شراً . ، و قد اشير إلى أول الامرين فى الاية الاولى التى نحن فيها ، و إلى الثانية فى الاية الثانية و بذلك يظهر أن الآيتين تمهيد لما فى الآية الثالثة والرابعة .

٣ ـ (و قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى و ربى لتأتينكم عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات و لا فى الارض ولا أصغر من ذلك و لا أكبر الا فى كتاب مبين)

حكاية لانكار الكفار بمجيىء الساعة ، و نفى المشركين بوقوع البعث

والحياة الاخروية بالكلية ، و هم كانوا ينكرون يوم القيامة مع ظهور عموم ملكه و علمه بكل شيء و لا مورد للارتياب في إتيانها مع ذلك كما تقدّم فضلاً عن إنكار اتيانها .

و قوله تعالى : «قل بلى و ربي لتأتينكم» أمر للنبي الكريم ﷺ بالتوكيد بمجيىء الساعة مقسماً على ذلك رداً على الكافرين ، و إثبات لما نفوه على سبيل التوكيد القسمي لتقرير الوصف المقسم به بصفات تقرر إمكانه ، و نفي استبعاده غير مرّة ، وفي تكرار القسم تأكيد في الوقوع والتحقق على أتم الوجوه وأكملها. والمعنى : ليس الامر كما أنكرتموه ، بل الامر وقوع ما أنكرتموه . و « بلى » جواب لاثبات المستفهم عنه بالنفي و ايجابه ، ففي قولهم : « لاتأتينا الساعة » نفي في طيه استفهام إنكاري ، و كأنهم قالوا : « ألا تأتينا الساعة » مبالغة منهم في إنكارها ، ففي تحدّي من يؤمن بها ، و قد جاء الرد عليهم مثبتاً لما نفوه مؤكداً له قاطعاً به بهذا القسم باسم الرب العظيم « و ربي » وبهذا التوكيد للفعل باللام والنون « لتأتينكم » وفي القسم بالرب « بلى و ربي » إشارة إلى ربوبية الله تعالى لهؤلاء المنكرين الذين أنكروا ماتقضي به الربوبية التي لاتنقطع فواضل إحسانها و انعامها لحظة واحدة عن أيّ موجود ، ولو انقطع ذلك لماكان لموجود وجود .

و قوله تعالى : « عالم الغيب » وصف لنفسه تعالى بكمال العلم و عظيم الاحاطة بالموجودات وفيه برهان على وقوع البعث وقيام الساعة لان العلم بجميع الاشياء عالم بأجزاء الاحياء قادر على جمعها كما بدأها، و إمداد للتأكيد وتسديد له اثر تسديد و كسر لسورة نكيرهم و استبعادهم إذ تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شأن المقسم عليه و قوة ثباته و صحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ، و لا ريب في أن المستشهد به كلما كان أجل و أعلا كانت الشهادة آكد و أقوى ، والمستشهد عليه أحق بالثبوت وأولى لاسيما اذا خصّ بالذكر من النعوت ماله تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه .

إذ وصفه بعلم الغيب الذى أشهر أفراده و أدخلها فى الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم و كونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما ، وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما أصلاً حيث انهم كانوا يعرفون أمانته ﷺ ونزاهته عن وصمة الكذب فضلاً عن اليمين الفاجرة ، وانما لم يصدقوه مكابرة و عناداً .

و قوله تعالى : « لا يعزب عنه مثقال ذرة . . . » و فيه دلالة على إحاطة علمه تعالى على الكليات والجزئيات معاً رداً على بعض المتفلسفة الذين يزعمون ان الله سبحانه لا يعلم بالجزئيات ، ولو كان عالماً بها فهو بمطالعته اللوح المحفوظ أو بالعقل الاول . وفيه دفع لما كان هو السبب العمدة فى انكارهم البعث والقيامة ، و هو إختلاط الاشياء و منها أبدان الاموات بعضها ببعض ، و تبدل صورها تبدلاً بعد تبدل بحيث لاخبر عن أعيانها . . . فيمتنع إعادتها من دون تميز بعضها من بعض بأن لا يفوت عن علمه جل و علا مثقال ذرة فى السموات و لا فى الارض . و إشارة إلى أن الانسان له جسم أرضى و روح سماوى ، فالعالم بما فى العالمين القادر على تأليفهما قادر على إعادتهما على ما كانا عليه .

و قوله تعالى : « ولا أصغر من ذلك و لا أكبر » تعميم لعلمه لكل شيء ، و انما ذكر « اكبر » مع ان « أصغر » هو اللائق بالمبالغة لئلا يتوهم متوهم ان الصغار تثبت لكونها تنسى أما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة إلى اثباته بل المراد ان الصغير والكبير مثبت فى الكتاب .

و قوله تعالى : « الا فى كتاب مبين » كناية عن علم الله تعالى وشموله ، و فيه إشارتان : إشارة إلى حصر الموجودات كلها صغيرها و كبيرها . و إشارة إلى ان للاشياء كائنة ما كانت ثبوتاً فى كتاب مبين لا تتغيّر و لا تتبدل ، و إن زالت رسومها عن صفحة الكون .

٤ - (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم)

تعليل لقوله تعالى : « لتأتينكم » و بيان لما يقتضى إتيان الساعة ، وتقرير لغاية البعث والاعادة ، فاقتضت الحكمة والعدل الالهى أن تأتى الساعة و يبعث فيها الناس للحساب والجزاءِ إن خيراً فخيراً و إن شراً فشراً . وكل هذا مما يجعل تحقيق الوعد فى نطاق قدرة الله تعالى و حكمة ذلك ظاهرة لانه مقتضى صفة العدل فى الله جل و علا حتى ينال كل من المؤمنين والكافرين ، كل من المحسنين والمسيئين ، كل من الصالحين والفاسدين ، وكل من المطيعين والعاصين جزاء أعمالهم . . .

و قد أطلق الجزاء الذى يجزى به المؤمنون من غير تقييده بأنه جزاء حسن للدلالة على أنه أمر واضح لا يحتاج إلى بيان إذ ليس للاحسان جزاء إلاّ الاحسان . وقيل : فى الاية بيان أحد السببين لقيام الساعة وهو جزاء المؤمنين بالمغفرة والرزق الكريم ، والسبب الآخر ما اشير إليه بقوله تعالى : « والذين سعوا فى آياتنا معاجزين . . . » .

وقوله تعالى : « اولئك لهم مغفرة » إشارة إلى الموصول : «الذين» باعتبار إتصافه بما حيّز الصلة من الايمان و صالح الاعمال ، و معنى البعد فيها ايذان ببعد منزلتهم فى الفضل والشرف ، و رفع لقدرهم وتنويه بمنزلتهم العالية فى مقام التكريم والاحسان . و قوله تعالى : « لهم مغفرة و رزق كريم » نوع محاذاة لقوله السابق : « و هو الرحيم الغفور » . و فى الاية وعد وحث .

٥ - (والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز أليم)

إشارة إلى أنهم كانوا يخوضون فى آيات الله تعالى خوضاً بغير حساب إستخفافاً بها وسخرية منها ، وهذا بعض السرّ فى تعدية « سعى » بحرف « فى » التى تفيد الظرفية . و فى الضرب عن صفة الجزاءِ للذين سعوا فى آيات الله معاجزين إشارة إلى التعجيل بالجزاءِ السيّئ لهم ومواجهتهم به بمجرد أن يحرضوا على الحساب انه عذاب من رجز أليم .

و قوله تعالى : « معاجزين » حال لبيان الغاية من هذا السعي الآثم في آيات الله جل و علا ، و انه لم يكن سعياً للافادة منها والاهتداء بهداها ، و انما هو سعي لحجبها عن الناس و لتعجيزها وإعجاز الناس عن الوصول إليها. والمعاجزة : المبالغة في الاعجاز . وقيل: المعاجزة : المسابقة . والكلام مبنيّ على الاستعارة بالكناية كأن الايات مسافة يسيرون فيها سيراً حثيثاً ليعجزوا الله سبحانه ويسبقوه .

و قوله تعالى : « اولئك لهم عذاب من رجز أليم » في الاشارة فضح لهم و كشف عن موقفهم الذليل في مقام الخزى والهوان . والرجز ـ كالرجس ـ : القذر و لعل المراد به العمل السيّىء ، فيكون إشارة إلى تبدل العمل عذاباً أليماً عليهم أو سبباً لعذابهم .

وفي الاية تحريض و وعيد للكفار الذين يصرّون على انكار البعث والاعادة والجزاء .

٦ـ (ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد)

مستأنف سيق للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الايات والكافرين بالمعاد ، و متعرض لقوله السابق : « و قال الذين كفروا » فاولوا العلم يعترفون بما كان هؤلاء الكافرون ينكرونه . ويحتمل أن يكون منصوب المحل عطفاً على « ليجزى » أى و ليعلم اولوا العلم عند مجيىء الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الآن برهاناً و يحتجوا به على المكذبين ، فتحتوى تقرير كون ما احتوته الايات الكريمة من توكيد البعث و قدرة الله تعالى عليه و حكمته فيه ، و شأنه أن يجعل الذين اوتوا العلم يتأكدون من ان ما انزل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ربه هو الحق الهادى إلى صراط العزيز المستحق للحمد وحده .

قوله تعالى : « هو الحق » في التعريف ما يفيد القصر ، و ذلك بتعريف ركني الجملة إذ ان أصل الكلام هو « الذى انزل اليك من ربك هو الحق » أى

الذی لاحق وراءه فهو وحده الحق ، و ما سواه خارج عليه فهو الباطل .

و قوله تعالى : « العزيز الحميد » فى التوصيف بـ « العزيز الحميد » مقابلة لما وصفهم به فى قوله : « الذين سعوا فى آياتنا معاجزين » و قدم صفة الهيبة لان الكلام مع منكرى البعث . و فى الاية دلالة على فضيلة العلم و شرف العلماء العاملين وعظم أقدارهم ، والمراد بالذين اوتوا العلم العلماء بالله تعالى والعاملون بآياته . . .

۷ ـ (و قال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد)

إخبار عمن قال : « لا تأتينا الساعة » و إستمرار فى حكاية انكار المشركين للبعث وأقاويلهم حول البعث والجزاء حيث كانوا حينما يكرر النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أخبار الاخرة و أهوالها و ينذر بها ، و يؤكد حقيقية البعث ، فكانوا يستنفرون استنفار تشويش و استنكار و هزء قائلين لهم : تعالوا ندلكم على الرجل الذى ينبىء الناس انهم سيخلقون خلقاً جديداً بعد أن يموتوا وتبلى أجسادهم وعظامهم و تتفتت و تنتشر فى الارض أو إستمرار فى حكاية المشهد الجدلى والحجاجى حول البعث بين النبى صلى الله عليه وآله وسلم و بينهم.

و قوله تعالى حكاية عنهم : « هل ندلكم على رجل » كلام منهم وارد مورد الاستهزاء يعرّفون النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعضهم لبعض بالقول بالمعاد ، وقصة لعناد مشركى قريش ، و خصّهم بالتعجيب من حالهم لانهم تجاهلوا حيث قالوا : على رجل مع أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان عندهم أشهر من غيره ، وكان أمره أظهر من الشمس، فقصدوا بذلك الطعن والسخرية والتحقير والاستخفاف، وأخرجوا مخرج التحكى ببعض الاحاجى والاضاحيك والأعاجيب التى يتحاجى بها للضحك والتلهى متجاهلين به و بأمره كأن لم يكونوا قد عرفوا الآ انه رجل ما .

و قوله تعالى : « مزقتم كل ممزق » كناية عما يصير إليه الناس بعد الموت

من البلى و التفتت والانتشار .

٨ - (أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الـذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد)

إخبار من الله تعالى عن مقالة الكفرة الذين أنكروا البعث و الاعادة بعد الموت فيقول بعضهم لبعض معجبين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وعده إياهم بالبعث بعد تفرّق الاجزاء وفنائها ، وهذا عجيب عندهم لايقول به عاقل الاّ لتلبيس الامر على الناس و إضلالهم لينال بعض ما عندهم ، و الاّ فكيف يلتبس فيه الامـر على عاقل و لهذا ردّدوا الامر بين الافتراء و الجنون في الاستفهام ، فكانوا يتساءلون على سبيل التهويش و الاستنكار عما اذا لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يقوله يفترى علـى الله الكذب أو انه اعتراه جنـون ، و ان تساءلهم هـو تساؤل المستغرب المندهش وان نسبتهم الجنون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت تعبيراً عمايخالجهم في انه يقول مالايصدق و مالايعقل .

و فيه إشارة إلى إزديادهم في التجاهل ، و دلالة على ان الكافر لا يرضـى بالكذب البحت ، فيردد كلامه بين الامرين ، و لكن أخطأ ابن اخت خالته حين ترك قسماً ثالثاً ، و هو انه عاقل صادق فلذلك ردّ الله جل و علا عليهـم بقوله : « بـل الذين لايؤمنون بالاخرة في العذاب و الضلال البعيد » جعل وقوعهم في العذاب رسلاً لوقوعهم في الضلال إن العذاب من لوازم الضـلال و موجباته قابل قولهم : أفترى بالعذاب و قولهم : به جنة بالضلال البعيد لان نسبة الجنـون إلى العاقل أقل من باب الايذاء من نسبة الافتراء إليه .

و قوله تعالى : « أم به جنة » إستدلّ الجاحظ بهذا الكلام على أن الكلام ثلاثة أقسام : صدق و كذب ، ولاصدق ولا كذب . و ذلك ان قوله تعالى : « ام به جنـة » قسيم الكذب و قسيم الشيء غيره ، فلايكـون صدقاً لانهم لايعتقدون به فثبت قسم ثالث . اجيب عنه بان المعنى : أم لم يفتر. وعبّر عن ذلك لان المجنون

لا افتراء له .

وقوله تعالى : « بل الذين لايؤمنون بالاخرة » ردّ عليهم بما تقوّلوه ، و إضراب من الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام في قولهم : «افترى على الله أم به جنة » بالاضراب عن شقيه و إبطالهما ، و إثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال باع عليهم سوء حالهم ، وابتلاءهم بما قالوا في حق الرسول ﷺ فكأنه تعالى قال : ليس الامر كما توهموا بل هم في نهاية اختلال العقل و غاية الضلالة على ما يوجبه ، و يستتبعه للمسارعة إلى بيان ما يسوؤهم و يفت في أعضادهم . . .

و في وضع الموصول « الذين » موضع الضمير دلالة على أن علة وقوعهم فيما وقعوا فيه من العذاب و الضلال عدم ايمانهم بالاخرة . فهم في حقيقة الامر في ضلال و ان لهم من أجل ضلالهم هذا العذاب الشديد . و في الجملة ردّ عليهم مقالتهم وأثبت لهم ما هو أشدو أنكى اذ ألبسهم لباس العمى و الضلال . وفي وضع الموصول موضع ضمير«هم» أيضاً تنبيه بما في حيّز الصلة على أن علة ما ارتكبوه و اجترؤا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالاخرة ، و ما فيها من فنون العقاب و لولاه لما فعلوا ذلك خوفاً من غائلته .

و قوله تعالى : «في العذاب و الضلال البعيد» قدّم العذاب على الضلال مع ان العذاب الذي سينالهم هو من ثمرة ضلالهم ـ قدّم هذا إستعجالاً لما يؤهم و إستحضاراً للبلاءِ الذي ظنوا انهم في مأمن منه . و وصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة ،ومن باب الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن طريق الحق وسواء السبيل، عن صراط مستقيم وعن جادة الانسانية والسعادة والكمال... و كلما ازداد عنها بعداً كان أضل كاسناد الراضية إلى العيشة في قوله تعالى:«في عيشة راضية» القارعة :۷)فان العيشة لاتكون راضية وانما صاحبها.وفيه تنبيه إلى مزيد جهلهم .

۹ ـ (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وماخلفهم من السماء والارض ان نشأ

نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب)

مستأنف سيق لتهويل ما اجترؤا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا فى حق الرسول ﷺ و انه من العظائم الموجبة لنزول أشد العقاب ، و حلول أفظع العذاب من غير ريث و تأخير ، و الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام . و قيل : خصّت بالفاء - و ليس غيره فى القرآن - تعجيلا للجواب و تعقيباً لحل الشبهة نظيره قوله تعالى : « او ليس الذى خلق السموات و الارض بقادر على أن يخلق مثلهم » و وعظ و انذار لهم باستعظام ما اجترؤا عليه من تكذيب آيات الله جل وعلا والاستهزاء برسوله ﷺ و نسبة الافتراء والجنون إليه .

و من المحتمل أن يكون انتقالاً إلى إقامة دليل آخر على قدرة الله تعالى على البعث و الاعادة من طريق مشاهد عظمته و قدرته على العالم ، بعد ما أقام الدليل على ذلك سابقاً من طريق علمه بالغيوب . وفى ذلك تنبيه إلى مزيد جهل المنكرين المشار إليه بالضلال البعيد . فكيف يشكون فى ذلك ، و هم يرون مشاهد عظمة الله تعالى و قدرته ما ثلة فى السماء و الارض المحيطتين بهم .

وقوله تعالى : « ما بين أيديهم و ما خلفهم من السماء و الارض » تقرير لاحاطة السماء و الارض بهم من بين أيديهم و من خلفهم ، فأينما نظروا وجدوا سماء تظلهم و أرضاً تقلّهم لامفرّ لهم منهما .

ان تسئل : كيف قال الله جل وعلا : « أولم يروا إلى ما بين أيديهم و ما خلفهم من السماء و الارض » و لم يقل : إلى ما فوقهم من السماء و ما تحتهم من الارض ؟

تجيب : ما بين يدى الانسان هو كل شيء يقع نظره عليه من غير أن يحوّل وجهه إليه ، وما خلفه هو كل شيء لايقع نظره عليه حتى يحوّل وجهه إليه فكان اللفظ المذكور أتم مما ذكر.

وان تسئل: هلا ذكر الله تعالى الأيمان و الشمائل هنا كما ذكرها فى قوله تعالى: «ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم» الاعراف : ١٧) ؟

تجيب: لايقاس المقام بمقالة الشيطان فى إغواء مردته فتدبر جيداً.

وقوله تعالى: «إن نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء» بيان لما ينبىء عنه ذكراً إحاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما. و تنبيه على انه لم يبق من أسباب و قوعه الا تعلق المشيئة به أى افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة، فلم ينظروا إلى ماأحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لامفرّ لهم عنه و لامحيص ان نشأ جرياً على موجب جناياتهم. و فى الجملة تهديد شديد لهم على أنه جل وعلا قادر على أن يجعل عين النافع ضاراً بالخسف، و إسقاط الكسف، و إنذار رهيب بهم، فلو شاء الله جل و عز لعجل عليهم بلاءه القاصم فخسف بهم الارض أو أسقط عليهم كسفاً من السماء و أهابت بأصحاب النوايا الحسنة ففى الكون من الايات الدالة على قدرة الله براهين يدركها كل من حسنت نيته، فأناب إلى الله تعالى و اعترف بالعبودية له.

وقوله تعالى: « ان فى ذلك لاية لكل عبد منيب » حثّ بليغ على التوبة و الانابة، و هذا كالعلة فى الحث على الاستدلال بذلك لازاحة انكارهم بالبعث و الاعادة، و إشارة إلى أن هذا الذى تحدث به الاية عن قدرة الله تعالى و عن بأسه الذى لايرد لايلتفت إليه و لاينتفع به الا من كان ذا عقل متفتح، و بصيرة نافذة و قلب سليم اذا رأى الحق عرفه، و اذا عرفه آمن به و عمل على هداه. فخصّ المنيب بالذكر لانه المنتفع بالفكرة فى حجج الله جل وعلا و آياته...

١٠ ـ (ولقد آتينا داود منا فضلاً ياجبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد)

تاكيد للانابة و المعنى: آتينا داود لحسن إنابته و صحة توبته فضلاً على سائر الانبياء عليهم السلام أو على سائر الناس. و قيل: مستأنف يشير إلى نبذة من قصص

داود و ابنه سليمان عليهما السلام ثم إلى قصة سبأ .

وقوله تعالى : «منا» لتاكيد فخامة الفضل الذاتية بفخامة الفضل الاضافية كما في قوله تعالى : « و آتيناه من لدنا علماً » و تقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر، فان ما حقه التقديم إذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا أوردها يتمكن عندها فضل تمكن . و في التقديم تعظيم للمنعم أيضاً و إشارة إلى علو المقام الذى جاء منه الاحسان فيقطع العقل بانه احسان عظيم قبل أن يكشف عن الاحسان .

وقوله تعالى : « فضلاً » في تنكير الفضل فخامة و تنويه بالفضل و شأنه .

وقوله تعالى : « ياجبال أوبى معه والطير. . . » في تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لأمره تعالى المذعنين لحكمه إشعار بانه ما من حيوان وجماد ، وما من صامت وناطق الا ّ وهو منقاد لمشيئته ، غير ممتنع على إرادته ، من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شأنه جل وعلا و كمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على اولى الالباب .

و فيه بيان للفضل الذى اوتى داود عليه السلام ، و قد وضع فيه الخطاب الذى خوطبت به الجبال و الطير فسخرتا به موضع نفس التسخير الذى هو العطية و هو من قبيل وضع السبب موضع المسبب . و لعل اختيار الجبال و الطير من بين الكائنات كلها لان الجبال أبرز وجوه الارض فهى أشبه بالسلطان القائم عليها و الطيور هى ملوك الجو ّ، وأبرز مايحلّق في أجوائها من ذوات الأجنحة كالذباب و البعوض و غيره . . .

١١ - (أن اعمل سابغات و قدر في السرد و اعملوا صالحاً انى بما تعملون بصير)

خطاب لداود عليه السلام و نوع تفسير لا لانة الحديد له لان إلانة الحديد له في معنى الامر بان يستعمل دروعاً واسعة وهى من الصفات التي غلبت عليها الاسمية

حتى ترك ذكر موصوفها . و في ذلك دلالة على ان داود عليه‌السلام قاتل حتى خلص الملك من الاعداء والطواغيت والجبابرة حيث امر بعمل الدروع السوابغ ، وتعليم من الله جل وعلا لداود عليه‌السلام في إجادة نسج الدروع ، و توجيه منه تعالى باتقان العمل و إحسانه و ضبطه على أحسن وجه له .

و قوله تعالى : « واعملوا صالحاً » خطاب لداود وأهله كما قال: « اعملوا آل داود شكراً » و ان الجملة لوقوعها في سياق بيان اتيان الفضل وعدّ النعم تفيد معنى الامر بالشكر كأنه قيل : و قلنا له و لآله الذين ينتفعون بحصيلة نسج الدروع : اشكر النعم أنت و آلك بصالح الاعمال . . .

و قوله تعالى : « اني بما تعملون بصير » تعليل لما أمره الله تعالى و آله به من قوله : « و اعملوا صالحاً » و فيه تنبيه و إغراء باصلاح العمل والاخلاص فيه . و يحتمل أن يكون تعليلاً لوجوب الامتثال به ، و تأكيد لاتيان صالح الاعمال . . . و إشارة إلى أن الله تعالى مطلع على عمل كل عامل ، وبصير بما يعمل العاملون ، و يكشف ما في العمل من عيب أو عوج ، و يجازى كلاً بحسب عمله إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً . وفي الجملة نوع تهديد لمن ترك صالح الاعمال ...

۱۲ - (و لسليمان الريح غدوها شهر و رواحها شهر و أسلنا له عين القطر و من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه و من يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير)

مستأنف على تقدير : و سخرنا لسليمان الريح . و يحتمل العطف على « و لقد آتينا داود » و على أيّ التقديرين ففي الاية إشارة إلى ما أنعم الله تعالى به على سليمان ، و هي ثلاث : أحدها - تسخير الرياح . ثانيها - إذابة النحاس . ثالثها - تسخير الجن .

و قوله تعالى : « و أسلنا له عين القطر » في التعبير عن الحديد بالالانة في قوله: « و ألنا له الحديد » و عن النحاس بالسيولة إشارة إلى اختلاف طبيعتي

كل من الحديد والنحاس و ان الحديد يمكن تشكيله بالطرق اذا سخن ولان ، و أما النحاس فلاينتفع به حتى ينصهر ، و يتحول إلى مادة أقرب ما يكون إلى السوائل . . . و هذا ما نجده في قوله تعالى على لسان ذى القرنين : « آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله ناراً قال آتونى افرغ عليه قطراً » .

فالحديد هنا قد عرض على النار حتى احمرّ وصار أشبه بالجمر ، ثم جاء بالقطر و هو النحاس الذائب ، فافرغه على هذا الحديد و صبّه فوقه كما يصب الماء على النار .

و قوله تعالى : « و من الجن من يعمل بين يديه » و فيه دلالة على انه قد كان بعض من الجن مسخراً لسليمان عليه السلام و كان الاخرون غير مسخرين له ، و دلالة على انهم قد كانوا مكلفين .

وفي قوله : « باذن ربه » إشارة إلى ان حضور الجن بين يديه كان مصلحة له لا مفسدة و في قوله : « عن أمرنا » دون أن يقول : عن أمر ربه إشارة إلى أن الجن كانوا بصدد التعذيب عند زيغهم عن أمر الله تعالى فان لفظ الرب ينبىء عن الرحمة ، و صيغة الجمع للتكلم في مقام الوحدة تنبىء عن الهيبة .

و قوله تعالى : « و من يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير » إشارة إلى سلطان الله تعالى قائم على هذه الكائنات ، و انه جل و علا قد سخّرها لتخدم عبداً من عباده و هو سليمان عليه السلام فهى واقعة تحت هذا الحكم لاتخرج عنه ومن خرج عنه منها عذبه الله تعالى عذاباً أليماً . و فيه تهديد و وعيد للمتخلفين عن أمر الله تعالى .

قيل : في المقام نكتة : و هى ان الله تعالى ذكر ثلاثة أشياء في حق داود و ثلاثة في حق سليمان ، لعله كالمصروف عن جهته تأمل فالجبال المسخرة لداود من جنس تسخير الرياح لسليمان اذ كل منهما ثقيل مع خفيف ، فالجبال أثقل

من الآدمى ، والآدمى أثقل من الريح ، و أيضاً تسخير الطير من جنس الجن ، فان الطير تنفر من الآدمى ، والآدمى يتقى مواضع الجن، والجن تطلب أبداً اصطياد الناس ، والانسان يطلب اصطياد الطير ، و إلانة الحديد شبيهة باسالة القطر .

١٣ ـ (يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادى الشكور)

بيان و تفصيل لعمل الجن فى قوله تعالى: « من الجن من يعمل بين يديه » و « من محاريب » بيان لما يشاء .

و قوله تعالى : « اعملوا آل داود شكراً » حكاية لما قيل لهم ، والخطاب لسليمان عليه‌السلام و من معه من آل داود . و فى لفظ العمل إشارة إلى أن الشكر اللسانى غير كاف، و انما المعتبر الشكر الفعلى أوهو مع القولى بعد المعرفة بالمنعم .

وقوله تعالى : « و قليل من عبادى الشكور » تعقيب تقريرى و توجيهى كما عليه تعقيبات القرآن الكريم بعد ذكر القصص ، فيكشف من جانب عن عظمة فضل الله تعالى و نعمته حتى ليقلّ القادرون على شكرها ، و يكشف من جانب آخر عن تقصير البشر فى شكر نعم الله تعالى ، فهم مهما بالغوا فى الشكر قاصرون عن الوفاء ، فكيف اذا قصروا و غفلوا عن الشكر بالتمام و ماذا يملك الانسان المحدود من الشكر على نعم الله تعالى ، و هى غير محدودة : « و ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » حيث تغمر النعم الالهية الانسان من فوقه و من تحت قدميه و عن أيمانه و عن شمائله و تكمن فيه هو ذاته و تفيض منه ، و هو ذاته إحدى هذه الآلام الضخام .

والجملة بصدد ترفيع مقام أهل الشكر بان المتمكنين فى هذا المقام قليلون و هم الاوحديون من الناس ، و يحتمل أن يكون فى مقام التعليل ، فكأنه قيل: انهم قليل فكثّروا عدتهم . و فيه تنبيه و تحريض على الشكر .

١٤ ـ (فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل

منسأته فلماخر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين)

كشف عن حقيقة الجن ، و تكذيب للصور المشوهة التى وقعت فى أوهام أكثر الناس من نسبة الخوارق و القدرة المطلقة و علم الغيب ، و ما إليها إلى الجن ، ولهذا يلجأ كثير من الناس إلى محاولة الاتصال بالجن كما يفعل العرافون و السحرة و أذنابهم . . .

فرد الله تعالى عليهم بهذه الاية الكريمة بان سليمان عليه السلام حين حان أجله و قضى عليه الموت ، و كان سليمان حين مات قائماً بين الجن و هم بين يديه يعملون له ، و لم يعلموا بموته و ظلوا يعملون له فيما أمرهم به قبل موته . و لم يدلهم على موته الا دابة الارض التى كانت تأكل عصاه التى كان يتكيء عليها، فلما عبثت دابة الارض بالعصا زايلت موضعها وسقطت على الارض و خر سليمان عليها كذلك وهنا علم الجن ان سليمان قدمات من قبل و هم لا يعلمون بموته ، فأخلوا مكانهم ومضوا إلى حيث يشاؤون ، ولو كانوا يعلمون الغيب لعلموا بموت سليمان عليه السلام و لو كان بعيداً عنهم ، فكيف و هو تحت سمعهم وبصرهم ؟

وانما الجن كانت محدودة القدرة ، واقعة فى قيد العجز عن كثير من الامور شأنها فى هذا شأن الانسان الذى يقدر على القليل و يعجز عن الكثير . . .

و أما إخبار الجن عن الطريق و الامتعة و ما إليها مما يمكن أن يعلمها الجن لما لهم من الحركة السريعة و الانطلاق فى آفاق فسيحة فليست من علم الغيب ، و انما هو مشاهدة حيث كان عن واقع محسوس يراه الجن رأى العين فهو حضور بالنسبة للجن و لكنه غيب بالنسبة للانسان البعيد عن موقع الحدث حيث يرى الجن و لا نرى نحن البشر . قال الله تعالى : « انه يراكم هو و قبيله من حيث لا ترونهم » الاعراف : ٢٧)

١٥ ـ (لقد كان لسباء فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق

ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور)
بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله جل و علا اثر بيان أحوال الشاكرين لها ،و إخبار عن قصة سبأ بمادل على حسن عاقبة الشكر وسوء مآل الكفران على طريق التأكيد القسمي ، فقد يسّر الله تعالى لهم رغد العيش في مسكنهم ، و كانت لهم جنات عن اليمين والشمال ليأكلوا من رزق من بيده تدبير أمرهم وشئون تربيتهم الروحية و المادية ، و الظاهرة و الباطنة . . . و يشكروا له نعمه فبلدتهم طيبة الرزق و ربهم غفور اذا شكروا له .

وقوله تعالى : « جنتان عن يمين و شمال » تفسير لما قبله . إن تسئل : كيف قال الله تعالى : «آية جنتان» و لم يقل : « آيتان جنتان » و كل جنة كانت آية أى علامة على توحيدالله جل وعلا ؟ تجيب : لما تماثلتا في الدلالة و اتحدت جهتهما فيها جعلهما آية واحدة ، و نظيره قوله تعالى : « و جعلنا ابن مريم و امه آية » .

وقوله تعالى : « كلوا من رزق ربكم و اشكروا له » حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلاً للنعمة ، و تذكيراً لحقوقها أو لما نطق به لسان الحال أو بيان لكون أحقاء بان يقال لهم ذلك . في الامر بالاكل من الجنتين كناية عن رزقهم منهما ، ثم بالشكر له على نعمته و رزقه . أمر يراد به الالفات إلى هذه النعم العظيمة التى أسبغها الله تعالى على القوم ، و ليس المراد به الامر بالاكل على اطلاقه .

وقوله تعالى : « بلدة طيبة » مستأنف بياني سيق لبيان موجب الشكر المأمور به أى هذه بلدة طيبة لكثرة أشجارها و طيب ثمارها . أو بلدتكم بلدة طيبة .

وقوله تعالى : « و رب غفور » في ايثار « رب » إشعار بان كل ذلك من شئون الربوبية ، و في « غفور » إشارة إلى ان الشكر و الاكل من الحلال الطيب

يوجب المغفره مما سبق منكم .

١٦ - (فأعرضوا فارسلناعليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط و أثل و شيء من سدر قليل)

بيان لما أهمل أهل سباء واجب الشكر، وانحرفوا عن جادة الحق و كفروا بنعمة الله تعالى فعاقبهم على جرى عادته ومزقهم وجعلهم أحاديث للناس إذ أرسل عليهم سيل العرم فاجتاح جناتهم وخربها وبدلها بجنات من أشجار كريهة المنظر، كثيرة الشوك مرة الطعم من الخمط و الاثل و السدر .

وفى مقابلة الجنتين الطيبتين بهذه الصورة الكئيبة لماتنبت الارض ،و فى وصف هذه الصورة بالجنتين - ما يكشف عن مدى هذا التحول الذى أصاب القوم فى حياتهم ، وعن الحسرة التى تملأ قلوبهم حين ينظرون إلى جنتيهم الذاهبتين، ثم إلى هاتين الجنتين اللتين بين أيديهم ، فهذا هو ما يمكن أن يحصلوا عليه من جنات إن كان يصح أن يكون ما فى أيديهم مما يطلق عليه .

١٧ - (ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازى الا الكفور)

بيان لسبب العقاب المتقدم ، وإشارة إلى مصدر «جزيناهم» أو إلى ماذكر من تبديل الجنتين و إرسال السيل ، و ما حل بهم من نكال و بلاء و معنى البعد فيها ايذان ببعد رتبته فى الفظاعة . و قيل : ان الفرق بين الجزاء و المجازاة : ان المجازاة لاتستعمل الا فى الشر، والجزاء عام لكل مكافأة يستعمل فى المعاقبة تارة و فى الاثابة تارة اخرى .

١٨ - (وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى و أياماً آمنين)

تقرير لأحوال أهل سبأ خارج البلد، وما يؤول إليه أمره - اثر بيان أحوال مسكنهم و جنتيهم و حكاية تبديل الجنتين داخل البلد و ما آل اليه أمره - فجعل الله تعالى العمران متصلاً بين بلادهم ، والبلاد التى بارك فيها بقرى ظاهرة

متتابعة بحيث يستطيعون أن يسيروا ليالى و أياماً آمنين شر أخطار الاسفار و مشاقها . . . فهذا اخبار وحكاية من الله تعالى لما اوتوا من النعم البادية فى مسايرهم و متاجرهم ، و ما فعلوا بها من الكفران و ظلموا أنفسهم ، فحاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم و بياناً لعاقبتهم .

و قوله تعالى : « سيروا فيها ليالى و أياماً آمنين » بيان لأمن طريقهم ، والغرض من ذكر الليالى والايام تقرير كمال الامن ، ولذلك قدمت الليالى ، فانها مظنة الآفات . . . وفى ذلك إشارة إلى تكامل نعمة الله تعالى عليهم فى السفر كما انه كذلك فى الحضر .

و هذه نعمة من النعم العظيمة التى لا يدرك مداها إلاّ من مضى عمره فى السفر ، و لهذا امتنّ الله تعالى على قريش بان آمنهم فى أسفارهم فى رحلتى الشتاء والصيف .

١٩ - (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا و ظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور)

حكاية لماسئموا العيش الهنيء وملّوا الدعة والراحة كما طلب بنو اسرائيل البصل والفوم مكان المن والسلوى ، فلم يقدروا هذه النعمة حق قدرها ، وتحدّوا الله جل و علا بأقوالهم أو أفعالهم أن يباعد بين أسفارهم بدل شكرها و جعلها وسيلة لنيلهم بالنعم الاخروية ، فظلموا بذلك أنفسهم و آذوها إذ بطروا و بغوا فجعلوها عرضة للسخط والعذاب والهلاك والدمار فسببوا انصباب نقمة الله تعالى و غضبه عليهم ، فمزقهم فى الارض كل ممزق و جعلهم أحاديث للناس وموضوع نقدهم و تثريبهم و مضرب مثلهم .

قيل : قوله تعالى: « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا » اقتراح ضمنى لتخريب بلادهم .

وقوله تعالى : « و ظلموا أنفسهم » جواب لما طلبوه و تمهيد لذكر ما

عاقبهم على بطرهم بالنعمة .

وقوله تعالى : « فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق » بيان لعاقبة أمرهم ، وفي جعلهم نفس الأحاديث إما على المبالغة ، و إما على تقدير المضاف أي جعلنا ذوي أحاديث يتحدّث بهم النـاس متعجبين من أحوالهم و معتبـرين بعاقبتهم و مآل أمرهم .

و قوله تعالى : « ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » تقرير رباني بان في كل ذلك آيات و عبراً لايدرك مغزاها ، و لا ينتفع بها الاّ كل صبار ثابت على الاخلاص لله تعالى ، شاكر لنعمه و أفضاله قولاً و عملاً . وفي تخصيص هؤلاءِ بذلك لانهم المنتفعون بالايات القرآنية ويعتبرونها، و « صبار » مبالغة في الصبر أي يصبر في كل ما ينبغي عليه الصبر من الطاعة والمعصية والابتلاء والنعمة ، و « شكور » مبالغة في الشكر و هـو المتوفر على أداء الشكر ، الباذل وسعه فيه بالقلب واللسان والجوارح في أكثر الاوقات والاحوال . . .

٢٠ ـ (و لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين)

تقرير لصدق ما توسم ابليس في الكافرين و أهل الزيغ والشرك من ضعف العزم فيهم و انقيادهم و تسليم زمامهم لابليس فيتبعونه في كل ما يدعوهم إليه من انكار الصانع والشرك بالله تعالـى و تكذيب البعث والجـزاء ، الانهماك في الشهوات كلها . . . و ايماء إلى قوة عزم المؤمنين و ثباتهم على الايمان وامتناعهم من اتباع الشيطان فلايجد ابليس سبيلاً يدخل في ايمانهم منه بالغواية والاضلال والوسوسة . . .

و لا يخفى على القارىء الخبير : ان الكافر أدون حالاً و أخسّ منزلة من ابليس لانه تردد في عدل الله تعالى ، فخالف أمره في سجدة آدم عليه السلام اذ قال : أنا خير منه فانه يرى ان الفاضل مقدم على المفضول و إن خطأ في فضله على آدم عليه السلام و لم ينكر وجود الله تعالى و لم يشرك به أحداً ، ولم يكفر بيوم البعث والحساب

و أما الكافر فيجحد الخالق أو يشرك به خلقه ، و ينكر البعث والجزاء و يقدّم المفضول على الفاضل مع علمه بفضل الفاضل .

٢١ - (وماكان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك و ربك على كل شيء حفيظ)

نفى لكل سلطان لابليس على الكافرين بان يلجئهم على الكفر والطغيان ، بل لهم اختيار في الاتباع منه ، ولكنهم يتأثرون بالوساوس ولايؤمنون بالاخرة و لا يستجيبون إلى دعوة رسل الله جل و علا ، فليس لابليس في الحقيقة عليهم أيّ سلطان نافذ ، و انما كان امتحاناً ربانياً ليظهر من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك فلهم إستطاعة على عدم التأثر من وسوسة الشيطان وعدم تأثيرها فيهم .

وقوله تعالى : « الاّ لنعلم من يؤمن بالاخرة . . » إستثناء مفرغ من أعم العلل أى وماكان تسلطه عليهم الاّ ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزاً ممن هو في شك منها تعلقاً حالياً يترتب عليه الجزاء أو الاّ ليتميز المؤمن من الشاك أو الاّ ليؤمن من قدر ايمانه و يشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة . قيل : و قد وضع في « إلاّ لنعلم » الغاية موضع ذى الغاية أى التمييز المذكور موضع التسلط من طريق الاتباع الاختيارى .

و تقييد الايمان والشك بالاخرة لمكان ان الرادع الوحيد عن المعصية والداعى إلى الطاعة هو الايمان بالاخرة دون الايمان بالله و رسوله لولا الاخرة . و قيل : ان المراد بالعلم هو التمييز حيث ان التمييز متجدد بخلاف العلم فانه ثابت في الله تعالى . و اختصاص العلم هنا بالايمان بالاخرة أو الشك فيها لان الايمان بالاخرة هو ملاك الايمان بالله تعالى و رسوله و آياته ، فليس مؤمناً بالله الاّ من كان مؤمناً باليوم الاخر .

و قوله تعالى : « و ربك على كل شيء حفيظ » وفيه تحذير عن الكفران والمعصية و انذار لأهل الكفر والمعصية .

٢٢ - (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات و لا في الارض ومالهم فيهما من شرك و ما له منهم من ظهير)

أمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بتحدى المشركين بدعوة من يزعمون انهم شركاء لله سبحانه ، وتقرير بكون اولئك الشركاء لا يملكون مثقال ذرة في السموات والارض و ليس لهم فيهما شركة ما وليس لله منهم معين و مظاهر ، على طريق الخطاب التوبيخي والتقريعي ، إظهاراً لبطلان ما هم عليه من الشرك في الايجاد والتدبير على سبيل الاستقلال أو على سبيل الاعانة و تبكيتاً لهم .

وفي الاية الكريمة وتاليها تصوير لصورة موقف من مواقف الجدل والمناظرة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمشركين، وهي قوية في لذعها وتحديها وتنديدها ومساجلتها و انذارها وتدل على ان موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان موقف الواثق المستعلي أو هي بسبيل بث الوثوق والاستعلاء في نفسه ، و في الاية كشف عما كان المشركون عليه من ضلال و اشتغالهم بآلهتهم عن الله جل وعلا . و احتجاج على ابطال الوهية آلهتهم بعدم قدرتهم على استجابة دعاء عبدتهم . واحتجاج على نفي الملك بانتفاء استجابتهم دعاء عبدتهم في صور ثلاث : أحدها - ملكهم لما في السموات و ما في الارض مطلقا . ثانيها - ملكهم على وجه الشركة مع الله سبحانه . ثالثها - كونهم أو بعضهم ظهيراً لله سبحانه .

و قيل : ان الاية و تاليها تبطل أربعة أنحاء من الشرك : أحدها - ان من المشركين من كان يقولون : انا نعبد الملائكة التي في السماء فهم آلهتنا ، والله إلههم فالله تعالى أبطل قولهم بقوله : « لا يملكون مثقال ذرة في السموات و لا في الارض » على خلاف ما زعمتم ان الارض والارضيات في حكمهم . ثانيها - و منهم من يقول : ان السموات من الله على سبيل الاستقلال ، و ان الارضيات منه ولكن بواسطة الكواكب و اتصالاتها وانصرافاتها، فأبطل قولهم بقوله : « ومالهم فيهما من شرك » أي الارض كالسماء لله وحده ليس لغير فيها نصيب .

ثالثها ـ و منهم من يقول : ان التركيبات و الحوادث كلها من الله لكن فوّض ذلك إلى الكواكب و إعانتها فأبطل قولهم بقوله : « و مالهم منهم من ظهير » رابعها ـ و منهم من يقول : انا نعبد الاصنام التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا ، فبيّن بطلان مذهبهم بقوله : « ولاتنفع الشفاعة » .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله » أى الذين زعمتموهم آلهة من دون الله ، مع أن المشركين مازعموا غيرالله إلهاً دون الله بل مع الله على وجه الشركة ؟

تجيب : ان النص لايدل على زعمهم حصرالآلهة فى غيرالله نصاً بل يوهم ذلك ، و لو دلّ ففيه تقديم و تأخير، على تقدير: ادعوا الذين من دون الله زعمتم انهم شركاء لله .

و قوله تعالى : « لايملكون مثقال ذرة فى السموات و لافى الارض . . . » واقع موقع الجواب كأنه قيل : فماذا يكون اذا دعوهم ؟ فقيل : لايستجيبون لهم بشيء لانهم لايملكون مثقال ذرة فى السموات و لافى الارض ، و لو ملكوا لاستجابوا و لاتتم الربوبية و الالوهية الاّ بان يملك الرب والاله شيئاً ممايحتاج إليه الانسان فيملّكه له ، و ينعم عليه به فيستحق بازائه العبادة شكراً له فيعبد أما اذا لم يملك شيئاً فلا يكون رباً ولا إلهاً . و فى ذلك تنبيه إلى ما كان عليه المشركون من خطأ عظيم و جرم كبير.

٢٣ ـ (و لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلى الكبير)

ردّ على المشركين لقولهم : ان آلهتهم تشفع لهم عندالله تعالى ، وتقرير بان الشفاعة عندالله جل وعلا لن تنفع أحداً إلاّ باذن الله تعالى ورضائه .

و قوله تعالى : « الاّ لمن أذن له » استثناء مفرّغ من أعم الاحوال أى لا تقع الشفاعة فى حال من الاحوال إلاّ كائنة لمن أذن له فى الشفاعة من النبيين و

الملائكة والشهداء والصالحين ومن إليهم من المستأهلين لمقام الشفاعة ، فتبيّن حرمان الكفرة منها بالكلية أما من جهة أصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ، ضرورة إستحالة الاذن في الشفاعة لجماد لايعقل و لاينطق ، و أما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان إذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى : «لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صواباً» ومن البيّن ان الشفاعة للكفرة الفجرة ، و الطغاة الجبابرة بمعزل من الصواب .

و قوله تعالى : «حتى اذا فزع عن قلوبهم» غاية لمضمون الكلام الدال على انتظار الاذن بالشفاعة ، وبيان لما يحدث بعده كأنه قيل : يتربصون ويقفون ملياً مفزعين حتى كشف الفزع عن قلوب الشافعين و المشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك و سئل بعضهم بعضاً ماذا قال ربكم؟ قالوا : قال : القول الحق . و هو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى .

و في عود الضمير« قلوبهم » على الاسم الموعود « من » جمعاً بعد أن عاد عليه مفرداً «له» تنبيه إلى أن الاذن بالشفاعة يكون لكل من يؤذن له على حدة ثم يتعدد أفراد المأذون لهم ، فيكونون جمعاً فهم أفراد في أخذ الاذن و جمع في العدد المأذون له .

في تلخيص البيان : للسيد الشريف الرضي رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى : «حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم» قال : وهذه إستعارة على قراءة من قرأ فزّع بالزاي والعين ، و فرغ بالراء والغين ، فالمراد بقراءة من قرأ بالعين غير المعجمة أي ازيل الفزع عن قلوبهم كما تقول : قذيت عينه اذا ازلت القذى عنها وهو كقولهم : رغب عنه اذا رفعت الرغبة عنه خلافاً لقولهم: رغب فيه اذا صرفت الرغبة إليه ، فالرغبة في أحد الامرين منعطفة ، وفي الآخر منصرفة . والمراد بقراءة من قرأ فرّغ بالغين المعجمه قريب من المراد بالقراءة الاولى كأنه سبحانه قال : حتى اذا أخرج ما كان في قلوبهم من الخوف والوجل

ففرّغت‌منها ، وانما قال : عن قلوبهم لانه تعالى أقام‌ذلك مقام التفريج عن‌قلوبهم، فكما حسن أن يقال : فرّج عن قلبه ، فكذلك حسن أن يقال : فرّغ عن قلبه ، و هذا موضع سرّ لطيف و معنى عجيب . انتهى كلامه و رفع مقامه .

و قوله تعالى : « قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق » يدل على انهم طوائف‌و جماعات كثيرون يسئل بعضهم بعضاً عن الامر الالهى بعد صدوره و إنكشاف الفزع عن قلوب السائلين و يتبين منه ان كشف الفزع و نزول الامر إلى بعضهم أسبق منه إلى بعض آخر، فان لازم السئوال أن يكون المسئول عالماً بما سئل عنه قبل السائل ، فلهم مراتب مختلفة و مقامات متفاوتة بعضها فوق بعض تتلقّى الدانية منها الامر الالهى من العالية من غير تخلّف و لامهلة ، و هو طاعة الدانى منهم للعالى كما يستفاد ذلك أيضاً بالتدبر فى قوله تعالى : «و ما منا الاّ له مقام معلوم» الصافات : ١٦٤)

و قوله فى وصف الروح الأمين : «ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين » التكوير: ٢١) فبينهم مطاع و مطيع و لاطاعة مع ذلك الاّ لله جل و علا لان المطاع منهم لاشأن له إلاّ إيصال ما وصل إليه من الامر الالهى إلى مطيعه الذى دونه ، و يمكن أن يستفاد ذلك من توصيف القول بالحق فى قوله : «قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق » أى قال : القول الثابت الذى لاسبيل للبطلان و التبدل إليه .

وقوله تعالى : «وهو العلى الكبير» اعتراف من الشفعاء بعظمة خالق الكون و قصور كل ماسواه تواضعاً منهم بعد أن رفع الله تعالى أقدارهم باذن‌لهم بالشفاعة و فيه أيضاً ثناء على الله تعالى .

٢٤ - (قل من يرزقكم من السموات و الارض قل الله و انا أو اياكم لعلى هدى اوفي ضلال مبين)

تبكيت للمشركين بحملهم على الاقرار بأن آلهتهم لايملكون مثقال ذرة

في السموات ولا في الارض ، و ان الرازق هوالله تعالى وحده فانهم لاينكرون كما قال: « قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبرالامر فسيقولون الله » و حيث كانوا يتعللون أحياناً في الجواب مخافة الالزام قيل له ﷺ : «قل الله» اذ لاجواب عندهم سواه .

ففيه أمر للنبي ﷺ بسؤال المشركين عن الرازق الحقيقي لهم من السماء والارض و بالاجابة على ذلك بانه هو الله وحده ، و توجيه الكلام إليهم على سبيل المساجلة والجدل بانهلابد من أن يكون أحدالفريقين: النبي ﷺ والمؤمنون من جانب والمشركون من ناحية ضالاً و أحدهما على هدى، فيوازنون في هذا السؤال بين العلي الكبير الذي يؤمن به المؤمنون ، و بين آلهتهم التي أقاموها حجازاً بينهم و بين الله تعالى ، حتى لقد عموا عن النظر إليه ، وأبت عليهم ألسنتهم أن ينطقوا به ، و أن يضيفوا أنفسهم إليه ، و في هذا السؤال : يطالب المشركون بالكشف عمن يرزقهم مما ينزل من السماء من ماء ، ومايخرج من الارض من نبات ؟ أو من يرزقهم من أهل السموات من ملائكة أو من أهل الارض من آدميين و أشباههم ؟ ؟

ولاجواب لهم عن ذلك الا هذا الجواب « الله » وحده ، فهو وحده المالك لكل شيء والمتصرف في كل شيء ، لا يملك أحد معه مثقال ذرة في السموات أو في الارض ، و ما له تعالى فيهما من شرك و لا من معين ، و في النطق عنهم بالجواب إلزام لهم به طائعين أو مكرهين لانه لا جواب غيره ، قبلوه أو ردّوه .

فهذا احتجاج آخر عليهم من جهة الرزق الذي هو الملاك العمدة في اتخاذهم الآلهة فانهم يتعللون في عبادتهم الآلهة بانها ترضيهم ، فيوسّعون لهم رزقهم فيسعدون بذلك ، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسئلهم : من يرزقهم من السموات والارض ؟ والجواب عنه انه الله جل و علا لان الرزق خلق في نفسه ولا خالق ـ

حتى عندالمشركين ـ الا ّ الله تعالى لكنهم يستنكفون عن الاعتراف به بألسنتهم ، و إن أذعنت به قلوبهم ولذلك أمر أن ينوبهم في الجواب فقال : « الله » . قيل: و ههنا نكتة ، وهي انه قال في دفع الضر : « قالوا الحق » وقال في طلب النفع : « قل الله » تنبيهاً على انهم في الضراء مقبلون على الله تعالى معترفون به ، و في السراءِ معرضون عنه غافلون لا يتنبهون الا ّ بمسه . و هذا بناء ان القائل في « قالوا الحق » هم المشركون لا الملائكة . فتدبر جيداً .

و قوله تعالى : « و انا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » تعريض بانكم على ضلال و اني على هدى ، وهذا على وجه الانصاف في الحجة كما تقول لخصمك الباطل : قد علم الله الصادق مني و منك و ان أحدنا لكاذب . مع أنك تيقن انك حق صادق و خصمك باطل كاذب كما قال أبو الاسود الدئلي في مدح أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين :

يقول الأرذلون بنو قشير طوال الدهر لا ينسى علياً
بنو عم ّ النبي و أقربوه أحب الناس كلهم إلينا
فان يك حبهم رشداً أصبه و لست بمخطئ إن كان غياً

فلما سمع ذلك معاوية بن أبي‌سفيان عليهما الهاوية والنيران ، فقال لابي الاسود : أتشك في أن حب علي عليه السلام رشد ؟ فأجاب : أشك الله في قوله تعالى : « انا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » تعريضاً باني لا اشك في ان محبة علي عليه السلام رشد كما لا ينبغي أن يقال : ان الله تعالى كان شاكا في كون رسوله الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم على هدى والكافرين على ضلال .

و فيه إشارة إلى أن الامر ـ أي ّ أمر ـ لايعدو أن يكون حقاً أو باطلاً ، هدى أو ضلالاً و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم والمؤمنون معه قولهم في الله و قال المشركون قولهم ، و اذا كان كل على طريق ، فان المقطوع به أن يكون أحد الفريقين على طريق الهدى والاخر على طريق الضلال . . ولايجتمعان . . و أصل

النظم هكذا : « نحن أو انتم على هدى . . و نحن أو انتم فى ضلال مبين » أى انه اذا نظر إلينا على طريق الحق لم يكن فيه إلاّ أحدنا ، واذا نظر إلينا على طريق الباطل لم يكن فيه إلا أحدنا ، فالفريقان مختلفان : مهتدون وضالون ، مؤمنون و كافرون ، مصلحون و مفسدون ، مطيعون و عاصون ، محسنون و مسيئون ، بارّون و فاجرون . . . والطريقان مختلفان : هدى وضلال ، ايمان و كفر ، إصلاح و إفساد ، طاعة و معصية ، إحسان و إساءة ، بر و فجور . . . ومهتدون على طريق الهدى . . . والضالون على طرق الضلالة . . . و أما أين طريق الهدى ومن أهله ؟ و أين طرق الضلالة و من هم أصحابها ؟ فتلك هى القضية والحكم فيها لا يحتاج إلاّ إلى نظرة هنا ، و نظرة هناك و عندئذ يتبين الرشد من الغى ، والضلال من الهدى ، والحق من الباطل ، والصلاح من الفساد ، والايمان من الكفر ، والطاعة من المعصية ، والاحسان من الاساءة ، والاخلاص من الشرك والنفاق . . .

و هذا اسلوب من الكلام المنصف يستعمله أصحاب الانصاف فى محاورتهم لارخاء العنان للمخاطب حتى اذا سمعه الموافق أو المخالف قال لمن خوطب به : لقد أنصفك صاحبك . و عليه قول حسان بن الثابت يخاطب أباسفيان بن حرب و كان قد هجا رسول الله ﷺ :

أتهجوه و لست له بكفء   فشر كما لخير كما الفداء

وهذا هو الكلام المنصف الذى يتضمن قلة شغب الخصم وفلّ شوكته بالهوينا.

و هذا من أحسن ما ينسب به المحق نفسه إلى الهدى والحق و خصمه إلى الباطل والضلال لانه كلام من لا يكاشف خصمه بالتضليل بل ينسبه إليه على أحسن وجه و يحثّه على النظر و لا يجب النظر الاّ بعد التردد ، وفى الابهام تلطف بهم داع إلى الايمان و اتباع الهدى اذا وقفوا له . وان الايماء أبلغ من التصريح و أوصل بالمجادل إلى الغرض . فلابد من النظر بعين الانصاف إلى ما القى اليهم من الحجة، تمييزهم المهدىّ من الضال، والمحق من المبطل، والمصلح من المفسد ، والمؤمن

من الكافر . . .

و قوله تعالى : « لعلـى هدى أو فى ضلال مبين » فى اختلاف الجاريـن « علـى » و « فى » ايذان بان الهادى كمن استعلى مناراً ينظر الاشياء و يتطلع عليها ، والضال كأنه منغمس فى ظلام لايرى شيئاً أومحبوس فى مطمورة لايستطيع الخروج منها ، فاستعمال كلمة « على » فى جانب الحق و كلمة « فى » فى جانب الضلال إشارة إلى استعلاء أهل الحق والهداية فكأنه مرتفع متطلع راكب مطية الهدى مستعل على متنها ، يصرف نظره كيف شاء وغايتها التى فيها سعادته، وإلى انحطاط أصحاب الباطل ودناءة أهل الضلالة كأنهم منغمسون غريقون فى ظلام منخفضون لايدرون أين يتوجهون ، و أين يضعون أقدامهم ، وإلى أين يسيرون و ماذا يراد به ، و غايتها التى فيها شقائهم و هلاكهم . . .

و فى وصف الضلال بالمبين و عدم وصف الهـدى بشيء من الاوصاف لان الهدى هو الصراط المستقيم الموصل إلى الحق لايحتاج إلى وصف حتى يتميز من غيره إذليس لها افراد كما قال تعالى : « ان هذا صراطى مستقيماً » وليس طريق الحق الا واحداً بخلاف الضلال له طـرق يأكل بأمعاء فان غير الحق هو ضلال بأشكاله المختلفة ، و صوره المتنوعة و أسمائه المتبارقة الجافة بعضها غير بيّن ، فميّز البعض عن البعض بالوصف . فالهدى والحق كالخط المستقيم واحدلااعوجاج فيـه ، و الباطل كالخطوط المنحنية لاحصر لها ، فبعضها أدخـل فى الضلالة من بعض و أبين .

٢٥ - (قل لاتسئلون عما أجرمنا ولانسئل عما تعملون)

أمر من الله تعالى للنبى الكريم ﷺ بتوجيه الكلام إلى المشركين على سبيل المساجلة و الجدل ، بان كل فريـق هو المسئول وحده عن عمله و ما قد يقترفه ، و فى الاية دلالة على أن أحداً لايجوز أن يؤخذ بذنب غيره ، و زيادة فى انصافهم فى المخاصمة . و قيل : و فيها ردّ على اتهام المشركين بان الرسول

ﷺ و من معه هم المخطئون الجارمون ، وقد كانوا يسمونهم « الصابئين » أى المرتدين عن دين الآباء و الاجداد كما يقع ذلك من أهل الباطل أن يتهموا أهل الحق بالضلال فى تبجح و فى غيرما استحياء.

وفى التعبير عن جانب النبى المعصوم ﷺ والمؤمنين المحسنين بالاجرام: « أجرمنا » وعن جانب المشركين المجرمين بالعمل : « تعملون » وكان مقتضى النظم أن يجيىء : « أجرمتم » أو « تجرمون » بدلاً من « تعملون » أو « عملنا » أو « نعمل » بدلاً من « أجرمنا » أخذ بحسن الأدب فى المناظرة والجدال ، ورفق بالمشركين ، و إطفاء لحمية الجاهلية التى تعمى عليهم السبيل إلى الهدى ، و هذا هو الاسلوب الحكيم فى المخاطبة الجاهلين ، وهو اسلوب الدعوة الاسلامية و الصميم من رسالة رسولها .

و هذا أبلغ فى سلوك طريقة الانصاف ، و أبعد من الجدل و الاعتساف حيث اسند فيه الاجرام و ان اريد به الزلة و ترك الاولى إلى أنفسهم ، و مطلق العمل إلى المشركين مع أن أعمالهم أكبر الكبائر... وفيه إرشاد إلى المناظرات الجارية فى العلوم وغيرها ، و اذا قال أحد المناظرين للآخر أنت مخطىء أغضبه وعند الغضب لايبقى سداد الفكر، وعند إختلاله لامطمع فى الفهم فيفوت الغرض.

و قيل : ان الاية تمهيد لما فى الايـة التالية من حديث الجمع و الفتح ، فان الطائفتين اذا اختلفا فى الاعمال خيراً وشراً كان من الواجب أن يفتح بينهما و يتميز كل من الاخرى حتى يلحق به جزاء عمله من خير أو شر، من سعادة أو شقاء ، من ثواب أو عقاب ، من نعمة أو نقمة ، و من جنة أو نار . . . و الذى يفتح و يميز هو الرب جل وعلا .

٢٦ - (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق و هو الفتاح العليم)

أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بتوجيه الكلام إلى المشركين اذا عجزوا عن أن يتبينوا من المحق و من المبطل ، و من هم أهل الهدى ، و من هـم أصحاب

الضلالة فى هذه الخصومة فى الله تعالى القائمة بينهم وبين النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه... عجزوا عن أن يحكموا فى هذه القضية فى الحياة الدنيا فهى ستحال إلى الاخرة، فيجمع الله تعالى بينهما معاً ثم يقضى بينهما بالحق و هو الحاكم العادل العليم بأعمال الناس و نواياهم و أحوالهم . . . وفى إيثار كلمة « رب » مضافة إلى ضمير تكلم الجمع تنبىء بان الجمع والفرق بين المؤمنين والكافرين هو من شأن مدبر الامر وهو الرب : رب المؤمنين والكافرين ، رب الصلحاء والمفسدين و رب الشهداء والباغين . . . وتثبت الاية البعث لتمييز المحسن من المسيىء ، والمفسد من المصلح أولاً ثم انحصار التمييز والجزاءِ فى جانبه تعالى بانحصار الربوبية فيه ، و يبطل بذلك ربوبية من اتخذوه من الارباب ، و فيها تحذير و إنذار لهم بعاقبة أمرهم يوم القيامة .

و فى قوله تعالى : « العليم » إشارة إلى أن حكم الله تعالى يكون مع العلم لا كحكم من يحكم بمجرد الغلبة والهوى .

٢٧ - (قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم)

أمر آخر للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بتحدى المشركين بتعيين الشركاء الذين أشركوهم مع الله سبحانه و ألحقوهم به ، و جعلوا لهم صلة به أو جعلوهم جزءاً منه . وفى السؤال استخفاف و استنكار ، و استسفار عن شبهتهم بعد إلزام الحجة عليهم زيادة فى تبكيتهم بانهم أيها المشركون : أرونى معبوداتهم من هم؟ وماهم؟ و ما قيمتهم ؟ و ما صفتهم ؟ و ما مكانتهم و منزلتهم ؟ وبأىّ شىء استحقوا منكم هذه الدعوى ؟ فيختبر هل فيهم الصفات الضرورية للاله المستحق للعبادة من الاستقلال بالحياة والعلم والحكم والقدرة والعظمة والعزة والجلال والسمع والبصر . . . فعرّفونى تلك الالهة التى جعلتموها شركاء لله سبحانه هل فيهم صفات الالوهية ؟ أم شاركوه فى خلق شىء؟ فبيّنوا ماهو؟ و الاّ فلم تعبدونها ؟ ! و فيه توبيخ لهم فيما اعتقدوه من الشرك بالله سبحانه .

وقدرأى بعض الاعراب رباً من تلك الارباب الجامدة والهيا كل المصنوعة ...
و قد وقعت الطير على رأسه وتركت آثارها فوقه ، ثم نظر فرآى الثعالب قد مرت به و بالت عليه فلم يكن من هذا الاعرابى إلاّ أن ركل هذا الرب الجامد الميت برجله ثم داسه بقدميه و بصق عليه ، و ولاه ظهره منصرفاً عنه وهويقول:

أ رب يبول الثعلبان بوجهه　　لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب .

ففيه توبيخ و تقريع كما يقول القائل لمن أفسد عملاً : أرنى ما عملته توبيخاً له بما أفسده . فانهم سيفتضحون بذلك لو أشاروا إلى آلهتهم . . .

وقوله تعالى: « كلا» ردع وتأنيب لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايسة ، فهم ليسوا بشركاء ، و ما له سبحانه من شريك ، و فيه تنبيه إلى فاحش غلطهم و عظيم خطئهم لانهم لو أرادوا بالشركاء لله سبحانه تلك الاصنام والاوثان بانها معبودة لهم معدودة آلهتهم ، وهي أجسام ميتة خالية عن الحياة والعلم والقدرة ... وفاقدة عن السمع والبصر... ولو أرادوا بها أرباب تلك الاصنام وهم الملائكة وغيرهم بجعل الاصنام تماثيل مشيرة إليهم، وهم وإن لم يخلوا عن حياة وعلم وقدرة إلاّ أن مالهم من صفات الكمال مفاضة عليهم من الله جل وعلا لا استقلال لهم في شيء من هذه الصفات، ولا في الافعال المتفرعة عليها، فأين الاستقلال في التدبير الذى يدّعون انه مفوّض إليهم؟ فالوجود الواجب بكماله اللامتناهي يمنع أن يكون في خلقه من يشاركه في شيءٍ من كماله . اللهم الاّ أن يدّعوا انه شاركهم في بعض ماله من الشئوون لتدبير خلقه من غير صلاحية لهم ذاتية و هذا ينافي حكمته تعالى .

و قوله تعالى : « بل هو الله العزيز الحكيم » إضراب عما تقدم ، و اثبات لضدّه على طريق الحجة بان الشرك منفى عن الله تعالى لانه العزيز القوى الذى لايحتاج إلى شريك ، الحكيم الذى تكون كل أعماله وفقاً لمقتضيات الحكمة ، فمن هذه صفاته لا يكون هؤلاء شركاء له ، و لا يكون له على الاطلاق شريك ، فان عزته جل و علا ـ و هو منع جانبه أن يعدو إلى حريم كماله عاد لكونه

لايحدّ بحدّ - تمنع أن يشاركه في شيء من صفات كماله كالربوبية والالوهية المنتهيتين إلى الذات أحد غيره ، هذا لو كانت الشركة عن صلاحية ذاتية من الشريك فالحكمة الالهية تمنع ذلك . و فيه زيادة توبيخ لهم .

۲۸ - (و ما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً و نذيراً و لكن أكثر الناس لا يعلمون)

خطاب موجه إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وتقرير لنبوة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وتزكية من الله تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم و أمر له صلى الله عليه وآله وسلم أن يقف من المشركين هذا الموقف و يكشف لهم عن ضلالهم و يزيل الغشاوة التي انعقدت على أبصارهم ، فلم يتبينوا طريق الهدى ، و بيان لهذا المقام العظيم ، وهذا المنصب الكريم الذي لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم عند ربه ، وهومقام لايطاول ، و منزلة لا تنال فهو رسول الانسانية كلها ، والشمس التي تملأ الآفاق كلها . . . إذ أرسله الله جل وعلا إلى كافة الناس بشيراً للمهتدين والبررة ، و إنذاراً للضالين والفجرة ، ولولم يدرك هذا أكثر الناس .

وفي الاية تطمين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتسلية ، فهو صلى الله عليه وآله وسلم ليس مسئولاً عن موقف الجحود والعناد الذي يقفه الكفار ، و ليس مهمته الاّ البشارة والانذار .

۲۹ - (و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)

حكاية عن تساؤل الكافرين الجهلة المتمادين على جهلهم تساؤلاً يتضمن معنى الانكار والاستهزاء والاستخفاف والاستعجال منهم عن موعد تحقيق وعد البعث والحساب والجزاء والعذاب الاخروي اذا كان ذلك حقاً وصدقاً ، وسؤال عن وقت الجمع والفتح ، على طريق الاستعجال تعنتاً وجهلاً منهم ، فالاية متصلة بقوله السابق : «قل يجمع بيننا ربنا» واستمرار في حكاية مواقف الجدل والمناظرة بين النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والكفار . و في الاية دلالة على أن الكفار كانوا كلما تكرر وعيدهم بالبعث والعذاب الاخرويين بادروا إلى هذا السؤال الذي ينطوي فيه تحدّ و استهانة و استهتار .

٣٠ ـ (قل لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة و لاتستقدمون)

أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يجيب المشركين جواباً رزيناً فيه توكيد و قوة و إنذار معاً ، جواباً على سبيل التهديد جيىء مطابقاً لما قصدوه بسؤالهم من التعنت و الانكار ، و رداً على هذا السؤال الجهول بأن لهم ميعاد يوم مقضي لا يتخلف عن الوقوع فهو واقع لامحالة ، و لايختلف وقت وقوعه ألبتة فان الله تعالى وعد به وعداً فهو لايخلف وعده إلاّ أن وقت وقوعه مستور لا يعلمه الاّ الله جل وعلا . و في إسناد الفعل «لاتستأخرون عنه» إليهم دون أن يقول : «لايؤخر عنكم» زيادة توكيد لوقوع اليوم .

٣١ ـ (و قال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن و لا بالذى بين يديه و لو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنامؤمنين)

حكاية قول للكفار ، وهو توكيدهم القاطع بعدم تصديقهم وايمانهم بالقرآن الكريم ، و لا بما جاء قبل القرآن من الكتب السماوية ، و أعقبت حكاية قولهم بسرد ما سوف يكون من أمرهم في الاخرة و تقرير لاحوالهم يوم القيامة حينما يقفون أمام حكم الله تعالى و قضائه ، ويرون يقين ما أوعدوا به من حساب و عذاب و أغلال في الاعناق حيث يستشعرون الندامة على ما كان منهم ، و حيث تقع محاورة بين المستضعفين والمتكبرين أو التابعين من العامة والمتبوعين من زعمائهم ، فتقول العامة لزعمائهم : لولا أنتم لكنا آمنا .

و **قوله تعالى** حكاية عنهم : « لن نؤمن بهذا القرآن » تنبيه إلى تناقضهم وجهلهم ، فانهم كانوا قبل البعثة يراجعون أهل الكتاب ويحتجون بقولهم، مضافاً إلى قولهم يوم القيامة : « لولا أنتم لكنا مؤمنين » .

و **قوله تعالى** : « و لا بالذى بين يديه » كناية عن كتب الله السماوية **السابقة للقرآن و انما لم يؤمنوا بها ، و قد أنزلت على غيرهم لان فيها البشارة**

برسول الله محمد ﷺ .

و قوله تعالى : « لو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم » انتقال بهؤلاء الكافرين المكذبين بآيات الله تعالى . . . إلى موقف الحساب والمساءلة في لحظة خاطفة حيث يطلع عليهم هذا الذى كذبوا به ، و ماتزال كلمات التكذيب على أفواههم ، و تقرير لحوار بين الضالين و المضلين ، بين الفاسدين و المفسدين ، و بين المردة وأئمة الكفر والعصيان حين الوقوف يوم الحساب فيتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب بعد أن كانوا في الدنيا أخلاء متناصرين .

و ان الخطاب للنبي ﷺ تحقيراً لهم ، وانهم بمعزل عن فهم الخطاب .

و قوله تعالى : « يرجع بعضهم إلى بعض القول » جملة حالية تكشف عن حال من أحوال هؤلاءِ الظالمين الموقوفين عندربهم .

و قوله تعالى : « يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا » تفصيل للحوار و بيان للقول الذى يترامون به ، و التهم التى يلقى بها بعضهم على بعض ، و قد بدأ المستضعفون بالقاء اللائمة على رؤسائهم و سادتهم الذين تولّوا قيادة الحملة الضالة ضدّ دعوة الحق و الهدى ، فجندوا هؤلاء الضعفاء و قادوهم إلى المعركة فكانوا من الهالكين ـ بدأ المستضعفون بالرمى بالتهم هم المجنيّ عليهم من سادتهم و رؤسائهم .

و قوله تعالى : « لولا أنتم لكنا مؤمنين » إشارة إلى أن الايمان فطرة مركوزة فى الانسان ، وانه لوترك الانسان وشأنه دون أن تدخل عليه مؤثرات من الخارج تفسد عليه فطرته ، و تشوّش عليه رأيه ـ لآمن بالله عن طريق النظر العقلى و لاستجاب لدعوة الهدى من غير تردد ـ ففيه إشارة إلى أن كفرهم كان لمانع لالعدم المقتضى ، فان الرسول قدجاء ولم يقصر فى الابلاغ .

٣٢ ـ (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين)

مستأنف مبنيّ على السؤال كأنه قيل : فماذا قال الذين استكبروا ؟ فقيل: قالوا : أنحن صددناكم عن الهدى على طريق الاستنكار رداً عليهم فى منعهم إياهم عن الهدى بالاجبار و الاكراه ، و إلقاءاً تبعة ضلالهم عليهم و تقريراً لهم بانهم كانوا مجرمين ضالين باختيارهم الضلالة ، فالمعنى : مارددناكم نحن عن الهدى ولا أكرهناكم على الضلالة .

و فى ايلاء الاسم و هو « نحن » حرف الانكار و هى الهمزة إثبات انهم هم الذين صدّوا بانفسهم عن الهدى ، و ضلّوا بكسب منهم واختيار ، و ان المانع لم يكن راجحاً على المقتضى ولامساوياً له .

و قوله تعالى : « بـل كنتم مجرمين » تأكيد لدفع ما اتهمهم أتباعهم به من الاجبار و الاكراه أى انكم انتم الذين أطعتم أمر الشهوة و اتبعتم هواكم ، فكنتم كافرين ، ولم يكن منا الاّ التسويل والتزيين . فقد صدق هؤلاء المستكبرين المضلين و كذبوا فى آن معاً . . صدقوا لانهم لم يكن فى وسعهم أن يردّوا هؤلاء المردة الضالين عن الايمان لو انهم رغبوا فى الايمان ، و كذبوا لانهم كانوا دعوة من دعوات الضلال ، و قوة من قوى الشر، تزين لأتباعهم الضلالة و تغريهم بها ، و تعمل على جذبهم إليها و ضمّهم إلى جبهتها ، بما لهـم من جـاه و سلطان و عدد و عدد و اشتهار . . .

٣٣ ـ (و قال الذين استضعفوا للذين استكبروا بـل مكـر الليل والنهار اذ تأمرونـنا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون)

إضراب عن إضرابهـم و إبطال لـه ، فأبطل التابعـون إضراب المتبوعين باضرابهم قائلين : ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنـا مستمراً دائباً دائماً ليلاً و نهاراً حيث لم يجد التابعون مقنعاً فيما ردّ به سادتهم عليهم ، و حقاً انهم لم يقسروهم قسراً على الكفر و لكنهم أغروهم به إغراء بمايملكون

من وسائل الاغراء وفي أيديهم المال والجاه والسلطان و كلها قوىّ ذات سلطان على الناس. ورد على هؤلاء المتبوعين المضلين لقولهم، و دعوى هؤلاء الرؤساء المستكبرين البراءة، و تذكير من التابعين بما كان من المتبوعين من تحريض وتآمر واجتماعات فاحشة في الليل والنهار، و حثّ على التمسك بالشركاء والكفر بالله تعالى و برسوله و باليوم الاخر و على المعصية والفحشاء.

و قوله تعالى: « بل مكر الليل والنهار » ان الاضافة من باب الاتساع باجراء الظرف مجرى المفعول به. وأصل الكلام: بل مكرهم في الليل والنهار، أو جعل ليلهم و نهارهم ماكرين على الاسناد المجازى. فالاول اتساع لفظى، والثانى معنوى. و قدّم الليل لانه أخفى للمكر.

و في تلخيص البيان: في قوله تعالى: « بل مكر الليل والنهار » **قال:** والمراد بمكر الليل والنهار ما وقع من مكرهم في الليل والنهار، فأضاف تعالى المكر إليهما لوقوعه فيهما و فيه أيضاً زيادة فائدة و هى دلالة الكلام على أن مكرهم كان متصلاً غير منقطع في الليل والنهار كما يقول القائل: ما زال بنا سير الليل والنهار حتى وردنا أرض بنى فلان، و هذا دليل على اتصال سيرهم في الليل والنهار من غير أغباب و لا إراحة ركاب.

و قوله تعالى: « أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً » إشارة إلى أن المشرك، وإن كان مثبتاً لله تعالى في الظاهر ولكنه ناف له على الحقيقة لانه جعله مساوياً للصنم، و يجوز أن يكون كل منهما قول طائفة، فبعضهم كانوا مأمورين بجحد الصانع، و بعضهم بالاشراك به.

و قوله تعالى: « و أسروا الندامة ... » بيان لأحوال الكافرين الضالين والمضلين والفاسدين والمفسدين، وزعماء الشرك والطغيان وأئمة الكفر والعصيان و أتباعهم و مآل أمرهم و سوء عاقبتهم و عذابهم يوم القيامة.

و قوله تعالى: « في أعناق الذين كفروا » في الاظهار موضع الاضمار

بكلمة الموصول وصلتها بوصف الكفر تنويه بذمهم، وتنبيه على موجب أغلالهم . . .

و قوله تعالى : « هل يجزون الا ما كانوا يعملون » سؤال إستنكارى فيه معنى التنديد ، و إثارة الخوف والرهبة فى نفوس الكفار، و بخاصة التابعين الذين هم السواد الاعظم وفصلهم عن الزعماء المضلين والرؤساء المستكبرين المستثمرين، مع التقرير بانهم انما يجزون بما كانوا يعملون، و إشارة إلى أنهم استحقوها عدلاً.

و فى الاية اشارات : إشارة إلى الدور الذى كان يلعبه زعماء المشركين فى الصد والتعطيل والتحريض ضد النبى الكريم ﷺ و دعوته و ما كان لهم من أثر فعال فى بقاء الاكثرية الكبرى فى وصف الشرك والكفر والجحود والطغيان فى العهد المكى من السيرة النبوية . و إشارة إلى موقف إصرار الكفار على عنادهم وجحودهم ولجاجهم ومكابرة أمام الدعوة النبوية . و إشارة إلى شدة جهد الزعماء و نشاطهم فى سبيل التأثير على الجمهور وحملهم على الاعراض والتصامم . وفيها أمارة ما على ما أثارته الدعوة المحمدية من حركة فى أوساط مكة و أفكارها ...

ونحن نرى تلك الاشارات والامارة من أبناء الدنيا والشهوة وأصحاب الجاه والرئاسة إشارة إلى الادوار التى كان يلعبها مستثمر والغرب و متمصو دماء الملل و هاضمو حقوق الناس ، و مستعبدوهم ، ومستكبر والشرق ومضلوا الناس وسارقو دينهم و أفكارهم فى الصد والتعطيل والتحريض ضد الدين الاسلامى و دعوته . . وإشارة إلى موقفهم على العناد والجحود واللجاج والمكابرة أمام الدعوة المحمدية والقرآن الكريم والمذهب الحق، وإشارة إلى شدة جهد هؤلاء المستثمرين المستعمرين الغربيين ، والمستكبرين المضلين السارقين الشرقيين فى مكرهم ليلاً و نهاراً فى حمل الملل على الاعراض عن الدعوة المحمدية . . . و أمارة ما على ما أثارته هذه الدعوة من حركة فى العالم كله ، و فى جميع الملل و أفكارها . . .

٣٤ - (و ما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون)

تقرير ربانى عن عادة الزعماء ذوى النعمة والترف فى الامم من الوقوف موقف الجحود والعناد من رسل الله تعالى، و بيان للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ان قومه جروا على منهاج الامم السالفة، وتسلية له صلى الله عليه وآله وسلم بان ايذاء الكفار الانبياء ليس بدعاً و انما ذلك هجيراهم قدماً، و إشارة إلى أنه كان أتباع الانبياء فيما مضى الفقراء و أوساط الناس دون الاغنياء...

و قوله تعالى: «مترفوها» كناية عن الزعماء المستكبرين مردة الشيطان، عن الاغنياء المستثمرين عبدة الشهوة، عن الرؤساء المستعبدين تبعة الاهواء وعن ذوى الجاه والمقام والسلطان الشيطانية... و فيه إشعار بان الاتراف يفضى إلى الاستكبار على الحق كما تفيده الاية التالية، فخصّ المترفين بالذكر لانهم أصل فى الجحود والانكار، وفى الكفر والعناد... وغيرهم تبع، و ان المترفين هم آفة المجتمع فى كل امة، و فى كل جيل إذ فيهم ينشأ الفسق والفساد فى الحرث والنسل، و كل ما من شأنه أن يغذى العواطف الخسيسة ويوقظ الغرائز البهيمية على حساب المطالب الروحية والعقلية...

و ليس الغنى فى ذاته - كما يبدو - هو الذى يفسد العقيدة والاخلاق... و انما شأنه فى هذا شأن الفقر، قد يفسد و قد يصلح، انه خير و شر، وانه داء و دواء... فمن أحسن سياسة المال و راعى حق الغنى، و عرف قدره والمكان الذى يوضع فيه - صلح به أمره و استقام به شأنه.. و من اتخذ من المال وسيلة يصطاد بها ما توسوس به نفسه، و ما يدعوه إليه هواه - فسد كيانه و تهدم بنيانه و تحول إلى كومة متضخمة من الشحم واللحم.. تهب منها كل ريح خبيثة تفسد المجتمع و تزعجه، و تفسد الافكار و تضطر بها...

وحين تنجم دعوة من دعوات الخير، يكون المترفون هم أول من يلقونها بالنكير و يرجمونها بكل ما يقدرون عليه.. وماجاء رسول من رسل الله يدعو قومه إلى الهدى حتى يتصدى له المترفون من قومه، يعلنون الحرب عليه، و

يجمعون الجموع للوقوف معهم في وجهه .

و في الاية تسلية للنبي ﷺ ببيان ان أخلاق الكفار و أعمالهم واحدة في كل وقت و مكان فلا يتألم الرسول ﷺ و بهذا نعرف لكفار مكة موقفاً آخر ، و فيها درس ثمين لنا المسلمين و دعاة الدين ، فلا ييأسوا و لا يهملوا في دعوتهم الحقة إلى الله تعالى وحده بما يشاهدون من مستثمري الغرب سارقي ذخائر الملل ، و مستكبري الشرق المضلين سارقي أفكار الناس . . .

٣٥ - (و قالوا نحن أكثر أموالاً و أولاداً و ما نحن بمعذبين)

تقرير لما يوجب الاستكبار والطغيان و ما كانوا يتفاخرون به من بسطة العيش و كثرة الاولاد ، وانها ستكون سبب نجاتهم من العذاب في الآخرة لو كانت على طريق الحكاية لقولهم بانهم كانوا يقولون : اننا الاكثر أموالاً و أولاداً ، و اننا سنكون من أجل ذلك في نجوة من العذاب . و هذا هو ردّ المترفين على كل دعوة إلى الايمان بالله تعالى ، و تلك هي حجتهم عند أنفسهم و عند أتباعهم و مردتهم . . . انهم بما يملكون من كثرة في الاموال ، و ما عندهم من كثرة الاولاد و ما لهم من العدد والعدد لن يكونوا تابعين لغيرهم و لن يجعلوا لأحد كلمة عندهم حتى ولو كان رسولاً من رسل الله يدعوهم إلى الله جل وعلا ، ويكشف لهم معالم الطريق إلى الهدى والرشاد ، وإلى الحق والكمال ! ! انهم أكثر أولاداً وأموالاً من هذا الرسول ، فكيف يقوم فيهم مقام الناصح ذي الرأي والسلطان . . . « ما هذا الاّ بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم » المؤمنون: ٢٤) وكيف يتفضل إنسان على من كان أكثر منه مالاً و أولاداً ؟

ففي الاية تصوير لصورة اعتداد كبار الكفار و زعمائهم بأموالهم وعصبياتهم إزاء ما ينذرون به من عذاب الاخرة ، اذ كانوا يوازنون في معرض التبجح بينهم، و بين النبي ﷺ و أتباعه في الاموال والبنين ويجرون في هذا على ما اعتادوه من كون أصحاب الاموال والاولاد يكونون أكثر قوة و أضمن نصراً .

و قوله تعالى : حكاية عنهم : «و ما نحن بمعذبين» إشارة إلى أنهم بما لهم من كثرة في المال و الاولاد لن ينزلوا عن مقام السيادة و الزعامة و الرئاسة لأحد ثم انهم اذا عذّب غيرهم من الفقراء و المستضعفين يوم القيامة و هم لن يعذّبوا . . . فإن الله تعالى ما أعطاهم هذا الوفرفى المال ، و هذه السعة فى الرزق ، وذلك الرغد في العيش وتلك الكثرة في الاولاد إلاّ لأنهم أهل للكرامة، و موضع للفضل عنده ، و كما كانوا في الحياة الدنيا في هذا المقام بين الناس فهم في الاخرة - إن كانت هناك عندهم آخرة - في هذا الموضع أيضاً حيث يعذّب الفقراء والمستضعفون ، أما هم فلن يعذّبوا ، بل ينزلوا منازل الاكرام والاعزاز... ذلك ظنهم بأنفسهم . .

٣٦ - (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

أمر رباني للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالرد القوى المؤكد على هؤلاء المستكبرين الذين كانوا يفتخرون بأموالهم و أولادهم ، و يرونها سبب نجاتهم من عذاب الاخرة و كرامتهم عند الله تعالى ، و فضلاً لأنفسهم على غيرهم من الفقراء و المستضعفين بان الله جل و علا هو الذي يوسع الرزق على من يشاء ، و يضيقه على من يشاء حسب ما تقتضيه الحكمة الالهية ، و إن كانوا هم و أضرابهم جاهلين بها ، فسعة الرزق لن تغنى عن أصحابها شيئاً عند الله تعالى ، وانها ليست اختصاصاً لهم من الله مستمراً ، فالله تعالى هو الذي يداول الرزق بين الناس بسطاً وضيقاً وفقاً للنواميس التي أودعها في خلقه .

وانما بسط الرزق وقبضه ابتلاء من الله جل وعلا مؤمناً كان أم كافراً، محسناً كان أومسيئاً ، مصلحاً كان أو طاغياً ومطيعاً كان أم مفسداً... فالسعة والضيق بمشيئة الله تعالى لا بالكسب والاستحقاق فكم من شقي موسر وتقي معسر ومن ثم قال ابن الراوندي:

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه و جاهل جاهل تلقاه مرزوقاً

هذا الذى ترك الاوهام جائرة و صيّر العالم النحرير زنديقاً

و فى الاية الكريمة : ردّ عليهم و حسم لمادة طمعهم الفارغ و تحقيق للحق الذى عليه يدور أمرالتكوين ، و فيها بيان لخطأهم بان القابض الباسط هو الله تعالى وحده ، و إشارة إلى أن أمرالرزق فى سعته و ضيقه إلى الله تعالى لاينقص بالانفاق و لايزيد بالامساك ، وايماء إلى معنى الرحمة الواسعة التى هى معنى الرحمانية التى لايلاحظ فيها استحقاق شخص ، و إلى ان سعة الرزق فى الدنيا لاتدل على سعادة الاخرة أو الكرامة عندالله جل وعلا .

قوله تعالى : « قل ان ربى » قيل : أضاف الرب إلى نفسه صلى الله عليه وآله وسلم لان المترفين لايرون الله تعالى رباً لانفسهم ، و الرزق من شؤون الربوبية و قوله تعالى : «ولكن أكثر الناس لايعلمون» فينسبونه مالم يؤتوه إلى الاسباب الظاهرية الاتفاقية ثم اذا اوتوه نسبوه إلى حزمهم و حسن تدبيرهم أنفسهم و كفى به دليلاً على جهلهم و حمقهم .

٣٧ ـ (و ما أموالكم و لا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بماعملوا وهم فى الغرفات آمنون)

مستأنف خاطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة فى تحقيق الحق، وتقريراً وزيادة بيان لماسبق ، ورد آخر و جواب ثان عن قول المترفين : «نحن أكثر أموالاً و أولاداً و ما نحن بمعذبين » بان أموالهم و أولادهم التى يزهون و يعتدون بها لن تفيدهم شيئاً عند الله تعالى ولن تقربهم إليه جل و علا ، فانتفاء العذاب المترتب على القرب من الله سبحانه لايترتب على الاموال والاولاد فانهما لاتوجبان قرباً و زلفى من الله تعالى حتى ينتفى معهما العذاب الالهى ، فوضع تقريب المال فى الاية موضع انتفاء العذاب من قبيل وضع السبب موضع المسبب.

ان تسئل : قال الله تعالى : « وما أموالكم ولا اولادكم بالتى » ولم يقل : « باللتين » و قد ذكر الاموال و الاولادوهما نوعان مختلفان ؟

تجيب : لانه تعالى ذكر من كل نوع منهما جمعاً يصلح فيه التى أو أراد بذلك أحد النوعين .

وقوله تعالى : « الاّ من آمن » استثناء من مفعول « تقربكم » أى و ما الاموال والاولاد تقرب أحداً إلاّ المؤمن الصالح الذى أنفق من أمواله فى سبيل الله تعالى و علّم أولاده الخير و ربّاهم على الصلاح و رشحهم للطاعة .

و قوله تعالى : « فاولئك » إشارة إلى « من » والجمع باعتبار معناها ، و معنى البعد فيها مع قرب العهد المشار إليه ايذان بعلو رتبتهم و بعد منزلتهم فى الفضل والكرامة عندالله تعالى بالايمان وصالح العمل أى فاولئك الموصوفون بالايمان و صالح العمل ثابت لهم جزاء الضعف .

و فى الاستثناء إلى تمام الاية بيان لملاكما يوجب النجاة من العذاب ،و حسن الجزاء يوم القيامة بان الايمان وصالح العمل ملاك الكرامة عندالله تعالى والسعادة فى الاخرة ، فالمؤمنون الصالحون هم وحدهم ينالون جزاء أعمالهم مضاعفاً ، و يكونون آمنين فى غرفات الجنة .

٣٨ - (والذين يسعون فى آياتنا معاجزين اولئك فى العذاب محضرون)

تقرير لمآل أمر الذين يقفون من دعوة الله تعالى موقف المنكر المعطل المعجز والمكابر العنيد ، وبيان لاحوال المسيئين الذين تبعدهم أموالهم وأولادهم عن الله تعالى ، فهم لن ينجو من عذاب الله جل و علا ، و هم محضرون اليه و واقعون فيه .

وقوله تعالى : « اولئك » فى الاشارة فضح لهم و كشف عن موقفهم الذليل فى مقام الخزى والهوان .

٣٩ - (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه و هو خير الرازقين)

أمر آخر للنبى الكريم صلى الله عليه و آله و سلم بتوكيد القول الاول و دعوة عبادالله تعالى

المؤمنين إلى البذل والانفاق في وجوه البر بان ربه هو الذى يبسط الرزق لمن يشاء و يضيقه على من يشاء ، و انه هو الذى يخلف على المنفقين ما أنفقوه وهو خير الرازقين .

وقوله تعالى : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه » كأنه تفسير للعمل الصالح بعد فهم الايمان و فيه تنبيه إلى أن الانفاق لا ينقص كما ان الامساك لا يزيد ، فان الانفاق لا يضيع عند الله تعالى بل يخلفه و يرزق بدله .

وفي الاية تزهيد لعباد الله تعالى في الدنيا وحضّهم على التقرب إليه بالانفاق.

٤٠ ـ (و يوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون)

حكاية لمواجهة يجريها الله تعالى بين الكفار المشركين والملائكة ونتيجتها حيث يجمع الله جل وعلا بين الفريقين، ثم يسئل الملائكة عما اذا كان المشركون يعبدونهم فعلاً ، والغرض منها الرد على المشركين و تسفيههم و تقرير ضلالهم و إفكهم وتكذيبهم في عقائدهم في صدد الملائكة و إنذارهم ، و وصف ما يكون من أمرهم في الاخرة و حملهم على الارعواء والتدبر .

وقوله تعالى : « ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون » سؤال موجه إلى الملائكة ظاهراً على طريق الاستفهام، ولكن المراد منه تقريع المشركين وتبكيت لهم وتوبيخهم على عبادتهم غير الله تعالى وإشراكهم به سبحانه ، و تيئيسهم مما علقوا عليه اطماعهم الفارغة من شفاعتهم لهم. فهو جار على نظام المثل القائل : « اياك اعني و اسمعي يا جاره » و وارد على نهج قوله تعالى لعيسى بن مريم : « ء أنت قلت للناس اتخذوني و امي إلهين من دون الله » و قد علم الله جل وعلا ان الملائكة وعيسى عليه السلام برآء مما وجّه إليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير، ولكن جاء ليقول و يقولوا و يسئل و يجيبوا فيكون توبيخهم أشد و تعييرهم أبلغ و خجلهم أكثر .

و تخصيص الملائكة من بين آلهتهم لانهم أشرف شركائهم ، و الصالحون للخطاب منهم ، ولان عبادتهم مبدأ الشرك ، فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية و تنزههم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية .

٤١ ـ (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون)

مستأنف بيانى مبنىّ على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل: فماذا يقول الملائكة حينئذ ؟ فقيل : يجيبون عنه بجوامع الادب متنزهين عمانسبوه إليهم : « سبحانك » منزهين الله جل وعلا عن الشركاء قائلين انه تعالى هو وليهم من دونهم .

و فى العدول عن صيغة المضارع : « يقولون » إلى صيغة الماضى : «قالوا» دلالة على التحقيق لامحالة . ثم أضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم: « بل كانوا يعبدون الجن » أى الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غيرالله تعالى ، ونفوا رضاهم عن عبادة المشركين لهم لكن لاتصريحاً بنفى الرضا عن العبادة و لا بالتفوه بعبادتهم صوناً لساحة المخاطبة عما يقرع السمع بذلك و لو تصوراً لا تصديقاً بل أجابوا بقصرولايتهم فيه جل وعلا ونفيها عنهم ليدل على نفى الرضا بعبادتهم لهم على طريق الكناية ، فان الرضا بعبادتهم لازمة الموالاة بينهم والموالاة بينهم تنافى قصرالولاية فى الله جل وعلا ، فاذا انحصرت الولاية فيه تعالى لم تكن موالاة و اذا لم تكن موالاة لم يكن رضا .

وقوله تعالى :«بل كانوا يعبدون» تقرير من الملائكة على طريق الاضراب بان المشركين انما كانوا يعبدون الجن الذين هم يوسوسون فى صدورهم و يضلونهم لا الملائكة لانهم مخلصون لله تعالى عارفون لحدودهم و دائبون على تنزيهه و تقديسه .

و فى الاضراب دلالة على أن الجن كانوا على رضى من عبادة المشركين

لهم . ففيه بيان السبب الحامل لهم على عبادتهم بان السبب هوالجن حيث أغووهم وهم أطاعوهم فى الاشراك بالله سبحانه .

و قوله تعالى : « أكثرهم بهـم مؤمنون » يدل على أن الايمان ايمانان : ايمان بالله تعالى و رسوله ﷺ و باليوم الاخر. و ايمان بالشياطين والطواغيت كما ان الكفر كفران : كفر بالله سبحانه و كفر بالطواغيت . و قيل : و لعل الوجه فى نسبة الايمان بهم إلى أكثرهم دون جميعهم ان أكثرهم يعبدون الآلهة اتقاء من طرق الشرو الفساد و الضلالة و العناد ، و مبادىء الشرعنهم مطلقاً الجن لا كما قيل : ان المراد بالاكثر الكل .

٤٢ ـ (فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعاً ولاضراً و نقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون)

الفاء لترتيب الاخبار به عليه ، ونسبة عدم النفع والضر إلى البعض المبهم للمبالغة فيما هوالمقصود الذى هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه فى سلك عدم نفع العبدة لهم ، و بيان بان الامر يومئذ لله وحده .

وقيل : نوع تفريع على تبرّى الملائكة منهم، وقد بيّن تبرّى عامة المتبوعين من تابعيهم و التابعين من متبوعيهم فى مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى : « ويوم القيامة يكفرون بشرككم» فاطر: ١٤) وقوله : «ثم يوم يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً » العنكبوت : ٢٥)

و قوله تعالى : «ذوقوا عذاب النار» أى يقال لهم توبيخاً و تأنيباً و زجراً لهـم . . . و فى هذا القول ايلام لهـم فوق ماهم فيه من آلام و مضاعفة للحسرة التى تملأ قلوبهم على ما فاتهم من ايمان بالله تعالى فى دنياهم .

و قوله تعالى : « التى كنتم بهـا تكذبون » إلى ما يوجب استحقاقهم إذاقة عذاب تلك النار .

٤٣ ـ (و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريـد أن

يصدكم عما كان يعبد آباؤكم و قالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين)

بيان لبعض آخر من كفرهم ، و ما به استحقوا هذا العذاب الخالد ، وحكاية لاقوالهم الكاذبة حينما كان رسول الله ﷺ يتلوا عليهم آيات القرآن الواضحة، و يبيّن لهم حججه البالغة حيث كانوا يقولون للناس : ان محمداً ليس الا رجلاً يريد أن يصرفكم عما كان يعبد آباؤكم ، و ان ما يتلوه عليكم ويدّعيه انه وحي سماوى نزل عليه ليس الا كذباً مفترى على الله جاء به لترويج دعوته ، أو ليس إلا من قبيل السحر و التخييل ولاحقيقة له ، فعله ليخلب به العقول و يصد الناس عن الدين الحق الذى و رثوه عن الآباء و الاجداد . . .

و قوله تعالى : « آياتنا بينات » فى توصيف الايات بالبينات نوع عتبى كأنه قيل : اذا تتلى عليهم هذه الايات و هى بينة واضحة و حجة قاطعة لاريب فيها فبدلاً من أن يدعوا عامتهم إلى اتباعها حثّوهم على الاصرار على تقليد آبائهم و حرّضوهم عليه و أبوا أن يصدقوا ما يقع فى قلوبهم و عقولهم منها و يحملهم الكبر و العناد على التكذيب و البهت و الاتهام للرسول الذى يحملها إليهم .

و قوله تعالى : « قالوا ما هذا الا رجل » فى تنكير « رجل » مع اشتهار النبى الكريم ﷺ عندهم طعن وسخرية وتحقير و استخفاف منهم ، فأخرجوه مخرج التحكى ببعض الأعاجيب التى يتحاجى بها للضحك و التلهى متجاهلين به و بأمره كأن لم يكونوا قد عرفوا الا انه رجل ما .

و قوله تعالى حكاية عنهم : « يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم » إثارة حمية الجاهلية من الرؤساء المستكبرين المضلين فى صدور الأتباع الجهلة الحمقاء الضالين بالتحريض على موروثات الآباء و ماخلّفوا لهم من عادات و تقاليد و مراسم خاطئة . . . و فى إضافة الآباء إلى المخاطبين لا إلى أنفسهم **لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة فى تقريرهم على الشرك وتثبيتهم** على الضلالة

و تنفيرهم عن التوحيد والرسالة السماوية ، و تحريض لهؤلاء الحمقاء على الجد في التمسك بدين آباءهم ، و إثارة العناد واللجاج على النبي الكريم ﷺ .

و قوله تعالى : « وقالوا ما هذا الا إفك مفترى » بيان لشدتهم في الانكار وازديادهم في الكفر والطغيان ، و تيئيسهم الرسول الخاتم ﷺ من الطمع في ايمانهم بما يتلى عليهم ، في هذه المقالة السخيفة تزكية منهم مقالتهم الاولى و تثبيت دعائمها في قلوب الاتباع الجهلة الحمقاء ، و تزيين الضلال الجائم لهم بأنهم لن يتركوا ما هم عليه من حق إلى هذا الضلال المفترى .

و في الجملة تحقير للنبي الكريم ﷺ من جانب ، و استخفاف للايات البينات من جانب آخر . أي ليس هذا الكلام الذي يدعيه محمد نزوله عليه من السماء الا كلاماً مصروفاً عن وجهه ، مكذوباً به على الله بدلاً من أن يقولوا : انها آيات بينات نازلة من عندالله . و قيل : و في الاشارة إلى الايات البينات بـ « هذا » دلالة على انهم لم يفهموا منها إلا انها شيء مالا أزيد من ذلك .

و قوله تعالى : « و قال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين » بيان لشدة انكارهم درجة درجة إذ جعلوا ما يوحى إلى النبي ﷺ سحراً بيناً لا شك فيه عندهم بعد أن جعلوه كذباً و فرية . و بهذا القول يردون على من وقع في نفوسهم شيء من آيات الله تعالى و تفتحت لها عقولهم وقلوبهم . . . انه سحر يخدع الناس و يضللهم و يريهم الامور على غير ما هي عليه . . ! ! .

و في وصفهم بالكفر إشعار إلى التعليل . والمعنى: والذين اتصفوا بالكفر بعثهم الكفر إلى أن يقولوا للحق الصريح الذي بلغ وظهر هذا الظاهر سحريته وبطلانه . و ان فحوى الاية يدل على ان الكلام المحكي عن الكفار صادر عن الزعماء و موجه إلى عامة الناس على سبيل الصد والتعطيل والحض على الجحود و عدم التصديق . و اسلوبه ينطوي على صورة لما كان هؤلاء الزعماء المترفون عليه من عناد و ما كانوا يبذلونه من جهد في ذلك السبيل .

٤٤ - (وماآتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير)

ردّ على الكفار في مقالاتهم ، و انكار لدعواهم على طريق الاخبار من الله تعالى بانهم قالوا : ذلك من غير بينة ، ولادليل لهم على ذلك الا الجهل والعناد فلا تستند أقوالهم إلى شيء يتشبثون به ، و تأكيد لاصرارهم على دحض الحق باتباع الهوى . وتقرير ينطوى على التبكيت والتهكم والتجهيل بانهم قالوا حين انالله سبحانه لم ينزل إليهم قبل القرآن كتباً ولم يرسل قبل النبى ﷺ رسلاً حتى يكون كلامهم مستنداً إلى علم أو تجربة .

٤٥ - (وكذب الذين من قبلهم ومابلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير)

تهديد على الكفار ، و وعيد شديد على تكذيبهم ، و تذكير بالامم السابقة لهم والتى كذبت رسلها مثلهم ، و تخويف و إنذار لهم بعاقبة من كذب الرسل قبلهم ، و ما كان من تدبير الله تعالى لها فى حين ان الكفار العرب لم يبلغوا فى القوة والعظمة معشار ما بلغته ، فاذا أخذهم الله تعالى ، و ما نفعهم محصولهم ، فكيف حال هؤلاء الضعفاء ، فليحذر هؤلاء الحمقاء مثل ما نزل بالامم السابقة قبلهم من الهلاك والاستئصال ، و ما حلّ بهم من المثلات نكالاً لهم على تكذيبهم رسلهم لعبرة لو كانوا يعقلون و لا يعقلون .

وقوله تعالى : « فكذبوا رسلى » بعد قوله : « و كذب الذين من قبلهم » قيل : تخصيص بعد تعميم كأنه قيل: وفعل الذين من قبلهم التكذيب فكذبوا رسلى. نظيره قول القائل : أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد ﷺ .

وقوله تعالى : « فكيف كان نكير » تهديد شديد لهم . وفى الالتفات إلى التكلم لاستعظام الجرم و تهويل المؤاخذة .

٤٦ - (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد)

أمر للنبى الكريم ﷺ بمخاطبة الكفار و طلب شيء واحد منهم وهو : أن يخلصوا النية لله تعالى و يتجردوا عن العداءِ والهوى و يتركوا العناد واللجاج ثم يتفكروا كل واحد لنفسه أو كل اثنين لحدتهما معاً فيما يدعوهم النبى ﷺ إليه حيث يتأكدون ان صاحبهم أى النبى ﷺ ليس مجنوناً ، و انه انما هو نذير من الله جل وعلا بعذاب شديد إذا لم ينيبوا إليه و يسيروا فى طريق الهدى.

ان الاية الكريمة تتم الحجة على المشركين ، و تدعوهم إلى ما هو خير و سعادة إلى ما هو كمال و عزة ، و إلى ما هو نعمة و جنة و سلام . . . إذ تفتح لهم طريق الهدى والنجاة والخلاص ، وتطيل لهم الحبل وتمدّ لهم الباع وتنصفهم فى الخصومة بالتفكر فى أمر النبى ﷺ .

و قد جاءت الاية بمثابة إنهاءٍ لموقف المناظرة والجدل بين النبى الكريم ﷺ والكفار أو لما هو فى مقامهما، وهذا اسلوب من الأساليب النظمية القرآنية البديعة ، اسلوب قوىّ أخّاذ رائعاً من شأنه أن ينفذ إلى الاعماق ، و قد خوطب به العقل والقلب معاً ، وفى الهتاف بالحق و قوته و ضلال الباطل ، ومحقّه بنوع خاص روعة لن تزال قائمة ما قام الجدل بين الحق والباطل و توطيد قرآنى مستمرى المدى والتلقين للحق و دعوة قرآنية مستمرة المدى ضدّ الباطل . وقد احتوت الاية حكمة إجتماعية عامة و صورة من صور ما كان عليه موقف النبى الكريم ﷺ من الكفار ، و موقفهم منه أيضاً . فالاجتماعات العامة يختلط فيها الحابل والنابل ، وتسود فيها الاهواء وتضعف فيها قوة المنطق ، ولايؤدى الجدال فيها إلى نتيجة حاسمة و مرضية .

وان الزعماء الذين تولوا كبر المعارضة والتعطيل والصدّ بدافع الاستكبار والمكر السيّىء والعناد التى اشير إليها من قبل كانوا يتوخون التشويش والتهويش على الناس و لعلهم كانوا يعقدون الاجتماعات العامة للحثّ على التمسك بعقائد الآباء و للتحريض على النبى الكريم ﷺ كما أشارت آية ٣٣ من هذه السورة

إلى شيء من ذلك .

وكل ما انطوى في الاية من هذا مستمر التلقين في صدد مواقف التهويش والتشويش التي يقفها ذوو النيات السيئة والمآرب الخاصة من دعوة الاصلاح والحق. و في ذلك دلالة على بطلان ما ذكروا في الايات البينات و في النبي ﷺ .

والاية تكشف عن اسلوب الدعوة الاسلامية ، القائم على مواجهة العقل ، و دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة ، و إعطائه حقه في طلب الدليل المقنع والبرهان الواضح ، ثم الاعتراف له بما يقضي به بعد النظر السليم ، المجرد من الهوى ، المبرأ من التحدى والعناد . . ! فهذه هي رسالة الاسلام في الانسانية . . انها تريد أولاً و قبل كل شيء أن تحرر العقل من العادات الفاسدة والمعتقدات الباطلة التي استولت عليه ، و شلّت إرادة التفكير فيه . . . فاذا تحرر العقل من هذه الآفات ، و تخلص من تلك القيود فقد كسب نصف المعركة في صراعه مع الباطل ، ثم كان عليه بعد هذا أن يكسب النصف الآخر حتى يتلخص من الضلال ، و يخرج من عالم الضلالة إلى عالم الهدى ، من عالم الظلام إلى النور ، ومن عالم الدناءة والانحطاط إلى عالم العلو والكمال . . . و هو أن يدير عقله على هذا الوجود ، و أن ينظر فيه بعقله المتحرر هذا . . فانه إن فعل ، فلابد أن يهتدى إلى الله جل و علا ، و يتعرف إليه و يؤمن به .

و لذلك طلب القرآن الكريم ﷺ من الناس أن يتفكروا في أمر الدعوة المحمدية ، و هم منفردون باخلاص و تجرّد عن الهوى والعناد ، و أن يترووا ويحكّموا العقل ، ولايؤخذوا بالتهويش والتشويش والعصبية والهوى ، وحينئذ تبان لهم الحقيقة ساطعة ناصعة . و ان الخطاب في الاية و إن كان موجهاً للناس عامة ، ولكن لا يبعد أن يكون قد قصد فيه بنوع خاص ذلك الفريق المعتدل الذى كان يعترف في نفسه بصدق محمد ﷺ في دعوة الناس إلى الله تعالى وحده و كان خجله أو وجاهته أو مصلحته الخاصة أو مركزه في قومه و عشيرته أو سنّه

تمنعه من القبول والايمان .

وقوله تعالى : « أن تقوموا لله » تفسير و بيان لقوله سبحانه : « انما أعظكم بواحدة » .

وقوله تعالى : « مثنى وفرادى » فى تقديم « مثنى » على « فرادى » ايذان بانه أوثق وأقرب إلى الاطمئنان . قيل: قوله تعالى : « فرادى » كناية عن التفرق و تجنّب التجمّع والغوغاء ، فان الغوغاء لاشعور لها ولافكر، وكثيراً ما تميت الحق و تحيى الباطل .

و قوله تعالى : « ما بصاحبكم من جنة » مستأنف سيق من ناحية الله تعالى تنبيهاً على طريقة النظر والتأمل ، على طريق التوقف والتدبر ، و على طريقة الطمأنينة والتفكر . . . بان مثل هذا الامر العظيم الذى تحته ملك الدنيا والاخرة لا يتصدى لا دعائه الاّ مجنون لا يبالى بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان و ظهور عجزه أو مؤيد من عند الله تعالى مرشح للنبوة ، واثق بحجته و برهانه ، و إذ قد علمتم ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان أرجح العالمين عقلاً ، و أصدقهم قولاً و أشهرهم أميناً و أزكاهم نفساً وأفضلهم علماً وأحسنهم عملاً و أجمعهم للكمالات البشرية ، فوجب أن تصدقوه فى دعواه ، فكيف وقد انضمّ إلى ذلك معجزات تخرّ لها صمّ الجبال.

و فى التعبير « بصاحبكم » ايماء إلى أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان معروفاً بينهم و مشهوراً لديهم ، فانه قد نشأ بين ظهر انيهم ، فعلموا ماله من صفات الفضل و كمال الصدق والامانة والنبل و كرم الخلال مما لم يتهيّأ لأحد من أترابه ولداته ، و قد استبان لهم بالدليل لا يخفى عليهم انه ليس بمجنون و لم يقل و لم يدع ما يدل على تلجلج عقله ، وقد كانت صحبته ممتدة لهم أربعين سنة من حين ولادته إلى بعثته ، فلابد لهم أن يتذكروا انهم لم يعهدوا منه اختلالاً فى فكر أو خفة فى رأى أو أىّ شيء يوهم ان به جنوناً .

ففى الجملة إبانة لهم ان نتيجة الفكر ستؤدى بهم إلى أن يعترفوا بما

يرشد إليه النظر الصحيح ، و هذا هو الحكم الذى يصل إليـه العقل ، اذا جرى على هذا الاسلوب الـذى دعى إليـه من التفكير فى هذا الامر الذى يدعـو اليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تفكيراً قائماً على البحث الجاد ، والرغبة الصادقة فىالكشف عن الحقيقة . . انه لوأخذ الانسان ـ أىّ انسان ـ بتلك العظة التى دعاالقرآنالكريم إليها ، و هى أن يقوم لله تعالى مفكراً وحده أو مع غيره فيما يدعوه إليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم لوصل إلى تلكالحقيقة ، وهى ان هذا الرسول ليس به جنة و أن ما يدعو إليه حق لامراء فيه ، و انه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

و قوله تعالى : « ان هو الاّ نذير لكم بين يدى عذاب شديد » تصديق من الله تعالى برسالة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فلابدلهم من الايمان به إذ قد استبان لهم بالدليل القاطع انه ليس بمجنون فى كل ما يقول و يدعى فاتضح انه صادق فيماجاء به . و فى الجملة تهديد و وعيد شديد .

فى تلخيص البيان : فى قوله تعالى : « ان هو الاّ نذيـر لكم بين يدى عذاب شديد » قال : و هـذه استعارة والمراد انه عليه السلام ليقدم الانذار أمام وقوع العقاب إزاحة للعلة و قطعاً للمعذرة .

٤٧ ـ (قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهوعلى كل شيء شهيد)

تقرير آخر لصحة نبوة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على ان العاقل لايركبالعناء الشديد الاّ لغرض عاجل ، و هو غير موجود ههنا ، بل كل أحد يعاديه و يقصده بالسوء أو لغرض آجل ، و لا يثبت الاّ على تقدير الصدق ، فان الكاذب معذب فى الاخرة لامثاب ، و هذا إذا اريد بقوله : « فهو لكم » نفى سئوال الاجر رأساً على الدعوة ، فانه اذا وهبهم كل ما سئلهم من أجر فليس لـه عليهم أجر مسئول ولازمه أن لايسئلهم ، وهذا تطييب لنفوسهم أن لايتهموه بانه جعلالدعوة ذريعة إلى نيل مال أو جاه ، أو نيل مقام أو سلطان .

و في الجملة توكيد لهـم بانه ﷺ لايطلب على إنذاره أجراً ، فأجره و نفعه لهم وحدهم ، و ان أجره هو على الله الشهيد على كل شيء ، و العالم بكل شيء .
و اسلوب النفي لطلب النبي ﷺ أجراً في هذه المرة أقوى من المرات السابقة حيث أمر بان يهتف في الناس أن كل مايرجوه من نفع من رسالته هو لهم ، و ان أجره انما هو على الله جل وعلا وحده .

قيل : و هذه مادة من مواد التفكير في سبيل البحث عن الحقيقة التي يدعو إليها النبي الكريم ﷺ عقل ذوي العقل ، فهذه المادة مما تعين على الكشف عن الحقيقة والتهدّي إليها ، و تلك المادة هي ان الرسول ﷺ لم يطلب أجراً من أحد على ما يدعوا إليه ، و انه لم يطلب بذلك جاهاً أو سلطاناً حتى يكون بموضع تهمة بانه انما يدعو إلى ما يدعواليه ابتغاء كسب مادّي لذات نفسية ،انها دعـوة بريئة من كل غرض شخصي ، خالصة من كل مئونـة تحملونها من أجلها ، فماذا يحجزكم عنها ، أو يحملكم على التصدي لها و الوقوف في وجهها ؟

٤٨ ـ (قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب)

أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بالهتاف بين الناس بان الله جل وعلا هو الذي يقرر الحق و يؤيده ، وهو العليم بماهو خفي من نوايا الناس و ضمائرهم ، وذلك من شئوون الربوبية أشار إليه بقوله : « ربي » و في الاية عدة باظهار الاسلام و نشـره بين الناس و تبلج نوره في الكون كقوله تعالى : « بل نقذف الحق على الباطل فيدمغه » .

و قوله تعالى : « علام الغيوب » قيل : و فيه إشارة إلى أن البرهان الباهر لم يقم الاّعلى التوحيد والرسالة ، وأما الحشر فالدليل عليه اخبار علام الغيوب.

٤٩ ـ (قل جاء الحق و ما يبدىء الباطل و ما يعيد)

تأكيد لما سلف بامر رسوله ﷺ أن يخبر بان الاسلام سيعلو على سائر الاديان ، و ان غيره سيضمحل ويزول ، و بان الاسلام هو الحق الذي جاء واضحاً

جلياً كاسحاً للباطل الذى لا أصل له و لابقاء و لاقرار أمام الحق . فالآية تعقيب لسابقتها التى قررت ان الله تعالى لاينزّل الاّ ما هو حق و لايرمى إلاّ بما هو حق، وهذا هو ذا الحق قد جـاء في هذه الدعوة التى يحملها النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى آيات الله المطهرة . . . و انها لحق قذف به كل الباطل الذى يعيش فى مجتمع الجاهلين فى طوال الاعصار . . . و ليس بعد هذا القذف إلاّ أن يلقى الباطل مصرعه و تختفى أشباح الضلال و أتباعه . . .

و قوله تعالى: « و ما يبدىء الباطل و ما يعيد » إشارة إلى أن الباطل قد اصيب فى مقاتله ، و انه لن تقوم له بعد اليوم قائمة ، و لن يكون له بعد اليوم صوت يسمع ، والمراد بنفى البدء و الاعادة لازمها وهو عدم التأثير أى انه الباطل يفقد كل آثاره و أفعاله بعـد أن يقذف الحق . و فيه كناية عن بطلان الباطل و سقوطه عن الاثر من أصله بالحق الذى هو القرآن الكريم .

۵۰ـ (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي و ان اهتديت فبما يوحى الى ربى انه سميع قريب)

تأكيد لما سبق على انه الوحى حق لايحتمل ضلالاً و لايؤثر الاّ الهدى ، ففيه تقرير لأثر الحق الذى هو الوحى فانه عرّفه حقاً مطلقاً ، فالحق اذا كان حقاً من كل جهة لم يخطىء فى إصابة الواقع فى جهة من الجهات ، و إلاّ كان باطلاً من تلك الجهة ، فالوحـى يهدى و لايخطىء البتة . و لذلك أمر الله تعالى نبيـه صلى الله عليه وآله وسلم بالاعلان بانه اذا كان ضالاً فضلا له عائـد إليه ، و إن كان مهتدياً فانمـا ذلك بوحى ربه السميع لكل شيء ، و القريب من كل شيء . و هذا تقرير لامـر رسالته صلى الله عليه وآله وسلم بوجه آخر.

و قوله : « فانما أضل على نفسي » يدل على ان طريق الضلال هـو النفس الامارة بالسوء و ما يحيط بها من مجتمع فاسد موبوء .

و قوله : « و ان اهتديت فبما يوحى إلى ربى » يدل على ان الهداية والخير

و النور و الفلاح من طريق الوحي و القرآن الكريم . و في إضافة «رب» إلى ضمير النبي ﷺ دلالة على ان الوحي والهداية من شئون الربوبية . و قد وقعت المقابلة في الجملة الماضية بالمستقبلة من جهة المعنى لانه لو كان من جهة اللفظ لقال : «و ان اهتديت فانما اهتدى لها» .

و وجه التقابل المعنوى هو ان كل ما على النفس فهو بها أعنى كل ماهو عليها وبال وضرر فهو منها و بسببها لانها الامارة بالسوء ، و كل ما لها مما ينفعها فهو بهداية ربها و توفيقه لها . قيل : و هذا حكم عام لكل مكلف .

و قوله : « فبما يوحى إلي ربى » يدل على ان هدى القرآن هو الهدى ، فلاهدى الا منه ، و أن من التمس الهدى من غيره ضل وخاب وخسر. ويدل على ان مصدر الهدى من بيده تدبير خلقه و شئون عباده ، و ان من هذا الهدى الالهي يهتدى النبي الهادى ﷺ و يهتدى به المهتدون ، فالنبي ﷺ و هو رسول الله ﷺ انما يلتمس الهدى من هذا القرآن الذى هو حق للناس جميعاً .

و في ذلك دعوة إلى من يجدون في أنفسهم أنفة أو كبراً أن يأخذوا من القرآن الكريم حظهم من الهدى ، و دعوة لهم إلى أن يتخففوا من هذا الشعور، و أن ينظروا إلى القرآن باعتبار الذى جاء منه ، و انه من عند الله جل وعلا و ليس من تلقاء نفس محمد ﷺ ، فعليهم أن يرتووا من هذا النبع العذب ، و ألا يهلكوا أنفسهم بسبب أن كان القائم على هذا النبع رجلاً منهم .

وقوله تعالى : « انه سميع قريب » تعليل لما قبله من الكلام للدلالة على انه يسمع الدعوة و لا يحجبه عنها حاجب البعد ، و قد مهد له من قبل إذ وصفه تعالى في قذف الحق بانه علام الغيوب . و في هذه الحجة إلزام لهم ، و قطع لكل معذرة .

٥١ - (و لو ترى اذ فزعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب)

تقرير لما سوف يكون من أحوال الكفار حينما يحل فيهم وعد الله تعالى

على طريق التنبيه والانذار ، فحينما يحل وعدالله جل‌وعلا و عذابه سترى‌أحوال الكفار عجيبة ، و موقفهم رهيباً ، حيث يعتريهم الفزع و تستولى عليهم الدهشة لانهم يرون أنفسهم قد اخذوا بكل سرعة و من أقرب مكان و آمنه فى ظنهم ، و دون أن يفوت أو يفلت منهم أحد . و فى الاية و تاليها إلى آخر السورة إثارة الخوف و الندم فى السامعين من المشركين و حملهم على الارعواءِ قبل فوات الفرصة فى الحياة الدنيا .

و قوله تعالى : « و اخذوا من مكان قريب » كناية عن عدم فصل بينهم و بين من يأخذهم ، و ايثار الفعل مجهولاً بصيغة الماضى لتحقق الاخذ لا محالة و استناده إلى الله جل‌وعلا ، و لتوصيف نفسه الجلالة بالقرب كما قال : « و نحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون» الواقعة : ٨٥) وفيه نوع تمثيل لقربه‌سبحانه من الانسان بحسب مانتصوره من معنى القرب من حيث الزمان والمكان ، وانسنا بالامور المادية ، و إلاّ فالامرأعظم من ذلك .

٥٢ - (و قالوا آمنا به و أنى لهم التناوش من مكان بعيد)

إخبار من الله تعالى بهتاف الكفار بالايمان من غيرجدوى لهم بذلك لان الامر قد بعد عليهم و فرصة تناوله و الانتفاع به قد ضاعت عليهم .

و قوله تعالى : « و أنى لهم التناوش من مكان بعيد » تمثيل لحالهم فى الاستخلاص بالايمان بمافات عنهم على طريق الاستفهام الانكارى .

٥٣ - (و قد كفروا به من قبل و يقذفون بالغيب من مكان بعيد)

بيان لكفرهم ، و ذهابهم فى التخمين و الظنون و الرجم بالغيب فى سياق التكذيب و الجحود أبعد المذاهب على طريق التمثيل لمن يرجم و لايصيب أى يرمون بالظن ، فيقولون : لابعث و لانشور و لاجنة ولانار رجماً منهم بالظن .

وقوله تعالى : « ويقذفون بالغيب من مكان بعيد » تمثيل لحالهم بحال‌من يرمى شيئاً لايراه من مكان بعيد لامجال للظن فى لحوقه أو تمثيل لحالهم بحال

القاذف في تحصيل ماضيعوه من الايمان في الدنيا .

في تلخيص البيان : في قوله تعالى : « و يقذفون بالغيب من مكان بعيد» **قال** : و هذه إستعارة ، و المراد بذلك و الله أعلم انهم يقولون : ما لايعلمون و يظنون و لايتحققون ، و هم بمنزلة الرامي غرضاً بينه و بينه مسافة متباعدة فلا يكون سهمه أبداً إلا قاصراً عن الغرض و عادلاً عن السدد .

٥٤ ـ (و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب)

بيان لما سيحال بين الكافرين و بين ما تشتهي أنفسهم من متاع الدنيا و لذائذها كما فعل بأمثالهم الكافرين المكذبين من الامم السابقة لهم ، وحينئذ يرون حقيقة ماكانوا يشكون فيه شكهم الشديد المريب الذي لايستندون فيه إلى عقل و حق و علم .

و هذه سنة من سنن الله تعالى في الكافرين من القرون الغابرة و في الذين يلحقون بهم في الكفر و الضلالة ، في الشرك و المعصية ، في العناد و اللجاجة و في الطغيان و العداوة . . .

و قوله تعالى : « انهم كانوا في شك مريب » وصف لماكان عليه أهل الكفر والضلال في الدنيا وتعليل لما فعل الله تعالى بهم ، و لعدم قبول ايمانهم ووصولهم إلى بغيتهم حينئذ .

﴿الاعجاز﴾

و من غير مراء ان القرآن الكريم إطلاقاً ، و آياته خاصة معجزة في أبعاد مختلفة لابد من كتابة كتب مستقلّة حولها ، فلايسع هذا المختصر بذكر جميع وجوه اعجاز هذه السورة و آيها ، و لكنا لما تعهّدنا بذكر مايسعه المقام من معجزات كل سورة فيها من السور القرآنية فنشير في هذه السورة إلى بعض منها :

قوله تعالى : « يعلم ما يلج في الارض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها » سبأ : ٢) و ذلك لان الانسان الخبير المتدبر ، اذا وقف أمام هذه الصفحة المعروضة في كلمات قليلة يجد نفسه أمام معجزة إلهية خارقة عن عادة البشر في كل وقت ومكان ، أمام حشد هائل عجيب من الاشياء والحركات و الاحجام و الاشكال و الصور و المعاني و الهيئات لايصمد لها الخيال ، بحيث لو أن أهل الارض جميعاً وقفوا حياتهم كلها يتتبعون و يحصون ما يقع في لحظة واحدة مما تشير إليه الاية الكريمة لأعجزهم تتبعه و إحصاءه عن يقين .

فكم من شيء في هذه اللحظة الواحدة : « يلج في الارض » و كم من شيء في هذه اللحظة « يخرج منها » و كم من شيء في هذه اللحظة الواحدة «يعرج فيها» كم من شيء « يلج في الارض » كم من حبة تختبيء أو تخبأ في جنبات هذه الارض كم من دورة؟ كم من حشرة؟ كم من هامة؟ كم من زاحفة تلج في الارض في أقطارها المترامية ؟؟؟ كم من قطرة ماء ؟ كم من ذرة غاز ؟ كم من إشعاع كهرباء تندس في الارض في أرجائها الفسيحة ؟؟؟ و كم مما يلج في الارض وعين الله تعالى عليه

ساهرة لاتنام؟؟؟ و كم « يخرج منها » ؟ كم من نبتة تنبثق ؟ كم من نبع يفور ؟ كم من بركان يتفجر ؟ كم من غاز يتصاعد ؟ كم من مستور ينكشف ؟ كم من حشرة تخرج من بيتها المستور ؟ و كم مما يرى و ما لايرى و مما يعلمه البشر و مما يجهله ؟؟؟

و كم من « ما ينزل من السماء » من قطرات المطر؟ كم من شهاب ثاقب؟ كم من شعاع محرق ؟ كم من شعاع منير؟ كم من قضاء نافذ ؟ كم من قدر مقدور؟ كم من رحمة تشمل الوجود ؟ كم من رزق يبسط الله تعالى لمن يشاء من عباده و يقدر؟ و كم مما لايحصيه ؟؟؟

و كم من « ما يعرج فيها » من نفس صاعد من نبات أو حيوان أو انسان أو خلق آخر مما لايعرفه الانسان ؟ كم من دعوة ودعاء إلى الله تعالى معلنة اومستسرة لم يسمعها إلا الله تعالى في علاه ؟ كم من روح من أرواح الخلائق التي نعلمها أو نجهلها متوفاة ؟ كم من ملك يعرج بامر من روح الله تعالى ؟ كم من روح يرف في هذا الملكوت لايعلمه إلا الله تعالى ؟ كم من قطرة بخار صاعدة من بحر؟ كم من ذرة غاز صاعدة من جسم ؟ و كم مما لايعلمه سواه تعالى ؟؟؟

كم في لحظة واحدة ؟ و أين يذهب علم البشر و إحصائهم لما في اللحظة الواحدة ؟؟؟ ولو قضوا الاعمار الطوال في العد و الاحصاء ، وعلم الله تعالى الشامل الهائل اللطيف العميق يحيط بهذا كله في كل مكان و في كل زمان و كل قلب و ما فيه من نوايا و خواطر و ما له من حركات و سكنات تحت عين الله تعالى ، و ان هذه الاية الواحدة من القرآن الكريم مما يوحي بان هذا القرآن ليس من قول البشر، فمثل هذا الخاطر الكوني لايخطر بطبيعته على قلب بشر، و مثل هذا التصور الكوني لادافع إليه من طبيعة تصور البشر، ومثل هذه الاحاطة باللمسة الواحدة تتجلى فيها صنعة الله تعالى بارىء هذا الوجود التي لاتشبهها صنعة العبيد.

و منها قوله تعالى : «لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض...»

سباء: ٤) و ذلك لانك إذا تأملت و تدبّرت فی هذه الاية تجدها معجزة قرآنية حيث ذكرت تفتيت الذرات قبل خمسة عشر قرناً، وذلك يشهد بان هذا القرآن لايكون من صنع البشر لان خيال البشر لاتخطر له عادة مثل هذه الصور فطبيعة هذا التصور ليست بشرية، و انه ليست لها سابقة فی كلام البشر شعره و نثره على السواء فعند مايتحدث البشر عن شمول العلم ودقته وإحاطته، لايخطر على بالهم أن يصوروه فی هذه الصورة الكونية العجيبة «لايعزب عنه مثقال ذرة ... الاية» لم يعرف فی كلام البشر إلی مثل هذا التصور للعلم الدقيق الشامل، فهو الله تعالی الذی يصف نفسه، و يصف علمه بما يعلم من الاوصاف التی لاتخطر للبشر.

و بذلك يرفع تصور المسلمين لالههم الذی يعبدونه، فيعرفونه بصفته فی حدود طاقتهم البشرية المحدودة على كل حال، و ان الذرة كانت معروفة إلی عهد قريب انها أصغر الاجسام فعرفها الانسان بعد تحطيم الذرة، ان هناك ما هو أصغر من الذرة و هو جزئياتها التی لم تكن فی حسبان احد يومذاك فتبارك الله الذی يعلم عباده ما يشاء من أسرار صفته و من أسرار خلقه عند ما يشاء.

و منها قوله تعالی: «ويری الذين اوتوا العلم الذی انزل اليك من ربك هو الحق» سبأ: ٦) حيث ان الاستشهاد باصحاب العلم على حقيّة القرآن الكريم دليل قاطع و برهان ساطع على أنه ليس من تلقاء نفسه ﷺ سواء كان المراد باصحاب العلم أهل الكتابين أو مطلق أهل العلم، اذهم يستطيعون على الكتمان و لكنهم لايستطيعون على انكار فرط فصاحة هذا الكتاب السماوی و إعجازه فی اسلوبه ونظمه، وفی بيان حقائقه ومعارفه وحكمه، واشتماله على جميع مايحتاج إليه الانسان فی كل وقت ومكان فی طوال الاعصار وما فيه من التنبيه على أدلة التوحيد و العدل و المعاد و النبوة و الامامة، و ما فيه من بيان أحكام الشرع و ما اليها من المواعظ وقصص الانبياء و الاقوام والملل...ومن الترغيب والترهيب والوعد و الوعيد، و من البشارة و الانذار و العذاب والثواب، و من السعادة و الشقاء و

الهلاك و النجاة . . .

و **منها قوله تعالى : « وألنّا له الحديد » سباء : ١٠) إذ يظهر من السياق** ان الامر كان خارقة ليست من مألوف البشر يومئذ ، فلم يكن الامر أمر تسخين الحديد حتى يلين و يصبح قابلاً للطرق بل كان معجزة يلين بها الحديد من غير وسيلة اللين المعهودة ، فجوّ السياق جوّ معجزات خارجة على المألوف. وسياق قوله تعالى : « و أسلنا له عين القطر » سباء : ١٢) يشير إلى أن هذا كان معجزة خارقة كالالانة الحديد لداود عليه السلام و ذلك اذ قيل : ان الله تعالى فجّر له عيناً بركانية من النحاس المذاب من الارض . و قيل : ألهمه الله تعالى إذابة النحاس حتى يسيل و يصبح قابلاً للصبّ والطرق .

و **منها قوله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله » الاية سبأ: ٢٢)** انها التحدى فى مجال السموات والارض على الاطلاق ، و قوله تعالى : « قل من يرزقكم . . . » سباء : ٢٤) بصدد التحدى فى مجال الانفس و ما يتعلق بها .

و **منها قوله تعالى : «وانا أوايا كم لعلى هدى أو فى ضلال مبين» سباء : ٢٤)** هذا اسلوب من الكلام المنصف تستعمله العرب فى محاوراتهم لارخاءِ العنان للمخاطب حتى اذا سمعه الموافق أو المخالف قال لمن خوطب به : لقد أنصفك صاحبك ألا ترى الرجل يقول لصاحبه : قد علم الله الصادق مني و منك ، و ان أحدنا لكاذب . و عليه قول حسان يخاطب أباسفيان بن حرب ، و كان قد هجا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يسلم ـ و إن كانت حاله بعد الاسلام كقبله بلا فرق فى العقيدة ـ :

أتهجوه و لست له بكفء　　　فشرّ كما لخير كما الفداء .

هذه غاية النصفة و نهاية الاعتدال و كمال الأدب فى الجدال بأن يقول الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم للمشركين ان أحدنا لابد و أن يكون على هدى والاخر على ضلال ثم يدع تحديد المهتدى منهما ، والضال ليشير التدبر والتفكر فى هدؤ

لاتغشى عليه العزة بالاثم والرغبة فيالجدال والمحال ، فانما هو هاد ومعلم يبتغي هداهم و ارشادهم لا إذلالهم و افحامهم لمجرد الاذلال والافحام ، و ان الجدل على هذا النحو المهذب الموحي أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين بالجاه والمقام المستكبرين على الاذعان والاستسلام ، و أجدربان يثيرالتدبر الهادىء والاقتناع العميق ، وهونموذج من أدب الجدل ينبغي تدبره من الدعاة . وفي قوله تعالى: « قل الله » من الاعجاز مالايخفى على القارىء الخبير .

و منها قوله تعالى : « قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا . . . » الاية سباء : ٤٦) لما فيها من تصوير ما لايستطيع الانسان أن يصوّره ، و هذا دليل ظاهر على انه تصوير لرب العالمين .

و قال بعض المتأخرين : ان القيام لله تعالى مثنى و فرادى هو أن يكون التفكير في الله جل وعلا حديثاً إلى النفس أولاً بما يقع فيها من خواطر عن الله سبحانه ، ثم مراجعة هذه الخواطر مع شخص آخر يراه الانسان صاحب نظر و رأي حتى يستقيم له من تلك المراجعة و تقليب الرأي بينه و بين صاحبه هذا ـ مفهوم لذات الله جل و علا و حتى يجتمع له تصور لعظمته و جلاله و قدرته ثم تكون المرحلة الثالثة والاخيرة و هي الرجوع إلى نفسه ، وعرض هذا المفهوم و ذلك التصور على عقله حتى يهتدي إلى الرأي الذي يطمئن إليه والتصور الذي يستريح له . .

هذه هي مراحل التفكير ، في أيّ أمر ذي شأن يعرض للانسان ، ففي المرحلة الاولى تظهر الفكرة في صورة خاطرة أو وسواس ، يلوح في سماء العقل، و يضطرب في مخيلته . . . ومثل هذا الخاطر أو الوسواس يعيش قلقاً مضطرباً، لا يجد له مستقراً في العقل ، حتى يجد الارض الصلبة التي يقف عليها . . و هنا تجييء المرحلة الثانية ، و فيها يبحث العقل عن عقل آخر يأنس به ، ويقابل ما عنده من خواطر و وساوس بخواطره و وساوسه . . .

و فى هذا اللقاء بين العقلين يكثر الاخذ و الرّدّ، و القبول و الرفض ،ثم ينجلى هذا المخض عن زبدة ، هى الشرارة التى تنقدح من اللقاء بين العقلين و التى تضيىء بها جوانب النفس ، و ينكشف على ضوئها وجه الرأى فى الامر المتداول بينهما . . . و ينتهى هذا الحوار أو هذا اللقاء بين العقول و قد ذهب كل واحد منها بما حصل عليه من شك أو يقين ، و من اضطراب او اطمينان . . . و عندئذ يجد العقل ان ما حصل عليه ليس خالصاً له ، و انما هو ـ على صورتى الشك و اليقين أو الاضطراب و الاطمئنان ـ قسمة بينه و بين العقل الذى جرى معه هذا الشوط للوصول إلى تلك الغاية و ذلك المقصد . .

و هنا تجيىء المرحلة الثالثة التى يسوى فيها العقل حساب الامر الذى بين يديه على الوجه الذى يراه هو مستقلاً عن أىّ عون خارجىّ . . . و فى المرحلة الثالثة هذه يخلو العقل بنفسه ، ما شاء له أن يخلو ، فيعيد عرض الامر فى هدوء ، و يقلب وجوهه فى سعة من الوقت ، و حرية من العمل . . و قديظل هكذازمناً يبلغ عمر الانسان كله ، دون أن يصل إلى الرأى الذى يطمئن إليه ، و قد تطلع عليه شمس الحقيقة فى لحظة خاطفة و على غير انتظار !

و هذا إعجاز القرآن الكريم ، و ان الاية هذه لم تذكر المرحلة الاولى و بدأت بالمرحلة الثانية وهى لقاء عقل الانسان بعقل غيره ، ومقابلة تفكيره بتفكير غيره ، و ذلك ان المرحلة الاولى هى مرحلة مشتركة بين الناس جميعاً ، فان أىّ إنسان عاقل لا يمكن أبداً أن تخلو نفسه من خواطر و وساوس عن التفكير فى « الاله » . . أما الذى هو غير واقع بين الناس كلهم ، فهو عرض تلك الخواطر و الوساوس على عقول الآخرين . . . فهناك كثير من الناس يعيشون مع ما يطرقهم من خواطر و وساوس ، دون أن يعرضوها على أحد ، بل يمسكون بها فى صدورهم حتى يموتوا بها ، تماماً كما يمسك بعض المرضى بأمراضهم ، دون أن يطبّوا لها و أن يعرضوها على أهل الذكر و المعرفة بأدواء الاجسام و عللها . . .

وهذا إعجاز من إعجاز القرآن الكريم ، و ان الاية هذه حصرت التفكير في دائرة الفرد نفسه ، ثم لم تتجاوز به أكثر من فردو فرد . . و هذا يعنى ان العقل انما يكون فى أحسن حالاته ، حين يفكر وحده أى حين ينفرد بالتفكير فيما تجمّع لديه من حصيلة من الافكار و الآراء يردّها إلى نفسه ، و يقلبها بين يديه ، فهذا الذى يحقق للعقل ذاتيته و يعطيه وجوده ، و يمكن له من سلطانه.. فاذاكان ولابد من مشاركة أحد ، فليكن ذلك فى أضيق الحدود و مع عقل آخر ، هو أشبه بالمرآة التى يرى فيها الانسان ذاته . . أما التفكير الجماعى ، و خاصة فى امر يتصل بالضمير ،كالايمان بالله واليوم الآخر ، فانه يشوش على العقل ويحجب عنه الرؤية الصحيحة لما هو ناظر إليه . .

وقد كشف علم النفس عن ان هناك عقلين: عقلاً فردياً وعقلاً جماعياً ، و ان العقل الجماعى ، قد يقنع الانسان بما لم يكن محلّ إقناع فى تفكيره الفردى . . وهذا إن صحّ فى الامور العارضة فانه لايصحّ فى أمر العقيدة التى هى أمر شخصى محض..

و منها قوله تعالى : «قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب» سباء:٤٨)

و فيه تعبير أقوى التعبير حيث جعل الحـق كالقنبلة التى تقذف من حكيم عليم و مهندس بارع يعلم خفايا مهنته أثراها لايصيب الهدف .

و منها قوله تعالى : «و أنى لهم التناوش من مكان بعيد» سبأ : ٥٢) إذ فى التعبير بالتناوش عن الأمل الذى يراودهم فى هذا الموقف باعلان الايمان إعجاز من إعجاز القرآن الكريم فى صدق الأداء وروعته ودقته . . فالأمل الذى يتعلقون به لايمسكون منه بشيء . . انه لايكاد يظهر حتى يختفى ثم يظهر و يختفى و هم يجرون وراءه حتى تتقطع أنفاسهم دونه وفى هذا مضاعفة للعذاب الذى هم فيه.. «كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الاّ فى ضلال» الرعد: ١٤) انهم يمدون أيديهم وهم فى الاخرة ليتناولوا هذا الامل الذى فانهم فى الدنيا وينا وشونه مناوشة من بعيد و لاتمسك أيديهم بشيء منه .

﴿التكرار﴾

سورتان يشتمل كل واحدة منهما على أربع و خمسين آية : أحدهما ـ سورة سباء . ثانيهما ـ سورة فصلت .

وان السور المفتتحة بالحمد خمس : ثنتان منها في النصف الاول من القرآن الكريم ، و هما سورتا الفاتحة والانعام ، و ثنتان منها في النصف الاخير منه ، و هما سورتا سبأ و فاطر ، و جعلت واحدة منها وسطاً بين النصف الاول والنصف الاخير منه و هي سورة الكهف ، اذ لها حظ من النصف الاول والنصف الاخير .

و من اللطائف : ان الله تعالى أشار في الاوليين إلى نعمتي الايجاد وتربية الموجودين إذ قال : « الحمد لله رب العالمين » الفاتحة : ١) و قال : « الحمد لله الذي خلق السموات والارض » الانعام : ١) و أشار في سورة الكهف إلى نعمة الدين الذي فيه تربية الارواح و تزكية النفوس ، و أشار في الاخريين إلى ما وجب به الحمد على الانسان واختصاصه بالله تعالى لما له وحده من ملك السموات والارض و شقهما من العدم و ايجادهما على غير مثال سابق ، وما جعل الملائكة وسائط بينه و بين أنبياءه . . . و قد تكرر الحمد في الاية التي ابتدأت بها سورة سبأ ، فانه يجب الحمد في الحياة الدنيا على نعمة متفضل بها ، و هو الطريق إلى تحصيل نعمة الاخرة و هي الثواب ، و أما الحمد في الاخرة ، فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال إلى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين و تكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذمن به العطاش بالماء البارد .

وقيل : ان الفرق بين الحمدين : ان الاول عبادة مكلف بها ، والثانى غير مكلف به ولا متكلف ، و انما هو فى النشأة الثانية كالجبليات فى النشأة الاولى و لذلك قال رسول الله ﷺ : « يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس » و إلاّ فالنعمة الاولى كالثانية بفضل من الله تعالى على عباده لاعن استحقاقهم .

و قد تكرر القسم باسلوب خاص ثلاث مرات لا رابع لها مما أمر الله تعالى رسوله الخاتم ﷺ أن يقسم بربه على الترتيب النزولى والمصحفى :

الاولى : فى قوله تعالى : « قل اى و ربى انه لحق » يونس : ۵۳) جواباً عن استنباء الكافرين عن حقية الجزاء يوم القيامة .

الثانية : فىقوله تعالى: « قل بلى و ربى لتأتينكم » سباء : ۳) رداً عليهم فى انكارهم بايتاء الساعة للحساب والجزاء .

الثالثة : فى قوله جل و علا : « قل بلى و ربى لتبعثن » التغابن : ۷) رداً عليهم فى انكارهم وقوع البعث يوماً للحساب والجزاء .

و فى ترتيبى النزولى والمصحفى نفسهما ، و فى ايثار القسم بكلمة الرب من اللطائف والنكات ما لا يخفى على الخبير المتأمل ، فتدبر و اغتنم جداً .

قال الله تعالى : « لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات و لا فى الارض » سباء : ۳) وقال : « ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فىالسماء » يونس : ٦۱) و فى الجملتين ست جهات من الاختلاف :

الاولى : بدء ما فى سورة يونس بحرف الواو ، و ليست فى سورة سبأ .

الثانية : جاء فى سورة يونس حرف النفى بكلمة « ما » و فى سورة سبأ بكلمة « لا » .

الثالثة : و فى سورة سباء « عنه » بدلاً عن « عن ربك » فىسورة يونس .

الرابعة : اضيفت كلمة « من » فى سورة يونس فى قوله : « من مثقال » بخلاف ما فى سورة سباء .

الخامسة : جاء في سورة يونس « في السماء » بصيغة الافراد وفي سورة سبأ « في السموات » بصيغة الجمع .

السادسة : قدمت « في السموات » على « الارض » في سورة سباء ، وأخرت عنها في سورة يونس .

ولكل نكات و لطائف لاتخفى على أصحاب الأدب وأهل البيان فتأمل جيداً .

قال الله تعالى : « ان في ذلك لاية لكل عبد منيب » سبأ : ٩) بافراد الآية ، و قال : « ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » سباء : ١٩) بجمع الآيات لان المراد بالاول لآية على إحياء الموتى ، فخصّت بالافراد ، و أما قصّة سبأ فجمع لانهم صاروا اعتباراً يضرب بهم المثل : تفرّقوا أيادى سباء و فرقوا كل مفرق ، و مزقوا كل ممزق . فرفع بعضهم إلى الشام و بعضهم ذهب إلى يثرب ، و بعضهم إلى عمان ، فختم بالجمع ، و خصّت به لكثرتهم و كثرة من يعتبر بهم ، فقال : « لآيات لكل صبار » على الجنة « شكور » على النعمة أى المؤمنين .

قيل : و قد خصّ هذه السورة بذكر الرب لانه تكرر فيها مرات كثيرة : اذ فيها : « قل بلى و ربى » : ٣) و « الذى انزل اليك من ربك » : ٦) و « من يعمل بين يديه باذن ربه » : ١٢) و « رب غفور » : ١٥) و « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا » : ١٩) و « ربك على كل شيء حفيظ » : ٢١) و « قال ربكم » : ٢٣) و « موقوفون عند ربهم » : ٣١) و « قل ان ربى يبسط الرزق » : ٣٦)و٣٩) و « قل ان ربى يقذف بالحق » : ٤٨) و « فبما يوحى إلىّ ربى » : ٥٠) .

قال الله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله » سباء : ٢٢) بذكر لفظ « الله » جل جلاله وقال : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه » الاسراء : ٥٦) بالضمير ، و ذلك لان في هذه السورة اتصلت بآية ليس فيها لفظ « الله » وقد ذكر لفظ « الله » قبل أربع عشر آية ، فلما طالت الايات كان الصريح أحسن ، و في سورة الاسراء اتصل بآيتين فيهما بضعة عشر مرة ذكر « الله » صريحاً و كناية ،

فكانت الكناية أولى.

قال الله تعالى : « قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » سباء : ٣٦)
و قال : « قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له » سباء : ٣٩)
و لعل وجه التكرار مع إضافة « من عباده » و « له » فى الثانى دون الاول : ان الاية السابقة مطلقة ، فتشمل الافراد المتعددة بأنه تعالى يبسط الرزق لواحد و يقدر لآخر سواء كان كافراً أم مؤمناً ، و أما الاية التالية بالنسبة إلى الفرد بانه تعالى يبسط الرزق لواحد فى وقت ، و يقدر له فى وقت آخر كما يدل على ذلك قيدا « من عباده » و « له » فى التالية دون السابقة فلا تكرار أو تكون السابقة خطاباً للكافرين ، والتالية خطاباً للمؤمنين كما يستفاد من لفظ « من عباده » .

قيل : ان المقام التالى غير المقام السابق ، فهناك كان المقام الداعى إلى ذلك هو الكشف عن تلك الحقيقة التى جهلها أو تجاهلها المترفون ، و هى أن بسط الرزق و قبضه هو ابتلاء من الله تعالى ، و ليس مقدّراً على منازل الفضل والرضوان من الله جل وعلا . و هنا فى هذه الاية ـ بعد أن تقررت هذه الحقيقة ـ كان المقام مقام دعوة إلى البذل والانفاق من هذا المال لانه من فضل الله جل وعلا، و إذ كان الله تعالى هو الذى يعطى ، فلا خوف من الانفاق ، لانه إنفاق فى سبيل الله جل و علا و هو بمنزلة القرض لله سبحانه ، و لن يضيع ما اقترضه الله تعالى ، بل يعود إلى صاحبه مضاعفاً: « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » البقرة : ٢٤٥) .

و هنا زيادة فى النظم وهى كلمة « عباده » و فيها اشارة إلى أن المدعوين إلى الانفاق من أموالهم ، و التى سيخلفها الله لهم هم عباده المؤمنون به .

وقيل: ان التالية تأكيد للسابقة باعتبار عظم شأن الامر و هم عنه غافلون .

قال الله تعالى : « و ما أرسلنا فى قرية من نذير » سبأ : ٣٤) و لم يقل : « من قبلك » ولا « قبلك » ثم قال : « و ما أرسلنا إليهم قبلك من نذير » سبأ: ٤٤)

لان الاول إخبار مجرد ، والثانى إخبار مع التسلية للنبى الكريم ﷺ .

قال الله تعالى : « قل لاتسئلون عما أجرمنا ولانسئل عما تعملون » سبأ:٢٥)

وقال: « ولتسئلن عما كنتم تعملون » النحل : ٩٣) و ذلك لان قوله: «أجرمنا» بصيغة الماضى أى قبل هذا ، و لم يقل : « نجرم » فيقع فى مقابلة « تعملون » لان من شرط الايمان و وصف المؤمن : أن يعزم ألا يجرم ، و قوله : « تعملون » خطاب للكفار و هم مصرّون على الكفر فى الماضى من الزمان والمستقبل ، فاستغنت بهالآية عن قوله : « كنتم » . وقدتكرر قوله تعالى: « قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء » سباء : ٣٦ و ٣٩) لاختلاف الفائدة فان الاول توبيخ للكافرين و هم المخاطبون به و من ثم لم يقل : « من عباده » و لا « له » لسلب العبودية عنهم و للاشارة إلى أن الضيق فى الكافر ليس لنفعه و صلاحه . و أما الثانى فهو وعظ للمؤمنين فكأنه قال: ليس فى إغناء الكافرين واعطاؤهم دليل على كرامتهم عندالله كما ان الضيق عليه ليس لصلاحه و أما اغناء المؤمنين فيكون لزيادة ثوابهم بان ينفقوها كما يدل عليه قوله تعالى فيهم : « من عباده » و قوله تعالى : « و ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه » كما ان الضيق عليهم يكون لصلاحهم يدل عليه قوله : « يقدر له » .

قال الله تعالى : « ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون » سبأ : ٤٢)

بوصف النار. وقال: « ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون » السجدة : ٢٠) بوصف العذاب . و ذلك لان النار فى سورة السجدة وقعت موقع الكناية لتقدم ذكرها، والكنايات لاتوصف فوصف العذاب ، و أما فى سورة سبأ فلم يتقدم ذكر النار من قبل فحسن وصف النار .

و قيل : وصف الله تعالى العذاب فى سورة السجدة فان الكافرين قد رأوا النار بدليل قوله تعالى: « كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها » فقيل لهم: ذوقوا العذاب المؤبد الذى كنتم به تكذبون فى قولكم : « لن تمسنا النار الا أياماً معدودة » البقرة : ٨٠) و أما فى سورة سبأ فلا دليل على انهم رأوا النار

فوصفت لهم . و قيل : لانـه مذكور عقيب الحشر والسئوال فناسب التوبيخ على تكذيبهم بالنار .

و نشير في المقام إلى صيغ عشرة لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - جائت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية:

١ - جاءت كلمة (العزب) على صيغها في القرآن الكريم نحو : مرتين :
أحدهما - في سورة يونس : ٦١) ثانيهما - في سورة سبأ : ٣) .

٢ - « « (المزق) « « « « : أربع مرات :
كلها في سورة سبأ : ٧ و ١٩) .

٣ - « « (السرد) « « « « : مرة واحدة :
و هي في سورة سبأ : ١١) .

٤ - « « (السيل) « « « « : أربع مرات :
١ و ٢ - في سورة سبأ : ١٢ و ١٦) ٣ و ٤ - في سورة الرعد : ١٧) .

٥ - « « (الجفان) « « « « : مرة واحدة :
و هي في سورة سبأ : ١٣) .

٦ - « « (سباء) « « « « : مرتين :
أحدهما - في سورة النمل : ٢٢) ثانيهما - في سورة سبأ : ١٥) .

٧ - « « (العرم) « « « « : مرة واحدة :
و هي في سورة سبأ : ١۶) .

٨ - « « (الخمط) « « « « : مرة واحدة :
و هي في سورة سبأ : ١٦) .

٩ - « « (الاثل) « « « « : مرة واحدة :
و هي في سورة سبأ : ١٦) .

١٠ - « « (التناوش) « « « « : مرة واحدة :
و هي في سورة سباء : ٥٢) .

﴿ التناسب ﴾

إعلم أن البحث فى المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة و ما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بينها و ما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أماالاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة « لقمان » و التناسب بينهما فبامور أهمهاستة :

أحدها ـ التناسب بين موضوعيهما على طريقيالاجمال والتفصيل فراجع.

ثانيها ـ لما ختمت سورة لقمان بقوله تعالى : « ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث . . » : ٣٤) أخذت هذه السورة فى أوائلها ببيان ذلك : «و قال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى و ربى لتأتينكم عالم الغيب . . . » : ٣)

ثالثها ـ لما اشير فى سورة لقمان إلى النعمة و شكرها إجمالاً فى قوله تعالى : « و لقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ـ و أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » : ١٢ ـ ٢٠) اشير فى هذهالسورة إلى نموذج كامل من النعمة وشكرها، و إن كان من قليل العباد بقوله جل وعلا : « و لقد آتينا داود منافضلاً ـ ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور » : ١٠ ـ ١٩)

رابعها ـ لما جاءت سورة لقمان بالتهديد على كفران النعمة وسلبها ممن كفر فى قوله سبحانه : «ومن كفر فان الله غنى حميد» : ١٢) جاءت هذه السورة

بذكر نموذج من سلب النعمة عن متنعميها وهم أهل سبأ بسبب كفرانهم فى قوله تعالى : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية ـ فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق » : ١٩)

خامسهاـ لما جاءت سورة لقمان بالنهى عن الشرك بالله سبحانه فى قوله تعالى حكاية عن لقمان : « يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » : ١٢)فصّل فى سورة سبأ و بال الشرك و وخيم عاقبته و فضاحة أهله فى الدنيا و الاخرة فى قوله جل وعلا : «قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ـ ولو ترى اذفزعوا فلافوت و اخذوا من مكان قريب » : ٢٢ ـ ٥١)

سادسهاـ لما اشير فى سورة لقمان إلى إضلال بعض الناس بعضاً واستكبارهم بقوله تعالى : « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل الناس عن سبيل الله ـ فبشره بعذاب أليم » : ٦ ـ ٧) اشير فى سورة سبأ إلى فضاحة المضلين وأتباعهم و عذابهم يوم القيامة بقوله تعالى : « ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ـ و نقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون » : ٣١ ـ ٤٣) فتدبرو اغتنم جداً لانك لن تجد ما ذكرناه فى الكتب المتقدمة .

و أما الثانية : فالمناسبة بين هذه السورة و سورة الاحزاب فبوجوه :

أحدها ـ لما ذكر فى السورة السابقة سئوال الكفار عن الساعة إستهزاء فى قوله تعالى : «يسئلك الناس عن الساعة» الاحزاب : ٦٣) حكى عنهم إنكارها صريحاً و طعنهم على من يقول بالبعث و الحساب و الجزاء ، فقال هنا ما لم يقله هناك فى قوله جل وعلا : « و قال الذين كفروا لاتأتينا الساعة » سبأ : ٣)

ثانيها ـ لما جاءت سورة الاحزاب ببيان غرض التكليف ، و مقام الانسان فى هذا الوجود ، و انه الكائن الذى استقلّ وحده بحمل أمانة التكليف من بين الكائنات جميعها ، وان الله جل وعلا يجزى المحسن باحسانه ، والمسيىء باساءته ، فى قوله تعالى : « انا عرضنا الامانة على السموات و الارض ـ و كان الله غفوراً

رحيماً» الاحزاب : ٧٢ ـ ٧٣) افتتحت هذه السورة بالحمدلله جل وعلا على نعمته وكمال قدرته . . .

ثالثها ـ ان الصفات التي اجريت على الله تعالى في مفتتح هذه السورة تشاكل الصفات التي نسبت إليه جل وعلا في مختتم السورة السابقة .

و غيرها من التناسب ، و على القارىء الخبير التأمل جداً .

و أما الثالثة : فان الله تعالى إفتتح السورة بالحمد لكونه مالكاً لكل شيء يوجب أن يكون ذاته جل وعلا محموداً و إن لم يحمده أحد ، وقدّم الحمد للنعم الدنيويـة على الحمد للنعم الاخرويـة لتقدم الاولى على الثانية وجوداً ، و لان الاولى وسيلة لنيل الشاكر بالثانية لان الدنيا مزرعة الاخرة . ومن المحتمل أن يكون ذكر الحمد للنعم الاخروية بعد ذكر الحمد للنعم الدنيوية ، انه لما كانت نعمة الآخرة مخبر بها ، غير مرئية لنا في الحياة الدنيا ذكرها ليقاس نعمها بنعمة الدنيا قياس الغائب على الشاهد ، و إن اختلفت النعمتان في الكيفية و الكمية و من يتنعم بهما . وقدّم تعالى الصلة «له» في الثاني دون الاول للاختصاص و رفع الوسائط في الثانية دون الاولى .

ثم ذكر ما به يليق هو وحده للحمد دون غيره من سعة علمه تعالى بظواهر الاشياء و بواطنها بقوله جل وعلا : «وهو الحكيم الخبير» غير ما ذكره سابقاً من كونه مالكاً لجميع الأشياء . . . ثم بيّن بعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالح عباده الدنيوية و الاخروية بقوله جل و علا : « يعلم ما يلج في الارض و ما يخرج منها . . . » : ٢) ففيه كشف صفحة من صحائف علمه تعالـى مجالها الارض و السماء . . . و قدّم « يعلـم ما يلج في الارض » على غيـره لان الحبّة تبذر ثم تسقى و هو تعالى يدبّر كل هذه الامور بعلمه الشامل و حكمته المطلقة . وختمت الاية بذكر صفتي الرحمة تنبيهاً إلى أن ما في الاية من آثار الرحمة المطلقة ، و الغفران حثاً على الحمد و الاستغفار الموجبين للزيادة . و

ان الآيتين مقدمة لما بعدهما .

ان الله تعالى لما أبان ان له الحمد في الدنيا والاخرة على ما أسدى إلى عباده من النعم أردف ذلك ببيان ان كثيراً منهم ينكرها أشد الانكار ويستهزىء بمن يثبتها ، و يعتقد ان الاخرة دارجزاء يحاسب فيها الانسان بما كلّف في دارالتكليف ، و قد بلغ من تهكمهم انهم يستعجلون مجيئها ظناً منهم : ان هذه خيالات واهية بل أضغاث أحلام ،و قد ذكر ان مجيئها ضربة لازب لتجزى كل نفس بما كسبت من الخير و الشر، من صالح الاعمال و فاسدها ، و من عقيدة حقة و باطلها بقوله تعالى : « و قال الذين كفروا ـ و رزق كريم » : ۳ و ۴) مع وصف نفسه جلاوعلا بكمال العلم وعظيم الاحاطة بالموجودات مما يؤكد إمكان البعث بقوله سبحانه : « عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة » لان العالم بجميع الاشياء عالم باجزاءِ الاحياءِ قادر على جميعها كما بدأها . ثم ذكر الحكمة في إعادة الانسان بعد الموت وقيام الساعة بقوله عزوجل: «ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات». فلو لم تكن دارجزاء يجزى كلاً ما عمله في دارالتكليف كان ذلك خارجاً عن الحكمة في خلق العالم .

بعد أن أمر الله تعالى رسوله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن يردّ عليهم مؤكداً لهم بطلان ما يدّعون بقوله تعالى : « قل بلى و ربى لتأتينكم » .

ثم ذكر ان الناس فريقان : مؤمن بآيات الله تعالى ، و كافر بها بقوله جل و علا : « والذين سعوا في آياتنا ـ و يهدى إلى صراط العزيز الحميد » : ۵ ـ ۶) فمعاند جاحد بها و يسعى في إبطالها ، و مآل أمره العذاب الأليم على مادسّى به نفسه من قبيح الخلال ، مع الاستشهاد باعتراف اولى العلم ممن آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام و أضرابه بصحة ما أنزل الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ليردّ به على هؤلاءِ الجهلة السفلة الساعين في الايات الذين أنكروا الساعة بقوله سبحانه : « ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل إليك » .

و قدّم صفة الهيبة « العزيز » على صفة الرأفة « الحميد » لان الكلام على منكرى البعث و الجزاء .

ان اللّه تعالى لما ذكر إنكار المنكرين للساعة و ردّ عليهم مما قالوا مؤكداً ثم ذكر المؤمنين باللّه تعالى و برسوله و باليوم الآخر مع بيان جزاء الفريقين بالنار وعذابها ، و بالجنة ونعيمها أردفه بذكر مقالة للكافرين متهكمين مستهزئين بقوله تعالى : «وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم ـ والضلال البعيد»: ٧ ـ ٨) مع الاشارة إلى التعطيل لتلك المقالة السخيفة ومآل أمر قائليها بقوله: « بل الذين لايؤمنون بالاخرة . . . » و ذلك لان الكافرين بالساعة لما نسبوا إلى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أحد الامرين : إما التعمد فى الافتراء على اللّه سبحانه ، و إما الجنون ردّ اللّه تعالى عليهم مقالتهم وأثبت لهم ما هو أشدو أنكى فقال :«بل الذين لايؤمنون بالاخرة فى العذاب و الضلال البعيد » وهو علة الانكار .

و قدّم العذاب على الضلال ، مع ان العذاب الذى سينا لهم هو من نتائج ضلالتهم ، استعجالاً لمايسوءهم ، واستحضاراً للبلاء الذى ظنوا انهم فى مأمن منه.

ان اللّه تعالى لما ذكر الدليل على كونه جل و علا عالماً بالغيب ، و انه يجازى على السيئات والحسنات ، وذكر انكار المنكرين للساعة و أشار إلى عاقبة الانكار ، وذكر ايمان المؤمنين بها و مآل أمرهم يوم القيامة أردف ذلك بذكر الدليل القاطع و البرهان الساطع على صحة البعث و إمكانه بخلق السموات و الارض مع توعدهم على إنكارهم بأشد الوعيد لعلهم يرجعون عن عنادهم ولجاجهم و ضلالتهم البعيدة ، و يثوبون إلى رشادهم بقوله تعالى : « أفلم يروا إلى ما بين أيديهم . . . » : ٩)

فالذى قدر على خلق السموات والارض ومافيهن قادر على البعث والحساب و الجزاء فى الاخرة ، و على تعجيل العقوبة فى الحياة الدنيا كما عاقب الامم المكذبة السالفة ، فذكّرهم بما يشاهدون مما يدل على كمال قدرته تعالى على

البعث و عقوبتهم . و ختم الاية الكريمة بما هو كالعلة فى الحث على الاستدلال بذلك ليزيح انكارهم بالبعث، و رجوعهم إلى الله جل و علا عما كانوا عليه من الانكار و التكذيب .

ففى الاية استدلال وتهديد، وموعظة وإنذار، و ردّ ودعوة لهم إلى الايمان و الارعواء عن الكفر.

ان الله تعالى لما ذكر خلق السموات و الارض آية لكل من أناب إلى الله تعالى و رجع إليه أردف ذلك بذكر بعض من أنابوا إلى ربهم، فأنعم عليهم بما آتاهم من الفضل والعطاء، لتكشف عن صورة كريمة للانسان الذى يحقق معنى الانابة على التمام و الكمال و هو داود النبى عليه السلام فقد جمع الله تعالى له النبوة و الملك و الجنود ذوى العدد و العدد، و منحه الصوت الرخيم، وألان له الحديد مع أمره بنسج الدرع، و أهله بصالح العمل معللاً بقوله تعالى: «و لقد آتينا داود منا فضلاً ـ انى بما تعملون بصير»: ١٠ ـ ١١)

وفى الآيتين ردّ على منكرى نبوة محمد صلى الله عليه و آله و سلم بان إرسال الرسل ليس أمراً بدعاً بل أرسلنا الرسل قبله صلى الله عليه و آله و سلم و أيّدناهم بالمعجزات، و أحللنا بمن خالفهم العقاب و دعوة لهم إلى الايمان و صالح العمل تلويحاً .

و من المحتمل ان تكون مناسبة قصة داود و سليمان عليهما السلام مع ما قبلها: ان الكفار لما أنكروا البعث مستبعدين إياه، فأخبروا بوقوع ما هو مستحيل فى العادة مما لايمكنهم إنكاره من تأويب الجبال والطير مع داود إذ ألان له الحديد من صلابته، و سخر الريح لسليمان مع عدم رؤيتها إلاّ باحساس آثارها و أساس النحاس كما ألان الحديد لابيه و سخّر له الجن من غيوبه .

ان الله تعالى لما ذكر ما منّ به على داود عليه السلام وأشار إلى ثلاثة أشياء وهى: الجبال المسخرة، و الطير المسبحة، و إلانة الحديد، ثم أمره بنسج الدرع و أهله بصالح العمل أردف ذلك ببيان ما تفضّل به على إبنه سليمان عليه السلام وأشار إلى ثلاثة

أشياء و هى : الريح المسخرة ، و إسالة القطر، و تسخير الجن ، ثم أمر آل داود بالشكر لتلك النعم الالهية فى قوله تعالى : «ولسليمان الريح ـ و قليل من عبادى الشكور » : ١٢ ـ ١٣)

ان الله تعالى لما بيّن عظمة سليمان عليه السلام و تسخير الريح و الجن و إسالة عين القطر له ، أخذ بذكر ما لم ينج منه أحد من خلقه أبداً مهما كثرت قدرته و عظمت و هو الموت بقوله تعالى : « فلما قضينا عليه الموت . . . » : ١٤) تنبيهاً على لابديّة الموت للخلق ، ولو نجى منه أحد بالقدرة والملك والمال والعظمة لكان سليمان عليه السلام أولى بالنجاة منه ، و على ان غير الله تعالى لايعلم الغيب رداً على معتقديه .

و من المحتمل أن تكون مناسبة قصة داود و سليمان عليهما السلام لقصة إنكار المشركين بالبعث والجزاء : انه تعالى لما ذكر ما منّ به على داود وسليمان عليهما السلام من النعم الظاهرة و الباطنة إحتجاجاً على مامنح نبيه الخاتم محمداً صلى الله عليه و آله و سلم أى لاتستبعدوا أيها المشركون هذا من نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم فقد تفضلنا على بعض عبادنا الصالحين قديماً بكذا و كذا .

و لما فرغ التمثيل للنبى الخاتم محمد صلى الله عليه و آله و سلم رجع التمثيل لمشركى العرب و جاحدى النبوة المحمدية بقصة سبأ ، وماكان من هلاكهم وحلول النقمة بهم و سلب النعمة عنهم بسبب عتوهم و كفرانهم بقوله تعالى : « لقد كان لسباء فى مسكنهم آية ـ و ركب على كل شيء حفيظ » : ١٥ ـ ٢١) ومن هنا يظل الاتصال قائماً مستمراً بين هذه القصة السابقة .

و ذلك لان الله تعالى لما بيّن قصّة داود وسليمان عليهما السلام ، وما منّ عليهما من القدرة والقوة والملك ، وبين حال الشاكرين لنعمه ، ذكر نعمه الاخرى التى أنعمها أهل سبأ ، ولكن سليمان مات على ماكان عليه من النعمة و القدرة بسبب الشكر و هذا معنى دوام النعمة بالشكر، و أما سبأ فوقعوا على نهاية الهوان و

الذلة ، و حلّت بهم النقمة و سلبت عنهم النعمة بسبب كفرهم و كفرانهم وهذا معنى تغيير النعمة .

ان الله تعالى لما بيّن حال مسكنهم و جنتهم و تبديلها بما لانفع فيه أخذ بذكرحال خارج بلدهم وماآل إليه أمره بقوله : « وجعلنابينهم وبين القرى ... » مع الاشارة إلى أمنهم فى الطريق ولكن الله تعالى بدّل النعمة بالنقمة والامن بالخوف بسبب كفرهم و كفرانهم ، ثم أخبر عن ضعف عزمهم ، و عما هو سبب كفرهم و كفرانهم و اتباعهم الشيطان ، و تحقق ظن ابليس فيهم ، وفى أضرابهم ممن ركنوا إلى الغواية والضلالة .

ان الله تعالى لما ذكر إعطاء نعمه التى آتاها الشاكرين من أولياءه كداود وسليمان عليهما السلام من النعم المادية والمعنوية ، و ما فعله بسبأ حين بطروا النعمة و كفروا بها ، و كذبوا الرسل و أظهروا الكفران فى كلتا النعمتين : النعمة المادية و هى الدنيا و متاعها والنعمة المعنوية من الرسالة والدين ، و فرغ عن حكاية أهل الشكر والكفران تمثيلا عاد إلى مخاطبة كفارقريش وتقريع مشركى العرب ، فأمر رسوله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم تهكماً بهم و تعجباً من حالهم و تحدياً بقوله جل و علا : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله . . . » : ٢٢) فليست الاية فصلاً مستأنفاً ، و انما هى إستمرار فى السياق المستمر فى حكاية مواقف الكفار .

ثم ذكر ان شأن المعبود أن يكون نافعاً لعابده ، فيعطيه و يرجى من رحمته ، و ضاراً فيخشى بطشه و سطوته اذا تمرّد وطغى ، وتلك الالهة الموهومة ليس لهم شيء من ذلك بقوله جل و علا : « لا يملكون مثقال ذرة فى السموات و لا فى الارض . . » هذه فى الحياة الدنيا ، و أما الاخرة « ولاتنفع الشفاعة عنده الاّ لمن أذن له » فتلك الاخشاب المنحوتة ، و تلك الاحجار المصورة ، و تلك الهياكل المصنوعة ، وتلك المجسمات الموهومة ، أو غيرها من الالهة المزعومة

ليس منها و فيها و لها خير لهم لا فى الدنيا و لا فى الاخرة ، أهؤلاء شركاء لله سبحانه فى تكوين العالم و ايجاده ! أم فى تدبير الكون و نظامه ! أو شركاء له جل و علا فى العبادة !

أو ليست العبادة لتلك الالهة المزعومة خطاءاً عظيماً ، و جرماً كبيراً ؟ فيا أيها المشركون إذا كنتم تنتظرون خيراً منها فى الدنيا : « لايملكون مثقال ذرة فى السموات و لا فى الارض » و اذا كنتم تنتظرون خيراً منها فى الاخرة « ولاتنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له » وتلك الصور و المجسمات والمزعومات بمعزل من الشفاعة .

ثم ذكر ما يحدث بعد انتظار الاذن بالشفاعة لتلك الالهة بقوله : « حتى اذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا . . » ثم ذكر إعتراف الشفعاء بعظمة خالق الكون و قصور كل ما سواه بقوله : « و هو العلى الكبير » .

قيل: ان الله تعالى لما أبطل أصل الشرك فى الوجود ، أبطل الشرك فى الايجاد والتدبير والعمل باموور أربعة :

الاول : أبطل على سبيل الاستقلال بقوله تعالى : « لا يملكون مثقال ذرة فى السموات و لا فى الارض » .

الثاني : على طريق الشركة بقوله جل وعلا : « و ما لهم فيهما من شرك » .

الثالث : على سبيل الاعانة بقوله سبحانه : « و ما له منهم من ظهير » .

والرابع: نفى استحقاقهم للعبادة طمعاً انهم شفعاء عندالله جل وعز : « ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له » .

ان الله تعالى لما سلب عن آلهة المشركين ملك شيء من الاكوان ، و أثبت ان ذلك كله لله تعالى وحده ، و سلب من تلك الآلهة المزعومة الشفاعة ، و أثبتها لمن أذن له ، و قال صواباً أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعلهم يقرّون بتفرده بالخلق والرزق ، وبالتكوين والتدبير، وإنفراده بالالوهية ، و أن يخبر بأن أحد

الفريقين : الموحدين للرازق ، و المشركين به سبحانه الخلق ، مبطل والاخر محق ، فقد أقام الدليل المتقن يعترف به الكافر على التوحيد و أبطل ماكانوا عليه من الشرك بقوله جل و علا : « قل من يرزقكم . . » : ٢٤) و من المحتمل ان تكون المناسبة ان الله جل و علا لما ذكر ان الآلهة الموهومة للمشركين لا يملكون مثقال ذرة مما يقدر عليه الرب تعالى قرّر ذلك بقوله سبحانه : « قل من يرزقكم . . » .

ولما ألزم المشركين بماليس بأقلّ من الاعتراف بأنفسهم أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بان هذين الطريقين : طريقتي وطريقتكم متضادان لايجتمعان تنبيهاً على ضلال طريقتهم بقولـه تعالى : « و انا أو إياكم . . » و في ذكر هذا بعد ما تقدمه من الحجج الواضحة و الادلـة المتقنة ، والبراهين الظاهرة على التوحيـد و بطلان الشرك دلالة واضحة على تمييز المهتدي من الضال ، والايماء أبلغ من التصريح، و أوصل بالمجادل إلى الغرض مع قلة شغب الخصم و فلّ شوكته بالهوينى .

ان الله تعالى لما أقام الادلة الواضحة التي يعترف بها الخصم على التوحيد ، و بطلان الشرك و أبان طريق الحق و الهدى ، طريق الخير و الصواب ، و طريق السعادة والنجاة من طريق الباطل والضلالة ، من طريق الشر والخطاء ومن طريق الشقاء والهلاك ، وكما ان الحق والباطل ، والهدى والضلال متضادان لايجتمعان و بينهما بون بعيد يستحيل الجمع ، فكذلك أهلهما في العمل أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم رابعاً أن يقول لمشركي العرب المتعصبة : ان الانسان لايتـرك سدى في هذين الطريقين : الحق و الباطل و العمل على ما يناسبهما ، بـل يحاسب في العقيدة و العمل و الله تعالى هو الحاكم بين الفريقين ونحن و أنتم لسنا بخارجين عن ذلك فلاتؤاخذون بما نعمل و لانؤاخـذ بما تعملون زيادة في إنصافهم في المخاصمة إذا سند الاجرام إلى أنفسهم والعمل للمخاطبين بقوله تعالى : « قل لاتسئلون عما أجرمنا ولانسئل عما تعملون » : ٢٥) .

ثم أمره ﷺ خامساً بان يقول لهم تحذيراً وإنذاراً بوخامةعاقبة أمرهم: ان الله تعالى وحده هو الحاكم بين المحق والمبطل ، بين المؤمن والكافر، بين الطيب والخبيث ، وبين السعيد والشقي . . . يوم القيامة فانه العليم بجلائل الامور و دقائقها . . . بقوله تعالى : « قل يجمع بيننا ربنا . . » : ٢٦)

ثمأمره ﷺ سادساً أن يقول لهم مستفسراً عن شبهتهم بعد إلزامهم الحجة تبكيتاً لهم مع التنبيه إلى فاحش خطأهم و ظاهر إنحرافهم ، و عظيم جرمهم و جنايتهم بقوله جلوعلا : « قل أروني الذين الحقتم به شركاء . . » : ٢٧)

ان الله تعالى لما أقام الادلة الواضحة على التوحيد و أشار إلى البعث و الجزاء في خلال الادلة ، و ضرب لذلك الامثال ، و ذكر البراهين المتقنة على بطلان الشرك مختتماً بان العمل ناشيء من العقيدة ، فان كانت سالمة فينشأمنها العمل الصالح ، وإن كانت فاسدة فينظر منها العمل الكاسد ، ثم ذكر بان الطائفتين من صاحبي العقيدة الحقة و الاعمال الصالحة ، والعقيدة الباطلة والاعمال الكاسدة لايتركون سدى ، بل يجزون بما يستحقون يومالقيامة أخذ بذكر الرسالةالعامة لرسوله الاعظم بقوله تعالى : « و ما أرسلناك الا كافة للناس » : ٢٨) .

ثم ذكر وظيفته فيالرسالة ببيان البشارة والنذارة اللتين تتعلقان بالنتيجة ببحث يومالقيامة و الجزاء ومن هنا أردفه بذكر سؤال منكري البعث عنالساعة إستهزاء بها بقوله تعالى : «و يقولون متى هذا الوعد» : ٢٩) .

ثم أعقبه بالتهديد و الوعيد لما يكون لهم فيها من شديد الاهوال بقوله جلوعلا : « قل لكم ميعاد يوم . . » : ٣٠) مجيباً لهم عن سؤالهم .

ان الله تعالى لما ذكرالاصول الثلاثة على طريقي الاجمال و التفصيل ، و التلويح والتصريح و هي : التوحيد ، والمعاد ، والرسالة ، وأبان كفر المشركين بتلك الاصول كلها ، وتكذيبهم بها أخذ بذكر كفرهم بالقرآن الكريم وما سبق عليه من الكتب السماوية ، مستتبعاً ذلك بكفرهم بما جاء فيها من التوحيد و

البعث والحساب والجزاء والنبوات ، وتنبيهاً إلى أن مشركى العرب لم يتدينوا بدين سماوى ، ثم أشار إلى ما سيكون من الحوار بين الضالين و مضليهم من الكفار ، و ما يسرونه من الحسرة و الندامة حين يرون العذاب يوم القيامة ، و بدأ بالاتباع لان المضل أولى بالتوبيخ و هو السبب بقوله تعالى : « و قال الذين كفروا ـ لولا أنتم لكنا مؤمنين » : ٣١) .

ثم ذكر جواب المستكبرين و هم الرؤساء المتبوعون على طريقة الاستئناف، ثم عطف قولاً آخر للمستضعفين على قولهم الاول رداً على المستكبرين ، مع الاشارة إلى مآل كلتا الطائفتين : الاتباع والمتبوعين ، وما سيحيق بهم من الاهانة بوضع الاغلال فى أعناقهم ، و ان هذا جزاء استكبارهم ، و ما عملوا من سيّىء الاعمال و ما دسّوا به أنفسهم من قبيح الخلال بقوله جل و علا : « قال الذين استكبروا ـ إلاّ ماكانوا يعملون » : ٣٢ ـ ٣٣) .

ان الله تعالى لما بيّن مقالة المشركين و إعلان كفرهم بالقرآن الكريم خاصة ، و بالكتب السماوية جميعاً بعد أن طال به الأمد فى دعوتهم حتى لحقه ﷺ من ذلك الغمّ الكثير كما قال تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً» الكهف : ٦) سلاّه ﷺ على ما ابتلى به من مخالفة مترفى قومه له و عنادهم و لجاجهم و عداوتهم إياه ﷺ بالتأسى بمن قبله من الرسل ، فكفر الامم السالفة من أرسل إليهم من الرسل هو كائن مستمرّ فى جميع الازمان، فالنبى الخاتم ﷺ ليس بدعاً من بين الرسل كما ان مشركى العرب ليسوا بدعين من بين الامم الكفرة الفجرة ، فما من نبى بعث فى قرية إلاّ كذّبه أكابر مجرميها وأتبعهم الجهلة السفلة بقوله تعالى : «وما أرسلنا فى قرية من نذير . . » : ٣٤) .

ثم بيّن الله تعالى حجة مشركى العرب بانهم كانوا يقولون : لاحاجة لنا إلى الايمان ، إذ ما لنا من الاموال و الاولاد دليل قاطع و برهان ساطع على

محبة الله تعالى بنا ، فلو كانت قيامة و حساب و جزاء فما نحن بمعذبين فيها بقوله جل و علا : « و قالوا نحن أكثر أموالاً . . . » : ٣٥) .

فرد الله تعالى عليهم بان سعة الرزق وضيقه ليس على أساس الايمان والكفر، و لا البر والفاجر ، و لا المحسن والمسيىء ، ولا العالم والجاهل ، و لا الاسود والابيض ، و لا العرب والعجم . . . و انما السعة والضيق فى الرزق مرتبط بسنن طبيعية وأسباب قدّرها الله تعالى فى هذه الحياة الدنيا ، وانما هما وسيلتا إمتحان يمتحن بهما الانسان بما هو انسان لا بما هو مؤمن وكافر ، فما له دخل على ذلك هو الوجود لا الصفة ، فمن أحسن استعمال كل واحد منهما ، فحصّل له الزيادة فى السعادة ، و إلاّ فله الشقاوة . فالاموال والاولاد والجاه والمقام والعلم . . . وسائل و أسباب لازدياد السعادة ، و انما ملاك السعادة هو الايمان وصالح العمل فقال : « قل ان ربى يبسط الرزق ـ و هم فى الغرفات آمنون » : ٣٦ ـ ٣٧) .

ان الله تعالى لما بيّن بان التقرب إلى الله تعالى ليس بكثرة المال والولد ، و انما الزلفى بالايمان و صالح العمل رداً على الذين يفترضون التقرب بالاموال والاولاد ، و أشار إلى مآل أمر المؤمنين الذين يجعلون الدنيا مزرعة الاخرة و وسيلة لنيلهم بنعيم الاخرة ، أشار إلى مآل أمر الكافرين الذين يفتخرون بالاموال والاولاد ، ويقضون من دعوة الله جل وعلا موقف المنكر المعطل المعجز ، والمكابر العنيد ، و يبتعدون عن الله تعالى بالاموال والاولاد ، و يسعون فى إطفاء نور الله جل و علا و إحياء الباطل ، و هم غافلون عن الاخرة و جزائها بقوله سبحانه : « والذين يسعون فى آياتنا . . . » : ٣٨) .

ففى السياق مقابلة بين المؤمنين والكافرين ، فكأنه تعالى قال : ان الذين آمنوا و عملوا صالحات من صاحبى الاموال والاولاد حالهم كذا ، و ان الذين يسعون من صاحبى الاموال والاولاد فى آياتنا الآفاقية التكوينية والتدوينية حالهم كذا .

ثم زهّد عباده المؤمنين في الدنيا و متاعها و حضّهم وحدهم على التقرب إلى الله تعالى بالانفاق ، إذ لن يتقبل الانفاق من الكافرين ، مع الاشارة إلى أن المؤمنين يمتحنون بعضهم ببعض بسعةالرزق و ضيقه بعد أن أشار سابقاً إلى أن الناس كلهم يمتحنون بهما بقوله تعالى : « قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده . . » : ٣٩) .

ثم أشار إلى أحوال الكفار من الاتباع والمتبوعين يوم القيامة وتفظيعهم ، ومايعروهم من الخجل والوجل بقوله تعالى: « ويوم يحشرهم جميعاً . . . » : ٤٠) استمراراً لما احتوته الايات السابقة من الرد على الكفار و تسفيههم و إنذارهم ، و وصف ما يكون من أمرهم في الاخرة ، و فيها صورة اخرى لما يكون فيها ، و تقريراً لضلالة المشركين و إفكهم و تكذيبهم فى عقائدهم فى صدد الملائكة .

و من المحتمل أن تكون الاية متصلة بقوله جل و علا : « و لو ترى اذ الظالمون موقوفون . . » : ٣١) و ان الغرض من السؤال تبكيت المشركين و تيئيسهم من انتصار الملائكة ، و شفاعتهم لهم ، و قد عبدوهم فى الدنيا لذلك .

ثم ذكر الله جل وعلا ردّ الملائكة على المشركين و برائتهم منهم و من عبادتهم ، و تقريراً لما كانوا عليه فى العبادة بانهم ما عبدوهم على الحقيقة ، بل كانوا يعبدون الجن لانهم الذين يوسوسون لهم ويضلونهم لان الملائكة مخلصون لله سبحانه لحدودهم ودائبون على تنزيهه وتقديسه عن أن يتخذوا لهم ولياً غيره ، و انهم لا يلتفون إلى هؤلاء العبدة الجهلة السفلة ، و انهم فى غنى عنهم و عن عبادتهم ، فهم على ولاء مطلق لله جل و علا ، فالله تعالى وحده وليهم و معتصمهم بقوله سبحانه : « قالوا سبحانك أنت ولينا . . . » : ٤١) و هذا ينطوى فى الوقت نفسه على هدف إفحام الكفار و حملهم على الارعواء والتدبر .

ان الله تعالى لما أبطل تمسك المشركين بمعبوديهم بعد تقريعهم وتأنيبهم زادهم أسى وحسرة ، وذكر ان الامر فى ذلك اليوم لله تعالى وحده بقوله سبحانه:

« فاليوم لا يملك بعضهم لبعض نفعاً و لا ضراً . . . » : ٤٢) تفريعاً على تبرّى الملائكة منهم ، و بياناً بان المشركين فى ذلك اليوم لايقع لهم نفع ممن كانوا يرجون من الآلهة المزعومة ، فيقال لهم على طريق التوبيخ والتهكم : « ذوقوا عذاب النار . . . » . ثم ذكر نوعاً آخر من أنواع كفرهم و أكاذيبهم تنبيهاً إلى ما لاجله استحقوا هذا العذاب الشديد ، و بعبارة اخرى : ان الله تعالى لمّا بيّن الموقف الشديد للكفار يوم القيامة أردفه ببيان سبب هذا الموقف الشديد والعذاب الاليم بقوله جل و علا : « و اذا تتلى عليهم آياتنا . . » : ٤٣) فان الله تعالى لا يعذب أحداً بغير إستحقاق ، و لا يثيب أحداً من غير ايمان ، فموجب الاستحقاق فى هذه الاية تكذيبهم بالنبى ﷺ ، وقولهم فى القرآن الكريم : انه إفك مفترى وسحر كاذب . مع زيادة فى إنكارهم توكيداً و تيئيساً الرسول ﷺ من الطمع فى ايمانهم بقوله : « وقالوا ماهذا إلاّ إفك مفترى » ثم سدّدوا فى الانكار فجعلوه سحراً بيناً ، فكأنه لاشك فيه عندهم كماحكى عنهم بقوله : « و قال الذين كفروا للحق . . » كماكان هذا دأب الامم السالفة إلى نبيهم حين ارسل إليهم من الرسل، فكذبوه فأخذوا أخذ عزيز مقتدر .

ثم ردّ الله تعالى عليهم منكراً دعواهم ان دينهم هوالحق بانه لايبتنى على وحى سماوى ولارسول إليهم ، فأقاويلهم فى النبى الكريم ﷺ وماجاءهم به لا تستند إلاّ إلى محض تقليد عمياء بقوله تعالى : « و ما آتيناهم من كتب يدرسونها . . . » : ٤٤) .

ثم أنذرهم سوء عاقبة ماهم فيه من التكذيب تارة والكفر اخرى على طريق الاخبار بسوء عاقبة المكذبين من الامم السابقة ، و ما حلّ بهم من المثلات نكالاً لهم على تكذيبهم رسلهم عبرة لهم لوكانوا يعقلون بقوله تعالى : « و كذب الذين من قبلهم . . . » ٤٥) .

ان الله تعالى لما بيّن عقائد مشركى العرب وشبهاتهم و موقفهم فى دعوة

النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و هدّدهم أشد التهديد ، و خوّفهم من كفرهم بوخامةمآل أمرهم رجع بعد هذا ، و أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم باقامة الحجة القاطعة عليهم لحسم مادة الريب و إنقطاع حبال الاوهام ، فيستد رجهم و يعرض عليهم الدين الحق ، و يطالبهم أن يحكموا عقولهم وينظروا ببصائرهم لعلهم يرشدون بقوله تعالى:«قل انما أعظكم بواحدة . . » :٤٦)

من غيرطمع بأجرو لامال ، فأطال لهم الحبل و مدّلهم الباع و أنصفهم فى الخصومة ، و أن يصيبهم بان يشمّروا عن ساعد الجدّطلباً للحق متفرقين إثنين اثنين أو واحداً واحداً ليتفكروا و ليعلموا ان صاحبهم ليس بمجنون تنبيهاً إلى أن نتيجة الفكرستؤدّى بهم إلى أن يعترفوا بما يرشد إليه النظرالصحيح بقوله جل وعلا : « ما بصاحبكم من جنة »

ثم خوّفهم ببأس الله تعالى ، و أنذرهم بعذاب شديد على إستمرارهم على العناد و إصرارهم على اللجاج .

ان الله جل وعلا أثبت رسالة محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم و نفى عنهالجنون ذكروجهاً آخريؤكد ذلك آمراً له صلى الله عليه وآله وسلم بتأمين قلوبهم من الطمع فيأموالهم بادعائه النبوة و أن يدعوهم أن يفكروا و يسئلوا أنفسهم عما يدعوه إلى القيام بانذارهم بين يدى عذابشديد مامصلحته؟ وما بواعثه؟ماذايعودعليه؟ ويأمره أن يلمسمنطقهم ويوقظ وجدانهم إلىهذه الحقيقة فى صورة محية بقولهتعالى : «قل ماسئلتكم من أجر» : ٤٧) كما يدّعى المتنبّؤن لذلك .

ثم وعدالله جل وعلا نبيهصلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين باستعلاء الاسلام على سائرالاديان وذهاب الباطل بالتمام فى قوله تعالى : « قل إن ربى ـ وما يعيد » : ٤٨ـ٤٩) .

ان الله تعالى لما أمررسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يدعو مشركى العرب فى المرة الاولى إلى التفكر الهادىء البرىء ، لرفع مانسبوا إلى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من الجنون ، ثم أمره صلى الله عليه وآله وسلم ثانياً برفع تهمة الاجرة فى أمرالرسالة و ثالثاً برمى

الباطل بالحق ، ورابعاً بعلو الحق على الباطل وذهابه ، فسد ّعليهم مسالك أقاويلهم الباطلة ، ومفترياتهم ، فلم يبق إلا ّ أن يقولوا عناداً و لجاجاً ، انه قد عرض له ما أضله عن محجة الصواب و طريق الحق أمره ﷺ خامساً أن يقول لهم بقوله : «قل إن ضللت فانما أضل على نفسي..» : ٥٠) تقريراً لامر رسالته ﷺ بوجه آخر.

ان الله تعالى لما أبطل شبهات مشركي العرب ، ورد ّعليهم بما لم يبق بعده مستزاد لمستزيد ، هد ّدهم بشديد العقاب ، إن هم أصر ّوا على عنادهم و لجاجهم واستكبارهم ، ذكر انهم حين معاينة العذاب يقولون يومئذ: آمنا بالرسول ﷺ وأنى لهم ذلك ، وقد فات الأوان ، وقد كان ذلك في مكنتهم في دار الدنيا لو أرادوا، و أما الآن فان ذلك لايجديهم فتيلاً و لاقطميراً من جزاءٍ ما كانوا فيه من شك مريب في الحياة الاولى ، و تلك سنة الله تعالى في أشباههم من قبل بقوله تعالى : «ولو ترى إذفزعوا - انهم كانوا في شك مريب » : ٥١ - ٥٤) .

مع بيان ان هذه سنـة الله تعالى في أمثالهم ممن كذبوا الرسل من قبلهم بقوله جل وعلا : « كما فعل بأشياعهم من قبل » وتقرير العلة لعدم قبول ايمانهم و وصولهم إلى بغيتهم حينئذ بقوله جلاوعلا: «انهم كانوا في شك مريب» ، فلاينالون بذلك نفعاً كما لاينال أحد التناوش .

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

قال بعض المفسرين : ان قوله تعالى : « يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل » سباء : ۱۳) يدل على أن التصوير كان مباحاً في ذلك الزمان ، و نسخ ذلك بشرع محمدخاتم الانبياء ﷺ وكانت الحكمة في النسخ ان النبي الكريم ﷺ بعث والصور تعبد ، فكان الاصلح إزالتها .

و قال ابن حزم : ان قوله تعالى : « لاتسئلون عما اجرمنا ولانسئل عما تعملون » سباء : ۲٥) نسخته آية السيف .

أقول: ان آية سبأ في معنى قوله تعالى : «ولاتزروازرة وزراخرى»الزمر: ۷) و قوله جل وعلا : «لكم دينكم ولي دين» الكافرون : ٦) وأين هذا من النسخ!

و منهم: من قال : ان قوله تعالى : «قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق» سباء : ۲٦) منسوخ بآية السيف .

أقول: ان آية سبأ إخبار فلانسخ في الاخبار .

وأما التشابه فلم أجدفي هذا السورة المباركة ما اشتبه علي فآياتها محكمات والله تعالى هو أعلم .

﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

١ ـ (الحمد لله الذى له ما فى السموات و ما فى الارض و له الحمد فى الاخرة و هو الحكيم الخبير)

فى « الحمد لله ـ والحمد فى الاخرة » أقوال : ١ ـ قيل : ان الحمد الاول يشير إلى أن الله تعالى يكون مالكاً لكل الاشياء ، فيوجب ذلك أن يكون محموداً على كل لسان ، لان الكل اذا كان له فكل من ينتفع بشىء من ذلك كان مستنفعاً بنعمه ، ثم صرّح بأن له الحمد فى الاخرة تفضيلاً لنعم الاخرة على نعم الدنيا ، و ايذاناً بانها هى النعمة الحقيقية التى يحق بان يحمد عليها ، و يثنى عليه جل و علا من أجلها مع افادة الاختصاص بتقديم الظرف .

فالحمد الاولى ثناء على الله تعالى على ملكه المنبسط على كل شىء بحيث له أن يتصرف فى كل شىء بما شاء و ما أراد من ابداء و رزق و إماتة و إحياء بالاعادة و جزاءٍ والحمد الثانية ثناء على الله جل و علا على كمال علمه بالاشياء من جميع جهاتها علماً لايطرء عليه عزوب وزوال حتى يعيد كل من أراد ويجزيه على ما علم من أعماله خيراً أو شراً . ٢ ـ قيل : الحمد هو الثناء على الله تعالى بما هو أهله فى الدنيا والاخرة .

وفى المجمع : الحمد : هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم و نقيضه الذم و هو الوصف بالقبيح على جهة التحقير ثم ينقسم : فمنه ما هو أعلى ، ومنه ماهو أدنى ، والاعلى ما يقع على وجه العبادة ولايستحقها الاّ الله سبحانه لان إحسان الله

عزاسمه لا يوازيه احسان أحـد من المخلوقين و يستحق الحمـد على الاحسان والانعام، فلا يستحق أحد من المخلوقين مثل ما يستحقه سبحانه.

٣ـ قيل: حمد تعالى نفسه بذلك والمراد بهالثناء بمضمونه من ثبوت الحمد و هوالوصف الجميل لله تعالى. و له الحمد في الاخرة كالدنيا يحمده أولياءه اذا دخلوا الجنة. فالحمدلله تعالى: حمد لذاته من ذاته، فلايليق غيره للحمد اطلاقاً وهو وحده جدير له وإن لم ينطق بذلك لسان، فان الوجود كله يسبح بحمده، إذ كان الوجود ـ في ذاته ـ نعمة، على أية صورة كان عليها الوجود، وعلى أيّ وضع قام عليه.. فهو خروج من عدم، والعدم سلب، والوجود وجوب، الوجود شيء، والعدم لا شيء، والوجود صفة من صفـات الله تعالى، و به تتحقق ذاتيـة الذات و تتحدد ماهيته، و من هنا كان الحمد لله تسبيح كل موجود وصلاة كل مخلوق. هذا في الحمد الاولى.

و أما الحمد في الاخرة فاشارة إلى ما استوجب الله تعالى من حمد فوق حمد الوجود، و هو حمد البعث بعد الموت الذى هو أشبه بوجود جديد للانسان و إمساك به من الذهاب إلى العدم الذى كان و شيكاً أن ينتهى إليه بعد الموت.

٤ ـ قيل: الحمد لله أى الشكر التام للمعبود الذى هو مالك جميع ما في السموات السبع و ما في الارضين السبع دون كل ما يعبده المشركون، و دون كل شيء سواه اذ لا مالك لشيء من ذلك غيره. و له الحمد في الاخرة أى و له الشكر الكامل في الاخرة كما هو له في الدنيا العاجلة لانه منه النعم كلها على كل من السموات والارض في الدنيا، و منه يكون ذلك في الاخرة فالحمد لله خالصاً دون ما سواه في عاجل الدنيا و آجل الاخرة لان النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه.

و قيل: ان العباد ملجاؤن يوم القيامة إلى الحمد لمعرفتهم الضرورى بنعم الله تعالى عليهم من الثواب والعوض وضروب التفضل. و قيل: انما يحمده أهل

الجنة لاعلى جهة التعبد بل على جهة السرور والتلذذ بالحمد ، فلايكون الحمد لله تعالى عليهم فيه تعب و لا مشقة . و قيل : يحمده أهل الجنة على نعمه وفضله ، و يحمده أهل النار على عدله .

و في التبيان : قال : الحمد هو الشكر والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم والحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم ، و نقيضه الذم و هو الوصف بالقبيح على جهة التحقير ، ولا يستحق الحمد الا على الاحسان ، فلما كان احسان الله لا يوازيه إحسان أحد من المخلوقين ، فكذلك لا يستحق الحمد أحد من المخلوقين مثل ما يستحقه ، وكذلك يبلغ شكره إلى حد العبادة ولا يستحق العبادة سوى الله تعالى ، و ان استحق بعضنا على بعض الشكر والحمد . انتهى كلامه و رفع مقامه الشريف .

أقول: دالثالث هو الانسب والأشمل .

وفي قوله تعالى : « الحكيم الخبير » أقوال: أى الحكيم فى فعله ، الخبير بأمر خلقه . ٢ ـ قيل : أى الحكيم في الابتداء ، الخبير بالانتهاء . ٣ ـ قيل: أى الحكيم في تدبير خلقه و صرفه إياهم من تقديره ، الخبير بهم و بما يصلحهم ، و بما عملوا ما هم عاملون محيط بجميع ذلك .

٤ ـ قيل : الحكيم إشارة إلى ان الله تعالى الذى ملك هذا الوجود كله بسلطانه المطلق لم يكن فى هذا السلطان المطلق جور أو استبداد ، لانه سلطان في يد الحكيم الذى أحسن كل شيء خلقه و أقام كل شيء ما يناسبه ، الخبير إشارة إلى سوء ظن الكافرين و أصحاب الضلالة بالله سبحانه ، و قصور إدراكهم لما لله تعالى من علم ، و انهم لو علموا بعض ما لله من علم وقدرة وسلطان لخافوا بأسه ، و لما جرؤا على عصيانه إذ لا يجرؤ على مخالفة أمر ذى الامر والخروج على سلطان ذى السلطان الا من وقع فى تصوره أن عين صاحب الامر لا تراه ، أو أن سلطان ذى السلطان لا يقدر عليه .

٥ ـ قيل : الحكيم : الذى أحكم أمر الدارين و دبّره حسبما تقتضيه الحكمة ، الخبير هو الذى يعلم ببواطن الامور و حقائق الاشياء ، و بمكنونات الوجود ، وبذلك يليق أن يحمد فى كل حال ، و بذلك محمود فى ذاته و ان لم يحمده أحد من عباده . ٦ـ قيل: الحكيم بأمره ، الخبير بخلقه . ٧ـ قيل: الحكيم فى أقواله و أفعاله و فى أحكامه و تشريعاته ، الخبير الذى لا يخفى عليه خافية و لا يغيب عنه شىء .

٨ ـ قيل : فى الاسمين الكريمين دلالة على أن تصرفه تعالى فى نظام العالم الدنيوى ثم تعقيبه بنظام العالم الاخروى مبنى على الحكمة والخبرة ، فبحكمته عقّب الدنيا بالاخرة ، و الاّ لغت الخلقة و كانت عبثاً وباطلاً ، و لم يتميّز المحسن من المسيىء ، ولا الكافر من المؤمن ، و لا المصلح من المفسد ، ولا المطيع من العاصى . . . كما قال : « وماخلقنا السماء والارض و ما بينهما باطلاً ـ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار » ص : ٢٧ ـ ٢٨) فبخبرته يحشرهم و لا يغادر منهم أحداً و يجزى كل نفس بما كسبت . والخبير من أسماء الله الحسنى مأخوذ من الخبرة وهى العلم بالجزئيات فهو أخصّ من العليم .

أقول: و لكل وجه من غير تناف بينها .

٣ ـ (و قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى و ربى لتأتينكم عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات و لا فى الارض ولا أصغر من ذلك و لا أكبر الا فى كتاب مبين)

فى قوله تعالى : « و قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة » أقوال : ١ ـ عن مقاتل : هم أهل مكة ، و ذلك لأن أبى سفيان قال لكفار مكة : واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبداً ، و لا نبعث قط ، و هم اقرّوا بالابتداء و انكروا الاعادة ، و هذا نقض لما اعترفوا بالقدرة على البعث . و قالوا : و إن قدر لا يفعل . فهذا

تحكم بعد أن أخبر على ألسنة الرسل : انه يبعث الخلق بعد الموت للحساب والجزاء ، واذا ورد الخبر بشيء وهوممكن في الفعل مقدور ، فتكذيب من وجب صدقه محال . والمعنى : ان كفار مكة بقيادة أبي سفيان كانوا يقولون منكرين بيوم القيامة : لا تأتينا الساعة و ما نحن بمبعوثين .

فهم ينكرون يوم البعث والحساب والجزاء مع ظهور عموم ملكه و علمه بكل شيء ، فلامورد للارتياب في اتيانها مع ذلك فضلاً عن انكار اتيانها ، ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيب عن قولهم بقوله : « قل بلى و ربى لتأتينكم » أى الساعة .

٢ ـ قيل: ان الاية بصدد بيان مشهد من مشاهدالجدل والحجاج بين النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والكفار ومواقفهم منه ، و هم يقولون استبطاءاً للساعة واستهزاء و سخرية لاتيانها الموعود لا تأتينا الساعة كقولهم : « متى هذا الوعد » أى فلا رجعة بعد الموت و لا بعث و لا حساب إن هى إلاّ أرحام تدفع و ارض تبلع وما نحن بمبعوثين . ٣ ـ قيل : حكاية لانكار فئات الكفار بمجيىء الساعة . و اريد باتيان الساعة نعم الاخرة التى أنكرها قوم.

أقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق .

وفي قوله تعالى : «الاّ في كتاب مبين» أقوال : ١ـ قيل: أى في لوح محفوظ. ٢ ـ قيل : أى فى القرآن الكريم . والمعنى : هو مثبت فى كتاب يبين للناظر فيه ، فان الله تعالى قد أثبته و أحصاه فيه و علمه ، فلم يعزب عن علمه . ٣ـ قيل: كتاب مبين : كناية عن علم الله تعالى و شموله .

٤ ـ قيل : الكتاب المبين هو هذا الكون المشتمل على الموجودات ، و فيه يحصى جميع ما وقع فى عالم الصنع والايجاد مما كان ومايكون وماهو كائن من غير ان يطرأ عليه ابهام التغير والتبدل و سترة الخفاء فى شيء من نعوته .

٥ ـ قيل : الكتاب المبين وراء هذا الكون كتب فيه الاشياء صغيرها و كبيرها.

٦ ـ قيل : اريد بالكتاب كتاب الحفظة الذى كتبه الملائكة السفرة وحفظوه .
أقول: و على الاول أكثر المحققين .

٥ ـ (والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز أليم)

فى قوله تعالى : « معاجزين » أقوال : ١ ـ قيل : انهم أرادوا تعجيز النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى التقرير والتبليغ . ٢ـ قيل: أى يعجزون من آمن بنا . ٣ـ عن الاخفش : أى مسابقين يحسبون انهم يفوتوننا ، و ان الله لا يقدر على بعثهم فى الاخرة و ظنوا اننا نهملهم . ٤ ـ عن الفراء : أى معاندين . ٥ ـ عن ابن زيد : أى جاهدين ليهبطوها أو يبطوها وهوقولهم : لاتسمعوا لهذا القرآن والغوافيه .
٦ ـ قيل : أى مفاوتين .

٧ ـ قيل : أى معاونين يحسبون انهم يسبقوننا بأنفسهم فلا نقدر عليهم .
٨ ـ عن عبدالله بن الزبير وقال السدى : انهم كانوا يعجزون المؤمنين فى الايمان بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وبماجاءهم . وقيل: أى ينسبون من اتبع محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى العجز كقولهم: جهّلته وفسّقته. والمعنى: مثبطين عن الاسلام أى نبطواالناس عن الايمان بالمعجزات و آيات القرآن . ٩ ـ عن قتاده والزجاج : أى مقدرين عجزنا . والمعنى: ظانين انهم يعجزوننا لانهم ظنوا أن لابعث وظنوا ان الله لايقدر عليهم .
١٠ ـ عن ابن عباس : أى مغالبين مشاقين .

أقول: و على الثالث أكثر المفسرين و قريب منه التاسع من غير تناف بينهما و بين بعض الاقوال الاخر .

وفى قوله تعالى : « من رجز » أقوال : ١ـ قيل : الرجز : العذاب . ٢ـ عن قتادة : الرجز هو سيّىء العذاب. ٣ـ قيل: اريد بالرجز العمل السيّىء ، فيكون إشارة إلى تبدّل العمل عذاباً أليماً عليهم أو سبباً لعذابهم .

أقول: و على الثانى أكثر المفسرين ، والاخير غير بعيد كما قال تعالى: « والرجز فاهجر » سمى رجزاً لان الكفر والشرك يؤدّيان إلى العذاب، و سمى

كيدالشيطان رجزاً كقوله تعالى: « يذهب عنكم رجز الشيطان » لانه سبب العذاب كما ان الاوثان سميت رجزاً لذلك .

٦ـ (و يرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هوالحق و يهدى الى صراط العزيز الحميد)

فى « اوتوا العلم » اقوال : ١ ـ عن ابن عباس و قتادة : هم أصحاب النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الذين كانوا فى زمن الخطاب وقيل : هم والتابعون . والمراد من ايتاء العلم : هو إعطائه بخلق العلم لهم بانهم خلقهم عالمين . ٢ـ قيل: هم علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام و كعب و أضرابهما لانهم كانوا عالمين بان هذا القرآن حق من كتابهم. والمراد بايتاء العلم أى هداهم إلى الادلة التى حصل بها لهم العلم والمعرفة بالحقائق والمعارف والحكم ، و ليس المراد من العلم كل العلم.

٣ـ قيل: هم علماء الامة الاسلامية المحققون العاملون الذين يرون حقية القرآن الكريم عياناً لان المحجوب لايمكنه معرفة حقية الحق ، فمن لم يكن له حظ من العلم و نصيب من المعرفة لايسعه معرفة حقية الشيء . ومعنى ايتاء العلم : ان الله تعالى جعلهم مستعدين لتحصيل العلم ثم وفقهم إلى ذلك . ٤ ـ قيل: هم من قرب من زمان الصحابة و من يلحق بهم .

٥ ـ قيل : هم كل من آمن بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و بما جاءهم عن أىّ زمان ومكان كانوا ومن أىّ جيل يرون هذا ، متى صحّ علمهم واستقام واستحق أن يوصف بانه العلم وهم العالمون من أهل الكتاب ، ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و من يلحق بهم من الامة الاسلامية : ان الذى انزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الله تعالى مثبتاً لقيام الساعة ومجازاة كل عامل بما عمل من خير أو شر هو الحق الذى لا شك فيه ، و انه هو الذى يرشد من اتبعه و عمل به إلى صراط مستقيم .

٦ ـ قيل : هم أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقط . ٧ ـ قيل : اريد بهم من لم

يؤمن من الأحبار أى ليعلموا يومئذ انه هو الحق فيزدادوا حسرة و غماً .

٨ ـ عن الضحاك : هم مسلمو أهل الكتاب الذين علموا بكتابهم ان هذا القرآن حق يقود الانسان إلىسواءالسبيل. ٩ـ قيل: اريد بهمجميع المسلمين .

١٠ ـ قيل : اريد بهم بعض مسلمى اليهود .

أقول: و على الخامس جمهور المحققين .

١٠ ـ (ولقدآتينا داود منا فضلاً ياجبال أوبيمعه والطير وألنا لهالحديد)

فى « فضلاً » أقوال : ١ ـ قيل : أى فضلاً على سائر الانبياء فانه اعطى مالم يعط غيره من الانبياء عليهم السلام . ٢ ـ قيل : أى فضلا على الناس ، فيندرج فيهالنبوة والكتاب والملك والصوت الحسن والوجه الحسن ، وفصلالخطابوالمعجزات...

٣ ـ قيل : أى من الكمالات العلمية والعملية بان قلنا : « يا جبال أوبى معه والطير و ألنا له الحديد » فالفضل: تسخيرالجبال و إلانة الحديد لهوتسخير الناس ، والجملتان التاليتان بيان لما قبلهما . ٤ ـ قيل : الفضل ههنا : النبوة .

٥ ـ قيل : الفضل : الزبور . ٦ ـ قيل : الفضل : العلم لقوله تعالى : « ولقد آتينا داود وسليمان علماً » النمل : ١٥) ٧ـ قيل: القوة كما قالتعالى: « واذكر عبدنا داود ذا الايد » ص : ١٧) .

٨ ـ قيل: الفضل: التوبة لقوله تعالى: « فغفرنا له ذلك » ص: ٢٥) ٩ـ قيل: الحكم بالعدل كما قال تعالى : « يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق » ص : ٢٦) ١٠ ـ قيل : الفضل هو إلانة الحديد كما قال جل وعلا : « و ألنا له الحديد » ١١ـ قيل : هو حسن الصوت والوجه الحسن . ١٢ـ قيل: أى نعماً و إحساناً و مناً و عطية اذ قلنا للجبال: ياجبالرجعى معهالتسبيح و ردّديه إذا سبح و ألنا له الحديد .

أقول: والثالث هو الانسب بظاهر السياق و فى معناه القول الثانى عشر .

وفى قوله تعالى : « أوبى معه » أقوال : ١ ـ عن ابنعباس ومجاهد وقتادة

و ابن زيد والضحاك والحسن : أي سبّحي مع داود إذا سبّح لنا . و ذلك ان الله تعالى خلق في الجبال مثل صوت داود عليه السلام فيسبح معه حيثما يسبح لله جل و علا كما أوجد الصوت في الشجر ، فتكلّم موسى عليه السلام . ٢ ـ قيل : أي تصرّفي مع داود اذا صرّف فيك .

٣ ـ قيل : أي الجبال حملت داود عليه السلام على التسبيح اذا تأمل ما فيها من العظمة بان داود اذا رآى خلقة الجبال و إرتفاعها يعرف كمال قدرةالله جل وعلا وغاية حكمته في خلقه ، فيذكر الله ويسبحه ، فالجبال توجب أن يذكر داود عليه السلام الله تعالى فهي له مذكرات كما يذكر المسبح مسبحاً آخر . ٤ ـ عن الجبائي : أي سيري مع داود حيثما سار . و هذا من التأويب و هو سير النهار أجمع ، و نزول الليل . و ذلك كانت الجبال والطير تسيران مع داود أينما سار و كان ذلك معجزة له . ٥ ـ قيل : أي إرجعي في التسبيح كلما رجع فيه .

٦ ـ قيل : ان السموات والارض والجبال و غيرها تسبّح لله تعالى ، و إن لا يفقهه الانسان ، ولكن الله جل و علا أفقه داود تسبيح الجبال والطير ، فكان هو عليه السلام يدركه ويفقهه ، فليس أصل التسبيح للجبال أمراً جديداً ، وان كان ظهوره أمراً جديداً كتكلم بعض الحيوان . ٧ ـ قيل : أي ارجعي إلى مراد داود عليه السلام فيما يريده من حفر بئر و استنباط عين و استخراج عين ومعدن و وضع طريق .

٨ ـ قيل : أي اعينيه عليه السلام على حمدنا و شكرنا إذ كانت نعمنا عليه كثيرة فهو لا يستطيع على شكرها مهما اجتهد في الشكر و بالغ في الحمد .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين ، و في الرابع روايات فانتظر .

وفي قوله تعالى : « و ألنا له الحديد » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس والسدي و مقاتل و قتادة : أي جعلنا الحديد في يد داود كالشمع ، يصرفه كيف يشاء من غير تعب و إحماء و وسيلة و إعمال قدرة . والمعنى : و جعلنا له الحديد ليناً في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير إحماء بنار ولا ضرب بمطرقة .

و عن الحسن انه قال : أى كالعجين فكان يعمله من غير نار . ٢ ـ قيل : أى جعلنا الحديد بالنسبة إلى قوته التى آتيناها إياه ليناً كالشمع بالنسبة إلى سائر القوى البشرية ، فسهّل تصويره وتصريفه كما يشاء وجعله ليناً له على ما به من الصلابة .

٣ ـ قيل : أى أخضعنا الحديد لسلطان داود وجعلنا له القدرة على التصرف فيه وتشكيله على الوجه الذى يريد فان الله تعالى ألان الحديد ليد داود عليه السلام و غيّر طبيعته ، فجعله فى يـده مثل العجين يشكله كيف يشاء كما يشكل المرء صورة من الطين أو العجين .

٤ ـ قيل : ان إلانة الحديد لداود كانت جارية على سنن الحياة إذ علّمه الله تعالى الطريق و الاسلوب الذى يلين به الحديد ، و هـو عرضه على النـار و النفخ فى النار حتى تحمرّ ، و يقبل الطرق ، و ذلك ما لم يكن معروفاً للناس فى ذلك الزمان، ولهذا كان داود أول من صنع من الحديد دروعاً كما قال تعالى: «وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم » الانبياء : ٨٠) و بهذا يكون داود عليه السلام أوّل من طرق الحديد متوسلاً إلى ذلك بما علمه الله تعالى من عرض الحديد على النار حتى يلين و يقبل الطرق .

أقول: و الاول هو الانسب بأمر الاعجاز ، و هو المؤيد بالروايات الآتية ، و فى معناه الثالث من الاقوال .

١١ ـ (أن اعمل سابغات و قدر فى السرد و اعملوا صالحاً انى بما تعملون بصير)

فى « و قدّر فى السرد » أقوال : ١ ـ أى لاتغلظ المسامير فيتسع الثقب و لاتوسع الثقب ، فتقلقل المسامير فيها . والمعنى : فلاتجعل المسامير دقاقاً فتفلق ، ولاغلاظاً فتكسر الحلق . والمراد اتقان العمل وتحسين الصنعة وضبطها على أحسن وجه لها . فلابد لكل صانع ان يحسن صنعته ، وأن يخرجها على الوجه المرضىّ ، فان إحكام العمل و اتقان الصنعة مما يحسب من صالح الاعمال للانسان ، فليس

الاحسان فى العمل و إحكامه و اتقانه مطلوباً من الانبياء وحدهم ، و انما هو مطلوب من كل انسان فى أفعاله . . .

٢ - قيل : السرد هو عمل الزرد ، ففيه إشارة إلى انه عمل غير مأمور به على وجه الايجاب بل هو اكتساب ، والكسب يكون بقدر الحاجة ، وباقى الايام و الليالى للعبادة ، فقدر فى ذلك العمل ، و لاتشغل جميع أو قاتك بالكسب ، بل حصل به القوت فحسب ، كما يدل على ذلك قوله تعالى : « واعملوا صالحاً » .

٣ - قيل : أى وقدر الدروع وآلات الحرب على أتم النظم وأحكم الاوضاع، بأن تجعل حلقاتها على قدر الحاجة ، فلاهى بالضيقة فتضعف و لاتؤدى وظيفتها لدى الكرّ و الفرّ والشدّ والجذب ، ولاهى بالواسعة التى ربماينال صاحبها من خلالها الأذى ، و هذا تعليم من الله تعالى فى إجادة نسج الدروع .

٤ - قيل : أى قدّر فى المسامير التى فى الحلقة ، قال قتادة : كانت الدروع قبل داود عليه السلام صفائح فكانت ثقالاً ، فلذلك امرهو عليه السلام بالتقدير فيما يجمع من الخفة و الحصانة أى قدّر ما تأخذ من هذين المعنيين بقسطه أى لاتقصدالحصانة فتثقل ولاالخفة فتزيل المنعة . وان داود عليه السلام أول من صنع الدروع وكان يجعلها بغير نار و لايقرعها بحديد ، ثم يسردها . و السرد : المسامير التى فى الحلق . و قال : ابن زيد : التقدير الذى امر به هو فى قدر الحلقة أى لاتعملها صغيرة فتضعف فلاتقوّى الدروع على الدفاع ، ولاتعملها كبيرة فينال لابسها . فالسرد : الحلق .

وقال ابن عباس : التقدير الذى امر به هو فى المسمار . أى لاتجعل مسمار الدرع رقيقاً فيفلق ولاغلظاً فيفصم الحلق . و انما ألان الله تعالى الحديد لداود عليه السلام لانه أحب أن يأكل من كسب يده فألان الله جل وعلا الحديد له و علّمه صنعة الدروع و كان هو أول من اتخذ صنعها اذكان يصنعها و يبيعها ويأكل من ثمنها و ينفق عياله و يتصدق منه .

أقول: والرابع هو المروى .

١٢ - (و لسليمان الريح غدوها شهر و رواحها شهر و أسلنا له عين القطر و من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه و من يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير)

في قوله تعالى : «غدوها شهر و رواحها شهر» أقوال : ١ - عن قتادة : أي انتصاف النهار مسيرة شهر، و رواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر. فتغدو مسيرة شهر و تروح مسيرة شهر في كل يوم على مسيرة شهرين . فكانت تقطع الريح به عليه السلام من الغدو إلى الزوال مسيرة شهر، و من الزوال إلى الغروب مسيرة شهر، إذ كانت الريح تجري من الغداة إلى منتصف النهار مسيرة شهر، و من منتصف الليل إلى الليل مسيرة شهر.

وقيل : ومن هنا يمكننا أن نحدّد سير الريح في ساعة واحدة . فكانت الريح تحمل كرسيّ سليمان ، فتسير به في الغداة مسيرة شهر و بالعشي مسيرة شهر . فجعل الله تعالى توجهها غادية إلى بقعة معينة وهي الارض المقدسة يستغرق شهراً ورواحها أي انعكاس اتجاهها في الرواح يستغرق شهر كذلك ، وفق مصلحة تحصل من غدوها ، و رواحها يدركها سليمان عليه السلام و يحققها بأمر الله تعالى .

و قيل : ان رقعة مملكة سليمان كانت مقصورة في حدود فلسطين تقطعها الريح في غدوة أو روحة من نهار .

٢ - عن الحسن : كانت الريح تسير في اليوم مسيرة شهرين للراكب ، فكان سليمان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر من أرض اصبهان وبينهما مسيرة شهر للمركب ، و يروح من اصطخر فيبيت بكابل و بينهما مسيرة شهر و تحمله الريح مع جنوده أعطاه الله الريح بدلاً من الصافنات الجياد .

٣ - عن السدي : أي كانت تسير به عليه السلام في اليوم مسيرة شهرين . و عن ابن عباس : كان سليمان عليه السلام اذا جلس نصبت حواليه أربعمأة ألف كرسي ثم جلس رؤساء الجن مما يليه ، و جلس سفلة الانس مما يليهم ، و جلس رؤساء الجن مما يلي سفلة الانس، و جلس سفلة الجن مما يليهم و موكل بكل

كرسىّ طائر لعمل قد عرفه ثم تقلّهم الريح والطير تظلهم من الشمس ، فيغدو من بيت المقدس إلى اصطخر، فيبيت ببيت المقدس . وعن الحسن: شغلت سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر فعقر الخيل فابدله الله خيراً منها ، و أسرع أبد له الريح تجرى بأمره حيث شاء غدوها شهر و رواحها شهر . و عن ابن زيد : كان مستقرّ سليمان عليه السلام بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الابيض والاصفر .

٤ ـ قيل : الغدو هو الذهاب فى الصباح ، والرواح هو العودة فى المساء أيضاً . والمعنى : ان ما كان يسار فى وقت الغدو على الريح من المسافة ذهاباً يعدل مسيرة شهر ، و ما كان يسار فى وقت الرواح يعدل مسيرة شهر آخر . فكانت مسيرة الريح المسخرة لسليمان فى غدوة تقدّر بمسيرة شهر سيراً على القدم كما ان مراحها و رجوعها من غدوتها يعدل مسيرة شهر كذلك .

أقول: و على الثالث أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « و أسلنا له عين القطر » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس و مجاهد والسدى و ابن زيد : أى أذبنا لسليمان عليه السلام و أجرينا له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهن . ٢ـ عن ابن عباس أيضاً والخليل وقتادة : أى أجرينا له عليه السلام نبوع النحاس المذاب ، فاسيلت له مسيرة ثلاثة أيام كما يسيل ماء العيون . و كانت بأرض اليمن ، و لم يذب النحاس لاحد قبله ، و كان لا يذوب و من وقته ذاب ، و انما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام . و كان فى ذلك دلالة على نبوته و من جملة معجزاته . . .

٣ ـ عن قتادة أيضاً : أى أسال الله تعالى له عيناً يستعملها فيما يريد . ٤ ـ قيل : أى أجرينا له عليه السلام نبعاً من النفط أو عيناً من النفط حيث يكون أسود كثيفاً ، و ان هذا كان يسمى القطر و منه القطران أو الزفت .

أقول: و على الثانى أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « و من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه » أقوال :
١ ـ قيل : كانت الجن ظاهرة يراها الناس فيعملون معهم ، و كان ذلك معجزة لسليمان عليه السلام . ٢ ـ قيل : كانت الجن في تسليط سليمان عليه السلام و لم تكن ظاهرة بحيث يراها الناس ، فكان الناس يعملون ، وكانت الجن تؤيدهم في أعمالهم كما نصر الله تعالى المسلمين بالملائكة في بعض الغزوات و قال : « و أرسل جنوداً لم تروها » ٣ ـ قيل : لايراها الناس ولكن كان سليمان يراها . وقال ابن عباس: ان الله تعالى سخّر الجن لسليمان و أمرهم بطاعته فيما يأمرهم به .

أقول: والاول هو الظاهر .

وفي قوله تعالى : « نذقه من عذاب السعير » أقوال : ١ ـ قيل : اى من عذاب الدنيا . و ذلك كان لسليمان ملك ، و بيده سوط من نار ، فكل من استعصى عليه ضربه بذلك السوط ضربة من حيث لايراه الجني فأحرقته . ٢ ـ قيل : أى عذاب النار في الاخرة . ٣ ـ قيل : أى في الدنيا والاخرة .

أقول: و على الثاني أكثر المفسرين ، ولكن الاول غير بعيد .

١٣ ـ (يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادى الشكور)

في « محاريب » أقوال : ١ ـ قيل : محاريب جمع محراب يصنع في مقدم المساجد وهو مكان إقامة الصلاة والعبادة للامام . ٢ـ عن الضحاك: اريد بمحاريب ههنا مساجد نفسها . فالمراد بالمحاريب بيوت العبادة . ٣ ـ قيل : أى أبنية رفيعة كما قال تعالى : « إذ تسوروا المحراب » وقيل : المحراب ما يرقى إليه بالدرج كالغرفة الحسنة . ٤ ـ عن قتادة والجبائي : أى قصور حصينة ، و مباني شاهقة ، و مساكن عظيمة شامخة و مساجد شريفة ، سميت بها لانها يذبّ عنها و يحاب عليها و يتعبد فيها .

٥ ـ عن مجاهد : أى بنيان دون القصور . ٦ ـ عن أبي عبيدة : المحراب

أشرف بيوت الدار . ٧ـ قيل: المحراب كل موضع مرتفع . ٨ ـ قيل: أى مجالس رفيعة شريفة مصونة عن الابتذال . ٩ ـ عن ابن زيد : أى مساكن . ١٠ ـ قيل : أى بيوت الشريعة .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ، ولكن الثانى غير بعيد من باب اطلاق الجزء على الكل .

وفي قوله تعالى : «تماثيل» أقوال: ١ـ عن أبى العالية: أى تماثيل الملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدون على عادتهم . و قال ابن عباس : كانوا يعملون صور الانبياء والعبّاد فى المساجد ليقتدى بهم . و ان حرمة التصاوير شرع مجدد .

٢ ـ قيل : هى ما يكون فى الابنية من النقوش . . . ٣ ـ قيل : تماثيل : جمع تمثال و هو كل ما صوّر على مثل صورة من حيوان أو غير حيوان . ٤ ـ عن الضحاك وقتادة : كانت من زجاج و نحاس و رخام تماثيل أشياء ليست بحيوان . و قيل : صور للحيوانات .

٥ ـ قيل : هى صور العلماء . ٦ ـ قيل : أى طلسمات كان يعملها و يحرم على كل مصور أن يتجاوزها فلا يتجاوزها ، فيعمل تمثالاً للذباب أو للبعوضات أو للتماسيح فى مكان ، و يأمرهم ألاّ يتجاوزوه فلا يتجاوزه واحد أبداً ما دام ذلك التمثال قائماً . ٧ ـ قيل : هى تماثيل الاشجار والنباتات و ما لا روح له .

٨ ـ قيل: هى تماثيل الرجال اتخذهم من نحاس ، و سئل ربه أن ينفخ فيها الروح ليقاتلوا فى سبيل الله ولا يحيك فيهم السلاح . ٩ ـ قيل : هى تماثيل من الطير كانت على كرسىّ سليمان عليه‌السلام . ١٠ ـ قيل : هى هيا كل مختلفة و صور مجسمة من أشياء يزين بها ما يبنى من دور و قصور و بيوت عبادات . . .

١١ـ قيل :كانوا يعملون صور السباع والبهائم على كرسىّ سليمان عليه‌السلام ليكون أهيب له ، فذكروا انهم صوّروا أسدين أسفل كرسيه ، ونسرين فوق

عمودى كرسيه ، فكان إذا أراد أن يصعد الكرسى بسط الاسدان ذراعيهما ، و اذا علاعلى الكرسى نشر النسران أجنحتهما فظلّلاه من الشمس . و يقال : ان ذلك كان مما لايعرفه أحد من الناس فلما حاول بخت نصر صعود الكرسى بعد سليمان حين غلب على بنى اسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان فرفع الاسد ذراعيه، فضرب ساقه فقدّها فوقع مغشياً عليه فما جسر أحد بعده أن يصعد ذلك الكرسى.

أقول: والسابع هو المروى .

و فى قوله تعالى : «وجفان كالجواب» أقوال : ١- عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك: جمع جفنة وهى قصعة كبيرة يوضع فيها الطعام للآكلين. و كالجواب أى كالحياض جمع الجوبة وهى من الأرض مايستنقع فيه الماء . قيل : أى كحياض الابل فى العظم. وعن مجاهد والكسائى: الجوبة: الحوض الذى يجمع فيه الماء للابل. ٢- قيل: جفان :جمع جفنة وهى صحفة الطعام ، والجواب : جمع جابية وهى الحوض الكبير الذى يجبى فيه الماء. ٣- قيل :جفان :جمع جفنة وهى قدر عظيم وكالجواب: كالحفرة الكبيرة التى تكون فى الجبل يجبى فيها ماء المطر. وقيل: كالحفيرة.

٤- قيل : جفان : جمع جفنة وهى التى كان يقعد عليها ألف رجل ،فيأكلون منها وكان بمطبخه عليه السلام كل يوم اثناعشر ألف شاة وألف بقرة ، وكان له عليه السلام اثناعشر ألف خبّاز، و اثنا عشر ألف طباخ يصلحون الطعام فى تلك الجفان لكثرة القوم . وقيل :كان سليمان يصلح طعام جيشه فى مثل هذه الجفان فانه لم يمكنه أن يطعمهم فى مثل قصاع الناس لكثرتهم . ٥ - قيل : جفان : قصاع وصحاف يؤكل فيها ، واحدتها جفنة . والجواب : جمع جابية وهى الحوض الكبير يجبى إليه الماء يقال :كان يجلس على الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها .

أقول: والخامس هو الانسب بمعناه اللغوى وعليه أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : «وقدور راسيات» أقوال : ١- عن سعيد بن جبير: قدور: جمع قدر وهو ما يطبخ فيه الطعام وينضج على النار، وكانت بفارس . وقيل:

باليمن . وثابتات في أمكنتها لايزلن عنها لعظمها ؛ ضخامتها . ٢ـ عن مجاهدو قتادة والضحاك وابن زيد : هي قدورتعمل من الجبال ، ثوابت لاتحمل ولاتحرك لعظمها يعمل فيها الطعام كما قال للجبال : راسيات . . ٣ـ قيل قدور: جمع قدر وهي آنية للطبخ وكانت هي عظيمة كالجبال يحملونها مع أنفسهم ، وكان سليمان عليه السلام يطعم جنده .

أقول: والثاني هوالمروي وغيره لايخلومن وجه .

وفي قوله تعالى : «آل داود» أقوال : ١ـ قيل : أي داود نفسه .٢ ـ قيل : أي داود وسليمان وأهل بيته . ٣ـ قيل : هووقومه جميعهم .

أقول: والثاني هوالمؤيد بالروايات الآتية فانتظروتدبرجيداً .

وفي قوله تعالى : «شكراً» أقوال : ١ـ عن محمد بن كعب : الشكر هو تقوى الله تعالى والعمل بطاعته . ٢ـ عن ابن زيد : الحمد والثناء قبال تلك النعم العظيمة من تسخير الحديد والطير والجبال والجن وما إليها . وعن الزهري : أي قولوا : الحمدلله . قيل : الشكر: الاخلاص والتوحيد . وقيل : أي قليل من عبادي الموحدون توحيدهم . ٣ـ قيل : اريد بالشكر الصلوات الخمس. ٤ـ قيل:الشكر بعمل الابدان دون الاقتصارعلى عمل اللسان ، فالشكر بالافعال عمل الاركان والشكر بالاقوال عمل اللسان .

٥ ـ عن مجاهد : أي اعملوا بطاعة الله شكراً له على ما آتاكم من النعم . قيل : ان الفرق بين الشكوروالشاكر: ان الشكورمن تكررمنه الشكر والشاكر من وقع منه الشكر. قال ابن عباس : أراد به المؤمن الموحد .

أقول: و على الثاني أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « وقليل من عبادي الشكور » أقوال : ١ـ قيل: أي قليل منهم يشكرون بألسنتهم و يذكرون نعم الله تعالى و يظهرونها . ٢ ـ قيل : أي قليل منهم يتذكرون بقلوبهم المنعم و نعمه بانها منه تعالى إليهم . ٣ ـ قيل :

أى قليل العامل بطاعتى شكراً لنعمتى ، فالاول شكر اللسان والثانى شكر القلب.
٤ـ قيل : أى لايمكن أداء الشكر حتى المتوفر على أداءِ الشكر بقلبه ولسانه و جوارحه أكثر أوقاته ، ومع ذلك لايوفى حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعى شكراً آخر لاإلى نهاية ، ولذلك لايستطيع أحد ان يشكر الله تعالى حق شكره .
٥ـ قيل : الشكور من يرى عجزه عن الشكر. فان الشكور هو الباذل وسعه فى الشكر قد شغل قلبه ولسانه وجوارحه به اعترافاً واعتقاداً وعملاً . ٦ـ قيل : ان أكثر الناس غافلون عن نعمة الله تعالى ، وقليل منهم يتذكرون بذلك . ٧ـ قيل : أى قليل من عبادى من يطيعنى شكراً لنعمتى ، فيصرف ما أنعمت به عليه فيما يرضينى ، فالشكور هم أوحديون من الناس فى كل وقت ومكان .

أقول: وعلى الاول أكثر المحققين .

١٤ ـ (فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلماخر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين)

فى «فلماقضيناعليه الموت» أقوال : ١ـقيل:أى فلما حكمنا على سليمان عليه السلام بالموت . ٢ـ قيل : أى أوجبنا على سليمان الموت . ٣ـ قيل : أى مضينا قضاءنا على سليمان عليه السلام بالموت حتى صار كالامر المفروغ عنه ووقع عليه الموت .

أقول: ولكل وجه والمآل واحد .

وفى قوله تعالى : «دابة الارض» أقوال :١ـ عن ابن عباس ومجاهدوقتادة: هى الارضة التى تأكل عصا سليمان عليه السلام . والمعنى : فمات سليمان وبقى خاض الحال إلى أن سقط ميتاً لانكسار العصا لأكل الارضة إياها ، فعلم بموته بذلك ، فكانت الارضة دالة على موته أى سبباً لظهور موته . ٢ـ قيل : هى دابة تأكل العيدان. وقيل : أى دويبة تأكل الخشب . يقال لها : القادح فدخلت فيها فأكلتها حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتاً . ٣ـ قيل :كانت عصا سليمان

من بعض أغصان الزيتون الخضراء التي لم تجفّ بعد ، وكانت هناك شاة أو نحوها قد تمسّحت به ومدت فمها إلى العصا تريد الأكل منها ، فوضعت العصا و خرّ سليمان اذكان ميتاً .

٤ـ عن السدى : هي الطين الذى يكون في جوف الخشب ، فانه مما يأتيها به الشياطين ٥ـ قيل : هي دودة تتسلط على الخشب ، فتنخر فيه وتفسده و تسمى «السوس» وانها ظلت تفعل هذا مدة طويلة بلغ بها بعضهم سنة . ٦ـ قيل : هي الارض نفسها. ولعل ذلك لاضافة الدابة إلى الارض أي انها صغيرة ضئيلة ملتصقة بالارض كبعض الحشرات . . . ٧ـ قيل : هي الدابة التي تأكل من عصى سليمان شيئاً أكبر من الارضة . ويحتمل أن تكون الدابة متعددة . ٨ـ قيل :كانت حيواناً كبيراً مما يدبّ على الارض أرادت أن يتناول العصا بفمها ، ويحاول الاكل منها كبعض الحيوانات آكلة العشب .

أقول: دابة الارض هي دويبة صغيرة كنصف العدسة تقرض الخشب ، و اذا أتى على الارضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ، وهي دابة الارض التي دلت الجن على موت سليمان عليه السلام وان النمل عدوّها وهو أصغر منها ، فيأتيها من خلفها فيحملها ويمشي بها إلى جحره واذا أتاها مستقبلاً لا يغلبها لانها تقاومه .

وفي قوله تعالى : «منسأته» أقوال : ١ـ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن زيد : هي العصا التي كان يتكيء بها سليمان عليه السلام من نسأت الغنم أي زجرتها وسقتها ، فسميت العصا بذلك لانه يزجر بها الشيء ويساق . ٢ـ عن السدى: هي العصا بلسان الحبشة . ٣ـ قيل : هي العصا بلسان اليمن .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين والمعاني متقارب .

وفي المدة التي كان سليمان متكئاً على عصاه وهو ميت وكان الجن يزعمون انه حيّ أقوال : ١ـ عن ابن عباس :كانت سنة . وقال : أقام سليمان عليه السلام حولاً لا يعلم بموته وهو متكيء على عصاه والجن منصرفة فيما كان يأمرها به ثم سقط بعد

حول ، فلما خرّ تبينت الانس ان لو كان الجن يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين . قيل : وذلك سئل سليمان الله تعالى ألايعلم الجن بموته حتى تمضي عليه سنة وسبب ذلك أمران : أحدهما ـ ان الجن كانت تدّعي علم الغيب ، فلما مات سليمان عليه السلام وخفي موته عليهم استبان للجن بانهم لايعلمون الغيب .

قال ابن مسعود : أقام سليمان عليه السلام حولاً و الجن تعمل بين يديه حتى أكلت الارضة منسأته فسقط . ٢ـ قيل : لماسقط لم يعلم منذمات ، فوضعت الارضة على العصا فأكلت منها يوماً وليلة ثم حسبوا على ذلك فوجدوه قدمات منذسنة. ثانيهما ـ انه كان رؤساء الجن سبعة و كانوا منقادين لسليمان و كان داود عليه السلام اسّس بيت المقدس ، فلما مات أوصى إلى سليمان في إتمام مسجد بيت المقدس، فأمر سليمان الجن به ، فلما دنا وفاته قال لاهله : لاتخبروني بموتي حتى يتموا بناء المسجد وكان بقي لاتمامه سنة .

٣ ـ قيل : كانت المدة أقل من سنة . ٤ ـ قيل : أكثر من سنة ٥ ـ قيل : ان الارضة بدأت العصا ولم يتنبه بذلك سليمان عليه السلام فاتكيء عليها يوماً فانكسرت فسقط عليه السلام على الارض ، فعلمت الجن كذبها تنبيهاً على عدم إحاطة سليمان على كل شيء في حياته و تسليط الله تعالى الارضة على عصاه و هو غافل عنها . و عن ابن مسعود أيضاً : كان سليمان يتجرد في بيت المقدس سنة و سنتين وشهراً و شهرين ، و أقل من ذلك و أكثر يدخل طعامه و شرابه ، فادخله في المرة التي مات فيها لم يكن يصبح يوماً إلاّ وتنبت شجرة كان يسئلها سليمان ، فتخبره عن إسمها و نفعها و ضرّها فرآى يوماً نبتاً فقال : ما اسمك ؟ قال : الخرنوب قال : لأي شيء أنت ؟ قال المخراب ، فعلم سليمان عليه السلام انه سيموت فقال : اللهم عمّ على الجن موتي ليعلم الانس انهم لايعلمون الغيب ، وكان قد بقي من بنائه سنة ، وقال لاهله : لاتخبروا الجن بموتي حتى يفرغوا من بنائه ودخل محرابه ، و قام متكئاً على عصاه فمات و بقي قائماً سنة ولما تمّ البناء سلط الله تعالى على منسأته الارضة

حتى أكلتهافخر ميتاً فعرف الجن موته وقدكانوا يحسبونه حياً لماكانوايشاهدون من طول قيامه قبل ذلك .

و قيل :ان في إماتته قائماً و بقائه كذلك أغراضاً : منها - إتمام البناء . و منها - أن يعلم الانس ان الجن لاتعلم الغيب و انهم في إدعاء ذلك كاذبون . و منها - أن يعلم ان من حضر أجله فلا يتأخر إذ لم يؤخر سليمان مع جلالته . و روى : انه اطلعه الله سبحانه على حضور وفاته فاغتسل و تحنط و تكفن و الجن في عملهم .

أقول: و الاول هو المروى .

و في عمر سليمان بن داود عليهما السلام أقوال : ١ - قيل : كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثاً و خمسين سنة ، ملك و هو ابن ثلاث عشرة . وقيل : ابن سبع عشرة سنة، و بقي في ملكه إلى أن مات و ابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه . ٢ - عن السدى : كان عمر سليمان عليه السلام سبعاً وستين سنة و ملك و هو ابن سبع عشرة سنة ، وابتدأ في بنيان بيت المقدس وهو ابن عشرين سنة وكان ملكه خمسين سنة . ٣ - قيل : انه عاش سبعمأة سنة و اثناعشر سنة .

أقول: و الاخير هو المروى .

و في قوله تعالى : « تبينت الجن » أقوال : ١ - عن ابن عباس و قتادة : أى تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب مهين . والمعنى: تبيّن و ظهر للانس و انكشف لهم أمر الجن انهم لايعلمون الغيب ، بل هم كانوا كاذبين اذ كانت الجن تخبر الانس : انهم يعلمون من الغيب أشياء و انهم يعلمون ما في غد ، فابتلوا بموت سليمان ، فمات ، فلبث سنة على عصاه و هم لايشعرون بموته و هم مسخّرون تلك السنة يعملون دائبين .

٢ - عن الزجاج : أى تبينت الجن موته عليه السلام فشكرت الجن للارضة فكانت تأتيها بالماء . ٣ - قيل : أى تبيّن أمر الجن بانهم لايعلمون الغيب . على حذف

المضاف كقوله تعالى : «و اسئل القرية» على نحو قولك : تبين زيد جهله . ٤ ـ قيل : أى علم الجن كلهم بعد إلتباس الامر على عامتهم ان كبارهم و رؤساء هم لايعلمون الغيب وكان ادعاءهم ذلك من قبل زوراً . ٥ ـ قيل اريد بذلك التهكم بهم بان الذين ادعوا منهم علم الغيب اعترفوا بعجزهم مع انهم كانوا من قبل عارفين عجزهم كما لوقلت لمدعى الباطل اذا دحضت حجته : هل تبينت انك مبطل وأنت تعلم انه لم يزل متبيناً لذلك .

أقول: و الاول هو المروى .

و فى قوله تعالى : « فى العذاب المهين » أقوال : ١ ـ قيل : أى السخرة و العمل و البنيان و غير ذلك اذ كان ذلك عذاباً مهيناً للجن . ٢ ـ قيل : أى فى الاعمال الشاقة ، و انما سماها عذاباً للمشاق التى فيها لا انه كان عذاباً ، فليس ذلك إلاّ أن يكون عبادة له أو بمنزلة ما يعوضون عليه أى ما عملوا مسخرين لسليمان عليه السلام وهو ميت وهم يظنون انه حىّ . ٣ ـ قيل : العذاب المهين : إقامتهم على الخدمات الشاقة مدة طويلة بعد موته .

أقول: و لكل وجه و المآل واحد .

فى تفسير المراغى : قال : « فليس من الجائز أن خدم سليمان لايتنبهون إلى القيام بواجباته المعيشية من مأكل و مشرب و ملبس و نحوها يوماً كاملاً دون أن يحادثوه فى ذلك ويطلبوا إليه القيام بخدمته » .

وقد اتبعه بعض المتفسرين المتجددين المستغربين فى هذا الاشكال الواهى السخيف و قال : كيف كان يظل سليمان هذا الزمن الطويل الذى يتجاوز الايام إلى الاسابيع والشهور بل إلى سنة ، و هو عليه السلام نائم من غير أن يفتقده أحد من وزرائه و أخصّائه ، من أعوانه و عمّاله ، و من رعيته و عياله . . . ؟ و ذلك مما لايقبله العقل و لايؤيّده العلم ، و كيف لم تتغيّر جثته و لم تتحلل خلال هذه المدة ! ! انه من غير المعقول الذى يرتفع إلى درجة المستحيل ، أن يغيب

سليمان عليه السلام عن تدبير مملكته أياماً فضلا عن سنة ، فلا يلتفت إليه أحد ! ! إن أى انسان ذى شأن لا يمكن أن تغفل عنه العيون يوماً أو بعض يوم فكيف بصاحب هذا السلطان العظيم ؟ و كيف كانت الارضة متسلطة على عصا سليمان عليه السلام و هو لا يعلم ، و انه كان يحمل تلك العصا ؟ و كيف كانت الجن لا يعلمون ذلك حتى وقعت هذه الواقعة ؟ ؟ ؟ .

أقول: كل ذلك مدفوع بنفس قصة تسخير الرياح والجن والطير والشياطين و عملهم لسليمان عليه السلام و تكلم النمل و اتيان عرش عظيم لبلقيس بطرفة العين و غير ذلك من معجزاته عليه السلام التى كانت تثبت نبوته عليه السلام و أما العقل فالسليم منه يقبل ، و أما العلم الذى ينال به الانسان على طريق التحصيل والتعلم فلا يؤيد معجزة من معجزات نبى من الانبياء عليهم السلام ، فان المعجزة أمر غير عادى لا يدرك بأمر عادىّ .

وفى المجمع : قال الطبرسى قدس سره : « و أما الوجه فى عمل الجن تلك الاعمال العظيمة فهو ان الله تعالى زاد فى أجسامهم و قوتهم و غيّر خلقهم عن خلق الجن الذين لا يرون للطافتهم و رقة أجسامهم على سبيل الاعجاز الدال على نبوة سليمان ، فكانوا بمنزلة الاسراء فى يده و كانوا تتهيّأ لهم الاعمال التى كان يكلّفها إياهم ثم لما مات عليه السلام جعل الله خلقهم على ما كانوا عليه ، فلا يتهيّأ لهم فى هذا الزمان شيء من ذلك » .

أقول: و ذلك ظاهر فى تجسم ملائكة الوحى إلى الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين بصور مختلفة ثم تحوّلهم إلى ما كانوا عليه من اللطافة والرقة . . .

١٥ ـ (لقد كان لسباء فى مسكنهم آية جنتان عن يمين و شمال كلوا من رزق ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور)

فى « سبأ » أقوال : ١ ـ قيل : انه أبو عرب اليمن كلها . و قد تسمى به القبيلة نحو تميم . ٢ ـ قيل : اريد بسبأ ههنا بلاد سبأ أى اليمن من بلاد الشام

باسم جدّهم. ٣ ـ قيل : سبأ اسم حيّ أو الاب الاكبر . قال ابن عباس : و هو في الاصل: اسم رجل ولد عشرة من العرب: فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة ، فأما الذين تشاءموا : فلخم وجذام وغسّان وعاملة ، وأما الذين يتامنوا : فالازد والاشعريون و حمير و كندة و مذحج و أنمار . والرجل هو : سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . والمراد من سبأ ههنا : القبيلة الذين هم أولاد سبأ ، وقد نشأ عن سبأ هجرة كثيرة من قبائل اليمن إلى شمال جزيرة العرب و سواحلها الشرقية ، و بلاد الشام والعراق منهم الاوس والخزرج الذين نزلوا في يثرب « المدينة المنورة » و منهم الغاسنة الذين أنشاؤا دولة في بلاد الشام ، و منهم اللخميون الذين انشاؤا دولة في بلاد العراق ، و منهم عبد القيس الذين انشاؤا دولة في عمان و قد قدر المؤرخون انه حدث قبل البعثة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم بنحو أربعمأة عام .

٤ ـ عن أبي عبيد : سبأ إسم للقبيلة . ٥ ـ قيل : إسم مدينة مآرب وبينها و بين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام .

أقول: والثالث هو المروى .

وفي قوله تعالى : « في مسكنهم » أقوال : ١ ـ قيل : اريد بمسكنهم مسكن كل واحد منهم . ٢ ـ عن الضحاك : أي موضع سكناهم و هو بلدهم و أرضهم و هم كانوا في الفترة التي بين عيسى بن مريم عليه السلام و بين نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ ـ قيل: أي منازل آل سبأ في أرض اليمن . يقال لها : مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال . . . ٤ ـ قيل : اريد بمسكنهم الحياة التي كانوا فيها .

أقول: و على الثاني أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « آية » أقوال : ١ـ قيل : أي لما أعرض أهل الجنتين عن الشكر لله تعالى عليهما ، فخرّبهم الله جل وعلا وأبدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة لهم خاصة ، وللناس كافة . و ذلك لان أهل سبأ انحرفوا عن جادة الحق

و كفروا بنعمة الله تعالى ، فعاقبهم ومزّقهم كل ممزّق وجعلهم أحاديث للناس .

٢ ـ عن ابن زيد : ان الاية : انه لم يكن في بلدهم بعوضة و لا ذباب ولا عقرب و لا حية ، و كان الغريب اذا دخل في بلدهم ، و في ثيابه قمّل ماتت ولم يرد بستانين فحسب، وانما أراد جماعتين من البستانين: جماعة عن يمين بلدهم ، و اخرى عن شمالها و كل واحدة من الجماعتين في تقاربهما و تضامهما كأنهما جنة واحدة أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كقوله تعالى: « جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب كلوا من رزق ربكم » .

٣ ـ عن قتادة : ان الاية هي الجنتان كانت المرأة تمشي فيهما ، وعلى رأسها مكتل فيمتليء من أنواع الفواكه من غير أن تمسّها بيدها . ٤ ـ قيل: أي جعل الله تعالى قصة الجنتين عبرة لاهل الكفر والطغيان . ٥ ـ قيل: أي علامة دالة على الصانع و كمال إقتداره و وجوب شكره . ٦ ـ قيل : أي لقد كان لولد سبأ في مسكنهم علامة بينة وحجة واضحة على انه لاربّ لهم إلاّ الذي أنعم عليهم النعم التي كانوا فيها ، و علامة على سبوغ نعمه عليهم . ٧ ـ قيل : اريد بالآية خروج الازهار والثمار من الاشجار على إختلاف ألوانها و طعومها . . .

أقول: و لكل وجه ، والتعميم غير بعيد لمكان تنكير « آية » .

وفي قوله تعالى : « جنتان عن يمين و شمال » أقوال : ١ ـ عن ابن زيد و قتادة : ان الجنتين كانتا للمرأة ، و هي كانت بين جبلين باليمن ، وجد فيهما قصران مكتوب على أحدهما: نحن بنينا سلحين في سبعين خريفاً دائبين ، و على الاخر مكتوب : نحن بنينا صرواح مقيل و مراح ، فكانت إحدى الجنتين عن يمين الوادي والاخر عن شماله .

٢ ـ قيل : لم يرد جنتين اثنتين ، بل اريد من الجنتين يمنة و يسرة أي كانت بلادهم ذات بساتين وأشجار وثمار تستتر الناس ببطنها. فالجنتان : جماعتان من البساتين : جماعة عن يمين بلدهم ، و اخرى عن شمالها ، كأن كل واحدة

من الجماعتين فى تقاربها و تضامها جنة واحدة .

٣ ـ قيل : أى بستانى كل رجل منهـم عن يمين مسكنه و شماله كقولـه تعالى : « جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب » ٤ ـ قيل أى بستانين عن يمين من أتاهما وشماله . ٥ ـ قيل : أى جنتان عن يمين البلد وشماله . ٦ ـ قيل : اريد باليمين و الشمال : كثرة الخير من حولهم ، حيث يملئون أيديهم منه ، و حيث يتناولونه من قريب إن أرادوه بيمينهم وجدوه و إن أرادوه بشمالهم تناولوه . من غير أن يجهدوا أنفسهم بالتحـول من اليمين إلى الشمال أو العكس و المراد بالجنتين عيناً و شمالاً الاحاطة بهم من كل جانب .

أقول: و على الثانى أكثر المحققين و قريب منه الرابع و الخامس .

وفى قوله تعالى : « كلوا» فى الآمر أقوال : ١ ـ قيل : هذا حكاية عن لسان الحال ، ولم يكن هناك أمر. وانما المراد تمكينهم من تلك النعم التى يتنعمون بهـا ، و إلفاتهم إلى هذه النعمة العظيمة التى أسبغها الله تعالى عليهم ، و ليس المراد به الامر بالاكل على اطلاقه .

٢ ـ قيل : أى قال لهم الملائكة : كلوا مما رزقكم الله فى هذه الجنان و اشكروا له يزيدكم من نعمه عليكم . ٣ ـ قيل : أى قال لهم أنبياءهم وهم ثلاثة عشر نبياً واحدا بعد واحد فكانوا يقولون لهم : ان الله تعالى أباح لكم تلك النعم فكلوها واشكروا له بالطاعة و احمدوه و اعرفوه حق معرفته .

أقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق .

وفى قوله تعالى : « رزق ربكم » قولان : أحدهما ـ قيل : اريد بالرزق ثمار الجنتين ، ثانيهما ـ قيل : اريد بالرزق كل نعمة أنعمها الله تعالى عليكم من النعم فى أرض سباء .

أقول: و الثانى هو الانسب بظاهر السياق وخاصة باضافة الرزق إلى الرب المضاف إلى ضميرهم . و بقوله تعالى : « بلدة طيبة » .

وفي قوله تعالى : « بلدة طيبة » أقوال : ١ ـ قيل : أي هذه بلدة كثيرة الثمار . ٢ ـ قيل : أي غير سبخة كقوله تعالى : «والبلد الطيب» فهي بلدة مخصبة نزهة أرضها عذبة تخرج نباتها . ٣ـ قيل : أي طيبة ليس فيها هوام لطيب هوائها.

٤ ـ عن مجاهد : هي صنعاء . ٥ ـ قيل : أي بلدة طيبة عن المؤذيات من العقارب و الحيات و سائر الهوام و الحشرات . ٦ ـ قيل : اريد بها صحة هواها و عذوبة ماءها و سلامة تربتها ، و انه ليس فيها حر يؤذي صيفاً ، و لا برد يؤذي شتاء . ٧ ـ قيل : أي بلدة ملائمة صالحة للمقام . ٨ ـ قيل : اريد بالبلدة الطيبة كثرة خيرها و وفرة عطائها .

أقول: و لكل وجه ولكن الاوجه هو الاخير من غير تناف بينه وبين غيره من الاقوال .

وفي قوله تعالى : «و رب غفور» أقوال : ١ـ قيل : أي ربكم الذي رزقكم، فطلب شكركم ، غفور لمن يشكره بقدر طاقته لا يؤاخذه بالتقصير في أداء حق الشكر اذا توجه عليه الشكر و بذل وسعه عليه . ٢ ـ قيل : أي يغفر سائر الذنوب ، فكأنه وعدهم سعادة الدارين . ٣ ـ قيل : أي غفور لذنوبكم إن أنتم أطعتموه فهم قوم أعطاهم الله تعالى نعمه ، وأمرهم بطاعته و نهاهم عن معصيته . ٤ ـ قيل : ان في المغفرة دلالة على أن الرزق قد يكون فيه حرام .

٥ ـ قيل : ان الله تعالى امتن عليهم بعفوه من عذاب الاستئصال بتكذيب من كذبوه من سالف الانبياء إلى أن استداموا الاصرار فاستوصلوا . ٦ ـ قيل : أي رب كثير الغفران لا يؤاخذكم بسيئاتكم ، و ما اقترفوا فيه من الصغائر و الكبائر . . ٧ ـ قيل : أي رب هذه النعم يتجاوز عن السيئات ويقبل توبة التائبين و يعفو عنهم اذا تابوا و آمنوا و أصلحوا ، و بهذا تطيب النعمة و يتسع للانسان مجال التمتع .

أقول: وعلى الاول جمهور المحققين ، و قريب منه الثالث والسابع .

۱٦ - (فأعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم و بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط و أثل و شيء من سدر قليل)

في « فاعرضوا » أقوال : ۱ - قيل : أي فاعرضوا عن شكر الله تعالى . ۲ - قيل : أي أعرضوا عن صالح الاعمال ۳ - قيل : أي اعرضوا عن التصرف الحميد فيما أنعم الله تعالى عليهم ٤ - قيل : أي عن أمر الله تعالى و اتباع رسله بعد أن كانوا مسلمين . وقال السدى و وهب : بعث الله تعالى إلى أهل سبأ ثلاثة عشر نبياً فكذّبوهم .

٥ - قيل : أي أعرضوا عن طاعة ربهم و صدّوا عن اتباع ما دعاهم إليه رسلهم من انه خالقهم . ٦ - قيل : أي اعرضوا عن الحق و لم يشكروا الله تعالى ولم يقبلوا ممن دعاهم إلى الله من أنبيائهم .

أقول: والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

وفي قوله تعالى : « سيل العرم » أقوال : ۱ - قيل : العرم إسم سدّ كان يحبس فيه الماء . و ذلك ان بلقيس ملكة سبأ بنت سداً بين الجبلين ، فحبست الماء من وراء السد ، و جعلت له أبواباً بعضها فوق بعض ، و بنت من دون بركة ضخمة ، فجعلت فيها اثنى عشر مخرجاً على عدة أنهارهم ، فلما جاء المطر إحتبس السيل من وراء السد وامرت بالباب الاعلى ، ففتح فجرى ماؤه في البركة وامرت بالبعر فالقى فيها فجعل بعض البعر يخرج أسرع من بعض ، فلم تزل تضيق تلك الانهار وترسل البعر في الماء حتى خرج جميعاً معاً فكانت تقسمه بينهم على ذلك حتى كان من شأنها و شأن سليمان عليه السلام ما كان . و عن ابن عباس : أي سيل السد العرم . و عن النحاس : العرم : ما يجتمع من مطر بين جبلين و وجهه مسناة و المسناة هي التي يسميها أهل مصر « الجسر » فكانوا يفتحونها اذا شاؤا فاذا رويت جنتاهم سدّوها .

۲ - عن ابن عباس أيضاً و عطاء والضحاك : العرم اسم الوادى كانت تتجمع

فيه المياه . وقال ابن عباس: العرم : واد كان باليمن يسيل إلى مكة ، وكانوا يسقون و ينتهى سيلهم إليه . وقال قتادة : العرم : وادى سبأ كانت تجتمع إليه مسايل من الاودية . و قيل : من البحر و أودية اليمن ، فردموا ردماً بين جبلين و جعلوا فى ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، فكانوا يسقون من الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث على قدر حاجاتهم ، فأخصبوا ، و كثرت أموالهم ، فلما كذّبوا الرسل سلّط الله عليهم الفأر فنقب الردم .

٣ ـ عن ابن الاعرابى : العرم من أسماء الفأر . وعنه أيضاً : العرم : السيل الذى لا يطاق . ٤ ـ عن ابن عباس أيضاً : العرم : المطر الشديد . ٥ ـ قيل: العرم بمعنى الشديد و المعنى: السيل الشديد . ٦ ـ عن مجاهد و ابن أبى نجيح : العرم : ماء أحمر أرسله الله تعالى فى السدّ فشقّه و هدمه .

٧ ـ عن محمد بن يزيد : العرم كل شىء حاجز بين شيئين و هو الذى يسمى السكر وهو جمع عرمة . ٨ ـ عن الزجاج : العرم : الجرذ الذكر الذى نقب السكر عليهم و يقال له : الخلد . و يقال : نسب إليه السيل من حيث انه نقب المسناة .

٩ ـ عن عمرو بن شر حبيل و أبى ميسرة : العرم : المسناة بلغة اليمن . و عن الهروى : العرم : المسناة الضفيرة تبنى للسيل تردّه سميت مسناة لان فيها مفاتح الماء . والمسناة بلغة حمير العرم بنته بلقيس ملكة سبأ بالصخر والقار ، و جعلت له أبواباً ثلاثة بعضها فوق بعض ، و هو مشتق من العرامة و هى الشدة و منه : رجل عارم أى شديد .

١٠ ـ قيل : ان العرم صفة للمسناة التى كانت لهم و ليس باسم لها . ١١ ـ قيل : العرم كان إسم واد لقوم سبأ باليمن كان يسيل إلى مكة ، و كانوا يسقون و ينتهى سيلهم إليه و تجتمع فى هذا الوادى المسايل من أودية شتى ، فعمدوا و سدّوا ما بين الجبلين بالقير والحجارة و جعلوا له أبواباً يأخذون من مائه ما

احتاجوا إليه . ١٢ ـ قيل : العرم : الامر والمعنى : سيل الامر .

١٣ ـ عن وهب : كان الماء يأتي أرض سبأ من أو دية اليمن و كان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما، فسدّوا ما بين الجبلين ، فاذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السد بقدر الحاجة ، فكانوا يسقون ذروعهم وبساتينهم ، فلما كذبوا رسلهم و تركوا أمر الله تعالى بعث الله جل و علا جرذاً نقبت ذلك الردم و فاض الماء فأغرقهم . وقيل: هو البناء الرصين المبنيّ بين الجبلين لحفظ ماء الامطار والانهار و خزنها ، و قد ترك فيه أنقاب على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم أو لخروج ما زاد عليه ، فلما طغـوا أهلكهم الله تعالى بخراب هذا البناء فانهال عليهم تيار مائه ، فاغرق بلادهم وأفسد عمرانهم و أرضهم و اضطر من نجى منهم للنزوح عنها كما قال تعالى : « و بدلناهم . . » فهذا تبديل النعم بالنقم لمن لم يشكر النعم كما صرّح به تعالى : « ذلك جزيناهم . . »

أقول: و على الاول أكثر المفسرين و في معناه أكثر الاقوال الاخر .

وفي قوله تعالى: « خمط » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك و ابن زيد والخليل : الخمط الأراك . ٢ـ عن الجوهري : الخمط ضرب من الأراك له حمل يؤكل . ٣ ـ عن أبي عبيدة : هو كل شجر ذي شوك فيه مرارة . ٤ ـ عن الزجاج : الخمط كل نبت فيه مرارة لا يمكن أكله . ٥ ـ عن المبرد : الخمط كل ما تغيّر إلى مالا يشتهى واللبن خمط اذا حمض . والخمط: اللبن الحامض .

٦ـ قيل: الخمط كل شيء متغير نتن . ٧ـ قيل: الخمط: الرديء من الثمر . ٨ ـ قيل : الخمط : الغضا . ٩ ـ عن قتادة : الخمط : ضرب من الخشب . ١٠ ـ قيل : الخمط هو السمر . ١١ ـ قيل : الخمط أشجار طبيعية تنبت في الصحارى ذات شوك و ثمرها غير صالح تعافه النفس .

أقول: وعلى الثالث أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر.

وفي قوله تعالى : « و أثل » **أقوال**: عن ابن‌عباس والفراء : الأثل الطرفاء وهومعروف في مصر « بالأثل » وقيل: هو شبيه بالطرفاء إلاّ انه أعظم منه طولاً و منه اتخذ منبر النبي ﷺ و للأثل اصول غليظة يتخذ منه الابواب و ورقه كورقة الطرفاء .

٢ ـ عن الحسن : الأثل الخشب . و قال قتادة : هو ضرب من الخشب يشبه الطرفاء رأيته بفيد . ٣ ـ قيل : هو السمر . ٤ ـ عن أبي‌عبيدة : هو شجر النضار ، والنضار : الذهب ، والنضار : خشب يعمل منه قصاع ومنه : قدح نضار . ٥ ـ قيل: الأثل : شجر لا ثمر له .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : «سدر» **أقوال** : ١ـ عن الفراء والنحاس: السدر: السمر.

٢ ـ عن الزهري : السدر من الشجر : سدران : بري لا ينتفع به ، و لا يصلح ورقه للغسول و له ثمر عفص لا يؤكل وهوالذي يسمى الضال . ٣ـ قيل : السدر ينبت على الماء و ثمر النبق ، و ورقه غسول يشبه شجر العناب . ٤ ـ عن قتادة : بينما شجر القوم من خير شجر إذ صيّره الله تعالى من شرّ الشجر بأعمالهم ، فأهلك أشجارهم المثمرة وأنبت بدلها الأراك والطرفاء والسدر . ٥ـ قيل: السدر شجر النبق .

أقول: السدر شجر معروف .

١٧ ـ (ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازي الا الكفور)

في قوله تعالى : « جزيناهم بما كفروا » **أقوال** : ١ ـ قيل : أي جزينا هؤلاء الكافرين بسبب كفرهم بالله تعالى و برسله الذين ارسلوا إليهم . ٢ـ قيل: أي جزيناهم ذلك الجزاء من حلول النقمة بهم بسبب كفرانهم النعمة ، فنزعناها عنهم ، و وضعنا مكانها ضدّها . ٣ـ قيل: أي وفيناهم ذلك التبديل والارسال بسبب ما كفروا بالنعم الالهية التي أسبغها الله تعالى عليهم وغمطوها وما كفروا بالرسل .

٤ ـ قيل : أى فعلنا بهؤلاء القوم من إرسال السيل الشديد المخرّب من السدّ الرصين المسمى بالعرم عليهم ، ومن إهلاك الاموال و خراب الجنات جزاء منّا على كفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا . ٥ ـ قيل : أى كذلك كافأناهم على كفرهم بالله تعالى و نعمه .

أقول: والثانى هو الانسب بظاهر السياق ، ولكن التعميم غير بعيد عن ظاهر الاطلاق فى قوله جل وعلا : « بما كفروا » .

وفى قوله تعالى : «هل نجازى الاّ الكفور» أقوال : ١ـ قيل : أى لانجازى بهذا الجزاء الذى هو الاصطلام و الاهلاك الاّ من تلبّس فى الكفر وصار الكفر طبيعته الثانوية ، فلا يرجى باهتدائه . ٢ ـ عن مجاهد : أى لانعاقب الاّ من كثر كفره . و ذلك ان المؤمن يكفّر الله تعالى عنه سيئاته و أما كثير الكفر فيجازى بكل سوء عمله ، فالمؤمن يجزى ولايجازى لانه يثاب .

٣ ـ قيل : أى لانعاقب الاّ من يستحق العقاب من أهل الكفر و الضلال .

٤ ـ قيل : أى لاننافش فى الحساب الا الكفار : من كفر بالنعم وعمل بالكبائر... وأما المؤمن فلايناقش فى الحساب . ٥ـ عن الحسن : أى لانجازى الاّ مثلاً بمثل.

٦ـ قيل : أى لانكافأ الكافر إلاّ بكل عمل عمله . قيل : ان الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل فى المعاقبة تارة و فى الاثابة تارة اخرى ، فلما استعمل اولاً فى معنى المعاقبة استعمل ثانياً على نحو ذلك . ٧ ـ عن أبى مسلم : أى لايقتضى و لايرتجع ما اعطى الاّ الكافر، فانه لما كفر بالنعمة اقتضى ما اعطى أى ارتجع منه. على أن المجازاة من التجازى و هو التقاضى . و قيل : ان الفرق بين الجزاء و المجازاة ان المجازاة لاتستعمل الاّ فى الشر والجزاء اعم . و قيل : ان المجازاة فى النقمة و الجزاء فى النعمة الاّ اذا قيد كقوله تعالى : « جزيناهم بما كفر» .

٨ ـ قيل : أى لانجازى بجميع السيئات الاّ الكافر لان المؤمن قد يكفّر عنه بعض سيئاته . ٩ ـ قيل : أى لانوا فى ذلك الجزاء الاّ من كفر لنعم الله تعالى.

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال .

١٨ - (وجعلنا بينهم و بين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي و أياماً آمنين)

في قوله تعالى : «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها» أقوال : ١- عن مجاهد و قتادة : أي بين قوم سبأ وبين القرى الشامية التي كان موسعاً عليهم برزقها و مناخها ، وسميت قرى مباركة لانها في الارض المباركة المقدسة .

٢ - عن ابن عباس : أي بينهم و بين بيت المقدس و أرض فلسطين . ٣ - قيل : أي بينهم و بين الشام و بيت المقدس . ٤ - عن ابن عباس أيضاً : هي بين المدينة المنورة و الشام . و قيل : كان على كل ميل قرية بسوق و هذا سبب أمن الطريق . ٥ - قيل : أي هي بين المدينة المنورة وبين بيت المقدس .

٦ - عن الحسن : أي بين اليمن ، و بين القرى التي بورك فيها : الشام و الاردن و فلسطين . و البركة : قيل : انها كانت أربعة آلاف و سبعمأة قرية بورك فيها بالشجر و الثمر و الماء . و قيل : أي باركنا فيها بكثرة العدد . ٧ - قيل : أي بين اليمن و بين بلاد الحجاز التي كانت هي الاخرى مباركة فانها أقرب إلى بلاد سبأ وهي اليمن من بلاد الشام و بينها وبين سبأ قرى ومدن عديدة .

أقول: وعلى الاول جمهور المحققين .

وفي قوله تعالى : « قرى ظاهرة » أقوال : ١ - عن قتادة و الضحاك : أي قرى متصلة ، و هي قرى عربية متواصلة على الطريق ، فهم يغدون فيقيلون في قرية و يروحون فيبيتون في قرية . ٢ - عن المبرد : أي مرتفعة على الآكام و هي أصح القرى . ٣ - عن الحسن و ابن زيد : أي كانت المرأة تخرج معها مغزلها وعلى رأسها مكتلها ، ثم تلتهي بمغزلها فلا تأتي بيتها حتى يمتلىء مكتلها من كل الثمار فكان ما بين الشام واليمن كذلك .

٤ - قيل : إنما قيل لها : ظاهرة لظهورها أي اذا خرجت من هذه ظهرت

لك الاخرى ، فكانت قرى ظاهرة أى معروفة يقال : هذا أمر ظاهر أى معروف .

٥ ـ قيل : أى متواصلة يرى من كل منها ما يتلوها لتقاربها أو ظاهرة للسابلة لكونها على متن الطريق . ٦ـ عن مجاهد : أى قرى ظاهرة أى السرواب.

٧ ـ قيل : أى كانت القرى متقاربة يرى بعضها من بعض .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين وقريب منه الخامس والسابع .

وفي قوله تعالى : «آمنين» أقوال : ١ـ عن ابن زيد : أى ليس في القرى المباركة خوف . ٢ ـ قيل : أى آمنين من الجوع و العطش و التعب ، و من السباع و كل المخاوف ، و في ذلك إشارة إلى تكامل نعمه تعالى عليهم في السفر كما انه كذلك في الحضر .

٣ ـ عن قتادة : أى كانوا يسيرون غير خائفين و لاجياع و لاظمأ و لاظلم ، وكانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لايحرّ بعضهم بعضاً ، و لو لقى الرجل قاتل أبيه لايحرّكه و انما يغدون فيقيلون و يروحون ، فيبيتون في قرية أهل جنة و نهر. ٤ ـ قيل :أى كانوا لايحتاجون إلى طول السفر لوجود ما يحتاجون.

٥ ـ أى آمنين من الزيغ .

أقول: و الثاني هو الانسب بظاهر الاطلاق .

١٩ ـ (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا و ظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور)

في « ربنا باعد بين أسفارنا » أقوال : أحدها ـ إلتماس من قوم سبأ على أن يجعل الله تعالى طرقاً متباعدة اخرى غير الطرق المتواصلة المتقاربة التي كانوا يألفونها و يتبادلون المنافع مع أهلها . والمعنى : إجعل بين قرانا وقرى الشام فلوات ومفاوز لنركب إليها الرواحل و نقطع المنازل بدلاً عن تلك القرى المتتابعة المتواصلة .

وذلك اذ استبدّ بهم الغرور وأغراهم الطمع ، فركبوا الاهوال والمخاطر

لا لحاجة إلاّ أن يعرضوا هذا الغرور الذى ركبهم الاّ ليتغذّوا مشاعر الاستعلاء التى استولت عليهم من غير أن يكون غرضهم من الضرب على وجه الارض السعى فى طلب الرزق و إقامة حياة قائمة على العدل والاحسان أو للاعتبار و إلاّ لبارك الله تعالى سعيهم و لحمد مسيرتهم ، ولكنهم كانوا يركبون شيطاناً مريداً يدفع بهم دفعاً إلى الكفر بالله جل و علا ، و إلى السعى فى الارض فساداً .

و أما قولهم : « ربنا » فما كان عن اعتقاد منهم و إلاّ لكانوا مؤمنين بالله تعالى حقاً بل كان قولهم بافواههم و ألسنتهم من غير اعتقاد ، كما قال ابليس فى موقف التحدى لله تعالى والاصرار على الاثم: « رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الارض » ثانيها ـ طلب منهم أن يبدل الله جل وعلا القرى المتواصلة المتتابعة إلى القرى المتباعدة بتخريب بلادهم و جناتهم . ثالثها ـ قيل : كان ذلك لفساد اعتقادهم و شدة اعتمادهم على أن ذلك لا يعدم كما يقول القائل لغيره : اضربنى . مشيراً بذلك إلى أنه لا يقدر عليه .

أقول: و على الثانى أكثر المفسرين ولكن الاول لا يخلو من وجه .

وفى قوله تعالى : « و ظلموا أنفسهم » أقوال : ١ ـ قيل : أى ظلموا على أنفسهم بالكفر بالله تعالى والانحراف عن جادة الحق والصواب و ارتكاب المعاصى و اتباع الشهوات . . . ٢ـ قيل : أى ظلموا أنفسهم بما عرّضوها للسخط والنقمة والعذاب عوضاً عن المحبة والنعمة والثواب . ٣ـ قيل : أى ظلموا أنفسهم لسلب النعمة والرحمة عنهم بكفرانهم وطغيانهم عوضاً عن إزدياد النعمة بالشكر والطاعة.

أقول: والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق فتدبر جيداً .

وفى قوله تعالى : أقوال : ١ ـ قيل: أى صبار على العبادات ، شكور على النعم. ٢ـ قيل : أى صبار عن المعاصى شكور على النعماء بالطاعات . ٣ـ قيل : أى صبار على النعم حيث ان كثرة النعم قد توجب سعى الانسان على المعاصى ، فلا يصبر على النعم فيصرفها فى المعاصى فيصبر عليها فلا يلحقه البطر ، شكور

لنعمه . ٤ ـ قيل : أى كثير الصبـر فى جنب الله تعالى و كثير الشكر لنعمه .

أقول: والتعميم هو الانسب بظاهر السياق .

٢٠ ـ (و لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين)

فىقوله تعالى: « صدق عليهم ابليس ظنه » أقـوال : ١ ـ عن مجاهد : أى ظن ابليس ظناً ، فكان كما ظن فصدق ظنه . و هذا عـام لبنى آدم عليه السلام أى صدق ابليس ظنه على الناس كلهم إلاّ من أطاع الله تعالى . و ذلك لقرينة الحال . ٢ ـ قيل : أى ان ابليس سوّل لـه ظنه فى أهل سبأ شيئاً ، فصـدق ظنه . فكأنه قال : ولقد صدّق عليهم ظن ابليس . فهذا فى أهل سبأ خاصة . والمعنى: ان أهل سبأ كفروا و غيّـروا و بدّلوا بعد أن كانوا مسلمين الاّ قوماً منهم آمنوا برسلهـم .

٣ ـ عن الحسن انه قال : لما أهبط آدم عليه السلام من الجنة و معه حواء وهبط ابليس قال ابليس: أما اذا اصبت من الابوين ما اصبت ، فالذرية أضعفوأضعف: فكان ذلك ظناً من ابليس ، فانزل الله تعالى : « و لقد صدق عليهم ابليس ظنه » .

٤ ـ عن ابن عباس : ان ابليس قال : خلقت من نـار و خلق آدم من طين والنارتحرق كل شيء : « لاحتنـكن ذريته الاّ قليلاً » فصدقظنه عليهم . ٥ ـ عن زيد بن أسلم : ان ابليس قال : يا رب أرأيت هؤلاء الذين كرمتهم و شرّفتهم و فضّلتهم علىّ لاتجد أكثرهم شاكرين ظناً منه ، فصدق عليهم ابليس ظنه . ٦ـ عن الكلبى : انه ظن انه إن أغواهم أجابوه و إن أضلهم أطاعوه ، فصدّق ظنه .

٧ ـ عن الحسن أيضاً : أى ما ضربهم ابليس بسوط و لا بعصا ، و انما ظن ظناً فكان كما ظن بوسوسته فاتبعـوه . ٨ ـ ان الضميـر فى « عليهم » راجع إلى مشركى مكة بقرينة الايات التالية إذ امـر النبـى صلى الله عليه وآله وسلم فيها بتوجيه الخطاب إلى كفار مكة ومشركيهم متحدياً منددأ ، وعلىهذا فان الآيتين تكونان بمثابة انتقال من حكاية الماضى وعظته إلى حكاية موقف الكفار و واقع أمرهم وتعليل لذلك بعد ما جاءهم من الموعظة ما جاءهم .

ان تسئل : كيف علم ابليس صدق ظنه و هو لا يعلم الغيب ؟

تجيب عنه الامور : أحدها ـ انه لما نفذ له في آدم ما نفذ غلب على ظنه انه ينفذ له مثل ذلك في ذريته ، وقد وقع له تحقيق ما ظن . ثانيها ـ قوله تعالى: « و استفزز من استطعت منهم بصوتك و أجلب عليهم بخيلك و رجلك وشاركهم في الاموال والاولاد » الاسراء : ٦٤) .

فاعطى القوة والاستطاعة ، فظن انه يملكهم كلهم بذلك ، فلما رآى انه تاب على آدم و انه سيكون له نسل يتبعونه إلى الجنة ، وقال: « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين » علم ان له تبعاً و لآدم عليه السلام تبعاً ، فظن ان تبعه أكثر من تبع آدم عليه السلام لما وضع في يديه من سلطان الشهوات وجمهورة الاهواء والاستكبار ، و وضعت الشهوات والاهواء في أجواف الآدميين، فخرج على ما ظن حيث نفخ فيهم الاستكبار والاستبداد ، و زين في أعينهم تلك الشهوات و مد إليها بالأماني والخدائع ، فصدق عليهم الظن الذى ظنه .

ثالثها ـ ماكان ذلك عن علم وتحقيق و انما قاله ظناً فلما تابعه أهل الزيغ والضلالة ، أهل الكفر والمعصية ، وأهل الشرك والغواية صدق ظنه وحققه . وعلى أى تقدير: ان المتبوع مع كونه ملعوناً مذموماً خير من أكثر أتباعه وهم أدون و أسوء حالاً من ابليس لانه خالف أمر الله تعالى في سجدة آدم عليه السلام ظناً منه انه أفضل من آدم عليه السلام فلابد من تقديم الفاضل على المفضول فلايجوز أن يسجد الفاضل للمفضول وكان ابليس في الحكم مصيباً و في الظن مخطئاً و أما اتباعه فاكثرهم يجحدون الخالق أو يشركون به و يقدمون المفضول على الفاضل مع علمهم بان الفاضل هو الفاضل والمفضول هو المفضول .

أقول: ان سياق الايات التالية يؤيد الاول ، و إن كانت الاية تنطبق على أهل سبأ .

وفي قوله تعالى : « الا فريقاً من المؤمنين » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس:

اريد بفريق من المؤمنين كلهم لان المؤمنين علموا كلهم قبح متابعة ابليس فلا يتبعونه ، و انما اتبعوا أمرالله تعالى . فحرف « من » للتبيين . وتقليلهم بلفظ « فريقاً » بالاضافة إلى الكفار التابعين . ٢ـقيل: أى الا فريقاً من فرق المسلمين و هذه الفرقة هم المؤمنون حقاً فالمراد « من المؤمنين » من المسلمين اذ ليس للمؤمنين فرق . و تقليل المؤمنين بلفظ « فريقاً » بالافاضة إلى سائر الفرق الامة الاسلامية لما ورد صحيحاً قال رسول الله ﷺ : « و ان امتى ستفترق بعدى على ثلاث و سبعين فرقة : فرقة منها ناجية و اثنتان و سبعون فى النار » .

٣ـ قيل: أى الا فريقاً من فرق المؤمنين فلم يتبعوه فى الكفر والمعصية ، و هم المخلصون منهم ، فالمراد بهم بعض المؤمنين لان كثيراً من المؤمنين من يذنب وينقاد لابليس فى بعض المعاصى والمآثم . . . فما سلم من المؤمنين أيضاً الا فريق ، و هو المعنى بقوله تعالى : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » الحجر : ٤٢) .

أقول: والثانى هو المؤيد بالايات القرآنية و قريب منه الثالث .

٢١ ـ (وماكان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها فى شك و ربك على كل شيء حفيظ)

فى « وماكان له عليهم من سلطان » أقوال : ١ـقيل: أى وما جعلنا لابليس على الكافرين سلطاناً حتى يلجأهم إلى اتباعه فيكونوا معذورين . ٢ ـ قيل : أى وماله عليهم من سلطان على زيادة «كان» كقوله تعالى: « كنتم خير امة » أى أنتم خير امة ٣ـ قيل : أى و ما كان لابليس فى قضاءنا السابق سلطان على الكافرين .

٤ ـ قيل : أى لم يكن لابليس على الكافرين من سلطنة قاهرة و لا ولاية يتمكن بها من إجبارهم على الغى والضلالة ، و انما كان يمكنه وسوستهم فقط ، وهم قد كانوا متمكنين عن اجتنابها ، فاستجابوا له و اتبعوه عن سوء اختيارهم كما قال : « و ما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى » .

أقول: والاخير هو المؤيد بالايات الكريمة والروايات الكثيرة.

و في « سلطان » أقوال : ١- قيل: السلطان : القوة . ٢ - قيل : السلطان : أى الحجة أى لم تكن لابليس حجة يستتبعهم بها ، و انما اتبعوه بشهوة و هوى نفس لاعن دليل يضلهم به . قال الحسن : والله ما ضربهم بعضاً ولا سيف و لاسوط إلاّ أمانيّ و غروراً دعاهم إليها ، فليس الشيطان بملجيء ولكنه آية و علامة يتميز بها ما هو السابق في علمه من المقر والشاك . ٣ - قيل : له سلطان ولكنه ليس بنافذ فيهم قبل الاتباع فاذا اتبعوه فيتسلط عليهم من طريق اختيارهم هذا المقدار من التسلط .

أقول: والاخير هو المؤيد بالايات القرآنية .

وفي قوله تعالى : « الاّ لنعلم من يومن بالاخرة ممن هو منها في شك » أقوال : ١ - قيل : يريد علم الشهادة الذى يقع به الثواب والعقاب ، و أما الغيب فلا يعلمه إلاّ الله جل و علا . ٢ - قيل : أى لنميّز كقوله تعالى : « ليميّز الله الخبيث من الطيب » والمعنى : انا لم نمكّنه من إغوائهم و وسوستهم من غير إلجاء في الاتباع إلاّ لنميّز المؤمن من الكافر ، والمطيع من الطاغي ، فنعذّب أتباعه لاختيارهم الاتباع ، و نثيب مخالفيه لتركهم الاتباع بحسن الاختيار . و عبّر عن التمييز بين الفريقين بالعلم ، و هذا التمييز متجدد لانه لايكون الاّ بعد وقوع مايستحقون به ذلك ، و أما العلم فبخلاف ذلك، فانه سبحانه كان عالماً بأحوالهم و بما يكون منهم فيما لم يزل .

٣- قيل: أى ليعلم أولياءنا وحزبنا وملائكتنا . ٤ - قيل: أى إلاّ لتعلموا أنتم . ٥ - قيل : أى لنعلم طاعاتهم موجودة أو معاصيهم إن عصوا ، فنجازيهم بحسبها لانه سبحانه لا يجازى أحداً على ما يعلم من حاله الاّ بعد أن يقع ذلك منه . ٦ - عن الفراء : أى إلاّ لنعلم ذلك عندكم كما قال : « أين شركائى » على قولكم و عندكم و ليس « الاّ لنعلم » جواباً ا « وما كان له عليهم من سلطان »

في ظاهره، انما هو محمول على المعنى : أى و ما جعلنا له سلطاناً الاّ لنعلم . على ان الاستثناء منقطع أى لاسلطان له عليهم ، ولكنا ابتليناهم بوسوسته لنعلم.

٧ ـ قيل أى ماكان له عليهم من سلطان غير انا سلطناه عليهم ليتمّ الابتلاء. فالاستثناء متصل . ٨ ـ قيل : أى لنعامل معاملة من كأنه لايعلم ، و انما يعمل ليعلم من يصدق بالاخرة ويعترف بها ممن يرتاب فيها ويشك في حسابها وعقابها.

٩ ـ قيل : اريد بالعلم هنا علم ما وقع بعد أن يقع أى هو تعالى عالم به أزلاً و لكن لايحاسب عليه إلاّ بعد أن يقع و يصبح من كسب العباد ، و اختصاص العلم هنا بالايمان بالاخرة أو الشك فيها لان الايمان بالاخرة والبعث والحساب والجزاء هو ملاك الايمان بالله تعالى و بآياته و رسله و ملائكته ، فليس مؤمناً بالله و آياته ورسله الاّ من كان مؤمناً باليوم الاخر.

١٠ ـ قيل : أى إلا لنظهر. و هو تقول : النار تحرق الحطب ، فيقول آخر: لابل الحطب يحرق النار. فيقول الاول : تعال حتى نجرّب النار والحطب لنعلم أيهما صاحبه . أى لنظهر ذلك و إن كان معلوماً لهم ذلك . فالمعنى : إلاّ لنعلم علم ظهور .

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : «وربك على كل شيء حفيظ» أقوال : ١ ـ قيل: أى و ربك عالم بكل شيء ، فلايفوته علم شيء من أحوالهم و قادر على البعث والحساب والجزاء إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً . على أن يكون العلم والقدرة داخلان في مفهوم الحفظ ، لان الجاهل بالشيء لايمكنه حفظه و كذلك العاجز . ٢ـ قيل: أى يحفظ كل شيء على العبد حتى يجازيه عليه ، حفيظ على أعمال الكفرة و غيرها كلها ، حفيظ لايعزب عنه علم شيء منه ، و هو مجاز جميعهم يوم القيامة بما كسبوا في الحياة الدنيا من خير و شر. ٣ ـ قيل : أى رقيب .

أقول: والمعاني متقاربة .

٢٢ ـ (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض و ما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير)

في قوله تعالى: « في السموات ولا في الارض » أقوال : ١ ـ قيل : أي في أمر من الامور ، و ذكر السموات و الارض للتعميم عرفاً . ٢ـ قيل : ذكرهما لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة و الكواكب و الشمس و القمر و النجوم. . . و بعضها أرضية كالاصنام و الاوثان و الهياكل المنحوتة و الاشكال المصنوعة . . . ٣ ـ قيل : ان بعض الاسباب القريبة للخير و الشر سماوية وبعضها الاخرى أرضية.

أقول: و لكل وجه والاوجه هو الاول .

٢٣ ـ (و لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلي الكبير)

في قوله تعالى: « ولاتنفع الشفاعة عنده » أقوال : ١ ـ قيل : أي لاتنفع شفاعة هؤلاءِ الآلهة لعبدتهم يوم القيامة عند الله تعالى . رداً لقولهم : ان آلهتهم تشفع لهم عندالله لو كان يوم القيامة . و ذلك لانهم كانوا من البعث و الحساب و الجزاء في شك و تردد ، و هم لاينكرونها بالقطع و اليقين لقوله تعالى : « الاّ لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك » سباء : ٢١)

و قوله تعالى : « بل ادارك علمهم في الاخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون و قال الذين كفروا إذا كنـا تراباً و آباؤنا أئنا لمخرجون » النمل : ٦٦ و ٦٧) و قوله تعالى : « و اذا قيل ان وعدالله حق و الساعة لاريب فيها قلتم ماندري ما الساعة ان نظن الاّ ظناً و ما نحن بمستيقنين » الجاثية : ٣٢) وقوله تعالـى حكاية عنهم : « و كنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين » المدثـر : ٤٦ و ٤٧) .

و انما قال الله تعالى ذلك لان المشركين كانوا يقولون : نحن نعبد آلهتنا ليقرّبونا إلى الله زلفى لو كانت ساعة و حساب و جزاء و هؤلاء شفعاؤنا عندالله ،

فحكم الله جل و علا ببطلان اعتقاداتهم .

۲ ـ قيل: أى لاتنفع شفاعة تلك الاصنام والاوثان لعبدتهم فى الحياة الدنيا وذلك لان المشركين كانوا يعبدونهم ليسعدوهم بقضاء حوائجهم وإصلاح شئونهم بالوساطة عندالله تعالى . فالمراد بالشفاعة هى وساطة الآلهة لعبّادهم فى الدنيا لان المشركين كانوا ينكرون بالمعاد و يكفرون بيوم الحساب .

۳ ـ قيل : ان المشركين كانوا يعبدون الآلهة و يرجون عفو الله تعالى عن آثامهم و خطيئاتهم فى الآخرة لو كانت ، و إصلاح امورهم فى الحياة الدنيا بوساطة تلك الاجرام والهياكل والمجسمات وغيرها من الالهة المزعومة الموهومة.

٤ ـ قيل : أى ولاتنفع شفاعة الملائكة و غيرهم من الشفعاء عندالله تعالى لهم لكفرهم وطغيانهم . مع ان الشفعاء لايشفعون الاّ بعد أن أذن الله تعالى لهم بالشفاعة ، و لا يأذن لهم الشفاعة للكافرين . فالسالبة منتفية بانتفاء موضوعها .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « لمن أذن له » أقوال : ١ـ قيل: أى الاّ للشافع الذى أذن الله تعالى له أن يشفع لمستحقى الشفاعة . فاريد بـ « من » الشافع . فاللام للتمليك . ٢ـقيل: أى الاّ أن أذن الله الشفاعة للمشفوع الذى يستحق أن يشفع له. فاريد بـ « من » المشفوع له . فاللام للتعليل . ۳ ـ قيل : اريد بـ « من » الشافع والمشفوع له جميعاً. والمعنى: انهم يقفون ويتربصون ملياً فزعين حتى اذا كشف الفزع يوم القيامة عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى إطلاق الاذن : تباشروا بذلك . و سئل بعضهم بعضاً : ماذا قال ربكم ؟ قالوا: قال الحق و هو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى . وأما قوله تعالى : « و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات و من فى الارض الاّ من شاءالله و كل أتوه داخرين ـ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » النمل : ۸۷ـ۸۹) فهذا غير ذاك إذ هذا فزع عند وقوع الساعة و ذاك فزع عند إذن الشفاعة .

أقول: والاخير هو المروى .

قوله تعالى : « حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال قالوا الحق » فى معنى التفزيع و ضمير « قلوبهم » و « قالوا » أقوال : ١ ـ عن مجاهد و ابن عباس وقتاده وابن زيد: أى حتى اذا كشف الله الفزع عن قلوبهم المشركين عبدة الاصنام وقت الفزع ليسمعوا كلام الملائكة إذ قالت الملائكة لهم : ماذا قال ربكم أيها المشركون ؟ قال المشركون مجيبين للملائكة : قال ربنا الحق ، فيعترفون ان ما جاء به الرسل كان حقاً . وقال ابن عباس أيضا : اذا فزع أى اذا خلّى وجلى. و قال قطرب : أى إذا أخرج الله تعالى يوم القيامة ما فى قلوبهم من خوف .

٢ ـ عن مجاهد أيضاً : أى حتى اذا كشف عن قلوب الشفعاء الغطاء يوم القيامة أى ان الشفاعة لا تكون من أحد من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والانبياء والاصنام الا أن يأذن الله تعالى للأنبياء والملائكة فى الشفاعة ، و هم على غاية الفزع من الله جل و علا كما قال : « و هم من خشيته مشفقون » والمعنى: انه تعالى اذا أذن للملائكة والانبياء فى الشفاعة و ورد عليهم كلام الله فزعوا لما يقترن بتلك الحال من الامر الهائل والخوف أن يقع فى تنفيذ ما اذن لهم فيه تقصير، فاذا سرّى عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم الوحى بالاذن: « ماذا قال ربكم » أى ماذا أمر الله تعالى به ؟ فيقولون لهم: « قالوا الحق » و هو انه تعالى أذن لكم فى الشفاعة للمؤمنين .

٣ ـ عن ابن زيد و مجاهد أيضاً والحسن : أى حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت إقامة للحجة عليهم ، قالت الملائكة لهم : ماذا قال ربكم فى الحياة الدنيا ؟ قالوا : الحق . فأقرّوا حين لاينفعهم الاقرار . قيل: ان « حتى » متعلق بـ « زعمتم » أى زعمتم الكفر إلى غاية التفزيع ثم تركتم ما زعمتم و قلتم : قال الحق .

٤ ـ قيل: ان الملائكة اذا صعدوا بأعمال العباد و لهم زجل وصوت عظيم ،

فحسب الملائكة انها الساعة ، فيخرّون سجداً ، و يفزعون ، فاذ اعلموا انه ليس ذلك قالوا : ماذا قال ربكم قالوا : قال الحق .

٥ ـ قيل : ان التفزيع غاية الوحى المستفاد من « قل » فانه عند الوحى يفزع من في السموات كما جاء في حديث : اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماء صلصلة كجرّ السلسلة على الصفا، فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبرائيل فاذاجاء فزع عن قلوبهم فيقولون : ياجبرائيل ماذا قال ربكم؟ فيقول الحق الحق.

و عن الكلبى و مقاتل : ان الفترة لما كانت بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم و بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أنزل الله جل و علا جبرائيل بالوحى ، فلما نزل ظنت الملائكة انه نزل بشيء من أمر الساعة فصعقوا لذلك فجعل جبرائيل يمرّ بكل سماء و يكشف عنهم الفزع فرفعوا رؤوسهم و قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق يعنى الوحى .

قيل : اريد بالفزع ان الله تعالى لما اوحى إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فزع من فى السموات من وقوع الساعة لانهم كانوا يعلمون ان بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أشراط الساعة ، فلما زال عنهم ذلك قالوا : ماذا قال الله ؟ قال جبرائيل و أتباعه : الحق .

٦ ـ قيل : ان الفزع هو عندالموت يزيله الله تعالى عن قلوب الناس كلهم ، فيعرف كل أحد ان ما قال الله تعالى هو الحق ، فينتفع بتلك المعرفة أهل الايمان ، و لا ينتفع بها أهل الكفر والطغيان .

٧ ـ عن ابن مسعود والجبائى : ان الله تعالى إذا اوحى إلى بعض ملائكته لحق الملائكة غشى عند سماع الوحى و يصعقون ويخرّون سجداً للآية العظيمة ، فاذا فزع عن قلوبهم سألت الملائكة ذلك الملك الذى أوحى اليه ماذا قال ربك أو يسئل بعضهم بعضاً ، فيعلمون ان الامر فى غيرهم .

٨ ـ قيل: هذا الفزع يكون اليوم للملائكة فى كل أمر يأمرهم الله تعالى به أى لاتنفع الشفاعة الاّ من الملائكة الذين هم اليوم فزعون مطيعون لله جل

و علا دون الجمادات والشياطين . ٩ ـ قيل : أى انما يفزع المشركون من قيام الساعة . ١٠ ـ قيل : أى و لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ففزع لما ورد عليه من الاذن تهيباً لكلام الله تعالى حتى اذا ذهب الفزع عن قلوبهم أجاب الانقياد .

١١ـ عن ابن عباس أيضاً: كان لكل قبيل من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحى و كان اذا نزل الوحى سمع له صوت كامرار السلسلة على الصفوان ، فلا ينزل على أهل السماء الا صعقوا ، فاذا فزّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق .

١٢ ـ عن قتادة أيضاً : أى يفزع قلوب الملائكة من قضاء الله الذى يقضيه حذراً أن يكون ذلك قيام الساعة ، فاذا جلى عن قلوبهم و علموا انه ليس ذلك من أمر الساعة قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : قال الحق . ١٣ـ عن ابن زيد أيضاً: أى انما يفزع الشيطان عن قلوب المشركين قال : و انما يقولون: ماذا قال ربكم عند نزول المنية بهم ؟ قالوا : قال الحق. وهذا عند الموت اقرّوا به حين لا ينفعهم الاقرار . و قيل : هذا بيان لحال الكفرة . و قيل : هذا بيان لحال الآلهة من الاصنام والاوثان . . .

١٤ـ قيل: أى إذا كشف الله تعالى الخوف والفزع عن قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين ، و أما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بألف منزل لان التفزيع إزالة الفزع وترك الفزع ، و اسند الفعل إلى الجار والمجرور و «حتى» غاية لما ينبىء عنه ماقبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن أذن له فانه مسبوق بالاستئذان المستدعى للترقب والانتظار للجواب ، فكأنه سئل كيف يؤذن لهم، فقيل: يتربصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل و فزع ملياً حتى ازيل الفزع عن قلوبهم وظهرت لهم تباشير الاجابة .

أقول: والاخير هو المؤيد بالرواية الآتية فانتظر .

٢٤ ـ (قل من يرزقكم من السموات و الارض قل الله و انا أو اياكم لعلى

هدی او فی‌ضلال مبین)

فی « انا أو إیاکم لعلی هدی أو فی ضلال مبین » أقوال : ۱ - قیل : أی إنا لعلی هدی أوفی‌ضلال أو انکم علی هدی أوفی‌ضلال . و هذا علی‌وجه الانصاف فی‌الحجة من غیر ریب فیها کما یقول القائل : أحدنا کاذب وهو یعلم انه صادق و ان صاحبه کاذب .

وعلی‌هذا الوجه قال أبو الاسود الدئلی رضوان الله تعالی علیه مادحاً أهل بیت الوحی صلوات الله علیهم أجمعین :

یقول الارذلون بنو قشیر — طوال الدهر لا تنسی علیاً
بنو عمّ النبی و أقربوه — أحب الناس کلهم إلینا
فان یك حبّهم رشداً اصبه — و لست بمخطیء إن‌کان غیاً

لم یقل هذا لکونه شاکا فی‌محبتهم ، وانما کان هو متیقناً بان محبتهم رشد و هدی و کان أبوالاسود من شیعة مولی الموحدین إمام المتقین أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام و کان ینزل بنی‌قشیروهم قبیلة من القیس و هم یخالفونه فی المذهب و یؤذونه ، فأنشا أبو الاسود تلك الابیات علی طریق الانصاف و قال الشاعر علی هذا الوجه :

نحن أو أنتم الاولی ألفوا — الحق فبعداً للمبطلین وسحقاً .

۲ - قیل : انه أراد : انا لعلی هدی و إیاکم فی ضلال مبین . والمعنی: ما نحن و أنتم علی أمر واحد بل علی أمرین متضادین ، و أحد الفریقین مهتد وهو نحن والآخر ضال و هو أنتم ، فکذّبهم بأحسن من تصریح التکذیب . والمعنی: انتم الضالون حین أشرکتم بالله یرزقکم من السموات والارض . والکلام تتمة من قول النبی الکریم صلی الله علیه و آله و سلم . فجمع بین الخبرین و فوّض التمییز إلی العقول والانظار بعیون الانصاف .

۳ - قیل : هذا حکایة عن المؤمنین الذین قالوا للمشرکین : أی والله ما

نحن و أنتم على أمر واحد ، و انما أحد الفريقين لمهتد و ذلك لان الامر لا يعدو أن يكون حقاً أو باطلاً ، هدى أو ضلالاً لا ثالث لهما نفياً و إثباتاً ، و اذا كان كل على طريق ، فان المقطوع به أن يكون أحد الفريقين على طريق الهدى والاخر على طريق الضلال ولا يجتمعان إذ طريقان مختلفان : هدى و ضلال ، وفريقان مختلفان : مهتدون و ضالون ، و أهل الهدى على طريق الهدى و أهل الضلال على طريق الضلال ، و أما أين طريق الهدى ؟ و من هم أهله ؟ و أين طريق الضلال ؟ و من هم أصحابه ؟ فهذه قضية تحتاج إلى نظر و انصاف ، و عندئذ يتبين الرشد من الغي والضلال من الهدى فانظروا بعين الانصاف إلى ما القي إليكم من الحجة و ميّزوا المهدى من الضال ، المحق من المبطل ، المطيع من الطاغي ، المصلح من المفسد ، والمحسن والمسيىء . . .

٤ ـ قيل : هذا على وجه الاستعطاف والمداراة ليسمع الكلام ، وهذا من أحسن ما ينسب به المحق نفسه إلى الهدى و خصمه إلى الضلال لانه كلام من لا يكاشف خصمه بالتضليل ، بل ينسبه إليه على أحسن وجه و يحثّه على النظر و لا يجب النظر إلاّ بعد التردد . ٥ ـ قيل : أي إنا لعلى هدى و انكم إياكم في ضلال مبين لان العرب تضع « أو » في موضع واو الموالاة .

أقول: و لكل وجه حسن والمآل واحد والمعاني متقارب فتدبر جيداً .

٢٧ ـ (قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم)

في « كلا » أقوال : ١ـ قيل : « كلاّ » ردّ لهؤلاء المشركين حين لم يجيبوا للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ما طلب منهم من لياقة الشركاء للالوهية . والمعنى : فلمّا أجبتم عما طلبت منكم فليس الامر كما تزعمون و لا ما تصفون فلا ينبغي لكم أن تجعلوها شركاء لله سبحانه .

٢ـ قيل : « كلا » ردّ لجوابهم المحذوف كأنه قال : أروني الذين الحقتموهم بالله سبحانه شركاء ؟ قالوا : هي الاصنام ، فقال : كلا أي ليس هؤلاء شركاء لله

سبحانه إذ ليس لهم صفات الالوهية من العزة والحكمة . ٣ ـ قيل : « كلا» ردع لهم عن اعتقاد شريك له سبحانه ، والمعنى : ارتدعوا عن هذا المقال ، و تنبهوا عن هذا الغيّ والضلال .

أقول: والاخير هو الانسب بظاهر السياق فتدبر و اغتنم .

٢٨ ـ (و ما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً و نذيراً و لكن أكثر الناس لا يعلمون)

في « كافة » أقوال: ١ـ عن أبي‌مسلم : أي كافاً للناس عن‌المعاصي‌والكفر . على أن الهاء للمبالغة كعلّامة و نسابة . والمعنى : و ما أرسلناك للناس الاّ أن تكفهم وتردعهم عماهم فيه من‌الكفروالعصيان ، و تدعوهم إلى الطاعة والايمان . ٢ ـ قيل : الكافة بمعنى العامة . والمعنى : و ما أرسلنا الاّ للناس عامة . و في الكلام تقديم و تأخير .

٣ ـ عن الزجاج : أي و ما أرسلناك إلاّ جامعاً للناس بالتبشير والانذار والدعوة والابلاغ . والكافة بمعنى‌الجامع . والتاء كالتاء في‌العافية والعاقبة . ٤ ـ عن‌الجبائي: أي وما أرسلناك إلاّ إرسالة كافة للناس. أي كلهم من‌العرب والعجم و جميع الامم .

٥ ـ قيل: أي إلاّ ذاكافة على‌حذف‌المضاف أي ذامنع للناس من أن يشذوا عن تبليغك. وقيل: أي ذامنع لهم من‌الكفر . ومنه كفّ الثوب لانه ضم طرفيه . و قيل : أي عامة لان الرسالة اذا شملتهم فقد منعتهم أن يخرج أحد منهم . والكف المنع و كافة صفة لرسالة .

أقول: و على الرابع جمهور المحققين .

وفي‌قوله تعالى : « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » أقوال : ١ ـ قيل : أي ولكن أكثر الناس لايعلمون رسالتك لاعراضهم عن النظر فيما أوحينا إليك من‌الآيات‌القرآنية وآتيتك من‌المعجزات الباهرة . ٢ ـ قيل : أي ولكن أكثر

الناس لا يعلمون ان في اتباعك عزة و سعادة و كمالاً في الحياة الدنيا و ثواباً من نعيم الجنة و نجاة من عذاب النار في الاخرة ، و في مخالفتك ذلة و شقاء و انحطاطاً في الدنيا و عقاباً بعذاب النار و حرمان الجنة في الاخرة .

٣ ـ قيل : أي ولكن أكثر الناس لا يعلمون ما عندالله تعالى وما لهم من النفع في إرسال النبي الكريم صلى الله عليه و آله و سلم و هم المشركون ، و كانوا فيذلك الوقت أكثر من المؤمنين عدداً أو كان أكثر الناس يومئذ مشركين . و قيل: و ذلك لا لخفائه ولكن لغفلتهم . ٤ ـ قيل : أي ولكن أكثر الناس لا يعلمون ان الله تعالى أرسلك كذلك إلى جميع الناس .

أقول: والثالث هو الانسب بظاهر السياق ولكن الاخير غير بعيد .

٣٠ ـ (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون)

في « ميعاد يوم » أقوال: ١ـ قيل: ميعاد يوم هو يوم البعث و وقت الساعة . ٢ ـ عن أبي مسلم : هو وقت حضور الموت ، فاذا جاء تنظروا للتوبة والانابة ، ولاتستقدمون قبله بالعذاب لان الله جعل لكم ذلك أجلاً لاتعدونه ساعة . والمعنى: لكم أيها المشركون قبل يوم القيامة وقت معين تموتون فيه ، فتعلمون عندئذ حقيقة قولي . ٣ ـ قيل : هو يوم بدر . و ذلك لان هذا اليوم كان ميعاد عذابهم في الحياة الدنيا في حكم الله تعالى .

أقول: و على الاول جمهور المفسرين .

٣١ ـ (و قال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن و لا بالذي بين يديه و لو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنامؤمنين)

في « الذين كفروا » أقوال : ١ ـ قيل : هم مشركو مكة و كفار قريش ، و ذلك لانهم سئلوا أهل الكتاب ، فأخبروهم : انهم يجدون صفة محمد صلى الله عليه و آله و سلم في كتبهم ، فأغضبهم ذلك و قرنوا إلى القرآن جميع الكتب و قالوا : لن نؤمن

بالقرآن ولا بماجاء قبل القرآن من الكتب السماوية . ٢ـ قيل: هم أهل الكتاب لانهم موقوفون عند ربهم يوم القيامة ، فانهم لم يؤمنوا بالقرآن الكريم و قد جاء في كتبهم بصدقه . ٣ـ قيل: هم اليهود العنيد . ٤ـ قيل: يعم جميع الكافرين من أهل الكتاب و كفار مكة و غيرهم من الكفار إلى يوم القيامة .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين .

و في « ولابالذي بين يديه » أقوال : ١ـ عن قتادة : أي التوراة والانجيل . و ذلك لان كفار مكة لماسئلوا أهل الكتاب عن الرسول ، فاخبروهم: انهم يجدون نعت النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في كتبهم غضبوا وقالوا : « لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه » من التوراة والانجيل اللذين يصفانه . و كانت كفار قريش يراجعون قبل ذلك أهل الكتاب ، و يحتجون بقولهم ، فظهر بذلك تناقضهم و سفاهتهم و جهلهم . و قيل : لما قال مؤمنو أهل الكتاب لكفار قريش : ان صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كتابنا وهو نبي مبعوث كفر المشركون بكتابهم لان المشركين و ثنيون ليسوا قائلين بالنبوة و يتبعها الكتاب السماوي .

٢ـ عن ابن جريج : اريد بالذي بين يديه يوم الاخرة . وقائل ذلك أبو جهل بن هشام . ٣ـ قيل: أي الكتب السماوية المتقدمة قبل القرآن جميعها من الصحف والزبور والتوراة والانجيل .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين ، و قيل : هذا هو الاصح بقرينة ذكر القرآن قبل الجملة . ولكن الثاني هو الانسب بظاهر السياق من ذكر موقفهم يوم الحساب . وفي «ترى» أقوال : ١ـقيل: خطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فان المشركين بمعزل عن فهم الخطاب . ٢ـ قيل: خطاب لكل من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم و بما جاءهم به . ٣ ـ قيل : خطاب لكل من يصلح له .

أقول: و على الاول جمهور المفسرين .

٣٣ ـ (و قال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار

اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون)

في « بل مكر الليل و النهار » أقوال : ١ ـ عن ابن زيد و النحاس : أى أيها العظماء السادة و الرؤساء القادة بل مكركم بنا ليلاً و نهاراً و دعاءكم لنا إلى الكفر و المعصية هو الذى حملنا على الكفر و المعصية ، فأنتم أزلتمونا عن عبادة الله بعبادة الاصنام والاوثان وغيرها مما اتخذتموها آلهة لناولكم . والمكر: الاحتيال والخديعة . ٢ـ عن سفيان الثورى : أى عملكم في الليل والنهار حملنا على الكفر و المعصية . لما ورد : « الناس على دين ملوكهم »

٣ ـ عن قتادة : أى بل صدّنا مكركم بنا وخداعكم في الليل والنهار حتى أزلتمونا عن عبادة الله ، فتغروننا وتمنوننا و تخبروننا اننا على الهدى ، وانا على كل شيء و كل ما سواه باطل و كذب و إفتراء قال الله تعالى : «وانهم ليصدونهم عن السبيل و يحسبون انهم مهتدون » الزخرف : ٣٧) ٤ ـ عن المبرد : أى بل مكركم الليل و النهار . كما تقول العرب : نهاره صائم و ليله قائم . على الاسناد المجازى . والمعنى : جعلتم ليلكم و نهاركم ماكرين . ٥ـ عن سعيد بن جبير: أى مرّ الليل و النهار عليهم فغفلوا . و قيل : طول السلامة فيهما كقوله تعالى : « فطال عليهم الامد » .

أقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق و خاصة قوله : « إذ تامروننا . . . الخ » من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

و في « أسروا الندامة » أقوال : ١ ـ قيل : أى أظهروا الندامة . و هو من الاضداد إذ يكون بمعنى الاخفاء و الابداء . فأظهر الأتباع الندامة على الضلال و المتبوعون أظهروها على الاضلال تارة و على الضلالة تارة اخرى . ٢ ـ قيل : أى أخفى الأتباع و المتبوعون الندامة في أنفسهم على ما فعلوا من الكفر عن غيرهم خوف الفضيحة و الخزى على نحو ما يجرى بين الناس في الحياة الدنيا .

و إخفائهم الندامة يوم القيامة - و هو يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء - نظير كذبهم على الله و انكارهم الشرك بالله و حلفهم لله كاذبين كل ذلك من قبيل ظهور ملكاتهم الرذيلة التي رسخت في نفوسهم فقدكانوا يسرّون الندامة في الدنيا خوفاً من شماتة الاعداء و كذلك يفعلون يوم القيامة مع ظهور ما أسروا و اليوم يوم تبلى السرائر كما يكذبون بمقتضى ملكة الكذب مع ظهور أنهم كاذبون في قولهم .

٣ - قيل : أى أخفاها كل منهم عن الاخر مخافة الشماتة . فهم أسرّوا الندامة فيما بينهم ، و لم يجهروا القول بها كما قال : «وأسروا النجوى» .

٤ - قيل : أتبينت الندامة في أسرّة وجوههم . ٥ - قيل : ان الندامة لاتظهر، و انما تكون في القلب ، وانما يظهرما يتولد عنها . ٦- قيل : إظهارهم الندامة هو قولهم : «فلوأن لنا كرّة فنكون من المؤمنين» ٧ - قيل : أىأخفى الرؤساء المتبوعون الندامة عن الاتباع المردة في إضلالهم ، فاضمروا الندامة على ما فرط منهم في الحياة الدنيا .

٨ - قيل : أى أقبل بعضهم على بعض يلومه و يظهر ندمه . ٩ - قيل : أى انهم شعروا في أنفسهم وداخل صدورهم بالندامة على ماكان منهم في الحياة الدنيا.

أقول: والاول هوالمروى و قريب منه الثالث .

وفي «أعناق الذين كفروا» أقوال : ١ - عن ابن عباس أى جعلت الجوامع في أعناق التابعين والمتبوعين، فهم يغلون بالاغلال في نار جهنم. ٢-قيل: أى في أعناق غير هؤلاء الفريقين من سائر الكفار . و ذلك لماتمّ الكلام عند قوله : « لما رأوا العذاب » إبتدأ بقوله : « و جعلنا الاغلال » بعد ذلك في أعناق سائر الكفار ٣ - قيل : ان الاطلاق يشمل للمستضعفين والمستكبرين وغيرهم من الكفار .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين ولكن الاخير لايخلو من وجه

٣٧ - (و ما أموالكم و لا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن

وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بماعملوا وهم في الغرفات آمنون)

في قوله تعالى : « الا من آمن وعمل صالحاً » **أقوال** : ١ ـ عن سعيد بن جبير و ابن زيد : أي الا من آمن و عمل صالحاً ، فلن يضره ما له و ولده في الدنيا . فالمقرب هو الايمان و صالح الاعمال و لاتضره الاموال الحلال والاولاد الصالحة . و قال بعض الزهاد : اللهم جنبني المال و الولد المطغيين أو اللذين لاخير فيهما و أما المال الحلال و الولد الصالح للمؤمن فنعم هذا . ٢ـ **قيل : أي** لكن من آمن وعمل صالحاً ، فايمانه و صالح عمله يقربانه مني و **إن كان** ذامال وبنين . ٣ ـ قيل : أي الا من آمن و عمل صالحاً و لم يكن له أموالاً ولاأولاداً فانهما يمنعان المؤمن من التقرب إلى الله تعالى .

٤ ـ قيل : أي ان الاموال و الاولاد تقرب المؤمن عندالله قربى . وقيل : ان الاموال و الاولاد لاتقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي ينفق الاموال في سبيل الله ، و يعلم أولاده الخير و الفقه في الدين . ٥ ـ قيل : أي ان شيئاً من الاشياء لايقرب الا عمل المؤمن الصالح لان ماسوى ذلك شاغل عن الله جل وعلا و العمل الصالح إقبال على العبودية ، و من توجه إلى الله وصل و من طلب شيئاً من الله حصل .

أقول: والاول هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر.

وفي قوله تعالى : « جزاء الضعف » **أقوال** : ١ ـ قيل : ان جزاء الضعف أن يعطي الله تعالى المؤمنين في الاخرة مثل ماكان لهم في الدنيا من النعيم . ٢ـ قيل : جزاء الضعف هي جزاء الحسنة من عشر أمثالها إلى سبعمأة ضعف . ٣ـ قيل: أي لهم جزاء الاضعاف . ٤ ـ عن أبي مسلم : جزاء الضعف هي : جزاء المثل . ٥ ـ قيل : الضعف الزيادة أي لهم جزاء التضعيف و هذا من باب إضافة المصدر إلى المفعول .

أقول: والثاني هوالمروي .

وفي قوله تعالى: « و هم في الغرفات » **أقوال** : ١- قيل : أي لكل واحد منهم غرفة على التساوي . ٢ - قيل : أي لكل واحد منهم غرفات على التساوي.
٣ - قيل : أي لكل واحد منهم غرفة على حسب عمله . ٤ - قيل : لكل واحد منهم غرف حسب عمله . و الغرفة بيت فوق البناء تسمى قبّة عالية .

أقول: و الاخير هو المؤيد بالايات القرآنية .

٣٩ - (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه و هو خير الرازقين)

في قوله تعالى: « قل ان ربى - وما أنفقتم من شيء » **أقوال** : ١ -قيل: أي قل أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء الكافرين المغترين بالاموال و الاولاد : ان الله يوسع على من يشاء و يضيق على من يشاء فلا تغترّوا بالاموال و الاولاد بل أنفقوها في طاعة الله تعالى فان انفقتموه في طاعة الله فهو يخلفه لكم إما في الدنيا بالزيادة وإما في الاخرة بالثواب . فالتكرار للتاكيد السابق. فالخطاب للكافرين.
٢ - قيل : أي قل يا أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم للناس جميعاً من الكافرين و المؤمنين . فالتكرار للتعميم إذ كان الخطاب فيما سبق خاصاً للكافرين . ٣ - قيل : أي قل للمؤمنين . على ان الكلام السابق كان متوجهاً إلى الكافرين . و هذه الاية للمؤمنين ، ففي التكرار فوائد لاتخفى على المتدبر الخبير .

أقول: والاخير هو الصواب اذلاثواب لانفاق الكافرين ولاخلف لهم .

وفي قوله تعالى : « و هو خير الرازقين » **أقوال** : ١ - قيل : و هو خير الرازقين الذين تظنونهم رازقين لكم كقوله تعالى : «و هو أحسن الخالقين» ٢- قيل : ان الصفات على أقسام : منها - ما يتصف به الله تعالى والعبد حقيقة كالعلم والقدرة و السمع والبصر. و منها - ما يتصف به الله تعالى حقيقة و العبد مجازاً.
و منها - ما يتصف به الله تعالى وحده ولايتصف به العبد لاحقيقة و لامجازاً . و الاول كعلمه تعالى بأنه واحد ، و علم العبد بان الله تعالى واحد حقيقة .

و كذلك العلم بان النار حارة ، و الفرق : هو القدم و الحدوث . و الثانی کالرزاق والخالق ، فلان العبد اذا اعطی غیره شیئاً فالله تعالی هو الرازق حقیقة، و العبد المعطی رازق مجازاً کاطلاق الفرس علی ذاته بالحقیقة و علی صورته المنقوشة علی الجدار بالمجاز . و الثالث کصفة الازلیة و القدمیة و الالوهیة . و قیل : و یمکن الرابع و هو عکس الثالث کاطلاق الاستواء و النزول و المعیة و الید و الجنب علی الله سبحانه بالمجاز و علی العبد بالحقیقة.

٣ـ قیل : ان للرزق أسباباً کثیرة کلها علل ناقصة فی حصول الرزق تمّت العلة بمشیئة الله تعالی ، فلو اجتمعت جمیع العلل دون المشیئة لایمکن الحصول، فاذا انضمت بها یحصل لامحالة ، ولا یمکن أن تحصل المشیئة ولاتوجد الاسباب، فالله هو خیر الرازقین کقوله تعالی : « هل من خالق غیر الله یرزقکم من السماء والارض لااله الاّ هو» فاطر: ٣)

٤ ـ قیل : أی خیر ممن تنظرون إلیه من وسائط الرزق ، و مما تعدّونه وسائط الرزق من الأسباب السماویة و الارضیة ، و من القوی العمالة فی ایصال الرزق ، فکل من کان غیر الله تعالی من أسباب الرزق لیس إلاّ آلة ایصال الرزق و الرازق الحقیقی هو الله تعالی ، فالله جل و علا اعطی المرتزق أسباب الارتزاق، و آلاتها ، و اعطی الرزق الصوری صورة و کیفیة بها یرتزق المرتزق ، و هو الذی یعطی الرزق بغیر عوض و لا غرض و لامنة بخلاف غیره من وسائط الرزق.

أقول: و علی الثانی أکثر المحققین .وأما القول باشتراك بعض الصفات بین الله تعالی و بین العبد فمن باب الاشتراك فی اطلاق لفظ الصفة علی الله جل وعلا و علی العبد ، و إلاّ فحقیقة الصفة لله تعالی غیر حقیقة الصفة للعبد ، حیث ان صفة العلم لله جل وعلا غیر صفة العلم لنا المخلوقین کاطلاق الشمس علی الجرم المنیر، و علی ما فی المرآة .

فالله تعالی هو خیر من یعطی ویرزق لان کل ما رزق غیره من سلطان یرزق

جنده ، أوسيّد يرزق مملوكه ، أورجل يرزق عياله . . . فهومن رزق اللّٰه جل و علا أجراه اللّٰه تعالى على أيدى هؤلاء ، وهو تعالى رازق حقيقة لارازق سواه .

٤١ - (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون)

فى «الجن» أقوال : ١- قيل : الجن هم الشياطين من ابليس وقبيله وذريته وأعوانه . . . وان المشركين كانوا يعبدونهم و يطيعونهم فيما يدعونهم إليه من الشرك باللّٰه سبحانه على صوره المختلفة ، والانهماك فى الشهوات و المعاصى والايمان بغير اللّٰه بسبب وسوستهم وإغوائهم . ٢- الجن هم الذين كان المشركون يعوذون بهم و يعدّونهم من مبادىء الشرور فى العالم، فيعبدونهم اتقاء من شرورهم كما كانوا يعبدون الملائكة طمعاً فى خيراتهم لما انهم مبادىء للخيرات و يعبدون الاصنام والاوثان وغيرها من الالهة ليقربوهم إلى اللّٰه زلفى .

٣- قيل : الجن هى التى كان المشركون يدخلونها فى أجواف الاصنام فيعبدونها بالعبادة لها .

أقول: وعلى الثانى جمهور المحققين .

٤٢ - (فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعاً ولاضراً و نقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون)

فى قوله تعالى : «لايملك بعضكم لبعض نفعاً و لاضراً» فى الخطاب أقوال :

١- قيل : خطاب للملائكة . والمعنى: فيوم القيامة لايملك بعضكم أيها الملائكة للذين كانوا فى الدنيا يعبدونكم نفعاً ، ولاهم ينفعونكم بعبادتهم ، ولاضراً ينالونكم به ولاتنالونهم به . وقيل : أى لاتملك الملائكة دفع ضرّ عن عابديهم ، ولاجلب منفعة لهم . ٢- قيل : خطاب للكفار والملائكة جميعاً وإن كان الكفار غائبين كما تقول لمن حضر عندك ولمن شاركه فى أمر بسببه : أنتم قلتم كذا على معنى : أنت قلت وهم قالوا . ويحتمل أن يكون الكفار حاضرين . فالخطاب لهم وللملائكة

الذين كانوا هم يعبدونهم وهم جميعاً حاضرون . ٣ـ قيل: خطاب لكفار من التابعين المستضعفين ، والمتبوعين المستكبرين لان ذكر اليوم يدل على حضورهم .

والمعنى : فيومئذ لايقع لكم أيها المشركون المستكبرون والمردة نفع ممن كنتم ترجون نفعه من الاوثان والاصنام و الآلهـة الذين إدخرتم عبادتهم لشدائدكم و كروبكم وأن تقربوا إلى الله زلفى . وذلك لان الامر في ذلك اليوم لله الواحد القهار لايملك أحد فيه منفعة لاحـد ولامضرة له . و قيل : أي لايملـك بعضكم لبعض يعني المعبودين المتبوعين نفعاً للعابدين التابعين بالشفاعة، ولاضراً بالتعذيب .

أقول: وعلى الاخير أكثر المفسرين .

٤٣ ـ (و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يـريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم و قالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين)

في القائلين في قوله تعالى : «قالوا ــ مرتين ـ وقال الذين كفروا» أقوال : قيل : انهم جميعاً كانوا يقولون تارة بالاولى، وتارة اخرى بالثانية، وثالثة بالثالثة. ٢ـ قيل : هم طائفتان : طائفة قالوا : «ما هذا إلاّ رجل» و«ما هذا إلاّ إفك مفترى» وطائفة آخرون قالوا : «إن هذا إلاّ سحر مبين» ٣ـ قيل : هم طوائف ثلاث : طائفة قالوا بالاول ، وطائفة قالوا بالثاني ، وطائفة قالوا بالثالث .

أقول: ولكل وجه ولكن الاوجه هو الاول .

وفي «ما هذا إلاّ إفك مفترى» أقوال: ١ـ قيل :أي هذه الدعوة إلى التوحيد والعبادة لله وحده وإلى إبطال الشرك إلاّ كذب مختلق . ٢ـ قيل : أي ليس مـا يتلوه علينا ويدّعي انه قرآن نزل عليه الاّ كلام مصروف عن وجهه لامصداق له في الواقع ، مفترى باسناده إلى الله تعالى . ٣ـ قيل : أي ليس ترك عبـادة الالهـة الاّ كذب مصروف عن وجهه .

أقول: والثانى هوالانسب بظاهرالسياق .

وفى «للحق» أقوال : ١ـ قيل : أى لأمرالنبوة . ٢ـ قيل : أى لامر الاسلام ٣ـ قيل : أى القرآن . ٤ـ قيل : أى المجموع .

أقول: والثالث هوالظاهر.

٤٥ـ (وكذبالذين من قبلهم ومابلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير)

فى «وما بلغوا معشارماآتيناهم» أقوال : ١ـ عن ابن عباس و قتادة و ابن زيد : أى لم يبلغ قومك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عشرما أعطينا الذين من قبلهم من الامم الماضية ، من القوة والأيد والبطش وغيرذلك من النعم . ومعشارالشيء : عشره . فالمعشار: عشرالعشر. والمعنى : ان المشركين من قومك إذا لم يبلغوا معشار الاقدمين ، فكيف يكذبونك .

٢ـ قيل : أى ما بلغ أهل مكة من مشركى قريش و غيرهم من العرب عشرما آتينا الامم السابقة من القوة و كثرة المال وطول العمروالسلطة و البطش والنعمة كقوم عاد وثمود ونوح ومن إليهم من الامم الماضية ، فلما طغوا أهلكناهم فكيف بمشركى العرب . قيل : المعشاروالعشر سواء .

٣ـ قيل : أى ما بلغ من قبلهم معشارما آتينا هؤلاء من البينات والهدى . والمعنى : ما أعطى الله تعالى الامم الماضية معشارما أعطى المشركين من البيان والعلم والحجة والبرهان ، فلما كذبت الامم السابقة بما أعطاهم الله أهلكهم فكيف هؤلاء المشركون اذا كذّبوا بما اعطيناهم من البينات والحجج والبراهين والعلوم الكثيرة . و قال ابن عباس أيضاً : فليس امة أعلم من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا كتاب أبين من كتابه لان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أفصح الرسل وأشرفهم ودينه أكمل الاديان و كتابه أوضح الكتب. وقيل : المعشارهو عشرالعشير، والعشير هو عشر العشر فيكون جزءاً من ألف جزء ، والمراد به المبالغة فى التقليل .

٤- عن النقاش : أى ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ، وللثالث وجه وجيه فتأمل واغتنم جداً.

وفي قوله تعالى : «فكيف كان نكير» أقوال : ١- قيل : أى فكيف كان قصاصي وعقابي وعاقبة إنكارى وتكذيب آياتي ورسلي و غضبي على المكذبين و مكافاتي في الحياة الدنيا بالكافرين العاصين قبل عذابي لهم في الآخرة . ٢- قيل: أى عقوبتي بتغيير نعمنا عنهم بسبب ما غيّروها من الكفر والكفران . ٣- عن أبي مسلم : أى انظر في آثارهم كيف كان إنكارى عليهم بالهلاك وما حلّ بهم من الدمار والاستئصال. ٤- قيل : أى فكيف كان عقوبتي في الامم الماضية وتغيير حالهم.

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها .

٤٦ - (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد)

في «بواحدة» أقوال : ١- عن مجاهد: أى بطاعة الله تعالى . ٢- عن مجاهد أيضاً وابن عباس والسدى : أى اوصيكم بكلمة واحدة وهى كلمة التوحيد وهى الشهادة بان لاإله إلاّ الله . وهى كلمة مشتملة لجميع الكلام من نفى الشرك و اثبات التوحيد ، ومن ترك الطغيان ، والالتزام بلوازم الايمان . ٣- قيل : أى بالقرآن لانه يجمع كل المواعظ . ٤- قيل : أى بحسنة واحدة .

٥ - قيل : أى بخصلة واحدة وهى أن تقوموا لله . فالمصدر المنسبك ، عطف بيان للواحده . والمعنى : انما أعظكم بواحدة فيها اصابتكم الحق وخلاصكم ، وهى أن تقوموا لوجه الله تعالى متفرقين إثنين إثنين أم واحداً واحداً ثم تتفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم و ما جاءكم به . و ذلك لان ما فوق الاثنين و الاجتماع والغوغاء قد يشوّش الفكر ويوجب اختلاف الرأى ، ويغلب الشهوة على العقل ، وان الغوغاء والاجتماعات العامة لاشعور لها ، ولافكر، و كثيراً ما تميت الحق و تحيي الباطل ، ويختلط فيها الحابل والنابل ، وتسود فيها الاهواء ، وتضعف فيها

قوة المنطق، ولايؤدّى الجدال فيها إلى نتيجة حاسمة ومرضية.

وان الزعماء الذين تولوا كبر المعارضة والتعطيل بدافع الاستكبار والمكر السيىء يتوخون الغوغاء والاجتماعات العامة.

وان الامر العظيم فى حاجة شديدة إلى الفكر والتعقل، وهذا لايمكن مع الغوغاء والاجتماعات العامة، وأما الاثنين، فيعرض كل من الاثنين محصول فكره على صاحبه من غير عصبية ولا اتباع هوى، وكذلك الفرد يفكر فى نفسه بعدل ونصفة.

أقول: وعلى الاخير جمهور المحققين.

وفى «أن تقوموا لله» قولان: أحدهما - قيل: اريد بالقيام قيامهم عن مجلس النبى صلى الله عليه وآله وسلم متفرقين إلى أوطانهم. فالقيام حقيقة. ٢- قيل: اريد بالقيام الاهتمام بالامر والنهوض له بالعزم والجد، والاقبال على أمر الرسالة مناظراً مع غيره ومتفكراً فى نفسه فيما جاء به النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

أقول: وعلى الثانى جمهور المفسرين.

وفى قوله تعالى: «مثنى وفرادى» أقوال: ١ - عن السدى: أى مجتمعين ووحداناً. ٢ - قيل: أى مشاوراً لغيره، ومنفرداً برأيه. والمعنى: اثنين اثنين وواحداً واحداً. ٣ - عن القتبى: أى مناظراً مع غيره ومفكراً فى نفسه. ٤ - عن الماوردى: ان المثنى عمل النهار والفرادى عمل الليل لانه فى النهار معان، وفى الليل وحيد. ٥- قيل: انما قال تعالى: «مثنى وفرادى» لان الذهن حجة الله تعالى على العباد وهو العقل، فأوفرهم عقلاً أوفرهم حظاً من الله تعالى، فاذاكانوا فرادى كانت فكرة واحدة، واذاكانوا مثنى تقابل الذهنان، فتراءى من العلم لهما ما أضعف على الانفراد.

٦- قيل: إشارة إلى جميع الاحوال لان الانسان إما أن يكون مع غيره أولاً فكأنه قال: أن تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لاتمنعكم الجمعية عن ذكر الله،

ولايحوجكم الانفراد إلى معين يعينكم على ذكرالله .

أقول: وعلى الثانى أكثرالمفسرين .

وفى قوله تعالى : «ما بصاحبكم من جنة» أقوال: ١ـ قيل: أى ثم تتفكروا من غير تصديق بلاتصور، وأنتم فى فسحة من ذلك ، ولانأخذكم بالعقاب عندئـذ حتى تعلموا ما بصاحبكم من جنة . فـالمجرور متعلق بما قبله . ٢ـقيل : أى ثم تتفكروا أىّ شيء به من آثارالجنون . على أن «مـا» استفهامية . ٣ـ قيل : أى ثم تتفكروا هل جرّبتم على صاحبكم كذباً ، أورأيتم فيه جنة أو فى أحواله من فساد ، أواختلف إلى أحد ممن يدّعى العلم بالسحر أوتعلّم الأقاصيص وقرأ الكتب، أوعرفتموه بالطمع فى أموالكم أوتقدرون على معارضة فى سورة واحدة ، فاذا عرفتم بهذاالفكر صدقه ، فما بال هذه المعاندة ؟

أقول: والاخيرهوالانسب بظاهرالسياق ، وفى معناه الاول فتدبرجيداً .

وفى قوله تعالى : «بين يدى عذاب شديد» أقوال : ١ـ قيل : اشارة إلى عذاب قريب كأنه قال: ينذركم بعذاب يمسّكم قبل عذاب يوم القيامة . ٢ـقيل: إشارة إلى عذاب النار يوم القيامة . و انما جعل إنذاره بين يدى العذاب لان محمداً ﷺ مبعوث قرب الساعة كما جاء فى الحديث : « بعثت أنا و الساعة جميعاً وإن كانت لتسبقنى» .

٣ـ أقول : والتعميم غيربعيد من سياق الاطلاق .

٤٧ ـ (قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهوعلى كل شيء شهيد)

فى «ما سئلتكم من أجرفهولكم» أقـوال : ١ـ قيـل : ان النبـى ﷺ لم يسئلهم أجراً لامرالرسالة أصلاً . كمـا يقول الرجـل لصاحبـه : إن أعطيتنى شيئاً فى ذلك الامر فخذه . وهويريد انه لم يعطه وهولم يأخذ منه فيه شيئاً . و منه : الفصح مجان . فالمعنى : لا أسئلكم على تبليغ الرسالة شيئاً من عـرض الـدنيا

فتتهمونى، و ما طلبته منكم من أجر عليه فهو لكم ، فلم أسئلكم عليه أجراً حتى أكون بموضع تهمة باننى انما أدعوا إلى ما أدعو إليه ، ابتغاء كسب مادى لذات نفسى . . انها دعـوت بريئة من كل غرض شخصى ، خالصة من كل مؤنة تحملونها من أجلها .

و ذلك لان العاقل لا يركب العناء الشديد إلاّ لغرض عاجل ، و هو غير موجود ههنا بل كل أحد يعاديه و يقصده بالسوء ، أو لغرض آجل ولايثبت الاّ على تقدير الصدق ، فان الكاذب معذّب فى الاخرة لا مثاب .

٢ ـ قيل : أراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم أجراً فى تبليغ الرسالة ولكن ما فى قوله تعالى : « لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة فى القربى » وقوله تعالى: « ما أسئلكم عليه من أجر الاّ من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً » لان المودة فى القربى قد انتظمته و إياهم ، و كذا اتخاذ السبيل إلى الله تعالى ، و فيه نصيبهم و نفعهم .

٣ ـ عن الماوردى : أى إن أجر ما دعوتكم إليه من إجابتى و ذخره هو لكم دونى . فان يكن هناك أجر و خير فى هذه الدعوة فهو لكم ، و أما أنا فان أجرى على الله تعالى ، فيعطينى ما شاء ، فأنا أحمل رسالته إليه خالصة ، ولا آخذ منكم على هذا الحمل أجراً .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين، ولكن الثانى هوالمروى وهوالصواب، و غيره لا يخلو أيضاً من وجه .

٤٨ ـ (قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب)

فى « يقذف بالحق » أقوال : ١ ـ عن قتادة : أى يلقى بالوحى . وعنه أيضاً: أى يلقى القرآن . ٢ ـ قيل : أى يبيّن الله تعالى الحجة و يظهرها . ٣ ـ عن ابن عباس و ابن زيد : أى يدمغ الباطل بالحق ، فيهلك الباطل و يزيل آثاره ، و يثبت الحق و يشيعه فى الآفاق . . . و ذلك لان براهين التوحيد و أدلة البعث والجزاءِ قد ظهرت ، و شبه المبطلين والشاكين قد دحضت .

٤ ـ قيل : أى يلقى الله تعالى الحق فى قلوب أهله . ٥ ـ قيل: أى يلقى الله جل و علا الاسلام فى قلوب المسلمين . ٦ ـ عن قتادة أيضاً و مقاتل : أى يلقى الله تعالى الحق إلى أنبيائه عليهم السلام .

أقول: والثالث هو الانسب بظاهر السياق و قريب منه الاول والثانى .

٤٩ ـ (قل جاء الحق و ما يبدىء الباطل و ما يعيد)

فى « الحق » أقوال : ١ـ عن قتادة والنحاس : أى جاء الوحى وهو القرآن الكريم الـذى فيه البراهين والحجج . ٢ ـ قيل : أى جاء صاحب الحق . على حذف المضاف . ٣ـ قيل : الحق هو رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم و نبوته . ٤ ـ قيل: الحق هو الاسلام . ٥ ـ عن ابن مسعود : الحق هو الجهاد بالسيف . ٦ ـ قيل : الحق هى المعجزات الدالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم . ٧ ـ قيل : الحق هو بيان التوحيد والحشر والحساب والجزاء و كلما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الاصول والفروع . . .

٨ ـ قيل: اريد بمجيىء الحق ظهور الحق . ٩ ـ قيل: الحق هو التوحيد .

١٠ ـ قيل : اريد بان الحق قوىّ ظاهر والباطل ضعيف مستور ، و لم يبق له بقية يقوّى بها ضعفه ، وينجبر بعد وهنه أى ما تقوم له قائمة فى بدءٍ و لا عود .

أقول: والسياق يؤيد الاول .

و فى « الباطل » أقوال : ١ ـ قيل : الباطل هو عبادة الاصنام والاوثان ، فذهبت ذهاباً لم يبق منها إقبال و إدبار ولا إبداء ولا إعادة منها . ٢ـ قيل: كلما يقابل الحق و ينافيه فهو الباطل . ٣ ـ عن قتادة : الباطل ههنا ابليس لعنه الله تعالى ٤ ـ قيل : الباطل هو الكفر والشرك بالله سبحانه .

أقول: والاول هو المؤيد برواية عبدالله بن مسعود فانتظر .

وفى قوله تعالى: « ومايبدىء الباطل ومايعيد » أقوال : ١ـ عن الحسن : أى لا يبدىء ابليس لاهله و أتباعه خيراً فى الدنيا و لا ينفعهم فى الاخرة . ٢ ـ

قيل : أي لا يخلق ابليس أحداً ولاينشيء خلقاً ولايعيد أحداً بعد فناءه . وقيل : لا يعيد ابليس أتباعه حياً بعد فنائهم . و انما المنشيء والباعث هو الله تعالى . و قيل : ان ابليس هو صاحب الباطل و هو هالك .

٣ ـ عن الزجاج : أي أيّ شيء ينشيء ابليس و يعيده . على أن « ما » استفهامية . ٤ ـ قيل : ان هذا مثل في الهلاك لان الحيّ إما أن يبدىء فعلاً أو يعيده ، فاذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة . ٥ ـ قيل : ان الباطل لايخلق أصلاً و لا يعيده ثانية ، فليس للباطل أصل و لا دوام و لا بقاء و لا قرار أمام الحق .

٦ ـ قيل : ان الحق هو الموجود الثابت ، و لما كان ما جاء به النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من بيان التوحيد والرسالة والحشر ثابتاً في نفسه، بيناً لمن نظر إليه كان جائياً ، و حين كان ما أتوابه من الاضرار والتكذيب مما لا أصل له قيل : انه لا يبدىء و لا يعيد . أي لا يعيد شيئاً لا في الاول ولا في الاخر . ٧ ـ قيل : و ما يبدىء ابليس الباطل و لا يعيده بعد زواله و فنائه .

٨ ـ قيل : أي ما يظهر الباطل أمراً ابتدائياً جديداً بعد مجييء الحق ، و ما يعيد أمراً كان قد أظهره من قبل إظهاراً ثانياً بنحو الاعادة فهو كناية عن بطلان الباطل و سقوطه عن الأثر من أصله بالحق الذي هو القرآن .

٩ـ قيل: أي ان الباطل كان عند غلبة الحق وظهوره بمنزلة الواجم الساكن الحائر الذاهل الذي لا قدرة له على الحجاج ، ولا قوة له على الانتصار كقولهم : سكت فما أعاد و لا أبدى عند وصف الانسان بالحيرة و غلبة الفكرة ١٠ـ قيل: أي صاحب الباطل لايبديء ولايعيد عند حضور صاحب الحق ضعفاً عن حجاجه ، و ضلالاً عن منهاجه . فجعل المضاف ههنا في موضع المضاف إليه .

أقول: ولكل وجه ولكن الاوجه هو الثامن .

٥١ ـ (و لو ترى اذ فزعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب)

في قوله تعالى : « ولوترى إذا فزعوا » أقوال: ١ـ عن ابن عباس والضحاك

وقتادة : أى لو ترى حين فزع المشركون فى الحياة الدنيا عند نزول الموت إذا رأوا بأس الله تعالى عند معاينة الملائكة لقبض أرواحهم . ٢ ـ عن قتادة أيضاً و الحسن : أى حين فزعوا فى القبور من الصيحة . وعنه أيضاً وذلك الفزع انماهو اذا خرجوا من قبورهم .

٣ ـ عن ابن مغفّل : أى إذا عاينوا عقاب الله تعالى يوم القيامة و حلول العذاب بهم . ٤ ـ عن الضحاك أيضاً والسدى و ابن زيد : هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيوف الملائكة ، فلم يستطيعوا فراراً من العذاب و لارجوعاً إلى التوبة . و هم قتلى المشركين من أهل بدر و هم الذين بدّلوا نعمة الله كفراً و احلوا قوم دارالبوار جهنم .

٥ ـ عن سعيد بن جبير: هو الجيش الذى يخسف بهم من البيداء، فيبقى منهم رجل ، فيخبر الناس بما لقى أصحابه ، فيفزعوا فهذا هو فزعهم . ٦ ـ قيل : أى حين البعث . ٧ ـ قيل : أى حين نزول نقمة الله تعالى بهم فى الدنيا .

أقول: والخامس هو المروى ولكن الاية لاتأبى الانطباق على الاقوال ...

وفى قوله تعالى : « فلافوت » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس : أى فلا نجات. ٢ ـ عن الضحاك و مجاهد : أى فلا مهرب . ٣ ـ قيل : أى لن يفوت لنا ولايلفت منهم أحد .

أقول: والاخير هو الظاهر، والاخران من لوازم المعنى .

وفى قوله تعالى : « و اخذوا من مكان قريب » أقوال : ١ ـ قيل : أى و اخذ هؤلاء المشركون من بطن الارض إلى ظهرها . ٢ ـ قيل : أى اخذوا من ظهر الارض إلى بطنها . ٣ ـ قيل : أى اخذوا يوم القيامة من الموقف إلى النار. ٤ ـ قيل : أى اخذوا من صحراء بدر إلى قليبها . ٥ ـ قيل : أى اخذ من تحت أقدامهم اذا خسف بهم . ٦ ـ قيل : أى اخذوا من القبور . ٧ ـ قيل : أى اخذوا من حيث كانوا فهم من الله قريب لايعزبون عنه و لايفوتونه .

٨ - عن إبن عباس : نزلت فى ثمانين ألفاً يغزون فى آخرالزمان الكعبة ليخربوها ، و كما يدخلون البيداء يخسف بهم فهو الاخذ من مكان قريب .

٩- قيل : أى قبضت أرواحهم فيأماكنها ، فلم يمكنهم الفرار من الموت.

١٠ - قيل : أى اخذوا من شفا حفرة جهنم فالقوا فيها .

أقول: والثامن هو المروى .

٥٢ - (و قالوا آمنا به و أنى لهم التناوش من مكان بعيد)

فى « وقالوا آمنا به » أقوال : ١ - عن مجاهد وابن زيد : أى قال الكافرين يوم القيامة حين رأوافزعها و عذابها : آمنا بالله . ٢ - قيل : أى قالوا يومئذ : آمنا بالقرآن . ٣ - عن الحسن : أى قالوا يومئذ : آمنا بالبعث و الحساب و الجزاء . ٤ - عن قتادة : أى قالوا عند رؤية البأس و النقمة و حلولها بهم فى الحياة الدنيا : آمنا بمحمد رسول الله ﷺ ٥ - قيل : أى قالوا عند الخسف : آمنا بالحق . كما ورد فى حديث السفيانى .

أقول: والاخيرهو المروى من غيرتناف بينه و بين الاقوال الاخر.

وفيقوله تعالى : « و أنى لهم التناوش من مكان بعيد » أقوال : ١ - عن ابن عباس و مجاهد و الضحاك : التناوش : الرد و الرجعة . فالكافرون يطلبون الرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا و هيهات من ذلك ، و قد بعدت عنهم ، فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولها . ٢ - قيل : أى من أين لهم أن يتناولوا بالايمان و ينتفعوا به فى الآخرة حين رأوا العذاب ، و قد بعد عنهم بكفرهم و طغيانهم فى الحياة الدنيا ، فذهب وقت وأوان الطاعة قال الله تعالى : «يوم لاينفع نفساً ايمانها».

٣ - عن السدى : التناوش : التوبة . فهم يطلبون التوبة و قد بعدت عنهم لانه انما تقبل التوبة فى الحياة الدنيا . فتناولهم التوبة و ايمانهم فيالآخرة بعيد عن الدنيا ، فان أمس الدابر لايعود ، و إن كانت الاخره قريبة من الدنيا ، و لهذا سماها الله تعالى الساعة و كل ماهو آت قريب .

٤ ـ قيل: أى من أين لهم أن يتنالوا الايمان سهلاً قريباً ، وهو بعيد عنهم ولم يكونوا يتناولونه عن قريب في حال الاختيار، والانتفاع بالايمان وقد كفروا به في الدنيا . و هم من مكان بعيد من الاخرة . وقيل: لم يرد بعد المكان ، وانما أراد بعد انتفاعهم بذلك و بعدهم عن الحق والصواب .

٥ ـ قيل : التناوش هو تناول سهل لشيء قريب ، مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من بعيد كما يتناوله الاخر من قريب تناولاً سهلاً لاتعب فيه . ٦ ـ قيل : التناوش بلغة اليمن : التذكرة . ٧ ـ قيل : التناوش : التمسك . والمعنى : و أنى لهم التمسك بالايمان و هم في الاخرة دار الجزاء ، و هي أبعد بعيد من دارالتكليف و هي الدنيا . ٨ ـ قيل : أى و أنى لهؤلاء الكافرين عند حلول النقمة و بأس الله تعالى بهم التناول بالايمان وقد مضى وقته وفات أوانه .

أقول: والاخير هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر .

٥٣ ـ (و قد كفروا به من قبل و يقذفون بالغيب من مكان بعيد)

في « قد كفروا به » أقوال : ١ ـ قيل : أى و قد كفروا بالله تعالى . ٢ ـ قيل : أى و قد كفروا بمحمد رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم . ٣ ـ عن قتادة : أى وقد كفروا بالايمان في الحياة الدنيا .

أقول: ان الكلام في الضمير في « به » هو الكلام في ضمير « آمنا به » .

وفي «ويقذفون بالغيب» أقوال: ١ ـ عن مجاهد: أى يرمون في محمد صلى الله عليه وآله وسلم و ما جاء به من الحق فيقولون : انه ساحر شاعر كاهن مجنون كذاب . و هذا تكلم بالامر الخفي ، و قد أتوا به من جهة بعيدة عن حاله صلى الله عليه وآله وسلم لانهم قد عرفوا منه الامانة والصدق و كمال العقل لا الخيانة والكذب ، و لا الزور والجنون . فهم يرجمونه صلى الله عليه وآله وسلم بما لم يأتهم كتاب من الله تعالى و لا دليل ظاهر من نفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم يدل على ما يرمونه به . فيقول بعضهم : انه ساحر ، و بعضهم : انه شاعر من غير يقين و لا دليل لهم في ذلك . و جعله قذفاً لخروجه في غير حق ،

فانه ﷺ كان بريئاً منها .

٢- عن قتادة : أى يرمون بالظن الكاذب ، فيتكلمون بما لم يظهر لهم فى أمر الاخرة من قطع القول بنفيه فيقولون : لا بعث و لا نشور و لا جنة و لا نار « وما نحن بمعذبين » رجماً منهم بالظن ، بل هذا أبعد ما يكون من الظن . وهم يبعدون أمر الاخرة ، فيقولون لاتباعهم : هيهات هيهات لما توعدون، وذلك كالشيء يرمى فى موضع بعيد المرمى .

٣ ـ قيل : أى هم قالوا : ربنا أبصرنا و سمعنا فارجعنا نعمل صالحاً و هو قذف بالغيب من مكان بعيد وهو الدنيا . ٤- عن ابن زيد: أى يرمون فى القرآن ، فيقولون : انه سحر و كذب و شعر و أساطير الاولين . ٥ ـ قيل : أى أخذوا الشريك من حالهم فى العجز ، فانهم يحتاجون فى الامور العظام إلى التعاون ، فقاسوا الامر الالهى عليه . ٦ ـ قيل : أى انهم يقذفون بالظن ان التوبة تنفعهم يوم القيامة عن مكان بعيد . ٧ ـ قيل: انهم يحسبون العبادة للاصنام متمنين انهم يشفعون لهم يوم الحساب .

٨ ـ قيل: أى قاسوا أمر الاخرة على الدنيا قائلين إن كان الامر كما تصفون من قيام الساعة و حصول الثواب والعقاب ، فنحن أكرم على الله من أن يعذبنا .

٩ـ قيل: أى انهم لما قاسوا قدرة الله على قدرتهم عجزوا عن إحياء الموتى فظنوا ان الله لا يقدر على البعث و قياس الخالق على المخلوق بعيد الماخذ .

أقول: والاول هو الانسب بما سبق من قول المختار فتأمل جيداً .

و فى قوله تعالى : « من مكان بعيد » أقوال : ١ ـ قيل : هذا تمثيل لمن يرجم ولايصيب . ٢ ـ قيل : أراد البعد عن القلب أى من مكان بعيد عن قلوبهم .

٣ ـ قيل : أى ان الله تعالى بعّد لهم أن يعلموا صدق محمد ﷺ .

أقول: و على الاول أهل البيان .

٥٤ ـ (و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم

كانوا فى شك مريب)

فى قوله تعالى : « و حيل بينهم وبين ما يشتهون » أقوال: ١- عن الحسن: أى حيل بين المكذبين الكافرين و بين الايمان بالله تعالى والانتفاع به حين فزعوا فلا سبيل لهم إليه يومئذ . ٢- عن مجاهد : أى حيل بينهم وبين مايشتهون من الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا حين عاينوا ما عاينوا . فحيل بينهم وبين التوبة و قد منعوا منها .

٣ ـ عن الجبائى : أى بينهم و بين ما يشتهون إليه يوم القيامة من الجنة و نعيمها . ٤ ـ عن أبى مسلم : أى فرّق الله تعالى بينهم و بين ما يشتهون من اللذائذ المادية والدنيوية بالموت الذى صلّ بهم كما حلّ بأمثالهم . ٥ ـ قيل : أى حيل بينهم و بين رجوعهم إلى الحياة الدنيا و نعيمها و زهرتها .

٦ ـ عن مجاهد أيضاً و ابن زيد : أى و حيل بينهم و بين ما يشتهون من مال و أهل و ولد و صديق و من زهرة الدنيا التى كانوا فيها منهمكون . ٧ ـ قيل: أى و حيل بينهم وبين النجاة من العذاب و بأس الله تعالى وحلول النقمة بهم .

٨ ـ عن قتادة : أى انهم كانوا يشتهون لما رأوا العذاب و عاينوه أن يقبل أن يطيعوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويأتمروا بما أمرهم الله به وينتهوا عما نهاهم الله جل و علا عنه ، فحيل بينهم و بين ذلك لان ذلك انما كان فى الدنيا ، و قد زالت فى ذلك الوقت . ٩ ـ قيل : أى منعوا وحجبوا من كل مشتهى ، فيلحق الله تعالى فيهم النفار ، فلا يدركون شيئاً الا و يتألمون به .

أقول: و على الاول أكثر المحققين .

و فى قوله تعالى : « كما فعل بأشياعهم من قبل » أقوال : ١ ـ قيل : أى كما فعل بأمثالهم من الكفار وأشباههم فى الكفر. ٢ـ عن الضحاك: اريد بأشباههم أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبة . ٣ ـ قيل : أى بموافقيهم فى الشرك بالله تعالى والكفر بآياته و رسوله و إنكار البعث والحساب والجزاء والانهماك

في الشهوات من الامم الماضية حين لم تقبل منهم التوبة وقت رؤية البأس والعذاب، و عند حلول النقمة والعقاب.

أقول: والاخير هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر.

وفي قوله تعالى: « انهم كانوا في شك مريب » أقوال: ١ ـ قيل: أي كان المشركون في شك من أمر الرسل والبعث والحساب والجنة والنار. ٢ـ قيل: أي كان المشركون في شك فيما جاءهم به النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من الحق الذي نزل إليه، وقد تغلغل الشك في قلوبهم حتى صاروا مرتابين في كل مايتلو عليهم من آيات الله تعالى و يخبرهم به، و لا يطمئنون إلى شيء.

٣ـ قيل: أي انهم كانوا في شك من نزول العذاب الذي نزل بهم وعاينوه، وقد أخبرهم به النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بانهم اذا لم ينيبوا مما هم عليه من الشرك و عبادة الاوثان. و من تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والطغيان ان الله تعالى مهلكهم، ومحلّ بهم عقوبته في عاجل الدنيا بالهلاك والدمار، وآجل الاخرة بالنار والعذاب.

أقول: والثاني هو الانسب بما اخترناه في الايات الاربعة المؤيدة بالروايات الاتية فتأمل جيداً.

﴿التفسير و التأويل﴾

١ - (الحمد لله الذى له ما فى السموات و ما فى الارض و له الحمد فى الاخرة و هو الحكيم الخبير)

الحمد كله لله تعالى وحده فى كل وقت وعلى كل حال ، حمداً تاماً للمعبود الذى له مافى السموات وما فى الارض ملكاً وخلقاً وتصرفاً بالايجاد والاعدام، و الاحياء و الاماتـة ، فجميع ما وجد فيهما داخلاً فى حقيقتهما أو خارجاً عنهما متمكناً فيهما ، فكأنه قيل : الحمد كله لله وحده لان العالم كله له وحده ، وانه مالك الملك و ليس لاحـد معه شىء فيهما من شرك ، فله جل و علا كل شىء فيهما ، فلا مالك لشىء سواء فى هذا الكون العريض و العالم الواسع ، لاشريك له فى الوجود والايجاد والتدبير ولالأحد يمنعه من التصرف ولا الاعتراض عليه.

كل ذلك نعـم إلهية أعطاها الله تعالى الانسان أو جعلها أسباباً اوصوله إلى الكمال و السعادة ، و لنيله إلى النعم الاخرى الابدية ، فهو جل وعلا وحده جدير أن يحمده الانسان ويثنى عليه لاجل تلك النعم ثناء جميلاً و حمداً شاملاً لكل ما أنعمه عليه من النعم الظاهرة و الباطنة ، من النعم المتصلة والمنفصلة ، و من النعم المادية الدنيوية و المعنوية الاخروية ، و هو وحده يليق بان يحمد ويشكر عليه حمداً كاملاً من المخلوق المملوك الفقير لله المعبود الخالق المالك الحميد الغنى بالذات ، فله الحمد بالصفات الرحمانية فى الحياة الدنيا .

فله وحده الحمد كله على تمام نعمته التى وسعت كل شىء ، و انه وحـده

محمود لذاته ، و لو لم يقم بحمده أحد من خلقه ، و هو جل و علا محمود فى هذا الوجود الذى يسبح بحمده كل شيء ، محمود من شتى الخلائق ولو شذّ البشر عن سائر خلقه .

قال الله تعالى: « و له الحمد فى السموات والارض وعشياً وحين تظهرون » الروم: ١٨) .

و قال : « له الملك و له الحمد وهو على كل شيء قدير » التغابن : ١) .

و قال : « و قل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك و لم يكن له ولى من الذل و كبّره تكبيراً » الاسراء : ١١١) .

وقال: « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد » فاطر:١٥).

و قال : « و ان تكفروا فان لله ما فى السموات و ما فى الارض و كان الله غنياً حميداً » النساء : ١٣١) .

وقال: « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به و يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة و علماً » غافر : ٧) .

و قال : « تسبح له السموات السبع والارض و من فيهن و إن من شيء إلاّ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » الاسراء : ٤٤) .

وقوله تعالى : « وله الحمد فى الآخرة » : ولله تعالى وحده الحمد الذاتى الاخرى فى دار الاخرة ، فيحمده الانسان المطيع المخلص ، والانسان المؤمن الكامل لما ينال من الثواب والتفضل و نعيم الجنة ، و ان الاخرة و ان لم تكن دار تكليف ، ولكن لا يسقط فيها الحمد والاعتراف بنعم الله تعالى .

فيختص جميع أفراد الحمد بالله جل و علا ، فهو وحده محمود فى الاخرة بالصفات الرحيمية كما انه المحمود فى الحياة الدنيا بالصفات الرحمانية ، و له الملك يوم القيامة كما انه مالك الملك فى الحياة الدنيا ، فيتمحّض له الحمد ، و هو وحده يليق بذلك دون ما سواه .

قال الله تعالى: « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم و تحيتهم فيها سلام و آخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين » يونس : ٩ و ١٠) .

وقال: « وهو الله لااله الاّ هو له الحمد فى الاولى والاخرة » القصص : ٧٠) .

و قال : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها و قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين و قالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوّأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين » الزمر : ٧٣ - ٧٤) .

وقال : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفساً الاّ وسعها اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون و نزعنا ما فى صدورهم من غلّ تجرى من تحتهم الانهار و قالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله » الاعراف : ٤٢ - ٤٣) .

وقوله تعالى : « و هو الحكيم الخبير » والله جل و علا هو الحكيم الذى يفعل كل ما يفعل بحكمة : يصرف الدنيا والاخرة بحكمة ، يدبّر أمر الوجود كله بحكمة ، يشرّع الدين و يرسل الانبياء و ينزل الكتب بحكمة ، و يعطى نعمه بعباده بحكمة ، وهو الحكيم فى أفعاله كلها، و تكون ابداعاته على نواميس الحكمة ، و اصول الرحمة وقوانين العدل ، وموازين الصحة والاستقامة ، ومكائيل الاحسان والفضيلة ، وانه جلّت حكمته ماخلق الخلق عبثاً ولاجزافاً وما أوجدهم ليجهدهم ظلماً و إجحافاً ، و ما كوّنهم للشقاء والتعاسة والعناء والمهانة ، ما خلقهم ليريهم نعمه و يملأ بهم جحيمه و يعمل فيهم قوة الغضب ، و يسلّط عليهم سطوة الرهب .

الخبير الذى يعلم بكل شيء وبكل أمر وبكل تدبير علماً شاملاً لايخفى عنه شيء فى السماء ولا فى الارض ، علماً تاماً يحيط بالامور كلها ، وعلماً عميقاً

باسرار الكون و ما فى الصدور ، فلا يعزب عنه شيء و لا يفوته ، و ليست خبرته بالتجربة والاعتبار بالاشياء فتفيده التجربة و الاعتبار علماً لو لاهما لما علم لان من كان كذلك كان جاهلاً ، والله تعالى لم يزل خبيراً بما كان وما يكون .

و لا يخفى على القارى المتأمل : ان الحكيم : إسم من أسماء الله تعالى الحسنى من صفات الفعل يدل على اتقان صنعه العالم ، و ان الخبير: إسم من صفات الذات يدل على علمه بجزئيات صنعه وعلمه باحوال الامور الكائنة و مصالحها... و لكن الصفة قد تكون صفة فعل باعتبار ، و صفة ذات باعتبار آخر كالحكمة ، فان الله تعالى حكيم فى أفعاله كلها ، فتكون الحكمة من صفات الفعل ، و هو عالم بجميع الاشياء و أحكامها ، فيكون من صفات الذات . و اذا ذكر الحكيم مع الخبير أو العليم فالمراد من الحكمة صفة الفعل فقط ، فتدبر جيداً .

۲ - (يعلم ما يلج فى الارض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء وما يعرج فيها و هو الرحيم الغفور)

يعلم الله تعالى ما يدخل فى الارض و ما يغيب فيها ، و ما يتسرّب إلى أعماقها من شيء من المياه والكنوز والدفائن و الاموات . . . ومن الغيب الذى ينفد فى موضع وينبع فى آخر، يعلم ما يدخل فى الارض من عدد القطر النازل فى أجزاء الارض والحب المبذور والكامن فيها .

قال الله تعالى : « ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينا بيع فى الارض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً » الزمر: ۲۱)

و قوله تعالى : « و ما يخرج منها » و يعلم الله تعالى ما يخرج من الارض من الاشجار و أنواع النباتات و الغلات و مياه العيون و الدواب و المعادن و الغازات ، ويعلم ما يستخرج يوماً بعد يوم بالعلم الحديث وتحقيق العلماء الطبيعيين من النقوش و الآثار كما خرجت آثار صنعاء و الخريبة و مآرب و حرم بلقيس

و آثار السد ، و ما مضى عليه آلاف السنين من مخلّفات الامم و مصنوعاتهم كمخلفات المصريين القدماء ونقوش آشور وبابل و عجائب أهل سبأ وصناعاتهم مما استخرجه علماء العاديات ، و ما يستخرجون و يكشفون بعد .

قال الله تعالى : «والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لايخرج إلاّ نكداً كذلك نصرّف الايات لقوم يشكرون » الاعراف : ٥٨)

وقوله تعالى : « و ما ينزل من السماء » : و يعلم الله تعالى ما ينزل من السماء : من الايات التشريعية و الوحى بواسطة الملائكة ، من المعارف والحكم و الحقائق السماوية ، من الانوار و الآجال و المقادير، من الارزاق و أنواع البركات و الامطار و من الثلوج و البرد و الصواعق و الاشعة و الشهاب الثاقب و ما إليها . . . كل ذلك بقدر معلوم .

قال الله تعالى : « تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذى له ملك السموات و الارض و لم يتخذ ولداً و لم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدّره تقديراً » الفرقان : ١ ـ ٢)

و قال : «يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم و أنزلنا إليكم نوراً مبيناً» النساء : ١٧٤)

و قال : «ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا انه لااله إلاّ أنا فاتقون ـ و نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة و بشرى للمسلمين » النحل : ٢ـ٨٩)

و قال : «و لئن سئلتهم من نزّل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله قل الحمدلله بل أكثرهم لا يعقلون » العنكبوت : ٦٣)

و قال : « و فى السماء رزقكم و ما توعدون » الذاريات : ٢٢)

و قال : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض و لكن ينزّل بقدر مايشاء انه بعباده خبير بصير و هو الذى ينزّل الغيث من بعدما قنطوا و ينشر رحمته

و هو الولى الحميد » الشورى : ٢٧و٢٨)

و قال : « و إن من شيء الاّ عندنا خزائنه و ما ننزّله الاّ بقدر معلوم » الحجر: ٢١)

و قوله تعالى : « و ما يعرج فيها » و يعلم الله تعالى ما يصعد فى السماء و ما إليها من الملائكة و صالح الاعمال و الادعية و الصلوات على محمد و آله الطاهرين ، و من الابخرة والادخنة و الطائرات والمطاود الجوية . . . فلايخفى عليه جل‌وعلا شيء فى السموات و لا فى الارض مما ظهر فيها و ما بطن ، فيعلم بحركة كل متحرك وفعل كل فاعل ، وما يخطر فى الصدور . . .

قال الله تعالى : « يدبّر الامر من السماء إلى الارض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون ذلك عالم الغيب و الشهادة العزيز الرحيم » السجدة : ٥ و ٦)

و قال : « إليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه » فاطر: ١٠)

و قال حكاية عن ابراهيم عليه‌السلام : « ربنا انك تعلم ما نخفى و ما نعلن و ما يخفى على الله من شيء فى الارض و لافى السماء » ابراهيم : ٣٨)

و قال : « و يعلم ما فى البر و البحر و ما تسقط من ورقة الاّ يعلمها ولاحبة فى ظلمات الارض و لارطب ولايابس الاّ فى كتاب مبين » الانعام : ٧٩)

و قال : « اوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين » العنكبوت : ١٠)

و قال : « يعلم خائنة الاعين و ما تخفى الصدور » المؤمن : ١٩)

و قوله تعالى : « و هو الرحيم الغفور » : والله تعالى هو الرحيم بالمؤمنين الحامدين لله جل‌وعلا على ما أنعمهم من نعمه وما أسبغ عليهم من فضله ، الغفور لذنوب من تاب وآمن و عمل صالحاً .

قال الله تعالى : « هو الذى يصلّى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً » الاحزاب : ٤٤)

وقال : «والمؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم» التوبة : ٧١)

وقال : «ان رحمت الله قريب من المحسنين ـ والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ـ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون» الاعراف: ٥٦ و١٥٣ و١٥٦)

وقال : «واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى» طه : ٨٢)

٣ ـ (و قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى و ربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات و لا في الارض ولا أصغر من ذلك و لا أكبر الا في كتاب مبين)

ويستعجلك أيها الرسول ﷺ الذين جحدوا قدرة الله تعالى على إعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة استهزاء بوعدك اياهم وتكذيباً لخبرك فقالوا : لاتأتينا الساعة . وهم أرادوا بضمير التكلم من الغير جنس البشر لا أنفسهم أو معاصريهم فقط . كلما أرادوا من نفي اتيان الساعة نفي وجودها تماماً لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر، وعبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ،ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لاسيما أجزاء الزمان لا يكون إلاّ باتيان وحضور.

قال الله تعالى : «ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة» الحج : ٥٥)

وقال : « وقالوا ء إذا كنا عظاماً و رفاتاً ء انا لمبعوثون خلقاً جديداً» الاسراء : ٤٩)

وقال : « كلاّ بل تكذبون بالدين» الانفطار: ٩)

وقال : «واذا قيل ان وعدالله حق والساعة لاريب فيهاقلتم ماندرى ماالساعة ان نظن الاّ ظناً وما نحن بمستيقنين» الجاثية : ٣٢)

و قوله تعالى : «قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب» : قل أيهاالرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء الكافرين المكذبين بيوم القيامة رداً لكلامهم : بلى اقسم بربى لتأتينكم الساعة والحياة الاخروية ، الرب الذى هوعالم الغيب : غيب السموات والارض ومن الغيب الذى لايعلمه الاّ الله تعالى هووقت مجيىء الساعة وهى آتية لاريب فيها .

قال الله تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير» التغابن : ٧)

وقال : «وان الساعة آتية لاريب فيها و ان الله يبعث من فى القبور» الحج:٧)

وقال : «إليه يردّ علم الساعة» فصلت : ٤٧)

وقال : «اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادرعلى أن يحيى الموتى بلى انه على كل شىء قدير» الاحقاف : ٣٣)

فمن كان عالماً بجميع الاشياء : ظاهرها وخفيها ، عالماً باجزاء الاحياء وجزئيات الكون وأسرارالعالم فهوقادرعلى جمعها كما بدأها .

وقوله تعالى : «لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولافى الارض ولا أصغرمن ذلك ولاأكبرالاّ فى كتاب مبين» : لايفوت عن علم الله جل و علا وزن أقل ما يمكن أن يوزن ، ولايبتعد عن علمه تعالى ولايختفى عليه أقل شىء مما فى السموات ولا فى الارض ، ولاأصغرمن الذرة ولاأكبرمنها الاّ وهو ثابت فى كتاب مبين .

فالعالم وما فيه كله مخلوق ، فجميعه مندرج تحت علم خالقه جل وعلا ، فلايخفى على الخالق ولايغيب ولايفوت ولايبتعد عن الخالق و علمه شىء من خلقه ، وإن تناهى المخلوق فى الصغر،فالخالق عالم بما خلقه ، فلاشىءفى العالم

الا و هو مخلوق والله جل وعلا هو الخالق ، فالاصغر والاكبر كلاهما مخلوقان و علمه تعالى بهما على حد سواء ، فكلاهما مكتوبان في كتاب مبين .

فلا يفوت عن علمه تعالى شيء في السموات والارض من ذرة و ما دونها و لا ما فوقها أينما كانت ، و حيثما ذهبت ، فاللحوم و إن تلاشت ، والعظام و إن رمت ، و أجزاء البدن و إن تمزقت وتفرقت ، فخالقها علم بأنها أين ذهبت وأين تفرقت ، ومتى كانت، فيعيدها كما بدأها أول مرة لسعة علمه وعظم قدرته ، فيبعثهم من قبورهم يوم القيامة للحساب والجزاء .

قال الله تعالى : « و ما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ـ و عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو و يعلم ما في البر والبحر و ما تسقط من ورقة الا يعلمها و لا حبة في ظلمات الارض و لا رطب و لا يابس الا في كتاب مبين ـ و لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة » الانعام : ٣٨ و ٥٩ و ٩٤) .

وقال: «وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين » هود : ٦) .

و قال : « ألم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير » الحج : ٧٠) .

و قال : « و ان ربك ليعلم ما تكن صدورهم و ما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين » النمل : ٧٤ و ٧٥) .

و قال : « قد علمنا ما تنقص الارض منهم و عندنا كتاب حفيظ » ق : ٤) .

وقال : « فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة » الاسراء : ٥١) .

و قال : « أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى و هو الخلاق العليم » يس : ٨١) .

٤ ـ (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم)

يبعثهم الله تعالى يوم القيامة ، و أثبت كل مافي العالم ومنه أعمال الانسان خيرها و شرها في الكتاب المبين ليثيب يوم القيامة الذين آمنوا بالله تعالى و رسوله ﷺ و بما جاءهم الرسول ﷺ و باليوم الآخر ، و عملوا بما أمرهم الله تعالى ورسوله ﷺ به و انتهوا عما نهوهم عنه ، اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة والقلوب الصافية والأخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة لهم بسبب ذلك مغفرة من الله تعالى لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر و لهم رزق كريم في الجنة ، من غير تعب و لا منّ عليه ، فالحكمة الالهية والعدالة الحقة تقتضي وجود الساعة ، فالمقتضي موجود ، والمانع لقيامها مرفوع فتأتي الساعة بلا ريب .

قال الله تعالى : « انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالقسط » يونس : ٤) .

وقال : « يوم تبدّل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار- ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب » ابراهيم : ٤٨ و ٥٠) .

و قال : « ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهومؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » غافر : ٤٠) .

و قال : « انما المؤمنون اذا ذكر الله و جلت قلوبهم و اذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا و على ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم و مغفرة و رزق كريم » الانفال : ٤) .

٥ - (والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز أليم)

و ليجزي الله تعالى الذين سعوا في إبطال آياتنا و إنكار أدلتنا على وقوع البعث ، و مجيىء الساعة في حججنا ، باذلين جهدهم لصدّ الناس عن التصديق بآياتنا ، و بالغين في تزهيد الناس فيها عناداً و كفراً منهم ، و جادّين في تعطيل

دعوةالله تعالى و إطفاء نوره ، مقدرّين إعجاز ربهم على سبيل معاونة بعضهم بعضاً فى ذلك ، و يحسبون انهم يفوتوننا ، و انا نهملهم ، اولئك الموصوفون بالصفات الخسيسة والاخلاق الرذيلة من الكفر والمعصية ، من الشرك والشقاوة ، و من اللجاج والعداوة ، لهم عذاب شديد فى جهنم من سوء العذاب ، شديد الايلام والوجع، وذلك لما اجترجوا من السيئات ، و دسّوا به أنفسهم من قبيح الاعمال ، فان الساعة آتية لامحالة ليتنعم المؤمنون السعداء فى الجنة ، ويعذّب الكافرون الاشقياء بجهنم . كأنه تعالى قال: قالت الجهلة السفهاء المنكرون للبعث والحشر و للحساب والجزاء : انه لا رجعة بعد هذه الدنيا ، و لا حساب و لا كتاب و لا جزاء بعد هذه الحياة الدنيوية .

قال الله تعالى: « والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك أصحاب الجحيم ـ و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفانبئكم بشرّ من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا و بئس المصير » الحج : ٥١ ـ ٧٢) .

و قال : « و اذا رأوا آية يستسخرون و قالوا إن هذا إلاّ سحر مبين ءاذا متناو كنا تراباً و عظاماً ءإنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون » الصافات: ١٤ـ١٧).

وقال : « والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم ـ و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلاّ أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين » الجاثية : ١١ ـ ٢٥) .

٦ـ (و يرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق و يهدى الى صراط العزيز الحميد)

و يرى الذين اوتوا العلم من أهل الكتاب ، و علماء الامة الاسلامية الذين اعطوا المعرفة بوحدانية الله جل وعلا و برسوله صلى الله عليه و آله و سلم و باهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين : ان الذى انزل اليك أيها الرسول صلى الله عليه و آله و سلم من عند

ربك من القرآن هوالحق ، و هم يعلمون بالتدبر والتفكر، وبالنظر والاستدلال انه ليس من قبل البشر ، و انما هوحق انزل من عند الحق جل وعلا إلى رسول الحق صلى الله عليه وآله وسلم و انه حق يهدى الناس إلى صراط مستقيم : صراط من لايغالب ولا يمنعه أحد عما يريد ، لانه القاهر الغالب على كل شيء ، و يقودهم إلى سبل السلام : سبيل من هو محمود بذاته ، محمود في ذاته و صفاته ، و في أقواله و أفعاله . . .

قال الله تعالى: «والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق» الانعام : ١١٤) .

و قال : « بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم » العنكبوت: ٤٩).

و قال : « و ان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم » البقرة : ١٤٤) .

و قال : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » الاسراء : ٩) .

و قال : « فقالوا انا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به » الجن : ١ و ٢) .

وقال: « قدجاءكم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم » المائدة : ١٥ و ١٦) .

ان هذا القرآن كتاب مفتوح للاجيال كلها ، و فيه من الحق ما يكشف عن نفسه لكل ذى علم صحيح و فهم و إدراك سليم القلب ، وهو يكشف عن الحق المستكن في كيان هذا الوجود كله ، و هو أصدق ترجمة و صفية و بيان لهذا الوجود كله ، و فيه من حق أصيل يهدى كل من اهتدى به و اتبع رضوان الله إلى صراط الله الغالب القاهر المحمود بذاته ، وهذا هو المنهج الذى أراده للوجود و اختاره للبشر خاصة و لكل مكلف عامة ، لينسق خطاهم مع خطى هذا الكون

الذى يعيشون فيه ، وهذا هو الناموس الذى يهيمن على أقدار هذا الكون كله بما فيه من الحياة البشرية التى لا تنفصل فى أصلها و نشأتها و لا فى نظامها و حركاتها عن هذا الكون و ما فيه و من فيه . . .

يهدى هذا القرآن للتى هى أقوم : إلى صراط العزيز الحميد بما ينشئه فى إدراك المؤمن من تصور للوجود و روابطه وعلاقاته و قيمه ، ومكان المكلف منه و دوره فيه وتعاون أجزاء هذا الكون من حوله وهو معها فى تحقيق مشيئة الله تعالى و حكمته فى خلقه ، و تناسق حركات الجميع وتوافقها فى الاتجاه إلى بارىء الوجود .

يهدى هذا القرآن الانسان إلى صراط العزيز الحميد بتصحيح منهج التفكير و إقامته على اسس سليمة متفقة مع الايقاعات الكونية على الفطرة البشرية بحيث يؤدى هذا المنهج بالفكر البشرى إلى إدراك طبيعة هذا الكون ، و خواصه و قوانينه والاستغاثة بها والتجاوب معها بلاعداء و لا اصطلام ولا تعويق . . . يهدى هذا القرآن الكريم البشر إلى صراط العزيز الحميد لمنهجه التربوى الذى يعد الفرد للتجاوب والتناسق مع الجماعة البشرية ، و يعد الجماعة البشرية للتجاوب والتناسق فرادى و جماعة مع مجموعة الخلائق التى تعمر هذا الكون ، و يعد هذه الخلائق كلها للتجاوب والتناسق مع طبيعة الكون الذى تعيش فيه كل ذلك فى بساطة و يسر و لين .

و يهدى هذا القرآن المجيد البشر إلى صراط العزيز الحميد بما فيه من نظم وتشريعات مستقيمة مع فطرة الانسان ، و ظروف حياته ومعاشه الاصيلة متناسقة مع القوانين الكلية التى تحكم بقية الاحياء و سائر الخلائق ، فلا يشذ عنها الانسان بنظمه و تشريعاته ، و هو امة من هذه الامم فى نطاق هذا الكون الواسع ، و هذا العالم الكبير ، فان القرآن الكريم هو الدليل إلى هذا الصراط الذى وضعه خالق الانسان ، و خالق الصراط العارف لطبيعة هذا و ذاك ، و انك

لتكون حسن الطالع ، و أنت تقوم برحلة فى طريق لوحصلت على دليل من وضع المهندس الذى أنشاء هذا الطريق ، فكيف بمنشىء الطريق ، و منشىء السالك فى الطريق .

قال الله تعالى: « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » ابراهيم : ١) .

و قال : « هذا صراط علىّ مستقيم » الحجر : ٤١) .

و قال : « وانك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له مافى السموات و ما فى الارض » الشورى : ٥٢ و ٥٣) .

٧ ـ (و قال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد)

وقال الذين كفروا بالله تعالى و رسوله ﷺ وبيوم القيامة بعضهم لبعض أو القادة للأتباع على طريق التعجب والاستهزاء والتهكم والانكار : هل ندلكم ونحدثكم على رجل يخبركم بأعجب الأعاجيب اذا متم وأكلتكم الارض وتقطعت أوصالكم ، و تلاشت لحومكم ، و بليت عظامكم ، و قطعتكم السباع والطير ، و صرتم رفاتاً ، و تفرقت أجزاء ابدانكم كل تفرّق بحيث لا يتميز شيء منها من شيء : انكم ستستقرّون فى خلق جديد ويتجدد لكم الوجود ، فتنشؤن خلقاً جديداً، فتبعثون و ترجعون كرة اخرى احياء كما كنتم من قبل و تحاسبون وتجازون على أعمالكم مما فعلتم فى الحياة الدنيا، فتثابون على الاحسان إحساناً، وتجازون على مافرط منكم من اجتراح الآثام آلاماً بنار تلظى تشوى الوجوه والاجسام . . .

قال الله تعالى : « و إن تعجب فعجب قولهم ءاذا كنا تراباً أئنا لفى خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم و اولئك الاغلال فى أعناقهم و اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » الرعد : ٥) .

وقال : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً و صماً مأواهم

جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا و قالوا ءإذا كنا عظاماً و رفاتاً ءإنا لمبعوثون خلقاً جديداً » الاسراء : ٩٧ و ٩٨) .

و قال : « و قالوا ءإذا ضللنا في الارض ءإنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون » السجدة : ١٠) .

٨ - (أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لايؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد)

ثم قال بعض هؤلاء المنكرين لبعض : ان مقالاً كهذا لايصدر إلاّ من أحد رجلين: اختلق على الله كذباً أم به جنون تخيّل به ذلك ، فهذا دائر بين الامرين: إما أن يكون متعمداً في الافتراء على الله على انه أوحى إليه: انا نبعث بعدالموت للحساب والجزاء ، وذلك اذاكان معتقداً على خلافه، أو انه لبّس عليه كما يلبّس على المعتو و هو المجنون الذى يتكلم بما لا يدرى و يتفوّه بكل ما بداله من غير فكر مستقيم و لا عقل سليم ، و ذلك اذا لا يعتقد على خلافه .

وردّ الله تعالى على هؤلاء الكافرين بالبعث والجزاء مقالتهم في النبي الكريم ﷺ و أثبت لهم ما هو أشد و أنكى ، فقال : « بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البيعد » أى ليس الامر كما نسبوه إلى النبي الصادق الامين ﷺ من الافتراء على الله كذباً ، و لا ما نسبوه إليه ﷺ من الجنون ، بل ان محمداً ﷺ هو أصدق الصادقين ، و عقل الكل و كل العقل ، و هو البر الرشيد الذى جاء بالحق .

و انما هؤلاء الكافرون هم الكذبة الجهلاء والسفلة الاغبياء الذين بلغوا الغاية في اختلال العقل و أو غلوا في الضلال ، و بعدوا عن الادراك والفهم ، و إبتعدوا عن طريق الحق والصواب وسواء السبيل ، و انما هذا هو الجنون بعينه ، و سيؤدّى ذلك بهم إلى عذاب النار ، فهم مستقرّون فيها، إذ انكروا حكمة الله تعالى في خلق العالم ، و كذبوه في وعده و وعيده وتعرضوا لسخطه ، وإذ صاروا

إلى تعجيز الله القادر المتعال ، ونسبة الافتراء إلى من أيّده الله تعالى بالمعجزات، و نسبة الجنون إلى من اصطفاه الله جل وعلا رسولاً للثقلين و رحمة للعالمين .

قال الله تعالى: « أيعدكم انكم اذا متم و كنتم تراباً و عظاماً انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت و نحيى و ما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين » المؤمنون: ۳۵ ـ ۳۸) .

و قال : « لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ـ ألا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد » الشورى : ۱۷ و ۱۸) .

و قال : « ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون » سباء : ٤٢) .

وقال: «وان الذين لا يؤمنون بالاخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً» الاسراء: ۱۰).

و قال : « و ان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون » المؤمنون : ٧٤) .

و قال : « لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم أعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون » الاعراف: ۱۷۹) .

۹ ـ (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب)

أفلم ير هؤلاء المكذبون بالبعث والحساب ، المنكرون للجزاء والعقاب ، الناسبون رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم بالافتراء والجنون ؟ فعموا و لم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والارض ، فانهما محيطان بهم حيثما كانوا و أينما ساروا و هم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما ؟ فلم يتفكروا فيهما ، فيستدلوا بذلك على قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت ، وعلى الحشر بعد الفناء ليميّز المؤمن من الكافر ، المصلح من المفسد، المطيع من الطاغي ، العادل من الظالم ، السعيد

من الشقي ، المحسن من المسيىء ، عبادالرحمن من عبيد الشيطان ، الامين من الخائن ، الصادق من الكاذب ، المخلص من المنافق ، و بالجملة أهل الحق من أصحاب الباطل . . . ؟

إن نشأ نخسف بهم الارض فنهلكهم كماخسفناها بقارون وأهلكناه وأذنابه للكفر والطغيان ، أونسقط على هؤلاءِ الكافرين قطعاً من السماء فدمّرناهم كما أسقطناها على أصحاب الايكة للتكذيب والعصيان فدمرناهم تدميراً .

فما لهؤلاءِ المكذبين بالبعث والاحياءِ والمنكرين للحساب والجزاء عن تلك الاقاويل الكاسدةوالعقائد الباطلة ،والاعمال السيئة ؟ أفهم يأمنون من الخسف والكسف ؟

قال الله تعالى : «وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم في الاخرة بل هم في شك منها بل هم منهاعمون وقال الذين كفروا اذا كناتراباً وآباؤناأئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآبائنا من قبل ان هذا الا أساطيرالاولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين» النمل : ٦٥-٦٩)

وقال : «فخسفنابه وبداره الارض فماكان له من فئة ينصرونه من دون الله وماكان من المنتصرين» القصص : ٨١)

وقال : «ثم دمرنا الاخرين و أمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين - كذّب أصحاب الايكة المرسلين اذقال لها شعيب ألاتتقون - قالوا انما انت من المسحّرين وماأنت الا بشرمثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفاً من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم» الشعراء : ١٧٢-١٨٩)

وقال : «وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذّب الرسل فحق وعيد أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد» ق : ١٤-١٥)

وقال : «أفأ من الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أويأتيهم

العذاب من حيث لايشعرون» النحل : ٤٥)

و قوله تعالى : «ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب»: ان فى النظر والتدبر فى إحاطة السماء والارض بهم لدلالة واضحة، وحجة قاطعة لكل عبد فطن يعبد الله تعالى وحده ، منيب إلى ربه على انه جل و علا قادر على الاحياء بعد الموت ، و على بعث الاجساد بعد تفرق أجزائها للحساب والجزاء حيث ان من كان قادراً على خلق السماء على ارتفاعها واتساعها ، وعلى إحاطتها بما فى الارض ومابينهما من الجو الشاسع وما فيه من الكواكب والنجوم التى لم يتمكن الانسان بعد على إحصائها مع رقى العلم ، ومن الشمس والقمر. . . وقادراً على خلق هذه الارض على انخفاضها و طولها و عرضها ، فهو قادر على إعادة الاجسام و نشر الرميم من العظام . . .

قال الله تعالى : «لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون» المؤمن : ٥٧)

وقال: «فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب» الصافات: ١١)والانابة هى: الرجوع إلى الله تعالى مع التوبة بقلبه ، والمنيب هو الذى يرجع إلى الله جل وعلا معترفاً بوحدانيته ، مذعناً بوجوب طاعته مقراً بكمال قدرته، ومنتفعاً بالفكرة فى حججه وآياته . . . وإن الراجع إلى الله تعالى والمتفكر فى آياته قلما يخلو من الاعتبار والاستبصار.

قال الله تعالى : «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربكم و أسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون» الزمر: ٥٣ و ٥٤)

وقال : «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها و مالها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ـ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب» ق:٦ـ٣٣)

وقال : «وما يتذكر الامن ينيب» غافر : ١٣)

١٠ ـ (ولقدآتينا داود منا فضلاً ياجبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد)

واقسم بالله جل وعلا انا اعطينا نبينا داود عليه السلام من عندنا فضلاً لم يسبقه فيه غيره من الانبياء عليهم السلام ولا الامم الماضية ، و ذلك اذسخّرنا له الجبال ، و قلنالها : يا جبال ! سبّحي لله تعالى مع داود اذاسبّح له جل وعلا ، و سيّري معه أينماسار، وسخّرنا له الطير، فتسبّح لله تعالى مع داود عليه السلام ، وجعلناله عليه السلام الحديد ليناً بيده كالشمع والعجين يصرفه كيف شاء بسهولة من غير حاجة إلى ناروضرب مطرقة ، ولاتعب .

قال الله تعالى : «وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير و كنا فاعلين» الانبياء : ٧٩)

وقال : «و لقدآتينا داود وسليمان علماً و قالا الحمد لله الذى فضلنا على كثيرمن عباده المؤمنين و ورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهوالفضل المبين» النمل : ١٥و١٦)

و قال : « انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له أواب» ص : ١٨و١٩)

١١ ـ (أن اعمل سابغات و قدر في السرد و اعملوا صالحاً اني بما تعملون بصير)

ثم أوحينا إلى داود عليه السلام أن اعمل يا داود دروعاً واسعات كاملات تحفظك من بطش العدو وتقيك اذا اشتدّ الحرب وحمى الوطيس ، وقدّريا داود في نسج حلق الدروع ـ ومنه يقال لصانع حلق الدروع : السرّاد و السزراد ـ بحيث يتناسب حلقها بأن تجعل حلقاتها متناسبة متسقة تقديراً حسناً يجمع بين خفتها ومتانتها ، وأن تكون متتابعة متلاحقة إذالسرد يعطي معنى التتابع . . .

ثم قلنا لداود عليه السلام وأهله : إعملوا عملاً صالحاً من الطاعة والشكر لله تعالى

وما فيه السعادة البشرية من صالح الاعمال ، فانه لانجاح ولافوزعلى العدوبالقوة القهرية والاسلحة المادية خالية من القوة المعنوية والقدرة الروحانية بل لابد من العمل الصالح الذى يقوّم النفوس ويقوّيها ويطهرالارواح ويحصنها حتى لا تكبو، ويوجد فى الانسان روح الشجاعة والغلبة على الاعداء . . .

انى مراقب لكم ، بصيربأعمالكم وأقوالكم ، ولايخفى علىّ شيء منها ، فاجازيكم عليه كفاء ماعملتم ، فاعملوا صالحاً شكراً لله جل وعلا على ما أنعم عليكم من رزق الحلال من كدّ اليمين .

قال الله تعالى : «وعلّمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهلأنتم شاكرون» الانبياء : ٨٠)

١٢ - (و لسليمان الريح غدوها شهر و رواحها شهر و أسلنا له عين القطر و من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه و من يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير)

وسخرنا لسليمان بن داود عليه السلام الريح ، جريانها بالغداة مسيرة شهر، و جريانها بالعشى مسيرة شهر، فكانت تسيرفى اليوم مسيرة شهرين للمراكب فى مملكة سليمان عليه السلام وأجرينا له عين النحاس المذاب من معدنه ، فتسيل كالعين الجارية ، وسخرنا له عليه السلام بعض الجن ، ومن الجن من يعمل بين يدى سليمان و بحضرته وأمام عينه ما يأمرهم به من الاعمال كسائرالعمال من الانس وغيرهم... باذن ربه ، ومن يعدل من الجن عن أمرنا ممـا أمرناه ويتهرب عن الاطاعة لسليمان عليه السلام نذقه من عذاب السعير.

قال اللهتعالى :«فسخرنا له الريحتجرى بامره رخاء حيثأصاب والشياطين كل بناء وغوّاص» ص : ٣٦و٣٧)

و قال : « وحشرلسليمان جنوده من الجن و الانس و الطيرفهم يوزعون» النمل : ١٧)

وقال : «ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الارض التى باركنافيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا حافظين» الانبياء : ٨١و٨٢).

١٣ - (يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادى الشكور)

يعمل هؤلاء الجن لسليمان عليه السلام ما يشاء من محاريب تصنع لاقامة الصلاة والعبادة لأئمة الجماعات ، ويعملون له عليه السلام تماثيل من الاشجاروالنباتات و مالا روح له ، وقصاع كبيرة كالحياض الكبيرة التى يأكل منها عمّال سليمان عليه السلام ، ويعملون له قدور ثابتات لاتنقل لكبرها . وانما يغرف منها فى تلك الجفان ، ثابتات ثباتاً عظيماً كالجبال لها قوائم لايحركن عن أماكنها لعظمهن ولا يبدلن ولا يعطلن .

اعملوا ياآل داود عملاً صالحاً و اشكروا لله جل وعلا شكراً تجاه تلك النعم التى أنعمها الله جل وعلا عليكم ، وقليل من عبادى المؤمنين يشكرون الله تعالى وهم أوحديون من الناس .

قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام : «وقال رب أوزعنى أن اشكر نعمتك التى أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين - قال هذا من فضل ربى ليبلونى أشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم - وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون» النمل : ١٩ و٤٠ و٧٣)

١٤ - (فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلماخر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين)

فلما حكمنا على سليمان بن داود عليهما السلام بالموت ، فقبضه ملك الموت ، و

و هوقائم على قبّة متكئاً على عصاه ، والجن يعملون لـه عليه السلام سنة ولا يعلمـون بموته ، فمات سليمان وهو على كمال القدرة والنفوذ البشرى على ما طلبه مـن الله جل وعلا، لم يدلّ الجن على موة سليمان عليه السلام ولم يعلموه حتى بعث الله تعالى الارضة ، فوقعت في عصاه عليه السلام من داخلها تأكل هذه الدابة الداخلة عصاه عليه السلام فلما وافاه القضاء المحتوم إنكسرت عصاه ، فسقط سليمان عليه السلام بوجهه على كرسيـه ظهر للجن حينئذ بان سليمان قدمات، وانكشف عندئذ للانس ان الجن لايعلمون الغيب كما يدّعون .

إذلو كانت الجن يعلمون الغيب الذى يدّعون علمه لعلمـوا مـوت سليمان عليه السلام حينما وقع عليه ، ولم يعملوا سنة له عليه السلام وهوميت ، وقد كانوا هم يتوهمونه حياً ، ولوعلموا الغيب لما قاموا حولاً بعد موته في الاعمـال الشاقة التي كانـوا يعملونها قبل موته ، ولماظنوا انه حيّ ولماكانواهم في تسخيره وهوميت إلى أن انكسرت عصاه فسقط ، فعلموا انه قدمات من قبل .

قال الله تعالى : «ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب قال رب اغفرلي وهب لي ملكاًلاينبغي لاحدمن بعدى انك انت الوهاب»ص:٣٤-٣٥)

١٥ - (لقدكان لسباء في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور)

لقدكان لسباء ، وهم قبيلة سموا باسم جدّهم الاكبروهوسبأ ابـن يشجب بن يعرب بن قحطان في أرضهم و بلادهم عبرة لكافة الناس في كل وقت ومكان بملاحظة أحوالهم السابقة واللاحقة ، حيث انحرفوا عن جادة الحق والهدى وعدلـوا عن طريق السعادة والنجاة و مالوا عـن صراط المستقيم وسبيل السوى ، فكفـروا بنعمة الله جل وعلا، فعاقبهم ومزّقهم كلممزّق ، فجعل قصتهم عبرة لاهل الكفر والطغيان ، لاهل الضلالة والعصيان ، لاهل الباطل والكفران ، و لاتباع الهـوى والشيطان . . . وجعل ما أنعم عليهم علامة واضحةودلالة قاطعة علىوجودالصانع

الحكيم، والخالق العليم، وعلى كمال قدرته و وجوب شكره .

القادرعلى كل ما يشاء من الامور البديعة ، المجازى للمحسن والمسيىء، دلالة معاضدة للبرهان السابق كما فى قصتى داودوسليمان عليهما السلام علامة دالة على قدرة الله تعالى على أن لهم خالقاً خلقهم، وان كل الخلائق لواجتمعوا على أن يخرجوا من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك، ولم يهتدوا إلى اختلاف أنواع الثمار وألوانها، وطعومها وروائحها وأزهارها، وفى ذلك كلهما يدل على انها لاتكون الا من عالم حكيم، من مدبر خبير، ومن قادرمطلق بصير.

و **قوله تعالى : « جنتان عن يمين وشمال »** : كانت بلادهم ذات بساتين متسعة ممتدة وثمار تحيط بهم عن جانب يمينهم وشمالهم، فأنعمنا عليكم نعماً وافرة يا آل سباء كلوا من تلك النعم التى رزقكم ربكم وتنعّموا بها،واشكروالله جل وعلاقلباً بمعرفتكم المنعم، ولساناً بذكر الحمد والثناء الجميل على المنعم. وعملاً بالطاعة والاجتناب عن المعصية .

بلدتكم هذه بلدة طيبة: كثيرة الثمار، وافرة العطاء، صالحة القيام وآمنة العيش . . . وربكم رب رزقكم وأنعم عليكم تلك النعم، وطلب منكم الشكر، هوغفورلمن تاب وآمن، ولمن شكر وأصلح .

قال الله تعالى حكاية عن الملأ منهم : « قالوا نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد» النمل : ٣٣).

١٦ ـ (فأعرضوا فارسلناعليهم سيل العرم و بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط و أثل و شيء من سدر قليل)

فاعرض أهل سبأ مع ما أسبغ الله جل وعلا من نعمه عليهم عن المعرفة والاهتداء، عن الطاعة والشكر لله جل وعلا، وعن اتباع الرسل وصالح الاعمال... بعد إبانة الايات الداعية لهم إلى طريق الحق و الصواب، إلى الصراط المستقيم والرشاد، وإلى سبيل السعادة والنجاة فارسلنا ـ للتنبيه والتأديب ـ على هؤلاء

الكافرين الطغاة و المستكبرين البغاة ، السيل الشديد من السد الرصين المسمى بالعرم ـ الذى بنته بلقيس ملكة سباء فى أرض اليمن ـ ليقطع أشجارهم و يخرّب مناظرهم ، إنحطم السد وانساحت المياه ، فطغت واغرقت ثم لم يعد الماء يخزن بعد ذلك ، فجفت و احترقت و تبدلت تلك الجنان الفيح صحراء تتناثر فيها الاشجار البرية الخشنة .

وبدلنا هؤلاء الكافرين بنعم الله تعالى بجنتيهم المحيطتين بهم عن يمينهم وشمالهم اللتين فيهما أنواع الفواكه والثمرات الطيبة والاشجار المثمرة المتلونة والخيرات . . . جنتين اخراوين ، و جعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه و الثمار بساتين ذواتى مأكولات رديئة منتنة متغيرة مريرة بشع ، وشجر لاثمر له ، وشيء من سدر قليل انتفاعه ، ولا يؤكل ثمره .

و سماها جنتين لازدواج الكلام كقوله تعالى : « و مكروا و مكر الله » آل عمران : ٥٤)

و قوله تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم » النساء : ١٤٢)

وفعلنا ذلك ليتذكر قوم سبأ ماكانوا يأكلون من الثمرات الطيبة من هذا القليل المر البشع حتى يتأسّفوا ويتحسّروا ، وليتذكر الامم اللاحقة بما فعلنا بقوم سباء فلايفعلون بما فعلوا حتى لايفعل بهم ما فعل بهم .

قال الله تعالى : «ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لايشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمّرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لاية لقوم يعلمون» النمل : ٥٠ـ٥٢)

١٧ ـ (ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازى الا الكفور)

جزينا هؤلاء الكفرة الطغاة ، والفجرة الجهلاء ، والسفلة البغاة ذلك الجزاء من تبديل النعمة بالنقمة ، و دوامها بالزوال ، والامن بالخوف ، ومن تبديل العيش الهنيىء بمعيشة ضنكاً ، كل ذلك بسبب كفرهم بنا و برسلنا و

كفرانهم بنعمتنا عليهم كما اننا نجزى ونزيد على من شكر.

قال الله تعالى : «نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر» القمر: ٣٥)

و قوله تعالى : « وهل نجازى إلاّ الكفور» : ولا نجازى أهل الكفر والكفران الاّ الكفور من حلول النقمة بهم وتغيير النعمة عنهم.

فضيّق الله تعالى عليهم فى الرزق وبدّلهم الرفاهية والنعماء خشونة و شدة، وما يحلّ بقوم من نقمة ونكال ومن وبال و بلاء الاّ بسبب كفرهم بالله تعالى و كفرانهم بنعمه.

قال الله تعالى : «ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً» طه : ١٢٤)

و قال : « فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم» الانفال : ٥٢ و٥٣)

وقال : «ان الله لايغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم» الرعد : ١١)

وقال :«ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين» الانعام : ١٤٦ و١٤٧)

١٨ - (وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى و أياماً آمنين)

وجعلنا بين سبأ وهم باليمن، وبين القرى التى باركنا فيها بالتوسعة على أهلها بالنعم الكثيرة وهى بلاد الشام التى كانت موسعاً عليهم برزقها ومناخها قرى متقاربة متتابعة بعضها ببعض فى طريقهم من اليمن إلى الشام للتجارة و غيرها ، وقدّرنا لهم فى تلك القرى السير المتناسب الصالح سيراً مقدراً من منزل إلى منزل ، وقرية إلى قرية بحيث يقيلون من غير حاجة إلى حمل زاد وماء ولا مبيت فى أرض خالية ، اذ لاينزلون الاّ فى قرية ولا يغدون الاّ من قرية ، حيث كانت القرى على مقادير معينة متناسبة صالحة للراحل.

و قلنا لهم : سيروا فيما بين قراكم و قرى الشام من المسافات المقدرة

المتناسبة للراحل ـ و هو أمر تمكين أى كانوا يسيرون فيها إلى مقاصدهم إذا أرادوا فهو أمر بمعنى الخبر ـ ليالى و أياماً آمنين فيها من كل مايخاف ويحذر من شرّ أخطار الاسفار و مشاقها ، فلا تخافوا من اللصوص و قطاع الطريق و لا من العدو والسبع للأمن والسلام ، ولا من الجوع والظمأ لكثرة النعم والعيون البادرة ، و لا من كل ما تكرهون و تحذرون .

و بالجملة كان أهل سبأ كانوا فى نعمة و غبطة و عيش هنيىء رغد فى بلاد مرضية و أماكن آمنة ، و قرى متواصلة متقاربة متناسبة مع كثرة أشجارها و زروعها و ثمارها ، و ان المسافر منهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء بل حيث نزل وجد الماء البارد و ثمراً مطبوعاً ، فهو يقيل فى قرية و يبيت فى اخرى من غير أن يعترضه فى الطريق ما يخيفه أو يفزعه .

و انما يبالغ الانسان فى السير لعدم الزاد والماء ، ولخوف الطريق ، فاذا وجد الزاد والامن لم يحمل على نفسه المشقة و نزل أينما أراد .

و لا يخفى على القارىء الخبير المتدبر : ان الاية الكريمة بصدد بيان حال تلك القرى فى زمان قوم سباء ولكن يظهر من كثير من أخبارها ان الامر متوجه إلى هذه الامة أو الخطاب عام يشملهم .

و ما ورد فى الروايات الآتية : ان القرى التى بارك الله جل و علا فيها هم أئمة أهل بيت النبى الكريم صلى الله عليه و آله و سلم والقرى الظاهرة هم الوسائط بينهم وبين الناس من حملة أحاديثهم و غيرهم ، فهو من بطن القرآن الكريم و من باب التأويل فتأمل جيداً .

١٩ ـ (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا و ظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور)

كفر أهل سبأ بنعمة الله تعالى عليهم و لم يشكروها ، فقالوا : ربنا باعد

بين أسفارنا فى القرى المباركة الآمنة إذ بطروا تلك النعمة والرخاء ، و ملّوا العافية والراحة والدعة ، و طلبوا الكدّ والتعب أو شكوا بعد سفرهم إفراطاً منهم فى الترفية و عدم الاعتداء بما أنعم الله جل و علا عليهم و طغوا و سئموا الراحة و لم يصبروا على العافية والطاعة والشكر تمنوا طول الأسفار والكدح فى المعيشة لما اشتهت به أنفسهم ـ كما نشاهد فى زماننا أكثر الناس كيف يتلوّنون فى كل يوم بألوان مختلفة و يتشكلون بأشكال متنوعة ـ وآثروا الذى هو أدنى على الذى هو خير كما فعل بنو إسرائيل إذ قالوا : « ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها و بصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » البقرة : ٦١) .

فطلبوا البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل مكان المن والسلوى . و كالنضر بن الحارث و أضرابه اذ قالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » الانفال : ٣٢) فأجاب الله تعالى النضر رأس الكافرين و قتل يوم بدر بالسيف صبراً .

فكذلك هؤلاء الكافرون من أهل سبأ طلبوا أن يفصل الله تعالى بينهم وبين قرى الشام بفلوات ومفاوز وغلوات وقفار ليظهر القادرون منهم الازواد والرواحل بان يركبوا فى القرى المتباعدة رواحلهم ، ويتزوّدوا معهم فيها الازواد تكبراً و فخراً على العاجزين و ليتطاولوا فيها على الفقراء . فأجاب الله تعالى طلبهم و عاقبهم على بطرهم بالنعمة بتخريب القرى المتواصلة المتقاربة .

و **قوله تعالى** : « و ظلموا أنفسهم » حيث عرّضوها للسخط والحرمان ، والنقمة والعذاب بسبب الانحراف والطغيان ، والمعصية والكفران ، عوضاً عن المحبة و إزدياد النعمة والرحمة والثواب بسبب الاهتداء والطاعة والشكر والايمان . . . والجملة فى معنى قوله تعالى : « و ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع

والخوف بما كانوا يصنعون ـ وعلى الذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك من قبل و ما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » النحل : ۱۱۲ ـ ۱۱۸) .

وقوله: « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون » النمل : ۲٤) .

وقوله : « الذين آمنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن و هم مهتدون » الانعام : ۸۲) .

وقوله تعالى : « فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق » : فجعلنا قصة أهل سبأ الكفرة الفجرة أحاديث يتحدث بها الناس على سبيل التلهي والاستغراب والتعجب ، ليعتبروا بهم و بمآل أمرهم ، و يجعلوهم موضوع نقدهم و تثريبهم و مضرب أمثالهم : « تفرّقوا أيادي سبأ » وقطّعناهم في البلاد كل تقطيع ، وفرّقنا مجتمعاتهم و متصلاتهم ، و بينهم و بين النعمة كل تفريق ، و مزقنا شملهم بعد الاجتماع والالفة ، بعد القوة والشوكة ، وبعد العيش الهنيىء كل ممزق بارسال سيل العرم ، فتبدّدوا في هذه الحياة الدنيا كل تبدد ، فصاروا مضرب الامثال في كفران النعمة . و هذه حال الامم الكفرة الطاغية

قال الله تعالى : « كلما جاء امة رسولها كذّبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون » المؤمنون : ٤٤) .

وقال: « فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفاً ومثلاً للاخرين » الزخرف : ٥٥ و ٥٦) .

و قوله تعالى : « ان في ذلك لايات لكل صبار شكور » : ان في قصة سبأ و ما حلّ بهم من النقمة والعذاب ، من الخوف والشقاق ، و من التمزيق والوبال بعد النعمة والرخاء ، بعد الامن والائتلاف ، و بعد العافية والاجتماع عقوبة لهم على ما اجترحوه من الآثام و كفران النعم الالهية لعبراً لكل عبد كثير الصبر على البأساء والضراء ، على دواعي الهدى والنعماء ، على مشاق الطاعات و ترك

الشهوات ، و على الابتلاء والمصيبات . . . و لآيات واضحة و دلائل قاطعة على كمال قدرة الله جل و علا و إحاطة علمه بخلقه لكل عبد كثير الشكر على النعم الالهية قلباً بمعرفة المنعم و لساناً بذكر حمده و عملاً برعاية حقه فيها ، فلا يجعلها وسيلة لشقاءه و هلاكه ، و لا سبباً لسخط الله جل و علا عليه و عذابه .

و من غير مراء إن يوم سبأ من أيام الله تعالى لابد أن يتذكر كل عبد صبار شكور . و ما ورد من الروايات الآتية فمن باب التأويل والانطباق فانتظر و تدبر جيداً .

قال الله تعالى: « و ذكّرهم بأيام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور » ابراهيم : ٥) .

٢٠ ـ (و لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين)

أقسم بالله جل و علا ان ابليس صدّق ظنّه على الناس ، و وجد ظنه على الكفار والمشركين ، على الطغاة والمستكبرين ، على الفجار والمستبدين ، و على البغاة والمنافقين صادقاً لانهماكهم في الكفر والطغيان و اتباعهم الاهواء و هضم الحقوق و استفراغهم الجهد في الشهوات واللذات و ركونهم إلى الغواية والضلال ، ومنهم أهل سبأ ومشركو مكة ومنافقو هذه الامة الاسلامية ، فأغواهم ابليس وأطاعوه و اتبعوه فيما دعاهم إليه وعصوا ربهم ، فقد انقادوا لابليس وأسلموا زمامهم بيده و استجابوا له ، فهم صدّقوا ظنه فيهم .

ولكن فرقة ناجية مخلصة من فرق الذين قالوا آمنا فهم لا يتبعون ابليس إذ ثبتوا على ايمانهم ، ولايجد ابليس فيهم سبيلا يدخل على ايمانهم منه بالغواية والاضلال . فالناس بابليس و وسوسته أمام إمتحان يميّز مؤمنهم من كافرهم ، مخلصهم من مشركهم ، طيبهم من خبيثهم ، صالحهم من فاسدهم ، محققهم من مبطلهم ، و محسنهم من مسيئهم . . .

قال الله تعالى لابليس : « ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه

خلقتني من نار و خلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبّر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن أيمانهم و عن شمائلهم و لا تجد أكثرهم شاكرين » الاعراف : ١٢ ـ ١٧) .

وقال : « قال رب بما أغويتني لازيّنن لهم في الارض ولاغوينّهم أجمعين الاّ عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط عليّ مستقيم » الحجر : ٣٩ ـ ٤١) .

و قال حكاية عنه : « قال أرايتك هذا الذى كرّمت عليّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلاّ قليلاً قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً و استفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك و رجلك و شاركهم في الاموال والاولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان الاّ غروراً » الاسراء : ٦٢ ـ ٦٤) .

٢١ ـ (وماكان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك و ربك على كل شيء حفيظ)

و لم يكن لابليس على الناس استيلاء نافذ و سلطنة قاهرة يتمكن بها من إجبارهم على الغيّ والضلالة ، وعلى الكفر والمعصية ، و إنما كان يمكنه وسوسة و دعاء و تزيين فقط ، فاستجاب له الكفرة و اتبعه الفجرة عن سوء إختيارهم ، و انما كان ذلك إمتحاناً ربانياً لنميّز المؤمن من الكافر ، المطيع من الطاغي ، المحسن من المسيء ، الأمين من الخائن ، المصلح من المفسد ، الصادق من الكاذب ، والمخلص من المنافق . . . و لنميّز المؤمن بالاخرة والحساب والجزاء ممن هو من الاخرة و حسابها و جزائها في شك .

قال الله تعالى حكاية عن الشيطان : « و ما كان لي عليكم من سلطان الاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني و لوموا أنفسكم » ابراهيم : ٢٢) .

وقال: « و زيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لايهتدون » النمل: ٢٤).

و قال: « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا و هم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين ـ وليعلمن الله الذين آمنوا و ليعلمن المنافقين » العنكبوت: ٢ ـ ١١).

نعم يكون لابليس سلطان على الذين اتبعوه و جعلوا زمامهم بيده على انهم لما اختاروا اتباعه تسلط عليهم لا انهم اتبعوه لكونه مسلطاً عليهم، وان الشيطان يسلط على النفوس البشرية بطرق عديدة ما لم تزكّ و لم تتطهر ولم تجتنب عن وساوسه ولم تستعذ بالله من الشيطان كالوباء التي تسلط على الاجسام وأهل البلاد الذين لم يراع أهلها شروط النظافة في مساكنهم وملابسهم ومآكلهم وملامسهم أو لم يعالجوا بعد الابتلاء عن قريب.

قال الله تعالى: « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الاّ من اتبعك من الغاوين » الحجر: ٤٢).

و قال: « انه ليس له سلطان على الذين آمنوا و على ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه » النحل: ٩٩ ـ ١٠٠).

و قوله تعالى: « و ربك على كل شيء حفيظ »: و ربك أيها الرسول على كل شيء حفيظ فلا يفوت شيء من أعمال عباده، و يجازي كلاً حسب عمله، إن خيراً فخيراً و إن شراً فشراً.

٢٢ ـ (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض و ما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير)

قل أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكفار مكة ومشركي العرب موبخاً بهم على ما كانوا يزعمون، و مبطلاً لما كانوا يعتقدون، ومبيناً لهم سوء ما كانوا يصنعون: نادوا أيها المشركون تلك الاصنام والاوثان التي زعمتموهم آلهة لكم من دون الله،

ادعوهم فى مهمات امـور كم ليدفعـوا عنكم الضـر أو يجلبوا لكم النفع لعلهم يستجيبون لكم إن كان ذلك فى مكنتهم ، و بيدهم مقاليد امور كم لانكم زعمتموهم آلهة لكم و تعبدونها ، فان لم يستجيبوا لكم فليسوا بآلهة ولاتعبدوها ، ادعوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا بمن وصفنا أمرهم من أهل سباء من أنعام و انتقام ، فان لم يستطيعوا على ذلك فاعلموا انهم مبطلون .

و ما مضى من أمر داود و سليمان عليهما السلام و من قصة سبأ من آثار قدرتى فقل لهم يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : هل عند شركائكم قدرة على شيء من ذلك ، و انتم زعمتموهم آلهة لكم من دون الله ؟ فادعوهم فليأتوا أو يظهروا أو يقولوا . . . و ليس لكم و لآلهتكم جواب إلاّ النفى .

اذ لا يملك تلك الآلهة الموهومة مثقال ذرة من خير أو شر ، و من نفع أو ضرّ لعبدتهم السفلة الجهلة ، و لأتباعهم العاندة المستكبرة واللجوج الفاجرة لا فى السموات و لا فى الارض ، و ليس لتلك الالهة المزعومة فى أمر السموات والارض من شرك لله سبحانه لا خلقاً و ملكاً ، و لا تصرفاً و تدبيراً بوجه من الوجوه ، و لا بنحو من الانحاء ، إذ لا تصرف لهم فى شيء منهما لا استقلالاً و لا شركة ، فلا سبيل لأن يدعوا ملكية وزن ذرة فى السموات والارض ، فان المالك لشيء يتصرف فيه وفق مشيئته ، فماذا يملك اولئك المزعمون ، و فى أى شيء يتصرف اولئك الموهومون تصرف المالك فى هذا العالم العريض الشاسع؟

و ليس لله سبحانه من تلك الالهة من معين فى أمر شيء من امور العالم فى ايجاده و ملكه ، ولا فى تدبيره و تصرفه . فما تعبدون أيها المشركون تلك الآلهة التى هذه شأنها . فالله جل و علا هو الخالق القادر الحق . . فاعبدوه وحده و لا تعبدوا غيره .

قال الله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلاً » الاسراء : ٥٦) .

وقال: « والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون و إن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا و تـراهم ينظرون اليك و هم لا يبصرون » الاعراف : ١٩٧ ـ ١٩٨) .

و قال : « والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء إلاّ كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه وما دعاء الكافرين الاّ في ضلال » الرعد: ١٤) .

و قال : « ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولوسمعوا ما استجابوا لكم ـ قل أرايتم شركاءكم الذين تدعـون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهـم شرك في السموات » الفاطر : ١٣ ـ ٤٠) .

و قال : « قل أرايتم ما تدعـون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ايتوني بكتاب من قبل هـذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين و من أضل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون » الاحقاف : ٤ و ٥) .

و قال : « ذلك بان الله هوالحق و ان ما يدعون من دونه هوالباطل و ان الله هو العلي الكبير » الحج : ٦٢) .

و لا يخفى ان السياق يلهمنا ان هؤلاء المشركين من أهل مكة هم أشبه الناس حالاً بأهل سبأ إذ أقامهم الله تعالى في مكان أمين وسط هذه الحياة المضطربة من حولهم كما قال تعالى : « أولم يروا انا جعلنا حرماً آمناً و يتخطّف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنـون و بنعمة الله يكفرون » العنكبوت : ٦٧) و قال : « و قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكّن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لايعلمون » القصص: ٥٧) .

٢٣ ـ (و لا تنفع الشفاعة عنـده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلي الكبير)

واذا أردتم أيهاالمشركون شفاعةآلهتكم لكم يوم القيامة ، وأنتم تعبدونها لذلك بان لو كانت القيامة لكانت آلهتنا يقربوننا إلى الله زلفى ، فلا تنفع الشفاعة عندالله جل وعلا الا لمن أذن الله تعالى له فى الشفاعة ، فلا يشفع أحد لاحد حتى اذا وقف المشفوع لهم منتظرين للاذن بالشفاعة وجلين حتى اذا أذن للشفعاء و ازيل الفزع عن قلوب المنتظرين حين قال المشفوع لهم بعض لبعض استبشاراً حيث انهم محتاجون إلى الاذن والمهتمون بأمره : ماذا قال ربكم فى الاذن بالشفاعة؟ قالت الشفعاء و هم الانبياء والملائكة والائمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين وأشرفهم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لانهم المباشرون للاستئذان بالذات المتوسطون بين مستحقى الشفاعة و بين الله تعالى : قال ربنا : القول الحق و هو الاذن بالشفاعة لمستحقيها ، فلا يشفع شفيع و لا يؤذن لاحد بالشفاعة الا من قال صواباً ، و لا يؤذن بالشفاعة الا لمن ارتضاه الله جل و علا ، فكيف يمكن أن تشفع الآلهة لعبدتهم الجهلة الطاغية والسفلة الفاجرة الذين أشركوا بالله سبحانه فى الحياة الدنيا .

قال الله تعالى حكاية عن عبدة الاصنام و غيرها يوم القيامة : « فما لنا من شافعين و لا صديق حميم » الشعراء : ١٠٠ و ١٠١) .

و قال أيضاً : « فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا » الاعراف : ٥٣) .

و قال : « و ما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطّع بينكم و ضلّ عنكم ما كنتم تزعمون » الانعام : ٩٤) .

و قال : « و لم يكن لهم من شركائهم شفعاؤا و كانوا بشركائهم كافرين » الروم : ١٣) .

و قال : « و يعبدون من دون الله ما لايضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله » يونس : ١٨) .

و قال : « و لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق

وهم يعلمون » الزخرف : ٨٦) .

وقال: « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون الا من أذن له الرحمن و قال صواباً ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً » النباء : ٣٨ و ٣٩) .

و قال : « و كم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن لمن يشاء و يرضى » النجم : ٢٦) .

و قال : « يعلم ما بين أيديهم وماخلفهم ولايشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » الانبياء : ٢٨) .

وقال : « يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له و خشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همساً يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن و رضى له قولاً يعلم ما بين أيديهم وماخلفهم ولايحيطون به علماً و عنت الوجوه للحى القيوم و قد خاب من حمل ظلماً و من يعمل من الصالحات وهومؤمن فلا يخاف ظلماً و لا هضماً » طه : ١٠٨ ـ ١١٢) .

وقال: « لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً » مريم: ٨٧).

و قوله تعالى : « و هو العلي الكبير » : والله جل وعلا هو العلي الكبير : المتفرد بالعلو والكبرياء لا يشاركه في ذلك أحد من خلقه ، و ليس لاحد من أشراف الخلائق أن يتكلم إلا باذنه فضلاً عن هؤلاء السفلة الجهلة من عبيد الدنيا والشهوات . . . فله جل و علا أن يحكم في عباده بما يريد من غير ظلم على أحد من عباده . وهذا من تمام كلام الشفعاء من الانبياء والمعصومين والملائكة معترفين بغاية عظمة الله تعالى و قصور شأن كل من سواه .

قال الله تعالى : « فالحكم لله العلي الكبير » غافر : ١٢) .

٢٤ ـ (قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله و انا أو اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين)

قل أيها الرسول ﷺ لهؤلاء الطغاة الجهلة ، والبغاة السفلة ، المشركين

بالله سبحانه ، والشاكين في البعث والجزاء : من يرزقكم من السماوات بانزال الغيث عليكم ، وحرارة وضوء ونور . . . حياة لكم وصلاحاً لحروثكم ومعايشكم ، و تسخيره الشمس والقمر والنجوم والهواء والجو والرياح لمنافعكم و منافع أقواتكم . . . ؟ و ذلك مما عرفه الانسان إلى اليوم قرناً بعد قرن ، و وراء ذلك منافع و آثار اخرى في النفوس البشرية وفي حياة الانسان وفي المجتمع البشرى و في الحيوانات والنباتات والجمادات تتكشف بعد كما ان في وراء مشاهدتنا ما لم يعرفه الانسان بعد من ألوان و أصناف . . . تتكشف بعد .

ومن يرزقكم من الارض باخراجه منها أقواتكم أنعامكم من نبات وحيوان و عيون ماء و زيوت و معادن و كنوز . . . مما عرفه الانسان إلى اليوم و ما يتكشف بعد على مدار الزمان و طول الاعصار جيلاً بعد جيل ؟

فان قالوا : لاندرى اوسكتوا عن الاذعان بذلك ، و إن كانوا هم سيعترفون بذلك قل يا محمد لهم : الذى يرزقكم من السموات والارض هو الله جل و علا وحده . قل لهم ذلك جواباً عنهم إذ لاجواب لهم الاّ الاعتراف أو السكوت عناداً مع علمهم بصحته لانهم لو قالوا : ان الله تعالى يرزقنا لتقررت عليهم الحجة بانه الذى ينبغى أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئاً .

و قل لهم أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : و انا معشر الموحدين الذين يقولون : ان الرازق هو الذى في السماء إله و في الارض إله ولاشريك له فيهما ويفردونه بالعبادة لعلى هدى ، و أنتم في ضلال بيّن ، أو أنتم المشركون الذين يشركون بالله سبحانه الجماد العاجز عن دفع الضر و جلب النفع ، و يعبدون غير الله من الاصنام والاوثان ومايتخذونه آلهة لهم لعلى هدى و نحن الموحدون في ضلال ظاهر .

قال الله تعالى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زيّناها ومالها من فروج والارض مددناها و ألقينا فيها رواسى و أنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة و ذكرى لكل عبد منيب و نزلنا من السماء ماء مباركاً فانبتنا به

جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد و أحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج » ق : ٦ - ١١) .

و قال : « فلينظر الانسان إلى طعامه انا صببنا الماء صباً ثم شققنا الارض شقاً فانبتنا فيها حباً و عنباً و قضباً و زيتوناً و نخلاً و حدائق غلباً و فاكهة و أباً متاعاً لكم و لانعامكم » عبس : ٢٤ - ٣٢) .

و قال : « قل من يرزقكم من السماء والارض - فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون » يونس: ٣١ و ٣٢) .

و قال : « الله الذى خلق السموات والارض و أنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم و سخّر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار » ابراهيم : ٣٢ - ٣٣) .

و قال : « الذى جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء و أنزل من السماء ماءفاخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » البقرة: ٢٢).

و قال : « و ما من دابة فى الارض إلا على الله رزقها » هود : ٦) .

و قال : « و يعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السموات والارض شيئاً و لا يستطيعون » النحل : ٧٣) .

و قال : « أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده و من يرزقكم من السماء والارض ءإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » النمل : ٦٤) .

وقال : « انما تعبدون من دون الله أو ثاناً وتخلقون إفكاً ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق و اعبدوه واشكروا له إليه ترجعون » العنكبوت : ١٧) .

و قال : « هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لااله الا هو

فأنى تؤفكون » فاطر : ٣) .

و قال : « هو الذي يريكم آياته و ينزّل لكم من السماء رزقاً ومايتذكر الاّ من ينيب » غافر : ١٣) .

٢٥ - (قل لا تسئلون عما أجرمنا و لا نسئل عما تعملون)

قل أيها الرسول ﷺ لهؤلاء المشركين : لابد أن يكون أحد فريقينا على هدى و حق على صواب و رشاد ، والاخر على ضلال و باطل ، على خطأ و تردد ، حيث يمتنع أن نكون نحن و أنتم كلا ضالين و لا مهتدين ، فحينئذ لا تسئلون انتم عما اقترفنا نحن من المعاصي ، عما أجرمنا نحن من الاجرام ، وعما ركبنا نحن من الآثام ، ولانسئل نحن عما كنتم تعملون من عبادة الأصنام وفساد الاعمال ، و عما كنتم تشركون بالله سبحانه آلهة مزعومة موهومة و تنكرون البعث والحساب .

فلكل عمله ، و لكل تبعته و لكل جزاءه و على كل أن يتدبر موقفه و يرى سبيله أيقوده إلى فلاح أو إلى بوار ، إلى كمال أو الى انحطاط ، إلى سعادة أو إلى شقاء ، إلى سلامة أو إلى دمار ، و إلى نجاة أو إلى هلاكة و إلى جنة أو إلى نار . . . ؟ فكل انسان يحمل مسئوليته وعليه أن يتحرى الخير لنفسه ، ويطلب لها الكمال والسعادة والنجاة ، و لا يسئل انسان عن جناية إنسان ولا يحمل عنه وزره بل كل انسان و ما حمل .

قال الله تعالى: « ولاتكسب كل نفس إلاّ عليها و لا تزر وازرة وزر اخرى » الانعام : ١٦٤) .

و قال : « و لا تزر وازرة وزر اخرى و إن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء و لو كان ذا قربى » فاطر : ١٨) .

وفي الاية الكريمة ايقاظ المشركين إلى التأمل والتدبر والتفكر في رؤية وجه الحق تبارك وتعالى، وفيها براءة من النبي الكريم ﷺ عن هؤلاء المشركين

فى عقائدهم الباطلة و أعمالهم الفاسدة بانكم لستم منا و لا نحن منكم ، و دعوة منه ﷺ لهم إلى التوحيد وصالح العمل بأنا ندعوكم إلى الله سبحانه وتوحيده و إلى إفراد العبادة له و صالح الاعمال ، فان أجبتم لنا فأنتم منا ، ونحن منكم ، و إن كذبتم ، فنحن براء منكم و انتم بريئون منا .

كقوله تعالى : « و إن كذّبوك فقل لى عملى و لكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل و أنا برى مما تعملون » يونس : ٤١) .

و قوله : « قل أطيعوا الله و اطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ماحمل و عليكم ما حملتم و إن تطيعوه تهتدوا و ما على الرسول الاّ البلاغ المبين» النور : ٥٤) .

وقوله: « قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون و لا انتم عابدون ما اعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولى دين » الكافرون : ١ - ٦) .

و قوله : « فلذلك فادع و استقم كما امرت و لا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب و امرت لا عدل بينكم الله ربنا و ربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا و بينكم الله يجمع بيننا و إليه المصير » الشورى : ١٥) .

٣٦ - (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق و هو الفتاح العليم)

قل ياأيها الرسول ﷺ لهؤلاء المشركين: يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يقضى بينناوبينكم بالعدل ، فعندئذ يتبين المهتدى من الضال ، و يتميّز أهل الحق من أصحاب الباطل ، و حزب الله من حزب الشيطان ، و عباد الله جل وعلا من عبيد الشهوات والاهواء ، والله تعالى هو الحاكم الذى يعلم بحقائق الامور و أحوال خلقه ، و بما فى الصدور و أعمال عباده . . . من غير حاجة إلى شهود لتعرّفه المحق من المبطل، فستعلمون أيها المشركون يومئذ لمن العزة والذلة ، لمن السعادة والشقاء ، و لمن النجاة والعذاب . فالله تعالى هو الحاكم العادل الذى

يجزى كلاً بعمله إن خيراً فخيراً و إن شراً فشراً من غير أن يظلم على أحد ، و هو العالم الذى لا يخفى عليه شيء مما فى نوايا عباده و باعمالهم . . .

قال الله تعالى: « وأشرقت الارض بنور ربها و وضع الكتاب وجيئى بالنبيين والشهداء و قضى بينهم بالحق و هم لا يظلمون و وفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » الزمر : ٦٩ و ٧٠) .

وقال: « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم والذين كفروا و كذّبوا بآياتنا اولئك أصحاب النار خالدين فيها و بئس المصير » التغابن : ٩ و ١٠) .

و قال : « وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير » الشورى : ٧) .

و قال : « الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا و عملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا و كذّبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ـ الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون » الحج : ٥٦ ـ ٦٩) .

و قال : « و يوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم و شركاؤكم فزيلنا بينهم و قال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيداً بيننا و بينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين » يونس : ٢٨ و ٢٩) .

ففى أوّل الامر يجمع الله تعالى بين أهل الحق و أصحاب الباطل ليلتقى الحق بالباطل وجهاً بوجه ، وليدعوا أهل الحق إلى حقهم ، و يعالج الدعاة دعوتهم ففى أول الامر تختلط الامور و تتشابك ، و يصطرع الحق والباطل ، و قد تقوم الشبهات أمام البراهين ، وقد يغشى الباطل على الحق ، ولكن ذلك كله إلى حين ثم يفصل الله تعالى بين الفريقين بالحق ويحكم بينهم حكمه الفاصل المميز الحاسم الاخير ، والله تعالى هو الفتاح العليم :

يفصل عن علم ويحكم عن معرفة بين المحقين والمبطلين ، بين المؤمنين والكافرين ، بين المهتدين والضالين ، بين المصلحين والمفسدين ، بين المطيعين والعاصين ، وبين المخلصين والمنافقين، فيثيب الموحدين بالجنة ونعيمها، ويعاقب المشركين بالنار و عذابها .

٢٧ - (قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم)

قل يا أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء المشركين الجهلة والمنكرين السفلة متحدياً و توبيخاً لهم على ما اعتقدوا من الشرك بالله سبحانه : عرّفوني أيها المشركون آلهتكم الذين ألحقتموهم بالله سبحانه شركاء ؟ ما الذى عراكم و دخل فى أذهانكم من الشبه حتى جعلتموهم أنداداً لله عزوجل ؟ و بأىّ صفة ألحقتموهم بالله تبارك و تعالى فى استحقاق العبادة ؟ ؟ ؟

هل شاركت آلهتكم بالله جل و علا فى خلق شيء من الارض والسماء أو فى تدبير أمرهما ؟ فبيّنوا ما هو ؟ و إلاّ فلم تعبدونها ؟

قال الله تعالى : «خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم و بث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين » لقمان : ١٠ و ١١) .

و قال : « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات ايتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين » الاحقاف : ٤) .

وقال : « قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً الاّ غروراً » فاطر : ٤٠) .

و قوله تعالى : « كلا بل هو الله العزيز الحكيم » فلما لم يعرّفوك آلهتهم

شركاء لله سبحانه فانهم لو عرّفوها لافتضحوا إذ ليس لها صفة من صفة الالوهية فضلاً عن جميعها فقل لهم ردعاً على ما اعتقدوه : « كلا » لاينبغي لكم أن تعبدوا غير الله جل و علا ، فارتدعوا عن هذا المقال و تنبّهوا عن هذا الغيّ والضلال ، و انما هو الله الواحد الاحد ذوالعزة التي بها الغالب القاهر على كل شيء ، و ذوالحكمة في خلقه و تدبير العالم و تصرّفه ، و في تشريعاته و إرسال رسله و انزال كتبه و فيما يتعلق بشئوون عباده في الحياة الدنيا والآخرة ، فمن كانت هذه صفاته فهو الله وحده و هو الخالق الرزاق الحاكم لاإله إلاّ الله .

قال الله تعالى: « الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك و خلق كل شيء فقدّره تقديراً و اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً و هم يخلقون و لا يملكون لانفسهم ضراً و لا نفعاً و لا يملكون موتاً و لا حياة و لا نشوراً » الفرقان : ٢ و ٣) .

و قال : « أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون » الطور : ٤٣) .

و قال : « و يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً و ما ليس لهم به علم » الحج : ٧١) .

وقال: « ومامن إله إلاّ الله وان الله لهوالعزيزالحكيم » آل عمران : ٦٢) .

٢٨ - (و ما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً و نذيراً و لكن أكثر الناس لا يعلمون)

وما أرسلناك أيها الرسول ﷺ بالرسالة التي حملناكها الاّ إلى الناس جميعاً من العرب والعجم ، من الاسود والابيض ، و من على رؤس الجبال و من في لجج البحار ، و من أهل الشرق والغرب على اختلاف ألسنتهم و ألوانهم و مناطقهم . . . فما أرسلناك يا محمد ﷺ إلى قومك فحسب .

قال الله تعالى: « قل يا أيها الناس اني رسول الله إليكم جميعاً » الاعراف : ١٥٨) .

وقال: « و اوحى إلي هذا القرآن لانذركم به و من بلغ » الانعام : ١٩) .

و قال : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون » التوبة : ٣٣) .

و قال : « هـذا بلاغ للناس و لينذروا به و ليعلموا انما هو اله واحد و ليذكر اولوا الالباب » ابراهيم : ٥٢) .

و قال : « و ما أرسلناك الاّ رحمة للعالمين » الانبياء : ١٠٧) .

و قال : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » الفرقان : ١) .

و معنى عموم رسالة نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم و شمول بعثته هو : مجيئه بشرع ينطبق على مصالح الناس و حاجاتهم أينما كانوا ، و أيّ زمان وجدوا مما لم يتفق في شرع قبله قطّ ، ولهذا ختمت النبوات بنبوته صلى الله عليه و آله و سلم والرسالات برسالته صلى الله عليه و آله و سلم والكتب بكتابه صلى الله عليه و آله و سلم والاوصياء بأوصياءه ، فمحمد صلى الله عليه و آله و سلم أكمل الانبياء و أشرف المرسلين ، و دينه أتم الاديان و كتابه خير الكتب و أوصياءه أفضل الاوصياء السابقين صلوات الله عليهم أجمعين.

و قوله تعالى : « بشيراً ونذيراً » : مبشراً للذين آمنوا وعملوا الصالحات بالعزة والكمال والسعادة والأمان في الحياة الدنيا ، و بالجنة و نعيمها والنجاة من النار و عذابها في الاخرة ، و منذراً للذين كفروا و عصوا الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم بالذلة والشقاء والانحطاط والهوان في الحياة الدنيا و بالنار و عذابها و حرمان الجنة ونعيمها في الاخرة ، ولكن أكثر الناس لايعلمون ذلك ، فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغيّ والضلال و إصرارهم على الكفر والعناد ولذلك يخالفونك .

قال الله تعالى : « و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً حسناً » الكهف : ٢) .

و قال : « إن هو إلاّ نذير لكم بين يدى عذاب شديد » سبأ : ٤٦) .
و قال : « هذا ذكر من معى و ذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » الانبياء : ٢٤) .

٢٩ ـ (و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)

و يقول هؤلاء المشركون مستهزئين برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و من تبعه من المؤمنين ، يقولون : لفرط جهلهم و غاية غيّهم و شدّة عنادهم مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم والمؤمنين : متى هذا الوعد الذى تعدوننا به من قيام الساعة ، و ما يبشر به المؤمنون من الجنة و نعيمها ، وما ينذر به الكافرون من النار وعذابها إن كنتم يا محمد و من آمن به صادقين فيما تقولون .

قال الله تعالى : « قالوا ءإذا متنا و كنا تراباً و عظاماً ءإنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن و آباؤنا هذا من قبل إن هذا الاّ أساطير الاولين » المؤمنون : ٨٢ و ٨٣) .

و قال : « و قال الذين كفروا ءإذا كنا تراباً و آباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن و آباؤنا من قبل إن هذا إلاّ أساطير الاولين ـ و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين » النمل : ٦٦ ـ ٧١) .

٣٠ ـ (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون)

قل أيها الرسول صلى الله عليه و آله و سلم جواباً عن هؤلاء المشركين الجهلة ، عن هؤلاء المستهزئين السفلة ، و عن هؤلاء المنكرين الفجرة : لكم أيها الكافرون ميعاد يوم و هو يوم البعث آتيكم لامحالة ، لاتستأخرون عن هذا اليوم الموعود ساعة إذا جاء ولا تستقدمون عليه قبل مجيئه ، فان له وقتاً معلوماً لابد من مجيئه فى وقته ، فلا يغرّنكم تأخيره إلى وقته المعلوم .

قال الله تعالى: « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجلّيها لوقتها إلاّ هو ثقلت فى السموات والارض لاتأتيكم الاّ بغتة » الاعراف:١٨٧).

و قال : « و ان الساعة آتية لا ريب فيها و أن الله يبعث من فى القبور » الحج : ٧) .

و قال : « ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » المؤمن : ٥٩) .

و قال : « ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود و ما نؤخره الا لاجل معدود » هود : ١٠٣ - ١٠٤) .

و قال : « قل ان الاولين والاخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم » الواقعة : ٤٩ و ٥٠) .

و قال : « بل الساعة موعدهم » القمر : ٤٦) .

وقال: « ان وعدالله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور ان الله عنده علم الساعة » لقمان : ٣٣ - ٣٤) .

٣١ - (و قال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن و لا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين)

و قال الذين كفروا من مشركى مكة : لن نصدّق بأن محمداً رسول الله و ما جاء فهو من الله ، ولانؤمن بما يخبر به من أمر الاخرة والحساب والجزاء و ما يبشّر به من الجنة و نعيمها ، و ما ينذر به من النار و عذابها ، و لو ترى أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حال اولئك المشركين وماهم فيه من مهانة و ذلة يوم القيامة الذى هم ينكرونه لرأيت أمراً عجيباً، هائلاً فظيعاً، وذلك حين هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم بخسران الدنيا والاخرة بتكذيب القرآن و إنكار البعث ، هم موقوفون عند ربهم فى موقف الحساب والجزاء .

يرجع بعضهم إلى بعض القول يومئذ فيتحاورون و يتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب بعدأن كانوا فى الحياة الدنيا متعاضدين متحابين ، و أخلاء

متناصرين ، و تلك المراجعة والمحاورة والتلاوم هى: أن يقول الذين استضعفوا و هم الاتباع المردة والعمياء الجهلة للذين استكبروا فى الدنيا ، و هم الرؤساء الفجرة والامراء الطاغية المتبوعون إذ استتبعوهم فى الغىّ والضلال ، و قلّدوهم فى الكفر والعناد : لولا أنتم أيها السادة صددتمونا عن الهدى و سواء السبيل ، عن الايمان بالله واتباع رسوله ﷺ ، و عن تصديق القرآن و يوم القيامة ، ولو لم تضلّونا لكنا مؤمنين بالله ورسوله و كتابه وباليوم الاخر ، ولكنكم أغويتمونا و أضللتمونا فكنا من الكافرين .

قال الله تعالى: « انما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار ومالكم من ناصرين » العنكبوت : ٢٥) .

وقال : « وقفوهم انهم مسئولون مالكم لاتناصرون بلهم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين » الصافات: ٢٤ ـ ٢٨) .

و قال : « الاخلاء يومئذ بعض لبعض عدو الاّ المتقين » الزخرف : ٦٧) .

و قال : « ان ذلك لحق تخاصم أهل النار » ص : ٦٤) .

و قال : « و اذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً » غافر : ٤٧) .

و قال : « و قالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا و كبراءنا فأضلونا السبيلا » الاحزاب : ٦٧) .

و قال : « و برزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا تبعاً فهل انتم مغنون من عذاب الله من شيء » ابراهيم : ٢١) .

٣٢ ـ (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين)

قال الذين استكبروا من رؤساء الكفرة و قادة الفجرة للذين استضعفوا من الاتباع الجهلة والعمياء السفلة مجيبين عنهم و رادّين عليهم لما اتهموهم به من الاجبار على الكفر والاكراه على الطغيان مستنكرين لهم : أنحن صددنا كم عن الهدى و اتباع الحق ؟ أنحن منعنا كم من الايمان بالله و رسوله و باليوم الاخر بعد إذ جاءكم الهدى من عندالله تعالى و بلّغه النبى الكريم ﷺ ؟

بل كنتم أنتم مجرمين: مصرّين على الشرك والطغيان، وعلى الكفر والعصيان مطيعين أمر الشهوات، تاركين الهدى، مانعين أنفسكم حظها باجرامكم وايثاركم الكفر على الايمان ، و مختارين تبعيتنا من غير إكراه ، فلم نحل بينكم و بين الايمان لو صممتم على الدخول في الايمان ، فما رددنا كم نحن عن الهدى و لا أكرهنا كم ، فلم يكن منا الا التسويل والتزيين .

قال الله تعالى حكاية عنهم : « قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين- فأغوينا كم انا كنا غاوين » الصافات: ٢٩-٣٢) .

٣٣ - (و قال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون)

و قال الذين استضعفوا من الاتباع المردة - رداً لما أجابه المستكبرون على المستضعفين ، و دفعاً لما نسبوه إليهم من صدّهم لانفسهم ، مستنكرين لهم ، ورادين لقولهم و دعواهم البراءة من الاضلال- للذين استكبروا من رؤساء الكفرة والضلالة ، من قادة الشرك والغواية ، من سادة العناد والعداوة ومن حكّام الجور والفجرة : بل مكركم بنا ليلاً و نهاراً و دعاكم لنا إلى الكفر والشرك هو الذى حملنا على الكفر وصدّنا عن قبول الهدى والايمان بالله ورسوله ﷺ وبكتابه و باليوم الاخر .

و ذلك حين كنتم تأمروننا ليلاً ونهاراً أن نكفر بالله ونجحدوا وحدانيته ،

و كنتم تدعوننا إلى أن نجعل لله شركاء في العبادة و نظراء في الالوهية ، و كنتم انتم تخطّون الخطط الكثيرة لتستضعفونا وتأمّروا علينا، فتحملونا على طاعتكم فيما تريدون ، فلم نشعر الاّ و نحن مضطرون على الائتمار بأمركم إذ تأمروننا بالكفر والشرك .

وقوله تعالى : « و أسروا الندامة ... » : وأخفى هؤلاء الاتباع والمتبوع ، والمستضعفون والمستكبرون كلا الصنفين الندامة يوم القيامة على ما فعلوا في الحياة الدنيا من الكفر والشرك خوف الشماتة والخزى والفضيحة من جانب حين رأوا العذاب وشاهدوا أن لامناص لهم منه ، فبهتوا مما عاينوا ، فهم لا يستطيعون أن ينطقوا ببنت شفة من جانب آخر و جعلنا أغلاق الحديد المحرقة في أعناق الذين كفروا سواءكانوا رؤساء أو مرؤسين، حكاماً أو رعايا، أتباعاً أو متبوعين... إذ كلا الصنفين في العذاب الاليم بسبب الكفر والطغيان ، والغي والعصيان . . .

وقوله تعالى : « هل يجزون إلاّ ما كانوا يعملون » : لا يجزى هؤلاء الكافرون في الآخرة إلاّ ماكانوا يعملون في الحياة الدنيا من ضلالتهم أو إضلالهم أوهمامعاً فما يفعل الله تعالى ذلك بهم الاّ جزاءاً بما اجترحوا من الكفر والآثام ، وليس هذا إلاّ على أساس العدل والاستحقاق ، فان الله جل وعلا لايريد ظلماً لعباده .

قال الله تعالى : « اذ تبرّأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا و رأوا العذاب و تقطعت بهم الاسباب » البقرة : ١٦٦) .

و قال : « انا أعتدنا للكافرين سلاسل و أغلالاً و سعيراً » الانسان : ٤) .

و قال : « و أسروا الندامة لما رأوا العذاب و قضى بينهم بالقسط و هم لا يظلمون » يونس : ٥٤) .

و قال : « ولتجزى كل نفس بما كسبت و هم لايظلمون » الجاثية : ٢٢) .

٣٤ ـ (و ما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون)

وما بعثنا إلى أهل قرية من القرى من نبى أو رسول ينذرهم بأسنا اذا كفروا ، ويحذرهم عقابنا إذا طاغوا إلا قال رؤساء أهل القرية وكبراءها وجبابرتها من زعماء الشرك وقادة الفساد ، من اولى النعمة والثروة ومن ذوى الجاه والحشمة فهم أصل فى الجحود والانكار وغيرهم تبع لهم قالوا للرسل : إنما نحن بما أرسلتم به من الدعوة إلى التوحيد والوحى ، من الايمان بالرسالة واليوم الاخر، ومن ترك البراءة من الآلهة والتجنب من الشهوات . . . كافرون .

وذلك لان المنهمكين فى الشهوات والمنغمسين فى بحار الجهل والسفاهة يحملهم التكبر والتفاخر بزينة الحياة الدنيا على النفور من الكمال الروحى ، و من تثقيف النفوس بالايمان والعلم والحكمة ، فالضدان لايجتمعان : انغماس فى الجهل والشهوة ، وقبول العلم والحكمة ، ثروية مادية وهى غرضهم الاصيل ، و ثروة روحية ، وهى عندهم منكرة .

نعم يمكن الجمع بين المادية والروحية اذا استخدمت المادية للروحية ، والدنيا للآخرة ، والنعمة للانسان لاالعكس ، فالتضاد بينهما فى صورة استقلال المادة لا فى صورة استخدامها للمعنوية .

ومن شأن الاتراف والترفه والتقلب فى نعم الدنيا ومتاعها أن يتعلق قلب الانسان بها ، فيستعظمها ويرى السعادة والكمال فيها ، ولايذكر ولايرى إلا ظاهر الحياة الدنيا وزخارفها وينسى سواها . . .

قال الله تعالى : « وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها و مايمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون واذا جائتهم آية قالوا لن نؤمن حتى مثل ما اوتى رسل الله » الانعام : ١٢٣ و ١٢٤)

وقال : « وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما ارسلتم به كافرون ـ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على

رجل من القريتين عظيم » الزخرف : ٢٣ ـ ٣١)

٣٥ ـ (و قالوا نحن أكثر أموالاً و أولاداً و ما نحن بمعذبين)

وقال هؤلاء المستكبرون المترفون : نحن أكثر أموالاً وأولاداً من هؤلاء المؤمنين ونبيّهم ، ومانحن الزعماء ذووالشوكة ، ومانحن الرؤساء صاحبو الحشمة ، ومانحن الأغنياءاولواالثروة بمعذبين في الاخرة لوكانت آخرة وحساب. كان هؤلاء المستكبرون يفتخرون بكثرة أموالهم وأولادهم على المؤمنين و يتفضّلون عليهم ، معتقدين على ان ذلك دليل على كثرة محبة الله سبحانه لهم وغاية عنايته واعتنائه بشأنهم ، وكانوا يقولون : ان الله ماكان ليعطينا تلك الاموال و هؤلاء الاولاد في هذه الحياة الدنيا ثم يعذّبنا في الاخرة لوكانت . وكانوا يقولون : لولم يكن الله راضياً عمانحن عليه من الملّة والفضل والعمل لم يخوّلنا تلك الاموال والثراة ولاهؤلاء الاولاد و كثرة العدد ، وليس هذا الا فضلاً من الله لنا على هؤلاء المؤمنين الفقراء الضعفاء . . . فمانحن بمعذبين لوكان عذاب بعدالموت لان من أحسن إليه فلايعذّبه بعد .

وكانوا يقاسون أحوالهم في الدارالاخرة على أحوالهم في هذه الحياة الدنيا على فرض صحة ما انذرهم به الرسل . . .

هيهات هيهات انهم قد ضلّوا ضلالاً بعيداً ، وأخطاؤا غاية الخطأ ، و غفلوا نهاية الغفلة ، وجهلوا منتهى الجهل ، فلم يعلموا : « أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون » المؤمنون : ٥٥ و٥٦)

فلاتشوبهم النقمة ولاهم يحاسبون في الاخرة وغفلوا عن قوله تعالى : « فلا تعجبك أموالهم ولاأولادهم » التوبة : ٥٥) وعن قوله تعالى حكاية عن صاحب الجنتين : « وماأظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منهامنقلباً» الكهف : ٣٦) حيث أخبر الله جل وعلا عن صاحب تينك الجنتين انه كان ذامال و ثمار و ولد ولكنها لم تغن عنه شيئاً بل سلب ذلك كله عنه في الدنيا قبل الاخرة .

ولم يعلموا ان الدنيا ومتاعها مالم تستخدم للآخرة لاتزن عندالله جل وعلا جناح بعوضة ، ولو كانت تزن لما اعطى الكافر منها جرعة ماء ، وان إعطاء الدنيا على حسب الوجود والامتحان لاعلى الاستحقاق بالعقيدة والعمل ، وان إعطاء الاخرة على حسب الاعتقاد وجزاء العمل فشتان بينهما .

فليست كثرة الاموال والاولاد سبباً لنجاتهم من العذاب الاخروى ، ولا دليلاً لكرامتهم عندالله سبحانه في الدنيا ولالمكانتهم عنده في الاخرة كما انهم قاسوا الدنيا الفانية على الاخرة الباقية ، وليس ذلك الا من وطأة الشياطين قلوبهم وذهاب قوة فكرتهم .

قال الله تعالى : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أيّ الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً » مريم : ٧٣)

٣٦ - (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

قل ياأيها الرسول ﷺ لهؤلاء المترفين الذين يفتخرون بكثرة الاموال والاولاد، بكثرة العدد والعدد ، وبالشوكة والحشمة والرئاسة والزعامة ،ويرونها سعادة لانفسهم و كمالها ، ويرونها عناية الله سبحانه واعتنائه بشأنهم ، كرامة لهم عندالله جل وعلا ، ورضاالله عنهم قل لهم رداً عليهم : ان ربى الذى خلقنى وربانى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده من غير نظر إلى استحقاق من بسط له الرزق بالبسط ، يبسط له الرزق على مايعلمه من مصالح الفرد ومصالح المجتمع البشرى، ويبسط له الرزق من المعاش والرياش في الحياة الدنيا لالمحبة به ، ولالخير فيه، ولالزلفى استحق بها ذلك . . .

ويضيق الله جل وعلا الرزق لمن يشاء من خلقه من غير نظر الى استحقاقه ذلك ، يضيق عليه الرزق على مايعلمه من مصالح الفرد ومصالح المجتمع البشرى: ويضيق عليه لا لبغض من الله تعالى على من ضيّق عليه الرزق ، ولالمقت منه له .

ان البسط والضيق فى الرزق لمصلحة إلهية، وحكمة ربانية وسنة وضعها لسعي الانسان، لابدله من السعي فى هذه الحياة الدنيا، وان سعة الرزق وضيقه محكا ابتلاء للموسع عليه، والمضيق عليه سواء كان مؤمناً أم كافراً، مطيعاً كان أو عاصياً، مخلصاً كان أم منافقاً، ومحسناً كان أو مسيئاً . . . فيرزق الكافر والعاصي والمؤمن والمطيع، كما يرزق الذئب والغنم، ورب كافر أكثر أموالاً واولاداً وسعة فى عيشه من المؤمن، فليست السعة في الرزق دليلاً على رضاء الله سبحانه عن الموسع عليه، ولا الفقر دليلا على سخطه جل وعلا على المضيق عليه، فلا رابطة بين الثراة ومحبة الله، ولا بين الفقر وسخطه تعالى.

ان الله جل وعلا هو الذى يفاضل بين عباده في الارزاق امتحاناً لهم، فلا يدل شيء من ذلك على ما في العواقب، فسعة الرزق في الدنيا لاتدل على سعته في الآخرة، فلا تظنوا أيها الكافرون: ان أموالكم وأولادكم وعددكم تغنى عنكم غداً شيئاً، وليست السعة في الرزق دليلاً على قرب من بسط له رزقه من الله تعالى، ولا الضيق دليلاً على بعد من قدر عليه رزقه عن الله تعالى، فان القرب والبعد يدوران على الايمان والكفر، على الطاعة والمعصية، وعلى الاخلاص والنفاق . . .

فكم من شقي كافر موسر، و سعيد مؤمن معسر، و ربما وسع على العاصي وضيق على المطيع، و ربما عكس الامر، و قد يوسع على المطيع والعاصي تارة، وقد يضيق عليهما، ويفعل الله تعالى ذلك كله حسب ما اقتضته الحكمة البالغة الالهية لانعلمها تماما، وقد خفي علينا أمرها، فلو كان البسط دليل الاكرام والرضا لاختص به المؤمن المطيع، ولو كان التضييق دليل الاهانة لاختص به الكافر العاصي، فالبسط والضيق محكا ابتلاء للانسان بما هو انسان لا بما هو انسان مؤمن و انسان كافر، فالصفات الانسانية لادخل لها في ذلك، وان الدخيل هو الوجود من حيث انه موجود مخلوق مكلف يسمى بانسان.

وقد يفعل الله تعالى السعة والضيق بالنسبة إلى شخص واحد بانه يوسع عليه

فى وقت ويضيق عليه فى وقت آخر، حتى نرى كثيراً ان الكافر يضيق عليه فى أيام كفره ويوسّع عليه بعد أن آمن ، كما نرى عكس ذلك أيضاً ، فالاية تحتمل أن تكون بالنسبة إلى شخص واحد باعتبار وقتين من أوقاته ، وأن تكون بالنسبة إلى أفراد متعددة . . .

و قوله تعالى : « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » حكمة الهية فى البسط والضيق لانهم لا يتأملون و لا يتدبرون فى ذلك فيتوهمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة والسعادة ، ومدار الضيق هو الهوان والضعة و الشقاء، ولايدرون ان الاول كثيراً ما يكون بطريق الاستدراج ، والثانى بطريق الابتلاء ورفع الدرجات . . .ولايعلمون ان البسط والضيق محكا اختبار من غير ملاحظة الاستحقاق فيهما أصلاً ، فأغنى بعض عباده ليمتحن بغناه ، وأفقر بعضهم ليبتلى بفقره ، فليس البسط لكرامة ، و لاالفقر على بخل من الله سبحانه ، فينبغى للغنى أن ينفق بما وسع عليه ، وعلى الفقير أن يصبر على ماضيق عليه ،فلايكون لاحد من الفريقين داع إلى مافعل الله جل و علا به من البسط والضيق الا الابتلاء ومصالح الفرد والمجتمع البشرى ، والحكمة الالهية التى لايعلم الانسان كثيراً منها حتى تحيّر بعضهم و اعترض على الله تعالى فى البسط لطائفة والتضييق منه على الاخرين أشار إليه قطب الدين الراوندى بقوله :

كم عاقل عاقل اعيب مذاهبه	وجاهل جاهل تلقاء مرزوقاً
هذا الذى ترك الاوهام حائرة	وصيّر العالم النحرير زنديقاً

قال الله تعالى : « له مقاليد السموات و الارض يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر انه بكل شيء عليم ـ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزّل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير » الشورى : ١٢ ـ ٢٧)

وقال : « فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربى أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن » الفجر : ١٥ ـ ١٦)

و قال : «والله فضّل بعضكم على بعض فى الرزق » النحل : ٧١)

وقال : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين » البقرة : ١٥٥)

وقال : « ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » المائدة:٤٨)

وقال : « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » الانعام : ١٦٥)

وقال : « انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً » الكهف : ٧)

وقال : « انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة » القلم : ١٧)

٣٧ - (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون)

وليس أموالكم أيها الكافرون التى خولتموها ، فتغترّون بها ، وتعتمدون عليها في السعاده وانتفاء عذاب الله تعالى، ولا أولادكم التى رزقتموها ، فتفتخرون بها على الناس وتستدلون بها على رضا الله سبحانه عنكم ، ليست هي التى تقرّبكم عندنا قربى ، وليست دليلاً على محبتنا بكم ، ولا اعتنائنا بشأنكم ، وأنتم على كفر وطغيان ، وان الاموال والاولاد من حيث هما هما من غير استخدامهما للآخرة ، ومن غير انضمامهما بالايمان وصالح الاعمال لاتنفع .

إلاّ أموال من آمن بالله تعالى وبرسوله ﷺ وباليوم الاخر ، وعمل صالحاً يتحمّل الاموال لله جل وعلا وينفقها في وجوه البر، ولا تلهيه عن ذكر الله سبحانه حيث ان المؤمن يستخدم الدنيا ومتاعها للآخرة ، وكذلك إلاّ أولاد من آمن ويربيهم لله تعالى تربية صالحة ، كما ورد في الولد الصالح ، فالتوجه التام للمؤمن هو الله جل وعلا وحده بخلاف الكافر الذى توجهه التام هو المال والولد ، غفلة عن الله جل وعلا .

وان وسيلة التقرب الاصيلة والزلفى عند الله جل وعلا هى الايمان وصالح الاعمال سواء إنضم به الاموال والاولاد أم لا ،ولكن الاموال اذا استخدمت للاخرة، والولد الصالح تنفعه ، فاولئك المؤمنون الصالحون لهم جزاء حسنة منهم عشر أمثالها إلى سبعمأة ضعف بسببما عملوا من صالح الاعمال بالاموال وتربية الاولاد وهم فى غرفات الجنة آمنون من جميع المكاره وما يحذرمنه .

قال الله تعالى : « ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولاأولادهم من الله شيئاً » آل عمران : ١١٦)

وقال : « ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه » الحاقة : ٢٨ ـ ٢٩)

وقال : « وما يغنى عنه ماله اذا تردى » الليل : ١١)

وقال : « رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله و إقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب » النور : ٣٨)

وقال :« والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماماً اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً» الفرقان: ٧٤ و ٧٥)

وقال :« يوم لاينفع مال ولابنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم » الشعراء:٨٨و٨٩)

وقال : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً يضاعفه له أضعافاً كثيرة » البقرة : ٢٤٥)

وقال : « واعلموا انما أموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده أجر عظيم » الانفال : ٢٨)

وقال : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوّئنهم من الجنة غرفاً تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين » العنكبوت : ٥٨)

وقال : « لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى

من تحتها الانهار وعدالله لايخلف الله الميعاد » الزمر : ٢٠)

وقال : « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة و كلاً وعدالله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه » النساء : ٩٥ و٩٦)

٣٨ - (والذين يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون)

والذين كفروا يسعون في إبطال آياتنا و كتابنا بالطعن فيها ويسعون لاعجاز الناس عن أن يتصلوا بآياتنا ، ولاعجاز آياتنا أن تتصل بالناس ، ويسعون في إنكار أدلتنا وحجتنا على وقوع البعث والحساب والجزاء ، باذلين جهدهم في ذلك ، مقدّرين إعجازنا على سبيل معاونة بعضهم بعضاً في ذلك ، ظانين انهم يفوتوتنا ، وانا نهملهم وانا لن نقدر عليهم ،اولئك الكافرون في عذاب جهنم يوم القيامة محضرون، وإن كثرت أموالهم وأولادهم ، وعبدوا آلهة لتقرّبهم عندالله سبحانه زلفى .

تحضرهم الزبانية إلى نار جهنم ، ولايجدون عنها محيصاً . ولايجديهم نفعاً ما عوّلوا عليه من شفاعة آلهتهم ونصرة أولادهم ، ونفع أموالهم ،اما الاصنام والاوثان فجماد لاشعور لها ، وأما غيرها من الملائكة والجن والشياطين ومن إليهم من الالهة المزعومة فهم يبرّؤن منهم ، وأما الاموال فلا أثر لها يومئذ ، وأما الاولاد فلاأنساب بينهم ، فيجاء بهم من حيث كانوا إلى حيث يلقون في جهنم ويصلون العذاب الاليم فيها .

قال الله تعالى : « والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك أصحاب الجحيم » الحج : ٥١)

وقال : « وأما الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون » الروم : ١٦)

٣٩- (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه و هو خير الرازقين)

قل يا أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين : ان ربي يوسّع الرزق لمن يشاء من عباده المؤمنين حيناً ، ويضيقه عليه حيناً آخر ، والجملة تصح أن تكون بالنسبة إلى شخص واحد باعتبار وقتين من أوقاته ، وأن تكون بالنسبة إلى أشخاص متعددة...

وعلى أيّ التقديرين فالاية في معنى : فلا تخشوا الفقر والفاقة أيها المؤمنون وأنفقوا مما رزقناكم في وجوه البر ، وتقرّبوا إلى الله جل وعلا بأموالكم لتنالكم نفحة من رحمته ، وما أنفقتم أيها المؤمنون من شيء مما رزقناكم قليلاً كان أم كثيراً ، فالله تعالى هو يعطيكم خلفه وعوضه بزيادة كثيرة ، أما في الدنيا بزيادة النعمة، وأما في الاخرة فبالجنة ونعيمها. والله جل وعلا هو خير الرازقين، فترزقون من حيث لا تحسبون ، ولا رازق سواه .

قال الله تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مأة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » البقرة : ٢٦١ و٢٦٢)

وقال : « فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير » الحديد : ٧)

وقال : « هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا إله الا هو فأنى تؤفكون ـ ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور » فاطر : ٣ ـ و٢٨ و ٢٩)

وقال : « وما من دابة في الارض الا على الله رزقها » هود : ٦)

وقال : « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » الذاريات : ٥٨)

وقال : « أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه » الملك : ٢١)

وأما الكفار وأذنابهم من المنافقين والعاصين فلن يقبل الله تعالى نفقاتهم لفقدهم شرط قبول الأعمال الصالحة وهو الايمان .

قال الله تعالى: « قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبّل منكم انكم كنتم قوماً فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون » التوبة : ٥٣ و٥٤)

٤٠ - (و يوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون)

واذكر أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء المترفين المستكبرين المتبوعين والمستضعفين التابعين يوم يحشرهم الله تعالى جميعاً مع معبوديهم من الملائكة وغيرهم للحساب والجزاء ، ويا هول ذلك الموقف الشديد : الموقف المخوف ، الموقف الخطير، موقف الزحام والحساب العسير، وموقف الفضيحة والخسران للكفرة الفجرة القادة ومردتهم ثم يقول ربك للملائكة في هذا الاجتماع وعلى رؤوس الاشهاد : يا أيها الملائكة ! أهؤلاء الرؤساء المستكبرون وأتباعهم إياكم كانوا يعبدون من دوننا ، وكانوا هم يقصدونكم بالعبادة و يخضعونكم بالتقديس ،و أنتم أمرتموهم بعبادتكم وأنتم خلق من خلق الله كما قال تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام: « واذقال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وامي إلهين من دون الله» المائدة : ١١٦)

قال الله تعالى : « ويوم يحشرهم ومايعبدون من دون الله فيقول أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل » الفرقان : ١٧)

وقال : « هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا و أزواجهم وماكانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون » الصافات : ٢١ ـ ٢٤)

٤١ ـ (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون)

قالت الملائكة حينئذ : سبحانك يارب وتنزيهاً لك بعد تنزيه ، وتعاليت

وتقدست عن أن يكون معك إله ، وتنزيهاً لك أن نعبد سواك ، ونتخذ معبوداً غيرك ، أنت ولينا الذى نواليه وحده ، نحن عبيدك ، ونتقرب منك بالعبادة لك وحده ونواصلك ونرجوك ، من دون هؤلاء المستكبرين وأتباعهم وآلهتهم، ونبرأ إليك منهم ومن عقائدهم السخيفة ، وأعمالهم الباطلة ، ولم نك راضين عن عبادتهم وخضوعهم لآلهتهم ولا عن تقربهم إلينا ، فلا موالاة بيننا وبينهم ، بل كان هؤلاء المشركون من المتبوعين والاتباع يعبدون الجن ويعوذون بهم ، ويجعلون بينك وبين الجن نسباً ، ويستغيثون بهم فى قضاء حوائجهم كما هو مشهور لدى أرباب العزائم والسحرة .

حيث ان الجن زيّنوا للمشركين عقائدهم وأعمالهم ، فأضلّوهم ، أكثر المشركين كانوا مؤمنين بالجن ، مصدقين لهم فيما يقولون و ما يوسوسونهم و مطيعين لهم إتقاءً من طروق الشرمن قبلهم ومبادىء الشر عندهم .

قال الله تعالى : «قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من اولياء ـ يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً» الفرقان : ١٨ـ٢٢)

وقال : «وجعلوا الله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون» الانعام : ١٠٠)

وقال : «ان الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون» الاعراف : ٢٠٦)

وقال : «واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً» مريم : ٨١و٨٢)

وقال : « ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ـ بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون » الانبياء : ١٩ـ٢٧)

وقال : «وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً» الصافات : ١٥٨)

وقال : «وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً» الجن : ٦)

٤٢ - (فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعاً ولاضراً و نقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون)

فيوم القيامة لايملك بعضكم أيها المعبودون والعابدون من المستكبرين ومردتهم لبعض نفعاً من الشفاعة والانجاء من فزع يومئذ وأهواله ، ولاضراً من هلاك وتعذيب ، بل الامر كله يومئذ لله الواحد القهاروحده ، وذلك موقف شديد، موقف خطير، وموقف ضعف وعسيرمن مواقف يوم القيامة وما أطوله عليهم .

ونقول للذين ظلموا من المستكبرين وأتباعهم ، ظلموا على الله سبحانه بالشرك والطغيان ، فان الشرك لظلم عظيم ، وظلموا الناس والمجتمع البشرى بصدهم عن السعادة والكمال ، عن العزة والنجاة وعن الهداية وصالح الاعمال ، و بالافساد فى الحرث والنسل بسبب كفرهم والعصيان ، وظلموا أنفسهم بالشقاء والانحطاط والذلة والخسران عذاب النار بسبب الانحراف عن سواءِ السبيل ، والاعراض عن ذكرالله جل وعلاإلى عبادة الآلهة المزعومة الموهومة . . . نقول زجراً لهم وتأنيباً : ذوقوا عذاب النارالتى كنتم تكذبون بها فى الحياة الدنيا ، فعضّوا بنان الندمأسى وحسرةعلى ماقدموا منفساد الاعمال وسخيف العقائد . . .

قال الله تعالى : «فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته انه لايفلح المجرمون ويعبدون من دون الله مالايضرّهم ولاينفعهم و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله» يونس : ١٧-١٨)

وقال : « اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون - وما نرى معكم شفعاؤكم الذين زعمتم أنكم فيكم شركاؤا لقد تقطع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون» الانعام : ٩٣ و٩٤)

وقال : «واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئاً وهم يخلقون ولايملكون لانفسهم ضراً ولانفعاً ولايملكون موتاً ولاحياة ولانشوراً - الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً» الفرقان : ٣-٢٦)

وقال : «ان الشرك لظلم عظيم» لقمان : ١٣)

وقال : «وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون - ولن ينفعكم اليوم إذظلمتم انكم في العذاب مشتركون» الزخرف : ٣٧- ٣٩)

٤٣ - (و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم و قالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين)

واذا تتلى على الكفار الجهلة والمشركين السفلة آياتنا القرآنية بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حال كونها واضحة الدلالات على حقيّة التوحيد وبطلان الشرك، وظاهرة المعاني في وقوع البعث والحساب والجزاء، وقاطعة البرهان على حقية نفسها وصدق نبينا صلى الله عليه وآله وسلم قالوا تارة : ما هذا القارىء إلاّ رجل - متجاهلين عن معرفته، فكأنه صلى الله عليه وآله وسلم غير معروف بينهم وهم لايعرفونه أصلاً تحقيراً لشأنه صلى الله عليه وآله وسلم - يريد أن يصدكم أيها المشركون ويصرفكم عما كان يعبد آباؤكم من الالهة، يريد أن يسفه أحلام أسلافكم، و يغيب آلهتكم، يريد أن يغيّر دينكم الذي ورثتموه من آبائكم، ويريد بأمر في نفسه بأن يتفضّل عليكم و يجعلكم من أتباعه دون أن يكون له حجة على ما يدّعيه، ولابرهان على صحة ما يسلك من سبيل، فلايكون رسولاً، فلا تتبعوه واحذروه.

هذه مقالة الكافرين في نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته، وهذا دأب الكفار إطلاقاً.

قال الله تعالى : «واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا» الحج : ٧٢)

وقال : «ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمودوالذين من بعدهم لايعلمهم الاّ اللهجاءتهم رسلهم بالبينات فردّوا أيديهم فى أفواههم و قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به ـ قالوا ان أنتم الاّ بشرمثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبدآباؤنا فأتونا بسلطان مبين» ابراهيم : ٩-١٠)

وقال : «فقال الملؤا الذين كفروا من قومه ما هذا الاّ بشرمثلكم يريدأن يتفضّل عليكم ولوشاءالله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين» المؤمنون : ٤٢)

و قوله تعالى : «وقالوا ما هذا إلاّ إفك مفترى» : و قال هؤلاء الكفرة الجهلة فى أمر القرآن الكريم بعد ماقالوا فى شأن النبى الكريم ﷺ :ماهذا- محقّرين له ومستهزئين به ـ القرآن الذى يقرؤه عليكم محمد ويدّعى انه وحى من عند ربه إلاّ كذب مختلق من عنده ، متخرّص من تلقاء نفسه ، كلام مصروف عن وجهة لامصداق له فى الواقع ، مفترى باسناده إلى الله تعالى و أعانه عليه قوم آخرون .

قال الله تعالى : « وقال الذين كفروا إن هذا إلاّ إفك إفتراه و أعانه عليه قوم آخرون» الفرقان : ٤)

و قوله تعالى : «وقال الذين كفروا للحق لماجاءهم إن هذا الاّ سحر مبين» : و لما رآى هؤلاء الكفرة السفلة أثر القرآن الكريم فى النفوس ، و علموا ان الكذب والاختلاق والزوروالبهتان و كلام الكاذب والمجنون والمختلق لايؤثر هكذا فى النفوس قالوا ثالثاً للحق حين جاءهم به محمد رسول الله ﷺ من عند ربه مشتملاً على الهدى والشريعة السهلة السمحاء التى وجهتهم فى حياتهم الاجتماعية ونظم المعيشة وجهة جديدة تكون بها كما لهم و عزتهم و سعادتهم فى معاشهم ومعادهم ، وغيّرت الطريق الذى ورثوه عن آبائهم وأجدادهم . . . قالوا من غير تدبر ولاتأمل فيما تلاه عليهم النبى ﷺ : ما هذا المتلو إلاّ سحر

ظاهر سحريته لاخفاء فيه عندنا ، وخيال لاحقيقة له .

قال الله تعالى : «واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه ـ و إذلم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم» الاحقاف : ٦ـ١١)

وقال : « واذا ذكّروا لايذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون و قالوا إن هذا إلاسحر مبين» الصافات : ١٣ـ١٥)

وقال : «ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلاّ سحر مبين» الانعام : ٧) و قال : «ولما جاء هم الحق قالوا هذا سحر وانابه كافرون» الزخرف : ٣٠) هؤلاء الكفار الجهلة والمشركون السفلة كانوا يتخبطون ولايدرون ماذا يقولون ، فتارة يقولون : ان هذا القرآن إفك و افتراء و كذب وقارئه أفّاك ومفترى و كاذب ، وتارة اخرى يقولون : انه سحر و كهانة ، وتاليه ساحر وكاهن وثالثة يقولون : انه خيال وقائله مجنون . . . وهذا شأن المتخبط المتحير الذى اغشى عينه قوة النور وبهر نفسه بريق الحق فهو لايدرى ماذا يقول .

وحقاً عمت أبصارهم ، وضلّت أحلامهم ، فلم يستطيعوا أن يدفعوه بكل سبيل ، ولايزال يلج القلوب ويقتحمها ويداخل النفوس ويستحوذ عليها ، وصاروا حيارى فى أمر النبى الخاتم محمد المصطفى ﷺ ولايجدوا طريقاً للتغلب عليه ﷺ بالوسائل التى كانوا يعرفونها ، وهى بين أيديهم ، فانهم نفوا الرسالة أولاً ثم الوحى ثانياً ، ونسبوا إلى الاول بارادة الصد عن السبيل وإلى الثانى بالافتراء والكذب جاء به لترويج دعوته .

أهؤلاءِ المشركون لم يعلموا ان الدين الصحيح الالهى انما يأتى بوحى من عندالله جل وعلا ، وبكتاب ينزل على الرسول ﷺ ليبلغه للناس ، ويبين لهم فيه ما جاء به من الشرائع والآداب والفضائل التى تكون بها كمالهم وعزتهم

ونجاتهم وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم وهم امة اميّة أم كانوا يعلمون و لكنهم يكفرون عناداً ولجاجاً . . .

٤٤ - (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير)

وما آتينا هؤلاء المشركين الجهلة والكفار السفلة شيئاً من كتب سماوية يدرسونها قبل هذا القرآن الكريم ، فيعلمون بدرسها وقرائتها ان ما تلوته عليهم من آياتنا إفك مفترى ، وقاريه يريد أن يصدّهم عن دينهم ودين آباءهم ، وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ينذرهم ، فأخبرهم بان ما تتلوه عليهم من آياتنا سحر مبين ، وما تدعوهم إليه من التوحيد والبعث والحساب والجزاء باطل و كذب ، فيتمسكون بقوله في تكذيبهم بك ، وبصحة ماهم فيه من الشرك والكفر...

فمن أين أتاهم ان ماهم فيه هو الدين الحق الذى يرشدهم إلى صحة الاشراك بالله سبحانه ، وينفى توحيد الخالق العليم الواحد الحكيم ، الرازق الخبير، المدبر البصير حتى يكون لهم معذرة فيما يدّعون وحجة على صحة ما يعتقدون فلم يقرؤا في كتاب اوتوه بطلان ماجئتهم به ولاسمعوه من رسول بعث إليهم ، إذلم ينزل إليهم قبل القرآن الكريم كتاب ، ولم يرسل إليهم قبلك رسول ، فلايكون كلامهم مستنداً إلى علم وتجربة ، ولا وجه لتكذيبهم يتشبّث به ولاشبهة متعلق ، فمن أين يكذبونك كما ان لادليل لهم ولاحجة على ماهم فيه من الشرك إلااتباع الهوى والعناد والحمية الجاهلية ، واللجاج .

قال الله تعالى : «أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيّرون» القلم : ٣٧-٣٨)

وقال : «أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون» الروم:٣٥)

وقال : «أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون» السجدة : ٣)

وقال : «ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً أتاهم من نذير من قبلك لعلهم

يتذكرون - قل فأتوا بكتاب من عندالله هوأهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هوى بغير هدى من الله» القصص : ٤٦-٥٠)

وقال : «قل أرأيتم شركاؤكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه» الفاطر: ٤٠) وقال : «وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آبائنا على امة وانا على آثارهم مهتدون» الزخرف : ٢٠-٢٢)

٤٥ - (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير)

وكذّب الامم السابقة بآياتنا ورسلنا ، الذين كانوا هم من قبل هؤلاء المشركين ، وكان هؤلاء الامم البائدة والقرون الخالية كقوم نوح وعاد و ثمود ولوط وموسى . . . أقواماً أشد بطشاً من هؤلاء المشركين ، وأكثر أموالاً و أولاداً وأطول عمراً وأوسع عيشاً ، فأهلكناهم بسبب تكذيبهم بآياتنا و رسلنا ، فحل بهم نكالنا ووبالنا ، فدمّروا تدميراً ، ولم تغن عنهم عددهم وعددهم ، ولاأموالهم وأولادهم من الله تعالى شيئاً ، وما بلغ المشركون معشار ما آتينا تلك الامم الماضية ، فكيف كان عقابى بهم .

فاحذروا أيها المشركون أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، ويحل بكم ماحلّ بهم ، وانكم لتشاهدون آثارهم فى حلهم وترحالهم فى غدوهم ورواحهم . . .

فأين هم من قوم عاد وقوم نوح وقوم ثمود وقوم لوط ؟ وأين هم من أهل سبأ وماكان لهم من قوة وبأس وجاه وسلطان وعدد وعدد ؟ ؟ ؟ وأين هم من نمرود و قارون وشداد وفرعون مصر . ؟ ؟ وما ملك من بلاد واستعبد العبّاد ؟

وإنما العجب من مشركي العرب اللجوج انهم كيف توصّلوا إلى ذلك

الحكم على الرسول الاعظم ﷺ ؟ هل فى سيرته أو فى دعوته أو فى شخصه ما يدعو إلى ذلك ؟ معاذ الله انه ﷺ الصادق المصدق الامين العفيف عن الدنيا و أعراضها الزائلة ، وهو الذى أتى بالهدى والنور والرحمة للناس كافة ، وماسندهم فى هذا الحكم الباطل ؟ وما دليلهم على مقالتهم السخيفة ؟ وما حجتهم لعقيدتهم الفاسدة ؟ أعندهم كتاب سماوى يقرؤون فيه ذلك ؟ أو ارسل إليهم قبل محمد رسول الله الخاتم ﷺ فبلغهم ذلك ؟ كلا ثم كلا .

لم يكن عندهم كتاب ينطق بتكذيب النبى الخاتم ﷺ ، ولم يرسل إليهم قبله رسول يكذبونه بقوله ، ولم يكن لهم دليل على مقالتهم فيه ﷺ : بانه ساحر أو كذاب اومفتر أو به جنون ... أبداً وانماهم كذّبوه لاعن دليل ، و أعرضوا عنه مع وجود ألف دليل ودليل على صدقه ﷺ .

ولاغرابة ، فقد كذّب الذين من قبلهم من الامم السابقة ، وما بلغ مشركو العرب معشار ما آتينا تلك الامم من قوة وسلطان وبطش وعدد وعدد وطول عمر... فكذبت الامم رسلى ، فكانت العقوبة الصارمة والجزاء العاجل و الهلاك المهلك فكيف كان عقابى ، فاعتبروا يا اولى الابصار.

قال الله تعالى : «اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» الروم : ٩)

وقال : «كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لايشعرون فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون» الزمر: ٢٦-٢٧)

وقال : «ثم دمّرنا الاخرين و انكم لتمرّون عليهم مصبحين و بالليل أفلا تعقلون» الصافات : ١٣٦-١٣٨)

وقال: «وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقّبوا فى البلاد هل

من محيص ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أوألقى السمع و هوشهيد» ق :
(٣٦_٣٧)

٤٦ - (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد)

قل يا أيها النبى ﷺ لهؤلاءِ المشركين : إنما أعظكم بكلمة واحدة ، واوصيكم بها وهى : أن تقوموا فى طلب الحق لوجه الحق ، خالياً عن إتباع الهوى اثنين إثنين وواحداً واحداً .

فالمراد من القيام ليس القيام على الارجل ، وانما المراد به هو القصد للنظر والفكر والتعقل لتبيين الحق ، ولطلب الحق لوجه الحق ، و هذا لايمكن فى الجماعات العامة والازدحام والغوغاء إذفيها تهويش الخاطر والمنع من إطالة التفكير وتخليط الكلام وقلة الانصاف ، بل و كثيراً ما فيها إحياء الباطل و إماتة الحق ، وخاصة فى هذا الامر العظيم : أمر التوحيد و ترك الشرك ، أمر الرسالة و ترك العصبية ، وأمر البعث والحساب والجزاء . . . التى تخالف عقيدتهم الفاسدة، وأعمالهم الكاسدة مع اضطرابهم وتبلبل أفكارهم فى الجماعات والجدل والخصومة بينهم .

تقومون اطلب الحق لوجهه تاركين القعود والكسل ، والخمول والتقليد العمياء ، تاركين موت النفس وإماتتها بالعصبية الجهلاء ، وتاركين نوم العقل وإضاعة الفكر باتباع الهوى ، بل تقومون متسلحين بيقظة الضمير ونشاط العقول، ناظرين فى أمر هذه الرسالة السماوية وفيما جاءكم به من غير مبادرة بتكذيبها عناداً واستكباراً ، وناظرين مجردين أنفسكم من كل ما يعوق البحث الحر والفكر السليم الخالى من الهوى والغرض . . .

وقوله تعالى : «ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة» : تتفكروا فيما وعظتكم

به من التوحيد وترك الشرك بالله سبحانه ، من الطاعة لله تعالى وحده وترك العبادة لغيره ، ومن الائتمار بأوامر الله جل وعلا والانتهاء عن نواهيه . . . تتفكروا ملياً فيما دعوتكم إليه من الرسالة وما جئتكم به من الـوحي السماوي يعجـز الجن والانس عن اتيان آية مثله ، وفيه السعادة والكمال ، والعزة والجلال ، و النجاة والسلام . . . تتفكروا فيما ذكّرتكم به من هلاك الامم الماضية و دمارهم بسبب الكفر والطغيان ، ومن البعث والحساب والجزاء والنار وعـذابهـا للكافريـن ، وتتفكروا فيما حذّرتكم عنه من سوء عاقبة عقائدكم الباطلة وفساد أعمالكـم في الدنيا بالخزي والهوان والهلاك والدمار، وفي الاخرة بنار جهنم و عذابها .

فتجدون حينئذ ليس بصاحبكم محمد ﷺ ، وكان هو يعيش بينكم سنين طويلة من جنة ، وتعلمون ان ليس صاحبكم محمد ﷺ مجنوناً ، وذلك لانهم اذا فعلوا ذلك ، ويقول الرجل لصاحبه متفكرين في أمر الرسالة : هلمّ فلنصادق هل رأينا من محمد ﷺ جنة ، أوجرّبنا عليه كذباً ، ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه ، فيتفكر وينظر، فيعترف بان هذا كتاب كريم ، وهذا رجل أمين ، فليس هو إلاّ صادق أرسل من رب رحيم ، فليس بكاذب ولا مجنون ولا كاهن ولا ساحر.

اذ لا يتصدّى لادعاء هذا الامر العظيم إلاّ أحد رجلين : إما مجنون لا يبالي بافتضاحه حين مطالبته بالبرهان وظهور عجزه ، وإما نبي مرسل مؤيد من عند الله تعالى بالمعجزات الدالة على صدقه ، وانكم قـد علمتم ان محمداً أرجـح الناس عقلاً وأصدقهم قولاً وأشهرهم أمانة ، وقد عرفتم ان محمـداً أزكى الناس نفساً وأجمعهم للكمال النفسي والعقلي، فيجب عليكم أن تصدقوه في دعوته ،وقد قرنها بالمعجزات الدالة على ذلك ، فليست دعواه مجردة من الادلة والبراهين، وليس هذا الرسول بكاذب ولا مجنون .

فتفكّروا أيها المشركون ما بصاحبكم محمد رسول الله الاعظم ﷺ هل جرّبتم عليه كذباً ؟ كلاّ انه الصادق ، هل جرّبتم عليه خيانـة ؟ كلا انـه الامين

المعروف ، هل رأيتم فيه ميلاً إلى الدنيا ومتاعها حتى يقال : انه يطلب المال أو الملك ؟ كلا انه العفيف عن الدنيا و أهلها ، هل رأيتم عليه فساداً أو تحللاً أو نشوزاً أو سوء خلق ؟ كلا انما هوالرجل الحكيم المتزن في كل أفعاله وأقواله ، المصلح بين جميع عباد الله تعالى، له الخلق العظيم ، و قد شهد عليه ربه وخاطبه بقوله : « انك لعلى خلق عظيم » .

تفكّروا في رسالة محمد ﷺ و ما جاءكم به هل يدعوكم إلى فسق أو فجور ؟ أم يدعوكم إلى حق و نور ؟ هل يدعوكم إلى ضلالة و جهل و شك و كفر ؟ أم يدعوكم إلى هداية و علم و يقين و طمأنينة و ايمان ؟ هل يدعوكم إلى شقاء و هلاك و انحطاط و هوان ؟ أم يدعوكم إلى سعادة و نجاة و كمال و عزة ؟؟؟

تفكّروا في أمر محمد ﷺ أيدعوكم إلى اسر التقليد العميا ، و حمى الجاهلية الجهلاء و سوء العمل ؟ أم يدعوكم إلى الحرية المنظمة الفكرية ، إلى الحضارة المقدسة ، إلى العلم النافع ، و إلى تكوين المجتمع الصالح ، وخلق الفرد الكامل الذي يسعى لخيري الدنيا والآخرة ؟

نعم ان محمداً رسول الله ﷺ يدعو الانسان إلى بناء الفرد والمجتمع والدولة على اسس القسط والعدل ، على التعاون والاخوة ، وعلى المحبة والسلام ، و يحارب الرذيلة والاستبداد ، و يمنع الجور و ينهى عن الظلم والعدوان و عن الفساد و طلاقة العنان . . .

نعم ان محمداً رسول الله الخاتم ﷺ يدعو الانسان إلى صالح العمل ، إلى البر والخير ، و إلى كل ما فيه سعادة الفرد والمجتمع ، يدعو إلى نصرة الفقير ، و إعانة المظلوم و إغاثة الملهوف ، و ينهى عن كل شر و فساد . . .

فتفكّروا ببصائركم عسى أن يهديكم ربكم إلى الحق ونوره ، إلى الصواب و سبيله ، و إلى الجنة و طريقها .

قال الله تعالى: « وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحى إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم و لعلهم يتفكرون » النحل : ٤٣ و ٤٤) .

و قال : « انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه و من ضلّ فانما يضلّ عليها وماأنت عليهم بوكيل ـ ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون » الزمر : ٤١ و ٤٢) .

وقال: « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله و تلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » الحشر : ٢١) .

وقال: « قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله و ما أنا من المشركين » يوسف : ١٠٨) .

و قوله تعالى : « إن هو إلاّ نذير لكم بين يدى عذاب شديد » : مامحمد صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ نذير لكم أيها المشركون ، ينذركم بين يدى عذاب شديد فى الحياة الدنيا بالهلاك والدمار ، بالذلة والهوان كالامم السابقة ، و فى الآخرة بعذاب النار إذا لم تؤمنوا بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و ما جاءكم و باليوم الاخر .

قال الله تعالى : « والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون » يس: ٢ ـ ٦) .

وقال : « و لقد استهزى برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب ـ و جعلوا لله شركاء قل سمّوهم أم تنبؤنه بما لايعلم فى الارض أم بظاهر من القول ـ لهم عذاب فى الحياة الدنيا و لعذاب الاخرة أشق وما لهم من الله من واق » الرعد : ٣٢ ـ ٣٤) .

و قال : « ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » القصص : ٤٦) .

وقال: « وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر ام القرى

و من حولها ـ اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون » الانعام : ٩٢ ـ ٩٣) .

وما ورد في المقام فمن باب التأويل وهو اللب فتأمل جيداً .

٤٧ ـ (قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شيء شهيد)

قل يا أيها النبي ﷺ لهؤلاء المشركين: إن كنتم لاتؤمنون بما أدعوكم إليه لخوفكم من طمعي في أموالكم فاعلموا أني ماسئلتكم على الانذار والتبليغ أجراً ، فاني لست طالباً للدنيا ومتاعها ، ولا اريد منكم في دعوتي عطاءاً من المال والجاه والسلطان ، فان طلبت منكم على رسالة ربي إليكم ونصحي لكم أجراً فهو لكم ، وانما أطلب ثواب رسالتي من الله جل وعلا، فان الدنيا وما فيها لا توازن أمر الرسالة حتى يجعل منها أجراً لها ، فليس لي أجر فيها إلاّ على الله تعالى ، فلا عذر لكم في ترك الايمان بما أعوكم إليه .

قال الله تعالى : « قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين » ص : ٨٦)

وقال : «قل لاأسئلكم عليه أجراً الاّ المودة في القربى» الشورى : ٢٣)

وقال : «أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون» الطور: ٤٠)

و قوله تعالى : «وهو على كل شيء شهيد» : والله جل وعلا هو على كل شيء شهيد ، فيشهد على ما دعوتكم إليه مما أنزله عليّ ، ويشهد على أني لم اطلب في الدعوة والانذار أجراً منكم ،ويشهد على ما أنا عليه من قيامي برسالة ربي إليكم، ويشهد على ما يكون منكم من قبول هذه الرسالة أوردّها ، شاهد على صدقي وخلوص نيتي ، فما حملني الامر الدنيوي على ركوب هذه الصعاب ، وتلك اقتحام الأخطار، كما يحمل المتنبئين على ذلك ، وما حملني على ذلك هو أمر الله تعالى كما قال : «فاصدع بما تؤمر» الحجر: ٩٤)

قال الله تعالى : «قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي إلي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ» الانعام : ١٩)

وقال : «لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون و كفى بالله شهيداً » النساء : ١٦٦)

وبهذا ثبت ان محمداً ﷺ نبي مرسل ، فاستبان انه ليس بمجنون ، و ما جاء به من الكتاب كتاب سماوي ، وما هو بطالب الدنيا ومتاعها في دعواه الرسالة ، فيقطع الانسان المتدبر المنصف ، والمتفكر سليم القلب ، انه ﷺ ما جاء به نزل من السماء ، وقذف به الوحي إليه ، وأرسل من عندالله جل وعلا كما أمره الله تعالى أن يقول ويبلغه إليهم بقوله تعالى :

٤٨ - (قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب)

قل أيها الرسول ﷺ المشركين تطميناً لقلوب المؤمنين وتثبيتاً لهم على دعوتك وتهديداً للمكذبين : ان ربي يلقي الوحي إلي بالحق ، وينزله على قلبي ليرمي الباطل بالحق حتى يصرعه ويدمغه ، فاذاً هو زاهق ، و ربي هو علام الغيوب الذي عالم بجميع الخفايا والضمائر والنوايا ، وعالم بعواقب الأمور ومالم يكن مما هو كائن ، فيقذف الباطل بالحق عن علم حيث يشاء .

قال الله تعالى : «ويريد الله أن يحق الحق بكلماته و يقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون» الانفال : ٧-٨)

وقال : «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون» الانبياء : ١٨)

وقال : «ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور » الشورى : ٢٤)

٤٩ - (قل جاء الحق و ما يبدىء الباطل و ما يعيد)

قل أيها النبي ﷺ للمشركين والطغاة إرعواعاً عن الشرك والطغيان ،

وللمؤمنين تثبيتاً لهم فى الطاعة والايمان : جاء الحق فى صورة كاملة من صوره فى الرسالة وفى قرآنها وفى منهجها المستقيم لاعوج فيه ، جاء الحق فرفعت رايته وعلاذكره ، جاء الحق وأعلن هذا الاعلان ، وقرّ رهذا الحدث و اصدع بهذا النبأ ، وجاء الحق بقوته ودفعته ، وباستيلائه وسيطرته . . .

ولايظهر الباطل بعد أن جاء الحق ولايعيد ، إذلم تبق من الباطل قوة يظهر بها أويعيد ، فلاثبات له ولاقرارولاقوة أمام الحق ، فما عادت له حياة اذا انتهى أمره ، وما عادله مجال إذ انقطع دابره ، وانه على شفاحفرة لاينقذه أحد ، و انه فى شرف الزوال ، فاستقرمنهج الحق ، ولايعيد الباطل مهما يقع من غلبة مادية له فى بعض الاحوال والظروف . . . إلا ّ انها ليست غلبة على الحق ، انما هى غلبة على المنتمين إلى الحق غلبة الناس لاالمبادىء ، وهذه موقوفة ستزول أما الحق فواضح بيّن صريح . فان الزبد فيذهب جفاء ، و أما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض .

قال الله تعالى : «وقل جاء الحق و زهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً» الاسراء : ٨١)

وقال :«هوالذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون» الصف : ٩)

وقال : «قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا و هدى وبشرى للمسلمين» النحل : ١٠٢)

وقال : «كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال» الرعد : ١٧)

٥٠- (قل ان ضللت فانما أضل على نفسى و ان اهتديت فبما يوحى الى ربى انه سميع قريب)

قل يا أيها الرسول ﷺ لهؤلاء المشركين وللناس اجمعين إن ضللت

بعد أن جاء الحق وتمّت عليّ الحجة، فانما أضل على نفسى ، فيكون إثم ضلالتى وضرّها ، وعاقبة انحرافى عن طريق الحق والرشاد ووباله على نفسى، لان النفس أمارة بالسوء فلاتتبعوها .

وإن اهتديت إلى الحق واستقمت على سبيل الرشاد ، فبسبب ما يوحى إليّ من ربى من الحكمة والبيان، وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الصواب، فاهتدوا بما أوحى الله تعالى إليّ ، لان الله هو سميع لما نهيتكم عنه من الشرك والطغيان ، ولما دعوتكم إليه من الطاعة لله تعالى والايمان ، وسميع لما تقولون من التصديق والتكذيب ، فانه قريب من كل متكلم بل هو أقرب إليه من حبل الوريد ، فلايخفى عليه المحق والمبطل .

قال الله تعالى : «فماذا بعد الحق الاّ الضلال فأنى تصرفون - قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضلّ فانما يضلّ عليها» يونس : ٣٢-١٠٨)

وقال : «ان النفس لأمارة بالسوء الاّ ما رحم ربى» يوسف : ٥٣)

وقال : «فمن اتبع هداى فلايضلّ ولايشقى» طه : ١٢٣

وقال : «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم» المائدة : ١٥-١٦)

وقال : «ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» ق : ١٦)

ألم يأن للذين يدّعون انهم من أتباع النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الامة الاسلامة أن تخشع قلوبهم لنور الحق لوجه الحق ، و أن تخضع نفوسهم لحكم القرآن الكريم ومعارفه ؟ ألم يأن لهم أن يرفعوا رؤوسهم عالية مجاهدين طالبين مستميتين فى طلب الحكم والقضاء بالقرآن، والسير فى ركاب الرحمن ، و ترك

الهوى واتباع الشيطان ؟ ألم يأن للشعوب الاسلامية أن ترجع إلى دينها و كتابها ، وتثوب إلى رشدها وصوابها . . .

و لعمرى لا هداية و لا رشد ، و لا حق و لا صواب و لا كمال و لا عزة و لا سعادة و لا نجاة إلاّ في ظل الدستور القرآني والعمل بحكمه ومعارفه . . .

و لعمرى لا ضلالة ولا غيّ ، ولا باطل ولا خطأ و لا انحطاط و لا ذلة ولا شقاء و لا هلاك لهذه الامة الاسلامية إلاّ بترك العمل بهذا الوحي السماوى و مبانيه . . . ولعمرى من يبتغ غير حكم الله تعالى بأى إسم من الاسماء المختلفة ، و بأى زيّ من الألبسة المخيطة ، و بأيّ صورة من الصور المتصورة فاولئك هم الضالون المضلون .

قال الله تعالى لنبيه الخاتم ﷺ : « و أن احكم بينهم بما أنزل الله و لا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ـ أفحكم الجاهلية يبغون و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » المائدة : ٤٩ ـ ٥٠) .

ففي حكم القرآن الكريم خير وعزة وسعادة و كمال للمسلمين ، وللمجتمع البشرى كافة ، و فيه قطع لدابر الفتن والفساد ، و عبث العابثين مؤتسين . . .

٥١ ـ (و لو ترى اذ فزعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب)

و لو ترى أيها الرسول ﷺ حال الكافرين لرأيت أمراً فظيعاً حين انقبضوا من أمر مهيب مخوف ، و اندهشوا من أمر مفزع فظيع ، فلا يفوت لنا منهم أحد بهرب وفرار أو تحصّن و إلتجاء ، إذ لاملجأ لهم يومئذ يلتجؤن إليه ، و لا مأوى يبتعدون فيه ، و اخذوا عندئذ من مكان قريب حيث كانوا ، من أن يتمكنوا من الامتناع أو الفرار أو الالتجاء .

٥٢ ـ (و قالوا آمنا به و أنى لهم التناوش من مكان بعيد)

و قال الكفرة الفجرة حين رأوا بأس الله تعالى و عاينوا نقمته و حلولها بهم : آمنا بالحق الذى كفرنا به من قبل ، وأنى لهؤلاء الكافرين التناول بالايمان

والانتفاع به تناولاً سهلاً ، و قد بعد عنهم ، و قد صاروا هم بعيدين عنه ، و ليس هذا وقت الايمان ، و لا هو ينفعهم عندئذ .

والاية الكريمة في معنى قوله تعالى : « يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل » الانعام : ۱۵۸) .

و قوله جل و علا : « قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون » السجدة : ۲۹) .

و قوله سبحانه : « فلما رأوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده و كفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده و خسر هنا لك الكافرون » غافر : ۸٤ ـ ۸٥) .

٥٣ ـ (و قد كفروا به من قبل و يقذفون بالغيب من مكان بعيد)

و قد كفروا بالحق من قبل أن يروا بأسنا ، وقد كانوا يرمونه من غير علم ولادليل لهم : انه سحر و شعر ، و مجيئه ساحر و شاعر ، و انه كذب و كهانة ، ومجيئه كاذب وكاهن ، فهم يرجمون الحق والنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بظنون لامستند لهم فيها ، و يتكلمون فيهما بمطاعن ليس لها ما يؤيدها و لا هم بمصيب فيها .

٥٤ ـ (و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب)

و حيل بين هؤلاء المشركين و من إليهم من المكذبين بالحق ، و بين ما يشتهون من قبول الحق والايمان بمجيئه حين رأوا بأسنا و عذابنا ، كما فعل بأمثالهم في الكفر بالله سبحانه ، و نظائرهم في تكذيب الحق من الامم الماضية البائدة ، إذ تمنوا الايمان حين رأوا بأسنا و عذابنا ، ولكن لم يقبل منهم لفوت وقته ، لان المشركين و أذنابهم كانوا في شك في أمر الحق بحيث لا يطمئنون إلى شيء مما جاء به النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الله تعالى: « و انه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك

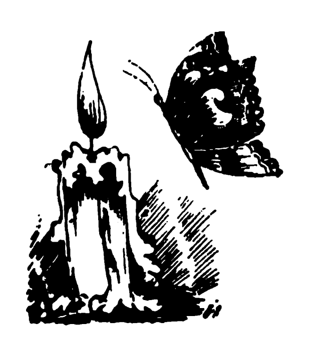
لتكون من المنظرين ـ لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون » الشعراء : ١٩٢ ـ ٢٠٣) .

و قال : « هل ينظرون إلاّ أنِ تأتيهم الملائكة أو ياتى أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم و ما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا و حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » النحل : ٣٣ و ٣٤) .

وقال: « كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا و لات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ـ ما سمعنا بهذا فى الملة الاخرة ان هذا الاّ اختلاق ءانزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى » ص : ٣ ـ ٨) .

و قال : « و لقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدّكر » القمر : ٥١) .

و قال : « فمازلتم فى شك مما جاءكم به » غافر : ٣٤) .



﴿ جملة المعاني ﴾

٣٦٠٧ - (الحمد لله الذي له ما في السموات و ما في الارض و له الحمد في الاخرة و هو الحكيم الخبير)

الحمد كله لله تعالى وحده في كل وقت و على كل حال في الحياة الدنيا حمداً تاماً للمعبود الذي له ما في السموات و ما في الارض كلها خلقاً و ملكاً و تدبيراً ، و له وحده الحمد كله في دار الاخرة ، والله تعالى هو الحكيم فيما يفعل ، الخبير فيما يدبّر .

٣٦٠٨ - (يعلم ما يلج في الارض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها و هو الرحيم الغفور)

الله تعالى هو الذي يعلم ما يدخل في الارض و ما يغيب فيها ، و يعلم ما يخرج من الارض ، و يعلم ما ينزل من السماء من الوحي والبركات ، و يعلم ما يعرج في السماء من الملائكة و صالح الاعمال والكلم الطيب . . . والله جل وعلا هو الرحيم بالمؤمنين ، الغفور للتائبين .

٣٦٠٩ - (وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات و لا في الارض ولا أصغر من ذلك و لا أكبر الا في كتاب مبين)

و قال الذين كفروا بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و باليوم الاخر : لا تأتينا الساعة ، قل يا أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاءالكافرين: بلى اقسم بربي لتأتينكم الساعة ،

هو جل و علا عالم الغيب الذى لا يفوت عن علمه وزن أقل ما يمكن أن يوزن في السموات و لا في الارض و لا أصغر من الذرة و لا أكبر منها الا و هو ثابت في كتاب مبين .

٣٦١٠ـ (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم)

و قد أثبت الله جل و علا ما فى هذا العالم فى الكتاب المبين الذى يبين ما ثبت فيه يوم القيامة ليجزى الله تعالى الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك المؤمنون لهم مغفرة و رزق كريم فى الجنة .

٣٦١١ ـ (والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز أليم)

و ليجزى الله جل وعلا الذين سعوا فى إبطال الحق و إماتته واحياء الباطل، باذلين جهدهم فى ذلك، اولئك الذين لهم عذاب شديد فى جهنم من سوء العذاب ، شديد الايلام والوجع .

٣٦١٢ ـ (و يرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق و يهدى الى صراط العزيز الحميد)

و يرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك من الوحى هو الحق الذى لا ريب فيه ، و يهدى من اهتدى إلى صراط الذى لا يغلب ، سبيل من هو محمود بذاته ، و إن لم يحمده أحد من خلقه .

٣٦١٣ ـ (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد)

وقال الذين كفروا باليوم الاخر بعضهم لبعض على طريق التعجب والانكار : هل نحدثكم على رجل يخبركم بأعجب الأعاجيب اذا متم و تفرقت أجزاء أبدانكم كل تفرق : انكم لفى خلق جديد ، فتبعثون بعد الموت و تحاسبون و تجزون فى الاخرة ما كنتم تعملون فى الدنيا .

٣٦١٤ ـ (أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالاخرة

فى العذاب والضلال البعيد)

ثم قال بعض هؤلاءِ المنكرين لبعض: هل اختلق هذا الرجل على الله كذباً؟ أم به جنون تخيّل به ذلك ؟ ردّ الله تعالى عليهم و قال : بل الذين لا يؤمنون بالاخرة فى عذاب النار يوم القيامة ، و هم الذين اوغلوا فى الضلال و بعدوا عن طريق الصواب .

٣٦١٥ - (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب)

أفلم ير هؤلاءِ المكذبون بالبعث والجزاءِ ولم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماءِ والارض ، إن نشأ نخسف بهم الارض فنهلكهم ، أو نسقط عليهم قطعاً من السماءِ فدمّرناهم ، ان فى ذلك لكل عبد فطن ، منيب إلى ربه .

٣٦١٦- (ولقد آتينا داود منا فضلاً ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد)

و اقسم بالله تعالى : انا أعطينا نبينا داود عليه السلام من عندنا فضلاً لم يسبقه منه غيره من الانبياءِ عليهم السلام ، و ذلك إذ سخرنا له الجبال و قلنا لها : ياجبال! سبّحى لله تعالى مع داود اذا سبّح له جل و علا ، و سخّرنا له الطير ، وجعلنا له عليه السلام الحديد ليناً .

٣٦١٧ - (أن اعمل سابغات وقدر فى السرد و اعملوا صالحاً انى بما تعملون بصير)

ثم أوحينا إلى داود عليه السلام أن اعمل يا داود دروعاً واسعات ، و قدّر يا داود فى نسج حلق الدروع بحيث يتناسب حلقها ، ثم قلنا له عليه السلام و لاهله : إعملوا عملاً صالحاً لانى بما تعملون بصير .

٣٦١٨ - (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر و من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه و من يزغ منهم عن أمرنا نذقه

من عذاب السعير)

و سخّرنا لسليمان عليه السلام الريح ، جريانها بالغداة مسيرة شهر ، و بالعشى مسيرة شهر ، وأجرينا له عين النحاس المذاب من معدنه ، فتسيل كالعين الجارية ، و سخرنا له بعض الجن ، و من الجن من يعمل بين يدى سليمان باذن ربه ، و من يعدل من الجن عن أمرنا نذقه من عذاب السعير .

٣٦١٩ - (يعملون له مايشاء من محاريب و تماثيل وجفان كالجواب و قدور راسيات اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادى الشكور)

يعمل هؤلاء الجن لسليمان عليه السلام ما يشاء من محاريب تصنع لاقامة الصلاة والعبادة و من تماثيل من الاشجار والنباتات . . . وقصاع كبيرة كالحياض الكبير يأكل منها عمّاله عليه السلام و يعملون له قدور ثابتات لا تنقل ، إعملوا يا آل داود عملاً صالحاً واشكروا الله تعالى شكراً كثيراً وإن كان قليل من عبادى شاكراً لأنعمى .

٣٦٢٠ - (فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلماخر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين)

فلما حكمنا على سليمان عليه السلام بالموت فقبضه ملك الموت ، لم يدلّ الجن على موت سليمان عليه السلام إلاّ دابة الارض التى تأكل عصا سليمان عليه السلام ، فلما سقط سليمان بوجهه ظهر للجن حينئذ بان سليمان قد مات ، و انكشف عندئذ للانس ان الجن لا يعلمون الغيب كما يدّعون ، اذ لو كانت الجن يعلمون الغيب لما قاموا حولاً بعده فى الاعمال الشاقة .

٣٦٢١ - (لقد كان لسباء فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور)

لقد كان لسبأ فى أرضهم وبلادهم عبرة لكافة الناس فى طوال الاعصار بملاحظة أحوالهم السابقة واللاحقة ، حيث كانت لهم جنتان عن يمينهم و شمالهم ، وقلنا

لهم : كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدتكم هذه بلدة طيبة ، و ربكم رب رزقكم بتلك النعم ، غفور لمن تاب و آمن .

٣٦٢٢ - (فأعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم و بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط و أثل و شيء من سدر قليل)

فأعرض أهل سبأ عن الايمان و الشكر على ما أنعم الله تعالى عليهم ، فارسلنا عليهم السيل الشديد من السدّ الرصين المسمى بالعرم ، و بدّلناهم جنتيهم بجنتين اخراوين ذواتى مأكولات رديئة ، و أشجار غير مثمرة ، و شيء من سدر قليل انتفاعه و لا يؤكل ثمره .

٣٦٢٣ - (ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازى الا الكفور)

جزينا أهل سبأ ذلك الجزاء بسبب ما كفروا بنعم الله تعالى ، و لا نجازى أهل الكفر و الكفران الاّ الكفور من تغيير النعمة و حلول النقمة .

٣٦٢٤ - (وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى و أياماً آمنين)

وجعلنا بين أهل سبأ ، و بين القرى التى باركنا فيها بالتوسعة على أهلها بالنعم الكثيرة قرى متقاربة ، و قدّرنا لهم فى تلك القرى السير المتناسب الصالح سيراً مقدراً من منزل إلى منزل ، و قرية إلى قرية ، و قلنا لهم بلسان الحال : سيروا فيما بين القرى ليالى و أياماً آمنين من كل ما يخاف و يحذر .

٣٦٢٥ - (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور)

كفر أهل سبأ بما أنعم الله تعالى عليهم ولم يشكروا له ، فقالوا : ربنا باعد بين أسفارنا فى القرى المباركة الآمنة ، و ظلموا أنفسهم اذ جعلوها عرضة للسخط والحرمان ، فجعلنا قصتهم أحاديث يتحدث بها الناس على سبيل التلهى و الاستغراب ، و فرّقنا مجتمعاتهم كل تفرّق ، ان فى قصة سبأ و ما حل بهم لعبراً لكل عبد

كثير الصبر على البأساء والضراء ، و كثير الشكر على نعم الله تعالى .

٣٦٢٦ - (ولقدصدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين)

اقسم بالله تعالى ان ابليس صدّق ظنه على الناس وتحقق ظنه فيهم اذ اتبعوه الاّ طائفة من المؤمنين الذين هم لا يتبعونه .

٣٦٢٧ - (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك و ربك على كل شيء حفيظ)

ولم يكن لابليس على الناس من استيلاء نافذ فيجبرهم على الكفر والكفران ، ومامكّناه الموسوسة الاّ لنميّز من يؤمن بالاخرة ممن هو من الآخرة في شك، و ربك أيها النبي ﷺ على كل شيء حفيظ ، يحفظ ما في الصدور من الشك واليقين ، و يحفظ الاعمال من الخير والشر .

٣٦٢٨- (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض و ما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير)

قل أيها النبي ﷺ لمشركي مكة موبخاً بهم : ادعوا أيها المشركون تلك الالهة التي زعمتموها آلهة لكم من دون الله ، و هم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ، و ليس لتلك الالهة المزعومة في السموات والارض من شرك لله سبحانه ، و ما لله سبحانه من تلك الالهة الموهومة من معين في أمر شيء من امور العالم ، خلقاً و تدبيراً ، و ملكاً و تصرفاً .

٣٦٢٩ - (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلى الكبير)

و لا تنفع الشفاعة عندالله تعالى يوم القيامة الاّ لمن أذن الله تعالى له في الشفاعة ، فلايشفع أحد لاحدحتى اذا وقف المشفوع لهم منتظرين للاذن بالشفاعة، وجلين حتى اذا أذن للشفعاء وازيل الفزع عن قلوب المنتظرين ، حين قال المشفوع لهمّ بعض لبعضهم: ماذا قال ربكم في الاذن بالشفاعة ؟ أوقال المشفوع لهم للشفعاء :

ماذا قال ربكم في‌ذلك؟ قال الشفعاء : قال ربنا : القول الحق وهوالاذن بالشفاعة لمن يستحق بها ، والله جل و علا هو المتفرد بالعلو والكبرياء .

۳۶۳۰ - (قل من يرزقكم من‌السموات‌والارض قل‌الله وانا أو اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين)

قل يا أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء المشركين : من يرزقكم من السموات والارض ؟ و هم يسكتون عن الجواب ، قل‌لهم‌جواباً عنهم : الله جل‌وعلا يرزقكم من السموات والارض ، و انا معاشر المؤمنين أو إياكم معاشر المشركين لعلى هدى أو في ضلال بيّن .

۳۶۳۱ - (قل لا تسئلون عما أجرمنا و لا نسئل عما تعملون)

قل أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهم : لاتسئلون يوم القيامة عما أجرمنا في‌الحياة الدنيا ، و لا نسئل يومئذ عما تعملون في الحياة الدنيا .

۳۶۳۲ - (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق و هو الفتاح العليم)

قل لهم : يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يحكم بيننا بالعدل ، والله جل و علا هو القاضي العليم لا يخفى عليه شيء مما نحن و أنتم عليه .

۳۶۳۳ - (قل‌أروني‌الذين ألحقتم به شركاء كلا بل‌هوالله العزيز الحكيم)

قل لهم : عرّفوني آلهتكم الذين ألحقتموهم بالله سبحانه و جعلتموهم شركاء لله سبحانه ليس كذلك فأخطأتم في ذلك و انحرفتم عن طريق الصواب ، بل هو الله الغالب على كل شيء ، الحكيم فيما يفعل .

۳۶۳۴ - (و ما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

و ما أرسلناك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ إلى جميع الناس إلى يوم القيامة مبشراً للمؤمنين منهم بالعزة والكمال في‌الدنيا ، و بالجنة ونعيمها في‌الاخرة ، ومنذراً للكافرين منهم بالذلة والانحطاط في‌الدنيا ، و بالنار وعذابها في‌الاخرة ،

ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك .

٣٦٣٥ - (و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)

و يقول المنكرون بالبعث والجزاء على طريق السخرية والاستهزاء : متى هذا الوعد الذى تعدوننا به إن كنتم صادقين أيها النبى و من تبعه .

٣٦٣٦ - (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون)

قل يا أيها النبى ﷺ لهؤلاء المنكرين : لكم أيها الكافرون ميعاد يوم و هو يوم البعث والجزاء آتيكم لا محالة ، لا تستأخرون عن هذا اليوم ساعة اذا جاء و لا تستقدمون عليه قبل مجيئه .

٣٦٣٧ - (و قال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين)

و قال الذين كفروا من مشركى العرب : لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى قبله من الكتب التى ادّعى انها كتب سماوية نزلت على الانبياء ، ولو ترى أيها الرسول ﷺ حال هؤلاء الكافرين يوم القيامة لرأيت أمراً هائلاً فظيعاً ، وذلك حين هؤلاءِ المنكرين الذين ظلموا أنفسهم موقوفون موقف الحساب والجزاء يوم القيامة ليحكم الله تعالى بينهم ، فحينئذ يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا و هم الاتباع المردة ، للذين استكبروا و هم المتبوعون : لو لا أنتم أيها الرؤساء لكنا مؤمنين بالحق فى الحياة الدنيا .

٣٦٣٨ - (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين)

قال المتبوعون الذين استكبروا للذين استضعفوا رداً عليهم: أنحن صددناكم عن الهدى و منعناكم من الايمان بالحق ؟ لا بل كنتم أنتم قوماً مجرمين .

٣٦٣٩ - (و قال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار

اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون)

و قال الذين استضعفوا مذكّرين للذين استكبروا على ما فعلوا ورادين عليهم ما ردّوهم عليه : بل كفرنا بالحق بسبب مكركم بنا في الليل والنهار اذ كنتم تأمروننا أن نكفر بالله ، ونجعل له أنداداً، وحينئذ أخفى الاتباع والمتبوعون جميعهم الندامة على مافعلوا في الحياة الدنيا خوف الشماتة يوم القيامة لما رأوا العذاب ، و جعلنا أغلاق الحديد المحرقة في أعناق الذين كفروا ، لا يجزون يوم القيامة إلاّ ما كانوا يعملون في الدنيا .

٣٦٤٠ - (و ما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون)

وما بعثنا إلى أهل قرية من نبي ينذرهم بأسنا إلاّ قال رؤساء أهل القرية و كبراؤها ، انا بما ارسلتم به كافرون .

٣٦٤١ - (و قالوا نحن أكثر أموالاً و أولاداً و ما نحن بمعذبين)

و قال هؤلاء المترفون في الحياة الدنيا : نحن أكثر أموالاً و أولاداً من هؤلاء المؤمنين ونبيهم ، ومانحن الرؤساء والزعماء بمعذبين في الاخرة لو كانت آخرة و حساب و جزاء .

٣٦٤٢ - (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

قل أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للكافرين الذين يفتخرون بكثرة الاموال والاولاد : ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من غير نظر إلى استحقاق إلى بسط الرزق ، ويقدر لمن يشاء كذلك ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك .

٣٦٤٣ - (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بماعملوا وهم في الغرفات آمنون)

و ليس أموالكم الكثيرة و لا أولادكم العديدة أيها المغترون بهما بالتى تقربكم عندنا قربى فيالاخرة ، الا أموال من آمن بالله و رسوله و باليوم الاخر و أولادهم و عملوا عملاً صالحاً ، فاولئك لهم فى الاخرة جزاء الضعف بسبب ما عملوا فى الحياة الدنيا ، و هم فيغرفاتالجنة آمنون من كل ما يخاف ويحذر .

٣٦٤٤ـ (والذين يسعون فيآياتنا معاجزين اولئكفيالعذاب محضرون)

والذين يسعون فى إبطال آياتنا، باذلين جهدهم فيذلك، مقدرين إعجازنا علىسبيلمعاونة بعضهمبعضاً فيذلك، اولئك يوم القيامة فيعذابالنار محضرون .

٣٦٤٥ـ (قل ان ربى يبسطالرزق لمن يشاء منعباده ويقدرله وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه و هو خير الرازقين)

قل يا أيها النبى ﷺ للمؤمنين : ان ربى يوسع الرزق لمن يشاء من عباده المؤمنين حيناً ، ويضيقه عليه حيناً آخر ، وما أنفقتم أيها المؤمنون مما رزقناكم فالله جلوعلا هو يخلفه لكم ويعوضكم منه بزيادة كثيرة ، والله تعالى هو خير الرازقين .

٣٦٤٦ ـ (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون)

و اذكر يا محمد ﷺ الله تعالى يحشر الاتباع والمتبوعين جميعاً ثم يقول الله جل وعلا منادياً للملائكة : أهؤلاء المشركون إياكم كانوا يعبدون !

٣٦٤٧ ـ (قالوا سبحانكأنت وليناميندونهم بل كانوا يعبدونالجنأكثرهم بهم مؤمنون)

قالت الملائكة حينئذ : انك منزه عن الشرك وعن كل ما لايليق بساحة قدسك ، أنت ولينا الذين نواليه وحده مندون المشركين، بلكان المشركون يعبدون الجن ، أكثرهم بالجن مؤمنون .

٣٦٤٨ ـ (فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعاً ولاضراً ونقولللذين ظلموا

ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون)

يقول الله تعالى : فيوم القيامة لا يملك بعضكم أيها المعبودون والعابدون لبعض نفعاً ولا ضراً ، ونقول يومئذ للذين ظلموا : ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون فى الحياة الدنيا .

٣٦٤٩ ـ (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم و قالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين)

و اذا تتلى على هؤلاءِ المكذبين آياتنا واضحات قالوا : ما هذا التالى الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ، وقالوا: ما هذا المتلو الا كذب مختلق من عنده ، و قال الذين كفروا للحق اذ جاءهم : ان هذا الا سحر بيّن لاخفاء فى كونه سحراً .

٣٦٥٠ـ (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير)

و ما آتينا هؤلاء المشركين المكذبين شيئاً من كتب سماوية يدرسونها قبل هذا القرآن ، وما أرسلنا إليهم قبلك يا محمد ﷺ من رسول ينذرهم .

٣٦٥١ ـ (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير)

و كذب الامم الذين كانوا من قبل المشركين أنبياءهم ، وما بلغ المشركون معشار ما آتينا تلك الامم فكذبوا رسلى فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقابى بهم .

٣٦٥٢ـ (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد)

قل يا أيها الرسول ﷺ لهؤلاء المشركين : انما أعظكم بكلمة واحدة وهى : أن تقوموا فى طلب الحق لوجه الحق إثنين اثنين و واحداً واحداً ، ثم

تتفكروا فيما وعظتكم به : ما بصاحبكم الذى يدعوكم الحق من جنة ، إن هو الاّ نذير لكم بين يدى عذاب شديد فى الدنيا والاخرة .

٣٦٥٣ - (قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله و هو على كل شيء شهيد)

قل لهم ما سئلتكم من أجر و لو سئلتكم من أجر فهو لكم ، إن أجرى فى رسالتى الاّ على الله جل و علا و هو على كل شيء شهيد يعلم صدقى .

٣٦٥٤ - (قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب)

قل لهم : ان ربى يلقى الوحى إلىّ بالحق ليرمى به الباطل و يزهقه ، هو علّام الغيوب ، عالم بما فى الصدور ، و بعواقب الامور . . .

٣٦٥٥ - (قل جاء الحق و ما يبدىء الباطل و ما يعيد)

قل لهم إرعواء عن الشرك والتكذيب : جاء الحق بصورة كاملة ، ولايظهر الباطل بعد الحق و لا يعيد .

٣٦٥٦ - (قل ان ضللت فانما اضل على نفسى و ان اهتديت فبما يوحى الى ربى انه سميع قريب)

قل لهم : إن ضللت بعد أن جاء الحق وتمّت علىّ الحجة ، فانما أضل على نفسى اذ لا عذر بعد الحجة ، و ان اهتديت إلى صراط مستقيم فبما يوحى إلىّ ربى لانه سميع قريب لا يخفى عليه خافية .

٣٦٥٧ - (و لو ترى اذ فزعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب)

ولو ترى أيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم حال الكافرين لرأيت أمراً فظيعاً، حين انقبضوا من أمر مهيب ، فلا يفوت لنا منهم أحد بهرب ، و اخذوا عندئذ من مكان قريب حيث كانوا .

٣٦٥٨ - (و قالوا آمنا به و أنى لهم التناوش من مكان بعيد)

وقال الكافرون حين رأوا بأس الله تعالى: آمنا بالحق ، و أنى لهم التناول

بالايمان والانتفاع به ، و قد بعد عنهم ، و هم بعيـدون عنه بسبب كفـرهم من قبل ذلك .

٣٦٥٩ - (و قد كفروا به من قبل و يقذفون بالغيب من مكان بعيد)

و هم قد كفروا بالحق من قبل أن يروا بأسنا ، و كانوا يرمونـه من غير علم و لا دليل لهم على رميهم .

٣٦٦٠ - (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب)

و حيل بين المشركين والمكذبين بالحق ، و بين ما يشتهون من قبـول ايمانهم عند مجيىء البأس والعذاب ، كما فعل بأمثالهم فى الكفـر من قبلهم ، لانهم كانوا فى شك فى أمر الحق و لا يستيقنون به .



﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : في قوله تعالى : « يعلم مايلج في الارض » قال : أي ما يدخل فيها « وما يخرج منها » قال : أي من النبات « وماينزل من السماء » أي من الماء « وما يعرج فيها » أي من أعمال العباد .

أقول : وذلك من قبيل ذكر بعض المصاديق . . .

و في الكافي : باسناده عن ابن اذينة عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم » فقال : هو واحد واحدي الذات بائن من خلقه ، و بذلك وصف نفسه وهو بكل شيء محيط بالاشراف والاحاطة والقدرة « لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر » بالاحاطة والعلم لا بالذات لان الاماكن محدودة تحويها حدود أربعة فاذا كان بالذات لزمها الحواية .

و في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين امام المتقين أمير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام في خطبة : « لايشغله شأن ولايغيّره زمان ولايحويه مكان ولا يصفه لسان لايعزب عنه عدد قطر الماء ولا نجوم السماء ولا سوا في الريح في الهواء ولادبيب النمل على الصفا ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء ، يعلم مساقط الاوراق و خفيّ طرف الاحداق . . . » الخطبة .

وفي دعاء العرفة : للسيد الشهداء سبط المصطفى الامام الحسين بن علي عليهما السلام قال : « لاتخفى عليه الطلائع » وقال : « يعلم خائنة الاعين وماتخفي الصدور

وغيب ما تأتى به الازمنة والدهور » وقال : « يا من لايخفى عليه إغماض الجفون ولالحظ العيون ، ولاما استقر في المكنون ولاما انطوت عليه مضمرات القلوب ألا كل ذلك قد أحصاه علمك ووسعه حلمك سبحانك وتعاليت عما يقول الظالمون علواً كبيراً »

وفي تفسير القمي: باسناده عن هشام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أول ماخلق الله عزوجل القلم ، فقال له : اكتب فكتب ماكان وما هو كائن إلى يوم القيامة .

وفيه: في قوله تعالى : « ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق » فقال : هو أمير المؤمنين عليه السلام صدق رسول الله صلى الله عليه وآله بما انزل عليه .

وفي قوله تعالى : « اذا مزقتم كل ممزق » قال : أى متم وصرتم تراباً انكم لفي خلق جديد تعجبوا أن يعيدهم الله خلقاً جديداً « أفترى على الله كذباً أم به جنة » أى مجنون فرد الله عليهم فقال : « بل الذين لايؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد » ثم ذكر ما اعطى داود عليه السلام فقال جل ذكره : « ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه » أى سبحي لله « والطير وألناله الحديد » قال : كان داود عليه السلام إذا مر في البرارى يقرأ الزبور تسبح الجبال والطير معه والوحوش ،وألان الله عزوجل له الحديد مثل الشمع حتى كان يتخذ منه ماأحب.

وقال الصادق عليه السلام : اطلبوا الحوائج يوم الثلثاء فانه اليوم الذى ألان الله فيه الحديد لداود عليه السلام .

وفيه : قال : اعطى داود وسليمان عليهما السلام مالم يعط أحد من أنبياء الله من الآيات علمهما منطق الطير ، وألان لهما الحديد والصفر من غير نار ، وجعلت الجبال يسبحن مع داود عليه السلام .

وفي روضة الكافي: باسناده عن حفص بن غياث قال : قال أبوعبدالله عليه السلام: ومن تعذرت عليه الحوائج فليلتمس طلبها يوم الثلثاء فانه اليوم الذى ألان الله فيه الحديد لداود عليه السلام .

وفي الخصال : عن علي بن جعفر قال : جاء رجل إلى أخي موسى بن جعفر عليه السلام فقال له : جعلت فداك اريد الخروج إلى السفر فادع فقال عليه السلام : ومتى تخرج ؟ إلى أن قال عليه السلام : ألا أدلك على يوم سهل ألان الله فيه الحديد لداود عليه السلام ؟ قال الرجل : بلى جعلت فداك قال : اخرج يوم الثلثاء .

و في كمال الدين : باسناده عن هشام بن سالم عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام - في حديث - يذكر فيه قصّة داود عليه السلام انه خرج يقرأ الزبور وكان اذا قرأ الزبور لايبقى جبل ولاحجر ولاطائر الا أجابه .

وفي الكافي: باسناده عن سالم بن أبي حفصة العجلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة لم يكن في أحد غيره : لم يكن له فيء وكان لا يمرّ في طريق فيمرّ بعد فيه يومين أو ثلاثة الا عرف انه قد مرّ فيه لطيب عرفه وكان لا يمرّ بحجر ولا شجر الا سجد له .

و في المناقب : لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه عن سعيد بن المسيب قال :كان الناس لايخرجون إلى مكة حتى تخرج علي بن الحسين، فخرج وخرجت معه فنزل في بعض المنازل فصلّى ركعتين فسبّح في سجوده فلم يبق شجر ولامدر إلا سبحوا معه، ففزعت منه فرفع رأسه ، فقال : ياسعيد أفزعت ؟قلت: نعم يا ابن رسول الله فقال : هذا التسبيح الاعظم .

وفي رواية: قال سعيد بن المسيب :كان القرّاء لايحجون حتى يحجّ زين العابدين عليه السلام وكان يتخذلهم السويق الحلو والحامض ويمنع نفسه ، فسبق يوماً إلى الرحل فألفيته وهو ساجد ، فوالذي نفس سعيد بيده لقد رأيت الشجر والمدر والرحل والراحلة يردّون عليه مثل كلامه .

وفي الاحتجاج : عن سيد الشهداء الامام الحسين بن علي عليهما السلام قال : ان يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لامير المؤمنين عليه السلام : فان هذا داود بكى على خطيئته حتى سارت الجبال معه لخوفه ؟ قال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك ومحمد

صلى الله عليه وآله وسلم اعطى ماهو أفضل من هذا ، انه كان اذاقام إلى الصلاة سمع لصدره وجوفه أزيز كأزيز المرجل على الأثافي من شدة البكاء وقد آمنه الله عزوجل من عقابه ، فأراد أن يتخشع لربه ببكائه ويكون اماماً لمن اقتدى به ، ولقد قام صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه واصفرّ وجهه ، يقوم الليل أجمع حتى عوتب في ذلك فقال الله عزوجل :

« طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى » بل لتسعد به ، ولقد كان يبكي حتى يغشى عليه ، فقيل له : يا رسول الله أليس الله عزوجل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر ؟

قال : بلى أفلا أكون عبداً شكوراً ، ولئن سارت الجبال وسبحت معه لقد عمل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ماهو أفضل من هذا إذ كنا معه على جبل حراء إذ تحرك الجبل فقال له : قرّ فانه ليس عليك الا نبي أو صديق شهيد (الا نبي و صديق شهيد خ) فقرّ الجبل مجيباً لأمره ومنتهياً إلى طاعته ، ولقد مررنا معه بجبل و اذا الدموع تجرى من بعضه ، فقال له : مايبكيك ياجبل ؟ فقال : يا رسول الله كان المسيح مرّ بي وهو يخوف الناس بنار وقودها الناس والحجارة ، وأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة قال له :

لاتخف تلك حجارة الكبريت ، فقرّ الجبل وسكن وهدأ وأجاب لقوله قال له اليهودى : فهذا داود عليه السلام :قد ليّن الله عزوجل له الحديد قد يعمل منه الدروع قال له على عليه السلام :

لقد كان كذلك ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم أعطي ماهو أفضل من هذا ، ليّن الله عزوجل له الصم الصخور الصلاب وجعلها غاراً ،ولقد غارت الصخرة تحت يده ببيت المقدس لينة حتى صارت كهيئة العجين ، قد رأينا ذلك والتمسناه تحت رايته .

وفي الكافي: باسناده عن الفضل بن أبي قرة عن أبي عبدالله عليه السلام : ان أمير المؤمنين عليه السلام قال: أوحى الله عزوجل إلى داود عليه السلام انك نعم العبد لولا انك تأكل

من بيت المال ولاتعمل بيدك شيئاً ، قال : فبكى داود عليه السلام أربعين صباحاً، فأوحى الله عزوجل إلى الحديد أن لن لعبدى داود ، فألان الله عزوجل له الحديد ، فكان يعمل في كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم ، فعمل ثلاثمأة و ستين درعاً، فباعها بثلاثمأة و ستين ألفاً و استغنى عن بيت المال .

و في قرب الاسناد : عن أحمدبن محمدبن أبي‌نصر قال: سئلت الرضا عليه السلام هل أحد من أصحابكم يعالج السلاح ؟ فقلت : رجل من أصحابنا زراد ، فقال : انماهوسراد ، اما تقرأ كتاب‌الله عزوجل في‌قوله لداود عليه السلام : « أن اعمل سابغات و قدّر في السرد » الحلقة بعد الحلقة .

و في تفسير القمي : في‌قوله عزوجل: « ان اعمل سابغات » قال: الدروع « و قدر في السرد » قال : المسامير التي في‌الحلقة و قوله عزوجل : « ولسليمان الريح غدوها شهر و رواحها شهر » قال : كانت الريح تحمل كرسي سليمان ، فتسير به في الغداة مسيرة شهر ، و بالعشي مسيرة شهر .

و في المناقب لابن شهرآشوب رحمةالله تعالى عليه عن الاصبغ بن نباتة قال : سئلت الحسين بن على عليهما السلام فقلت : يا سيدى أسئلك عن شيء أنا به موقن و انه من سرالله و أنت المسرور إليه ذلك السر ، فقال : يا أصبغ أتريد أن ترى مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبى دون يوم مسجد قبا ؟ قال : هو الذى أردت قال : قم فاذا أنا و هو بالكوفة فنظرت ، فاذا المسجد من قبل أن يرتدّ إليّ بصري فتبسم في وجهى ثم قال : يا اصبغ ان سليمان بن داود اعطى الريح غدوها شهر و رواحها شهر ، و انا قد أعطيت أكثر مما اعطى سليمان ، فقلت : صدقت والله يا ابن رسول‌الله فقال : نحن الذين عندنا علم الكتاب و بيان ما فيه ، وليس عند أحد من‌خلقه ما عندنا ، لانا أهل سرّ الله ثم تبسّم في وجهى ثم قال : نحن آل‌الله و ورثة رسول الله ، فقلت : الحمدلله على ذلك ثم قال لى : ادخل فدخلت فاذا أنا برسول‌الله صلى الله عليه وآله محتب في‌المحراب بردائه، فنظرت‌فاذا أنا بأمير المؤمنين عليه السلام

قابض على تلابيب الاعسر ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يعض على الانامل، وهو يقول: بئس الخلف خلفتني أنت و أصحابك عليكم لعنة الله و لعنتي . الخبر .

قوله عليه السلام : «لابي دون» أي أبي بكر، وعبّر به عنه تقية و «دون» : خسيس .و

قوله عليه السلام : « محتب » : مشتمل و «تلابيب» : جمع تلبيب يعرف بالطوق و « الاعسر » : الشديد أو الشوم . والمراد به الاول أو الثاني .

و في الاحتجاج : عن سبط المصطفى قتيل كربيلاء الامام الحسين بن علي عليهما السلام قال : ان يهودياً من يهود الشام و أحبارهم قال لامير المؤمنين عليه السلام فان هذا سليمان قد سخرت له الرياح ، فسارت في بلاده غدوّها شهر، و رواحها شهر، فقال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك و محمد صلى الله عليه وآله اعطى ما هو أفضل من هذا ، انه اسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى مسيرة شهر ، و عرج به في ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف عام في أقل من ثلث ليلة حتى انتهى إلى ساق العرش . الحديث .

و في سعد السعود للسيد بن طاووس قدس سره نقلاً عن تفسير أبي اسحق ابراهيم بن أحمد القزويني باسناده عن أنس بن مالك قال: اهدى لرسول الله صلى الله عليه وآله بساط من قرية يقال لها بهندف فقعد عليه عليّ وأبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد ، فقال النبي صلى الله عليه وآله لعلي : ياعلي قل: ياريح احمل بنا ، فقال علي : يا ريح احمل بنا فحمل بهم حتى أتوا أصحـاب الكهـف فسلم ابو بكر و عمر فلم يردوا عليهم السلام ، ثم قـام عليّ فسلم فردّوا عليه السلام ، فقال أبو بكر : يا علي ما بالهم ردّوا عليك ، و لم يـردوا علينا ؟ فقال لهم عليّ ، فقالوا : انا لا نرد بعد الموت الاّ على نبي أو وصي نبي ثم قال علي :

يا ريح احملينا فحملتنا ، ثم قال : يا ريح ضعينا فوضعتنا ، فوكز برجله الارض فتوضأ عليّ و توضأنا ثم قال : يا ريح احملينا فحملتنا فوافينا المدينة والنبي صلى الله عليه وآله في صلاة الغداة وهو يقرأ : « أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم

كانوا من آياتنا عجباً » فلما قضى النبى صلى الله عليه وآله الصلاة قال: يا على أخبروني عن مسير كم أم تحبون ان اخبر كم؟ قالوا: بل تخبرنا يا رسول الله، قال انس بن مالك: فقص القصة كأنه معنا.

و فى تفسير القمى: فى قوله تعالى: « و لسليمان الريح غدوها شهر و رواحها شهر » قال: كانت الريح تحمل كرسى سليمان فتسير به فى الغداة مسيرة شهر و بالعشى مسيرة شهر. و « أسلنا له عين القطر » أى الصفر.

و فى فروع الكافى: باسناده عن الفضل أبى العباس قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام قول الله عزوجل: « يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب » قال: ما هى تماثيل الرجال والنساء ولكنها تماثيل الشجر و شبهه.

و فى وسائل الشيعة: بالاسناد عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال: لا بأس بتماثيل الشجر.

وفيه: بالاسناد عن محمد بن مسلم قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن تماثيل الشجر والشمس والقمر، فقال: لا بأس ما لم يكن شيئاً من الحيوان.

وفى المجمع: و روى عن الصادق عليه السلام انه قال: والله ماهى تماثيل النساء والرجال ولكنه الشجر و ما أشبهه.

و فى الاحتجاج: عن الامام سيدالشهداء الحسين بن على عليهما السلام: ان يهودياً من يهود الشام و أحبارهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام: فان هذا سليمان سخرت له الشياطين يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل قال له على عليه السلام: لقد كان كذلك و لقد اعطى محمد صلى الله عليه وآله أفضل من هذا ان الشياطين سخرت لسليمان و هى مقيمة على كفرها، و قد سخرت لنبوة محمد صلى الله عليه وآله الشياطين بالايمان، فأقبل إليه الجن التسعة من أشرافهم من جن نصيبين واليمن من بنى عمرو بن عامر من الاحجة منهم شصاة و مصاة والهملكان والمرزبان والمازمان ونفات و هاضب و هاصب و عمرو و هم الذين يقول الله تبارك و تعالى اسمه فيهم: « و اذ صرفنا

اليك نفراً من الجن ».

وهم التسعة يستمعون القرآن ، فأقبل إليه الجن والنبي ﷺ ببطن النخلة، فاعتذروا بانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ، و لقد أقبل إليه أحد و سبعون ألفاً منهم يبايعوه على الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد و نصح المسلمين، و اعتذروا بانهم قالوا على الله شططاً و هذا أفضل مما أعطى سليمان ، سبحان من سخرها لنبوة محمد ﷺ بعد ان كانت تتمرد و تزعم ان الله ولداً فلقد شمل مبعثه من الجن والانس ما لا يحصى .

وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام ـ في حديث ـ قال السائل: كيف صعدت الشياطين إلى السماء و هم أمثال الناس في الخلقة والكثافة ، وقد كانوا يبنون لسليمان ابن داود عليهما السلام من البناء ما يعجز عنه ولد آدم ؟ قال : غلظوا لسليمان لما سخروا ، وهم خلق دقيق ، غذاءهم التنسم ، والدليل على ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع ، و لا يقدر الجسم الكثيف على الارتقاء الا بسلم أو سبب .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل » قال : في الشجر ، و قوله عزوجل : « و جفان كالجواب » أي جفنة كالحفرة « و قدور راسيات » أي ثابتات ، ثم قال جل ذكره : « إعملوا آل داود شكراً » قال: اعملوا ما تشكروا عليه ثم قال سبحانه: «وقليل من عبادي الشكور» .

و في رواية : عن عطاء بن يسار قال : تلا رسول الله ﷺ على المنبر : « اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادي الشكور » ثم قال : ثلاث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي آل داود العدل في الغضب والرضا والقصد في الغنى والفقر و خشية الله في السر والعلانية .

و في رواية : قال داود : أي رب كيف لي أن اشكرك ، و أنا لا أصل إلى شكرك الا بنعمتك ، فأتاه الوحي ان يا داود أليس تعلم ان الذي بك من النعم مني ؟ قال : بلى يا رب قال : فاني ارضى بذلك منك شكراً .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من نظر في الدين إلى من هو فوقه ، و في الدنيا إلى من هو تحته كتبه الله صابراً و شاكراً و من نظر في الدين إلى من هو تحته و نظر في الدنيا إلى من هو فوقه لم يكتبه الله صابراً و لا شاكراً والله سبحانه و تعالى أعلم .

وفي روضة الكافي : باسناده عن أحمد بن عمر قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام انا و حسين بن ثوير بن أبي فاختة فقلت له : جعلت فداك انا كنا في سعة من الرزق و غضارة من العيش ، فتغيرت الحال بعض التغير ، فادع الله عزوجل أن يردّ ذلك إلينا ، فقال : أيّ شيء تريدون تكونون ملوكاً ؟ أيسرك أن تكون مثل طاهر و هرثمة ، و انك على خلاف ما أنت عليه ؟ قلت : لا والله ما يسرني ان لي الدنيا بما فيها ذهباً و فضة و اني على خلاف ما أنا عليه ، قال: فقال : فمن أيسر منكم فليشكر الله ان الله عزوجل يقول: « لئن شكرتم لازيدنكم » و قال سبحانه و تعالى : « اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادي الشكور » الحديث .

و في رواية : عن أبي الدرداء قال : سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ان الله قال: ياعيسى بن مريم اني باعث بعدك امة ان أصابهم ما تحبون حمدوا وشكروا، و إن أصابهم ما يكرهون احتسبوا و صبروا و لا حلم و لا علم قال : يارب كيف يكون هذا لهم و لا حلم و لا علم ، قال : اعطيهم من حلمي و علمي .

و في رواية : عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عجبا لأمر المؤمن أمر المؤمن كله خير ، إن أصابته سراء شكر كان خيراً ، و إن أصابته ضراء صبر كان خيراً .

و في نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة ـ : « اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها حق الله عليكم ، والموجبة على الله حقكم ، وان تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله فان التقوى في اليوم الحرز والجنّة

و في غد الطريق إلى الجنة ، مسلكها واضح و سالكها رابح و مستودعها حافظ لم تبرح عارضة نفسها على الامم الماضين والغابرين لحاجتهم إليها غداً إذا أعاد الله ما أبدى وأخذ ما اعطى وسئل عما أسدى فما أقل من قبلها وحملها حق حملها اولئك الاقلون ، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول : «وقليل من عبادي الشكور» .

و في مصباح الشريعة : قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : ولو كان عندالله عبادة يتعبد بها عباده المخلصين أفضل من الشكر على كل حال لا طلق لفظه فيهم من جميع الخلق بها فلما لم يكن أفضل منها خصّها من بين العبادات ، و خصّ أربابها ، فقال : « و قليل من عبادي الشكور » .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عجبت للمؤمن ان اعطى قال: الحمد لله فشكر و إن ابتلى قال: الحمدلله فصبر فالمؤمن يؤجر على كل حال حتى اللقمة يرفعها إلى فيه . و لا يخفى عليك ايها القارىء المتدبر : ان الشكر كما يكون بالقول يكون بالفعل و يكون بالقلب . كما قال الشاعر :

افادتكم النعماء مني ثلاثة يدى ولساني والضمير المحجبا

١٤- (فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض...) الآية .

في العلل : باسناده عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عليهم السلام قال : ان سليمان بن داود عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه : ان الله تبارك و تعالى قد وهب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي ، سخّر لي الريح والانس والجن والطير والوحوش و علمني منطق الطير ، وآتاني من كل شيء ، و مع جميع ما اوتيت من الملك ماتم سروري يوم إلى الليل ، و قد أحببت أن أدخل قصري في غد ، فاصعد أعلاه و أنظر إلى مما لكي فلا تأذنوا لأحد عليّ لئلا يرد علي ما ينغص علي يومي فقالوا : نعم .

فلماكان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلا موضع من قصره و وقف

و في غد الطريق إلى الجنة ، مسلكها واضح و سالكها رابح و مستودعها حافظ لم تبرح عارضة نفسها على الامم الماضين والغابرين لحاجتهم إليها غداً إذا أعاد الله ما أبدى وأخذ ما اعطى وسئل عما أسدى فما أقل من قبلها وحملها حق حملها اولئك الاقلون ، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول : «وقليل من عبادي الشكور» .

و في مصباح الشريعة : قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : ولو كان عندالله عبادة يتعبد بها عباده المخلصين أفضل من الشكر على كل حال لا طلق لفظه فيهم من جميع الخلق بها فلما لم يكن أفضل منها خصّها من بين العبادات ، و خصّ أربابها ، فقال : «و قليل من عبادي الشكور» .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عجبت للمؤمن ان اعطى قال: الحمد لله فشكر و إن ابتلى قال: الحمدلله فصبر فالمؤمن يؤجر على كل حال حتى اللقمة يرفعها إلى فيه . و لا يخفى عليك ايها القارىء المتدبر : ان الشكر كما يكون بالقول يكون بالفعل و يكون بالقلب . كما قال الشاعر :

افادتكم النعماء مني ثلاثة　　يدي ولساني والضمير المحجبا

١٤- (فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض...) الآية .

في العلل : باسناده عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عليهما السلام قال : ان سليمان بن داود عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه : ان الله تبارك و تعالى قد وهب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي ، سخّر لي الريح والانس والجن والطير والوحوش و علمني منطق الطير ، وآتاني من كل شيء ، و مع جميع ما اوتيت من الملك ماتم سروري يوم إلى الليل ، و قد أحببت أن أدخل قصري في غد ، فاصعد أعلاه و أنظر إلى مما لكي فلا تأذنوا لأحد عليّ لئلا يرد علي ما ينغص علي يومي **فقالوا :** نعم .

فلماكان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلا موضع من قصره و وقف

متكياً على عصاه ينظر إلى ممالكه مسروراً بما أوتى فرحاً بما اعطى اذنظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره فلما أبصره سليمان قال له : من أدخلك إلى هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم ، وباذن من دخلت ؟ قال الشاب : ادخلني هذا القصر ربه وباذنه دخلت ، فقال : ربه أحق به منى فمن أنت ؟ قال : أنا ملك الموت قال : وفيما جئت ؟ قال : جئت لأقبض روحك ، قال : أمض لما أمرت به ، فهذا يوم سروري وأبى الله عزوجل أن يكون لى سرور دون لقائه ، فقبض ملك الموت روحه وهو متكىء على عصاه .

فبقى سليمان متكياً على عصاه وهو ميت ما شاء الله والناس ينظرون إليه وهم يقدرون انه حى فافتتنوا فيه واختلفوا ، فمنهم من قال : ان سليمان قدبقى متكياً على عصاه هذا الايام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يشرب ولم يأكل ، انه لربنا الذى يجب علينا أن نعبده ، وقال قوم : ان سليمان ساحر وانه يرينا انه واقف متكىء على عصاه يسحر أعيننا وليس كذلك ، وقال المؤمنون : ان سليمان هو عبدالله ونبيه يدبر الله أمره بما شاء فلما اختلفوا بعث الله عزوجل الارضة فدبت فى عصاة سليمان ، فلما أكلت جوفها انكسرت العصاة وخر سليمان من قصره على وجهه ، فشكرت الجن للارضة صنيعها ، فلأجل ذلك لاتوجد الارضة فى مكان إلا وعندها ماء وطين .

وذلك قول الله عزوجل : « فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته » يعنى عصاه ـ فلما خر تبينت الجن ان لوكانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » .

وفيه : باسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام قال : أمر سليمان بن داود الجن فصنعوا له قبة من قوارير ، فبينما هو متكىء على عصاه فى القبة ينظر إلى الجن كيف يعملون وهم ينظرون إليه إذحانت منه التفاتة ؛ فاذا رجل معه فى القبة قال : من أنت ؟ قال : أنا الذى لاأقبل الرشا ولاأهاب الملوك أنا ملك الموت ،

فقبضه وهو قائم متكىء على عصاه في القبة والجن ينظرون إليه قال : فمكثوا سنة يدأبون له حتى بعث الله عزوجل الارضة فأكلت منسأته ـ وهي العصا ـ فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا ـ يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب الأليم (المهين ظ)

وفي روضة الكافي: باسناده عن الوليد بن صبيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان الله عزوجل أوحى إلى سليمان بن داود عليه السلام ان آية موتك ان شجرة تخرج من بيت المقدس يقال لها : الخرنوبة ، قال : فنظر سليمان عليه السلام يوماً فاذا الشجرة الخرنوبة قد طلعت من بيت المقدس ، فقال لها : ما إسمك ؟ قالت : الخرنوبة قال : فولى سليمان مدبراً إلى محرابه ، فقام فيه متكياً على عصاه فقبض روحه من ساعته ، قال : فجعلت الجن والانس يخدمونه ويسعون في أمره كما كانوا وهم يظنون انه حيّ لم يمت يغدون ويروحون ، وهو قائم ثابت حتى دبت الارض من عصاه فأكلت منسأته، فانكسرت وخرّ سليمان إلى الارض ، أفلا تسمع لقوله عزوجل « فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين» .

وفي تفسير القمي: قال :لما أوحى الله إلى سليمان انك ميت ،أمر الشياطين أن يتخذوا له بيتاً من قوارير وضعوه في لجة البحر، ودخله فاتكأ على عصاه، وكان يقرأ الزبور والشياطين حوله ينظرون إليه لايجسرون أن يبرحوا ، فبينما هو كذلك إذحانت منه التفاتة ، فاذا هو برجل معه في القبة ، ففزع منه سليمان بن داود عليه السلام فقال له من أنت ؟ قال : أنا الذى لااقبل الرشا ولاأهاب الملوك فقبضه وهو متك على عصاه سنة ، والجن ـ يعملون له ولا يعلمون بموته حتى بعث الله الارضة فأكلت منسأته « فلما خرّ على وجهه تبينت الانس أن لو كان الجن يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين »

فهكذا نزلت هذه الاية و ذلك ان الانس كانوا يقولون ان الجن يعلمون الغيب ، فلما سقط سليمان على وجهه علموا الانس ان لو علموا الجن الغيب لم يعملوا سنة لسليمان وهو ميت ، ويتوهمونه حياً قال : فالجن تشكر الارضة بما

عملت بعصا سليمان قال : فلما هلك سليمان وضع ابليس السحر وكتبه في كتاب ثم طواه وكتب على ظهره : هذا ماوضعه آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز الملك والعلم من أراد كذا و كذا و كذا ، فليعمل كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير ثم استثاره لهم فقال الكافرون ماكان يغلبنا سليمان الا بهذا و قال المؤمنون بل هو عبدالله ونبيه .

وفي المجمع : وفي الشواذ « تبينت الانس » وهي قراءة علي بن الحسين و أبي عبدالله عليهما السلام .

وفي عيون الاخبار : ـ في حديث ـ ثم قال الصادق عليه السلام : والله ما نزلت هذه الآية هكذا وانما نزلت : « فلما خر تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين »

أقول : أي المعنى هكذا من غير نقصان كلمة من القرآن الكريم الذي لا يحفظه الا الله تعالى .

وفي المجمع : عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان آصف بن برخيا يدبر أمره حتى دبت الارضة .

و في كمال الدين : باسناده عن محمد بن جعفر عن أبيه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : عاش سليمان بن داود سبعمأة سنة واثنى عشر سنة .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى: « لقد كان لسباء في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال » قال : فان بحراً كان من اليمن وكان سليمان عليه السلام أمر جنوده أن يجروا له (لهم خ) خليجاً من البحر العذب إلى بلاد الهند ففعلوا ذلك وعقدوا له عقدة عظيمة من الصخر والكلس ـ أي الصاروخ يبنى به ـ حتى يفيض على بلادهم وجعلوا للخليج مجارياً ، فكانوا إذا أرادوا أن يرسلوا منه الماء أرسلوه بقدر ما يحتاجون إليه وكانت له (لهم خ) جنتان عن يمين وشمال عن مسيرة عشرة أيام فيها ثمر (يمر خ) لايقع عليها الشمس من إلتفافها، فلما عملوا بالمعاصي وعتوا

عن أمر ربهم و نهاهم الصالحون ، فلم ينتهوا بعث الله عزوجل على ذلك السد الجرذ و هي الفأرة الكبيرة ، فكانت تقلع (تقتلع خ) الصخرة التي لا يستقلها الرجال و ترمى بها .

فلمارآى ذلك قوم منهم هربوا وتركوا البلاد فمازالالجرذ يقلعالحجر حتى خرب ذلك السد ، فلم يشعروا حتى غشيهم السيل و خرب بلادهم و قلع أشجارهم ، و هو قوله : « لقد كان لسباء فيمسكنهم آية جنتان عنيمين وشمال ـ إلىقوله ـ و أرسلنا عليهم سيلالعرم » يعني العظيم الشديد « وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكلخمط » وهو امغيلان و أثل قال: هو نوع منالطرفاء « وشيء من سدر قليلذلك جزيناهم بما كفروا ـ إلىقوله ـ وباركنا فيها » قال: مكة .

و في المجمع : عن فروة بن مسيك قال: سئلت رسولالله صلى الله عليه وآله وسلم عن سبأ أرجل هو أم امرأة ؟ فقال: هو رجل منالعرب ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشأم منهم أربعة ، فاما الذين تيامنوا فالازد و كندة و مذحج والاشعرون و أنمار و حمير ، فقال رجل من القوم : ما أنمار ؟ قال : الذين منهم خثعم و بجلية ، وأما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان . والمراد بالتيامن والتشأوم السكونة باليمن والشام .

و في الاحتجاج : عن أبيحمزة الثمالي قال: أتيالحسن البصري أباجعفر الباقر عليه السلام فقال: جئتك لأسئلك عن أشياء من كتابالله ، فقال له أبوجعفر عليه السلام : ألست فقيه أهل البصرة ؟ قال: قد يقال ذلك ، فقال له أبوجعفر عليه السلام : هل بالبصرة أحد تأخذ عنه ؟ قال : لا ، قال : فجميع أهل البصرة يأخذون عنك ؟ قال : نعم ، فقال له أبوجعفر عليه السلام : سبحان الله لقد تقلدت ـ أي توليت أمراً عظيماً وألزمته نفسك ـ عظيماً منالامر ، بلغني عنك أمر فما أدرى أكذلك أنت ام يكذبعليك؟ قال : ماهو؟ قال : زعموا انك تقول : ان الله خلق العباد ففوض إليهم امورهم ، قال : فسكت الحسن ، فقال : أفرأيت من قالالله له في كتابه انك آمن هل عليه

خوف بعد هذا القول ؟ فقال الحسن : لا ، فقال أبوجعفر عليه السلام : انى اعرض عليك آية و انهى اليك خطابا ، و لا احسبك الا و قد فسرته على وجهه ، فان كنت فعلت ذلك فقد هلكت و أهلكت . فقال له : ما هو ؟

قال : أرايت حيث يقول : « و جعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين » ياحسن بلغنى انك افتيت الناس ، فقلت : هى مكة . فقال أبوجعفر عليه السلام : فهل يقطع على من حجّ مكة و هل يخاف أهل مكة ، و هل تذهب أموالهم ؟ قال : بلى .

قال : متى يكونون آمنين ؟ بل فينا ضرب الله الامثال في القرآن ، فنحن القرى التى بارك الله فيها، و ذلك قول الله عزوجل ، فمن اقرّ بفضلنا حيث أمرهم بأن يأتونا فقال : « و جعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها » أى جعلنا بينهم و بين شيعتهم القرى التى باركنا فيها . قرى ظاهرة ، والقرى الظاهرة : الرسل والنقلة عنا إلى شيعتنا ، و فقهاء شيعتنا إلى شيعتنا ، وقوله تعالى: « وقدرنا فيها السير » فالسير مثل للعلم ، سير به ليالى و أياماً ، مثل لما يسير من العلم في الليالى والايام عنا إليهم فى الحلال والحرام ، والفرائض والاحكام آمنين فيها اذا اخذوا منه آمنين من الشك والضلال ، والنقلة من الحرام إلى الحلال ، لانهم اخذوا العلم ممن وجب لهم أخذهم إياه عنهم بالمعرفة لانهم أهل ميراث العلم من آدم إلى حيث انتهوا ذرية مصطفاة بعضها من بعض .

فلم ينته الاصطفاء إليكم ، بل إلينا انتهى ، و نحن تلك الذرية المصطفاة لا أنت ولا أشباهك ياحسن، فلو قلت لك ـ حين ادعيت ماليس لك وليس إليك ـ : يا جاهل أهل البصرة ! لم أقل فيك الا ما علمته منك ، و ظهر لى عنك و اياك أن تقول بالتفويض ، فان الله عزوجل لم يفوض الامر إلى خلقه ، وهناً منه وضعفاً و لا أجبرهم على معاصيه ظلماً .

و في وسائل الشيعة : نقلاً عن كتاب « الغيبة » باسناده عن محمدبن صالح

الهمدانی قال : کتبت إلى صاحب الزمان عليه‌السلام : إن أهل بيتي يقرؤني بالحديث الذى روى عن آبائك عليهم‌السلام انهم قالـوا : خدّامنا و قوّامنا شرار خلق الله ، فكتب : و يحكم ما تقرؤون ما قال الله تعالى : « و جعلنا بينهم وبين القرى التى بار كنافيها قرىظاهرة » فنحن والله القرى التى بارك فيها وأنتم القرى الظاهرة .

و فى اصول الكافى : باسناده عن سدير قال: سئل أباعبدالله عليه‌السلام عن قول الله عزوجل : « قالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم » الاية فقال : هؤلاء قوم كانت لهم قرى متّصلة ينظر بعضهم إلى بعض و أنهار جارية و أموال ظاهرة فكفروا نعم الله عزوجل و غيّروا ما بأنفسهم من عافية الله ، فغيّر الله ما بهم من نعمة ، و ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ، فأرسل الله عليهم سيل العرم ، ففرّق قراهم وخرّب ديارهم وأذهب أموالهم و أبدلهم مكان جناتهم جنتين ذواتي اكل خمط و أثل و شيء من سدر قليل ، ثم قال : « ذلك جزينـاهم بما كفروا و هل نجازى إلاّ الكفور » رواه فى الروضة .

وفى العلل : باسناده عن أبى زهير شبيب بن أنس عن بعض أصحاب أبى عبدالله عليه‌السلام قال : دخل عليه أبو حنيفة ، فقال له أبو عبدالله عليه‌السلام : أخبرنى عن قول الله عزوجل : « سيروا فيها ليالى و أياماً آمنين » أين ذلك من الارض ؟ قال: أحسبه مابين مكة والمدينة ، فالتفت أبوعبدالله عليه‌السلام إلى أصحابه ، فقال: أتعلمون ان الناس يقطع عليهم بين المدينة ومكة ، فتؤخذ أموالهم ولا يأمنون على أنفسهم و يقتلون ؟ قالوا : نعم قال : فسكت أبوحنيفة فقال: ياباحنيفة أخبرنى عن قول الله عزوجل : « و من دخله كان آمناً » أين ذلك من الارض ؟ قال : الكعبة ، قال : أفتعلم ان الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير فى الكعبة فقتله كان آمنا فيها ؟ قال : فسكت .

فلما خرج قال أبوبكر الحضرمى : جعلت فداك الجواب فى المسئلتين ؟ فقال : ياأبابكر « سيروا فيها ليالى و أياماً آمنين » فقال : مع قائمنا أهل البيت

و أما قوله : « و من دخله كان آمناً » فمن بايعه و دخل معه ، و مسح على يده ، و دخل في عقد أصحابه كان آمناً . الخبر .

وفي المناقب : لابن شهرآشوب رضوان الله تعالى عليه : عن الثمالي قال: دخل قاض من قضاة أهل الكوفة على علي ابن الحسين عليه السلام فقال له : جعلني الله فداك أخبرني عن قول الله عزوجل : «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنافيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين» قال له : ما يقول الناس فيها قبلكم بالعراق ؟ قال : يقولون : انها مكة ، قال : وهل رأيت السرق في موضع أكثر منه بمكة ؟ قال : فما هو؟ قال : انما عنى به الرجال ، قال: وأين ذلك في كتاب الله ؟ فقال : أوما تسمع إلى قوله عزوجل : «وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله» وقال : «وتلك القرى أهلكناهم» وقال : «واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها» فليسئل القرية (فنسئل القرية خ)أوالرجال والعير قال : وتلا عليه السلام آيات في هذا المعنى قال : جعلت فداك فمن هم ؟ قال:نحن هم ، فقال : أوما تسمع إلى قوله : «سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين» قال :آمنين من الزيغ .

و في كنز الفوائد للكراجكي رحمة الله تعالى عليه باسناده عن الهيثم بن عبدالله الرماني عن الرضا عن أبيه عن جده جعفر عليهم السلام قال : دخل على أبي بعض من يفسر القرآن فقال له : أنت فلان ؟ وسماه باسمه ، قال : نعم ، قال : أنت الذي تفسر القرآن ؟ قال : نعم ، قال : فكيف تفسر هذه الاية : «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين» قال : هذه بين مكة ومنى ، فقال له أبوعبدالله عليه السلام : أيكون في هذا الموضع خوف وقطيع ؟ قال :نعم ، قال : فموضع يقول الله : أمن ، يكون فيه خوف وقطع ؟ قال : فما هو ؟

قال : ذاك نحن أهل البيت ، قدسماكم الله ناساً ، وسمانا قرى قال :

جعلت فداك أوجدني هذا في كتاب الله ان القرى رجال ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : أليس الله تعالى يقول : «واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها» فللجدران والحيطان السؤال أم للناس ؟ وقال تعالى : «وإن من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أومعذبوها عذاباً شديداً» فمن المعذّب الرجال أم الجدران والحيطان ؟.

وفي روضة الكافي : باسناده عن زيد الشحام قال : دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السلام فقال : يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة ؟ فقال : هكذا يزعمون، فقال أبوجعفر عليه السلام : بلغني انك تفسّر القرآن ؟ فقال له قتادة : نعم ، فقال له أبوجعفر عليه السلام : بعلم تفسّره أم بجهل ؟ قال : لابعلم ، فقال له أبوجعفر عليه السلام : فان كنت تفسّره بعلم فأنت أنت وأنا أسئلك ؟ قال قتادة : سل قال : أخبرني عن قول الله عزوجل في سبأ : «وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين» فقال قتادة : ذلك من خرج من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت كان آمناً حتى يرجع إلى أهله ، فقال أبوجعفر عليه السلام : نشدتك الله يا قتادة هل تعلم انه قد يخرج الرجل من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق ، فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه ؟

قال قتادة : اللهم نعم ، فقال أبوجعفر عليه السلام : ويحك يا قتادة إن كنت انما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت ، وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت ، ويحك يا قتادة ذلك من خرج من بيته بزاد و راحلة وكراء حلال يروم هذا البيت عارفاً بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله عزوجل: «واجعل افئدة من الناس تهوى إليهم» ولم يعن البيت ، فيقول : إليه ، فنحن والله دعوة ابراهيم عليه السلام التي من هوانا قلبه قبلت حجته والا فلايا قتادة ، فاذا كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنم يوم القيامة ، قال قتادة : لاجرم والله لافسّرتها إلا هكذا ، فقال أبوجعفر عليه السلام : ويحك يا قتادة انما يعرف القرآن من خوطب به .

وفي المناقب : دخل أبوحنيفة على أبي عبدالله عليه السلام فسئله عليه السلام عن أشياء لم يعرف الجواب عنها، فكان فيما سئله أن قال له : أخبرني عن قول الله تعالى : «وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين» أي موضع هو؟ قال : هو ما بين مكة والمدينة فقال عليه السلام نشدتكم بالله هل تسيرون بين مكة والمدينة لا تأمنون على دمائكم من القتل، وعلى أموالكم من السرق؟ ثم قال : وأخبرني عن قوله : «ومن دخله كان آمناً» أيّ موضع هو؟ قال : ذاك بيت الله الحرام، فقال : نشدتكم بالله هل تعلمون ان عبدالله بن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه فلم يأمنا القتل؟ قال : فاعفني يابن رسول الله.

أقول: ان الروايات الواردة في المقام فمن باب التأويل، ولعل الوجه فيها : ان الله تعالى ذكر في كتابه قصصاً لزجر هذه الامة عن أشباه أعمال الامم الماضية وتحذيرهم عن أمثال ما نزل بهم من الهلاك والدمار والعقوبات، ولم يقع في الامم السابقة شيء الا وقد وقع نظيره في هذه الامة كقصة هارون مع العجل والسامري، وما وقع على أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي عليه السلام وما وقع على سائر أئمتنا المعصومين عليهم السلام من غاصبي الخلافة وهاضمي حقوق أهل بيت الوحي عليهم السلام، فبعض تلك الروايات ظاهر الانطباق على ما مضى، وبعضها يحتاج إلى بيان.

ولايخفى على سليم العقل المنصف : ان نظير ما وقع على قوم سباء من حرمانهم لنعم الله تعالى لكفرانهم وتعويضهم وتغييرهم بالخمط والاثل، هيّأ الله جل وعلا لهذه الامة من أثمار حدائق الحقائق والحكم والمعارف ببركة الصادقين من أهل بيت النبوة والعصمة صلوات الله عليهم أجمعين مالايحيط به البيان. مع كونهم آمنين من فتن الجهالات والضلالات، فلما كفروا بتلك النعم الالهية سلبهم الله تعالى إياها فغاب أوخفي عنهم، وذهبت الرواة وحملة الاخبار من بينهم، أوخفوا عنهم فابتلوا بالآراء والمقاييس واشتبه عليهم الامور... وقلّ عندهم ما يتمسكون به من أخبار أئمة أهل البيت عليهم السلام واستولت عليهم سيول

الشكوك والشبهات من أئمة البدع ورؤوس الضلالات ، فصاروا مصداق قوله تعالى: «وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وأثل وشيء من سدرقليل» و هذا طريق وسّعت عليك لفهم أمثال تلك الاخبار والله يهدى إلى سواء السبيل .

وفي مقتل ابن نما : ومن كلام سيد الشهداء الامام الحسين بن على عليه السلام بالرهيمة أجاب به أباهرم (أباهرة) لما قال له عليه السلام : يا ابن رسول الله ما الذى أخرجك عن حرم جدك ؟ فقال عليه السلام :

«يا أباهرم ! ان بنى امية شتموا عرضى فصبرت وأخذوا مالى فصبرت ، و طلبوا دمى فهربت ، وأيم الله ليقتلوننى فيلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً ، و يسلّط عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذل من قوم سباء إذملكتهم إمرأة ،فحكمت فى أموالهم و دمائهم»

و فى كنز الفوائد: باسناده عن جابر بن يزيد عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله عزوجل : «ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور» قال : صبار على مودتنا وعلى ما انزل الله من شدة أورخاء ، صبور على الأذى فينا شكور لله تعالى على أهل ولايتنا أهل البيت .

وفي روضة الكافي : باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي عليه السلام يوم الغدير صرخ ابليس فى جنوده صرخة،فلم يبق منهم أحد فى برّ ولا بحر الا أتاه فقالوا : يا سيدهم ومولاهم ماذادهاك فما سمعنا لك صرخة أوحش من صرختك هذه ؟ فقال لهم : فعل هذا النبى فعلاً إن تمّ لم يعص الله أبداً فقالوا : ياسيدهم أنت كنت لآدم ، فلما قال المنافقون : انه ينطق عن الهوى ، وقال أحدهما لصاحبه : أماترى عينيه تدوران فى رأسه كأنه مجنون، يعنون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صرخ ابليس صرخة بطرب ، فجمع أوليائه فقال : أما علمتم أنى كنت لآدم من قبل ؟ قالوا : نعم قال :

آدم نقض العهد ولم يكفر بالرب وهؤلاء نقضوا العهد و كفروا بالرسول ،

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقام الناس غير علي لبس ابليس تاج الملك و نصب منبراً وقعد في الوثبة وجمع خيله ورجله ثم قال لهم : اطربوا لايطاع الله حتى يقوم الامام ، و تلا أبوجعفر عليه السلام : « و لقد صدّق عليهم ابليس ظنّه فاتبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين » قال أبوجعفر عليه السلام : كان تأويل هذه الاية لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والظن من ابليس حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انه ينطق عن الهوى فظن بهم ابليس ظناً فصدّقوا ظنه .

و في كنز الفوائد : باسناده عن عطية العوفي عن ابي جعفر عليه السلام قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اخذ بيد علي عليه السلام بغدير خم ، فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه كان ابليس حاضراً بعفاريته ، فقال له حيث قال : من كنت مولاه فعلي مولاه والله ما هكذا قلت لنا قد أخبرتنا ان هذا اذا مضى افترق أصحابه ، و هذا أمر مستقر كلما أراد أن يذهب واحد بدر آخر فقال: افترقوا فان أصحابه قد وعدوني أن لايقروا له بشيء مما قال و هو قوله عزوجل : « ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين » .

وفي العلل : باسناده عن أبي‌سعيدالخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث- قال صلى الله عليه وآله وسلم : يابلال إصعد أباقبيس، فنادعليه! ان‌رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم حرّم الجرّيّ والضبّ والحمر الاهلية ألا فاتقوا الله ولاتأكلوا من السمك إلاّ ما كان له قشر ، و مع القشر فلوس ، ان الله تبارك و تعالى مسخ سبعمأة امة عصوا الاوصياء بعد الرسل ، فأخذ أربعمأة امة منهم براً و ثلاثمأة امة منهم بحراً ثم تلاهذه الاية : « و جعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق » .

قوله : « الجرّيّ » : صنف من السمك في ظهره طول ، و في فمه سعة ، و ليس له عظم الاّ عظم اللحيين والسلسلة .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « و لا تنفع الشفاعة عنده الاّ لمن أذن له » قال : لا يشفع أحد من أنبياء الله و رسله يوم القيامة حتى يأذن الله له

إلاّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان الله عزوجل قد أذن له في الشفاعة من قبل يوم القيامة، والشفاعة له و للأئمة من ولده صلوات الله عليهم، ثم بعد ذلك للانبياء عليهم السلام.

وفيه: باسناده عن أبي العباس المكبر قال: دخل مولى لامرأة علي بن الحسين عليه السلام على أبي جعفر عليه السلام يقال له: أبو أيمن فقال له: ياباجعفر تغرون الناس، وتقولون: شفاعة محمد، شفاعة محمد؟! فغضب أبوجعفر عليه السلام حتى تغيّر (تربد خ) وجهه ثم قال: ويحك ياأبا أيمن أغرك ان عفّ بطنك و فرجك؟ أما لو قد رأيت افزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد (رسول الله خ) صلى الله عليه وآله وسلم ويلك و هل (فهل خ) يشفع الاّ لمن وجبت له (النار خ)؟ ثم قال: مامن أحد من الاولين والاخرين الاّ و هو محتاج إلى شفاعة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة، ثم قال أبوجعفر عليه السلام: ان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة في امته، ولنا الشفاعة في شيعتنا، و لشيعتنا شفاعة في أهاليهم، ثم قال: و ان المؤمن ليشفع في مثل ربيعة و مضر، وان المؤمن ليشفع حتى لخادمه، يقول: يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد.

وفي البرهان: بالاسناد عن سماعة قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة في صعيد واحد، فيلجمهم العرق، فيقولون: انطلقوا بنا إلى أبينا آدم عليه السلام فيشفع لنا فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: إشفع لنا عند ربك فيقول: ان لي ذنباً وخطيئة و اني استحيي من ربكم فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردهم إلى من يليه و يردهم كل نبي إلى من يليه من الانبياء حتى ينتهوا إلى عيسى عليه السلام فيقول: عليكم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فيأتون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فيعرضون أنفسهم عليه ويسئلونه أن يشفع لهم، فيقول: انطلقوا بنا، فينطلقون حتى يأتي باب الجنة فيستقبل وجه الرحمن سبحانه و يخرّ ساجداً فيمكث ماشاءالله فيقول الله له: ارفع رأسك يا محمد و اشفع تشفع وسل تعط، فيشفع فيهم.

و في تفسير القمي: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله

تعالى : « حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلي الكبير » و ذلك ان أهل السموات لم يسمعوا وحياً فيما بين أن بعث عيسى بن مريم إلى أن بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلما بعث الله جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم سمع أهل السموات صوت وحي القرآن كوقع الحديد على الصفا ، فصعق أهل السموات ، فلما فرغ عن الوحي انحدر جبرئيل عليه السلام كلما مرّ بأهل سماء فزّع عن قلوبهم ، يقول : كشف عن قلوبهم ، فقال بعض لبعض : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلي الكبير .

أقول: و في الرواية بيان لبعض المصاديق فلا تكون تفسيراً للآية .

و في الاحتجاج : عن مولى الموحدين امام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام - في حديث - قال : و أما قولكم : اني شككت في نفسي حيث قلت للحكمين : انظرا فان كان معاوية أحق بها مني فأثبتاه ، فان ذلك لم يكن شكاً مني ولكني أنصفت في القول ، قال الله : « و انا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » و لم يكن ذلك شكاً و قد علم الله ان نبيه على الحق .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « ثم يفتح بيننا بالحق » قال: يقضي بيننا بالحق « و هو الفتاح العليم » قال : القاضي العليم .

و في تفسير اللاهيجي رضوان الله تعالى عليه : قال ابن عباس : لانعرف معنى « الفتاح » حتى سمعت معناه من بنت سيف بن ذيزن حيث كانت بيني وبينها مخاصمة ، فقالت لي: « انطلق أفاتحك إلى القاضي » فعلمت ان الفتح بمعنى الحكم والفاتح والفتاح بمعنى الحاكم .

٢٨ - (و ما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً و نذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

في تفسير القمي : باسناده عن حفص الكناني قال : سمعت عبدالله بن بكير الرجاني (الارجاني خ) قال : قال لي الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : أخبرني عن

الرسول ﷺ كان عاماً (كان ارسل عامة خ) للناس أليس قد قال الله عزوجل في محكم كتابه : « وما أرسلناك الاّ كافة للناس » لاهل الشرق والغرب (المشرق والمغرب خ) وأهل السماء والارض من الجن والانس هل بلغ (أبلغ خ) رسالته إليهم كلهم ؟ قلت : لا أدرى قال : يا ابن بكير ان رسول الله ﷺ لم يخرج من المدينة فكيف أبلغ أهل الشرق والغرب ؟ قلت : لا أدرى ، قال : ان الله تعالى أمر جبرئيل عليه السلام فاقتلع الارض بريشة من جناحه و نصبها لرسول الله ﷺ فكانت بين يديه مثل راحة في كفه ينظر إلى أهل الشرق والغرب ، و يخاطب كل قوم بألسنتهم ، و يدعوهم إلى الله عزوجل ، و إلى نبوته بنفسه ، فما بقيت قرية و لا مدينة الاّ و دعاهم النبي ﷺ بنفسه .

وفي البرهان : بالاسناد عن عبدالله بن بكر الارجاني عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث - قلت له : جعلت فداك فهل يرى الامام ما بين المشرق والمغرب ؟ قال : يابن بكر فكيف يكون حجة على ما بين قطريها و هو لايريهم ولايحكم فيهم و كيف يكون حجة على قوم غيب لايقدر عليهم و لا يقدرون عليه ، و كيف يكون مؤدياً عن الله و شاهداً على الخلق و هو لا يراهم و كيف يكون حجة عليهم و هو محجوب عنهم ، و قد حيل بينهم و بينه أن يقوم بأمر ربه فيهم والله يقول : « وما أرسلناك الاّ كافة للناس » يعني به من على الارض والحجة من بعد النبي ﷺ وهو يقوم مقام النبي ﷺ وهو الدليل على ما تشاجرت فيه الامة ، والاخذ بحقوق الناس .

و في اصول الكافي : باسناده عن أبان بن عثمان عمن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى اعطى محمداً ﷺ شرائع نوح وابراهيم وموسى وعيسى إلى أن قال : و أرسله كافة إلى الابيض والاسود والجن والانس .

و في كمال الدين : باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام - قال في حديث - : و ان الانبياء بعثوا خاصة و عامة ، فاما نوح فانه ارسل إلى من

في الارض بنبوة عامة و رسالة عامة ، وأماهود ، فانه ارسل إلى عاد بنبوة خاصة ، و أما صالح ، فانه ارسل إلى ثمود و هي قرية واحدة لا تكمل أربعين بيتاً على ساحل البحر صغيرة ، و أما شعيب ، فانه ارسل إلى مدين و هي لاتكمل أربعين بيتاً ، وأما ابراهيم ، فنبوته بكوثا وهي قرية من قرى السواد فيها بدا أول أمره ، ثم هاجر منها و ليست بهجرة ، فقال في ذلك قوله عزوجل : « اني مهاجر إلى ربي سيهدين » و كانت هجرة ابراهيم بغير قتال ، و أما اسحق ، فكانت نبوته بعد ابراهيم ، و أما يعقوب ، فكانت نبوته بأرض كنعان ثم هبط إلى أرض مصر فتوفي فيها ، ثم حمل بعد ذلك جسده حتى دفن بأرض كنعان ، والرؤيا التي رآى يوسف الاحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين ، وكانت نبوته بأرض مصر بدونها.

ثم ان الله تبارك و تعالى ارسل الاسباط اثنى عشر بعد يوسف ، ثم موسى و هارون إلى فرعون و ملائه إلى أرض مصر وحدها ، ثم ان الله تبارك و تعالى أرسل يوشع بن نون إلى بني اسرائيل من بعد موسى فنبوته بدوها في البرية التي تاه فيها بنواسرائيل ، ثم كانت انبياء كثيرة منهم من قصّه الله عزوجل على محمد و منهم من لم يقصصه على محمد ، ثم ان الله عزوجل أرسل عيسى عليه السلام إلى بني اسرائيل خاصة وكانت نبوته ببيت المقدس ، وكانت من بعده الحواريون اثناعشر ، فلم يزل الايمان يستتر في بقية أهله منذ رفع الله عيسى عليه السلام ثم أرسل الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى الجن والانس عامة و كان خاتم الانبياء .

وفيه: باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال ـ في حديث ـ : فمكث نوح ألف سنة الا خمسين عاماً لم يشاركه في نبوته أحد .

وفي الخصال : عن أبي امامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فضلت بأربع خصال : جعلت لي الارض مسجداً و طهوراً ـ إلى قوله ـ : و أرسلت إلى الناس كافة.

وفي المجمع : عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اعطيت خمساً و لا اقول فخراً بعثت إلى الاحمر والاصفر (الاسود خ) الحديث .

وفي رواية: سئلوا ابن عباس عن فضل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الانبياء عليهم السلام فقال: ان الله قال: « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » ابراهيم : ٤) و قال لرسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم : « و ما أرسلناك الا كافة للناس » فأرسله الله تعالى إلى الجن والانس .

وفي روضة الواعظين: للشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه : قال الامام سيد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلام : كان أبو طالب يضرب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسيفه و يقيه بنفسه ـ إلى أن قال ـ : فقالوا : يا أبا طالب سله : أرسله الله إلينا خاصة أم إلى النـاس كافة ؟ فقال أبوطالب : يا ابن اخ إلى الناس كافة أرسلت أم إلى قـومك خاصة ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : لا بل إلى النـاس ارسلت كافة الابيض والاسود والعربي والعجمي ، والذى نفسي بيده لادعون إلى هذا الامر الابيض والاسود ، و من على رؤس الجبال و من في لجج البحار ولادعون السنة فارس والروم .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى: « وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب » قال: يسرّون الندامة في النار إذا رأوا وليّ الله فقيل: يابن رسول الله ومايغنيهم إسرارهم الندامة و هم في العذاب ؟ قال : يـكرهون شماتة الاعداء .

وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئل عن قول الله تبارك وتعالى: « و اسرّوا الندامة لما راوا العذاب » قال: قيل له: ماينفعهم اسرار الندامة و هم في العذاب ؟ قال : كرهوا شماتة الاعداء .

و في نهج البلاغة : قال الامـام اميرالمؤمنين على بـن ابيطالب عليه السلام في خطبة ـ : « و أما الاغنياء من مترفة الامم فتعصبوا لآثار مواقع النعم ، فقالوا : « نحن أكثر اموالاً و أولاداً ومانحن بمعذبين » فان كان لابد من العصبية فليـكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل بالاخلاق الرغيبة والاحلام العظيمة والاخطار الجليلة والآثار المحمودة » .

قوله عليه‌السلام : « تفاضلت » : تزايدت و « المجداء » : جمع ماجد والمجد : الشرف في الآبـاء و « النجداء » : الشجعـان و « يعاسيب » : جمع يعسوب أي رؤساء القبائل .

و في تفسير القمي : قال: ثم افتخروا على الله بالغناء فقالوا: « نحن أكثر أموالاً و اولاداً و ما نحن بمعذبين » فردّ الله عليهم بقوله : « قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ـ إلى ـ الاّ من آمن و عمل صالحاً . . . » .

و في رواية : « الدنيا عرض حاضر ينال منها البر والفاجر ، والاخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر » .

و في رواية : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : « لوكانت الدنيا تزن عندالله جناح بعوضة ما اعطى الكافر منها شيئاً » .

وفي تفسير القمي: و ذكر رجل عندأبي عبدالله عليه‌السلام الاغنياء و وقع فيهم ، فقال أبو عبدالله عليه‌السلام : اسكت فان الغني اذاكان وصولاً برحمه وباراً باخوانه أضعف الله له الاجر ضعفين لان الله يقول : « وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الاّ من آمن و عمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا و هم في الغرفات آمنون » .

وفي العلل : باسناده عن أبي بصير قال : ذكرنا عند أبي جعفر عليه‌السلام من الاغنياء من الشيعة فكأنه كره ما سمع منّا فيهم ، قال: يا بامحمد اذا كان المؤمن غنياً رحيماً وصولاً له معروف إلى أصحابه ، أعطاه الله أجر ما ينفق في البر أجره مرتين ضعفين ، لان الله عزوجل يقول في كتابه : « و ما أموالكم و لا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الاّ من آمن و عمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا و هم في الغرفات آمنون » .

و في أمالي الشيخ الطوسي قدس سره باسناده إلى الامام أمير المؤمنين علي عليه‌السلام قال ـ في حديث ـ : حتى اذا كان يوم القيامة حسب لهم ثم أعطاهم بكل

واحدة عشر أمثالها إلى سبعمأة ضعف ، قال الله عزوجل : « جزاء من ربك عطاءاً حساباً » وقال: « اولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا و هم فى الغرفات آمنون » .

و فى رواية : عن مولى الموحدين أمير المؤمنين الامام على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ان فى الجنة لغرفاً ترى ظهورها من بطونها و بطونها من ظهورها ، فقال أعرابى لمن هى ؟ قال لمن طيب الكلام و أطعم الطعام و أدام الصيام و صلى بالليل والناس نيام » .

و فى تفسير القمى : باسناده عن حريز عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان الرب تبارك و تعالى ينزل أمره كل ليلة جمعة إلى سماء الدنيا من أول الليل ، و فى كل ليلة فى الثلث الاخير ، و أمامه ملك ينادى : هل من تائب يتاب عليه ؟ هل من مستغفر يغفر له ؟ هل من سائل فيعطى سؤله ، اللهم اعط كل منفق خلفاً ولكل ممسك تلفاً إلى أن يطلع الفجر ، فاذا طلع الفجر عاد أمر الرب تبارك و تعالى إلى عرشه ، فيقسّم الارزاق بين العباد ، ثم قال للفضيل بن يسار : يافضيل نصيبك من ذلك وهو قول الله تعالى: « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » .

و فى الكافى : باسناده عن عثمان بن عيسى عن من حدثه عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قلت : آيتان فى كتاب الله عزوجل اطلبهما ، فلا أجدهما قال : وما هما ؟ قلت: قول الله عزوجل: « ادعونى استجب لكم » فندعوه ولا نرى إجابة ، قال عليه السلام : أفترى الله عزوجل اخلف وعده ؟ قلت : لا قال : فمم ذلك ؟ قلت : لا أدرى قال : لكنى اخبرك : من أطاع الله عزوجل فيما أمره من دعائه من جهة الدعاء أجابه ، قلت : وما جهة الدعاء ؟ قال : تبدؤ فتحمد الله وتذكر نعمه عندك ثم تشكره ثم تصلّى على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم تذكر ذنوبك، فتقرّ بها ثم تستعيذ منها، فهذا جهة الدعاء .

ثم قال : و ما الاية الاخرى ؟ قلت : قول الله عزوجل : « و ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه و هو خير الرازقين » و انى انفق و لا أرى خلفاً ، قال: أفترى الله عزوجل أخلف وعده ؟ قلت : لا قال : فممّ ذلك ؟ قلت : لا أدرى قال : لو ان

أحدكم اكتسب المال من حلّه و أنفقه في حله لم ينفق درهماً إلاّ اخلف عليه .

وفيه: باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صدّق بالخلف جاد بالعطية .

وفيه: باسناده عن سماعة عن أبي الحسن عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة .

و في الفقيه : باسناده عن أبان الاحمر عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام انه جاء إليه رجل ، فقال له: بأبي أنت و امي عظني موعظة ، فقال عليه السلام : وإن كان الحساب حقاً فالجمع لماذا ، و اذا كان الخلف من الله عزوجل حقاً فالبخل لماذا ؟ الحديث .

و في رواية : عن أحدهما عليه السلام قال: ينزل الله المعونة من السماء إلى العبد بقدر المؤنة و من أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة .

و في رواية : عن صفوان بن يحيى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: دخل عليه مولى فقال له : هل أنفقت اليوم شيئاً ؟ فقال : لا والله فقال أبو الحسن عليه السلام : فمن أين يخلف الله علينا ؟

و في رواية : عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان الشمس ليطلع ومعها أربعة أملاك : ملك ينادي ! ياصاحب الخير أتم و ابشر ، وملك ينادي ! ياصاحب الشر أنزع و أقصر ، و ملك ينادي ! أعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً، وملك ينضحها بالماء و لولا ذلك اشعلت الارض .

و في الدر المنثور : عن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ان لكل يوم نحساً ، فادفعوا نحس ذلك اليوم بالصدقة ثم قال : اقرؤا مواضع الخلف فاني سمعت الله يقول : « و ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه » اذا لم ينفقوا كيف يخلف ؟

و في مجمع البيان : وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: كل معروف صدقة ،

وما وقى الرجل به عرضه فهو صدقة ، وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامناً الا ّ ما كان من نفقة في بنيان أو معصية .

وفيه: عن أبي امامة قال : انكم تؤولون هذه الاية في غير تأويلها و ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، و قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : و إلا ّ فصمتا إياكم والسرف في المال والنفقة و عليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم قط اقتصدوا .

و في تفسير القمي : باسناده عن هشام بن عمار يرفعه في قوله تعالى : « و كذب الذين من قبلهم و ما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير » قال : كذب الذين من قبلهم رسلهم و ما بلغ ما آتينا رسلهم معشار ما آتينا محمداً و آل محمد عليهم السلام .

أقول: ان الاية الكريمة ظاهرها تنزيل ، وتحتمل التأويل بارجاع ضمير الجمع إلى الرسل .

٤٦ ـ (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد)

في الاحتجاج : ـ فيما احتج الامام مولى الموحدين امير المؤمنين على عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآى من القرآن متشابهة تحتاج إلى بيان ـ فقال الزنديق : واجده يقول : « انما اعظكم بواحدة » فما هذه الواحدة ؟

فقال الامام على عليه السلام : و أما قوله : « انما اعظكم بواحدة » فان الله جل ذكره نزل عزائم الشرائع وآيات الفرائض في أوقات مختلفة كما خلق السموات والارض في ستة أيام ، ولو شاء لخلقها في أقل من لمح البصر، ولكنه جعل الأناة والمداراة امثالاً لامنائه وايجاباً للحجة على خلقه، فكان أول ماقيدهم به : الاقرار بالوحدانية والربوبية والشهادة بأن لاإله إلا ّ الله ، فلما أقر ّوا بذلك تلاه بالاقرار لنبيه ﷺ بالنبوة والشهادة له بالرسالة ، فلما انقادوا لذلك فرض عليهم الصلاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد ثم الزكاة ثم الصدقات ، و ما يجرى مجراها من مال

الفيء ، فقال المنافقون: هل بقي لربك علينا بعد الذي فرضه شيء آخر يفترضه ، فتذكره لتسكن أنفسنا إلى أنه لم يبق غيره فأنزل الله في ذلك: « قل انما اعظكم بواحدة » يعني الولاية .

و أنزل : « انما وليكم الله و رسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » وليس بين الامة خلاف انه لم يؤت الزكاة يومئذ أحد و هو راكع غير رجل ، و لو ذكر اسمه في الكتاب لا سقط مع ما اسقط من ذكره ، و هذا و ما أشبهه من الرموز التي ذكرت لك ثبوتها في الكتاب ليجهل معناها المحرفون ، فيبلغ إليك وإلى أمثالك ، وعندذلك قال الله : « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً » .

و في **تفسير القمي** : باسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: سئلت أباجعفر عليه السلام عن قوله عزوجل: « قل انما اعظكم بواحدة » قال : انما أعظكم بولاية علي عليه السلام هي الواحدة التي قال الله عزوجل .

و في **الكافي** : باسناده عن أبي حمزة قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: « قل انما اعظكم بواحدة » فقال: انما أعظكم بولاية علي عليه السلام هي الواحدة التي قال الله تبارك و تعالى : « انما اعظكم بواحدة » .

و في **كنز الفوائد** للكراجكي رضوان الله تعالى عليه باسناده عن يعقوب بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن قول الله عزوجل : « قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى و فرادى » قال : بالولاية ، قلت : و كيف ذاك ؟ قال : انه لما نصب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام للناس فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه اغتابه رجل ، و قال : ان محمداً ليدعو كل يوم إلى أمر جديد ، وقد بدا بأهل بيته يملكهم رقابنا ، فأنزل الله عزوجل على نبيه قرآناً ، فقال له : « قل انما أعظكم بواحدة » فقد اديت اليكم ما افترض ربكم عليكم قلت : فما معنى قوله عزوجل : « أن تقوموا لله مثنى و فرادى » ؟ فقال : أما مثنى يعني طاعة

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطاعة أمير المؤمنين عليه السلام وأما قوله: «فرادى» يعني طاعة الامام من ذريتهما من بعدهما و لا والله يا يعقوب ما عنى غير ذلك .

وفي المناقب : لابن شهر آشوب رحمة الله تعالى عليه عن الامام الباقر والصادق عليهما السلام في قوله تعالى : « قل انما اعظكم بواحدة » قال : الولاية « أن تقوموا لله مثنى » قال : الائمة و ذريتهما .

وفي روضة الكافي: باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: «ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً» قال : من تولى الاوصياء من آل محمد و اتبع آثارهم فذلك يزيده ولاية من معي من النبيين والمؤمنين الاولين ، حتى يصل ولايتهم إلى آدم عليه السلام وهو قول الله عز وجل : «من جاء بالحسنة فله خير منها» يدخله الجنة وهو قوله عز وجل : «قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم» يقول : أجر المودة التي لم اسئلكم غيره ، فهو لكم تهتدون به، وتنجون من عذاب يوم القيامة.

وفي تفسير القمي: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : «قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم» وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل قومه أن يودوا أقاربه ولايؤذونه ، وأما قوله : «فهو لكم» يقول : ثوابه لكم .

وفي الكافي: باسناده عن حماد بن عثمان قال : أولم اسمعيل ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام :عليك بالمساكين فاشبعهم ، فان الله عزوجل يقول : «وما يبدىء الباطل ومايعيد»

وفي المجمع : قال ابن مسعود : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة وحول البيت ثلاثمأة وستون صنماً ، فجعل يطعنها بعود في يده ، ويقول : «جاء الحق و زهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً» «جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد» .

وفيه: في قوله تعالى : «ولو ترى اذفزعوا فلافوت واخذوا من مكان قريب» قال أبو حمزة الثمالي : سمعت علي بن الحسين والحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام يقولان : هو جيش البيداء يؤخذون من تحت أقدامهم .

وفيه: وحدثني عمرو بن مرة وحمران بن اعين انهما سمعا مهاجراً المكي يقول : سمعت ام سلمة تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يعوذ عائذ بالبيت ، فيبعث إليه جيش حتى إذا كانوا بالبيداء بيداء المدينة خسف بهم .

وفيه: وروى عن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب ، قال : فبيناهم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق ، فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق و آخر إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة ، يعني بغداد فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ، ويفضحون أكثر من مأة إمرأة ويقتلون بها ثلاثمأة كبش من بني العباس ، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ماحولها ، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام ، فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لايفلت منهم مخبر ، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويحل الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام بلياليها .

ثم يخرجون متوجهين إلى مكة ، حتى اذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرئيل فيقول : يا جبرئيل ! اذهب فأبدهم ، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها ولا يفلت منها الا رجلان من جهينة ، فلذلك جاء القول : «وعند جهينة الخبر اليقين» فذلك قوله : «ولو ترى إذ فزعوا» إلى آخرها . أورده الثعلبي في تفسيره .

وفي تفسير القمي : باسناده عن أبي خالد الكابلي قال: قال أبو جعفر عليه السلام : والله لكأني انظر إلى القائم وقد اسند ظهره إلى الحجر ثم ينشد الله حقه ثم يقول: يا أيها الناس من يحاجني في الله فأنا أولى بالله أيها الناس من يحاجني في آدم فأنا اولى بآدم ، أيها الناس من يحاجني في نوح ، فأنا أولى بنوح ، أيها الناس من يحاجني بابراهيم ، فأنا اولى بابراهيم ، أيها الناس من يحاجني بموسى، فأنا أولى بموسى ، أيها الناس من يحاجني بعيسى ، فأنا أولى بعيسى ، أيها الناس من يحاجني بمحمد ، فأنا أولى بمحمد أيها الناس من يحاجني بكتاب الله فأنا اولى

بكتاب الله ، ثم ينتهى إلى المقام ، فيصلى ركعتين و ينشد الله حقه .

ثم قال أبوجعفر عليه السلام : هو والله المضطر فى كتاب الله فى قوله : « أم من يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء و يجعلكم خلفاء الارض » فيكون أول من يبايعه جبرئيل ثم الثلاثمأة والثلاثة عشر ، فمن كان ابتلى بالمسير وافى ، و من لم يبتل بالمسير فقد عن فراشه ، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام : هم المفقودون عن فرشهم وذلك قول الله: «فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً» قال : الخيرات : الولاية .

وقال فى موضع آخر : « و لئن اخرنا عنهم العذاب إلى امة معدودة » وهم أصحاب القائم صلوات الله عليه يجتمعون والله إليه فى ساعة واحدة ، فاذا جاء إلى البيداء يخرج إليه جيش السفيانى ، فيأمر الله عزوجل الارض ، فتأخذ بأقدامهم و هو قوله عزوجل : « و لو ترى اذ فزعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب و قالوا آمنا به » يعنى بالقائم من آل محمد صلوات الله عليهم : « وانى لهم التناوش من مكان بعيد و حيل بينهم و بين ما يشتهون » يعنى أن لا يعذبوا « كما فعل بأشياعهم » يعنى من كان « قبلهم » من المكذبين هلكوا « من قبل انهم كانوا فى شك مريب ».

وفيه: وفى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله عزوجل : « ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت » قال: من الصوت وذلك الصوت من السماء وقوله عزوجل: « و اخذوا من مكان قريب » قال : من تحت أقدامهم خسف بهم .

وفيه: باسناده عن أبى حمزة قال : سئلت أباجعفر عليه السلام عن قوله عزوجل : « و انى لهم التناوش من مكان بعيد » قال: انهم طلبوا الهدى من حيث لاينال وقد كان لهم مبذولاً من حيث ينال .

وفى غيبة النعمانى: باسناده عن الحارث عن الامام أمير المؤمنين على عليه السلام انه قال : المهدى أقبل جعد بخده خال ، يكون مبدأه من قبل المشرق ، و اذا

كان ذلك خرج السفياني فيملك قدر حمل امرأة تسعة أشهر يخرج بالشام فينقاد له أهل الشام الا طوائف من المقيمين على الحق ، يعصمهم الله من الخروج معه ، و يأتي المدينة بجيش جرار ، حتى اذا انتهى إلى بيداء المدينة خسف الله به و ذلك قول الله عزوجل في كتابه : « و لو ترى إذ وقفوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب » .

و في **كنز الفوائد** : باسناده عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السلام قال : يخرج القائم فيسير حتى يمر بمز ، فيبلغه ان عامله قد قتل ، فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة ، ولايزيد على ذلك شيئاً ، ثم ينطلق فيدعو الناس حتى ينتهي إلى البيداء فيخرج جيشان للسفياني فيأمر الله عزوجل الارض أن تأخذ بأقدامهم ، و هو قوله عزوجل : « و لو ترى إذ فزعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب و قالوا آمنا به - يعني بقيام القائم عليه السلام - و قد كفروا به من قبل - يعني بقيام آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم - ويقذفون بالغيب من مكان بعيد - إلى قوله - في شك مريب » .

و في **الدر المنثور** : في قوله تعالى : « ولوترى اذ فزعوا » الاية أخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يخرج رجل يقال له : السفياني في عمق دمشق وعامة من يتبعه من كلب ، فيقتل حتى يبقر بطون النساء و يقتل الصبيان ، فيجمع لهم قيس فيقتلها حتى لايمنع ذنب تلعة ويخرج رجل من أهل بيتي ، فيبلغ السفياني ، فيبعث اليه جيداً من جنده فيهزمهم فيسير إليه السفياني بمن معه حتى اذا صار ببيداء من الارض خسف بهم فلا ينجو منهم الا المخبر منهم .

أقول: ان الرواية مستفيضة عن طريق العامة اذ أوردوها على طريقي الاختصار والتفصيل باسانيد عديدة على طريق الاختصار والتفصيل عن ابن عباس وابن مسعود و أبي هريرة و جد عمرو بن شعيب و حذيفة و ام سلمة و صفية و عائشة و حفصة أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم و نفيرة امرأة القعقاع و عن سعيد ابن جبير موقوفاً .

و **في البحار** : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على عليه السلام - في حديث - : وخروج السفياني براية حمراء أميرها رجل من بني كلب واثنىعشر ألف عنان من خيل السفياني يتوجه إلى مكة والمدينة أميرها رجل من بنىامية يقال له : خزيمة أطمس العين الشمال ، على عينه ظفرة غليظة يتمثّل بالرجال لا ترد له راية حتى ينزل المدينة في دار يقال لها : دار أبي الحسن الاموى ، و يبعث خيلاً في طلب رجل من آل محمد ، و قد اجتمع إليه ناس من الشيعة يعود إلى مكة أميرها رجل من غطفان إذا توسّط القاع الأبيض خسف بهم ، فلا ينجو الا رجل يحوّل الله وجهه إلى قفاه لينذرهم ، و يكون آية لمن خلفهم ، ويومئذ تأويل هذه الاية : « ولو ترى اذ فزعوا فلافوت واخذوا من مكان قريب » .

و **في تفسير العياشي** : عن عبد الاعلى الحلبى قال : قال أبوجعفر عليه السلام - في حديث - : يكون لصاحب هذا الامر غيبة - إلى أن قال - : فيدعوالناس يعني القائم عليه السلام إلى كتاب الله و سنة نبيه والولاية لعلى بن ابيطالب عليه السلام والبرائة من عدوه و لا يسمى أحداً حتى ينتهى إلى البيداء فيخرج إليه جيش السفياني ، فيأمر الله الارض فتأخذهم من تحت اقدامهم وهو قول الله : « و لو ترى اذ فزعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب و قالوا آمنا به » يعني بقائم آل محمد « وقد كفروا به » يعني بقائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم - فلا يبقى منهم الا رجلان يقال لهما: وتر و وتيره من مراد وجوههما في اقفيتهما يمشيان القهقرى يخبر ان الناس بما فعل باصحابهما . الحديث .

﴿ بحث فقهي ﴾

و استدل بعض المحققين من الفقهاء بقوله تعالى : « أن اعمل سابغات و قدّر في السرد » سبأ : ۱۱) على استحباب الصنائع لاهل الفضل والعلم ، و ان التحرف بها لاينقص من مناصبهم، بل ذلك زيادة في فضلهم ، إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم ، والاستغناء عن غيرهم ، و كسب الحلال الخلي عن الامتنان ، ولما ورد صحيحاً عن رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان خير ما أكل المرء من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » ولذلك كان بعض الزهاد من الفقهاء لا يأكل من بيت المال ، و انما يصرفه في مصارفه و يأكل من كدّ يمينه .

أقول: و لقد ثبت لي بالتجربة في الاكل من غير بيت المال من حصول التوفيق في التحصيل والعمل والتبليغ و آثاره ما لا يدركه إلاّ من تجرّب . وهذا إذا كان الجمع ممكناً للفقهاء والمحصلين للعلوم الدينية ، وإلاّ ففي جواز الاكل من بيت المال قدر الحاجة مما لا اشكال فيه .

و **استدل بعض المتفقهين** بقوله تعالى: « يعملون له مايشاء من محاريب و تماثيل » سبأ : ۱۳) على إباحة تصوير المجسمات و إن كانت ذوات أرواح من الانسان والحيوان أو الملائكة والجن . مستدلاً بان الجن كانت يمثّلون صور الانبياء والعلماء والصلحاء بأمر سليمان عليه السلام و يجعلونها في الميادين والمساجد والمقابر ليراها الناس فيزدادوا عبادة و اجتهاداً و عملاً صالحاً .

أقول: و هذا مردود بوجهين :

أحدهما: ان إباحة تصوير المجسمات نسخت في الشريعة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم و لاغرو أن يكون الحكم مباحاً في زمن و حراماً في زمن آخر ما لم يكن في موضوعه قبحاً ذاتياً ، و قد بيّن الله تعالى : ان عيسى بن مريم عليه السلام كان يصوّر بأمر الله جل و علا الطين كهيئة الطير .

وهذا لو كانت التماثيل تماثيل الانسان والحيوان وقد ورد انها ماكانت منها.

في الكافي : باسناده عن أبان بن عثمان عن أبي العباس عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل : « يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل » فقال : والله ما هي تماثيل الرجال والنساء ولكنها الشجر و شبهه .

و في وسائل الشيعة : بالاسناد عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام : قال : لابأس بتماثيل الشجر .

وفيه: بالاسناد عن محمد بن مسلم قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن تماثيل الشجر والشمس والقمر فقال : لا بأس ما لم يكن شيئاً من الحيوان .

أقول: فقد ظهر ان التماثيل لصور غير ذوات الارواح ليست بمحرمة في الشريعة الاسلامية إلاّ أن تكون الهيئة المصورة موجبة للفساد كهيئة الصليب والصنم و آلات القمار واللهو و إن لم تستعمل .

ثانيهما ـ ان تصوير صور ذوات الارواح حرام إذا كانت الصورة مجسمة بلا خلاف نصاً و فتوى ، و كذا مع عدم التجسم و فاقاً لكثير من أجلّة الفقهاء الشيعة الامامية الاثنى عشرية و للروايات المستفيضة :

منها : ما في حديث المناهي ـ ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « نهى أن ينقش شيء من الحيوان على الخاتم » .

و منها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لعن الله المصورين » .

و منها : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يدخل الملائكة بيتاً فيه صورة » .

و منها : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « من صوّر صورة كلّف يوم القيامة أن يحييها

و الا ّ فالنار » .

و منها : قال ﷺ : « من صو ّر صورة كلفه الله تعالى يوم القيامة أن ينفخ فيها و ليس بنا فخ » .

وفي الخصال : باسناده عن محمدبن مروان عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: ثلاثة يعذ ّبون يوم القيامة : من صو ّر صورة من الحيوان يعذ ّب حتى ينفخ فيها و ليس بنا فخ فيها . . الحديث .

و غيرها من الروايات الواردة الدالة على حرمة تصوير ذوات الارواح . . . ولعل الحكمة في التحريم هي حرمة التشبه بالخالق في إبداع الحيوانات واعضائها على الاشكال المطبوعة التي يعجز عن نقشها البشر على ما هي عليه فضلاً عن إختراعها ، و يختص ّ الحكم بذوات الارواح ، فان صور غيرها كثيراً ما يحصل بفعل الانسان للدواعي الاخر ، من غير قصد التصوير ، ولا يحصل به تشبه بحضرة المبدع جل وعلا عن الشبيه ، بل كل ما يصنعه الانسان من التصرف في الاجسام ، فيقع على شكل واحد من المخلوقات، ويؤيد ذلك ما ورد في تفسير الاية الكريمة .

و استدل بعض الفقهاء بقوله تعالى: « كلوا من رزق ربكم واشكروا له » سباء : ١٥) على وجوب شكر النعمة ، على ان الامر للوجوب ، مضافاً إلى وجوب الشكر للمنعم .

﴿ بحث مذهبي ﴾

في قوله تعالى : «ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير» سبأ : ١٢) دلالة على أن الجن مكلفون كالانس ، وقد كانوا يستطيعون على الفعل والترك كالانس أيضاً . وفي الاية الكريمة ردّ على من انكر باحتراق الجن بالنار كأبي حنيفة ومردته ، زاعمين بان الجن خلقت من النار، وهي لاتؤثر في جنسها ، و قصة بهلول وأبي حنيفة معروفة .

وقيل : ان قوله تعالى : « فلما قضينا عليه الموت مادلّهم على موته الاّ دابة الارض تأكل منسأته» سبأ:١٤:) يدل على أن أجساد الانبياء عليهم السلام لاتبلى ولا تأكلها الارض . وقوله جل وعلا: «فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين» سباء : ١٤) دليل قاطع على ان الجن لم يكونوا يعلمون الغيب ، إذ لو كانوا يعلمونه لعلموا بموت سليمان حينما مات ، ولما ظلوا يقاسون العذاب المهين فيما كانوا يقومون به من الخدمات الشاقة مدة طويلة بعد موته ، فتكشف الاية عن حقيقة الجن ، وتصحح تلك الصور المشوهة التي وقعت في أوهام الناس لهم بنسبة الخوارق إليهم ، وانهم يقدرون على كل شيء قدرة مطلقة ، و انهم يعلمون الغيب ، ولهذا يلجأ كثير من الناس إلى محاولة الاتصال بالجن كما يفعل العرافون والسحرة وغيرهم .

وقد ذهب بعض المتفسّرين إلى أن قوله تعالى:«وما كان له عليهم من سلطان الاّ لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك» سباء :٢١) يدل على ان الله

تعالى لايعلم من يؤمن بالاخرة ممن هومنها في شك قبل امتحان الناس بابليس.

أقول: ان الاية الكريمة بصدد بيان إظهار نتائج الوسوسة عياناً حتى تسقط حجة المحتج ، ويدل على ذلك ذيل الاية : «وربك على كل شيء حفيظ» فعلم الله جل وعلا شامل لكل ماكان وما يكون .

وقال بعض المفسرين : ان قوله تعالى : «قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق» سباء : ٢٦) يدل على اجتماع المؤمنين والكافرين قبل الحساب بعد البعث في صعيد واحد ، ثم يفرق بينهما كما قال جل وعلا: «يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ـ فاولئك في العذاب محضرون» الروم : ١٤-١٦) وأما الفزع حين البعث فللكافرين فقط ، كما ان الهول والفزع والصعب عند الموت للكافرين دون المؤمنين .

واستدلت المجسمة بقوله تعالى: «ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم» سباء : ٣١) على مذهبهم السخيف .

أقول: ليس المراد بالعندية الجهت والمكان ولاقرب المسافة لان ذلك من صفات الاجسام تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وانما المراد هو الحكم كقوله تعالى في أهل الافك : «فاولئك عندالله هم الكاذبون» النور:١٣) أي في حكم شرعه ولقد ثبت في معنى كلمة «عند» انها لاتحتاج إلى الحضور المشاهد المرئي .

ويستدل بقوله تعالى : «الا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون» سباء: ٣٧) على فضل الغنى على الفقر، وذلك لان الله تعالى وعد الاغنياء المؤمنين الصالحين بجزاء الضعف في الاخرة .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى ان قوله سبحانه : «وانت خير الرازقين» سباء : ٣٩) يدل على أن العباد يرزق بعضهم بعضاً لانه لولم يصح ذلك لم يجز: «خير الرازقين» كما انه لما لم يجز أن يكونوا آلهة لم يصح أن يقول : أنت خير الآلهة وصح : «أرحم الراحمين» و«أحكم الحاكمين» و«أسرع الحاسبين» و

«أحسن الخالقين» .

أقول: وقد سبق لنا كلام في بحث التحقيق في الاقوال والتفسير والتأويل، على ان صفة الرازقية لله تعالى حقيقة ، ولغيره مجاز، فلارازق سواه حقيقة . والبحث طويل فراجع إلى باب الرزق و اغتنم .

ويستدل بقوله تعالى : «وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير» سباء : ٤٤) على ان مشركي مكة لم يكونوا مكلفين بدين سماوي اذلم يتم عليهم الحجة برسول أو كتاب سماوي ، فهم لايؤاخذون بشركهم قبل البعثة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى : «وما كنامعذبين حتى نبعث رسولاً» الاسراء : ١٥) وقد تمت عليهم الحجة بهذه الشريعة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم فيؤاخذون بعدها .

قال الله تعالى : «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلايكون للناس على الله حجة بعد الرسل» النساء : ١٦٥)

ويستدل بقوله تعالى : «إن هوالاّ نذيرلكم بين يدي عذاب شديد»سباء: ٤٦) على خاتمية نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذجعل الله جل وعلا إنذاره صلى الله عليه وآله وسلم بين يدي العذاب لان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث قرب الساعة كما ورد صحيحاً انه قال صلى الله عليه وآله وسلم : «بعثت أنا والساعة جميعاً ان كادت لتسبقني» فلانبي بعده إلى يوم القيامة.

ويستدل بقوله تعالى : «قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا . . » سباء : ٤٦) على الحرية الفكرية في الاسلام مالانظير له في سائر الاديان الماضية ، فضلاً عن مدعيات المدّعين الكذبة الشرقية سارقي الدين والعقل ، والغربية طالقي العنان ، سارقي الدنيا والشرف ، نعم لهم حريات في مشتهيات نفسانية ، و في طلاقة العنان والاعتراء . . . كسائر الحيوانات . . .

ويستدل بقوله تعالى : «قل ما سئلتكم من أجرفهو لكم . . » سبأ : ٤٧) على صدق رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحقيقته ، وبيان ان الرسول لايكون طالباً

للدنيا ولاجاهاً ولامقاماً من الامة ، ولايكون عاملاً للمستكبرين فى رسالته كما حمل ذلك المتنبئين .

وفى قوله تعالى: «قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى إلىّ ربى » سبأ : ٥٠) ردّ على الأشاعرة المجبرة الذين ذهبوا إلى سلب الاختيار عن الانسان بان لا اختيار له لاعلى فعل ولاعلى ترك ، وانما هو مضطر على الفعل أو الترك وفق ما أراد الله تعالى ، فالانسان عندهم كآلة صماء فى يد الفاعل المختار وهوالله الواحد القهار .

فعقيدتهم السخيفة مردودة بالاية الكريمة ، إذتنسب الضلالة إلى النفس البشرية ، وترى الوحى سبباً للهداية بصراح ، وتجعل الانسان مختاراً فيهما،فمن أين الاجباروالاكراه فى الجانبين !!! .

تمت سورة سبأ
والحمدلله الآخرة والاولى
وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرة النجباء

فهرس ما جاء في تفسير سورة الاحزاب

يدور البحث حولها على فصلين :

الفصل الاول : في عناوين تفسير السورة و فيها ثمان عشرة بصيرة :



الفصل الثاني : فی مواضیع الحکم القرآنیة والمعارف الاسلامیة المبحوث عنها فی سورة الاحزاب و فیها ست بصائر :

البصيرة الاولى : و فیها أربعة أمور :

البصيرة الثانية : و فیها امور تسعة :

البصيرة الثالثة: و فيها إثنى عشر أمراً :

البصيرة الرابعة: و فيها ثلاثة أمور :

البصيرة الخامسة: و فيها سبعة أمور :

البصيرة السادسة: و فيها أمور ثلاثة :

فهرس ما جاء في تفسير سورة سبأ

يدور البحث حولها على ثمان عشرة بصيرة :

